السلسلة التفسيرية لجان فيليبس

إستكشاف
سفر التكوين

تفسيري إيضاحي

جان فيليبس

ترجمة دانيال فريد خوري

إستكشاف
سفر التكوين

السلسلة التفسيرية لجان فيليبس

إستكشاف
سفر التكوين

تفسيري إيضاحي

جان فيليبس

ترجمة دانيال فريد خوري

كلمة تقديم

سعيتُ بجدّ خلال سنواتي المُنصرمة كي أستخدمَ الطريقة التفسيريّة في عظاتي. فكنت في صباح و مساء كلّ يوم أحد أنتقي - من خلال الصلاة - سفراً من الكتاب المُقدَّس، ثمّ أشرح هذا السفر لرعيتي، إصحاحاً بعد إصحاح وعدداً بعد عدد. لقد وجدتُ أنَّ هذه الطريقة نافعة جداً. إنّها تبارك حياتي شخصياً وتغذّي رعيتي وتصل لمن لم يؤمنوا بعد.

من يَتبِع الطّريقة التفسيريّة يعلم بالحاجة لوجود كتب تفسيريّة توضيحيّة متوفّرة لتنوير وتعزيز الجهد الشّخصيّ. منذ بضع سنواتٍ مضت، كنتُ أعظُ من سفر رومية، فحصلت على كتاب تفسيري لسفر رومية كتب بقلم جان فيليبس. لم أكنْ قد سمعتُ بجان فيليبس من قبل، ولكنني تباركت فوراً من خلال كتابه. واقتنيت خلال السنوات التالية كتباً أخرى له. وجدت أنّ استكشاف الكتاب المُقدَّس واستكشاف سفر الرؤية واستكشاف سفر العبرانيين لهم ذات الطابع المساعد والموحي.

وبعد ذلك بقليل علمت بأنّ السيد جان فيليبس يقطن في جورجيا وفي هذه الولاية كان مسقط رأسي. ومن خلال صديق مشترك استطعت أن أتعرف على السيد جان فيليبس، وأدعوه أن يقود مؤتمراً للكتاب المُقدَّس هنا في دوفين وي (Dauphin Way). لقد شعرت بسعادة غامرة عندما اكتشفت أنّ اللقاء الشَّخصيَّ به أفضلُ بكثير من الصفحات المطبوعة! تغذينا أنا ورعيتي بعمقٍ من عظاته عندما خدم الكلمة في وسطنا. أنا أعتبره أحد أفضل المُعلِّمين للكتاب المُقدَّس في العالم اليوم.

فرحتُ فرحاً عظيماً عندما علمتُ خبر تحضيره لكتاب عن سفر التكوين. كان السيد فيليبس كريماً بأن يرسل لي مخطوطته قبل الطباعة. وكنت أقرأ عمله عن سفر التكوين بدهشة وامتنان. لديّ كتب عديدة عن سفر التكوين، ولكنّها ليست بمستوى غنى وفائدة هذا الكتاب. لأنَّ السيد فيليبس عمل على إنجاز هذا الكتاب بشكل علميّ وإنجيليّ وبسيط. وهو يحتوي المزيج الفريد بأن يكون كتاباً لاهوتيّاً وتأمليّاً بأنٍ واحد. موجزاته عظيمة، تفاسيره منعشة ووثيقة الصِّلة، وشروحه مناسبة للحقيقة التي يتمّ كشفها. واستخدامه للمُخيّلة في دراسة الشَّخصيّات عبر سفر التَّكوين هي من أفضل ما قرأته.

أنا أنصح بهذا الكتاب من كلّ القلب، للرُّعاة والمُبشّرين ومعلمي مدارس الأحد والكتاب المُقدَّس وكلّ من يريد بصيرة أعظم لسفر البدايات. أنا أتنبّأ بأنّه سيكون أشهر كتاب تفسيريّ كُتِب عن سفر التّكوين في وقتنا الحاليّ.

جيري فاينز،
راعي كنيسة دوفين وي المعمدانيّة،
موبيل، ألاباما.

مُقدّمة

إنّه كتاب حقائق وكتاب البدايات وكتاب الإيمان، كتاب ما سيكون، كتاب جنائز. قد قيل عنه "بذرة الحبكة للكتاب المُقدَّس" لأنّ كلّ الغابات الواسعة للكتاب المُقدَّس تبدأ هناك كبُذَيرة. فقد قيل عن السّفر بأنّه يعلن بدايات لكلّ شيء عدا الله. إنّه سفر التّكوين.

سفر التّكوين هو مدخل جريء للكتاب المُقدّس، لأنّ الله لا يبدأ الكتاب بمُلاحظة خجولة ومترددة أو ملاحظتَين. بل يبدؤوه برعد الطُّبول بينما العوالم تقفز من العدم لتملأ السماء. إنّه يبدؤوه بصِدام الصُّنوج بينما الجنس البشريّ يسقط بالخطيئة. إنّه يبدؤوه بأبواقٍ تَهتفُ إعلاناً عن غرقِ عالمٍ.

كيف يجب أن يكون أسلوب تعاملنا مع هذا الكتاب الواسع؟ في البداية بإيمانٍ بسيطٍ، لأنّ الحقائق المطروحة أمامنا يجب أن يُؤمَن بها، وألا تُرمى من مكانٍ لآخر بحسب نزوات العالم. وباهتمامٍ متزايدٍ بينما أبطالُها يزحفون عبر الصَّفحات أمامنا، فتنهض شعوبٌ وأخرى تنهار، وينشأُ الشعبُ العبريّ ليُهيمن في الكتاب المُقدَّس حتّى النِّهاية.

إذا كنّا سنبدأ بدراسة للكتاب المُقدَّس، فأيّ بداية أفضل من البدء في الله والتَّكوين؟ في *استكشاف سفر التكوين* وضعْنا خطوطاً عريضة واضحة ونَضِرة لخريطة طريقنا. لقد بحثنا لنكون أمينين للنَّصّ. لقد حاولنا أن نبعث بالحياة مرّة أخرى للنَّاس الّذين حشدوا صفحات السّفر. لقد بحثنا لنعظِّمَ الرَّبّ يسوع المسيح.

أرجو أن يصبح سفر التَّكوين أحد الكتب المُفضَّلة عندك، كتاب تريد أن تستكشفه بشكل مُستمرّ.

الخطوط العريضة العامة

الجزء الأول

بداية الجنس البشري

تاريخ البدايات

الفصل الأول – الخلق (1:1-2:25)

1. المُقدّمة (1:1)
2. الرواية (1:2-31)
   - أ. كيف أُسِسَت الحياة على الأرض (1:2-13)
     1. وصف الفوضى السائدة (1:2)
     2. تبديد الفوضى السائدة (1:3-13)
        - أ. تبديد الظلمة (1:3-5)
        - ب. تبديد الفوضى (1:6-10)
          1. الغيوم رُفِعَت (1:6-8)
          2. القارات رُفِعَت (1:9-10)
        - ت. تبديد الموت (1:11-13)
   - ب. كيف أسِّس القانون على الأرض (1:14-31)
     1. الأجسام السماويّة أُمِرت أن تحكُم (1:14-19)
     2. خُلِقَ الإنسان لِيَتَسَلَّط (1:20-31)
        - أ. حقل الإنسان يُعَد له (1:20-25)
        - ب. حقل الإنسان يُقَدَم له (1:26-31)
          1. كيف خلق الله آدم (1:26-27)
          2. كيف تَوّج الله آدم (1:28-31)
             - أ. أجيال قادمة (1:28أ)
             - ب. مركز (1:28ب)
             - ت. مُلكية (1:29-31)
3. الخاتمة (2:1-3)
   - أ. الله يستريح (2:1-3)
     1. اكتمال الخليقة (2:1)
     2. رضى الخالَق (2:2-3)
   - ب. الله يُراجِع (2:4-7)
     1. مُراجَعِة الفَلَك (2:4)
     2. مراجعة عِلم الزراعة (2:5-6)
     3. مراجعة عِلم الإنسان (2:7)
4. الإكمال (2:8-25)
   - أ. بيت آدم (2:8-17)
     1. مكاناً مِثالياً للمكوث (2:8-14)
     2. شيئاً مثاليّاً يفعلهُ (2:15-17)
        - أ. مهمة محدّدة (2:15)
        - ب. *ثِقة مُقَدَسة* (2:16-17)
          1. أُعلنت بألطف طريقة مُمكنة (1:16)
          2. أُعلنت بأوضح طريقة مُمكنة (1:17)
   - ب. مُساعِد نظير آدم (2:18-25)
     1. تَوق آدم سبقَ فعرفه الله (2:18)
     2. رَغبة آدم عُزِّزَت من قِبَل الله (2:19-20)
     3. رغبة آدم تُحَقق من قِبَل الله (2:21-25)

أ. صناعة المرأة من آدم (2:21-22أ)
ب. زواج المرأة بآدم (2:22ب-25)
1. رؤية الزواج (2:22ب)
2. تَعَهُد الزواج (2:23-24)
3. فضيلة الزواج (2:25)

الفصل الثاني – اللعنة (3:1-4:15)

1. الجنس الساقط (3:1-24)
أ. سقوط الإنسان (2:1-8)
1. حدة ذهن الحية (3:1-6)
أ. مُناشدة فكر حواء (3:1ب-5)
1. الشك (3:1ب-3)
2. الإنكار (3:4)
3. الخداع (3:5)
ب. مُناشدة عواطف آدم (3:6)
1. تحويل النظرة إلى شهوة
2. تحويل الرغبة إلى قرار
3. تحويل الخيار إلى قيد
4. تحويل الخاطئ إلى مُغري
2. نجاح الحية (3:7-8)
أ. مأزق آدم وحواء (3:7)
ب. هرب آدم وحواء (3:8)
ب. مستقبل الإنسان (3:9-24)
1. استدعاء آدم (3:9)
2. بُحِثَ آدم (3:10-13)
أ. تفسيره (3:10)
ب. عذره (3:11-12)
ت. مثاله (3:13)
3. حُكم آدم (3:14-19)
أ. حرب (3:14-15)
ب. المِحْنَة (3:16)
ت. عمل (3:17-19)
1. كَدِح بلا مُقابِل (3:17-19أ)
2. رُعب صارم (3:19ب)
4. آدم يُخَلّص (3:20-24)
أ. نعمة الله نيابةً عن الإنسان (3:20-21)
1. اعتراف آدم (3:20)
2. تغطية آدم (3:21)
ب. حُكم الله نيابةً عن الإنسان (3:22-24)
2. أول ديانة الزائفة (4:1-15)
أ. الاستنتاج الزائف من ديانة قايين (4:1-7)
1. مُخطط بشري بحت (4:1-2)
2. ذبيحة بشرية بحتة (4:3-4)
3. رضى بشري بحت (4:5-7)
ب. التعصب العنيف لديانة قايين (4:8-15)
1. وسِمَت بِصِفَة العنف (4:8)
2. وسِمَت بالكَذِب (4:9)
3. وسِمَت بالعَبَث (4:10-12)
4. وسِمَت بالخوف (4:13-15)

الفصل الثالث – الكارثة (4:16-29:9)

1. عالمٌ يَنْضُجُ للدينونةِ بِسُرعةٍ (4:16-22:6)
أ. تقييمُ الله لتلكَ الأوقاتِ (4:16-7:6)
1. الغير إلهي (4:16-24)
أ. اللامباليين بالله (4:16-17)
1. المُبالاة بشخص الله (4:16)
2. المُبالاة بفردوس الله (4:17)
ب. استقلالهم عن الله (4:18-24)
1. الاضطراب الأخلاقي (4:19)
2. الاكتشاف المُدهِش (4:20-22)
أ. التسويق – يَابَالَ (4:20)
ب. الموسيقى – يُوبَالُ (4:21)
ت. علم المعادن - تُوبَالَ قَايِ (4:22)
3. بالتحَدِ المُسَلَّح (4:23-24)
2. الغير أرضيّ (4:25-32:5)
أ. كيف بدأت البذرة الجديدة (4:25-5:5)
1. الولادة الجديدة (4:25-26)
2. الكتاب الجديد (5:1-5)
ب. كيف واصلت البذرة الجديدة (5:6-32)
1.البطريركية (5:6-20)
2. الأنبياء (5:21-32)
أ. أخنوخ - شَهِدَ لوجود الله (5:21-24)
ب. متوشالح - شَهِدَ لصَبر الله (5:25-27)
ت. لامك - شَهِدَ لسلام الله (5:28-31)
ث. نوح - شَهِدَ لهدف الله (5:32)
3. الغير طيّعين (6:1-7)
أ. ارتدادهم العظيم (6:1-3)
1. الإبانة الأخيرة لانحراف الإنسان (6:1-2)
2. الإنهاك الأخير لصبر الله (6:3)
ب. نشاطهم الغير إلاهي (6:4)
ت. نمو الفوضى السياسية (6:5-7)
1. فطنة الله (6:5)
2. خيبة أمل الله (6:6)
3. قرار الله (6:7)
ب. حلّ الله لتلك الأوقات (6:8-22)
1. رَجُل (6:8-13)
أ. مشحوناً من الله (6:8-10)
1. غُفِرَ له (6:8)
2. كان أميناً (6:9)
3. كان مُثمراً (6:10)
ب. كان مستنيراً (6:11-13)
1. يُراجع الله الأرض (6:11-12)
2. يُعلن الله غضبه (6:13)
2. خِطة (6:14-22)
أ. عمل المسيح الكامل (6:14-16)
ب. كلمة الله الأمينة (6:17-22)
2. عالمٌ تُخليَّ أخيراً عنه للدينونة (7:1-24)

أ. خلاص الإلهيين (7:1-9)
1. التزام الكامل مطلوباً من نوح (7:1)
2. مُهمة أخيرة مُعطاة لنوح (7:2-4)
3. طاعة نوح الأمينة الواضحة (7:5-9)
ب. دمار الغير إلاهي (7:10-24)
1. توقيته (7:10-16)
أ. التأخير الإضافي للدينونة (7:10)
ب. بزوغ الفجر الأخير للدينونة (7:11-16)
2. مُجمَلَها (7:17-24)
أ. مدى الطوفان (7:17-20)
ب. الإعدام بالطوفان (7:21-24)
3. عالمٌ مُتعَفٍ حديثاً من الدينونةِ (8:1-9:29)
أ. نوح يَتَلَكأ (8:1-5)
1. ريثما يَتَذَكرَ الله (8:1-2)
2. بينما انحسر الطوفان (8:3)
3. بينما رسا الفُلك (8:4-5)
ب. نوح يَختَبِر (8:6-14)
1. ما بحث نوح عنه (8:6-12)
2. ما رآه نوح (8:13-14)
ت. نوح يَثِق (8:15-9:17)
1. أمر الله لنوح (8:15-19)
أ. سُمِعَ الأمر (8:15-17)
ب. نُفِذَ الأمر (8:18-19)
2. عهد الرب مع نوح (8:20-9:17)
أ. تكلم الله بالسِّر (8:20-22)
ب. تكلم الله بسيادة (9:1-17)
1. شروطهُ (9:1-7)
2. علامتَهُ (9:13-17)
ث. نوح يَكدَح (9:18-23)
1. نوح الأب (9:18-19)
2. نوح الفلاح (9:20)
3. نوح الفاشِل (9:21-23)
ج. نوح يَشهَد (9:24-29)
1. بِشَفَتِه (9:24-27)
2. بحياته (9:28-29)
الفصل الرابع – التحَالُف (10:1-11:32)
1. سلطة إلهية (10:1-11:9)
أ. اكتمال تشتيت الإنسان (10:1-32)
1. العِرق اليافثي (10:1-5)
أ. المُقَدِمة (10:1)
ب. المؤسسين (10:2)
ت. العائلات (10:3-5)
2. العِرق الحاميّ (10:6-20)
أ. أسماء جديرة بالذكر (10:6-7)
ب. نمرود الجبار (10:8-12)
ت. الجيران القريبين (10:13-20)
3. العِرق السامي (10:21-32)
أ. السُلالة المُلوكية (10:21-25)
ب. سُلالة ذات نَسَب (10:26-31)

ت. ختام (32:10)
ب. سبب تشتيت الإنسان (11:1-9)
1. موادهم (11:1-3)
2. منهجهم (11:4أ)
3. دافعهم (11:4ب)
4. خطأهم (11:5-9)
2. نعمة إلهية (11:10-32)
أ. شجرة عائلة إبرام (11:10-26)
ب. روابط عائلة إبرام (11:27-32)
1. إبرام الشخص (11:27-30)
2. إبرام المُهاجر (11:31-32)
أ. الخطوة الأولى (22:31أ)
ب. الوقفة الأولى (11:31ب-32)

الجزء الثاني

بدء العرق العبراني

تاريخٌ بطريركيٌ

(12:1-50:26)

الفصل الخامس – السَلف: إبراهيم (12:1-25:18)

1. طريق الايمان (12:1-20)
أ. ابرام يؤمن (12: 1-9)
1. ايجاد طريق الايمان (12: 1-4)
أ. بتصريح بالايمان (12: 1-3)
ب. خطوة ايمان (12: 4)
2. إيجاد طريقة الايمان (12: 5-8)
أ. ابرام يشهد (12: 5)
ب. ابرام يمشي (12: 6)
ت. ابراهيم ينتظر (12: 6ب-7)
ث. ابراهيم يعبد (12: 8)
3. التخلي عن طريق الايمان (12: 9)
ب. ابراهيم يَرْتَدْ (12: 10-20)
1. مجاعة (12:10)
2. منذراً (12: 10-12)
3. الكذب (12:13)
4. الإحباط (12:14-15)
5. التملُق (12:16)
6. فشل (12:17-20)
2. ثمن الإيمان (13:1-18)
أ. علامات الرجُل الروحي (13:1-4)
1. الانفصال (13:1)
2. التقديس (13:2-3)
3. التضحية (13:4)
ب. ذُهن الرجُل الروحيّ (13:5-9)
1. ظروف مُقلِقة (13:5-6)

2. جيران خُبَثَاء (7:13)
3. الأخ الأضعف (8:13-9)
أ. صراحة روحية (8:13أ)
ب. فطنة روحية (8:13ب)
ت. بكرامة روحية (9:13)
ت. تَحَرُكات الرجُل الروحي (10:13-18)
1. مُقَيَّد من قِبَل الله (10:13-13)
أ. كان لوط ضعيفاً في عبادته
ب. كان لوط مُهتماً في رغباتُه (10:13)
ت. كان لوط مُخطئاً في قراراتهِ (11:13-13)
2. طمأنينة من قِبل الله (14:13-16)
أ. بخصوص أملاكِه (14:13-15)
ب. أجياله القادمة (16:13)
3. مُنَظم من قِبل الله (17:13-18)
3. قوة الإيمان (1:14-24)
أ. المعركة اليائسة (1:14-11)
1. التحالُف (1:14-2)
2. الصِراع (3:14-9)
3. الانهيار (10:14-11)
ب. الأخ المغرور (12:14)
ت. المؤمن الديناميكي (13:14-24)
1. ضعف الجسد (13:14)
2. حِكْمَة العالم (14:14-16)
أ. إبرام تصرف بِسُرعة (14:14)
ب. إبرام تصرف بعقلانية (15:14)
ت. إبرام تصرف بنجاح (16:14)
3. حيَل الشيطان (17:14-24)
أ. لقاء إبرام المُهم مع ملك سدوم (17:14-20)
ب. القاء الشرير لإبرام مع ملك سدوم (21:14-24)
1. تجربة إبرام الحاذقة (21:14)
2. شهادة إبرام البسيطة (22:14-24)
4. عهد الإيمان (1:15-21)
أ. بناء عائلة إبرام (1:15-7)
1. كلمة قوة الله (1:15-4)
أ. العهد (1:15)
ب. الالتماس (2:15-3)
ت. الخُطة (4:15)
2. الشهادة على قوة الله (5:15-6)
3. عمل قوة الله (7:15)
ب. أُسُس إيمان إبرام (8:15-12)
1. ظُلِلَت الجُلجثة أمام إبرام، عليه أن يُدرِك سِرَها (8:15-10)
2. أُشرِكَ إبرام *بالجُلجُثة*؛ فَفهِمَ لُغزها (11:15-12)
ت. بريق مُستقبل إبرام (13:15-21)
1. الوقت المُحدد المَعني (13:15-16)
أ. إرادة الله المُجيزة (13:15-14)
ب. الإرادة الله الشخصية (15:15)
ت. إرادة الله المُقَدَرة والمَحتومة (16:15)
2. المَنطقة المُحَدَدة المعنية (17:15-21)
أ. ضمان أرض الموعد (17:15)

ب. عظمة أرض المَوّعد (18:15)
5. رِهان الإيمان (16-1:16)
أ. اختِبار صَمتْ الله (6-1:16)
1. فِكر إبرام المُزدَوّج (4-1:16)
أ. المُشكِلة (1:16)
ب. العرض (3-2:16)
ت. الثمن (4:16)
2. قلب ساراي المُخادع (6-5:16)
أ. السان الجامح (5:16)
ب. المَزَج الجامح (6:16)
3. إرادة هاجر الجريئة (6:16)
ب. الحقيقة لسيادة الله (16-7:16)
1. الرؤية لهاجر (12-7:16)
أ. مَجيء ذلك كُلي الوجود: رؤية للنعمة (8-7:16)
ب. أمر ذلك الكامل القُدرة: رؤية للسُلطة (9:16)
ت. الراحة لذلك الكامل المَعرِفة: رؤية العظمة (12-10:16).
2. ردة فِعل هاجر (16-13:16)
أ. تعبيراً شفوياً لإيمانها (14-13:16)
ب. تعبيراً حيوياً لإيمانها (16-15:16)
6. إمكانيات الإيمان (27-1:17)
أ. كيف أستُلِمَ العهد (16-1:17)
1. بخضوع مُطلَق (3-1:17)
2. بصَمتٍ مُطلَق (16-4:17)
أ. مادة العهد (8-4:17)
1. المبدأ المعني
2. الشعب المعني (6-17:4)
3. الفترة الزمنية المعنية (17:7)
4. المكان المعني (8:17)
ب. خِتمْ العهد (14-9:17)
1. مضمونهُ (11-9:17)
2. تَطبيقهُ (13-12:17)
3. أهميتهُ (14:17)
ت. روح الوعد (16-15:17)
ب. كيف صُدِقَ العهد (27-17:17)
1. ضِحكِةُ الإيمان (17:17)
2. مَنطِق الإيمان (22-18:17)
أ. التماس لإسماعيل (18:17)
ب. الوعد لإسماعيل (22-17:19)
1. مادة محجوزة من المُعاهدة (19:17)
2. مادة مُلوكية من المُعاهدة (22-20:17)
3. حياة الإيمان (27-23:17)
أ. طاعة بلا حدود (24-23:17)
1. الطاعة الأبوية (23:17أ)
2. الطاعة البطريركية (23:17ب)
3. الطاعة الموضوعية (23:17ت)
4. الطاعة الشخصية (24:17)
ب. مرسوم محدود (27-25:17)
1. حالة الإنسان المُتَمَرِد (25:17)
2. مَوقِف الرَجُل البار (27-26:17)

7. صلاة الإيمان (18:1-33)
أ. الرجُل العملي (18:1-8)
1. سُرعَتُهُ (18:1-2)
2. ضِيَافَتِهِ (18:3-8)
ب. الرجُل ذو امتياز (18:9-15)
1. الوعد (18:9-10)
2. المُشكِلة (18:11-15)
ت. الرجُل المُبَرهَن (18:16-22)
1. عَظَمَة مُتَوَقَعة (18:16-18)
2. عَظَمَة شخصية (18:19)
3. عَظَمَة موّضِعية (18:20-22)
ث. الرَجُل المُصَلي (18:23-33)
1. سلوك إبراهيم (18:23)
2. حُجَة إبراهيم (18:23ب-32)
3. توكيد إبراهيم (18:33)
8. مَوقِع الإيمان (19:1-38)
أ. أخلاق سدوم الغير مُقَدَسة (19:2-22)
1. شيئاً شائعاً (19:1-3)
2. شيئاً مُلوثاً (19:4-5)
3. شيئاً مُستَمِراً (19:6-9أ)
4. شيئاً مُولعاً بالقِتال (19:9ب)
5. شيئاً يستحِق العِقاب (19:10-11)
ب. العقلية الغير مُقَدَسة لسدوم (19:12-38)
1. إيمان لوط المُتآكِل (19:12-26)
أ. شهادة لوط العديمة القيمة (19:12-14)
ب. ضَعِف إرادة لوط (19:15-23)
1. مُتَرَدِداً أن يبدأ (19:15-17)
2. مُستَعِداً للوقوف (19:18-23)
ت. امرأة لوط الصعبة المراس (19:24-26)
2. عائلة لوط المُفسَدة (19:27-38)
أ. ما كان سَيَصبُح بلوط (19:27-29)
ب. ما أصبحَ عليهِ لوط (19:30-38)
1. منظور سدوم الشرير (19:30-32)
2. مُمارسات سدوم المعدومة الحياء (19:33-36)
3. ذُرية سدوم الملعونة (19:37-38)
9. مخاطِر الإيمان (20:1-18)
أ. المُهاجِر المُتَنَقِل (20:1-2)
ب. النبي البائس (20:2-16)
1. لم يُمَيَز كنبيٍ بسهولة (20:3-7)
أ. وضع أبيمالك الهالِك (20:3)
ب. تَذَمُر أبيمالك الحاد (20:4-5)
ت. اعتِبار أبيمالك الأخير (20:6-7)
1. قد كُبِحَ بسيادة (20:6)
2. مازال مسؤولاً(20:7)
2. لم يُحتَرَم فِعلاً كنبي (20:8-13)
أ. تصَرُفَهُ الارتيابي (20:11)
ب. تَصَرُفَهُ المُخادِع (20:12)
ت. تَصَرُفَهُ المُهين (20:13)
3. لم يُستَقبَل بشكل مُلائم كنبيٍ (20:14-16)

أ. أهانَهُ عن قَصد (14:20)
ب. صَرَفَهُ (15:20)
ت. ازدرى به (16:20)
ت. الكاهِن الخادِم (17:20-18)
أ. المشهَد لخدمة كهنوتهِ (17:20أ)
ب. النجاح لخِدمة كهنوته (17:20ب)
ت. الأهمية لخدمة كهنوته (18:20)
10. جائزة الإيمان (21:1-34)
أ. إسحاق الأعجوبة الهائلة (21:1-8)
1. طبيعة التَكَهُنات (21:1-2)
2. طبيعة التنفيذ (21:3-8)
أ. اعتماداً (21:3-4)
ب. تَطَوُّراً (21:5-8)
ب. استهزاء إسماعيل الفظيع (21:9)
ت. رسالة سارة النموذجية (21:10)
ث. غلطة إبراهيم المأساوية (21:11)
ج. مَراحِم الله الحنونة (21:12-13)
1. وصية الله (21:12)
2. تعزية الله (21:13)
ح. بُؤس هاجر المُدمِع (21:14-21)
1. طُردَت (21:14)
2. سُحِقَت (21:15-16)
3. لُحِقتَ (21:17-21)
خ. دوافِع أبيمالك الواضِحة (21:22-34)
1. التماسه (21:22-24)
2. تَعَهُدهُ (21:25-31)
3. فِراقه (21:32-34)
أ. إبراهيم يعمل (21:33أ)
ب. إبراهيم يَعبُد (21:33ب)
ت. إبراهيم ينتظر (21:34)
11. بُرهان الإيمان (22:1-24)
أ. الامتحان المُفاجئ الذي أعَدَ الله إبراهيم له (22:1-2)
ب. الثِقة البسيطة التي أتقَنَ الله إبراهيم بها (22:3-12)
1. طريق الصليب (22:3-5)
2. لكَلِمة الصليب (22:6-8)
3. عمل الصليب (22:9-12)
ت. الحقيقة الجليلة التي حمى الله إبراهيم بها (22:13-24)
12. صَبر الأيمان (23:1-20)
أ. حُزن إبراهيم (23:1-6)
1. دموعهُ (23:1-2)
2. شهادتهُ (23:3-6)
أ. غَرِيبٌ
ب. نَزِيلٌ
ب. قَبر سارة (23:7-18)
1. مُهَذَباً في كلامِهِ (23:7-8)
2. حذراً في مُعَامَلاتِهِ (23:8-18)
ت. هدية عفرون (23:19-20)
13. احتياطات الإيمان (24:1-67)
أ. النزيل الحكيم (24:1-9)

ب. الخادِم الرائع (24:10-28)
ت. الخاطئ الدُنيَوي (24:29-33)
ث. القديس المُستَعِد (24:34-61)
1.رفقة تتعلم عن إسحاق
2. رفقة تشتاق لإسحاق
3. رفقة تبحث عن إسحاق
ج. الابن المُنتَظِر (24:62-67)
14. مَفَارِق الإيمانِ (25:1-11)
أ. الرَجُل المُثمِر (25:1-4)
1. قرار إبراهيم (25:1)
2. أحفاد إبراهيم (25:2-4)
أ. زِمْرَانَ (25:2-3)
ب. يَقْشَانَ (25:2)
ت. مَدَانَ (25:2)
ث. مِدْيَانَ (25:2و4)
ج. يِشْبَاقَ (25:2)
ح. شُوحًا (25:2)
ب. الرجُل البعيد الرؤية (25:5-6)
1. التَخَلُص من ثَروَتِهِ (25:5)
2. تشتيت عائلَتِهِ (25:6)
ت. الرجُل الكامِل (25:7-11)
1. قياس أيام إبراهيم (25:7)
2. موضوع موت إبراهيم (25:8)
3. موضوع رغبات إبراهيم (24:9-11)
أ. الرغبة الأبوية (25:9)
ب. الرغبة الشخصية (25:9-10)
ت. الرغبة البطريركية (25:11)
ث. الرجُل العقيم (25:12-18)
1. روابِط عائلة إسماعيل (25:12-15)
أ. ولادة إسماعيل البارِزة (25:12)
ب. أولاد إسماعيل العديدين (25:13-15)
2. انتصارات إسماعيل الخمسة (25:16)
أ. الشعب الإسماعيلي
ب. الأماكن الإسماعيلية
ت. القوى الإسماعيلية
ث. الأُمراء الإسماعيليين
ج. الأملاك الإسماعيلية
3. مأساة إسماعيل الأخيرة (25:17-18)
أ. وفاة إسماعيل المؤسفة(25:17)
ب. الطبيعة العلمانية لرغباتِهِ (25:18)

الفصل السادس-المُهاجِر: إسحاق (25:19-27:46)

1. إسحاق وأولادَهُ (25:19-34)
أ. التوأمان في الرحم (25:19-26)
1. الزوجة العقيمة (25:19-21)
2. الحرب السرية (25:22-26)
ب. التوأمان في العالم (25:27-34)
1. الصراع المتزايد (25:27-28)

2. المواجهة العظمى (25:29-34)
2. إسحاق وسلوكه (26:1-35)
أ. مسير إسحاق (26:1-5)
1. المشكلة الصعبة (26:1)
2. الحظر الإلهي (26:2أ)
3. بوعد مؤكد (26:2ب-5)
ب. زوجة إسحاق (26:6-11)
1. الكذب كان جاهزاً (26:6-7)
2. قد كُشِفت الكذبة (26:8-11)
ت. ثراء إسحاق (26:12-16)
1. كان رجلاً ثرياً (26:12-14أ)
2. كان مستاءً (26:14ب-16)
ث. آبار إسحاق (26:17-22)
1. ماذا استعاد إسحاق (26:17-18)
2. ماذا أدرك إسحاق (26:19-22)
ج. عبادة إسحاق (26:23-25)
1. الوحي المهم (26:23-24)
2. الجواب المباشر (26:25)
ح. شهادة إسحاق (26:26-33)
1. اسلوب تعامل العدو (26:26-27)
2. استئناف العدو (26:28-29)
3. ترضيت العدو (26:30-33)
خ. خوف إسحاق (26:34-35)
3. إسحاق وبركته (27:1-46)
أ. الأب الغير روحي (27:1-4)
1. مخاوف إسحاق (27:1-2)
2. جسدية إسحاق (27:3-4)
ب. الزوجة التي لا تستسلم (27:5-10)
1. قرار رفقة (27:5-7)
2. خداع رفقة (27:8-10)
ت. الأخ المجرد من المبادئ (27:11-33)
1. سلوك يعقوب المشكوك فيه (27:11-27)
2. بركة يعقوب المسروقة (27:28-33)
ث. الابن الغير مخلص (27:34-46)
1. عيسو المتقد بالندم (27:34-35)
2.استياء عيسو العنيد (27:36-37)
3. مطلب عيسو المُلِح (27:38-40)
4. قرار عيسو المتهور (27:41-46)

الفصل السابع-المُتكاثِر: يعقوب-(28:1-35:29)
1. كيف خَلَّصَ الله يَعْقُوبَ (28:1-22)
أ. رحيل يَعْقُوبَ (28:1-9)
1. أهميتهُ الهائلة (28:1-4)
2. تأثيرَهُ الفوري (28:5-9)
ب. حِلم يعقوب (28:10-17)
1. البلد البعيد (28:10-11)
2. الميثاق الجديد (28:12-15)
3. الإيمان الراسِخ (28:16-17)
ت. قرار يعقوب (28:18-22)

1. تَصَرَفَ يعقوب بفورية (18:28أ)
2. يعقوب تَصَرَفَ بهدف مُعين (18:28ب-19)
3. تَصَرَفَ ببطريركية (20:28-22)

2. كيف أَخضَعَ الله يعقوب (1:29-43:30)
أ. وصول يعقوب إلى فَدَّانِ أَرَامَ (1:29-12)
1. المجيء إلى البئر (1:29-3)
2. الثِقة عند البئر (4:29-8)
3. الغزوات عند البئر (9:29-12)
ب. تدابير يعقوب في فَدَّانِ أَرَامَ (13:29-43:30)
1. أمر زوجاتَهُ (13:29-24:30)
أ. حُبَهُ الحماسيّ (13:29-20)
ب. دَرسَهُ الأول (21:29-31)
ت. حياتَهُ العائلية (32:29-24:30)
2. أمرُ أُجرَتِهُ (25:30-43)
أ. كيف أُثير إيمان يعقوب (25:30-26)
ب. كيف أُخمِدَ إيمان يعقوب (27:30-43)

3. كيف أوقف الله يعقوب (1:31-32:32)
أ. كيف تُحُدِيَّت الأهداف القديمة (1:31-16)
1. اهتمام يعقوب الجوهري (1:31-3)
2. مؤتَمَر عائلة يعقوب (4:31-9)
3. اعتِراف يعقوب الأمين (10:31-13)
4. التِزام يعقوب الأخير (14:31-16)
ب. كيف تُحُدِّيَت الأهداف القديمة (17:31-35)
1. ماذا علم لابان (17:31-21)
2. ماذا اعتقدَ لابان (22:31-30)
3. عن ماذا بحث لابان (31:31-35)
ت. كيف تُحُّدِيت الأحقاد القديمة (36:31-55)
1. نقمة يعقوب المُحِقة (36:31-42)
2. ابتِهال يعقوب الديني (43:31-55)
ث. كيف تُحُّدِيَّ الذنب القديم (1:32-32)
1. تأكيد يعقوب من الله (1:32-2)
2. ارتباك يعقوب حول الله (3:32-23)
3. مواجَهِة يعقوب مع الله (24:32-32)

4. كيف عزل الله يعقوب (1:33-31:34)
أ. يعقوب وأخاه (1:33-16)
1. كيف وجد عيسو يعقوب (1:33-3)
2. كيف غفر عيسو ليعقوب (4:33-7)
3. كيف أنعم عيسو على يعقوب (8:33-11)
4. كيف أخاف عيسو يعقوب (12:33-16)
ب. يعقوب وتراجُع إيمانِهِ (17:33-31:34)
1. فشل يعقوب كمُهاجِر (17:33-20)
2. فشل يعقوب كأب (1:34-31)
أ. الفضيحة التي سببها تصَرُف دينا (1:34-7)
ب. الفضيحة التي سببها أخوة دينا (8:34-31)

5. كيف قدس الله يعقوب (1:35-29)
أ. يعقوب كرَجُلٍ مؤمن (1:35-15)
1. تجديد حيوّية يعقوب الروحية (1:35-4)
2. تجديد انتصار يعقوب الروحي (5:35)
3. تجديد حقيقة يعقوب الروحية (6:35-15)

ب. يعقوب كرَجُلٍ محروم (35:16-29)
1. يُحرَم يعقوب من مُفَضَلتِهِ (35:16-26)
أ. خسارة راحيل (35:16-21)
ب. شَبَق رَأُوبَيْنَ (35:22-26)
2. يُحرَم يعقوب من أبيه (35:27-29)

الفصل الثامن-المعطي: يوسف (36:1-26:47)
1. خلفية يوسف (36:1-43)
أ. تاريخ عيسو الشخصي (36:1-8)
1. عائلة عيسو المقربة (36:1-5)
2. ثروة عيسو الهائلة (36:6-7)
3. حصن عيسو المنيع (36:8)
ب. التاريخ السياسي لأدوم (36:9-43)
1. ذرية عيسو في أدوم (36:9-19)
2. أسلاف عيسو في أدوم (36:20-30)
3. إشراقة عيسو في أدوم (36:31-43)
2. فتوة يوسف (37: 1-11)
أ. قيادة يوسف الروحية (37:1-2)
1. مُجَرَب بالتأكيد
2. مُجَرَب بالإخفاء
ب. قميص يوسف الرائع (37: 3-4)
1. القميص الكهنوت
2. القميص الأفضلية
3. القميص المكانة الخاصة
ت. أحلام يوسف المثيرة (37:5-11)
1. حلم الحزم السلطة على موارد الأرض
2. حلم الكواكب السلطة على رئاسة الأرض
3. خيانة يوسف (37:12-36)
أ. كيف أُرسِلَ يوسف إلى أخوته (37:12-17)
1. تمت مناقشة المهمة (37:12-14)
2. تم إطلاق المهمة (37:15-17)
ب. كيف نظر أخوة يوسف إليه (37:18-27)
1. ضمائرهم الشريرة (37:18-23)
2. الشر الإجرامي لرأوبين (37:21-22، 29-30)
3. حسابات يهوذا العالمية (37:25-27)
ت. كيف بيع يوسف من قبل أخوته (37:28-36)
1. المساومة النقدية الدقيقة (37:28)
2. القضمة الأولى للضمير (37:29-36)
4. أخو يوسف (38:1-30)
أ. يهوذا وأبنائه (38:1-10)
1. سلوك يهوذا المتمرد (38:1)
2. عروس يهوذا الدنيوية (38:2-5)
3. ابن يهوذا الشرير (38:6-10)
ب. يهوذا وابنه (38:11-26)
1. قيمه المنحرفة (38:11-14)
2. لؤمه الشخصي (38:15-23)
3. فضيلته المزيفة (38:24-26)
ت. يهوذا ونسلَهُ (38:27-30)
1. الطفل المُفتدى

2. الطفل الملوكي
5. عبودية يوسف (39:1-40:23)
أ. الرجل العبد: وثق به سيده الثري بشكل كامل (39:1-6)
ب. الرجل الناجح: قد جُرِبَ بشكل مستمر من قبل امرأة مُصرة (39:7-20)
ت. الرجل المشوه السمعة: جُرِبَ بعناية من قبل الله الحليم (39:21-40:23)
1. الإيمان المطلوب من يوسف (39:21-23)
2. المحبة التي برزت من يوسف (40:1-22)
3. رجاء يوسف قد تأجل (40:23)
6. بركة يوسف (41:1-44)
أ. طرق العناية الإلهية لله (41:1-8)
1. أحلام الملك (41:1-44)
2. محنة الملك (41:8)
ب. حكمة الله الكاملة (41:9-13)
1. توقيت الله الكامل (41:9)
2. تكتيكات الله المثالية (41:10-13)
ت. إرادة الله الفريدة (41:14-44)
1. أن تحضر يوسف إلى فرعون (41:14-37)
2. أن ترقي يوسف من خلال فرعون (41:38-44)
7. عروس يوسف (41:45-52)
أ. مكانها المفضل (41:45-49)
1. رُفِعَ عالياً (41:40-45)
2. مبجلاً جداً (41:45-49)
ب. ماضياً منسياً (41:45)
ت. قسمها المخلص (41:50-52)
1. منسى "النسيان" (41:50-51)
2. إفرايم "المثمر" (41:52)
8. أخوة يوسف (41:53-47:10)
أ. طور الغموض (41:53-44:34)
1. كيف تثقل أخوة يوسف (41:53-42:34)
2. كيف تحير أخوة يوسف (42:35-43:34)
أ. محنة يعقوب (42:35-38)
ب. تعهد يهوذا (43:1-15)
ت. خطة يوسف (43:16-34)
3. كيف انكسر أخوة يوسف (44:1-34)
أ. المؤامرة (44:1-3)
ب. المواجهة (44:4-15)
ت. الاعتراف (44:16-34)
ب. مرحلة العظمة (45:1-24)
1. الكشف عن يوسف (45:1-16)
أ. الكشف عن شخصه (45:1-3)
ب. الإعلان عن أغراضه (45:4-16)
2. موارد يوسف (45:17-23)
3. مطلب يوسف (45:24)
ت. مرحلة الخدمة (45:25-47:10)
1. اقتراح (45:25-46:7)
2. الانتشار (46:8-30)
3. التحضير (46:31-34)
4. التقديم (47:1-10)
9. جائزة يوسف (47:11-26)

أ. نعمة يوسف (47:11-12)
1. المنصب الذي أعطاها لإخوتِه (47:11أ)
2. الأملاك التي أعطاها يوسف إلى إخوته (47:11ب)
3. الحصة التي أعطاها يوسف لإخوته (47:12)
ب. حكومة يوسف (47:13-22)
1.طالب بفضة المصريين (47:13-14)
2. ممتلكات المصريين (47:15-17)
3. بعقارات المصريين (47:18-20)
4. أشخاصهم (47:21)
ت. صلاح يوسف (47:23-26)
1. شُرِح المبدأ الأساسي (47:23-25)
2. أسس المبدأ (47:26)

الفصل التاسع-الخِتام

1. موت يعقوب (47:27-50:21)
أ. معرفة يعقوب المُسبِقة (47:27-49:27)
1. المُختار المُفضل (47:27-48:22)
أ. دفن يعقوب (47:27-31)
ب. جانِب فراش يعقوب (48:1-6)
ت. حرمان يعقوب (48:7)
ث. عمى يعقوب (48:8-12)
ج. بركة يعقوب (48:13-16)
ح. سلوك يعقوب (48:17-20)
خ. إيمان يعقوب (48:21-22)
2. العائلة المُختارة (49:1-27)
أ. المُقَدِمة (49:1-2)
ب. رَأُوبَيْنُ (49:3-4)
ت. شِمْعُونُ وَلاَوِي (49:5-7)
ث. يَهُوذَا (49:8-12)
ج. زَبُولُونُ (49:13)
ح. يَسَّاكَرُ (49:14-15)
خ. دَانُ (49:16-18)
د. جَادُ (49:19)
ذ. أَشِيرُ (49:20)
ر. نَفْتَالِي (49:21)
ز. يُوسُفُ (49:22-26)
س. بَنْيَامِينُ (49:27)
ب. جناز يعقوب (49:28-50:21)
1. التعهُد (49:28-33)
2. الإعداد (50:1-3)
3. الإذن (50:4-6)
4. الموكِب (50:7-14)
5. العفو (50:15-21)
2. موت يوسف (50:22-26)
أ. سُكنى يوسف (50:22)
ب. أحفاد يوسف (50:23)
ت. بصيرة يوسف (50:24)
ث. مُطالبة يوسف (50:25)
ج. موت يوسف (50:26)

الفصل الأول – الخلق (1:1-2:25)

1. المُقدّمة (1:1)
2. الرواية (1:2-31)
   أ. كيف أُسِسَت الحياة على الأرض (1:2-13)
      1. وصف الفوضى السائدة (1:2)
      2. تبديد الفوضى السائدة (1:3-13)
         أ. تبديد الظلمة (1:3-5)
         ب. تبديد الفوضى (1:6-10)
            1. الغيوم رُفِعَت (1:6-8)
            2. القارات رُفِعَت (1:9-10)
         ت. تبديد الموت (1:11-13)
   ب. كيف أسِّس القانون على الأرض (1:14-31)
      1. الأجسام السماويّة أُمِرت أن تحكُم (1:14-19)
      2. خُلِقَ الإنسان لِيَتَسَلَّط (1:20-31)
         أ. حقل الإنسان يُعَد له (1:20-25)
         ب. حقل الإنسان يُقَدَم له (1:26-31)
            1. كيف خلق الله آدم (1:26-27)
            2. كيف تَوّج الله آدم (1:28-31)
               أ. أجيال قادمة (1:28أ)
               ب. مركز (1:28ب)
               ت. مُلكية (1:29-31)
3. الخاتمة (2:1-3)
   أ. الله يستريح (2:1-3)
      1. اكتمال الخليقة (2:1)
      2. رضى الخالق (2:2-3)
   ب. الله يُراجِع (2:4-7)
      1. مُراجَعِة الفَلَك (2:4)
      2. مراجعة عِلم الزراعة (2:5-6)
      3. مراجعة عِلم الإنسان (2:7)
4. الإكمال (2:8-25)
   أ. بيت آدم (2:8-17)
      1. مكاناً مِثالياً للمكوث (2:8-14)
      2. شيئاً مثاليّاً يفعلهُ (2:15-17)
         أ. مهمة محدّدة (2:15)
         ب. *ثِقة مُقَدَسة* (2:16-17)
            1. أُعلنت بألطف طريقة مُمكنة (2:16)
            2. أُعلنت بأوضح طريقة مُمكنة (2:17)
   ب. مُساعِد نظير آدم (2:18-25)
      1. تَوق آدم سبقَ فعرفه الله (2:18)
      2. رَغبة آدم عُزِّزَت من قِبَل الله (2:19-20)
      3. رغبة آدم تُحَقق من قِبَل الله (2:21-25)
         أ. صناعة المرأة من آدم (2:21-22أ)
         ب. زواج المرأة بآدم (2:22ب-25)
            1. رؤية الزواج (2:22ب)
            2. تَعَهُد الزواج (2:23-24)
            3. فضيلة الزواج (2:25)

1

الخَلق

الإصحاح الأوّل لسفر التَّكوين هو أكثر إصحاح في الكتاب المُقدَّس يكون محوره الله. يُذكَر اللهُ بالاسم اثنتان وثلاثون مرّة في واحد وثلاثين عدداً. أضف على ذلك استخدام الضمير الشخصيّ، وستجد أنه ذكر ليس أقلّ من ثلاثٍ وأربعين مرّة. وهكذا وفي الصفحة الأولى من الكتاب المُقدّس يأتي بنا الروح القدس لمحضر الله ويبقينا هناك. ليس من العجب أنّ الشيطان يكره هذا الإصحاح! ليس من العجب بأنّه أحضر أسلحته الثقيلة ليشوّه سُمعة الإصحاح في عقول النّاس.

تُخُلّي عن الإصحاح الأوّل من سفر التكوين بحجّة أنّه غير واقعيّ ولا يُعتمَد عليه، وأنّه مُجرَّد أسطورة، وعلى أنّه عقيدة مُصطنعة ومُستمدّة من الملحمة البابليّة للخلق، وأنّه غير مقبول به للعلم العصريّ وستجد بأنّ الشيطان قد ربح. إذا كان الروح القدس لا يمكن الثقة به عندما يُسرد موضوع الخلق، كيف يمكن أن يوثق به عندما يسرد موضوع الخلاص؟ إذا ما قاله عن الأرض في سفر التكوين1 يمكن أن يُشكّك به، إذاً ما قاله عن السماء في رؤية 22 يمكن أن يُشكّك به أيضاً. إذا الروح القدس لا يمكن الوثوق به في سفر التكوين1، فكيف نثق به في سفر يوحنا 16:3؟

يكمن التشديد على أهميّة سفر التكوين1 في استخدام "Polysyndeton" أي الاستخدام المتكرّر لحرف العطف "وَ"، الذي يظهر بشكل دائم في ترجمة الملك جيمز من خلال الاستخدام المتكرّر لحرف العطف "وَ". أَحصِ عدد حرف العطف "و" في سفر التكوين1 ستجد بأنّ هناك تقريباً مئة منهم. بالطبع في الكتابة العاديّة يعتبر بأنّه من غير المقبول أن يكون هناك أكثر من حرف عطف واحد في الجملة (بحسب اللغة الإنكليزية). ليس في الكتاب المُقدّس![1] تستخدم ال Polysyndeton لتبطئنا وتلفت انتباهنا بالتالي إلى كلّ جملة أو كلمة مجموعة مع بعضها البعض. في سفر التكوين1 إذاً الروح القدس يريدنا أن نَزِن كلّ كلمة وجملة لأنّه يكتب بدقّة عظيمة.

1-المُقدّمة (1:1)

المُراسل الصحفيّ الناشئ هارولد فورتسكيو أرسل لتغطيّة مُناسبة عامّة محليّة. لقد كانت مهمته الأولى. توسع في عمله وقدّم لمُحرّر الصحيفة مجموعتين من الأوراق المطبوعة من الفنّ الخطابيّ. لم يُمعن المُحرّر النظر إليها، بل ردّ المقال فوراً وقال "اختصرها للنصف". هارولد نفّذ الأمر وهو مُكتئب. ومرّة أخرى ردّ المُحرّر المقال مع تعليق جافّ " اختصرها للنصف". نفّذ المُراسل اليافع الأمر وهو يزفرُ مُتذمّراً. وعندما قدّم العمل النهائي للمقال، أرجع المُحرّر المقال مرّة أخرى وقال له "الآن اختصرها لصفحة واحدة فقط". احتجّ المُراسِل المرعوب فقاطعه مديره قائلاً: "أيّها الشاب، أنت بوضوح تغاضيت عن الحقيقة أنّ خالق الكون قدّم قصّته عن الخلق بستّة كلمات "فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ".

البيان الافتتاحيّ للكتاب المُقدّس يقف بِكُلِ قُوّتِهِ المُجرّدة. حيثُ لا يوجد أيّ مُحاولة لتخفيفه، أو الاعتذار من عصرٍ مشكّك، للإثبات أنّ الله مَوّجود. بكلّ بساطة يعتبر الروح القدس حقائق معينه بأنّها بديهيّة، الأوّل والأهمّ، بأنّ الله هو هو. بتصريحٍ واحدٍ سامٍ، يُزيل الإلحاد (Atheism) من خلال تأكيده على وجوده، ويزيل التعدديّة (Polytheism) من خلال إعلان عن نفسه بأنّه واحد، ويزيل وحدانيّة الوجود (Pantheism) من خلال عزل نفسه عن المادّة.

لا يوجد تصريح يحدّد متى خلق الله الكون، إلا أنّ الحقيقة بأنّه فعل ذلك "في البدء". يقدّر بعض العلماء اليوم بأنّ عمر الأرض هو مليارَي سنة، مع عبور ثلاثة أرباع الوقت الجيولوجيّ قبل أن يجد الجيولوجيّون أوّل تسجيل مقبول للحياة في الصخور الكمبريّة. تصوّر رجلاً يمشي في طريقٍ مُتَّجهاً للماضي، في كلّ خطوة يخطوها يغطي ألف سنة. خطوته الأولى تضعه أمام وليم المنتصر، وخطوته الثانية تضعه أمام المسيح، والثالثة أمام هيلن الطرواديّة، والرابعة عند إبراهيم. بعد 130 خطوة يرى الرجل الهايدلبرغ. نصف ميل آخر بألف سنة للخطوة، تأخذه لأقدم حجر حُقِّقَ به في أوروبا (بأيّ حال هذا بحسب بعض الجيولوجيّين والأنثروبولوجيّين). يتابع لـ 250 ميل قبل أن يقف أمام أوّل مستحجر عضويّ! سفر التكوين1 لا يجادل مع الادِّعاء بأنّ الأرض هي قديمة جداً. هو بكلّ بساطة يصرّح بأنّ الله خلقها "في البدء".

أجريت محاولات للتوفيق بين سفر التكوين والجيولوجيا. إحدى النظريّات هي *نظريّة عمر اليوم الواحد*. يُنظَر إلى الـ "أيام" في سفر التكوين1 ليس بنظرة حرفيّة بأنّ الأيام هي أربعٌ وعشرون ساعة، لكن كدهور أو عصور أو فترات زمنيّة طويلة. وضع رسوم بيانيّة توضيحيّة لكي توفّق بين سفر التكوين والجيولوجيا. وبالطبع هناك تشابهات جديرة بالملاحظة بين الاثنين.

نظريّة أخرى هي *نظريّة الفجوة*. سفر التكوين 1:1 يسجل أحداث الخليقة الأصليّة. بين العدد الأوّل والثاني من سفر التكوين، الباحثون من الجانب النظريّ، يفترضون فجوة من العصور غير المعدودة، في هذه الفجوة يضعون كلّ العصور المطلوبة من قبل الجيولوجيّين،

1. ال Polysyndeton هي من أكثر التعابير المجازيّة استخداماً في الكتاب المُقدّس. على سبيل المثال يمكن مُلاحظتها في تكوين 22 ولوقا 15 وفي العديد من المقاطع الأخرى. ابحث عنها وستجدها في كلّ مكان.

المنتهية بالعصر الجليديّ الذي يُقال بأنّه موصوف بسفر التكوين 2:1. و ما تبقّى من الإصحاح هو إذاً ليس تسجيلاً لأحداث الخلق الأصليّ، بل إعادة تأهيل الأرض لتكون صالحة لإقامة وحياة الإنسان.

نظريّة أخرى هي أنّ أيام سفر التكوين1 ليست أيام الخلق بل أيام الوحي: *نظريّة الوحي*. الأيام في سفر التكوين1 هي أيام بمعناها الحرفيّ أي أربع وعشرين ساعة، لكنّها أيام في حياة موسى. بستة أيام أوحى الله لموسى الحقائق التي تخصّ الخلق، وفي كلّ من هذه الأيام سجّل موسى الوحي المُعطى له. نظريّة الوحي تُرضي علماء اللغة العبريّة الذين يقولون بأنّ العبريّة في سفر التكوين1 تطلب أيام حرفيّة من أربع وعشرين ساعة، وتُرضي العلماء الذين يطلبون فترات زمنيّة طويلة لتكوين الأرض.

بالتأكيد الإصحاح الأوّل من سفر التكوين هو رائع كتصريح لوقائع، مهما كانت طريقة النظر. لم يكتب موسى سفر التكوين1 بحسب النظريّات السائدة في المدارس في عصره، حتّى ولو كان قد "تَهَذَّبَ مُوسَى بِكُلِّ حِكْمَةِ الْمِصْرِيِّينَ" أع22:7. افترضت الأسطورة المصريّة بأنّ محيطاً بدائيّاً أخرج بيضةً. من البيضة ولد الإله شمس، والإله شمس كان لديه أربعة أولاد: جب وشو وتفنوت ونت. تمّت عملية الخلق من خلال منافسات المولودين آلهة، أولاد الإله شمس[2]. يا لها من بركة أن سفر التكوين1 لا يبدأ هكذا.

عوضاً عن ذلك، لدينا سرد روائيّ عظيم بعظمة قمم الهملايا، يعلو فوق أيّ قصّة ملحميّة عن الخلق دوّنها بشر. القصة الملحميّة البابلونيّة هي قصّة مؤامرة مقابل مؤامرة أخرى بين الآلهة، قصّة مآدب طعام وخُصُومْ وحروب. الإغريقيّون صوروا عملاقاً أسطوريّاً اسمه أطلس يقف على حدود الأرض وهو يرفع السموات الشاسعة على رأسه وذراعَيه اللّذين لا يتعبان. الهندوسيّون اعتقدوا أنّ العالم يرسو على ظهر ثلاثة فيلة، الّذين بدورهم رسوا على ظهر سلحفاة ضخمة تسبح في بحرٍ كونيّ. سفر التكوين1 يتجنّب بشكل كامل أفكاراً كهذه ويعطي تصريحاً رائعاً من الحقائق، حتّى أنّه المستند الوحيد المُعطَى لنا من العصور القديمة الذي يتمّ أخذه بعين الاعتبار والتعامل معه بشكل جديّ، عندما يُناقش موضوع أصل الكون.

بيتر ستونر وهو مختصّ بعلم الرياضيّات، يجدول ثلاثَ عشرة خطوة للخلق في سفر التكوين1. يصنّفهم بأنّهم خلق الكون (عدد1)، النور (عدد3)، الظلمة تطرد من الأرض (عدد4)، تأسيس الغلاف الجويّ (عدد6)، البحار عُيّنت حدودها (عدد9)، القارات تُرفَع (عدد 10)، تُشَكل حياة النباتات مِثل العشب والبقول وأشجار الفاكهة (عدد11)، الشمس والقمر والنجوم عُينت لتعمل (عدد 14)، خُلقت الحياة المائيّة (عدد 20)، خُلقت الطيور (عدد 21)، عمر الوحوش نُقصت (عدد 21)، خُلقت الفقاريّات الأرضيّة والزواحف (عدد 24)، وخلق الإنسان (عدد 26). ليس فقط أُسميت هذه الأشياء بشكل صحيح وأُدرِجت بتسلسل مناسب، بل الاحتمال أنّ موسى كتب سفر التكوين1 بهذا التسلسل بالصدفة هو واحد من 31 سكستليون أي "31×10^{21}".

يُقَدِم د. ستونر توضيحاً لذلك، يفترض سحب يانصيب بعدد بطاقات هذا الرقم. لكي تُطبع البطاقات تحتاج إلى ثمانية ملايين دار طباعة، كلّ دار طباعة يحتاج أن يكون لديه استطاعة طباعة ألفي بطاقة في الدقيقة، يعمل نهاراً وليلاً دون توقف لمدة خمسة ملايين سنة! إحدى البطاقات مُعَلّمة. إنّ احتمال أن نختار هذه البطاقة من أوّل سحب يعادل احتمال أن يكون موسى كتب سفر التكوين1 عن طريق الصدفة[3]. لأنّ موسى لم يدوّن الحقائق عن طريق الصدفة، فهو لا يمتلك القدرة على كتابة سفر التكوين1 اعتماداً على منطق بشريّ (هو كتب بعكس كلّ تعليم مقبول في يومه)، لا بدّ أنّه كتبه من خلال وحي إلهيّ. ثلاث كلمات عبريّة تستخدم في سفر التكوين1 لتصف العمليّة. الكلمة "بارا" تتكرّر حوالي خمساً وخمسين مرّة في العهد القديم وتحمل المعنى الفوريّ، الخلق العجائبيّ. منذ بضع سنوات خلتْ أعلن العلماء عن استطاعتهم إنتاج بروتين صناعي في المختبر. البروتين هو الحجر الأساس لبناء الحياة، لذلك هذا الإنجاز أخذ عَالم العِلم كعاصفة. أجرت جريدة مساء السبت مقابلة مع عدد من الوجهاء لأخذ ردود أفعالهم عن الخبر[4]. د. فنسنت أولفري من مؤسسة روكافيلير صرح: "هذه أكبر قصة في العصر". الكيموحيوي المشهور قال: "هذا العصر سيدخل التاريخ على أنّه العصر الذي انتهى به غموض الحياة. الحياة هي فقط كيمياء". عالم بريطاني كان واثقاً بأننا سوف نرى العلماء يصنعون حياة خلال عقود قليلة. وبكلّ ثقة أكّد "أنا لا أرى الحاجة للإيمان بالله فيما بعد ". بعد ذلك أجرت الصحيفة مقابلة مع بعض من رجال الكنائس، من ضمنهم المونسنيور جورج أ. كيلي، المتحدّث باسم الكاردينال سبيلمان لأبرشيّة نيويورك. لم يكن معجباً بتفاخر العلماء. قال "عندما يستطيع الكيموحيوي أن يخلق الطاقة والشيء من لا شيء، عندها أُحبّ أن أتكلّم معه". هذا ما تعنيه كلمة "بارا" – "فِي الْبَدْءِ خَلَقَ (بارا) اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ."

2. انظر ليونارد كوترل، الحياة تحت الفراعنة، صفحة 23.
Leonard Cottrell, Life Under the Pharaohs (New York: Rinehart & Winston, 1960), P.23
3. انظر بيتر ستونر، العلم يتحدّث صفحة 11. Peter Stoner, Science Speaks (Chicago: Moody, 1958), P.11
4. جريدة السبت المسائيّة، تموز 1965

من جميع الكلمات الثلاث المستخدمة في الرواية، كما قال ويلبور م. سميث، بارا هي الأكثر قرباً من فكرة الخلق عن طريق أُعجوبة أو أمر إلهيّ، حتى وإن كانت الكلمة بحد ذاتها لا تحتوي الإيحاء الحصريّ من الخلق من العدم. الكلمة خُصصت بشكل حصريّ لعمل الله المميز. البشر يمكنهم أن "يصنعوا" أشياء (أسا) و "من" أشياء (ياتسا)، ولكن فقط الله يمكنه أن يَخلُق.[5]

سفر التكوين1 هو تصريح للأصول (أصل الأشياء)، والعلم لا يعرف شيئاً عن الأصل. العلم يهتمّ بكيفيّة سير الأشياء و تطوّرها وليس لديه ما يقوله عن كيف بدأت الأشياء. العلم يستطيع أن يقيس القوانين التي تحكم الكون الماديّ، ولكن هذه القوانين لا تفسر كيف بدأت كلّ العمليّة. يستطيع الإنسان أن يقيس جناح بندول الساعة ويضع معادلة تُحدد بشكل دقيق أين سيكون ميلان البندول في أيّة لحظة من الزمان في المستقبل. بتغير بعض العوامل المعينة في معادلته يستطيع أن يفحص في الماضي. للوهلة الأولى أجوبته تكون منطقيّة، ولكن سوف تأتي اللحظة التي ستعطيه معادلته أجوبة تافهة. إذا عاد بالزمن إلى الوراء لمسافة بعيدة، معادلته ستقول له أنّ البندول كان يتأرجح في أقواس أعرض وأعرض حتّى يصل في النهاية إلى التأرجُح بالاتجاهين بنفس الوقت! نتيجتان مُحيرتان. أولاً، القوانين التي هي الآن تحكم تأرجح البندول لا تفسر كيف بدأ البندول بالتأرجح. ثانياً: شيء آخر مختلف تماماً عمّا الذي يحصل، أخذ مجراه ليجعل البندول يبدأ. في هذا الوضع، المراقبُ مُساقٌ بمجرد نظرية لأنه لا يستطيع أن يصرح بشكل مؤكد متى وكيف بدأ البندول بالتأرجح. الطريقة الوحيدة التي يستطيع أن يصرح بكل ثقة "هكذا بدأ البندول بالتأرجح" أن يصرح له شخص كان موجوداً في تلك الحظة التي بدأ بها البندول بالتأرجح.[6] في عبارة أخرى، هذا النوع من المعلومات لا يمكن امتلاكه عن طريق *المنطق* بل عن طريق *الوحي*. هذا بالضبط طبعاً يؤكد كيف استمدّ موسى المعلومات لكتابة سفر التكوين1.

2. الرواية (1:2-31)

البَشر يفضلون اليوم أن يصدقوا داروين على موسى، وينسون أن عِلم كيبلير وكوبيرنيكشوس والسيد إسحاق نيوتن قد انتهى اليوم، وأن نظريات العلماء اليوم ستنتهي خلال عشر أو عشرين سنة من الآن. العلماء لديهم ما يدعى "خمس سنين نصف حياة" أي خلال خمس سنين نصف ما "نعرفه" الآن بأنّه حقيقة سوف يُثبت خاطئ ويتمّ استبداله بنظريّة جديدة. معرفتنا للكون هي حالة مُتقلّبة لدرجة أنّه يجب علينا أن نتحدّى أيّ شخص يدَّعي أنّ سفر التكوين1 هو "غير علميّ". هنا لدينا التصريح الإلهيّ بما يتعلّق في البدايات. يجب أن يكون التواضع والاحترام مُرشِدَينا في استكشاف ما يخبرنا به هذا الإصحاح.

الإصحاح ينقسم إلى قسمين رئيسَين، الأول ذُروته في تأسيس *الحياة* على الأرض (1:2-13)، والثاني ذُروته في تأسيس *القانون* على الأرض (1:14-31). يمكن رؤية التوازي بين القسمَين بوضوح.

أ. كيف أُسِسَت الحياة على الأرض (1:2-13)

1. وصف الفوضى السائدة (1:2)

يعتقد بعض الباحثين بأنّ العدد 2 يصف حالة المادة البدائيّة عندما خلقت في البدء. آخرون (من ضمنهم فرانز ديليتزشت، أعظم عالم في علم العبرانيّة) يؤمن أنّ الكون يصف كارثة تفوّقت على الخليقة الأصليّة فيما بعد. الكلمة *كان* يمكن أن تترجم "*أصبح*" – "الأرض أصبحت خربة وخالية". دعم هذا المنظور يمكن رؤيته في أشعياء 18:45 حيث أنّه صُرّح بأنّ الله لم يصنع الأرض خربة وخالية.[7]

يبدو أنّ بولس الرسول يبدي استخدام مثير لقصة الخلق. حيث يقول، "لأَنَّ اللهَ الَّذِي قَالَ: أَنْ يُشْرِقَ نُورٌ مِنْ ظُلْمَةٍ، هُوَ الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا، لإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ." (2كورونثوس 4:6). نستطيع أن نرى في سفر التكوين1 صورة الإنسان الساقط، خُرب من قِبَل الشيطان، تفكيره ومشاعره وإرادته كلها في حالة فوضى، ضميره أُظلم، جسده لُعِن للتراب. لكن روح الله تتحرّك فوق الظلمات وتبدأ عمليّة إعادة التجديد حيث يخرج من الفوضى إنسانٌ جديدٌ، مخلوقٌ على صورة وشَبَه ابن الله. بدون شَك هناك مقاطع من الكتاب المُقدَّس لديها معاني أعماق من المعاني السطحية، يمكن رؤيتها بشكل ضعيف.

2. تبديد الفوضى السائدة (1:3-13)

هناك ثلاث مراحل للعمليّة. تعامل الله مع *الظلمة* أولاً (1:3). التصريح "قال الله" يتكرّر عشر مرات في سفر التكوين1. تُقدّم مجموعة أوامر الله الأولى التي لم يتمّ كسر أيّ أمر منها أبداً. هذه التصاريح تقف بمقارنة مع مجموعة أوامر الله الثانية (خروج 20)، لم يتمّ حفظ أي أمر منها على الإطلاق، إلا من قِبَل ابن الله المتجسد.

---

5. انظر ويلبير م. سميث، *لأجل هذا قف* (Natick, Mass: W.A. Wilde, 1945) ص278. هينري م. موريس لديه محادثة جديرة بالاهتمام عن استخدام هذه الكلمات في كتابه *تسجيلات التكوين* (San Diego: Creation-Life, 1978). يؤشر، على سبيل المثال، بأنّ كلمة *بارا* أستخدمت عندما خلقت وحوش البحر في اليوم الخامس، ولكن ليس في خلق وحوش البَرّ في اليوم السادس. إنه يتبع *تفسير المنير* (22 vols. Grand Rapids: Eerdmans, 1959) في إيجاد سبب لهذا المبدأ في مدخل الحياة (الروح) في اليوم الخامس. في الصلة مع خلق الإنسان ثلاث كلمات مستخدمة. قرّر الله أن يصنع (أسا) الإنسان، ثمّ خلق (بارا) الإنسان على صورته (1:26و27). هو أيضاً شكل (ياتسا)، أي صاغ ابتكر كالفخاريّ يعمل بعجينة الفخار، جسم الإنسان (2:7)

6. ر.ي.د. كلارك، *خليقة* (لندن: تينداديل، 1946)

7. فوضى الأرض، من المحتمل أن تكون إحدى نتائج سقوط زهرة نجمة الصبح (الشيطان) (أشعياء 14:12-17؛ حزقيال 28:11-19)

التصريح الذي طرد الظلمة كان قهريّاً. قال الله، "فليكُن نور"، و*كان* النور. لا أحد، حتّى اليوم، يستطيع أن يقول لنا ما *هو* الضَّوء. نعلم ما يفعله الضّوء، ولكن لا نعرفُ ما هو الضّوء. إنّه أحد الكيانات الأعظم غموضاً في الكون. في الفيزياء أصبح المُطلق الجديد.[8] وهكذا هو في قلب المعادلة الشهيرة E=mc2 (الطاقة تساوي الكتلة مضروبة بسرعة الضوء أُس اثنان) وبدورها أدخلتنا في عصر الذرة.

وقال الله، فليكُن نور ، و*كان* النور! في معنى آخر، كلمات الله ليست فقط تشريعيّة، بل هي تنفيذيّة. عندما يقولُ الله، يتمّ قوله. إنّ يسوع كان - بالحق- واضحاً بأنّه الله الظّاهر بالجسد من خلال كلامه الّذي له النوعيّة نفسها . عندما كان نائماً في القارب، على سبيل المثال، أُوقظ من قبل تلاميذه المذعورين. قامَ وخاطب الرياح العاتية والأمواج المرتفعة. قال "اسْكُتْ !اِبْكَمْ!" وفي الحال صَارَ هُدُوءٌ عظيم (مرقس 39:4). كلامه لم يكن فقط تشريعيّ بل تنفيذيّ أيضاً. وقف أمام قبر أليعازر، رجل بقي مائتاً أربعة أيام و قد بدأ جسده بالتَحَلُل. "صَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: لِعَازَرُ، هَلُمَّ خَارِجاً! فَخَرَجَ الْمَيْتُ" (يوحنا 11:43-44). كلماته كانت تنفيذيّة. عندما أتى إليه الأبرص، ممزّقَ النفس و الجسد - من هذا المرض الكريه والقاتل - قال "يَا سَيِّدُ، إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِرْ أَنْ تُطَهِّرَنِي". قال له يسوع "أُرِيدُ، فَاطْهُرْ!" (لوقا 5:13). كانت ذات الكلمة الكاملة القدرة التي سمعتها الظلمة والفوضى، ورحلوا في الفجر المبكر في ذلك الوقت.

تلى ذلك تعامل الله مع *الخلل* (الفوضى). بدأ *برفع* الغيوم (1:6-8). من الناحيّة الهندسيّة الميكانيكيّة المجرّدة، عمل اليوم الثاني من الخلق هو مدهش. يقدر كميّة البخار المعلّقة بشكل مستمرّ في الهواء من فوقنا ب 54 ترليون، 460 مليار طُنْ! الماء أثقل من الهواء ب 773 مرة، هذا يعطي بعض الفكرة عن القوّة المطلوبة لفصل المياه عن المياه. الهطول السنويّ، بشكل مطر وثلج، الذي يسقط على الأرض هو مُعَادل ل 299338 كم مكعب – كافٍ لتغطيّة الكرة الأرضيّة بأكملها حتّى عمق 0,91 متر. يحافظ على المياه المزودة فوق الأرض من خلال التبخر – عمليّة رفع المياه الدائم من الأرض إلى الغلاف الجويّ من قِبَل قوّة الشّمس. إنّنا نأخذ كلّ ذلك بالمُسلّمات!

تلى ذلك أنّه *رفع القارات* (1:9-10). إنّه لمن الصعب أن نجد في أي مكان تصريحاً مطبوعاً أو مكتوباً، بهذا السموّ والبساطة من الحقائق مثل ما لدينا في الأعداد 9 و10. بين الأعداد 9 و13 هناك تقريباً 70 كلمة في لغتنا العربيّة، ومنهم هناك حوالي 39 كلمة هي كلمات مؤلفة من مقطع واحد! حكمة فوق الطبيعة فقط تستطيع أن تُكثِّف بِلغة بسيطة أعمالاً خارقةً كهذه.

يُعلن موسى أنّ الله جمع المياه معاً "إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ". أعلن النقاد مرّةً، أنّ موسى هو مغفل لوضع تصريح كهذا. قال النقاد: بما أنّ موسى رأى بحراً واحداً، تخيّل بأنّه الوحيد. طبعاً موسى لم يرَ محيطات الهادئ والأطلسي العظيمة، ولكن موسى لم يُطلق تصريحاً جاهلاً. فنحن نعلم - رغم أنّ القارات منقسمة - فأنّ البحار تحتلّ قاعاً واحداً!

إذاً الله وضع للبحار حدودها. من ألف سنة تقريباً حكم الملك كانوت إنكلترا والدنمارك والنرويج. لقد كان ملكاً حكيماً وقادراً لدرجة أنّ أتباعه أرادوا أن يعبدوه. رَفَضَ كانوت العبادة من أتباعه. و أرادَ أن يلقّنهم درساً بأنّه إنسانٌ فانٍ، فأمر أن يُحمَل عرشهُ ويوضع عند شاطئ البحر، تحت علامة خط الجزر. وهناك جلس في عرشه، وهو يراقب تخبُّط الأمواج التي غطت قدميه و راحت تحضن عرشه، فوقف الملك، ولوّحَ بصولجانه فوق البحار، وصرخ "قف عندك، قف عندك، أيّها الجزر". ولكنّ الأمواج العاتية تابعت بالقدوم. وكأنّها تقول "نحن لا نعرفك أيّها الرجل الصغير، حدودنا تُفرَض علينا من قبل ملكٍ أعظم منك".

مرتان كلّ يوم، منذ فجر الخليقة في اليوم الثالث، جزر البحار في الأرض امتلكت سيادة الله. في كلمات السيد روبيرت غرانت الخالدة: "الأرض بمخازنها من العجائب غير المُعلنة، الكليّ القدرة! قُوَّتُك أوجَدت القديم، وأسَسْتها بِسرعةٍ، برُسومٍ غيرَ متغيرةٍ، وجعلتها مستديرةٍ وألقيتها كعباءةٍ، إنه البحر".

أخيراً تعامل الله مع *الموت* للكوكب (1:11-13). عُشباً، بُقلاً ينتج بذوراً، وأشجار فاكهة نبتت وغطت الأرض. النصّ يوظف ثلاث كلمات عبريّة لتصف هذه العبارة من الخلق. هم *ديش*، وترجمتها "عشب"، و*عسب* وترجمتها "بقول"، و*بيري* وترجمتها "فاكهة".

في النبتة الأولى، البذرة لا تذكر بشكل خاص. لأنّها ليست واضحة للعين المجردة. في الثانية البذرة هي صفة مُعَلَمَة. في الثالثة العلامة الخصوصيّة المُميّزة هي الثمرة "الّتي بها بذرتها". وهكذا وضع موسى كتاباً مرشداً عن النباتات على الأرض، ببساطة من خلال التقسيم الطبيعيّ باستخدام أُسُسِ النّباتات وبذورها كمُرشِدٍ له.[9]

لم تظهر الحياة على الأرض، عن طريق كفاح أو هشاشة أو وِحْدة واحدة، لكن بتنوّع وإسراف يُذهلُ الخيال. يُقَدَّر وجود أكثر من مئة ألف فصيلة من النباتات على الكرة الأرضيّة، وأنّ هناك أكثر من خمسة آلاف نوع من الأعشاب فقط.

8. مهما كان تَحَرُك مصدر النور، أو تَحَرُك المُراقِب، سرعة الضوء لا تتغير بالنسبة للمراقب. تخيل سفينتي فضاء بسكون، الاثنتان مضاءتان بروعة. النور ينتقل من واحدة إلى الأُخرى بثابت بسرعة 299،777كم بالثانية. الآن السفينتان تتحركان وتتجهان نحوَ بعضهما البعض بمجموع سرعة كليهما معاً 1609كم بالثانية. إنّ سرعة الضوء الخارجة من كلّ سفينة والمتجهة للأخرى لا يتغيّر حتّى ولو أنّ مصدَرَي النور يقتربان من بعضهما البعض بمعدل سرعة 1609كم بالثانية. ولن يشكل أيّ فرق إذا تباعدت السفينتان الفضائيّتان عن بعضهما البعض ومصدرَي النور يبتعدان أكثر وأكثر عن بعضهما. سرعة الضوء من السفينتين الفضائيتين يبقى ثابتاً على الدوام.

9. إلى هذا اليوم يستخدم النباتيون تقسيماً مشابهاً لتقسيم النباتات إلى Acotyledons إلا فَلَقَة النباتات بلا بذور، Monocotyledons أُحَدية الفلقة النباتات التي تحتوي البذور، وDicotyledons الثُنائية الفلقة النباتات التي تحتوي على ثَمَر. هذا النظام للترتيب هو ثمر قرون من البحوث، كتب من قِبل موسى على الصفحة الأولى من الكتاب المقدس. انظر سميث، لهذا تقف ص319. .Smith, Therefore Stand, P

الأمر الأساسيّ المُصَدِّر لكلّ الأشياء الحيّة هو أنّ كُلٍ منها يُنْتِج "ثَمَراً كَجِنْسِهِ". يكرّر هذا التعبير عشر مرات في سفر التكوين1. إنّها الصخرة التي عليها كلّ نظريات التطور تَفنى. فَرَضَ الله ألا يكون هناك تطور من جنس لآخر. قد يكون هناك تحوّل أو تغيير من داخل أيّ جنس، ولكن لا يتحوّل جنسٌ إلى جنسٍ آخر. مبادئ علم الوراثة، أسَّسَت وبشكل حازم حقيقة أنّ خصائص الحياة الموروثة مغروسة في الجينات. الشخص الذي يذهب إلى فلوريدا في الصيف، قد يعود بجلدٍ مدبوغ وشعرٍ أفتح، ولكن هذه التغيرات لا تُوَرَث للأولاد. التأثيرات البيئيّة لا تُوَرَّث لأنها مؤقتة. فقط التغيرات الفيزيولوجيّة المُسَبّبة مِن قِبَل الجينات تُوَرَّثْ. هناك نطاق واسع من الاحتمالات من الممكن حدوثها مادامت كامنة في الجينات، ولكن لا تغيير مرئيّ ممكن حدوثه خارج تركيب الجينات الموجودة في داخل جنس مُعَيَّن.[10]

الإنسان، بالطبع، عَبَثَ خلال السنين الحديثة بتركيبة الجينات لعديد من الأعضاء الحيّة أملاً في إنتاج تطوّر اصطناعيّ. تقريباً جميع التحَوّلات التي أُنتِجَت أُثبِتَ بأنّها مُسيئة أو قاتلة أو غير نافعة للعضوّ الأصلي. بعد إنفاق المليارات من الدولارات في البحوث، وتَجنيد مهارات آلاف العُلماء واستثمار ساعات غير معدودة في مختبرات الفحوص، الحكم ظل ذاته: "كَجِنْسِهِ".

ب. كيف أسِّس القانون على الأرض (1:14-31)

1. الأجسام السماويّة أُمِرت أن تحكُم (1:14-19)

مُلِئت المَكْتبات بأكملها بكتب متعلّقة بدراسة الإنسان للنجوم. الكتاب المقدس ليس كُتَيباً لعلم الفلك أو أيّ علم آخر. غير أنّ روح الله كلّ مرّة يشير إلى موضوع يمكن أن يُحَقَق به علميّاً، ويفعل ذلك بدقّة معصومة عن الخطأ.

موسى على سبيل المثال يصرّح "عَمِلَ اللهُ النُّورَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ :النُّورَ الأَكْبَرَ لِحُكْمِ النَّهَارِ، وَالنُّورَ الأَصْغَرَ لِحُكْمِ اللَّيْلِ"(1:16). كيف عرف موسى أنّ الشمس أكبر من القمر؟ عادةً من خلال المراقبة تكون النتيجة عكس ذلك. جميعُنا رأى قمر الحصاد، يظهر بقطر مترين ونصف تقريباً، يحلّق فوق خط السماء يهيمن على سماء المساء. لم نرَ الشمس تظهر بهذا الكبر أبداً. الشعوب السابقة اعتقدت أنّ القمر أعظم بكثير من الشمس، واعتبروا سبب قلّة الضوء والحرارة نسبة للشمس باعتقادهم أنّ القمر هو أبعد بكثير عن الأرض من الشمس. نحن نعلم طبعاً أنّ الشمس أكبر بكثير حتّى أنّها تستطيع أن تحتوي ستة ملايين قمراً.

لكنّ موسى كان من الممكن أن يقترف بسهولة الخطأ العكسيّ ويقول إنّ الله وضع "النور الأعظم" ليحكم النهار. العديد من الشعوب القديمة عَبَدوا الشمس على أنّها أعظم شيء في السموات. وياله من خطأ فادح لو أنّ الصفحات الأولى من كتابنا المُقدَّس تُعلن أنّ الشمس هي أعظم شيء في السماء! النجم قلب العقرب "Antares" على سبيل المثال، هو كبير لدرجة أنّه يستطيع أن يبتلع أربع وستين مليون شمس بحجم شمسنا. وفي ممسك الأعنة (كوكبة) "Auriga" النجم إبسيلون "Epsilon" شاسعٌ حتّى أنّ قِطرَهُ أكبر بثلاثة آلاف مرّة من شمسنا وكميته أكبر بسبعة وعشرين مرة.

أيضاً بأيّ إيجاز مذهل يصرف الله النظر بالتحدُّث عن خلق جميع النجوم في الفضاء. يوظّف فقط كلمة واحدة "النجوم"، يا له من منظور للحقّ. الكتاب المُقدَّس يأخذ حوالي خمسين إصحاحاً ليتحدّث عن إنشاء وأهميّة خيمة الاجتماع، مع أنّها كانت هيكلاً مؤقتاً جداً. خمسون إصحاحاً عن خيمة الاجتماع، كلمة عن النجوم. حقاً أنّ الكتاب المُقدَّس ينظر إلى الأشياء من خلال منظور مختلف عنّا. ذلك لأنّ الكتاب المُقدَّس هو كُتَيب للفداء. لم يكن الخلق شيئاً بالنسبة لله، ليخلق كان عليه فقط أن ينطق. لكن ليفدي، كان عليه أن يتألّم. هذا هو منظور الكتاب المُقدَّس.

لو كان الإنسان هو من كتب الكتاب المُقدَّس بدون تحكّم الوحي من خلال روح الله، لكان كتاباً مختلفاً تماماً. إصحاحات كانت ستكتب عن النجوم-المليار نجم في مجرتنا، المئة مليون مجرة الأخرى في الفضاء المعروف، الترشيحات تَدُل على أنّ الفضاء المعروف هو فقط واحد بالمليار من الفضاء النظريّ. سير جيمز جينز يقول لنا إنّ "هناك نجوم في الفضاء أكثر من حبّات الرمال في جميع شواطئ العالم." الله يغضّ النظر عنها جميعها وكأنّها ذات قيمة قليلة". "والنجوم" فالله مهتمّ بالناس أكثر من الكواكب، مهتمّ بالأرواح أكثر من النجوم.

2. خُلِقَ الإنسان لِيَتَسَلَط (1:20-31)

أ. حقل الإنسان يُعَد له (1:20-25)

يبدأ موسى بإظهار كيف أنّ حقول الإنسان/*عِدَت* له (1:20-25). مُلِئت البحار بالأسماك ومُلِئت السموات بالطيور – تركيبة مثيرة للانتباه. السمك والطير لديه الكثير من العوامل المشتركة. الاثنان لديهما تشكيلة انسيابيّة لتُمَكِّنهم من الحركة بسرعة خلال محيطهم

10. كما المُلَحِن يجمع العلامات الموسيقيّة في آلته الموسيقيّة بطرق غير محدودة، لِيُنتِج عدد غير محدود من الإيقاعات، هكذا الطبيعة تَلعَب الجينات. ولكن المُلَحِن يستطيع فقط إنتاج الإيقاعات التي تستطيع آلته الموسيقيّة أن تُصدرها. كذلك عدد التغيرات المُنتَجة من صنف محدّد هو محدود ضمن عدد الجينات الذي يحتويه ذلك الصنف. لا صفات أصيلة جديدة وموروثة تظهر بأيّ صِنف معطى

الأصلي الذي يعيشون به، كلاهما مُغطى بطبقات حماية من الحراشف أو الريش، كلاهما لديه عظام جوفاء خفيفة وكلاهما يضع البيض وكلاهما لديه غريزة الهجرة.

المياه هي أساس الحياة بشكل بارز. لا يوجد خليج أو جدول على وجه الأرض لا يدبّ بالحياة. حتى نقطة ماء واحدة من مِزراب يمكن أن تحتوي على 500 مليون من المخلوقات المجهريّة الصغيرة للغاية، حتى أنّ ملعقة صغيرة من الماء تبدو لهذه المخلوقات كالمحيط الأطلسي لنا.[11] فقط إله غير محدود يمكنه أن يعمل على مستوى مهيب كهذا كما نرى في السموات وعلى مستوى مجهريّ كما نرى في البحار. ليس هناك كِبَر أو صِغَر أو شيء من هذا القبيل لإلهٍ غير محدود.

في اليوم السادس وقُبَيل خلق الإنسان، صنع الله الاستعداد الأخير على الأرض لتَسَلُّط الإنسان، خلق الفقاريات و "دَبَّابَاتِ". يُعطي موسى ثلاث تصانيف، يُشير إلى "*باهيما*" (بَهَائِمَ) حيوانات أليفة ذات أربع أرجُل. ويُشير إلى "*ريميس*" (دَبَّابَاتِ) المخلوقات التي تتحرّك على مستوى منخفض من الأرض، الكلمة تعني "أن تتحرّك" أو "تحتشد". ويُشير إلى "*تشياه*" (وُحُوشَ) الحيوانات البريّة. لقد صنّف العُلماء ملايين من الأنواع المختلفة من الحيوانات من ضمنها أكثر من 800،000 نوع مختلف من الحشرات، 30،000 نوع من الأسماك، 9،000 نوع من الطيور، 6،000 نوع من الزواحف، 3،000 نوع من البرمائيّات و5،000 نوع من الثدييات. الله هو حقاً إله التنوّع.

ربما يستطيع أحدُنا أن يتعاطف مع الشخص الذي يتصوّر الحياة تتصارع لتخرج على الكوكب وأخيراً تنجح بأن تكون هيئة معزولة ووحيدة. ولكن من أين أتت التنوعات المذهلة لأشكال الحياة؟ إنّه الإله نفسه و الذي بإسراف رائع قذف إلى الفضاء الغامض نجوماً غير معدودة والكواكب التابعة لها، والذي يحفظهم من الانعطاف والتصادم في رحلتهم خلال الفضاء بسرعات خياليّة (و نستطيع بحسابات دقيقة - قبل سنين عديدة - أن نُحَدِد موعد الكسوف أو زيارة مُذنّب) ذات الإله الذي فعل ذلك، بذات الإسراف اللامحدود اختار كوكباً واحداً وملأه بعدد مذهل من أشكال الحياة. لو كان سفر التكوين1 هو المزامير، لكان وبدون شكّ انتهى هناك بصدى كلمة "سلاه". ما رأيك بذلك؟!

ب. حقل الإنسان يُقَدَم له (1:26-31)

بما أنّه قد تمّ شرح كيف أنّ حقل الإنسان يُعَد له، يختم موسى القسم السَرديّ لقصّة الخلق بكيف تمّ *تقديم* الحقول للإنسان. يبدأ القسم برواية كيف *خلق* الله *آدم* (1:26-27). *لا* يقول الروح القدس بأنّ الإنسان خُلِق على صورة وشبه البهائم[12]. قال الله، "نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا". على طبيعة الله وشخصه وشخصيّته، على أخلاق الله وصفاتِهِ الروحيّة، على مشاعر الله وأفكارهِ وضميرهِ وإرادتهِ، بذلك ينفصل الإنسان عن الخليقة الغاشمة. لا يبدأ الله بجسم الإنسان ويَنسِبْ الإنسان إلى البهائم. بل يبدأ بطبيعة أخلاق الإنسان وروحِهِ، ويُنسِب الإنسان لله. بالحقّ إنّ المَرجِع لِخلق جسم الإنسان دُرِج كمرتبة الثانية على شكل حاشية في نهاية قصة الخلق (2:7).

لا صلة قرابة للإنسان مع البهائم ولا بأيّ شكل. أيُّ حيوان يستطيع أن ينقُل الإنجازات المُكّدَسة من جيلٍ إلى آخر؟ أيُّ حيوان يَختَبِر شعوراً حقيقيّاً بالذنب عندما يتصرَّف تصرُّفاً خاطئاً، أو طوَّرَ حِسّ الإدراك للدينونة القادمة؟ أيُّ حيوان يُظهر أيّ رغبة أن يَعبُد؟ أيُّ حيوان لديه أمل بالخلود ما بعد القبر؟ أيُّ بهيمة تستطيع أن تُمارس الحكم الأخلاقيّ المجرّد أو تُظهِر تقديرً لجمال الطبيعة؟ (متى رأينا كلباً يتأمّل غروب الشمس أو حصاناً يقف مأخوذاً أمام سلسلة جبال عظيمة الوعورة؟) أيُّ حيوان تعلّم أن يكتب ويقرأ ويتصرّف بجدية لهدف مُعيّن ويضع أهدافاً ويحقّق أهدافاً ذات مدى بعيد؟ أيُّ حيوان تعلم أن يطبخ طعامه ويقطع قماشاً ويصمّم ثياباً أو يخترع أدوات دقيقة؟ أيْ حيوان تَمتع أن يضحكَ من صميم وجدانه؟ أيُّ حيوان لديه نعمة الكلام؟ حتّى أكثر القبائل البشريّة البدائيّة تمتلك لغة مُتقنة ومُعقّدة وبليغة في طبيعتها، وهكذا يقف الإنسان منفرداً. *فيزيولوجياً* فهو الوحيد الذي لديه القدرة على التواصل بطريقة معقّدة؛ *روحياً* هو الوحيد الذي لديه القدرة أن يعرف فكر وإرادة الله.

وهكذا صنع الله آدم. ثم *تَوَّجَ* الله آدم (1:28-31). تَوَّجَهُ بثلاث طُرُقْ؛ أولاً: وَضَعَ عليه *الأجيال القادمة* "أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلؤوا الأَرْضَ" (1:28أ). من آدم وحواء خرج كلّ الجنس البشري. يُرى آدم في الكتاب المُقدَّس بشكل دائم على أنّه الرأس الفيدرالي للجنس البشريّ. عقيدة التطور، ومن خلال ضربها لقصّة آدم وحواء، تُطلِق هجوماً انتقاديّاً على كلمة الله من نقطة استراتيجيّة. إذا اقتطعتَ سفر التكوين1 من الكتاب المُقدَّس فسيتوجب عليك أن تَحذُف رومية5. يُلخص الله كلّ الجنس البشريّ في آدم ويعيد أثر كلّ كَرَب الخطيئة في العالم إليه. إن لم يكنْ هناك آدم فالكتاب المُقدّس زائف، ورومية 5 مبنيّة على أسطورة ولا خلاص لنا. إن لم يكنْ هناك آدم، إذاً يسوع كان على خطأ (متى 19:4-6) وفي تلك الحالة هو ليس ابن الله والكتاب المُقدّس مؤسَّس على أسطورة ولا خلاص لنا. يبدأ الله من آدم ويُعلن أن الجنس البشريّ خرج منه.

11. نصف مليار من النقاعيات تستطيع أن تعيش براحة بنقطة واحدة. وتظهر بألف جنس، البعض منها حيوانات عاشبة، والبعض حيوانات لاحمة وبعضها لديها قشرة والآخر بلا قشرة. يمتلكون أفواهاً وأسناناً وعضلاتٍ وأعصاباً وغُدَداً. بعض الأجناس لديها بين المئة والمئتين من الأكياس أو المِعَد، مُتّصلة بقنال مصراني. قُدِرَت سماكة الأغشية التي تصل هذه المِعَد واحد على خمسين مليون من الإنش!

12. هناك تشابه بين جسم الإنسان وأجسام البهائم. ولكن التشابه لا يثبت القرابة. تحريات نَشِطة، سَعَت ولأكثر من مئة سنة، في مجال علم المتحجرات وعلم التصنيف وعلم التناسُل وعلم الأجِنّة وعلم الوراثة وكلّها فشلت أن تأتي بإثبات قاطع بأنّ الإنسان إنحَدَرَ من البهائم. إنّ أكثر التشابهات المزعومة بين الإنسان والقرود الأدنى منه هي مؤسسة على تشابهات مبنية على علم التشريح. وهناك تنتهي التشابهات المزعومة بين الإنسان والبهيمة.

ثانياً: تَوَّجَ الله آدم *بِمَرْكِز* (28:1ب) بإعطائه سلطان على كل سمك البحر وعلى طيور الهواء وعلى كلّ كائن حيّ، فكلّ تَطَوّر علميّ وتِقَنيّ، وكلّ خطوة هَندسة، وكلّ قصاصة معرفة عن الطبيعة وعمل الكون هو عمل ناتج عن ذلك السلطان. بغضّ النظر عن ضعف الإمكانات البشريّة بسبب السقوط، كان الإنسان رغم ذلك مُحَرّكاً للجبال وبانياً للسدود وحافِراً للمناجم وغازياً للكوكب، لقد كَبَحَ الأرض.

كاتب العبرانيّين لديه تعليق مثير عن هذا الجانب من سلطان الإنسان، قال فيما يتعلّق بالإنسان "وَضَعْتَهُ قَلِيلاً عَنِ الْمَلاَئِكَةِ .بِمَجْدٍ وَكَرَامَةٍ كَلَّلْتَهُ، وَأَقَمْتَهُ عَلَى أَعْمَالِ يَدَيْكَ. أَخْضَعْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ .لأَنَّهُ إِذْ أَخْضَعَ الْكُلَّ لَهُ لَمْ يَتْرُكْ شَيْئًا غَيْرَ خَاضِعٍ لَهُ .عَلَى أَنَّنَا الآنَ لَسْنَا نَرَى الْكُلَّ بَعْدُ مُخْضَعًا لَهُ. وَلكِنَّ الَّذِي وُضِعَ قَلِيلاً عَنِ الْمَلاَئِكَةِ، يَسُوعَ، نَرَاهُ مُكَلَّلاً بِالْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ..." (عب2:7-9). بالطبع آدم سَلَمَ سِيادته إلى الشيطان. ولكن عندما أتى يسوع، كآدم الأخير، أظهرَ تلك السيادة المُطلقة فوق الطبيعة التي قَصَدَ الله لآدم أن يُظهِرها[13].

ثالثاً وأخيراً: تَوَّجَ الله آدم *بِمُلكِيَة* (1:29-31). أعطاه الجنة ليتمتّع بها. من المستحيل أن نَتَخَيّل ما كان عليه العالم في بداية الوقت عندما خرجت الخليقة من يد الله عُزريه وغير مُفسَدة. لابُدّ أنّ كلّ يوم كان يوماً اكتشافيّاً شَيّقاً لآدم. يا لروعة الأصوات الجديدة والعطور والأحاسيس التي لا بُدّ أنّه اختبرها كلّ يوم بينما كان يكتشف العالم الواسع والعريض الذي ائتُمِنَ عليه ليُطَوِرَهُ وليَحكِمَهُ. الرواية تنتهي بتصريح أنّ عمل الخليقة كان "حَسَنٌ جِدًّا".

3. الخاتمة (2:1-3)

أ. الله يستريح (2:1-3)

الأعداد الأولى من سفر التكوين2 تبدو كحاشية لقصّة الخلق. استراحة الله هي شيء رائع، هذا طبعاً لا يعني بأنّ الله يتعب! كلّما فهمْنا طبيعة الكون الفيزيائيّة أكثر، نرى أكثر أنّ الكون الماديّ هو مُجَرَّد تَعبير عن طاقة الله التي لا حدود لها. كلّ شيء ماديّ في الكون مُكوّن من ذَرات - طاقة لا حدود لها - طاقة تَعبُر إلى حركة، حركة تَعبُر إلى ظاهرة. من البديهيّ أنّ الله الذي يستطيع أن يخلق أكوان أكثر ممّا يستطيع الإنسان أن يحصي، والذي يستطيع أن يَحبُس في صدر الذرة الدقيق طاقة كافية لمحي جزيرة من الوجود، يَستحيل أنْ يتعب.

استراحة الله تُخبِرنا بأنّ الخليقة قد أُكمِلَت (1:2). "فَأُكْمِلَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَكُلُّ جُنْدِهَا." "قد أُكْمِلْ!" هَدَرَت الكلمات عند إنهاء الخلق كما على *الصليب* ذات الكلمات هَدَرَت عند إنهاء الفِداء. هناك رِضا عظيم في مُعاينة عمل مُنتهٍ. وقَفَ الله، وكأنّه يلقي نَظرة إعجاب، بعينٍ راضية على عملٍ كاملٍ قد أُكمِل بيديهِ.

استراحة الله تُخبِرنا أيضاً بأنّ *الخالق كان راضياً* (2:2-3). في اليوم السابع بعدما أنهى الله عَمَلَهُ، استراح وبعدها "بَارَكَ اللهُ الْيَوْمَ السَّابِعَ وَقَدَّسَهُ". وهكذا أُسِّسَ يوم السبت. عشر مرات في الأعداد 2و3 يُذكَر الله بالاسم وكأنّ هناك تأكيداً على الحقيقة بأنّ السبت هو لله. وفيما بعد أعطيَ يوم السبت لإسرائيل كجُزء من الميثاق مع ذلك الشعب (خر20). ولكن مثل أيّ شيء آخر على الإنسان أن يفعله، شُوِّهَ يوم السبت وحُطِّم. بدلً من أن يكون يومً للراحة، بعبقريّة اليهود للتفاصيل الدينيّة التي لا قيمة لها، رصّعوا اليوم بغطاء هائل من العادات حتّى أصبح هذا اليوم عِبئاً غير محمول[14].

يوم الراحة سبت الله سوف يُكسر قريباً بسبب الخطيئة. عندما اتَّهم اليهود المسيح بكسر السبت، أجابهم "أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ" (يو5:17). ذلك العمل أخذه إلى الصليب حيثُ انتهى بحسب رضى الله. اليوم نحن نستريح ليس على يومٍ خاصّ ولكن بشخصٍ. استراحتنا ليست استراحة طقسيّة ولكن استراحة حقيقيّة. نستريح حيث يستريح الله ؟ في المسيح وعمله الكامل.

ب. الله يُراجِع (2:4-7)

كَتَبَ موسى "هذِهِ مَبَادِئُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ". جملة " هذِهِ مَبَادِئُ " (تأتي باللغة الأصليّة بمعنى نشوء أو جيلٍ) تتكرّر أربع عشرة مرّة في سفر التكوين. تُؤكِّد إحدى الحركات الأساسيّة للكتاب – نشوء، فساد، تجديد. كلمة *مَبَادئ* (جيل) هنا تعني "تاريخ العائلة". في

13. كان لديه سيطرة على *الأسماك* في البحار، إمّا على سرب من الأسماك (حيث أكثر من مرة سحب التلاميذ بإعجوبة سرب من الأسماك بأمر من يسوع، لو5:1-11، يو21:1-11) أو على سمكة واحدة (حيث أنّ بطرس رمى السنارة إلى البحيرة وسحب سمكة واحدة كان في فمها قطعة نقدية، مت17:24-27). كان لديه سيطرة على *المواشي*، إمّا على الحيوانات البريّة (حيث رافقوه في البريّة في وقت التجربة، مت1:13) أو على الحيوان الأليف (حيث رَكِبَ على جَحشٍ غير مُرَوَّض ودخل أورشليم بينما الجموع كانت تهتف بصوتٍ عنيفٍ ويلوحونَ بأيديهم عند كلا الطرفين من الطريق ويفرشون طريقهُ بسعُف النخيل والزهور، مت21:4-11). كان لديه سلطان على *الطيور*، حيث قال لبطرس إنّ الديك سَيَصيح بالوقت المعين بدِقة باللحظة التي ينتهي بها للمرة الثالثة إنكاره لسيده (لو22:34، 54-62). كان لدية سلطان على *كلّ الأرض*، حيث أنّ الشياطين والأمراض والموت هربت بكلمة منه (مت 8:28-34، مر9:14-29، لو4:31-36، 7:11-15، يو5:1-9، 11:17-44). مشى على الأمواج (يو6:16-21)، هدّأ العمق الغاضِب (لو8:22-25)، ضاعف أرغفة الخُبز والسمك (مت14:14-21، 15:32-39، يو6:10-14)، وحوّل المياه إلى خمر (يو2:1-11).

14. إلى الزمن الذي مشى الرب يسوع على الأرض، كان اليهود قد قرّروا أن نقل رغيف خبز من منزل لآخر هو عمل يكسر وصيّة السبت؛ و إنّ إطفاء نور مصباح هو عمل؛ و يجوز أن تَحمِل طفلاً ولكن إن كان الطفل يحمل حَجَراً بيده فإن الأم قد كسرت وصيّة السبت بقيامها بعَمَل؛ و يجوز أن تنظر إلى المرآة ولكن إن رأيت شعرة بيضاء وانتزعتها يُعدّ ذلك عملاً؛ و رمي بِذرَتين أصبح بَذراً وبالتالي عملاً؛ وأن تنزع عشبة واحدة من الحشيش أصبح عملاً؛ و أن ترفع حبة تين مُجَفف هو كرفع عبء وبالتالي هو عمل وتدنيس ليوم السبت. ليس من العجب أنّ الرب لم يشأ أن يحفظ يوم السبت كما كانت تتطلب العادات اليهوديّة.

سفر التكوين لدينا تاريخ عائلة آدم ونوح وأبناء نوح وتارِح وإسماعيل وإسحاق وعيسو وأبناء عيسو ويعقوب. ولكن أولاً لدينا "تاريخ العائلة" للسموات والأرض. هذا يعني أنّ لدينا تاريخ العائلة للخليقة القديمة، تاريخ عائلة دام تسجيلها إلى أن دُمِّرَ كُلّ شيء بالسقوط. آدم له صلة بتاريخ هذه العائلة مع الخليقة التي كان يَحكُمَها، وتشارك معها نَسب فريد. كان من ذات المبدئ (النشوء/الجيل).

إنجيل متّى يُعرِفُنا على تاريخُ عائلةٍ جديدةٍ، نَسَبٍ جديدٍ، يُعرِّفُنا على "كتاب جيل يسوع المسيح". ننتقل من القديم إلى الجديد، من تاريخ عائلة قديمة مُحَطَمة بسبب الخطيئة، إلى تاريخ عائلة جديدة حيث الخطيئة منفية إلى الأبد. ننتقل من نسبٍ قديمٍ إلى نسبٍ جديدٍ ومن خلقٍ إلى فداءٍ ومن "أجيالٍ" بالجمع إلى "جيلٍ" بالمفرد ومن فشل مُتَكرِّر إلى إنجاز كامل. نحنُ ننتمي لجيل يسوع المسيح. أسماؤنا مكتوبة بذلك الكتاب، بتاريخ العائلة ذاك.

1. مُراجَعِة الفَلَك (4:2)

هناك ثلاث تصاريح ختاميّة، الأولى تتعلّق *بالفلك* (4:2). "هذِهِ مَبَادِئُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ حِينَ خُلِقَتْ، يَوْمَ عَمِلَ الرَّبُّ الإِلهُ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ." في سفر التكوين1 *الوهيم* هو من قام بالعمل – وهذا الاسم دائماً متّصل بالله كخالق. وهي كلمة بصيغة الجمع، كلمة تُخفي في عمقِها حقيقة أنّ الله هو إله ذو ثلاثة أقانيم. تتكرَّر حوالي ألفين وسبعُمئة مرّة في الكتاب المُقَدَس. يُستخدم ذلك الاسم بصيغة الجمع تقريباً دائماً بفعِل أو صفة بصيغة المُفرَد التي تدلّ على وحدانيّة جوهر الألوهيّة العظيمة.

هنا في ختام المراجعة للخليقة اسم إلوهيم مُتَّصِل مع اسم يهوه (رب). يهوا هو ذات الله ولكن يُنظر له بأنّه في علاقة ميثاق مع هؤلاء الذين خلقهم. أول ظهور لاسم يهوه يتبع خلق الإنسان، لأنّه يَبرُز على أنّه اسم الله *الفادي*. كإلوهيم هو أطلقَ العوالم إلى الفضاء؛ كيهوه هو خطط لفداء الإنسان حتّى قبل أن يُنهي طينة آدم. في سفر التكوين1 قِيلَ إن الله خلق "السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ"؛ هنا قِيلَ أنّ الله عَمِلَ "الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ". الأرض تأتي أولاً هنا، كفادي اهتمام الله مُرَكَز على كوكبِنا الصَّغير. تُصبِح الأرض المركز المِحوريّ للكون، البقعة التي عليها سيوفى كُلّ لُغز الإثم.

2. مراجعة عِلم الزراعة (2:5-6)

بعد ذلك تأتينا الحاشية متعلقة *بعلم الزراعة* (2:5-6). وقد أثار التصريح وفيه الكثير من الفرضيّات، كيف كان الكوكب في فجر الزمان البعيد؟ لماذا كان الناس يعيشون أعماراً أطول كما في أعمار الآباء قبل الطوفان؟ ماذا يعني بالتصريح أنّه في أيام آدم كانت الأرض تُروَى بالندى بدلاً من المطر؟ ربّما هذه الأسئلة لن تحصل على أجوبة مُقنعة بالشكل الكامل. إحدى النظريّات تقول إنّ الأرض كانت مُغطاة بمظلّة من الجليد، وهكذا غُلِّفت الأرض وأصبحت كأنّها بستان أخضر مُوَحَّد الحرارة، و يتخلّله الضوء و ترتدّ الأشعة الضارة عنه وكان استهلاك الطاقة أقلّ، وكانت الأرض تُروى بشبه الندى. وحسب النظريّة أنّ الطوفان كان سببه انهيار المظلّة الجليديّة[15].

3. مراجعة عِلم الإنسان (7:2)

الحاشية الأخيرة لقصّة الخلق تتعلَّق بـ *عِلم الإنسان* (7:2). "وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَاباً مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ .فَصَارَ آدَمُ نَفْساً حَيَّةً." يُعلن الكتاب المُقدَّس أنّ جسم الإنسان هو خليقة الله المُنفصِلة والمُمَيَّزة والتي تجعل نظريّة التطوّر عاجزة عن الدفاع والتي تُعَلِّم عكس ذلك. الكلمة "جَبَلَ" تُستخدم للفخاريّ يُشَكِل الطينة والتي توحي بأنّ الله أصبح مُشتركاً شخصيّاً في تشكيل وهندسة جسد الإنسان. من بداية قصة الخلق وحتّى النهاية كلّ شيء نُسِبَ إلى عمل الله المُباشر أكثر من ستٍ وأربعين مرّة. في تلك الحاشية يتم الإعلان بشكل خاصّ عن خلق جسم الإنسان على أنّه نِتاج تدخل الله المباشر من خلال فعاليّة.

لنفترض بأنّنا سنصنع جسم إنسان سنحتاج إلى 26.30كغ من الأوكسجين و 47.32 ليترات من الماء و56.70غ من الملح و1.36كغ من الكالسيوم و10.88كغ من الكربون والبعض من الكلورين والفوسفور والدِهن والحديد والكبريت والغليسرين[16]. نحضر المُكونات إلى المنزل - بعض من التراب والماء. وها هي المكونات "اصنعها بنفسك" لصناعة جسم الإنسان. ولكن المشكلة الوحيدة هي التعليمات، جسم الإنسان هو كيان مُعَقَد لدرجة أنّه لا يوجد عَالِم يستطيع استيعاب أكثر من جُزء صغير من تركيبه وعمله. مُجَرَد قطعة جلد بحجم طابع بريدي تحتاج إلى ثلاثة ملايين من الخلايا و 91سم من الشرايين و 366سم من الأعصاب ومئة من الغُدَد العرقية و خمسَ عشرة من الغُدَد الدُهنية وخمسة وعشرين من نهايات الأعصاب! ومع ذلك يطلب منّا النشوئيون أن نؤمن أن قِوى الصدفة العمياء أنتجت أجسامنا. إنّه لمن الأسهل أن نؤمن أن قاموس ويبستر الشامل للغة الإنكليزية نشأ نتيجة انفجار بإحدى دور الطباعة.

15. هذه النظريّة تبناها ثيدور سشوارز وهو عالم مشهور وتابع "للجمعيّة الأميركيّة لتقدّم العلم" المرموقة. انظر ثيدور سشوارز، مظلة الأرض العجيبة The Marvel of Earth's Canopies (Westchester, Ill. Good News, 1957).

16. د. مايو مؤسّس مايو كلينك وضعها بطريقة طريفة. قال تحتاج إلى بوتاسيوم كافٍ لطلقة واحدة لفرد لُعبة ودُهن كافٍ لسبع ألواح من الصابون وحديد كافٍ لمسمار كبير وكبريت كافٍ لإزالة القمل من كلب وكلس كافٍ لتكليس شوربة الدجاج ومغنيزيوم كافٍ لجرعة واحدة من دواء وفوسفور كافٍ لبضعة غلب من الكبريت! مجموع المشتريات لن تملأ أكثر من كيسين.

الكتاب المُقدّس يقدّم لنا تفسيراً أفضل فيقول: "وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَاباً مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ .فَصَارَ آدَمُ نَفْساً حَيَّةً." بمعرفة مُطلقة أخذ الله تُراباً وماءً وهما بقايا الأشياء وجمعهم وشكلهم ليصبحوا إنساناً. جسم الإنسان بعَجَبِهِ وتُعَقِيدِهِ يشهد بِكُلِ بلاغة عن حكمة وقوة الله. النشوئيون يتصيدون على سذاجتنا أمّا الكتاب المقدس يقودنا للعِبادة.

4. الإكمال (2:8-25)

منذ عدة سنوات مضت كان لدي بضعة اجتماعات في مدينة كبيرة في شمال البلاد، وكان مُضيفي رجل شرطة، وفي إحدى المرات هناك كنا نقود بالقرب من بعض الأبنية السكنيّة العالية التي تمّ تأسيسها بالأموال العامة للعائلات ذات الدخل المُتَدَني. الأبنية كانت جديدة فقد شُيدَت قبل سنتين فقط. قال صديقي: "هل ترى هذه الأبنية؟ هي أحياء فقيرة، وقد حفرَ السكان حُفراً في الجدران واقتلعوا التجهيزات وباعوها ويستخدمون حوض الاستحمام لتخزين الخُردة ويقذفون قمامتهم من النوافذ. لن يكون المكان آمن لك أن تدخل إليه ولا حتى هو آمن لي" لقد اقترف المسؤولون خطأ واحداً بسيطاً، لقد غيروا بيوت السُكان ولكن لم يُغيّروا القلوب.

إنّه خطأ شائع، النظريّة تقول: (أنّه إذا غيّرنا بيئة الشخص سوف نغيّر الشخص)، هذا غير صحيح. إنّ الجنس البشري بدأ تاريخه في أكثر بيئة كمالاً عَرَفها الكوكب، آدم عاش في الجنة. النظريّة البيئيّة جُرِّبَت تحت أفضل ظروف ممكن تخيلها وهي عنوان المقطع القادم أمامنا.

أ. بيت آدم (2:8-17)

1. مكاناً مِثالياً للمكوث (2:8-14)

كانت الحديقة هي المنزل الأول للإنسان؛ بيته الأخير سيكون مدينة. عندما فَتَحَ آدم عينَيه لأوّل مرّة ناظِراً ضوء النهار، شاهد منظراً ليس له نظير في الجمال والسكون، الحقول كالزُمُرُد الأخضر وسياج من الشُجَيرات المتفتِّحة الأزهار والبراعِم والجَوّ مُثقَل بعطور الأزهار والغابات تنشد أغاني البهجة. بينما آدم يجول بمُلكيته يُوقِفُهُ منظر الذئب يلعب مع الخروف ويقف آدم ليمرح مع أسد الأدغال أو ليستنشق عطر إحدى أجود الورود رأتها عينا إنسان على الإطلاق. يَقِف ليقطِف ثمرة الخَوخ وليدعم شتلة عنب مُثَقَلة بثمارها ويَغرِس شجرة دُراق ولينظر بإعجاب بالغ لشجرة الحياة – الشجرة الأولى التي أصبحت منقرضة على وجه الأرض. ربما تَجَوَّل بالقرب من شجرة معرفة الخير والشرّ حيث وقفتْ بصمتٍ وغموضٍ ووحدةٍ – الشجرة الوحيدة الممنوعة عنه في جميع مقاطعته التي بلا حدود. "مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا"، ويستطيع آدم أن يَذكُر هذا المرسوم الإلهيّ.

يُتابع طريقه وهو سعيد لأنّه استطاع أن يُبَرهِنَ محبته لإلهه الحيّ من خلال امتناعه عن العَبَث بِتِلكَ الشجرة. وأخيراً يصل إلى النهر "وَكَانَ نَهْرٌ يَخْرُجُ مِنْ عَدْنٍ لِيَسْقِيَ الْجَنَّةَ، وَمِنْ هُنَاكَ يَنْقَسِمُ فَيَصِيرُ أَرْبَعَةَ رُؤُوسٍ" (2:10). لسنا نعلم إن استكشفَ آدم هذه الأنهار أم لا، ولكن حتماً عاش آدم وقتاً كافياً ليتبع كُلاً منها إلى رأسه العظيم. لا أحد يعلم الكثير عنهم، يُعتقد بأنّ الأول جرى باتجاه الهند والثاني باتجاه العربيّة أو بحر قزوين والثالث نهر حِدَّاقِلُ هو النهر الذي يُدعى دُجلة في أيامنا هذه والرابع هو نهر الفرات العظيم والذي يحتلّ جزءاً كبيراً من صفحة الوحيّ للحقيقة المعلنة لاحقاً.

ما الذي كان يجول بخاطر آدم عندما كان يتتبع نهر عدن العظيم إلى المكان الذي ينقسم به إلى أربعة؟ ربّما وقف عند التفرُّع العظيم وتساءل عن الأنهر الأربع الذين هربوا من عدن، لا يمكن لآدم أن يَعلم شيئاً عن التأريخ القادم الذي سيُكتَب على مدى ضفاف هذه الأنهار الأربعة.

2. شيئاً مثالياً يفعلهُ (2:15-17)

لقد أُعطيَ *مهمة محدّدة* (2:15). "وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا." كان عليه أن يكون بُستانيّاً ووصيّاً. الله أعطاه حِسّ المسؤوليّة وهي مهنة لها تحدياتها ومتجانسة روحاً وطبعاً ولها معنى وتستحقّ الجهد والاهتمام، ليس شيءٌ أسوأ من الخمول. تأكّد الله أنّ لآدم شيئاً يعمله ويا له من عملٍ مُمتع! نير الله دائماً هيّن وحِملهُ دائماً خفيف.

لقد أعطيَ *ثِقة مُقَدَسة* (2:16-17). "وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ قَائِلاً» :مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ *تَأْكُلُ أَكْلاً*،" (أُعلنت الثِقة *بألطف* طريقة مُمكنة) "وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ" (أُعلنت الثقة *بأوضح* طريقة مُمكنة). في اليد الأولى هناك وِفر غزير واليد الثانية هناك حَظر واحد.

قُدِّمَ لآدم كلّ شيء بسخاء ليتمتّع به ولكن شيئاً واحداً، وواحداً فقط قد حجزه لله. وُضِعَ خيار أمام آدم، وهو خيار ضروريّ لأنّ آدم لا يمكن أن يكون كائناً أخلاقيّاً مسؤولاً بدون تلك القدرة على أن يختار. بدونها لكان مُجَرَد إنسان آلي أو دُمية متحركة على أوتار. ولكن

الله لم يصنع إنساناً ميكانيكيّاً ولكنّه صنع إنساناً أخلاقيّاً. عِندما وضعَ حقّ اتّخاذ القرار بآدم أصبح كائناً أخلاقيّاً، ولكن مع ذلك الحقّ كان هناك دائماً احتمال أنّ قدرته على الاختيار سَيُسَاء استغلالها، لذا وضع الله أمام مَخلوقه البدائل وجَعَلَ القضايا واضحة وصريحة.

ب. مُساعِد نظير آدم (2:18-25)

قصّة خلق المرأة مليئة بالاهتمام ولابُدَّ أنّها سبّبت للنشوئيين المؤمنين أوجاع رأس مختلفة. كُلّ شيء يكون على ما يرام عندما نشاهد الله في العمل يُنتج جسم الإنسان عن طريق استخدام التطور. قد يُزَوّر حِلفٌ مهزوز بين النشوئيين والكتابيين عندما يُبحَث آدم. ولكن ماذا عن حواء؟ إنّ تشكيل جسم المرأة من ضِلع آدم لا بُدّ أنّه أصاب التسوية بضَرَبَة. إمّا الكتاب المُقدَّس على حقّ أو لا، إمّا حواء أُخِذَت من جَنب آدم وشُكِلت على حِدى كمخلوق فريد أو لا. إذا كان ذلك مُجَرَد أسطورة، إذاً فيسوع قد خُدِع لأنّه بالتأكيد نظر إلى تسجيل الحَدَث هنا على أنه تاريخيّ وواقعيّ (متى19:3-6).

1. تَوق آدم سبقَ فعرفه الله (2:18)

"وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ» :لَيْسَ جَيِّداً أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ". قَبلَ أن يُدرِك آدم نَقصَهُ بدون زوجة، توقع الله احتياج آدم وخطّط له. هدف الله أن يخلق شريكاً لآدم وتكون مناسبة له تماماً. زوجة آدم كانت في فكر الله قبل بكثير من أن تكون بين ذراعَي آدم.

الزواج هو رسامة من الله فكُل الفِكرة نشأت عن طريقه، فهو يعلم احتياج قلب كلّ واحد من أولاده وهو يخطّط لِيُسدّد هذه الاحتياجات. لا شيء يمكن أن يكون أسوأ من زواج غير سعيد، زواج ناتِج عن إرادة ومُغازلة شخصيّة مَفصولة عن فِكر الله وإرادته. ألا نستطيع الثقة بالله أن يُحضر إلى حياتنا ذاك الذي قد صَنَعَه لنا خِصيصاً؟ سي. إس. لويس يضع بعض من الكلمات القوية في إحدى رسائل سكروتيبس المُرسلة لورموود. بالطبع سكروتيب كان أحد الشياطين الأكبر مركزاً وورموود الشيطان الأصغر مركزاً يُعطى تعليمات في فنّ الإغراء. مريض ورموود، وهو إنسانٌ مُعيّنٌ من المفروض أن يقوده بأمان إلى جُهَنَم، أصبح مَسيحيّاً. بمحاولة من سكروتيب أن يحصل على أفضل النتائج من هذا الوضع البائس، ينصح ورموود بنصيحة من جملة نصائح هي ما دعاه "زواج جذاب". بعد أن اعترف بأنّ الزواج هو فكرة الله وضّحَ سكروتيب لورموود بأنّ الزواج له استخداماته حتّى في سبيل قضية الشيطان، ونصح ورموود بأن يجد امرأة ما في الحيّ ويجعل زواجاً بينها وبين مَريضه المسيحيّ وتكون حياته الزوجيّة بغاية الصعوبة[17].

"لَيْسَ جَيِّداً أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ". خطة الله لنا مُوّضحة لنا على أنها "لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللهِ :الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَةُ."رو12:2. بالتأكيد الله يعلم أي نوع أفضل من الأشخاص علينا أن نَتَزَوَج.

2. رَغبة آدم عُزِّزَت من قِبَل الله (2:19-20)

" وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ وَكُلَّ طُيُورِ السَّمَاءِ، فَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ لِيَرَى مَاذَا يَدْعُوهَا... فَدَعَا آدَمُ بِأَسْمَاءٍ جَمِيعَ الْبَهَائِمِ... وَأَمَّا لِنَفْسِهِ فَلَمْ يَجِدْ مُعِيناً نَظِيرَهُ." (2:19-20). يبدو أنّ الرب لم يكن يريد أن يُدَرّب آدم فكريّاً وحسب، بل كان يُريد أن يشحَنَه عاطفيّاً أيضاً. بينما أطلق آدم أسماء للبهائم لاحظ مُلاحظة بسيطة بأنّ كلّ مخلوق لديه زَوجهُ أمّا هو فلم يكن لديه. عن قَصدٍ أيقظ الله في آدم إحساساً بالحاجة ووعياً بأنّه جائعٌ لِرفقة بشريّة، وفوق كلّ ذلك بأنّه يحتاج ويريد زوجة.

الله لن يُوقِظَ أبداً رغبة لا يستطيع أن يُشبِعها في وقتِهِ وطريقتِهِ الخاصة. مُشكِلتنا أنّنا مُندفعون و غير صبورين أبداً. نحن نعيش في عالم يتلظّى بالجنس والشغف والشهوة تُوقَظ وتُثار إلى لهب مُستعر قبل أوانها بكثير. إنّه لمن الصعب على الشخص اليافع في عالم اليوم أن يبقى طاهراً وأن يكون صبوراً وينتظر الله ليعلن إرادته بشكل واضح تجاه الزواج، كلّ ثقافتنا تُكافِح ضدّ الفكر الإلهيّ. ما أسعد الرجل والمرأة اللذَين يجعلان الله يحكُم ويقود هذا النطاق من الحياة!.

3. رغبة آدم تُحَقق من قِبَل الله (2:21-25)

أ. صناعة المرأة من آدم (2:21-22أ)

ماثيو هنري يقول بطرافة إنّ المرأة أُخِذت من *جانب* آدم وليس من رأسه كي لا تَحكُمهُ أو من رجليه لكي لايترفّع عليها ولكن من جنبه لتكون مساوية له ومن تحت ذراعه لتكون محميّة من قِبَلِه ومن قُربِ قلبه لتكون محبوبة، إنّه قولٌ حسنٌ. لا نجد آدم يركض في أرجاء الجنّة باحثاً عن مُساعدٍ نظيرٍ له، ولا نراه يَستكين مُتذمّراً تحت شجرة لأنّ رغبتهُ لزوجة لم تُشبع باللحظة ذاتها. ولكن على العكس، وضع الله آدم في سُبات وأخذ من آدم ما أراد وبهدوء صنع المساعد النظير المثالي له. في معنى آخر، ذهب آدم إلى النوم مُستسلماً لإرادة الله بما يتعلّق في هذا النطاق من الحياة، هذا النهج قد يبدو لنا مُستحيلاً اليوم ولكنّه بالتأكيد يبدو أنّه المفهوم الإلهيّ المثاليّ. بينما ترك آدم بهدوء الأمور بين يدَي الله ذهب الإله الحيّ للعمل ليُشبِع رغبة قلب آدم.

17. سي. إس لويس، رسائل سكروتيب (نيويورك؛ ماكميلين 1961) ص101 .C.S. Lewis, The Screwtape Letters.

ب. زواج المرأة بآدم (2:22ب-25)

وأخيراً فتح آدم عينَيه لينظرَ في وجه المرأة التي صنعها الله خصيصاً له (*رؤية الزواج*). " فَقَالَ آدَمُ :هذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي .هذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا مِنِ امْرِئٍ أُخِذَتْ. لِذلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَداً وَاحِداً." هذه كانت كلمات *تَعَهُد الزواج* لآدم، وتبعها إعلان *فضيلة الزواج*: "وَكَانَا كِلاَهُمَا عُرْيَانَيْنِ، آدَمُ وَامْرَأَتُهُ، وَهُمَا لاَ يَخْجَلاَنِ." تبدو الفكرة عن العِفة والطهارة الأخلاقيّة، ومن البدء إلى النهاية يقتضي الله من الجنسَين عِفّة العلاقة بينهما وأن تكون الرغبات الجنسيّة مُشبعة شرعيّاً في إطار الزواج فقط.

وهكذا يشرح الكتاب المُقدَّس أول عُرس في العالم، كان مكانه في الفردوس وخطّط له الله وجَسَّدَ أعظم وأقدس مَفهوم مثاليّ حيث بيّنَ المُطلق بما يتعلّق بالتودّد والزواج وإن تراءت هذه المفاهيم المثاليّة بأنّها مُرتفعة جداً بالنسبة لنا هذا بالتأكيد بسبب أنّنا كجنسٍ بشريّ انجرفنا بعيداً عن بيت آدم في الجنة.

الفصل الثاني – اللعنة (3:1-4:15)

1. الجنس الساقط (3:1-24)

أ. سقوط الإنسان (2:1-8)
1. حدة ذهن الحية (3:1-6)
أ. مُناشدة فكر حواء (3:1ب-5)
1. الشك (3:1ب-3)
2. الإنكار (3:4)
3. الخداع (3:5)
ب. مُناشدة عواطف آدم (3:6)
1. تحويل النظرة إلى شهوة
2. تحويل الرغبة إلى قرار
3. تحويل الخيار إلى قيد
4. تحويل الخاطئ إلى مُغري
2. نجاح الحية (3:7-8)
أ. مأزق آدم وحواء (3:7)
ب. هرب آدم وحواء (3:8)
ب. مستقبل الإنسان (3:9-24)
1. استدعاء آدم (3:9)
2. بُحِثَ آدم (3:10-13)
أ. تفسيره (3:10)
ب. عذره (3:11-12)
ت. مثاله (3:13)
3. حُكم آدم (3:14-19)
أ. حرب (3:14-15)
ب. المِحْنَة (3:16)
ت. عمل (3:17-19)
1. كَدِح بلا مُقابِل (3:17-19أ)
2. رُعب صارم (3:19ب)
4. آدم يُخَلّص (3:20-24)
أ. نعمة الله نيابةً عن الإنسان (3:20-21)
1. اعتراف آدم (3:20)
2. تغطية آدم (3:21)
ب. حُكم الله نيابةً عن الإنسان (3:22-24)

2. أول ديانة الزائفة (4:1-15)
أ. الاستنتاج الزائف من ديانة قايين (4:1-7)
1. مُخطط بشري بحت (4:1-2)
2. ذبيحة بشرية بحتة (4:3-4)
3. رضى بشري بحت (4:5-7)
ب. التعصب العنيف لديانة قايين (4:8-15)
1. وسِمَت بِصِفَة *العنف* (4:8)
2. وسِمَت *بالكَذِب* (4:9)
3. وسِمَت *بالعَبَث* (4:10-12)
4. وسِمَت *بالخوف* (4:13-15)

2

اللعنة

1. الجنس الساقط (3:1-24)

بِعَكس الفكر الشائع، الإنسان ليس في طريقه للأعلى فهو مخلوق عانى من سقطة مُدَمرة. طبيعته الأساسية ليست هي الخير بل الشر؛ فكُل كيانه الباطني قد أُربِكَ بالخطية. يواجهُنا الكتاب المقدس من البداية بهذه الحقيقة ويبقيها أمامنا طوال أسفاره وينتهي بتحذير أكثر ترويعاً فيما يخص نتائج خطيئة الإنسان. ليس هناك شخص يستطيع أن يفهم طبيعة الإنسان كما ينبغي ويُهمل الوضع في الحسبان أهم قاعدة أساسية لقانون الطبيعة البشرية وهو قانون الخطية. وهذه كُلها لدينا بداية للفصل المطروح أمامنا.

أ. سقوط الإنسان (2:1-8)

لم تبدأ الخطية على الأرض بل في السماء. لم ينشأ لُغز الإثم في قلب المخلوق البشري بل كان له منشأ حزين في صدر مخلوق ملائكي من أعلى الرُتَبْ. يدخل الإثم جنة عدن كامِل النمو حيث عُرِّفَ عنه من قِبل الشيطان مُتَنَكِراً كأفعى. الحية تظهر لأول مرة بعد مرور ثلاث إصحاحات من بداية الكتاب المقدس ويظهر لآخر مرة قبل ثلاث إصحاحات من نهاية الكتاب المقدس ولكن نتائج أعماله تظهر في كُل صفحة في الوسط.

1. حدة ذهن الحية (3:1-6)

الكلمة المذكورة "أَحْيَلَ" تعني "أحكم"، فالكائن الذي تعاملت معه حواء كان يفوقها كثيراً باستثناء شيئاً واحداً، فقد كان لديها كلمة الله لتقودها، ومع أنها كانت قصيرة في أيامها، كانت أكثر من قادرة على خصمها. كُل حِكمة وبراعة الشرير كانت لن تُفيدهُ بشيء لو أن حواء أجابت ببساطة "هكذا قال الرب". الشيطان كان يُعرف بزهرة بنت الصبح قبل سقوطه وكان "مَلآنٌ حِكْمَةً" (حز28:12). وكان أكثر الكائنات في الكون تألقاً بالحكمة من بعد الله ويمتلك أعلى مستوى من كُل ذكاءٍ مصنوع. والآن هو مخلوق ساقط مُحتفظ بذكائه ولكنه ذكاء مُعوج ومُلتوي وملفوف بالخطية.

أ. مُناشدة فكر حواء (3:1ب-5)

خطتهُ للهجوم في جنة عدن كانت مؤسسة على حيلتهِ. كان قصد الله للرئاسة أن تستثمر بآدم حيث أن حواء خُلِقت الثانية وليس الأولى. لم تُصنع حواء للرئاسة ولم يكن عقلها هو عمق مركز حِكْمِها بل قلبها. آدم من الناحية الأخرى صُنِعَ ليرأس، وعمق مركز حِكمِه هو العقل. الشيطان عوّج نظام الله وبدأ الإغراء بحواء بوضعها في مكان الرئاسة وزجها بنقاش فكري مُتعلق بالصح والخطء، لقد خدعها تماماً وقاد السلالة البشرية الى الدمار (1تم2:11-14؛ 2كو11:3). وهكذا بدأ الإغراء *بمناشدة لفكر* حواء.

بدأ الشيطان الحوار بالشك -بالحقيقة هو شك ذو ثلاث محاور-وهو هجوم على كلمة الله، الدفاع الوحيد لدى حواء. لقد تحدى فكرة الذي أَلَفَ كلمة الله، قال لها "أَحَقًّا" " قَالَ اللهُ؟". "كيفَ تعلمين أنها كلمة الله؟ كيف تعلمين أن الله قالها؟ فلا تنسي أنكِ لم تكوني بعد موجودة عندما أُعطيت الكلمة". كان هجوماً مُباشراً على حقيقة من أَلَفَ كلمة الله. حواء أخطأت اقتباس كلمة في ردها، وبذلِكَ أظهرت عدم مُبالاة مما لا بُد أنه أثر كثيراً على جُرأة وتشجيع خصمها[1].

بعد أن شكك في حقيقة من أَلَفَ كلمة الله وبالتالي سلطان الكلمة، شكك الشيطان في دِقَة كلمة الله. "أَحَقًّا قَالَ اللهُ لاَ تَأْكُلاَ مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟" "كيف تعرفين أنه التقديم الدقيق لما قيل في الأصل؟ كيف تعلمين أنه لم يُفقَد شيء خلال نقل المعلومة؟"

ثم شكك في قبولية كلمة الله، لأن مطالب الله تتعارض في الكثير من الأحيان مع رغباتنا. يوجه الشيطان نظر حواء إلى الشجرة المُحّرمة. جعلها تنظر كم هي جيدة للأكل وجذابة للعينين وكم هي مُغرية لتجعل الشخص حَكيماً. لقد أقنعها أن تتصرف باستقلالية عن الله أن تكون "راشدة" و"تفعل ما تراه مناسباً لها". الكثير من المؤمنين وهم ذوو إيمان سليم من حيث الفكر عمن أَلَفَ كلمة الله ودِقة الكتاب المقدس ومع ذلك يعيشون بعصيان لله لأن بعض الحقيقة هي غير مقبولة لديهم.

إذاً بدء الشيطان بالشك وعندما يجد الشك مكاناً يتبعه الإنكار، قال لها: "لَنْ تَمُوتَا" وهو تناقض واضح وصريح لما قاله الله، قال الله "مَوْتًا تَمُوتُ" ولكن رد الشيطان وقال "لَنْ تَمُوتَا". كل التجربة تتوقف على التصديق، من ستصدق الشيطان أم الله؟ في الخلاص يأتي الله بروحنا إلى ذات نقطة المُنطَلَقْ ويُصِر على أن التصديق هو الجوهر الأساسي.

لاحق الشيطان الشك والإنكار *بالخداع*، قال: "تَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ". كلمت *الله* هنا هي إيلوهيم أي تَكُونَانِ كَاللهِ ذاته، لقد كان الشيطان يضع في فكر حواء ذات الفكرة الجسرة التي دخلت ذهنه والتي حّولته من شروبيم مَمسوح إلى إبليس. لقد صدقت

1. أضافة على كلمة الله مرة ومرتين أنقصت منها. قال الله " مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ *أَكْلاً*" أسقطت حواء كلمتين من صيغة التفضيل مُقتَبسة كلمة الله بدون تكليف وبالتالي مُقَلِلة من قوتها. ومن بعدها قللت الجزاء، قال الله "*مَوْتًا* تَمُوتُ" فقللت حواء إلى "*لِئَلاَّ* تَمُوتَا". ثم أضافة الكلمة "وَلاَ تَمَسَّاهُ" وهو شيء لم يقله الله. (قارن تكوين 2:16-17 مع 3:2-3)

حواء أن الأكل من الفاكهة المُحرّمة ستفتح أعيُنها إلى كُل أنواع الحكمة، لقد تخلت عن البراءة مُقابل المَعرفة، لقد كانت مُقايضة تعيسة حقاً.

ب. مُناشدة عواطف آدم (6:3)

شرع إغراء آدم بطريقة مختلفة تماماً. مُناشدة الشيطان لآدم كانت مختلفة تماماً لأنه عَرِفَ أن آدم صُنع لكي يَمْلُك ويحكم من خلال الفكر، لذا قدم *المُناشدة عن طريق عاطِفَتِهِ*، لأن الشيطان لم يُجَرِب آدم على الإطلاق، بل جَعَلَ حواء تَفعَل ذلك.

الانحدار كان قوياً، يقول الكتاب أن حواء "نَظَرَتْ" أي أن نظرها كان موجهاً بشكل مُباشر إلى الفاكهة المُحَرَمة. والهدف هو أن يتحول *النظر* إلى *شهوة*. قد نقول "لا يوجد أذى في النظر!"، ولكن على الأغلب أنه يوجد أذى. أغلب الأحيان تأتي التجربة من خلال العينين، لقد رأت حواء أن الشجرة كانت جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ (شهوة الجسد)، وكانت بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ (شهوة العيون) وأنها شجرة مرغوبة لأنها تجعل الإنسان حكيماً (غرور الحياة). لقد كان الشيطان ناجحاً بهذه المُكونات الثلاث حتى أنه استخدمهم مراراً وتكراراً في إغراء الجنس البشري (1يو2:16)[2].

بعد ذلك يقول الكتاب أن حواء "أخذت"، والهدف الآن هو أن يتم *تحويل الرغبة إلى قرار*. إن الله لا يُكره أحد على شيء ولن يسمح للشيطان أن يفعل ذلك أيضاً. يستطيع الشيطان أن يَحُث ولكن لا يستطيع أن يُرْغِم. يستطيع الشيطان أن يَحُث الرب أن يرمي نفسه إلى الأسفل ولكن لا يستطيع أن يرميه بذاته. يحترم الله قُدرتنا على الاختيار، وكان هذا عاملاً في السقوط وهو عاملٌ في الخلاص.

ثم نقرأ بأنها "أَكَلَتْ". كان هدف الشيطان أن *يُحَوِل الخيار إلى قَيْد*، ومن خلال القضمة الأولى أصبحت له، أصبحت خاطئة. "إِنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيَّةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيَّةِ"يو8:34. لقد وقعت في فخ الشيطان والآن يُمكن له أن يأخُذها أسيرة في أي وقت يُريده (2تم2:26). الاختيار أصبح قَيْد.

وأخيراً نقرأ بأنها "أَعْطَتْ"، والهدف الأخير هو أن *يُحَوِل الخاطئ* إلى *مُغري*. وهذا كان الإنجاز الأعظم للشيطان، لقد حَوّل المرأة الساقطة إلى أداة لإيقاع زوجها في الفخ. هناك شيءٌ في الصلاح الموجود عند بعض الناس يُزعج تماماً الذين هم أنفسهم ليسوا صالحين، يشعرون بالتوبيخ من خلال حياة الذين لا يُشاركونهم خطيتهم، بذواتهم يشعرون أن ضميرهم خاطئ وأدنى مُستوى وغير سعيد في مَحضَر الذين يعزلون أنفسهم عن الرذائل، فيُعِدّون أنفسهم لِجَرّهم إلى الأسفل حتى مستواهم.

غير أن آدم لم يُخدع (1تم2:14)، لقد أخطأ بينما كانت عيناه مفتوحتين تماماً. من المحتمل أنه عندما رأى المرأة التي أحب وهي الآن في وضعها الساقط، وهو يعلم أنه لا يوجد طريقة أن يُعيدها مرة أخرى إلى البراءة وبِمَحَبَتِهِ لها انحدر إلى الأسفل إلى المكان الذي كانت به لِيصبح مثلها. إذا كانت القضية هكذا فإن خطيئة آدم أخطر من خطيئة حواء، فهو اتبع قلبه إلى الخطيئة عن عمد.

2. نجاح الحية (3:7-8)

يا له من نجاح هائل، لا بُد أن البهجة والفرح عمّ بين الشياطين عندما بلغتهم الأخبار أن أبَ الأكاذيب قد تغلبَ بشكل مُذهل على المخلوقات المصنوعة على صورة وشبه الله. أولاً نُلاحظ *مأزقهما*، "فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ" يا له من اكتشاف بائس! على الأغلب كان آدم وحواء مكتسين بالنور قبل السقوط، لأن الله يغطي ذاته بالنور كما بسربال (مز104:2) ولأن الرب يسوع في التجلي كان قد كُسِيَ بشكل مشابه (مر9:2-3). لقد رأى آدم وحواء النور ينطفئ في اللحظة التي أخطآ بها. موت الروح في داخلهما سبب في انطفاء النور وفجأةً قد دُفِعَ الجانب الجسدي من كينونتهما إلى البروز بالشكل الذي لم يكن موجوداً قبلاً. لقد علما أنهم عُريانين، هذه هي المعرفة التي باعا من خلالها مكانتهما في الفردوس وشركتهما اليومية مع الله وآفاق الحياة الأبدية.

ثم "خَاطُوا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ"، يا له من قرار خاطئ. أوراق التين هذه ترمز إلى المحاولة الأولى للإنسان أن يُخفي خطيئته ويُأمن لنفسه عباءة لغطاء ذنبه وعاره، وترمز إلى كُل جُهد بذله الإنسان ليفعلَ شيئاً كي يكون صالحاً لمحضر الله. أوراق التين لن تنفع، قد تكون نافعة فيما بينهم ولكنها لن تكون نافعة لتخبئه من عين الله الثاقبة. كُل جهود الإنسان تَذبُل في محضر الله.

المشهد التالي *هروبهما* (3:8)، سَمِعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار فهربا واختبآ بين أشجار الجنة. للمرة الأولى في حياتهما يخافان من الله، قبل خطيتهما كان صوت الله في الجنة فرحهما ولذتهما، وصرف الوقت الهادئ معه كُل يوم كان أهم فترة من اليوم. بغبائهما تخيلا أنهما يستطيعان أن يختبئا من الله، ذلك بسبب الخطية التي أعمت ذهنيهما، الآن سقوطهما أصبح كاملاً.

2. تمت تجربة الشيطان للرب يسوع بذات الأسلوب، "فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزًا" كانت هذه تجربة شهوة الجسد، ثم أرى يسوع جميع ممالك العالم في لحظة من الوقت وكانت هذه تجربة شهوة العيون. ثم حَثَّهُ أن يفعل شيئاً مُذهلاً ومُثيراً بأن يُلقي نفسه إلى الأسفل من على جناح الهيكل حتى يُثير دهشة وعجب الجموع في الأسفل وكانت هذه التجربة غرور الحياة. رَبِحَ الرب يسوع نصرته باستخدام ذات السيف الذي تخلت عنه حواء بكُل استخفاف، ثلاث مرات أجاب الرب "لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ" (مت4:1-11).

ب. مستقبل الإنسان (3:9-24)

1. استدعاء آدم (3:9)

تعلم الآن آدم وحواء أن أجرة الخطيئة هي بالحقيقة موت. نادى الله آدم "أَيْنَ أَنْتَ؟" السؤال الواقعي والباحِث رّنَ في كُل وديان الجنة "أَيْنَ أَنْتَ؟" طعن السؤال روح آدم الشقيّ كسيف من نار. لقد ضاع بالمكان الذي كان به. السؤال لا يحتمل التهرب، لذا تقدم من بين أوراق الشجر ليواجه نفسه أخيراً وليواجه إلهه.

2. بُحِثَ آدم (3:10-13)

أجبِرَ آدم أن يواجه خطيئته، ولكنه فعل ذلك بطريقة ملتوية لافتة للنظر. كان لآدم صعوبة كبيرة في وضع اعتراف صريح لذنبه كما هو حالنا جميعاً. نلاحظ *تفسيره*: "سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ" (3:10). سَمِعْتُ! فَخَشِيتُ! فَاخْتَبَأْتُ! كان على الحقيقة أن تُسحَب منه، كُل كيانه قد التوى، أين ذلك الرجل الذكي والصادق والصريح والمستقيم الذي كان قبلا يجول في الجنة الفسيحة؟ من هو هذا المخلوق المُراوغ والمخادع والمتردد والملتوي؟ لماذا لم يستطع أن يخرج ويقول بصدق "أنا أخطأت أمام السماء وأمام ناظريك وأنا الآن لا أستحق أن أدعى ابنك"؟ لقد كان رجُلاً ساقطاً، يُقَدِم للكون بُرهانه الأول بأن قلب الإنسان الساقط هو "اَلْقَلْبُ أَخْدَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ نَجِيسٌ" (أر17:9).

بعد ذلك نُشاهد *عُذرَهُ* (3:11-12). دخل الله إلى صِلب الموضوع، تَمَيُّز آدم زَجَّهُ في الجريمة، "مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟". كان على آدم أن يعترف بخطئه، ولكنه بدلاً عن ذلك ابتدع عُذراً دنيئاً: "الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ". هل هناك صفحة أكثر انحطاطاً في جميع السجلات المُلّطخة لحياة الإنسان على الأرض؟ أولاً لقد حاول أن يلوم الله "الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي"، ثم حاول أن يلوم زوجته "هِيَ أَعْطَتْنِي"، وأخيراً اعترف بخطيئته "فَأَكَلْتُ". لقد تجاهل الله الاستدلال بطريقة ما أنه المسؤول عن خطيئة الإنسان. الواقع بأن آدم يستطيع أن يُوحي شيءً كهذا، والواقع بأنه يستطيع بجُبن أن ينقُل اللوّم إلى تِلكَ الزوجة التي قبل فترة بسيطة هتف مُبتَهِجاً: "عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي!" يُوَضح عمق الإتلاف للخطيئة[3].

إذاً بحث آدم عن طريقة لِيَنقُل اللوم عنه، مِما يقود بشكل مُباشر إلى *مثاله* (3:13). المرأة حاولت أن تفعل ذات الشيء، عندما قالت: "الْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ". لقد كانت صريحة أكثر من آدم، ومع ذلك لقد حاولت أن تنقل اللوم على الحية "أنا لستُ الملامة، هو أغراني، إنها خطؤُهُ!".

3. حُكم آدم (3:14-19)

كان الحُكم على ثلاث أجزاء، أولاً جاء الحُكم على الحيّة، ثم الحُكم على حواء، وأخيراً الحُكم على آدم. الجزء الأول من الحُكم تَدخل به *الحرب*، "لأَنَّكِ فَعَلْتِ هذَا، مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ .عَلَى بَطْنِكِ تَسْعَيْنَ وَتُرَابًا تَأْكُلِينَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكِ. وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا .هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ". لأن الحّية، المخلوق التي أعارت جَسَدها للشرير حيث أصبحت أداة من خلالها عَبَرَ الإغراء، فأصبحت مُنْحطة حتى التُراب. إلى هذا اليوم الحركة الصامتة المُلتوية للحية تُكوّن تموّجات هيروغليفية ولفائف مكتوبة على تربة الأرض، مَكتوبة بسطور ملأى بالاشمئزاز والتهديد، مكتوبة لتُذكرنا باللعنة. ينظر الرجال إلى الحية بنظرة اشمئزاز ورعب وخوف.

ولكن اللعنة ذهبت أبعد من الحية، إلى الشيطان ذاته. لم يسأله الله شيئاً، لقد رفض الله أن يتناقش معه على الإطلاق، لقد حكم عليه في ذات الآن والمكان وأعلن حرب عليه. وفي ذلك الإعلان سمع آدم وحواء رسالة الإنجيل للمرة الأولى. رفعا رأسيهما ليسمعا -ولهم أمل جديد- الوعد الأول على الإطلاق وإلى النبوءة الأولى على الإطلاق في الكتاب المقدس. كانت النبوءة تحتوي كلا مَجيئَيّ المسيح. المجيء الثاني للمسيح لِسَحق رأس الحية ذُكِر أولاً، لأن تألُق الانتصار يفوق المأساة؛ ذُكِرَت كَدَمات عَقِب المسيح بعد ذلك، لأنه يُمكن للنصر المُطلق أن يأتي فقط عن طريق الصليب.

بعد كُل شيء اكتشف الشيطان بأنه قد كان حاذِقاً زيادة عن اللزوم من خلال حِكمِه بالموت. لقد سقط في كَمين قد أُعِدَ له منذُ البَدءِ. باحثاً عن ثأر لذاته من الله لِطَرده من السماء، الشرير فتح طريقاً لله لحَل لُغز الإثم مرة وإلى الأبد. على ذات الكوكب الذي عليه

بحث الشيطان عن ثأرِه، يُصبح مكان المعركة الأخيرة. الإنسان ذاته يكون الأداة التي بها يُهزَم الشيطان ويلقى حتفُه، لآن الله أصبح إنساناً ليُحَقِق تلك النهاية المجيدة. "نسل المرأة" سيضع نهاية نهائية للخطية والشيطان. وفجأةً استلمت الأرض أهمية مُدهِشة في

3. إنه دائماً خطئ شخص آخر. المثال الكلاسيكي على ذلك هو مُحاكمة النيورنبرغ، حيثُ تم تحديد الجرائم ضد البشرية لمُجرمي الحرب النازية. جوزيف سوس، وهو مساعد إداري، تذمر قائلاً: "على الجندي أن يُنفذ أوامِرَهُ فقط". ولتر لانغليست، وهو قائد كتيبة، صرح قائلاً: "أنا كُنتُ رجُلاً صغيراً، وهذه الأمور تمت بحسب أوامر كُبراء المناصب". العقيد هوس، وهو قائد المُخيم الحشد أوشفيتز المشهور، والذي أشرف شخصياً على عملية إبادة مليونين ونصف المليون من اليهود، شرح: "في ألمانيا كان واضِحاً، إن حدث شيئ خاطئ، فالرجل الذي أعطى الأوامر هو المسؤول. لذا لم أفكر أبداً بأن يوماً سوف أحاسب عليها شخصياً". هيرمن جيورينغ، وهو الثاني في القيادة للبلاد (Reichsmarschall)، هدر بصخب: "كان لدينا قائد (فيورستاد) كان علينا أن نطيع". تهرب هيتلر عن طريق الانتحار، ولاكن وبدون شك كان ليلوم مُعاهدة فرساي.

الكون[4].

الجزء الثاني من الحُكم دَخَلَهُ *المِحْنَة*. "وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ :تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ، بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَدًا .وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ." كان هناك أتعاب – أتعاب في حقيقة أعظم إنجاز للمرأة في ولادة الأولاد وتربية الأولاد، وسيكون هناك خنوع، ستأتي الخطيئة بِكَرَبٍ بقافلتها، حيثُ أن قيادة الرجل المرسومة من قِبَل الله عِندَ الخلق، سَتُستَبدل بالطغيان في الكثير من الأوقات. أكثر من أي وقت ستحتاج المرأة غطاء الحماية المُقَدَم مِنْ قِبَل سيادة الرجُل كزوج وسيد البيت.

الجزء الثالث من الحُكم دَخَلَهُ *العَمَل*. "وَقَالَ لآدَمَ :لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلاً :لاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ .بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ، وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ." كان هناك *كَدِح بلا مُقابِل*، عمل شاق على أرض ملعونة بالخطيئة. ومن ضمن ذلك يوجد *رُعب صارم* "بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا .لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ". من ذلك اليوم إلى الآن شبح الموت يَسكُن الكوكب، والأرض ذاتها التي يفلحها آدم من الآن فصاعداً، تُذكرهُ يومياً بأنها تنتظر لتستقبِل جُثمانَهُ.

الموت هو شيء مُرعِب، الناس يسخرون منه، ويُحاولون سرقة شناعته منه عن طريق إحاطة التوابيت بالأكاليل والزهور. ولكن الموت لا زال موتَ – مَلِك الرُعب والعدو الأخير والكارثة الأخيرة لهذا الجانب من الخلود – الاجرة العظمة للخطيئة.

4. آدم يُخَلّص (3:20-24)

هذا هو أفضل جزء من القصة، تحرك الله لإنقاذ المخلوقات البائسة التي سقطت إلى الحضيض. أولاً فعل ذلك *بالنعمة* (3:20-21)، لأن الخلاص دائماً عن طريق النعمة. لقد اكتشف آدم أن ورق التين المصنوع من جُهده الخاص، لن ينفع أمام محضر الله. مُدان والوقت هو الوحيد الذي يقف بينه وبين تنفيذ حُكمُه، الكل مُتَوَقِف على الله الآن.

لاحِظ *اعتراف* آدم، دعا اسم زوجته حواء "لأَنَّهَا أُمُّ كُلِّ حَيٍّ"، كان هذا اعترافاً بإيمانه بالله. لقد أعلن الله لتوه حُكم الموت على الجنس البشري ولكنه أعلن أيضاً بأن نسل المرأة سيأتي بالخلاص، وآدم آمن. أعلن إيمانه عندما دعا زوجته أُم كُل حيّ، وليس أُم كُل من يموت. كان إيماناً بكُل نقاء وبساطة، كُرِمَ بذات اللحظة عند ضِفاف السماء.

أيضاً لاحِظ *تغطية* آدم "وَصَنَعَ الرَّبُّ الإِلهُ لآدَمَ وَامْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَأَلْبَسَهُمَا". هُناك في عدن في الفردوس ذاته تم سفك الدم لأول مرة. لابُد أن آدم وحواء وقفا هناك مذعورين بينما رأيا المخلوق يؤخَذ بَدَلاً عنهما ويُذبح أمام أعينهما – سُفِكت دَماهُ وغطاؤه أصبح غطاءَهما. كان أول توضيح درامي للثمن الأقصى للجُلجُثة ولرعب وفظاعة الخطيئة. الخطيئة هي داء ومرض راديكالي تستدعي لعلاج راديكالي.

لإنقاذ الثنائي الساقط، لم يتصرف الله بالنعمة فقط ولكنه تصرف أيضاً *كحاكم* (3:22-24). ساق آدم وحواء إلى خارج جنة عدن، حيث في تلك الجنة لا تزال شجرة الحياة قائمة، إذا أكل آدم وحواء من الشجرة وهما في وضعِهما الساقط لعاشا إلى الأبد بخطيئتهما. كانا سيُصبحان كالملائكة الساقطة، عاجزين عن الموت وإلى الأبد مَوثقين بالإثم وعقوبة خطيئتهم، وسيكون من المستحيل تجديدهما إلى التوبة. في حِكمِ الله لم يسمح لذلك أن يحدُث، أرسل الثنائي المُذنب إلى خارج الجنة ووضعهما بعيداً عن احتمال العَبَث بشجرة الحياة. وللتأكيد على أنهما بعيدان، زُرِعَ حارسٌ مُسَلَحٌ على بوابة الجنة. ومن الآن فصاعداً، وإلى أن أتى الطوفان وغير معالم وجه الأرض، ليس هناك من شك أن شيروبيمَ واقفٌ عِندَ باب الجنة وبيدهِ سيفُ لهيبِ نارٍ ليحرُسَ الطريق إلى شجرة الحياة. سيفُ لهيبٍ – مثالٌ مناسبٌ لغضبِ الله على الخطيئة! سيفُ لهيبٍ سَيُغمَدُ ويُخْمَدُ في النهاية في قلبِ نَسلِ المرأة.

2. أول ديانة الزائفة (4:1-15)

عندما ولِدَ قايين، ظنت أُمُهُ أنه المسيح، ظنت أن النسل الموعود قد آتى الآن، الموعود الذي سيسحق رأس الحيّة "اقْتَنَيْتُ رَجُلاً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ!"[5]. كما فسرها أَلِكساندر وايت بقوة، كنت لتكون مُلحدة باردة الدم لو آمنت بشيءٍ آخر. تَعَجُبها يُوَضح إيمانها المُخَلِصْ في الوعد بفادٍ آتٍ.

ولكنها كانت على خطأ. كانت على صح في الإيمان أن المسيا سيأتي وسيكون من نسلها، ولكنها كانت على خطأ في الاعتقاد أن قايين كان هو، وبعد فتر قصيرة أصبح لديها سبب لتُغيّر رأيها. ذلك الطِفِل المولود في داخل عالم ملعون بالخطية، ستتجسد في

4. واترلوو هي قرية مجهرية، يُمكِن أن توجد على الخريطة بصعوبة بالغة. ومع ذلك اسمها معروف حول العالم، لأن في واترلوو في سنة 1815 قابلَ جيوش دوك الولينغتون الحديدي وتَغَلَبَ على جيوش نابليون وغير التاريخ إلى الأبد. منذُ ذلك اليوم استلمت واترلوو أهمية في أذهان الرِجَال مع أن حجمها لا يَمُتُ لذلك بصلة. وبشكل مُشابه كوكب الأرض هو ليس إلا قذى صغيرة في الفضاء، ولكن على كوكبنا الضئيل هذا، وضع الله مَرسوماً لِحَل وإلى الأبد، سِر الإثم القديم العهد. يَستَلِم كوكبُنا أهمية كبيرة في الكون خارجة تماماً عن نسبة حجمه. تعلم الشرير أنه اقترف خطأً فادِحاً وعظيماً في سيرة مهنته بهجومه على آدم وحواء.

5. سكوفيلد يضع التعجُبْ في الحاشية للكتاب المقدس لسكوفيلد. بعض الأعداد تُعارض.

مزاجُه العصبي، وقُدرَتُه المُكتسبة بالولادة للخِدَع والكَذِب وإرادته الشخصية وغروره. على الأرجح وليس بعد فترة طويلة، اعتقدت أن ابنها البِكر هذا على الأرجح هو "من نسل الحيّة". وعندما ولِدَ ابنها الثاني، عَرِفت خطأها جيداً، لأنها دعت الصبي الثاني هابيل "غرور!" على كُل الأحوال لقد كانت كُلُها غروراً وإغاظة للروح. الوعد قد يكون في الواقع "نعم وآمين في المسيح" ولكنه بالتأكيد ليس نعم وآمين في قايين.

قد يتساءل أحدُنا، كيف توافق الصَبيّان في مزرعة أبيهما الغير بعيدة عن أبواب الجنة، رُبما كانا قريبين منَ العُمر. أُستُخدِمَ وصل المعان (Polysyndeton) في تسجيل القِصة قد يُلّمِح لِشيء، فهي بالتأكيد تقترح تَقَدُم الأحداث بوتيرة ثابتة، "وَعَرَفَ آدَمُ حَوَّاءَ امْرَأَتَهُ فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتْ قَايِينَ .وَقَالَتِ: اقْتَنَيْتُ رَجُلاً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ. ثُمَّ عَادَتْ فَوَلَدَتْ أَخَاهُ هَابِيلَ .وَ..." ليس هناك شك من مشاحنات الحضانة المُعتادة لابنان بلا فائدة تُرجى منهما، يَعرِضا الخروج عن الشريعة التي قدمها آدم للعالم، كاملة النمو في داخل صَدرِهما، العمل الطبيعي لقانون الخطيئة في روحهما الطُفُلي. لا شك بوجود أوقات جيدة أيضاً – قِصَص حول مَوقِد النار في المساء، قطعة أرض لِكُل وَلَد لِيَحرُثْ، إطعام الخِراف والقِطَطة والعجول، ورُبما نُزُهات إلى أبواب الجنة لرؤية الشروبيم والسيف المُلتَهِب حَيثُ قد يستلموا تعليماتٍ عن الأشياء التي تَخِصُ الله. ثم بينما كانا ينموان تواجها مع الدروس الأكثر صرامة للحياة، مع الكثير من العمل الشاق في قَلع الأعشاب الضارة وصَد الذئاب.

ثم كَبِر الولادان ليُصبِحا رَجُلين "وَكَانَ هَابِيلُ رَاعِيًا لِلْغَنَمِ، وَكَانَ قَايِينُ عَامِلاً فِي الأَرْضِ". الولادان أصبحا رِجالاً. بين الإثنين اختار هابيل القسم الأنبل وأصبح أحد أعظم الرُعاة في العهد القديم، كُلهم بطريقة أو بأخرى رَمَزوا لمجيء الراعي الصالح. أصبحَ قايين مُزارعاً، ابن التُراب، مُجِداً في عَمَلِهِ وكادِحاً ومُزارعاً مُتاجراً ناجحاً، مَحصولُهُ فَخرُهُ وبهجَتُهُ.

نستطيع تَصور استيقاظهُ باكراً مع شروقِ الشمسِ وذهابهُ إلى الحقولِ ومِعوَلَهُ في يَدِهِ وتَصفيرٌ مُبتَهِجٌ في شَفَتَيهِ. رُبما كقِصة بيرل إس بَكْ (وانغ لانغ) يستمتع بِتُربَتِهِ حتى التُربة دخلت روحَهُ. الشمس تَقهرُهُ ووجههُ يَتألقُ بالعرق، جِسمَهُ يَتَدَفَقُ بإيقاع ثابت بينما ينحني لعَمَلِهِ، تناظُر تام في الحركة بينما يقلب الأرض الجيدة للشمس. تضجع الأرض داكِنة وغنية، تقع مُنقسمة بعض الشيء تحت حَرفِ مِعوَلِهِ. الأعشاب الضارة المُتَمَرِدة تقع خلفهُ مُبَعْثَرة بينما يَعمل قايين بمُثابرة على قَلعِها.

في ذات الآن يذهب هابيل مع القطيع بعيداً هُناك على التلال الخضراء، ويجلُس تحت شجرة والخراف أمامه وعيناه يَقِظة لمَجيء لبوة وأذُنُه مُدَرَبة لِتميّز زئير الأسد. ذُهنه قد يكون مشغولاً بموضوع حقيقة الأبدية بينما يُفكِر بلُغز الحياة والموت وخسارة الجنة والسيف المُلتهِب وطريق الصليب كطريق العودة إلى الوطن.

لقد تم تعليم هذين الولدين بشكل جيد، لقد عَلِموا أن هناك إلهٌ وعَلِموا أن الخطيئة هي إهانة له وعَلِموا أنه يجب التَقَرُّب منه. من المُحتَمَل أنهما تَقَرَّبا منه عند بوابة الجنة حيث كان الشيروبيم. وقد عَلِموا أن عليهم إحضار قربانً عندما يَمثِلوا أمام الله، لأن الشخص لا يقتحم طريقه إلى محضر الله. وهكذا نقرأ "وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ أَنَّ قَايِينَ قَدَّمَ مِنْ أَثْمَارِ الأَرْضِ قُرْبَانًا لِلرَّبِّ، وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضًا مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَمِنْ سِمَانِهَا". قايين لم يكن مُلحداً مع كُل أخطائه، ولكنه كان ذو ضمير ودين ورجُل مُتَمَرِس وأيضاً جريء أكثر من أخاه في المجيء لمُقابلة الله، لأن اقترابه تم ذِكره أولاً، لقد قدم من ثمار الأرض.

ثم أتى هابيل، أحضر غنمة، غنمة دون عيب أو بُقعة. وبدونِ شَك أنه بنى مَذبحاً صغيراً من الحجارة. قَطّعَ المادة القابلة للاحتراق وأضرم بها النار وأشعل الحريق بأغصان الشجر. ثم أمسك غنمته بإحكام -نستطيع تصور نظرة هذا المخلوق البريء والرقيق ذو الثقة بصاحبه ينظر للأعلى إليه بعينيه الكبيرتين والرخيمتين – وضع يديه على المخلوق الصغير، فأرتجف من لمسَتِهِ. كيف يستطيع أن يفعل هذا؟ ثم بسرعة وثِقة يأخُذ سِكينه ويذبحه ويشاهد الدم الأحمر يتَدَفق، ويُشاهِدَهُ يموت. ثم، وبِتَنَهُد في روحِه، نستطيع أن نراه يرفع الجُثة الساكنة ويضعها على اللهب ويُقدِمها لله ودموع تَهْدُر على وجنتيه. لقد كانت طريقة مُرَّوعة للتقرُّب من الله. ولكن الخطيئة هي شيء مُرُّوع.

رُبما نظر قايين إلى كُلِ هذا ووجهه الملذوع من الشمس أبيض من الضراوة على طريقة هذه الذبيحة الشنيعة. رُبما نظر الى مَذبح هابيل الدامي باشمئزاز وبعجرفة إلى مَذبحة. قد يكون قبض يده بقبضة حتى عضلاته الضخمة برزت في عُقَد على ذراعه بينما سارَ بِخُطى ثابتة وغاضبة من المشهد ليقف أمام المذبح الذي نَصَبَهُ بثمار الحقل الطازجة ذات العِبق الجميل.

"فَنَظَرَ الرَّبُّ إِلَى هَابِيلَ وَقُرْبَانِهِ، وَلكِنْ إِلَى قَايِينَ وَقُرْبَانِهِ لَمْ يَنْظُرْ .فَاغْتَاظَ قَايِينُ جِدًّا وَسَقَطَ وَجْهُهُ". لم تكن مُجرد صدفة أن قربان هابيل قد قُبِل وقايين رُفِض. يُقال لنا في العبرانيين "بِالإِيمَانِ قَدَّمَ هَابِيلُ للهِ ذَبِيحَةً أَفْضَلَ مِنْ قَايِينَ .فَبِهِ شُهِدَ لَهُ أَنَّهُ بَارٌّ، إِذْ شَهِدَ اللهُ لِقَرَابِينِهِ" عب4:11. ويقول في رومية 17:10 "إِذًا الإِيمَانُ بِالْخَبَرِ، وَالْخَبَرُ بِكَلِمَةِ اللهِ." لهذا من الواضح أن قايين وهابيل لم يُتركا لأفكارهما لأخذ القرار عن كيفية التَقَدُّم لله، لقد تم إعلامِهم.

بلا شك آدم وحواء أخبراهما. بدون شك أهلهما قد تعلموا أن "وَبِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لاَ تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ!" عب22:9. بدون شك قد تم إخبار قايين وهابيل عن استبدال ورق شجرة التين بثوب من الجلد. هابيل صَدَق؛ أما قايين فلم يُصدق. أخذ هابيل مكانه أمام الله كالخاطي المُذنِب والضائع والعاجز المحتاج إلى ذبيحة تكفيرية. خطاياه كانت قرمُزية أمام الله لدرجة أن سفك الدم فقط يمكن أن يُكّفِر. وهكذا - بمقياس ما، كبير أو صغير – نظر هابيل بعيداً، إلى الجُلجُثة. لقد صَدَّقَ الله وحُسِبَ ذلك له بِراً.

ليس قايين؛ سَحَبَ بِرَهُ الرث المُمَزق ورفض بإزدراء الخلاص المؤسس على الدم. بالنسبة له هذه الفكرة بربرية ومُهينة ومُثيرة للاشمئزاز، لقد ازدرى بخلاص مثل هذا. لقد أتى بطريقته، طريقة كانت مناسبة بالنسبة له ولورثتهِ الروحيين من بعد ذلك، ولكنها طريقة رُفضت من الله بشكل قاطع. هناك طريقتين للاقتراب من الله، يمكن الاقتراب منه عن طريق عمل الصليب، أو يمكن الاقتراب منه عن طريق عمل قايين. أحد الطرق يقود بشكل مُباشر للسماء والآخر بشكل مباشر لجهنم.

إذا تضع أمامنا قصة قايين أول ديانة زائفة عرفها العالم ومن أجل ذلك هي فائدة مُتممة. هذ الديانة الزائفة الأولى تحمِل العلامات المُميزة لكل ديانة زائفة منذ ذاك الوقت.

أ. الاستنتاج الزائف من ديانة قايين (4:1-7)

1. مُخطط بشري بحت (4:1-2)

الخلاص الحقيقي يتمحور حول ثلاث نقاط مركزية – كلمة الله وعمل المسيح وشهادة الروح. وجدت ديانة قايين بديلاً للنقاط الثالث أجمع. بدلاً من المدار حول كلمة الله كان لديها أول تركيز على *المخطط البشري البحت*. يقول الكتاب المقدس: "لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ .هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَال كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ." أف2:8-9. تقول: "وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ." 1يو1:7. قال الله: "فَأَرَى الدَّمَ وَأَعْبُرُ عَنْكُمْ" خر12:13. قال إننا "عَالِمِينَ أَنَّكُمُ افْتُدِيتُمْ لاَ بِأَشْيَاءَ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ، مِنْ سِيرَتِكُمُ الْبَاطِلَةِ الَّتِي تَقَلَّدْتُمُوهَا مِنَ الآبَاءِ، بَلْ بِدَمٍ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَل بِلاَ عَيْبٍ وَلاَ دَنَسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ،" 1بط1:18-19. تجاهلت ديانة قايين كُل ذلك، لم تكن مؤسسة على رؤية إلهية ولكن على منطق بشري. الفلسفة الأساسية خلف ديانة قايين كانت أن الخلاص لابد أن يُكتَسَب، ولابد أن يُستَحَق، ويُشترى بثمن المجهود والكدح الشخصي. لذلك قدم قايين لله ثمار تَعَبه وكَدحهِ.

المفهوم أن الأعمال الصالحة تستحق الخلاص هو في صَميم كُل ديانة زائفة على الأرض وفي صَميم كُل عبادة زائفة في العالم المسيحي أيضاً. البروفيسور منير ويليمز أجاد القول:

> عند الاستقالة من مهماتي كبروفيسور لسانسكريت Sanskrit، قد كَرَستُ وقت بقدر أي إنسان حيّ لدراسة الكُتُب المقدسة للشرق ووجدت المفتاح الوحيد والتناغُم الوحيد، إذا جاز التعبير، لكُل هذه الكتب – إن كانت الفيدا لبراهمانيين أو البينانا لسيفانيين وفيشنويين أو القرآن للمسلمين أو زيند-أبستاق للبارسيين أو التريبيتاكا للبوذيين – المُلازم الوحيد بين جميع هؤلاء أن الخلاص بالأعمال. الجميع يقول إن الخلاص يجب أن يُشترى، يجب أن يُسدد بثمن، وهذا هو الثمن الوحيد، الشراء الوحيد بالمال، يجب أن يكون من خلال أعمالنا وإستحقاقنا.[6]

ديانة قايين أسِسَت على مُخطط بشري بحت. جرت بعكس فكر الله المُعلن، كانت مُتَقَشِفة ومُثيرة للإعجاب وجميلة في شكلها الخارجي، ولكنها أُسست على خطئٍ وعلى عصيان مُتَعَمَد لِحَق الله. دُعيت بصراحة من قِبَل الله "طَرِيقَ قَايِينَ" يهوذا11 ودُونَ بالارتداد.

2. ذبيحة بشرية بحتة (4:3-4)

كان الخطأ الثاني في ديانة قايين بسوء الخطأ الأول. بدلاً من التمركز حول عمل المسيح، كان تركيزها على ذبيحة بشرية بحتة. بدون شك أن تقدمة قايين كانت مُكلفة. ربما كانت مكلفة له شخصياً أكثر مما كانت تقدمة هابيل. كانت نتاج كدح وتعب وعمل شاق وجهد وتفكير حَذِر. على مذبحه يمكن أن يُرى أجمل الزهور من حديقته، وربما تم اختيارها باعتناء ووضعت بكل فن ومهارة؛ وبَحَثَ عن أعطر الأعشاب واختيرت كي تُضيف أحلى العطور التي يمكن للأرض أن تُقدمها؛ أكبر وأنضج الثمار، فقد حفر بيَدَيهِ التربة العنيدة أو عرض حياته للخطر ليجمعها من أطراف الأغصان في أعلى فرع في الشجرة. إنها لله، يجب أن تكون الأفضل، لا شيء سوى الأفضل.

ولكن لم يكن هناك أي دم مسفوك في أي مكان. لقد قدم قايين تقدمة وليس ذبيحة؛ عَبَرَ عن أفكار تقية، ولكن تجاهل الجُلجُثة؛ كان مُستعِداً أن يَعبُد، ولكن فقط بحسب شروطه. كانت خطته للتقرب منطقية بالنسبة له؛ لم يستطع أن يرى لماذا لن يقبلها الله. يُسجل الكتاب المقدس بأن قايين لم يكن لديه حس الخطيئة، عدم إدراك شناعة إثمه، وعدم فهم موت المسيح التكفيري. لم يكن لديه الحِس بأن تَقدِمَتَه كانت إهانة لله، ثمر الأرض التي لعنها الله. كانت عمل يديه وأفضل ما يستطيع أن يعمل ولكنها كانت غير ملائمة على الإطلاق، إهانة لقداسة الله ورفض لابنه. الملايين الذين يُسرعون في طريق قايين يُخَلِدون أخطاءه، تقواهم وأفكارهم وأعمالهم الصالحة وطقوسهم الدينية وأفعالهم الاجتماعية هي بدون قيمة إن كانت منفصلة عن عمل المسيح الكامل.

6. الاستشهاد من قِبل د.م. بانتون في الغنوسطية: الارتداد القادم (لندن: ثاين/جارفيس 1925) ص.37 Cited by D. M. Panton in Gnosticism: The Coming Apostasy(London: Thynne/Jarvis, 1925), P.37.

3. رضى بشري بحت (4:5-7)

النقطة الزائفة الثالثة في نظام قايين كَمُنت في الواقع بأنها تجاهلت شهادة الروح. تركيزها كان على الرضى البشري البحت كبديل، استطاع قايين أن يخطو خطوة إلى الخلف ويقف ناظراً إلى مذبحه بفخر، مَسوغٌ بكُلِ مجهودٍ بذله لتقدمته الجميلة المُكَدَسة أمام الله. "هاهي! يجب أن تُرضيه (الله)، لقد كلفتني الكثير، إنها جميلة! لقد فعلت ما بوسعي! حتى الله لا يتوقع أكثر من ذلك" لقد كانت رضى بشرية بحتة. لم يكن لديه الشاهد من الله الذي كان هابيل يمتلكه، بأنه مَقبول. بل بالعكس "فَنَظَرَ الرَّبُّ إِلَى هَابِيلَ وَقُرْبَانِهِ، وَلكِنْ إِلَى قَايِينَ وَقُرْبَانِهِ لَمْ يَنْظُرْ".

شعور قايين بالرضى وحسن المقام لم يَدُم طويلاً، فتحول بلمح البصر إلى إستياء وحنق. "فَاغْتَاظَ قَايِينُ جِدًّا وَسَقَطَ وَجْهُهُ .فَقَالَ الرَّبُّ لِقَايِينَ :لِمَاذَا اغْتَظْتَ؟ وَلِمَاذَا سَقَطَ وَجْهُكَ؟ إِنْ أَحْسَنْتَ أَفَلاَ رَفْعٌ؟ وَإِنْ لَمْ تُحْسِنْ فَعِنْدَ الْبَابِ خَطِيَّةٌ رَابِضَةٌ، وَإِلَيْكَ اشْتِيَاقُهَا وَأَنْتَ تَسُودُ عَلَيْهَا" بالحال دُعيَّ قايين من قِبَل الله أن يعود، طريقة هابيل هي النوعية الوحيدة التي يمكن أن تُقَدّم كقربان عن الخطيئة التي يقبل بها الله – المسيح! الفرق بين قايين وهابيل، بين الشخص المُتَدَيّن والمؤمن لا يكمُن بالشخص ذاته بل بموضوع ثِقَتِهِ. الأول يُؤمن لذاته والآخر يقبل بما قدمه الله، فالله يقبلنا في المسيح فقط. كالكثيرين من المُتَدَين اليوم، قايين -المؤسس للديانة الزائفة -غَضِبَ على ما سمِعَهُ.

ب. التعصب العنيف لديانة قايين (4:8-15)

وسِمَت ديانة قايين بأربع أشياء. وسِمَت بِصِفَة *العنف* (4:8)، بحث قايين عن أخاه في الحقل وهو يغلي بالغضب. نتساءل عما تكلاما، هل عَرَضَ هابيل على قايين غنمة واستخدام مذبحه؟ هذا وارد، لأن الكتاب المقدس يقول: "وَكَلَّمَ قَايِينُ هَابِيلَ أَخَاهُ".

من الاستماع للوراثة الروحية لقايين نستطيع أن نتخيل بشكل جيد ما قد يقوله. "دينُكَ مُقرِفٌ ومُهينٌ، دينُ الفوضى. إنجيلكَ إنجيلُ نطحِ الدمِ، إنه مُثيرٌ للاشمئزاز لإنسانٍ لبقٍ وحساس وأخلاقي، وما كانت تكلفتكَ؟ لا شيء! أنظر إلى الجُهد الذي بذلتهُ أنا في ديانتي، أنا أرفضُ أن أؤمن أن جُهدي لا قيمةَ له. أنظر إلى مذبحكَ المُقرِف! أنظر إليه، أحمَرٌ من الدمِ، أسودٌ من النارِ، رائحة كرهة تصل السماء العليا! أنظر إلى مذبحي! أنظر كم هو جميلٌ، تعال وأشتم العطور والزهور، اعترف أن طريقتي هي أفضل من طريقتك".

ثم، رُبما غضب من شهادة هابيل الصامتة، قايين الذي ديانته لبقة لدرجة أنها ترفض ذبح غنمة، غرس سكينه في قلب أخيه. وهكذا دَمَغَ أحد أخطر سِمَة مُميزة لديانة زائفة، إنها تتميز بالعنف وبالاضطهاد واستشهاد كُلِ من يقف لحق الله. قبل أن تكون بعمر ساعة، قدمت ديانة قايين أول شهيد في العالم. كُل قطرة دم سُفِكَت على الأرض منذ ذاك الوقت، باسم الدين، تُساعد على دَمغ سِمِة العُنف في طريقة قايين.

لقد وسِمَت *بالكَذِب* (4:9). "فَقَالَ الرَّبُّ لِقَايِينَ: أَيْنَ هَابِيلُ أَخُوكَ؟ فَقَالَ: لاَ أَعْلَمُ !أَحَارِسٌ أَنَا لأَخِي؟" بوقاحة صارخة كَذِبَ قايين في وجه الله ذاته. هذا ما افتكره بقداسة وبِر ومَعرفة الله! وهكذا في كُل ديانة زائفة، تَبُث باسم الله كَذِبة ضخمة. لأن في صلب كل ديانة زائفة خِداع واحتيال و، باسم الله، تَبُث أكثر الأباطيل شناعة.

لقد وسِمَت *بالعَبَث* (4:10-12)، لأن الله، وبكل بساطة، جرد الكذب كاشفاً قايين وديانتهِ على حقيقتهما. "مَاذَا فَعَلْتَ؟ صَوْتُ دَمِ أَخِيكَ صَارِخٌ إِلَيَّ مِنَ الأَرْضِ... تَائِهًا وَهَارِبًا تَكُونُ فِي الأَرْضِ." الإيمان الحقيقي جعل إبراهيم "غريبٌ ونَزيلٌ" في الأرض. الديانة الزائفة جعلت قايين تَائِهًا وَهَارِبًا. لقد كان رَجُلاً تائهاً ومَلعوناً لا يستطيع أن يجد الراحة والسلام على الأرض. حياته ستكون برية وبدون معنى ومُبددة. سيتجنبه الرِضا وطاقاته ستُشَتت وحياته فاسدة. سيقضي أيامه تائهاً بعيداً عن الله، هذه هي ثمار الديانة الزائفة.

لقد وسِمَت *بالخوف* (4:13-15). "ذَنْبِي" صرخ قايين "أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُحْتَمَلَ... فَيَكُونُ كُلُّ مَنْ وَجَدَنِي يَقْتُلُنِي". لم يكن هناك توبة في ديانة قايين ولا نَدَم، فقط استياء تجاه مصيرِه. لقد خاف من يد الإنسان الثائرة، ولكن يد الله التي هي ضده نالت القليل من اهتمامه. لم تحضر ديانته إلا ذنب أعظم واضطراب أعمق وتعاسة دائمة وخوف مُتَعَقِب. لا يسمح الله للخاطئ أن يكون في سلام في عمق روحه بينما يكون مغموساً بالخطأ. مؤسس الديانة الزائفة الأولى في العالم جال في الأرض تائهاً وغَرِقَ أخيراً في قَبرٍ لا اسم له، في زمنٍ لا تسجيلَ له. ترك علامته خلفه في حضارة عظيمة ومُزدَهِرة، كما فعل الكثير من المؤسسين للديانات الزائفة. أوجد حضارة سِمَتُها تكمُن بعظمة النشاط الاجتماعي والفكري والعلمي، ولكنها كانت جميعها أنشطة *آثمة*، لأنها تجاهلت المسيح والتي قادت بشكل مُباشر للطوفان.

الفصل الثالث – الكارثة (4:16-29:9)

1. عالمٌ يَنْضُجُ للدينونةِ بِسُرعةٍ (4:16-22:6)
أ. تقييمُ الله لتلكَ الأوقاتِ (4:16-7:6)
1. الغير إلهي (4:16-24)
أ. اللامباليين بالله (4:16-17)
1. المُبالاة بشخص الله (4:16)
2. المُبالاة بفردوس الله (4:17)
ب. استقلالهم عن الله (4:18-24)
1. الاضطراب الأخلاقي (4:19)
2. الاكتشاف المُدهِش (4:20-22)
أ. التسويق – يَابَالَ (4:20)
ب. الموسيقى – يُوبَالُ (4:21)
ت. علم المعادن - تُوبَالَ قَايِ (4:22)
3. بالتحَدِ المُسَلَّح (4:23-24)
2. الغير أرضيّ (4:25-32:5)
أ. كيف بدأت البذرة الجديدة (4:25-5:5)
1. الولادة الجديدة (4:25-26)
2. الكتاب الجديد (5:1-5)
ب. كيف واصلت البذرة الجديدة (5:6-32)
1.البطريركية (5:6-20)
2. الأنبياء (5:21-32)
أ. أخنوخ - شَهِدَ لوجود الله (5:21-24)
ب. متوشالح - شَهِدَ لصَبر الله (5:25-27)
ت. لامك - شَهِدَ لسلام الله (5:28-31)
ث. نوح - شَهِدَ لهدف الله (5:32)
3. الغير طيعين (6:1-7)
أ. ارتدادهم العظيم (6:1-3)
1. الإبانة الأخيرة لانحراف الإنسان (6:1-2)
2. الإنهاك الأخير لصبر الله (6:3)
ب. نشاطهم الغير إلاهي (6:4)
ت. نمو الفوضى السياسية (6:5-7)
1. فطنة الله (6:5)
2. خيبة أمل الله (6:6)
3. قرار الله (6:7)
ب. حلّ الله لتلك الأوقات (6:8-22)
1. رَجُل (6:8-13)
أ. مشحوناً من الله (6:8-10)
1. غُفِرَ له (6:8)
2. كان أميناً (6:9)
3. كان مُثمراً (6:10)
ب. كان مستنيراً (6:11-13)
1. يُراجع الله الأرض (6:11-12)
2. يُعلن الله غضبه (6:13)
2. خِطة (6:14-22)
أ. عمل المسيح الكامل (6:14-16)
ب. كلمة الله الأمينة (6:17-22)
2. عالمٌ تُخليَّ أخيراً عنه للدينونة (7:1-24)
أ. خلاص الإلهيين (7:1-9)

1. التزام الكامل مطلوباً من نوح (7:1)
2. مُهمة أخيرة مُعطاة لنوح (7:2-4)
3. طاعة نوح الأمينة الواضحة (7:5-9)

ب. دمار الغير إلاهي (7:10-24)

1. توقيته (7:10-16)

أ. التأخير الإضافي للدينونة (7:10)

ب. بزوغ الفجر الأخير للدينونة (7:11-16)

2. مُجمَلَها (7:17-24)

أ. مدى الطوفان (7:17-20)

ب. الإعدام بالطوفان (7:21-24)

3. عالمٌ مُتعَفٍ حديثاً من الدينونةِ (8:1-9:29)

أ. نوح يَتَلَكأ (8:1-5)

1. ريثما يَتَذَكَرَ الله (8:1-2)
2. بينما انحسر الطوفان (8:3)
3. بينما رسا الفُلك (8:4-5)

ب. نوح يَختَبِر (8:6-14)

1. ما بحث نوح عنه (8:6-12)
2. ما رآه نوح (8:13-14)

ت. نوح يَثِق (8:15-9:17)

1. أمر الله لنوح (8:15-19)

أ. سُمِعَ الأمر (8:15-17)

ب. نُفِذَ الأمر (8:18-19)

2. عهد الرب مع نوح (8:20-9:17)

أ. تكلم الله بالسِّر (8:20-22)

ب. تكلم الله بسيادة (9:1-17)

1. شروطهُ (9:1-7)
2. علامتَهُ (9:13-17)

ث. نوح يَكدَح (9:18-23)

1. نوح الأب (9:18-19)
2. نوح الفلاح (9:20)
3. نوح الفاشِل (9:21-23)

ج. نوح يَشهَد (9:24-29)

1. بِشَفَتِه (9:24-27)
2. بحياته (9:28-29)

3

الكارثة

1. عالمٌ يَنْضُجُ للدينونةِ بِسُرعةٍ (4:16-22:6)

فترة تُقارب الألف وخمسمائة سنة تَكمُن بين السقوط والطوفان. قِصَص هذه القرون الطويلة تُسرَد بكلمات رائعة ولكن مُقتصدة. يُمكن كتابة كُتب عن تلك الفترة، ولكن روح الله يُكَثِف القصة في مائة وأربعين آية، خلال خمسة إصحاحات ونِصف. وهكذا تُكشَف القصة في ثلاث أجزاء، أحد الأجزاء يتعامل مع سبب الطوفان، وآخر مع الكارثة بحد ذاتها، والأخير مع العواقب.

أ. تقييمُ الله لتلكَ الأوقاتِ (4:16-7:6)

يسوع ذاته عَلَقَ على الفترة التي الآن تُقَدِم ذاتها لنا للدراسة. قال أنه: "وَكَمَا كَانَتْ أَيَّامُ نُوحٍ" مت24:37، ستكون الأيام قبل عودته. ذلك التصريح وحده يُسبب استثمار اهتمام خاص بالإصحاحات 4 إلى 6.

1. الغير إلهي (4:16-24)

سُلالتان سَلَفيتان تُتابعان في تكوين 4 و5. توصف سُلالة قايين أولاً بسُلالة الفُجار؛ ثم شيث، سُلالة الأتقياء تُسرد تالياً. يتوقف الكاتب عند السابع من آدم في كلا السُلالتين ويُلقي قشةً في مهب الريح، ليُقدم رؤية عن كيفية تطور الأشياء. يتوقف عند لامك في سُلالة قايين لِيُظهر النُضوج الأخير للعيوب، ومع أنوش في سُلالة شيث، لِيُظهر نُضوج القمح. الفُجُور بلغ ذُروته في مجيء ذلك المتمرد على القانون، والروحانية في الاختطاف إلى السماء لرجلٍ قد سار مع الله.

أ. اللامباليين بالله (4:16-17)

ابتدأت سُلالة الفجور بقايين، بتأسيس أول ديانة كاذبة في العالم. كان قايين رجُلاً عصبياً ومُتَمَرِداً ولديه شخصية قوية وعزم حديدي وفِكرٌ مُستَقِل، ورجُلٌ ذو إرادة ذاتية عنيدة وكبرياء عنيف. رفض الله ديانته، لذا قرر أن يمضي بدون الله بالإجمال. في البداية أظهرَت سُلالته *اللامباليين* بالله (4:16-17) بدايةً باللامبالاة تجاه *شخص* الله (4:16). "فَخَرَجَ قَايِينُ مِنْ لَدُنِ الرَّبِّ، وَسَكَنَ فِي أَرْضِ نُودٍ شَرْقِيَّ عَدْنٍ." جعلَ ظهره لأبواب جنة عدن وللشروبيم ذو السيف المُلتهب والمكان الذي تقابل الرجال مع الله. وهكذا ذهب إلى أرض نود، أرض "التوّهان". بحسب ما نعلمه لم يعُد قط.

بتعبير آخر، أصبح قايين مارِقاً. إنه شيء، لإنسان لم يعرف الله قط ولم يكن هناك أي تعامل قط معه ولم يكن هناك أي احتكاك قط مع كلِمَتِهِ، أن يُبدي اللامُبالاة. طبعاً لا تبرير لهذا، كما يوضح الإصحاح الأول من سفر رومية، ولكن يمكن التفَهُمْ. ولكن لرجل أن يدير ظهرَهُ لله عن قصد، مع ذاك الذي كان لديه تعاملات شخصية – هذا مُرَقاً. ومُرَقاً ما عَرَّفَ يهوذا قايين به.

غير مكتفي بإظهار عدم المُبالاة تجاه الله، أبدى قايين اللامُبالاة بفردوس الله (4:17). بنى مدينة وأطلق عليها اسم ابنه حنوك. يعني اسم "حنوك" "افتتاح" أو "تخصيص" أو، كما يفترض البعض، "تدشين". قايين قام بتدشين شيئاً جديداً، بنى مدينة. خطته كانت أن يخلُق فردوساً اصطناعياً ليعوض عن الحقيقي الذي فُقِد. حسب فكر قايين، خطة الله المطلقة لفردوس سماوي هي ليست إلى "حلم في الهواء قد تبخر". لقد أراد أن يحصل على الأشياء الحسنة *هنا والآن*، وليس *هناك ولاحقاً*. إن لم يستطيع الحصول على الجنة، سوف يصنع مدينة. سيجعل العالم مكاناً مُريحاً ومُلائماً للعيش، ويقدم لشعبه بكُل رفاهية وكُل لطافة يُمكن لعقله الخصب أن يتخيله. قد تكون أرض نود هي أرض التوهان، ولكن سيجعلها مكاناً مُستمِراً وجذاباً بقدر ما أوتيَ من براعة وصناعة وطاقة نشيطة وهكذا فعل، لله أن يبقي فردوسهُ، قايين سيصنع واحدةً له.

ب. استقلالهم عن الله (4:18-24)

اللامبالاة البشرية بالله المُبكرة، تَقَسَخت بسرعة إلى *استقلال* عن الله. الكراهية المُبكرة أصبحت فكر -خصامي صريح. حُفِظَ الكثير من التاريخ لهذه الفترة من الأسماء المُدونة في تكوين4 و5[1].

العديد من الأسماء في سُلالة قايين تنتهي ب "إيل" (إيلوهيم) يدُل ذلك أنه، لفترة مُعينة، معرفة الله كانت موجودةً في ذاكرة نسل قايين. بدون شك كان هذا مُجرد إجراء شكلي؛ لا أحد في هذه الأيام يتصور أن طفلاً سُميّ بولس قد سُميّ على اسم الرسول العظيم. في سُلالة قايين، حتى الاستخدام العَرَضي وعديم الاحترام لاسم الله اختفى وأصبح الله مَنسياً كُلياً.

1. مع أن المعنى الصحيح لبعض الأسماء غامضاً وقابل للمناقشة، إلا أنها تقدم لنا مرآة معقولة لتلك الأيام. مع أن الأسماء في الكتاب المقدس تحتوي على معاني مهمة، لكن المعاني ليست دائماً مؤكدة لأن العبرية المكتوبة لا تستخدم الأحرف الصوتية. في أغلب الأحيان السياق هو الذي يُحدد معنى الكلمة العبرية الغامضة. ولكن في *الأسماء* السياق لا يُساعد دائماً. غالباً ما تُعطي المعاجم اقتراحات بديلة لمعنى أسماء عبرية، لأن الحروف الساكنة قد تحمل مفاهيم مختلفة بحسب الحروف الصوتية المقدمة. إذاً إن لم يَحسُم السياق السؤال، فقد نستطيع أن نقدم اقتراحات عندما ننظر إلى مقطع واضح فقط بالأسماء التي يحتويه. وهكذا "حنوك" يعني "مُعَلِم"، ولكن يمكن أن يعني أيضاً "أفتتح". في محاولة للوصول إلى المعاني المقترحة أعلاه، قد استُشيرت الفهارس والقواميس الكتابية والكتب التي تَدرُس الأسماء في الكتاب المقدس، وعلى سبيل المثال جي. بي. جاكسون، قاموس الأسماء الملائمة فى العهد القديم والجديد (New York: Loizeaux, 1909).

اسم عِيرَادُ قد عُرِف كثيراً بـ "الهارب" أو "مدينة الشهادة" أو "حمار وحشي". الفكرة التي تَبرُز في كُل الأحوال هي لرجل لا فائدة تُرجى منه. البديل الأخير هو الأكثر إيحاءً في نظر الإرشادات الموسوية أخيرة، أن المولود البِكر للحمار يجب أن يُفتدى بِحَمَل أو يجب أن تُكسَر رَقَبَتَه. مَحُويَائِيلَ قيل بأنه يعني "مُغرَم الله" أو "محى أن يهو هو الله". في يومه ذاك كان الناس لا يُريدون أي شيء له علاقة بالله. مَتُوشَائِيلَ يعني " رجل الذي من الله" أو "ماتوا يستفسرون" مما يُشير رُبما إلى أن حتى بين القايينيين كان هناك بعض الذين لديهم شك عن الطريق الذي سلكه العالم. ولكن أسئلتهم لم تُنتج أية الأجوبة الصحيحة، أُطفئَ هذا الومض القصير والخافِت للشمعة بسرعة من خلال لاَمَكَ. اسمه يعني "قويّ" "فاتح" "رجُل وحشي". به الفاتح أتى، الرجل القوي، الظل الأول على الصفحة المقدسة للمتمرد على القانون القادم في الأيام الأخيرة. الشهوة واللا قانون أتى كزهرة كاملة وأثمر في لاَمَكَ كما سيكونون في الوحش، مسيا الشيطان.

رأس الاستقلال عن الله المتزايد في سُلالة قايين آتى في عائلة لامك، بِهِ اللامُبالاة السابقة لعهد الطوفان نضجت إلى تحدٍ صريح. عصرٌ جديدٌ بَزَغَ به العِلم والفن والفلسفة والدين وأخذ خطوة كبيرة إلى الأمام تجاه ذروته في المعارضة النشطة لإله السماء.

اتصف العصر الجديد *بالاضطراب الأخلاقي* (19:4). "وَاتَّخَذَ لاَمَكُ لِنَفْسِهِ امْرَأَتَيْنِ :اسْمُ الْوَاحِدَةِ عَادَةُ، وَاسْمُ الأُخْرَى صِلَّةُ." ابتدأ لامك حرب مفتوحة على قانون الزواج الأول. شَعَرَ لامك بأنه قوي بشكلٍ كافٍ أن يتحدى العِرفْ ويُقَدِم "أخلاق جديدة" تحت غطاء يستطيع به الرجال جمع زوجات. تعدد الزوجات أصبح جزء من النظام الاجتماعي الجديد. اسم عَادَةُ، زوجته الأولى، تعنى "زخرفي". صِلّةَ، اسم زوجته الثانية، تعني "ظِل" أو "الفاتنة". من الظاهر أن لامك وجد كلاهما شديدتيّ الإغراء ولا يمكن مقاومتهن. احتضن في عَادَةُ ما اسماه الكتاب المقدس "شهوة العيون" وفي صِلّةَ "شهوة الجسد".

اتصف العصر الجديد *بالاكتشاف المُدهِش* (4:20-22). ثلاثة من أولاد لامك بَرَزوا على الساحة. يَابَالَ كان "أَبًا لِسَاكِنِي الْخِيَامِ وَرُعَاةِ الْمَوَاشِي". لِعصُور ركز الناس على المُدُن، خرج يَابَال لِيُبادر بحياة بدوية تتأقلم مع تربية المواشي، وكان "أباً" لهذا النمط من الحياة. هذا يعني أنه كان مخترعها وصانعها ومُعلمها. كلمة "مَوَاشِي" مُثيرة للاهتمام أيضاً لأنها تعني حرفياً "امتلاك" وتأتي من الكلمة "الحصول على"، بمعنى آخر لم يكن يابال أباً لِعِلمٍ جديد فقط ونمط حياة، بل هيمن عليها أيضاً-كما يُقال-احتلَ السوق. "احْتَكَرَ" تجارة المواشي، على من يُريد لحم البقر أن يبحث عن يابال. بمعنى آخر يبدو أن *التسويق* كان اختصاصه، وجد طريقة جديدة ومُبتكرة في إبقاء تدفُق السلعة. اسمه بحد ذاته، يابال، بحسب أحد التفاسير، يعني "المُنتِج".

أخاه يُوبَالُ كان لديه اختصاص مُختلف-الموسيقا. اسمه يعني "المُتَموّج" أو "صوت مُبتهج". "كَانَ أَبًا لِكُلِّ ضَارِبٍ بِالْعُودِ وَالْمِزْمَارِ." ابتكر الآلات الوترية وآلات النفخ الموسيقية، أصبح للنظام العالمي الجديد وسيلة الإعلام "ميديا" طربية. كانت بحاجة أن تجد طُرُقاً للمتعة لتضع أسُساً لوقتها، طُرُقاً لتطغي على فكرة وجود الله، وهكذا أتى "المُتَموّج" ليُعطي الإنسان قرعاً وإيقاعاً ولحناً مُبهجاً ليُساعد على ملئ الفراغ الذي يستطيع الله فقط أن يملأه فعلاً.

تُوبَالَ قَايِينَ ابن لامك الثالث "لضَّارِبَ كُلَّ آلَةٍ مِنْ نُحَاسٍ وَحَدِيدٍ"، كان مُختَرِع *علم المعادن*، ومُدخلاً ثورة صناعية إلى العالم القديم. نستطيع أن نتخيل ماذا عنى اكتشاف الصهر وصاغة المعادن لتلك الحضارة في حالة التقدم. دُعيَ تُوبَالَ قَايِينَ في كُل هذا "المُرشِد" أو كما يُقَدِمُها النص "تُوبَالَ قَايِينَ الضَّارِبَ كُلَّ آلَةٍ مِنْ نُحَاسٍ وَحَدِيدٍ". كان يَحتَكِر هذا العمل، حيثُ سِر العمل بالمعادن يجب أن يُحرَس بشكل جيد، ويُبقى في العائلة، لأنه سِر يُمكِّن عائلته المَوهوبة بشكل لافت للنظر أن تكون في موقع قوة وسيادة. كان تُوبَالَ قَايِينَ مُهتَماً بشكلٍ خاص ب"ضَرَبَ كُلَّ آلَةٍ". أصبحَ رجال عشيرته وهم مُسلحين بهذه، قوة يُعتمد عليها في ذلك العالم القديم. اكتشافاته كانت مشؤومة وبعيدة المدى في أيامه، كما هو اكتشاف الطاقة النووية واختراع الصواريخ الباليستية العابرة للقارات في أيامنا.

هيمنَ هؤلاء الأولاد الثالثة على سُلالة قايين الكافرة. أسماؤهم، يابال ويوبال وتوبال، مُستَمَدة جميعها من أصل معنى واحد "لِيَتَدَفَّق" أو "لِيُنْتِج". أوجدوا عصراً من الاكتشاف وكانوا مُبتَكرين الازدهار والمُتعة والقوة. وكان لديهم أخت "نَعْمَةُ" ومعنى الاسم "مُمتع" أو "مُتعة" أو "جميل". له صِلة مع أسميّ المرأتين الأُخرتين في القصة، رُبما تقترح كبرياء الحياة بأن تُكَمِّل الثُلاثِية الدُنيَوِية التي وَصَمَت ذلك العَصر(1يو2:16).

وصِمَ العصر أيضاً *بالتحَدِ المُسَلَح* (4:23-24). "وَقَالَ لاَمَكُ لامْرَأَتَيْهِ عَادَةَ وَصِلَّة: اسْمَعَا قَوْلِي يَا امْرَأَتَيْ لاَمَكَ، وَأَصْغِيَا لِكَلاَمِي. فَإِنِّي قَتَلْتُ رَجُلاً لِجُرْحِي، وَفَتىً لِشَدْخِي. إِنَّهُ يُنْتَقَمُ لِقَايِينَ سَبْعَةَ أَضْعَافٍ، وَأَمَّا لِلاَمَكَ فَسَبْعَةً وَسَبْعِينَ" تَقديم السبعينية "سبعة وسبعين" تجعل تباهي لامك تَقِف في مُضاد حاد لتعليم السيد عن المُسامحة. أنشُودة لامك كانت أول أنشودة في الكتاب المقدس، قد قيل عنها "أنشودة السيف" لأنها عظمت الإنسان باستقلاله وقوته وثأرِه. بكُل غرور يُهدد أباه توبال قايين بالموت لكُل من يُحاول أن يؤذيه من خلال الاغتباط بالقوة الموضوعة بين يديه عن طريق أسلحة ابنه. بتبجح عقوق وعد بالثأر لأي شخص قد يُهاجِمَهُ، بثأر أعظم من

الوعد المعطى من الله لقايين. بقية أغنية كهذه في شخصية لامك وفي روح العصر. قد أتى عصرُ جموحٍ مُسَلَحٍ عندما سلك الإنسان سبيل التحدي في وجه الله ذاته.

كان لدى الإنسان كُلَ شيء، كان غنياً ومُزاداً من الحاجيات، كان لديه حياة مَدَنية منظمة، كان لديه الأمور الاقتصادية في وسط السيطرة، كان لديه كُل دمانة الفنون والثقافة، كان لديه أخلاق جديدة وحُرة وسهلة، كان لديه أسلحة بيد قوة واحدة، لم يكن لديه الحاجة لله. ضَجَ ذلك العالم القديم بكُل سِمة مُمَيزة يَتَسَم بها العصر الذي نعيش به بكُلِ وضوح.

2. الغير أرضيّ (4:25-5:32)

الآن تعود الرواية لآدم، بينما العالم الغير إلهي بدأ يأخذ شكله منذ البداية، كذلك العالم الإلهي. لا يترك الله نفسه بدون شاهد أبداً، لذا من جيلٍ لجيل، بخطى مع كَشف الجيل الشرير، كان هناك سُلالة مُماثلة لرجال قديسين مواكبين في التقدم. كانوا مجهولين من العالم، بحَسَب ما كان العالم معنياً هم لم يُنجزوا شيئاً، لم يُساهمون بشيء، لم يخترعوا أية أداة غريبة تهز الأرض، لم يُقَدموا أي عمل فني ثوري، لم يُبدعوا أية طريقة جديدة لتقدُّم ثروات عائلاتهم. بِكُل بساطة عاشوا لله. كُل ما سُرد عنهم أنهم عاشوا، وأتوا إلى العالم بمن يحمل شعلة الشهادة للجيل التالي، وأنهم ماتوا.

عاشوا. لقد سُجِلَ ذلك مرتين لمعظمهم، ولم يُقال ذلك للقايينيين. بلا شك أن القايينيين اعتقدوا بأنهم عاشوا، وكان العالم بين أيديهم، بابتكاراتهم الاجتماعية، وتطورات علومهم، وأكيد أن تَقَدُّمهم العلماني وسَمَهُم بأنهم امتلكوا "الحياة الجيدة". ولكن لا يذكُر الله أبداً بأنهم عاشوا، لأنهم "ميتين في الذنوب والخطيئة"، بينما الشيثيين عاشوا. قال يسوع: "وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةٌ وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ" (يوحنا 10:10)، لقد دخلوا في الحق بهذا.

بالإضافة، لقد سُجِلَ بأن الشيثيين ماتوا. كذلك الرواية صامته من ناحية موت القايينيين، ليس للسماء أي اهتمام لموتهم، لأن حياتهم كانت فارغة وجوفاء وزائفة عديمة المعنى، لذا موتهم هو عارٌ أبديٌ. ولكن سُجِلَ للشيثيين مرارً وتكرارً، هذا مات وذلك مات. حتى إلى أسفل ذلك الإصحاح الخامس المدهش نسمع قرع الجرس-ومات... ومات... ومات-يُبرهن الله أن الشيطان كذاب، قال الشيطان: "لَنْ تَمُوتَا!"، يُسَجِل الروح القُدُس: "ومات". ولكن بالتأكيد كان قرع الجرس للقايينيين، لأن "أجرة الخطيئة هي موت". ليس كذلك! سَجَلَ لله موت الشيثيين، موت كُل قِديس كان يوبيلٌ في السماء، لأنه "عَزِيزٌ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ مَوْتُ أَتْقِيَائِهِ." (مزامير 15:116). الموت بالنسبة لهم لم يكن النهاية، بل البداية. لم يعيشوا لهذا العالم، بل لذلك العالم. لذا رفعهم الموت فوق أصوات ومناظر هذا العالم التعيس والفقير، لعالمٍ لا يُحسب الوقت بالسنين، والمكان الذي به كُل الدموع ستُمسح، والمكان الذي سيجلس به المسيح عن يمين الله.

أ. كيف بدأت البذرة الجديدة (4:25-5:5)

يبدأ القسم التالي من السرد ببذرة جديدة لتستبدل بذرة قايين المنتهية. نُلاحِظ كيف *بدأت* هذه السُلالة الجديدة. بدأت بالولادة الجديدة (4:25-26) "وَعَرَفَ آدَمُ امْرَأَتَهُ أَيْضًا، فَوَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ شِيثًا، قَائِلَةً: لأَنَّ اللهَ قَدْ وَضَعَ لِي نَسْلاً آخَرَ عِوَضًا عَنْ هَابِيلَ .لأَنَّ قَايِينَ كَانَ قَدْ قَتَلَهُ. وَلِشِيثَ أَيْضًا وُلِدَ ابْنٌ فَدَعَا اسْمَهُ أَنُوشَ .حِينَئِذٍ ابْتُدِئَ أَنْ يُدْعَى بِاسْمِ الرَّبِّ." لقد كانت بداية جديدة على الإطلاق، إحدى بدايات الله الكثيرة للسلالة. بشيث بدأ سُلالة تُمَجِد نفسها في شخص المسيح، البذرة التي وعِدة بها المرأة. الخلاص بالإيمان هو النقطة الرئيسية لتلك السُلالة الجديدة، لأن "حِينَئِذٍ ابْتُدِئَ أَنْ يُدْعَى بِاسْمِ الرَّبِّ"، و"كُلَّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَخْلُصُ"(رومية13:10).

لم يبدأ الله ولادة جديدة فقط في سُلالة شيث بل بكتاب جديد (5:1-5). كَتَبَ في خلال الكتاب أسماء، ليس كُل أسماء أولاد آدم، بل أسماء الذين سُجِلت أسمائهم في السماء. تقول لنا مُقَدِمة ذلك الكتاب أن شيث قد وّلِد على صورة وشبه آدم، أولاد آدم لم يُلدوا على صورة وشبه الله، الصورة التي وِلِدَ آدم عليها، ولكن على صورة وشبه آدم المسكين والساقِط. لا عجب أن يسوع قال لنيقوديموس "لاَ تَتَعَجَّبْ أَنِّي قُلْتُ لَكَ :يَنْبَغِي أَنْ تُولَدُوا مِنْ فَوْقُ." (يوحنا7:3). جميعُنا وّلِدنا أولاً فاسدين-بالخطيئة، مُشكَلين بالإثم وبطبيعة آدم الساقطة وبحاجة لنولد ثانيةً.

يُسجل الكتاب الجديد المعالم البارزة لعائلة آدم، ثم الحقيقة المُحزنة لدفن آدم. كان عمر آدم 930 سنة عندما مات (5:5). لقد أخذ حُكم الموت في جنة عدن كل هذه الفترة ليلحق به، شيث وأنوش وقِينان ومهللئيل ويارد وأخنوخ كانوا جميعهم على قيد الحياة في ذلك الوقت. كان عُمر أخنوخ 365 وكان يسير مع الله لقرابة قرنين ونصف قرن. فقط شخص آخر تم تسجيل موته حتى الآن-هابيل الشهيد، وهكذا أول شخصين ماتا ذهبا للسماء. الشخص الثالث الذي ترك المشهد هو أخنوخ، وهو حتى لم يمت. بدأ الله بتوطين السماء قبل أن يبدأ الشيطان بتوطين جهنم.

عاش آدم ليرى ثمار السقوط المُخيفة، ليرى عالم القايينين المجنون والدائخ بالشهوة لينمو بشكل كامل إلى حضارة غير إلهية. ولكنه عاش بشكل كافٍ ليرى أن الله كان يحفظ "بذرة" من جيلٍ لجيل على الأرض.

ب. كيف واصلت البذرة الجديدة (5:6-32)

شُرِحَ لنا كيف بدأت البذرة الجديدة على الأرض، يَصِف لنا الروح القُدس كيف *واصلت*. وهكذا يُتَبِع بلائحة من الأسماء التي تجري من شيث إلى نوح، من السقوط إلى الطوفان مع القليل من الراحة في القصة. الأسماء الخمسة الأولى هي *للبطريركية* (5:6-20). أولاً أتى شيث ("مُعَيَّن") ليأخذ مكان الشهيد هابيل، لقد كان بديلاً لهابيل. تلاه *أنوش*، اسمه يعني "الإنسان الفاني" وهو تَذكِرة أن الإنسان ضعيف وفانٍ مع كل تَبَجُحه "تَقَدُّم"؛ بغض النظر عن طول أيامه على الأرض، عاجلاً أم آجلاً ستنتهي. تَبِعَ *قينان* باسم يعني "بيطارهم أو حدادهم" أو "مُمْتَلَكْ"، كأنه احتجاج شيثي ضد العسكرية والمادية المتزايدة لدى العالم القايني. اسم *مهللئيل* يعني "تمجيد الله"، في الوقت الذي كان الرجال يُمَجِدون ويُهنئون ذواتهم وملقين عنهم كُل تَحَفُظ، سَكَبَ القديس حياته في تمجيد الله. أسم *يارد* يعني "نَسَب" ليُذكر الإنسان أنه مع أن العصور أتت وذهبت حقيقة الله ستبقى مُثابرة. هو بذاته كان في السُلالة الصحيحة للنسب، حلقة حية أخرى في سلسلة تَصِل من آدم الأول إلى الأخير.

هؤلاء إذاً كانوا البطاركة، أضاف الله صوتاً للشهادة مع كُل جيل خلف. ولأنهم لم يموتوا لقرون، كُل واحد من هؤلاء العظماء مَزَجَ شهادته مع شهادة نَديمِه حتى يمكن سَماع جوقة نامية. ولكن من في تلك الأيام البعيدة كان يهتم بشهادة الإلهيين المتناغمة؟ ترانيمهم أُغرقت بالموسيقى الفظة والأسواق الراعدة والمسيرات الصاخبة لسُلالة قايين. آن ذاك، كما الآن، موسيقى السماء تُغرق بخطيئة الأرض.

بأخنوخ حُقِنت علامة جديدة في الشهادة، لأن به بدأت سُلالة *الأنبياء* الجديدة (5:21-32). كان هناك أربع منهم كُلهم جديرين بالذكر. أخنوخ برأس القائمة، نبي علا عليهم جميعاً، كان أول نبي يظهر على وجه الأرض. *أخنوخ*، الرجل الذي سار مع الله، شَهِدَ *لوجود* الله. قُدِمَت قِصة حياته بكلمات قليلة في سفر التكوين مع شرح قصير مُضاف في عبرانيين11، وتوجَ في كتاب يهوذا الصغير باختطافه للسماء[2].

شَهِدَ *متوشالح لصَبر* الله، عاش 960 سنة قُرابة الألفية الكاملة وأكثر من أي إنسانٍ آخر. أخوخ أباه ضَمَّنَ احدى نبوءاته في اسم متوشالح: "عندما يموت، ستأتي". الأوضاع خلال كل حياة متوشالح الطويلة ذهبت من سيء إلى أسوء، ولكن يد الله كانت مقبوضة لأنه عظيم الصبر "وَهُوَ لاَ يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ" (2بطرس 9:3). عدم تصرف الله أُخِذ من سابقيّ عهد الطوفان كإثبات على عدم وجود الله أو عدم اكتراثه.

شَهِدَ *لامك لسلام* الله. اسمه يعني "قويّ" بإشارة، رُبما، للعجب الذي أظهره له القايينيين العلمانيين المجنونين بالمتعة. كان قوة لله على الأرض، شهادته أصبحت واضحة من خلال الاسم الذي أطلقه على ابنه نوح-"راحة" "تعزية" "مواساة". قال: "هذَا يُعَزِّينَا عَنْ عَمَلِنَا وَتَعَبِ أَيْدِينَا مِنْ قِبَلِ الأَرْضِ الَّتِي لَعَنَهَا الرَّبُّ". يبدو أن الأعمال الشريرة التي تدور من حوله كانت في ذهنه عندما تكلم. توقع لامك أن الأشياء لن تدوم كما هي لأكثر من ذلك بكثير، فسوف يتصرف الله خلال فترة حياة ابنه، وفي هذا وجد سلام وطمأنينة. لم يكن الله يتجاهل شر الكوكب، بغض النظر عن ما يظنه الإنسان؛ يستطيع لامك أن يطمأن في الله لمعرفته أنه عاجلاً أم آجلاً سوف يتصرف.

شَهِدَ *نوح لهدف* الله. كان "كَارِزًا لِلْبِرِّ" (2بطرس 5:2)، وأول واحد يتم سرد جميع أولاده من سُلالة الإلهيين لشيث، بالنهاية سيكون أولاده سام وحام ويافث هم آباء العرق الجديد للرجال. بنى فُلك "لِخَلاَصِ بَيْتِهِ" (عبرانيين 7:11) وبفعل ذلك شَهِدَ لجيلهِ بقدوم الدينونة.

هؤلاء إذاً كانوا الغير الأرضيين، هذه السُلالة النبيلة من الرجال الذين عاشوا وسط الرزيلة والعنف ولكن ساروا بهدوء مع الله يعشون بانفصال عن الغير إلاهيين مُسَلِمين شُعلة الشهادة من واحد لآخر ومُبرهنين أن الله لا يترك نفسه بلا شاهد أبداً.

3. الغير طيّعين (6:1-7)

أ. ارتدادهم العظيم (6:1-3)

مرة أخرى يعود الروح القدس ليُمسك بطرف خيط الشر، الذي كَوَّنَ الخلفية السوداء على نجود تلكِ العصور. لا نعلم إلى كم يعود سفر التكوين 6، البعض يعتقد قد تعود بالتاريخ حتى أنوش الشيثي ولامك القايني حيث أن كيهما السابع من آدم. في أي حال نموّ الجموح في أيام نوح يبدأ بتسجيل موجز *للارتداد العظيم لسابقي عهد الطوفان*. لقرون الأشياء تأتي ببطء للقمة، ولكن الآن أتت *الإبانة الأخيرة لانحراف الإنسان* (6:1-2) "وَحَدَثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَكْثُرُونَ عَلَى الأَرْضِ، وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ، أَنَّ أَبْنَاءَ اللهِ رَأَوْا بَنَاتِ

2. الصفة الأولى لحياته هي *الكآبة المحيطة*. كُل شيء حوله، سرعة خطوة الشر وإيقاعه كان يتزايد. بالحقيقة قد أختطف قبل سبعين سنين قصيرة من ولادة نوح. الصفة الثانية لحياته هي *النعمة المخلصة*. في مكانٍ ما ذلك الرجل الذي، مثل كُل الذين ولدوا من آدم، "سَلَكْتُمْ فِيهَا قَبْلاً حَسَبَ دَهْرِ هذَا الْعَالَمِ، حَسَبَ رَئِيسِ سُلْطَانِ الْهَوَاءِ، الرُّوحِ الَّذِي يَعْمَلُ الآنَ فِي أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ"(أفسس2:2) تواجه مع الله الحيّ، مما غَيَّرَ حياته، وهكذا سار مع الله منذ ذلك الوقت. الصفة الثالثة لحياته هو *الصلاح البسيط*. عبرانيين11 يُخبرنا بشهادته نحو الله "كان له الشهادة بأنه أرضى الله". يُخبرُنا يهوذا عن شهادته نحو الإنسان، ويُذكرُنا بأن أخنوخ أعلن عن مجيء الرب. الصفة الرابعة لحياته هو *المَجَد المُفاجئ*، أخذه الله بجسده إلى وطنه في السماء. هو النموذج الأصلي لاختطاف الكنيسة، صُوِرَت قبل بكثير من اكتمال الخطيئة وقبل سقوط الدينونة. وبهذا يقف بتفاوت مع نوح، الذي يُمَثِل إسرائيل، الذي حُفِظَ عليه خلال أيام الدينونة الرهيبة وهبط بأمان على الأرض المُعاد صُنعها. تم تسجيل أن أخنوخ "سار مع الله" مرتين، شهادته كانت لوجوّد الله وإمكانية العيش بهدوء وحياة إلهية في عصر غير مبالي وفاسد.

النَّاسِ أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ .فَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا."

أول سمة مُمَيّزة عظيمة لذلك العصر كان الانفجار السُكاني، بدأ الإنسان يتكاثر. قاد ازدهار سُكان العالم للانحلال الروحي وللفساد الوقح وللمعضلة الاجتماعية مع وهم شديد. ببساطة النمو السكاني المنطلق بسرعة كبيرة فاقَمَ كُل هذه الأشياء وقاد بشكل مُباشر للارتداد العظيم-الارتباط الجنسي المُحَرَّم بين النساء والكائنات الملائكية الساقطة-ولنهوض عِرق هجين من "الجبابرة".

لا بُد أنه حدث شيءٌ جديدٌ ومُفزعٌ لإحداث التسارع المرعب للشر الواضح في تكوين6، يبدو واضحاً من خلال النص أن بُعداً جديداً للجموح قد حُقِن في تيار الحياة للجنس البشري[3]. "وَحَدَثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَكْثُرُونَ عَلَى الأَرْضِ... *أَنَّ أَبْنَاءَ اللهِ رَأَوْا بَنَاتِ النَّاسِ*" (أضيفت الحروف المائلة). كلمة *النَّاسِ* تعني بوضوح جميع الجنس البشري، "*أَبْنَاءَ اللهِ*" بالتالي قد مُيّزوا بعناية عن جيل آدم[4].

تكوين6:1-2 يُشير إلى ارتداد ثاني وأعمق في صفوف الملائكة، مجموعة من الملائكة قد سبق وتَبِعوا زهرة الصبح(الشيطان) في التَمَرُّد الأولي ضد الله؛ والآن بعض من هؤلاء الملائكة سقطوا أكثر.

بتحدي للحدود المعينة من قِبل الله ذهبوا وراء "جسد غريب" (يهوذا7). بحسب كلا يهوذا و2بطرس، بعض الملائكة الساقطة لم تعد حُرّة أن تجول الهواء بل محجوزة في تارتاروس، المكان الأفظع للسَجن من هاديس. محجوزين هناك بالسلاسل منتظرين قضائهم الأخير. حبسهم الله بسبب شهوتهم ونجاستهم وعارهم. هذا ليس مصير الكثير من الملائكة الساقطين الذين هم "سلاطين الهواء" مُمسكين العالم بالإخضاع تحت سلطة الشيطان سيدهم. هؤلاء الملائكة الساقطون مرتين تحتدوا قانون كنونيتهم، ليس لمجرد الخداع والتواطئ مع أفراد الجنس البشري، بل عن طريق فعل الزواج بحد ذاته. يضع كِلاً من يهوذا وبطرس خطيئة هؤلاء الساقطين بجانب خطيئة سدوم وعمّورة، خطيئة الذهاب خلف "جسد غريب".

إذاً يضع تكوين6 أمامنا الارتداد العظيم لسابقي عهد الطوفان، الارتداد الذي أعطى نهوضاً لانحراف الجنس البشري. خطايا كسدوم أصبحت شائعة، فعلاً خطايا أعظم شناعة لأنهم شاركوا بعلاقة جنسية غير قانونية بين جنسٍ غريب مع بني البشر، النتيجة كانت الطوفان. لقرون كان الله صبوراً، ولكن هذه الخطايا المُطلَقَة قادة للإنهاك الأخير لصبر الله (3:6). "لاَ يَدِينُ رُوحِي فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ، لِزَيَغَانِهِ، هُوَ بَشَرٌ .وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً". ينتقل المشهد إلى السماء ولمَرسوم الله بأن النهاية على مقربة، فقط مئة وعشرون سنة والله سيتصرف-وقتٌ كافٍ ليبني نوح الفُلك ويُصدر الالتماس الأخير والتحذير لجيلهِ.

ب. نشاطهم الغير إلاهي (4:6)

بعد شرح الارتداد العظيم، يُتابع السرد عن *النشاط الغير إلهي لسابقي عهد الطوفان*. يتكلم عن الجبابرة الذين كانوا على الأرض في تلك الأيام، ثم يقفز عبر القرون ليُقَدِم مَرجِع عن انقطاع لاحق *للنفليم (الطغاة)*. الأولاد الذين أتوا إلى هذا العالم نتيجة زواج متمرد على القانون من قِبل "أولاد الله" وبنات الإنسان الذين دُعيوا "رجال الشهرة". على أغلب الظن كانوا البروميثينين القديمين، المخلوقات الأعجوبة التي أعطت للإنسان آثام وأسرار الآلهة. قبل ذلك كان العالم مكان شرير، والآن أصبح فاسداً كُلياً وأصبحت نسبة الشر هائلة.

ت. نمو الفوضى السياسية (5:6-7)

ثم يصف السرد *النمو للفوضى السياسية لسابقي عهد الطوفان*؛ ينتقل مركز النظر من الأرض إلى السماء. يتم ذكر *فطنة الله* (5:6) "وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ." كلمة "تَصَوُّرِ" هي من أصل عبري مُتَعلِق بالفخار؛ تعني "يُبدِع كالفخاري". أبدع الإنسان في الفلسفة الشريرة وشكلوا تُحَف فاحشة وبفارغ الصبر تبنوا قضايا قذرة وصنعوا خطايا أنيقة حقيرة وسكبوا المجتمع في قالبهم.

التشابه بين أيام نوح وعصرنا جليّ، لدينا البروميثينيون الجُدُد-قاسموا الذرة ومُقَدمو لصحة ومُطَورو الطعام ومفككو الشِفرات وقارئو الأفكار ومكتشفو السُبُل. لدينا النفليون المعاصرون المصممون على استغلال كُل اكتشاف جديد لتقَدُم الشر. لدينا الفاسدون المُكَرَسون

3. المنظور أن أولاد الله هم الشيثيون وأن إصحاح6 يُظهر تفاصيل الانفصال بين القايينين الغير إلاهيين والشيثيين الإلهيين، يبدو بالكاد يناسب الحقائق. كيف يمكن لزواج بين الغير إلاهي والإلهي يُنتج عرق من الجبابرة؟ كيف لمُجَرد التخلي عن الإيمان أن يُنتج مُعجزة هائلة لشر استلزم الطوفان؟ إرتداد بلغ ذروته بأشكال شيطانية متقدمة، يُقَدم لنا لسبب متناسب مع التأثير. كلاً من 2بطرس ويهوذا يدعمان هذا المنظور للطوفان.

4. التعبير "أبناء الله" ("أبناء إيلوهيم") تتكرر أربع مرات فقط في أماكن أخرى من العهد القديم. تتكرر ثلاث مرات في سفر أيوب (1:6؛2:1) حيث نقرأ عن "أولاد الله" يُقَدمون أنفسهم أمام الله والشيطان بينهم. بوضوح أن أولاد الله في ذلك السياق هم كائنات ملائكية. وتتكرر مرة أخرى في أيوب 7:38 حيث نقرأ أنه عند خلق العالم تَرَنَّمَتْ كَوَاكِبُ الصُّبْحِ مَعًا، وَهَتَفَ جَمِيعُ بَنِي اللهِ، مرة أخرى وبوضوح، أولاد الله هم كائنات أعلى من البشر. المرجع الآخر هو في دانيال حيث يُقال لنا أن نبوخذ نَصَّر رأى أربع رجال يمشون في أتونه الناري المُشتَعِل، تَعَرَفَ على ثلاثة منهم الذين كانوا ضحاياه البشريين، الرابع كان "كابن الآلهة" (في تلك الحادثة كان الله الإبن في إحدى ظُهوراتِه قبل التجسد)، مرة أخرى كائن فوق الطبيعة.

إذاً استخدام اللقب "أولاد الله" في العهد القديم مُقتَصر لكائنات ملائكية أو للمسيح. في النسخة السبعينية للكتاب المقدس التعبير "أولاد الله" تُرجمت بثبوتية "ملائكة الله". تبدو عبارة "أولاد إيلوهيم" مُقتَصرَة على الذين خُلِقوا بشكل مباشر من قِبل إرادة الله بدلاً عن الكائنات الذين ولِدوا من ترتيبهم. إنها تلك الخاصية، كما هو أي شيء، تُفرق بين الملائكة والإنسان. في العهد القديم يستخدم تعبير قريب "أبناء يهوا" والذي لكان تعبيراً مثالياً ليُستخدم في تكوين6، لو كان بكل بساطة المقصد من النص أن يُفرّق بين أحفاد قايين وشيث. بالحقيقة كان تعبيراً مناسباً بشكل خاص لأن تكوين 26:4 يُسجل أن منذ أيام أنوش أبتدأ الناس أن يَدعون "باسم يهوا"، غير أن بدلاً من استخدام التعبير "أولاد يهوا" يستخدم النص التعبير في مكان آخر، محجوز في العهد القديم كوصف للكائنات ما فوق الطبيعة.

لنشر الفحشاء الجنسية والمثلية والفسق يُحاولون بتعَمُد أن يُعيدوا تشكيل المجتمع ليكون الشذوذ والرذيلة هو الطبيعي المقبول.

الذِكر مَوجود أيضاً *لخيبة أمل* الله (6:6). "فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ." بينما يستخدم موسى الأنثروبوبثيا (Anthropopatheia) (نسب صفات بشرية لله) في تصوير الله بأنه حزين الحقيقة لا تُزال أن "الحُزن" هي كلمة حُب- نحن لا نحزن على من لا نحب. الكلمة مُعَبِرة جداً لأنها تُظهر ألم قلب الله على تمَرُد وشر الإنسان. أزدُريَ برحمة الله وأسيء التعامل مع صبره وأهملت تقدمة الله للخلاص، طُعِنَ الله في قلبه.

الذِكر مَوجود *لقرار* الله (7:6). "أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ ... لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ" لأن الله صنع حياة الإنسان لديه الحق أن يُبيدها. ما زالت الأشياء على حالها شهراً بعد شهر وسنة بعد سنة، برجال أشرار والمغررون يلمَعون من سيء لأسوء. غير أن الموت قد ألقي والخط المُهلك بين رحمة الله وغضبه قد عُبِر إلى الأبد. العِرق قد أخطأ حتى اللا عودة وآلية الكون قد ضُبِطت بالحركة حتى في يوم وساعة مُعينة ستنفجر ينابيع العمق العظيم ونوافذ السماء تنكسر مَفتوحةً، الطوفان آتٍ.

ب. حلّ الله لتلك الأوقات (6:8-22)

1. رَجُل (6:8-13)

إن مبدأ الله إنه كُلما كَثُرت الأوقات انحطاطا كُلما كانت الشهادة قاطعة، ودائماً لدى الله رَجُل خاص-موسى وإيليا ودانيال، وقبل الطوفان كان لديه نوح. بينما يتفتت العالم من حوله، وقفت هذه الشخصية الجبارة يعلو فوق زمانه مبتوراً من الجرانيت يقف مثل حجر المنليث الضخم وحيداً يُشير إلى السماء. كان نوح رجُلاً *مشحوناً من الله* (6:8-10). من عصر لعصر يُقيم الله هذه الأواني الفريدة الخاصة به المختارة بشكل خاص، رجالاً موهوبين بقوة خاصة من الأعلى.

الطاقة الإلهية نُقِلت لنوح وأجّلَتْ نفسها بثلاث طرق. أولاً: قد *غُفِرَ* له "فَوَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ". النعمة في الكتاب المقدس هي جَميل غير مُستَحَق؛ إنه الحصول على شيء لا نستحقه-وجد نوح نعمة. لم يكن رَجُلاً إلاهياً لأنه أتى من سُلالة طويلة من رجال إلاهيين، لأن الله ليس لديه أحفاد. لقد وَجِدَ رَجُلاً إلاهياً لأنه اكتشف الحياة الأبدية في سخاء النعمة الفائضة من الله. لقد كان لديه منفذ للحقيقة (في أيامه كان أنوش حفيد آدم مازال حياً ولم يمت حتى كان نوح بعمر الثمانين)، لقد ترعرع في عائلة مؤمنة، ولكن مع ذلك كان على نوح أن يكتشف النعمة بنفسه، كان عليه أن يرى نفسه خاطئاً بحاجة لنعمة الله.

ثانياً: علاوة على ذلك كان *أميناً*. يقول لنا الكتاب بأنه "كَانَ نُوحٌ رَجُلاً بَارًّا كَامِلاً فِي أَجْيَالِهِ" وأن "وَسَارَ نُوحٌ مَعَ اللهِ". أن نوح يُعلن أنه باراً (مُبرراً) تتكلم مجلدات. لقد دخل بشكل كامل في خلاص الله وأعطيّ أن يقف أمام الله غير معادي، ذلك الذي تمتلكه الروح المُبررة فقط، وأعطيّ مع التبرير القوة ليحيى حياة إلهية. لقد كان "كامل" (بدون عيب) في عالم فاسد أخلاقياً، لقد كان كاملاً "فِي أَجْيَالِهِ"-بدون شك أن الكلمة لها إشارة لمُعَاصري نوح. غير أن الكلمة لها مغزى أعمق، الكلمة "أجيال" تعني "أن تدور بدائرة"، مما تقترح أن نوح وجد مركز جاذبية جديداً لحياته في الله. بينما يدور كوكب حول الشمس هكذا حياة نوح تدور حول الله. بدون جاذبية ذلك المركز العظيم، فإن الميل الطبيعي والمحركات الطبيعية في حياتهِ كانت لتأخذهُ بعيداً إلى الظلمة الخارجية لعصرٍ شريرٍ كان يعيشُ به. ولكن حضارة القايينين فشلت في جذبه، فقد وجد جاذِبٍ أعظم في الله ومن الآن فصاعداً دارت حياته حول الله. بالحقيقة أنه "سَارَ مَعَ اللهِ" (سار كعادة مع الله هي قوة النص) والرجل الوحيد الآخر قيل عنه ذلك هو أنوش. كان متوشالح ابن أنوش جَّد نوح فلا تحتاج إلى مُخيلة عظيمة لتصور نوح وهو طفل يتشرّب قصص جَّدِه القديس أنوش ومسيرته المثيرة مع الله والتي انتهت أخيراً في أرض المجّد.

ثالثاً: ثم في قوة روح الله الناشطة كان نوح *مُثمراً* أيضاً. سُميَّ أولاده الثلاثة، ثلاث أولاد لا يبدو ذلك ثمراً كثيراً، ولكن من هؤلاء الأولاد الثلاثة انحدرَ كُل رجل وامرأة وطفل على هذا الكوكب.

رابعاً: كان نوح *مستنيراً* من قِبل الله كما كان مشحوناً من قبلهِ (6:11-13). ولكن نرى الله يُراجع الأرض أولاً (6:11-12) "وَفَسَدَتِ الأَرْضُ أَمَامَ اللهِ، وَامْتَلأَتِ الأَرْضُ ظُلْمًا. وَرَأَى اللهُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ قَدْ فَسَدَتْ، إِذْ كَانَ كُلُّ بَشَرٍ قَدْ أَفْسَدَ طَرِيقَهُ عَلَى الأَرْضِ". أينما نظر الرب رأى الفجور والجموح الفظيعين مفتوحين في العلن، وكانت الفحشاء والعنف هما نظام اليوم الطبيعي وخطايا رهيبة كان يُتباها بها ويصفق لها.

ذات الشيء يحدث في عالمنا الحديث وبسرعة يتم قبوله، تم إلقاء المعايّر الأخلاقية القديمة بعنف إلى الجانب. أعلن رسمياً عُمدة إحدى مُدُننا العظيمة "أسبوع اعتزاز المثليين" لإكرام المثليين الجنسيين واللّزبيَن والمنحرفين وأشنع الأشكال اللاأخلاقية مع احتجاج نادر على ذلك. المكتبات تُكَدِّس رفوفها بالكتب الأدبية الفاحشة ذات النوع الأكثر قباحة في التعبير. دور السينما تتنافس لتُظهر أكثر أنواع الأفلام الجنسية الفاسقة والمقرفة تحت عنوان ترفيه "للكبار". لم يتم ترفيع المنحرفين جنسياً إلى مراكز حكومية عالية فقط بل أُشيدوا

بأن "المتحول بشكل كامل لشاذ جنسياً يساوي وزنه ذهب" كما عبر أحد المسؤولين. يُساق الفساد في كُل مكان برأس مرفوع. الخطايا التي أنتجت الطوفان قد ظهرت مرة أخرى في العالم وهي تصعد بسرعة باتجاه السماء.

ليس من العجب أن نرى الله *يُعلن غضبه الإلهي* بعد ذلك (13:6). "فَقَالَ اللهُ لِنُوحٍ: نِهَايَةُ كُلِّ بَشَرٍ قَدْ أَتَتْ أَمَامِي، لأَنَّ الأَرْضَ امْتَلأَتْ ظُلْمًا مِنْهُمْ .فَهَا أَنَا مُهْلِكُهُمْ مَعَ الأَرْضِ." النهاية، هذه الكلمة تأتي من المعنى الأصلي "أن يقطع من". لقد وصل الله إلى حدود صبره ولكنه أعلن الحقيقة لنوح ليقدم طريق النجاة لمن يأخذه، حتى في غضبه الإلهي يذكُر الله رحمته.

2. خِطة (6:14-22)

كانت خطة خلاص مُمتدة للجميع، كما في جميع الأجيال، تِلكَ الخطة تتنبأ *بعمل المسيح الكامل* (6:14-16). كان على نوح أن يبني فُلكً ويُقدم طريق نجاة من الغضب القادم على ذلك الجيل المحكوم عليه، لقد أُعطيَّ تعليمات كاملة-على الفُلك أن يكون بشكل تابوت كما كان الأناس القدماء يصنعون توابيتهم. كان خشب الجُفر غير قابل للفساد[9]. يجب أن يُغطى الفلك بالقار من الداخل والخارج بعد إنهاء صنعه (الكلمة المستخدمة للقار هي ذاتها الكلمة المستخدمة في العهد القديم للتكفير). كان على الفلك أن تحتوي على نافذة وباب- لنوح السيطرة على النافذة ولله المسؤولية على الباب.

كُل هذا يمكن أن يُستخدم لتوضيح الإنجيل. نرى نوح يكدح، النجار العظيم السابق لعهد الطوفان يُنتج مركبة خلاصيه واقية من الدينونة لعالم ضائع. كُل هذا يُشير إلى النجار الناصريّ الذي قَدَمَ البر الواقي من الدينونة والخلاص التام للإنسان، التكفير أصبح مؤكداً. كُل من يلتجئ إليه لن يواجه العاصفة، سيكون بينهُ وبين غضب الله المنسكب.

قامت خطة الخلاص في أيام نوح على *كلمة الله الأمينة* (6:17-22) "فَهَا أَنَا آتٍ بِطُوفَانِ الْمَاءِ عَلَى الأَرْضِ ... وَلكِنْ أُقِيمُ عَهْدِي مَعَكَ، فَتَدْخُلُ الْفُلْكَ" لقد عَهَدَ الله ذاته أن ينقذ كل من يؤمن بكلمتهِ. كانت خطة الخلاص لذلك العالم القديم هي ذاتها ليومنا الحاضر، يجب أن يكون هناك تفاعل مع كلمة الله ورجوع مُتَعَمِّد للمسيح، فهو فُلكُنا لأن الخلاص موجود بهِ فقط. قدم الفُلك مأوى من العاصفة، ولكن قدم أيضاً إعاشة لِكُل من بداخله (6:21). كُل احتياج تم تَوقُعُه سُدِّد، كذلك اليوم، لم يُخلصنا المسيح فقط، بل يُسدد ويُشبع كُل احتياج روحي لمن يثقون به.

2. عالمٌ تُخليَّ عنه أخيراً للدينونة (7:1-24)

لم يكن مقصوداً من فُلك نوح أن يكون سفينة أبداً، لقد كان صندوقاً شاسعاً مغلقاً مُصمماً فقط لهدف حفظ وإسكان عدد كبير من المخلوقات الحية[10]. لم يكن متوقعاً لأي مركب أن يتحمل عواصف كهذه، صواعق السماء هبطت ومياه كالانهيارات الثلجية نزلت وأعماق المحيطات تمزقت إرباً وطرحت إلى الأعلى غضباً عارماً يغلي بالدمار. الفيضانات الجائعة غمرت كُل قمم الجبال وهي تبحث عن أماكن اختباء الخطأة، فقط من بالفلك كانوا بأمان.

أ. خلاص الإلهيين (7:1-9)

الفلك كان جاهزاً وبُتِرت آخر شجرة وآخر عارضة خشبية وضعت بمكانها بإحكام وآخر مسمار سيق في مكانه وآخر سطل من القار أستعمل. أصبح الآن الخلاص الكامل مجانياً وجاهزاً للجميع، كل ما احتيج له هو خطوة واحدة بالإيمان ليضع الشخص في الفلك آمناً من غضب الله. نرى *الالتزام الكامل مطلوباً من نوح* "وَقَالَ الرَّبُّ لِنُوحٍ: ادْخُلْ أَنْتَ وَجَمِيعُ بَيْتِكَ إِلَى الْفُلْكِ، لأَنِّي إِيَّاكَ رَأَيْتُ بَارًّا لَدَيَّ فِي هذَا الْجِيلِ." لقد كان الله في الفلك مُسبقاً، وببساطة كان الخلاص عبارة عن إغلاق بالداخل كُل المُخلصين مع الله. الذي عنى لنوح في أيامه أن يكون "في الفلك" هو ذاته ما يعني لنا اليوم أن نكون "في المسيح". بين المخلصين والعاصفة كانت العارضات الفلك الخشبية الواقية من الدينونة، وبين المؤمن وغضب الله المسيح، لقد تحمل العاصفة عن كل الذين وجدوا أمانهم به.كان على نوح وعائلته أن يخطو خطوة الإيمان، كان عليهم الالتزام من أنفسهم بشكل كامل بالخلاص الذي تم إنتاجه لهم بتكلفة لا تُقدر. بمنعزل عن الفِعل لكان تقديم الخلاص عقيم. لقد تم إعطاء نوح دعوة الإنجيل في تلك الكلمة المُمجدة " ادْخُلْ!" تلك الكلمة الرؤوفة تَرُّن بتكرار في الكتاب المقدس حتى في النهاية عندما يأتي الله ليُغلق الكتاب للأبد، يعلنها مرة تلوى الأخرى تعال أدخل! واستجاب نوح "آتي، كما أنا".

تابع الالتزام الكامل المطلوب من نوح *مُهمة أخيرة مُعطاة له* (7:2-4). كان عليه أن يأخذ سبعة من كُل جنس "طاهر" من البهائم إلى الفلك، وقد أُعلمَ سابقاً (6:19) أن على الحيوانات أن تُأخذ بأجواز إلى الفلك، هؤلاء الذين قيل له عنهم سيأتونَ إليه. كانت الحيوانات الطاهرة الإضافية لتوقع العُرف الجديد من بعد الطوفان بأن الإنسان منذ ذلك الوقت سيأكُل لحماً. بدون أي شك واحد من كُل سبعة كان مُعَّداً للذبيحة. بينما نُظمت الحيوانات أمام آدم ليطلق عليها أسماءها والآن هكذا دُفِعوا بذات الإلزام الإلهي ليقفوا أمام

9. صُنعت بوابات القديس بطرس في روما من خشب الجُفر، لقد دامت أكثر من ألف سنة من أيام قسطنطين لأيام يوجين الرابع بدون أي علامة للتفسخ.
10. قياس الفلك كان 45X150X450 قدم، لديه السعة لأكثر من 3ملايين قدم مُكعب، مما جعله قابلاً للمقارنة مع السفن العابرة للمحيطات الحضارية. في 1609 بنى المنونايت الألماني بيتر جانسن سفينة في هوورن هولاندا بذات النسبة إلا بثلث الحجم. تحركت السفينته بثقل في المياه، ولكنها تستطيع أن تحمل ثلث الوزن أكثر من السفن العادية بذات الفراغ المُكعب. أنظر Erich Sauer, The Dawn of World Redemption (Lonon: Pater-noster, 1951), p.67

الرأس الثاني للعرق البشري من أجل الخلاص. وَجّهَ الإله الذي أمرَ الغُراب ليُطعم أليشع مخلوقات الأرض ليشقوّا طريقهم إلى نوح. على الفُلك أن يكون وكّر الحيّة وعرين الأسد، ولكن تغيّر "المخلصين" (2كورنثوس 17:5) لذا من المحتمل أن طبيعة البهائم تغيّرت بينما كانوا في الفُلك.

حضور المخلوقات في الفلك مع العهد النوحَويّ (تكوين 10:9) يُقَدِم لمحة لهدف الله النهائي لعتق المخلوقات الحيوانية (رومية 19:8-22). لقد كان الفُلك خليقة جديدة مُصّغرة تَمُرُّ سالمة خلال عاصفة الدينونة إلى الأرض الجديدة.

يروي التسجيل تالياً عن *طاعة نوح الأمينة الواضحة* (7:5-9) "فَفَعَلَ نُوحٌ حَسَبَ كُلِّ مَا أَمَرَهُ بِهِ الرَّبُّ" علينا أن "نثق ونطيع". يا لها من شهادة لذلك الجيل الغير إلاهي، أن يرى بهائم الأرض تملأ الدَرَج الضيق بخط غير مُنقَطع للشروع لعالمٍ آخر. الفُلك على وشك الإبحار وبدون عودة وفقط من بالداخل بأمان. ولا يزال ذلك العالم الغير المؤمن باقياً عَنيداً ومُقسّاً بِشَرِهِ.

إنه مبدأ الله أنه يشهد بطريقتين لعصرٍ على وشك أن يُتَخَلى عنه للدينونة-من خلال الوعظ الأمين وإتمام نبوءة؛ من خلال وعظ وعلامات. في ذلك العالم التائه، كان نوح "واعظاً للبر" وكما برهن التاريخ مراراً كانت شهادته بدون جدوى. كان هناك نبوات قد تحققت أيضاً، متوشالح مات، اسمه كان نبوءة: "عندما يموت، ستأتي". كان موت متوشالح علامة شُؤم لذلك الجيل، وكان هناك علامات أخرى أيضاً، لابد أن سابقي عهد الطوفان وجدوا رؤية الحيوانات تضرب الأرض وهي تشق ممراً لباب نوح لتجد مأوى في الفلك أنه منظرٌ عجيبٌ ومقلق. لابد أن أصحاب المذهب العقلاني كان لديهم تفسيراً لذلك، ولكن في أي حال العلامة تم تجاهلها.

إذاً الحيوانات دخلت الفلك ودخل نوح ودخلت عائلته وباقي الجنس البشري تثاءبَ في وجه الله. فقط ثمانية أشخاص تم خلاصهم، ومن ناحية الأغلبية فعمل الخلاص المكلف كثيراً ذهب هباءً، بكل بساطة معظم الناس لم يؤمنوا أن الله قصد أن يدين العالم. نوح وعائلته فقط أخذوا الله على محمل الجَد من خلال كلمته وراهنوا بكُل شيء على الخلاص المُقَدَّم للجنس البشري.

ب. دمار الغير إلاهي (7:10-24)

1. توقيته (7:10-16)

على الأغلب ليس هناك حدث في الكتاب المقدس تم تأريخه من قِبل الله بشمول مثل الطوفان. هناك تدوين لحوالي الثمانية عشر مرجع مُتكرر لأيام وأشهر وسنوات، وكأن نوح كان يحتفظ بدفتر تدوين ملاحظات سَجَّلَ به يوماً بيوم وشهراً بشهر الأحداث الجارية لتلك الكارثة الهائلة التي عَبَرَ بها.

نلاحِظ *التأخير الإضافي* للدينونة (7:10). دخل نوح وعائلته الفلك لمدة أسبوع كامل ولم يحدُث شيئاً، بلا شك بهجة الغير إلاهيين كانت عظيمة. لِقِلَّتْ علم سابقي عهد الطوفان المُهملين أنهم كانوا يُفتِتون آخر بقايا صَبر الله المُتَرَيّثة، حيث أنهم كانوا يستغلون نعمة الله وأناتهِ وكرمهِ للمرة الأخيرة. كان هدف ذلك أسبوع النعمة الإضافي إحضارهم للتوبة، بدلاً عن ذلك استخدموه ليُذخروا لأنفسهم الغضب المحتوم (رومية 2:4-5).

لاحِظ أيضاً *بزوغ الفجر الأخير* للدينونة (7:11-16). لقد أعطيّ التاريخ الدقيق-"فِي سَنَةِ سِتِّ مِئَةٍ مِنْ حَيَاةِ نُوحٍ، فِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ". في ذلك اليوم ـانفجرت كُل ينابيع الغمر العظيم وطاقات السماء فُتِحَت "وَكَانَ الْمَطَرُ عَلَى الأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً." هل كان فجر ذلك اليوم مُشرقاً ومُشمساً كأي يومٍ مضى من قبل؟ أم بدأ الناس يستيقظون من فراشهم على روعة قصف الرعد وهطول المطر المُفاجئ والمُرعِب، المطر الذي دام هطوله حتى فاضت الأنهار ضِفافها واندفاع المّد الغاضب من البحر؟ أم كان هناك رذاذٌ قليل في البدء وتَلَبُد الغيوم بالسماء؟ لم يُقال لنا، كُل ما نعلمه أن الساعة الغامضة لمشورة الله الأزلية دّقت، وعندها كُل الخليقة من الأعلى والأسفل نهضت لتعمل دعوة الله وتُنظف كوكباً لُطِخَ بالقذارة من قِبَل رجال فاحِشين.

2. مُجمَلَها (7:17-24)

أولاً المياه تزايدت ورفعت الفُلك، ثم سادت المياه وزات بعظمة على الأرض وأخيراً سادت إلى حدٍ بعيد حتى أن "فَتَغَطَّتْ جَمِيعُ الْجِبَالِ الشَّامِخَةِ الَّتِي تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ.". يختلف الباحثون على عالمية الطوفان، حتماً لُغة السرد تتبنى فكرة غمر الكوكب بشكل كامل. بالطبع حسب استطاعة نوح للرؤية، قد غُمر كُل العالم تحت مياه الدينونة. لا نعلم إلى أي حد عدد السكان لسابقي عهد الطوفان قد انتشر على الكوكب، ولكن لا بُد أن الطوفان كان عالمياً.

مياه الطوفان أتت بسرعة خلف عِرقٍ هاربٍ وهي تسوق رجالاً إلى أرضٍ أعلى وأعلى ثم حتى قِمم الجِبال غُمِرت إلى عمق خمسة عشر ذراعاً. ثم دار الكوكب في الفضاء مغسولاً من بَحرٍ لبحر بثمانية أشخاص فقط على قيد الحياة، مَقذوفين هنا وهناك إلى العُمقٍ

المُتَقَلِبِ. "وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ عَلَى الأَرْضِ مِئَةً وَخَمْسِينَ يَوْمًا." (24:7). لمدة خمسة أشهر كاملة غمرت المياه البحر بينما نوح وعائلته شكروا الله على خلاصٍ أبقاهم آمنين خلال هذه كُلها.

3. عالمٌ مُعافيٍ حديثاً من الدينونةِ (8:1-29:9)

تعلو أبراج جبل أراراط 16,254 قدماً نحو السماء، رُبما كان آخر ملاذ على الأرض للجموع الهاربة والمستعجلة والمذعورة مُتسلقة الانحدار المرتفع مُلاحقة من ارتفاع الجزر اللا هِوادة به. القِمة العظيمة التي أخيراً رسا الفُلك عليها تقف في منتصف المسافة بين جبل طارق وبحر قزوين، ونصف المسافة بين رأس الرجاء الصالح ومضيق بيرنغ. لقد أصبحت المحور الجديد الذي منه ستنتشر أعراق الجنس البشري لتُعيد إسكان الكرة الأرضية.

والآن وبعد أن استهلكت العواصف ثورتها في العُمق العظيم، عَامَ الفُلك فوق أراراط وتَقَلب بِرِفق جيئةً وذهاباً وأعطيَ مكاناً ليهدأ عليه. كان العالم ميتاً وصامتاً من كُل الجهات، كُفِّن من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب على مدى مدّ النظر بنفاية مائية. قبلاً، عالم أُغرِق؛ لاحقاً، عالم غُسِل حتى النظافة؛ الجسم المرئي الوحيد هو فُلكٍ مُعزل يتأرجح في مهد العُمق. وهذا يفتح القسم الثالث والأخير من قصة الطوفان.

أ. نوح يَتَلَكأ (8:1-5)

تمالك نوح روحه بالصبر بينما هم مدفونين في الفلك ينتظر ريثما *يَتَذَكَرَ الله* (8:1-2) حيثُ نقرأ: "ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ نُوحًا". المعنى المجازي المستخدم هو آنثروبوباثيا (Anthropopatheia) (نسب صفات بشرية لله)، هنا مشاعر وإختبارات بشرية تُنسب لله. كما وكأن من المُمكن أن الله ينسى! إنها طريقة حساسة ومُحبة لإحضار محبة وحنان الله لخادمه أمامنا. وبالطبع حنوّ اهتمام الله كان مُمّتداً لجميع المخلوقات التي كانت في الفلك. كم كانت الأيام والأسابيع والأشهر تبدو بلا نهاية بعد هبوط الصمّت والتفاف المياه بغير انقطاع من حول الفلك. هل نسيَ الله؟ هل كان الاختبار سيدوم إلى الأبد؟ لا، الله تذكر.

انتظر نوح حتى تذكر الله وبينما *انحسر الطوفان* (8:3). مياه الدينونة انحسرت ببطء لمدة مائة وخمسون يوماً، خمس شهور كاملة. احتاجت أربعون يوماً فقط لتُغطي الأرض، ولكن قبل أن يستطيع نوح ومن معه أن يخرج عبرت سنة كاملة. الله ليس على عجلة أبداً، لقد كانت إرادته أن تكون الأرض جاهزة بشكل كامل للمُخلصين وكُل آثار غضبه تكون قد مُحيّت قبل أن يُسمح لهم أن يخرجوا من الفلك، لذا نوح انتظر.

انتظرَ بينما *رسا الفُلك* (8:4-5). تم إعطاء التاريخ الدقيق عندما هبطت أخيراً المركبة الضخمة على أرضٍ صلبة، لقد كانت "فِي الشَّهْرِ السَّابِعِ، فِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ"، ربما دوّنَ نوح التواريخ المهمة في دفتر مُلاحظاته. أكيد إنها ليست بصدفة أن الرب يسوع قام من الأموات في ذات اليوم في ذات الشهر[12]. بعد العبور بمياه الدينونة وقف المسيح في القيامة على الأرض، وهكذا نجد راحتنا به وليس بالسبت اليهودي.

ب. نوح يَختَبِر (8:6-14)

بحث نوح ثلاث مرات ليجد كيف كانت الأمور تتطور على الأرض. أولاً بعد الانتظار بصبر أربعين يوماً بعد رسوّ الفلك، فتحَ الطاقة وأطلق سراح طيرين، غُراب وحمامة. وجد الغُراب الكثير ليُشبع نفسه كونه طير لاحم وكان راضٍ حتى أن يبقى بدون الفُلك. أما الحمامة بطبيعتها المختلفة لم تجد بعد مكاناً على الأرض للراحة الدائمة لذا عادت إلى نوح. جرّبَ مرة أخرى بعد أسبوع وفي تلك المرة عادت الحمامة ومعها ورقة زيتونة. لابُد أنها كانت بهجة للثمانية أشخاص في الفُلك، ولابُد أنهم مَرَّروا ذلك الرمز الحيّ من يد لأخرى ببهجة. انتظر نوح أسبوعاً آخر بصبر ثم جرب مرة أخرى، وفي تلك المرة لم تعد الحمامة. يقترح تِكرار السبوت المتصلة بذلك القسم من القصة بأن نوح كان يتصرف بمُمارسة روحية تقيّة عميقة، وليس اعتباطاً أو من نزوةٍ. لابُد لمُمارسة روحية كهذه أن تكون بشيراً حسناً للبداية الجديدة التي ستبدأ على الأرض الجديدة. الحادثة كَمُجمل توقعت وصول العصر الألفي بطرق مختلفة.

رفع نوح "الْغِطَاءَ" بعد مُدة من على الفُلك ونظر للخارج، مرة أخرى يُقَدَم التاريخ بدقة، كان اليوم الأول من الشهر الأول لسنته السُتُمائة وواحد (8:13). والآن وعلى مدّ النظر أصبحت الأرض ناشفة، وبالتأكيد يستطيعوا الآن أن يخرجوا من الفُلك، لكن لا. يبقى الباب قفولاً بإحكام لمدة ستة وخمسين يوماً أخرى، ثمانية أسابيع أخرى. وكان نوح يستطيع أن ينتظر، فقد كان الله معه في ذلك الفُلك. لم يَكُن الهدف أن يعمل الأفضل بما لديه، بل أن يعمل الأكثر مما لديه. أن يكون مغلقاً عليك مع الله-كيف سيتآكل الجسد ويُجهَد في وضعٍ كهذا، ولكن لابُد للرجل الروحي أن يبتهج، لم يكن الوقت طويلاً ولا حتى دقيقة واحدة طويلاً.

12. في خروج 2:12 تم تَغير الشهر السابع إلى الشهر الأول (المعروف لدى اليهود بأبيب أو نيسان). في اليوم العاشر من ذلك الشهر أمنوا خروف الفصح، ذبحوه في اليوم الرابع عشر. قام الرب يسوع من الموت في اليوم السابع عشر.

ت. نوح يَثِق (8:15-9:17)

1. أمر الله لنوح (8:15-19)

وأخيراً اليوم العظيم لفتح باب الفُلك قد أتى، والخِبرة الجديدة بدأت بأمر الله لنوح. "وَكَلَّمَ اللهُ نُوحًا قَائِلاً: اخْرُجْ مِنَ الْفُلْكِ أَنْتَ وَامْرَأَتُكَ وَبَنُوكَ وَنِسَاءُ بَنِيكَ مَعَكَ." بينما كان الله أول من دخل الفُلك، كان الأخير ليخرُج منه. في السنة الأولى من قَرنِه *السابع*، بَرَزَ نوح إلى أرضٍ جديدة في سبتِ راحةٍ من عملٍ منتهٍ. أيضاً لم تُنسَ الحيوانات، أمر الله الرؤوف ضمنتهم مع الأمر الأولي "وَلْتَتَوَالَدْ فِي الأَرْضِ وَتُثْمِرْ".

بناء مذبحاً هو أول شيء فعله نوح وليُقَدِس الأرض الجديدة من خلال تَقديم واحدة من كُل البهائم الطاهرة والطيور في مِحرقة التقدمة العظيمة. لم تكن التقدمة للخطيئة، لأنها ستأتي لاحقاً، كانت تلك التقدمة جميعها لله، لقد كانت فيضَ قلبٍ ملآن، الذي أراد أن يُعَبر عن التقدير للخلاص الكامل والمجاني. كانت كنموذج لتقديم أمام الله أسما وأقدس جانب من موت ابنه. المفترض أنه نادِراً ما قد تَمّ التقديم لله تقدِمة سخية بالنسبة لما يقدِر عليه العابِد أن يُقَدِمهُ، وأصبحت أساس عهد الله مع نوح. ستكون نظرة الغير مؤمن لعمل نوح الأول مُستهجنة، يا لهُ من إتلاف! ي لها من فظاعة! يا لها من طريقة وحشية لبدأ الحياة على الأرض. بمعرفة الله الكاملة لقب الإنسان (8:21)، كان راضياً تماماً على العمل المخلص والمؤمن لنوح.

2. عهد الرب مع نوح (8:20-9:17)

تكلم الله بالسِّر لنفسه أول شيء كما وكأنه جواب على ذَبيحة نوح (8:20-22). صَعِدَ عطر تقدمة نوح إلى الله وقال في قلبه "لاَ أَعُودُ أَلْعَنُ الأَرْضَ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الإِنْسَانِ، لأَنَّ تَصَوُّرَ قَلْبِ الإِنْسَانِ شِرِّيرٌ مُنْذُ حَدَاثَتِهِ .وَلاَ أَعُودُ أَيْضًا أُمِيتُ كُلَّ حَيٍّ كَمَا فَعَلْتُ." تعهد في قلبه أيضاً أن الفصول سوف تأتي وتذهب دون تَدَخُل من الأعلى.

ثم *تكلم الله بسيادة* واضعاً أمام نوح شروط الاتفاق الجديد التي ستُغطي الحياة على الأرض الجديدة (9:1-17)، أولاً كان هناك شروط عامة مُعينة للعهد (9:1-7). يومٌ جديد قد بزغ، إحدى العوامل المُساهمة التي أدت إلى الطوفان كانت الرخصة المطلقة العنان للإنسان أن يُخطئ لم يَكُن هناك قانون ونظام ولا كابح للإنسان عن الجريمة. كُل هذا سيتغير الآن، بالإضافة أنه قبل الطوفان كان الإنسان مقيداً بنظام غذائي نباتي، هذا أيضاً سيتغير. كان هناك أسباب صالحة للتعديلين في تَوَلي الإنسان حكم الكرة الأرضية، لا شروط النظام الغذائي ولا النظام الانضباطي للعهد النوحَويّ تم إلغاؤهم لسبب بسيط، أن الأوضاع التي صُمِموا لضبطها مازالت على الأرض "كُلُّ دَابَّةٍ حَيَّةٍ تَكُونُ لَكُمْ طَعَامًا".

> لا يبدو أن أجسادنا سجنٌ، ولكن حِصنٌ ومُبدَع لدرجة مُعينة لغرض إيوائنا من التأثير الفاسد للشياطين. في وضعه الطبيعي يصد بشكل فعال اعتدائهم الصريح والعنيف: ولكن إن عانينا مرة سقوط السياج لن نعود قادرين على ترميمه، ومن ذلك الوقت أصبحنا مكشوفين لهجوم الأعداء الخبيث.
> على سبيل المثال إنه من الواضح أن الشخص من المُمكن أن يُفتن للمرة الأولى بدون إرادته؛ وعندما تحدث حالات كهذه على أغلب الظن أنها تُنسب لضعف ما خاص، وليس من النادر أن تعود إلى خطيئة ما خاصة. ولكن إذا تم الخضوع مرة واحدة، من الصعب أن تُسحَب: وكل مُمارسة جديدة للقوة على ذات المريض يَزيد تأثيرُها.
> لذا في حالة العلاقة مع الشياطين، القليلون هم الذين يستطيعون أن يُصبحوا وسطاء دون مُثابرة، ولكن عندما يتم إنشاء تواصُل، الأرواح مستبعد أن تتنازل عنها، وهي مُتَعودة أن تَضطهد الذين، أصبحوا الآن مُدركين خطيئتهم ومُصممين بنعمة الله أن لا يتعدوا بعد[13].

البعض يؤمن أن إحدى السُبُل التي أعطانا إياها الله لحمايتنا من قِوى الشياطين هي حمية اللحوم، قبل الطوفان لم يأكل الإنسان اللحم. كانت العلاقة الجنسية بين "أولاد الله" وبنات الإنسان العامل الهام في استعجال الطوفان، العلاقة التي أدَت إلى ذُرية شيطانية ذات نفوذ غير طبيعي. رُبما لتضع حاجزاً ضد حدوث ذات الشيء مرة أخرى، أمر الله بتغير النظام الغذائي بصفة جذرية، أمر بأكل اللحوم. يعتقد جي أيتش بيمبير "ليس من المستحيل أن السماح لأكل اللحوم أعطيَّ فوراً بعد الانتهاك-الملائكي، ربما قُصِدَ به تقديم الإنسان على أنه أقل قدرة على الإدراك والعلاقة الذكية مع الكائنات الما فوق الطبيعة، وبالتالي أقل كشفاً لحيلهم. وإن كان ذلك، فالرغبة بالانسحاب من قِبَل الشياطين يمكن فهمه بسهولة". إن إحدى علامات الارتداد في اليوم الأخير "وَلكِنَّ الرُّوحَ يَقُولُ صَرِيحًا : إِنَّهُ فِي الأَزْمِنَةِ الأَخِيرَةِ يَرْتَدُّ قَوْمٌ عَنِ الإِيمَانِ، تَابِعِينَ أَرْوَاحًا مُضِلَّةً وَتَعَالِيمَ شَيَاطِينَ... مَانِعِينَ عَنِ الزِّوَاجِ، وَآمِرِينَ أَنْ يُمْتَنَعَ عَنْ أَطْعِمَةٍ قَدْ خَلَقَهَا اللهُ لِتُتَنَاوَلَ بِالشُّكْرِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَعَارِفِي الْحَقِّ." (1تيموثاوس 4:1-3). ليس للحمية النباتية مُذكرة كتابية، الرب يسوع أكل اللحم، حتى في جَسَدُه المُقام (لوقا 24:41-43).

لم تتعامل الشروط العامة للعهد النوحويّ مع الحمية فقط ولكن مع الانضباط أيضاً. أعطيَّ الأمر أن القاتل يجب أن يُعدَم (9:6)، وهذا القانون لم يُلغَ أيضاً. من الواضح في رومية 13:4 أن حق الحكومة في إعدام المُجرم هو مازال مرسوماً إلهياً. قُدسية حياة الإنسان مؤسسة على الحقيقة أن الإنسان صُنعَ من قِبَل الله على صورته، ولهذا السبب القاتل يجب أن يُعدَم من قِبَل المُجتَمَع.

13. G.H. Pember، العصور الأولى للأرض ووضعهم مع الرواحانية العصرية والتصوف، 14th ed. (London: Alfred Holness, n.d.), p. 256

مع الشروط العامة للعهد كان هناك *شرط عظيم*، بالتحديد أن الله لن يعود ويغمُر العالم بطوفان عالمي مرة أخرى (9:8-17). وكرمز لذلك العهد لفت الله نظر نوح لقوس قُزح "وَضَعْتُ قَوْسِي فِي السَّحَابِ فَتَكُونُ عَلاَمَةَ مِيثَاقٍ بَيْنِي وَبَيْنَ الأَرْضِ. فَيَكُونُ مَتَى أَنْشُرْ سَحَابًا عَلَى الأَرْضِ، وَتَظْهَرِ الْقَوْسُ فِي السَّحَابِ، أَنِّي أَذْكُرُ مِيثَاقِي أُبْصِرُهَا لأَذْكُرَ مِيثَاقًا أَبَدِيًّا بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ كُلِّ نَفْسٍ حَيَّةٍ فِي كُلِّ جَسَدٍ عَلَى الأَرْضِ." يا له من رمز جميل القوس قُزَح، قوسه مُنحني نحو السماء، ولكنه قوسٌ دون سهمٍ؛ فالسهم قد سبق وأستهلك.

ث. نوح يَكدَح (9:18-23)

ثماني أشخاص خُلِصوا من دمار ذلك العالم السابق للطوفان؛ ثمان أشخاص تَرَجّلوا من الفُلك تحت مظلة عهد جديد. يتم ذكر نوح على أنه أب (9:18-19)، لأن نوح وأولاده هم رؤوس العِرق البشري الجديد. أصبح نوح آدم الثاني للبشرية، ويُذكر أسماء أولاده الثلاثة مرة أخرى وتعطى تقريباً دائماً الأسماء سام وحام ويافث-في ذات التسلسل. في الحقيقة أن يافث هو الأكبر (10:21) وسام هو الأصغر، ولكن يأخذ سام الأسبقية على الإثنين الآخرين. لقد أتى الرب على الأرض من سُلالة سام، لهذا السبب يأخذ الأصغر الأولوية.

أسماء أولاد نوح مثيرة للاهتمام، يُعتُقِدَ أن أسم رأس كُلٍ من الأعراق الثلاث للجنس البشري قد أتيَّ من لغة العِرق الذي يُمَثِلُهُ. وبالتالي سام بالعبرية يعني "مجد" أو "شُهرة" أو "الاسم". "حام" مُعادلاً للكلمة التي سمى المصريون بلدهم بها، كيم، والتي تعني "أسود". "يافث" مأخوذة من كلمة باللغة الآريونية تعني "رئيس العِرق"[15].

الشيء المُمَيز بحام أنه كان "أبو الكنعانيين"، بالطبع هذا يؤهلنا لِما سيأتي بعد ذلك. حقيقة أن حام كان أبوا الكنعانيين احتل اهتمام رئيسي للإسرائيليين بما أن ذلك العِرق الذي لُعِن اعترض دخولهم إلى أرض المَوعِد. من الموحى به أن كنعان كان ابن حام الأصغر (10:6)، ويُمكن الاستنتاج من ذلك أن الحادثة جرت بعد سنوات من الطوفان.

الآن يوصَف نوح بأنه *مُزارع* (9:20)، كان فلاحاً (تعني الكلمة "رجُل الأرض"[16] أي أنه رَجُل قد وضع نفسه للفلاحة)، وبالأخص فلاحة الكروم ومازال يُعتقد أن أرمينيا هي موطن الكروم.

ثُم يُذكر عن نوح بأنه *فاشل* (9:21-23)، شَرِب من الخمر حتى ثَمُل وفي غَيبوبته كشف عن عُريه بطريقة مخجلة[17]، لتكون سبب تسلية لحام.

ليسَ مَعلوماً المدى الكامل لخيانة حام، لكن على كُل حال لم يكن لديه الأدب الطبيعي حتى أنه عندما نظر لأبوه وهو عارٍ ومُعابٌ، ذهب لِيُذيع الخبر لأخوته بدلاً من أن يَستُرَهُ. بالتالي سلوكُه هذا جلب عدم رضى أبوه الصامت على رأسه وعلى رأس ابنه لعنة مُدوّية. عندم سَمِعَ سام ويافث بعار أبيهما ستراه ولِيُراعيا شعور أبيهما بقدر استطاعتهما مشا إلى الوراء لكيلا يَنظرا إلى عارهِ. من تلك الحادثة نبعت إحدى أروع النبوءات في الكتاب المقدس.

ج. نوح يَشهَد (9:24-29)

استيقظ نوح من نومه الثَمِل واكتشف الذي حدث، ومن خلال بصر نبوئي رأى بلمح البصر المغزى البعيد المدى لسلوك ابنه وروح التنبؤ حلَّ عليه. شَهِد بشفتيه وحياته (9:25-27) "فَقَالَ: مَلْعُونٌ كَنْعَانُ !عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ. وَقَالَ: مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ سَامٍ .وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ. لِيَفْتَحِ اللهُ لِيَافَثَ فَيَسْكُنَ فِي مَسَاكِنِ سَامٍ، وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ".

لماذا أُختير كنعان لهذه اللعنة الخاصة؟ عَبَرَ نوح عن خطيئة حام بصمت تام لأنه بذلك النطق النبوئي العظيم لم يكن لديه شيء ليقوله بما يخص الأُمم من ناحية الشعب الحاميّ على الإطلاق[18]. لقد تجاهل أيضاً كُل أولاد حام الآخرين وركز على الأصغر الذي لعنه بالمُجمَل، ليس بالعاطفة والذم بال بالنظرة الرائية البعيدة القادرة أن ترى النهاية منذ البدء. من الممكن أنه بما أن حام قد باركه الله (1:9) لم يكن من الممكن أن يُلعن من نوح. ومن الممكن أن الأب قد تأدب بالابن بحسب العمل الظاهري للقانون الإلهي (خروج 5:20). وربما بطريقة ما لم تُسَجَل كان لكنعان يد في البهجة الشريرة للأب في عار نوح. على أغلب الظن أن نوح تحت وحيّ الرؤية النبوية استطاع أن يرى فظاظة ووقاحة حام تعمل به بالكامل في لؤم ووساخة قبائل الكنعانيين في الأيام المستقبلية، وعلى كُل حال كنعان قد لُعن.

قد عُبِرَّ عن الحاميين من قِبَل نوح وهكذا افتقروا للبركة. من بعد الانفجار الازدهاري اللامع، بالأخص تحت نمرود والحضارة المصرية، نرى عبر معظم تاريخ الحاميين وبشكل مُتَفَرَدْ قد افتقدوا العظمة. بالأخص الشعب السود قد سُخِروا تحت نير الاضطهاد والاستغلال.

15. ماركوس دودس، كتاب التكوين (Edinburgh: T. & T. Clark, n.d.)، ص.43
16. قارن "رجُل الحرب" (جُندي)، يشوع5:4؛"رجُل الدماء" (قاتِل)، 2صموئيل7:16؛ "رجُل المواشي" (راعي)، تكوين32:46؛ "رجُل الكلمات" (بليغ)، خروج10:4
17. دفاعاً عن نوح، من الممكن أن يُجادل بأن نوح لم يكن يعلم قدرة عصير العنب المُخَمَر، من الممكن أن الأوضاع المناخية الجديدة بعد الطوفان أصبحت مُختلفة عن الأوضاع التي سبقت. ذات النبيذ الذي تم ذِكرُه هنا للمرة الأولى في الكتاب المقدس هو ذات سمعة سيئة. لقد أنتج الثَمل والعار وأحضر للسطح المشاعر المنحطة التي ارتفعت في نفس حام.
18. هذه ستُحطم فكرة أن الله بطريقة ما لعن الشعب الأسود، لقد لعن كنعان وليس حام.

بورِكَ الساميون من قِبَل نوح، وقِمة البركة هي أن يهوا سيكون إله سام. الشعب السامي سيستخدمه الله كقناة للبشر لكِلى رؤية الله وخلاصه.

سيصبح يافث بانٍ للإمبراطوريات ولحد بعيد سيأتي بطريقة خاصة ببركة روحية لسام. كان يافث أباً للأعراق الإغريقية (يافان) للرومانية والفُرسية والألمانية. العرق الآري العظيم يافثي الأصل، إنهم الشعب الذي لآلف سنة امتلكوا مصير الإنسان بيدهم.

لابد أن المُشَكِكين القُدامى ولعصور كان لهم يوماً فرحاً بهذه النبوءة لأن التاريخ بدأ بالانكشاف وبدا أن العكس بدأ يأخذ شكله. لم يكن الشعب اليافثي بل الحامي والشعب السامي اللذان احتلوا المُلك على مصير الإنسان. كان نمرود الحامي هو أول من أصبح بانٍ للإمبراطورية، وكانت مصر وبابل وأشور هم من ازدهروا. حتى قرطاج المُنافس القديم لروما لم يَكُن يافثيّ بل حامي لأن مستعمرة صور والفينيقيين كانوا من الشعب الكنعاني.

لمدة آلفين سنة بقيَّ الشعب اليافثي في الخلفية، ولكن أخيراً دقت ساعتهم. "تحت سيرس الفارسي، دخل العِرق اليافثي الحلبة بقوة مُنتصرة. بابل السامية سقطت واليافثيين أصبحوا أرباب الشرق الأوسط، ومنذ ذلك الوقت لم يستطع عرق سامي أو حامي أن ينجح في كسر السيادة العالمية لليافثيين[19]" "فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ قُتِلَ بَيْلْشَاصَّرُ مَلِكُ الْكَلْدَانِيِّينَ" (دانيال 30:5) هو أكثر من علامة تاريخية، تُعَلِمْ السقوط الحاسم للحكم العالمي للحاميين-ساميين ومجيء يافث ليَملُك.

وهكذا تنتهي قصة الطوفان، وهكذا تبدأ قصة بُرج بابل.

19. أنظر أريتش سور، فجر فداء العالم (London: Paternoster, 1951).P. 77

الفصل الرابع - التحَالُف (110-32:11)

1. سلطة إلهية (10:1-11:9)
   أ. اكتمال تشتيت الإنسان (10:1-32)
      1. العِرق اليافثي (10:1-5)
         أ. المُقَدِمة (10:1)
         ب. المؤسسين (10:2)
         ت. العائلات (10:3-5)
      2. العِرق الحاميّ (10:6-20)
         أ. أسماء جديرة بالذكر (10:6-7)
         ب. نمرود الجبار (10:8-12)
         ت. الجيران القريبين (10:13-20)
      3. العِرق السامي (10:21-32)
         أ. السُلالة المُلوكية (10:21-25)
         ب. سُلالة ذات نَسَب (10:26-31)
         ت. ختام (10:32)
   ب. سبب تشتيت الإنسان (11:1-9)
      1. موادهم (11:1-3)
      2. منهجهم (11:4أ)
      3. دافعهم (11:4ب)
      4. خطأهم (11:5-9)
2. نعمة إلهية (11:10-32)
   أ. شجرة عائلة إبرام (11:10-26)
   ب. روابط عائلة إبرام (11:27-32)
      1. إبرام الشخص (11:27-30)
      2. إبرام المُهاجر (11:31-32)
         أ. الخطوة الأولى (22:31أ)
         ب. الوقفة الأولى (11:31ب-32)

4

التحَلُّف

1. سلطة إلهية (10:1-11:9)

تاريخياً تسبق قصة بابل جدول الإثنولوجيا المُقدّمة في تكوين 10. يُقَدِم لنا الجدول العرقي اكتمال التَشَتُّت للعائلات المُختَلِفة للجنس البشري؛ وقصة برج بابل تُقدم سبب ذلك التَشَتُّت.

جدول الشعوب هو أقدم مُحاولة لتفسير بطريقة مُجَدولة التوزيع الجيوغرافي للجنس البشري، وهو مُتَزِن إثنولوجياً. تَقَسِم الجنس البشري إلى ثلاث أعراق أساسية: سامية وآرية وطورانية، يُعَين موسى عائلة هنود-أوروبا لأولاد يافث، وفي ذلك يأخُذ الأعراق الرئيسية في أوروبا والعرق الآسيوي الآريوي العظيم. يَشمُل في العائلة السامية الآشوريين والعبرانيين والعرب القحطانيين. ويَشمُل في العائلة الحامية المصريين والأثيوبيين والعرب الجنوبيين والبابليين الأوائل.

يبدأ جدول الشعوب بالقبيلة *اليافثية*، ليس فقط لأن يافث كان الأكبر بين أولاد نوح بل لأنهم كانوا الشعوب الأكثر استبعاداً عن المركز الجيوسياسي لفلسطين، البلد الذي دائماً وضِعَ في قلب جيوغرافيا الكتاب المُقَدَس. يتعامل الجدول بتفصيل كبير مع الشعوب الحامية، مع المصريين والكنعانيين والعرب واستغلال نمرود بشكل خاص الشخصية الظليلة خلف بناء بابل. ويُدَون الفَصِل بين الشعب السامي والمُنحَدِرين الأُخر من نوح ويُقَدِم اهتمام خاص لسُلالة المَسِيَّ التي تقود لإبراهيم. بسيادة الله المُطلقة كما يتَجَلىّ في الإصحاح العاشر، نقل الله الشعب اليافثي إلى الشمال من حيثُ انتشروا قبلاً شرقاً باتجاه أوروبا وغرباً باتجاه الهند. ونقل الشعوب الحامية للجنوب، وأعطى المنطقة الوسطى لسام، مُتوّجاً إياها جميعها في وقتٍ لاحق بإعطاء إسرائيل الأرض الوسطى بين جميعها. القارات الثلاث العِظام أفريقيا وآسيا وأوروبا كُلُها تأتي إلى نقطة ارتكاز مُشتركة على المُقاطعة الاستراتيجية المُوعودة لإبراهيم بين الفُرات والنيل.

أ. اكتمال تشتيت الإنسان (10:1-32)

1. العِرق اليافثي (10:1-5)

في تعامُل الله الحكومي مع الجنس البشري، تأكد لله من أن الأعراق قد تناثرت حول الكُرة الأرضية. كان القصد من الإرباك للنطق البشري في بابل لإجبار الشعوب بالانفصال والإسراع بتوزيعهم على وجه الكوكب. يبدأ جدول الشعوب *بالعرق اليافثي*، بالإجمال يتم إدراج ثلاثة عشر عائلة يافثية وثلاثين عائلة حامية وستة وعشرين عائلة سامية مما يجعل المجموع سبعين عائلة.

أولاً يتم إدراج *مؤسسيّ* الشعب اليافثي، بالبدء *بجومر*. كثيراً ما يُعرَّف أحفاد جومر بالكيميروين الذين كانوا أول من استقر على شواطئ بحريّ الأسود وقزوين والذين فيما بعد انتشروا في أوروبا وحتى الأطلسي تاركين علامات لوجودهم في ألمانيا والويلز[1]. يتلو ذلك *ماجوج*، شعبه كان عنيفاً ومُحارباً حُكِمْ من قِبَل أمراء حملوا تسمية ملوكية "يأجوج" (بالمقارنة مع "فرعون" و"قيصر")، أُعتُقِدَ أن أحفادهم هم السكوثيون ومقاطعتهم هي القوقاز، اليوم نُعَرِّفهم بالروس. *ماداي* هو الأب المؤسس الثالث المُدَرج اسمه، يُعتَقَد أن أحفادُه هم الميديون، ومُقاطعتهم مُرتَبِطة بجنوب غرب شاطئ بحر قزوين. أصبح *ياوان* أباً للشعب الإغريقي. وجد *توبال وماشِك* وطنهم في جنوب أرمينيا ويُعَرّفون اليوم أيضاً مع الروس. يُعتَقَد أن تيراس هو سلف التراقيون أو من قبائل مُعينة الذين وجدو وطنهم حول طوروس.

بعد إدراج سبعة من الآباء المؤسسين يُتابع السرد ليصف سبع *عائلات* مُؤسِسة بادياً بأولاد جومر. سُميَّ الأول أَشْكَنَازُ، يؤمن المُعلقون اليهود أن أحفاده أوجدوا ألمانيا، واليهود من ألمانيا ووسط أوروبا يُدعون أَشْكَنَازُ إلى يومنا هذا. قَدَمَ رِيفَاثُ أسمه لجبال الريفان في شمال القزوين. أحفادَ تُوجَرْمَةُ تُحدد هويتهم بشكل عام مع الفريجيون الكبادوكيون والأرمن والطورسيون الساكنون في القرم. إنه لشيء هام أن عدداً من هؤلاء الناس قد عُرِفوا مع العدو من قِبَل حزقيال، شعب ضد السامية يطفح من "أقصى المناطق من الشمال" لتنزل بمجموعة حروب على إسرائيل في الأيام الأخيرة (حزقيال 38-39). ماجوج وماشك وتوبال وجومر وتوجرمة جميعهم سيصبحون أعضاءً في الحلفٍ ضد الله في الأيام الأخيرة.

يتلو ذلك في البروز أولاد ياوان بدايةً من أليشة، يَعتَقِدُ البعض أن يكون إيليز البيلوبونيزي، ولكن على كُل الأحوال هو الشعب المِلاحي للسُلالة الأغريقية. تُعرف ترشيش في مُعظم الأحيان مع جنوب غرب الساحل الإسباني، أصبحت مشهورة في أيام الكتاب المُقَدَس على أنها ميناء هام وغني، ومن الناحية النبوئية "أقصى المناطق من الغرب"، العالم الغربي. تُعَرَف كيتّم مع قبرص ولكن مع شواطئ إيطاليا واليونان أيضاً. هوية دودانيم غير معروفة. إنه مُثير للانتباه أن الكثير من أولاد ياوان صّوروا من قِبَل حزقيال أنهم عارضوا غزو إسرائيل من قِبَل روسيا في اليوم القادم.

1. يُمكن الحصول على تأكيد من هوية بعض الشعوب والمُقاطعات. قد يختلف الباحثون على الأمور الأخرى.

يُغلق التصريح المُتَعَلِق بالشعوب اليافثية بمُلَّخَص (5:10) للأقسام الجيوغرافية والفيلولوجية والقبلية والقومية " للأُمَمِّيين" (الأغيار). هؤلاء هم الشعوب التي تولت السُلطة بعد سقوط بابل وحكمت العالم من بعد ذلك.

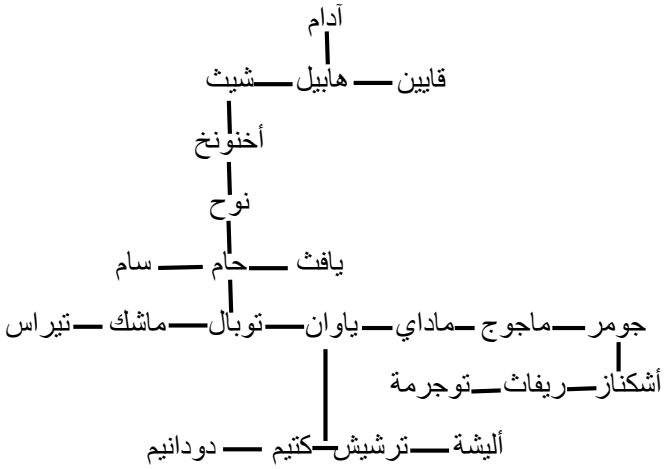

2. العِرق الحاميّ (10:6-20)

ثم يتحول الجدول إلى الأعراق الحامية. في فجر التاريخ البشري المُبَكِر كانوا هم الشعوب القوية والعدوانية، ومن بنى الإمبراطوريات الأولى والمُتحكمين بمصير البشر. لا بُد أنها بدت للمُشككين في العالم القديم أن كلمة الله النبوئية عن طريق نوح بخصوص اتساع يافث كانت على خطئ بشكل مُتَفَرِد. ليس كذلك، إن نبوءات الله كثيراً ما تكون طويلة المدى وتحتاج إلى وقت كي تنضُج. مع هؤلاء المُشككين القُدَمى لقد كان منظورهم هو المُخطِئ وليست النبوءة.

قائمة الحاميين تبدأ بأسماء جديرة بالذكر (10:6-7)، الأول هو *كوش*. من المُحتَمَل أن تكون المُستوطنة الأصلية لكوش في أعلى النيل، هويته تُحدد بشكل عام مع أثيوبيا، مع أنه يُعتَقَد أن بعض أحفاده هاجروا إلى العربية والبابلونية والهند. يُصَوّر الكتاب المقدس الكوشيين على أنهم سود (أرميا 23:13) وطويلو القامة (أشعياء 14:45).

مِصْرَايِمُ أوجد مِصر، الكلمة هي كلمة ثنائية وهي تتضمن كِلا من مِصر العُليا والسُفلى، المُمّتدة على طول ضفاف النيل. الاسم الأصلي لمِصر هو كيْم، اعتقد البعض أنها تُشير لحام. أوجد *فُوطُ* شعب ليبيا على الساحل الإفريقي. احتلَ *كَنْعَانُ* المُقاطعة التي حملت اسمه فيما بعد، وكانت مُقاطعة مِصريه لفترة من الزمن. ذُكر عَددٌ من أولاد كوش، الأغلبية منهم استقروا في البلاد بين البحر العربي والخليج الفارسي وغيرهم في أثيوبيا. يبدو أن سُلالة *سَبَا* احتلت نوبيا في شمال أثيوبيا. تم ذِكر أولاد حَوِيلَةُ بما كان أساساً مُقاطعة سامية بين البحر العربي والخليج الفارسي، كانت تلك المُقاطعة كبيرة بشكل كافٍ لاستيعاب الشعوب من كِلا العرقيّن الرئيسيين. يرتبط أولاد *سَبْتَةُ* بكِلا من أثيوبيا والعربية. سُلالة كِلا *رَعْمَةُ وَسَبْتَكَا* ترتبط بالخليج الفارسي، ذُكِر إثنان من أولاد رَعْمَة، رُبِطَ اسم *شَبَا* مع المدينة العظيمة في العربية واسم *دَدَانُ* مُرتبط مع الخليج الفارسي.

بعد ذِكر بعض من الأسماء البارزة في السُلالة الحامية، تتمركز الرواية الآن على *نمرود الجبار*. أنه شخصية غامضة ولكنه بلا شك شخصية قوية جداً، اسمه مأخوذ من *مارد* "أن يَتَمَرَد"، ويَبدو أنه المُحَرّك الأساسي خلف بناء بابل. أخذ نمرود سيف القضاء الذي وكِلَ عليه نوح وسُلالتِه وحوّلهُ لسيف الغازيّ المُستَعمِر. وأصبح أولَ إمبراطور وأول من بنى إمبراطورية في العالم، ومن حجم المساحة المُخصصة لاسمه في السُلالة الحامية فأنه على أغلب الظن كان أحد عمالقة العالم ما بعد الطوفان. لم يّذكُر الكتاب المُقَدَس اسمَ زَوّجَتِهِ ولكن نستنتج من مصادر علمانية أنها سميراميس السيئة السمعة، المرأة التي كانت أول من أدخلت عبادة الأوثان على الأرض وجعلت بابل البيت الأبدي "للأسرار". النظام الواسع للديانة الوثنية الذي بعد ذلك غمرَ بسرعة كُل الكرة الأرضية نَبَعَ من بابل[2].

نمرود "ابْتَدَأَ يَكُونُ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ" (10:8) حتى أنه أصبحَ بطلاً، ومَّكَنَ الرجال من أن ينفصلوا عن أغلال الدين الصحيح، الذي قيَّدهم بالله. وكان "جَبَّارَ صَيْدٍ أَمَامَ الرَّبِّ" (10:9)، الكلمة المُترجمة "أَمَامَ" تُقَدَم "ضِدّ" في بعض الإصدارات. قَامَ بحملته بروح التحدي وبنجاح واضح، كان نمرود حاميّاً، وبدون شك أن الناس في عصره نظروا إليه كبطل، الذي يستطيع أن يُخلصهم من مفهوم الديانة المُقَيّدة التي أُحيت من قِبَل سام المؤسِسِ التقيّ للعرق السامي.

2. لشرح كامل عن هذا أنظر ألكسندر هيسلوب، البابليتين Alexander Hislop, The Two Babylons (New York: Loizeaux, 1948)

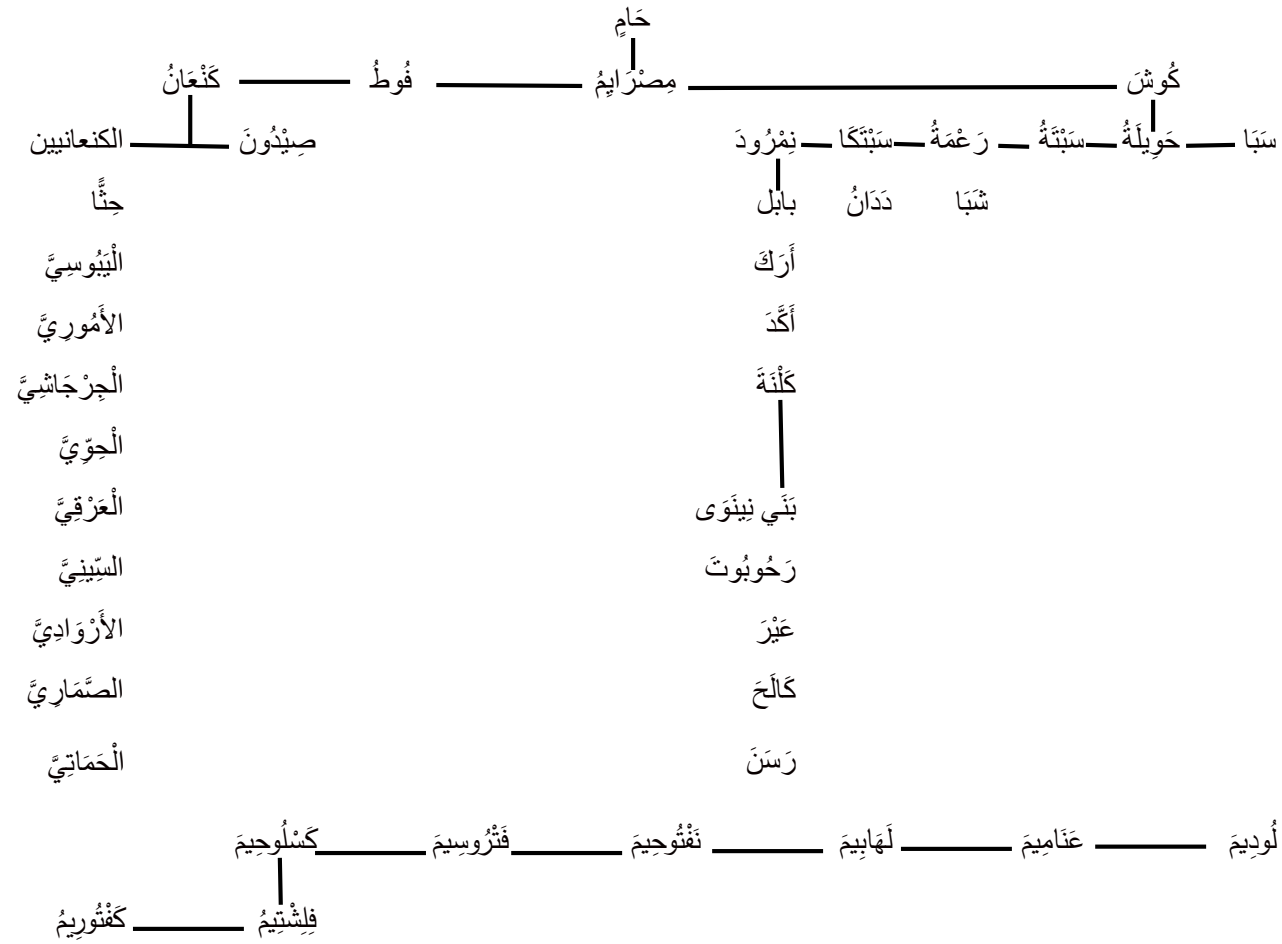

أسِسَت إمبراطورية نمرود في بابل-الكلمة سامية وتعني "باب الإله". بعد تَبَدُّد الشعوب، أصبحت بابل مدينة عظيمة تَحكُم على مَصِير الإنسان. أينما ذهب الإنسان كان يأخُذ معه النظام الديني الوثني السريّ البابلي. في وقت نبوخذنَصَّر كانت قد أصبحت مساحة المدينة 225ميلاً مربعاً. أرسل الله اليهود الوثنيين الراجعين عن إيمانِهِم إلى السبي في بابل حتى انه ربما هناك في موطن الوثنية يُشفون من الوثنية وإلى الأبد.

كان هناك ثلاث مُدُن لها صلة بفُتوحات نمرود: أَرَكَ وأَكَّدَ وكَلْنَةَ، واحدة في جنوب بابل والثانية في شمال بابل والثالثة في شمال شرق بابل. هذه المُدن مع بابل مّكّنوا نمرود من السيطرة على ما يطلق عليه النصّ "أَرْضِ شِنْعَارَ" (10:10) وهذه البابلية المُختلفة عن آشور.

والآن تظهر مدينة نينوى على الصفحات المُقّدسة. توحي نسخة الملك جيمز أن آشور ابن سام هو من أوجَّدَ تِلكَ المدينة العظيمة، ولكن تربط ترجمات أخرى تأسيس نينوى لنمرود. من خلال ضوء سياق النص يبدو أن الطريقة التالية للقراءة هي الأفضل: "(نمرود) خرجَ إلى آشور وبنى نينوى" (11:10). نمرود بحسب ذلك الإيحاء غزا آشور وتركَ علامته هناك كما فعل في البابلية. أصبحت نينوى بعد زمن المنافس لبابل، وأصبحت بعد سنين العاصمة المُرهِبة للإمبراطورية الآشورية الهائلة.

هناك ثلاث أسماء أخرى في النص مُرتَبِطة مع نينوى؛ رَحُوبُوتَ عَيْرَ وَكَالَحَ وَرَسَنَ. رَحُوبُوتَ معروفة، الكلمة تعني "مدينة الجادات" ومن المُعتقد أنه اسم وصفي لنينوى. من الصعب تحديد كِلاً من كَالَحَ وَرَسَنَ، البعض يعتقد أن المدينتين تُشيران إلى آشور، العاصمة القديمة لآشور؛ والبعض يعتقد أنهما يُشيران إلى ضواحي نينوى. على كُل الأحوال توصَف نينوى على أنها "مدينة عظيمة" (12:10)، الوصف الذي دام حتى أيام يونان.

وهكذا كان نمرود ومن خلال كُل علامة عالمية رَجُلاً عظيماً في أيامه، والنص المُقّدَس يُعطيه حَقَهُ كما كان. ثم يعود النص ليصف الشعوب التي خرجت من حام ويُرَكِز على *الجيران القريبين*، لأن كُل جدول الشعوب دُوّنَ من نقطة الاستشراف لإسرائيل. تُسرَد سُلالة *مِصْرَايِمُ* أولاً، وهم جميع الناس المُرتبطين بمِصر، والكاتب يُقَدِم مُلاحظة إضافية أن الفلسطينيين خرجوا من السُلالة المصرية، يُقال إن الكلمة " فِلِشْتِيمُ" مُستَمَدة من الأصل الإثيوبي الذي يعني "أن يُهاجر". سُلالة كنعان تُسرد آخراً، الأول والأهم منهم هو صِيْدُونَ

(15:10) الذي أسسَ أقدم مدينة كنعانية مع أُختها مدينة صور اللتين أصبحتا المركز التجاري والمِلاحي المشهورين. المُستَكشفون والمُستَعمرون الفينيقيون انطلقوا من هاتين المدينتين. قِرطاج العدو القديم لروما على الساحل الإفريقي كانت مُستعمرة لصور. وأسس *جِبًّا* دولة الحثيين. *اليَبُوسِيّون* امتلكوا أورشليم حتى أنتزعها رجال داود الجبابرة منهم. الأَمُورِيّون رَسَّخوا أنفسهم على ضفتي الأردن وعلى الجبال التي أصبحت فيما بعد ليهوذا. القليل أو حتى لا شيء يُعرف عن الْجِرْجَاشِيّين. كان *الْحِوِّيّون* قُرَويين أو "مستوطنين المُدُن". الْعَرْقِيّون وَالسِّينِيّون وَالأَرْوَادِيّون وَالصَّمَارِيّون مع الْحَمَاتِيّون يُكَمِلون لائحة القبائل الكنعانية. هؤلاء هم الشعوب ذوو الثقافة والديانة ذات الانحطاط حتى أن الله أمر لاحقاً بإبادتهم كُلياً.

3. العِرق السامي (10:21-32)

بعد أن تعامل مع الشعوب الأخرى، يُرَكِز موسى الآن على *العِرق السامي*. تَسرُد اللائحة إلى فَالَجُ ويَقْطَانُ اللذين في أيامهما حدث الانفصال الكبير للجنس البشري، بدون شك أن الإشارة هي عن إرتباك الألسن في رابيل. كان *عِيلاَمُ* أول أولاد سام الذي أستوطن مُقاطعة الجبال غربيّ البابلية. ثم يليه *آشور*؛ الذي أسس دولة آشور. يُقال إن منطقة أَرْفَكْشَادُ هي شمال آشور. المُنحدرون من *لُودُ* هم لآسيا الصغرى الليديون، بعد أن هاجروا إلى هناك من بلاد أقرب تعارُفاً مع سام. المنحدرون من أَرَامُ إستقروا في دمشق وبلاد الرافدين، وبالأخص الأربعة من سلالة أرام الذين ذُكِرَ اسمهم. أرض عُوصُ أستقر بها مَولوده الأول. كانت عوص مُقاطعة من الأراضي في جنوب شرقي فلسطين في الصحراء العربية، مشهورة بالمكان الذي عاش به أيوب. يُعتَقَد أن أولاده الأخرين حُولُ وَجَاثَرُ وَمَاشُ أستقرو في أرمينيا.

أَرْفَكْشَادُ بن سام الثالث هو الأكثر أهمية من كُل لائحة الشعوب لأن من خلاله *السُلالة المُلوكية* تقود إلى إبراهيم وهكذا إلى المسيح. لا يُعرف شيء عن شَالَحَ حفيد سام إلا أن اسمه يعني "امتداد" ربما يُلمِح على أنه أول المُستوطنين، أهميته تكمن في الحقيقة أن ابنه كان عَابِرَ أبو الشعب العبري. الاسم عَابِرَ يعني "المهاجرين"، المنحدرون منه أتوا من "الطرف الآخر من الطوفان" (الذي هو الفرات) إلى كنعان (يشوع 24:2-3، 14:15). كُل من ولديّ عابر الإثنين احتلّ مراكز عالية في اللائحة، اسم فَالَجُ يعني "تَقَسُّم" مُناسب بشكل كافٍ. انقسام الجنس البشري إلى شعوب ولعنة الألسُن في بابل قد احييت في اسمه. يترُك موسى في تلك النقطة السُلالة المُلوكية لفترة، ويُنهي جدول الشعوب بمُلَخَص *سُلالة ذات نَسَب* تجري خلال يَقْطَانُ.

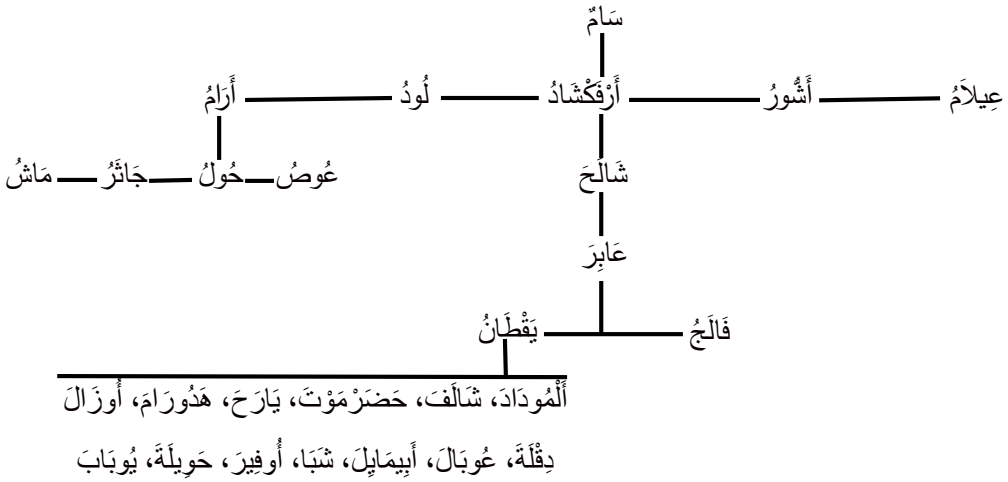

يُعتَقَد أن *يَقْطَانُ* هو أبو العرب، وقد تم سرد أولاده الثلاث عشرة. يُعتَقَد أن *أَلْمُودَادَ* من أوجد اليمن وأُوفِيرَ على الأرجح أوجد عُمان التي تقع على الخليج الفارسي، وجميع الأولاد الأخرون مُرتبطون بطريقة أو بأخرى مع العربية.

يُقَدِّم موسى في ختام جدول الشعوب مُلخصاً مُختصراً، "هؤُلاَءِ قَبَائِلُ بَنِي نُوحٍ حَسَبَ مَوَالِيدِهِمْ بِأُمَمِهِمْ .وَمِنْ هؤُلاَءِ تَفَرَّقَتِ الأُمَمُ [الكلمة تعني ‘عَطَلَتْ’ تشديداً على تعطيل الإنسان بالحكم] فِي الأَرْضِ بَعْدَ الطُّوفَانِ" (10:32). كُل الإصحاح يُشدد على اكتمال

تشتيت الإنسان والنتيجة المُحَّصَلة، ومع أن بعض تفاصيلها غير مؤكدة اليوم على أن التشتيت في جميع أنحاء العالم مؤكداً.

ب. سبب تشتيت الإنسان (11:1-9)

السبب الجزري لتشتيت الأمم هو بناء برج بابل، وعلى ما يبدو أن المشروع كان تحت رعاية نمرود. الهدف من بناء بابل كان دلالةً وتعزيزاً لوحدة العِرق، ليكون هناك "عالماً واحِداً". الفدرالية الأمَمِية الأولى في العالم وهي تُجَسِّد الأخيرة، لأن تاريخ البشرية يبدأ

وينتهي في بابل (رؤيا 17-18). كما كان هناك تَمَرُدٌ واقفاً خَلف بابل الأولى، كذلك سيكون هناك تَمَرُدٌ خلف الأخيرة. كما أول تَمَركُز لمُنظمة الأُمَم المُتحدة لكُل شيء في وِحْدَة ثقافية وسياسية ودينية، كذلك ستكون الأخيرة. في تكوين هنا كانت أول مُحاولة للإنسان في بناء مُجتمع يُستَبعد منه الله، ولكن الله يَرفُض أن يكون مُستَبعداً عن شؤون البشر، لذا وبناءً على ذلك نَزِلَ الله بحُكم على المشهد.

1. موادهم (11:1-3)

يُشير السَرد إلى نوع المواد التي ستبني المؤسسة العالمية، أربع مرات تتكرر كلمة "هَلُمَّ" (بحسب الترجمة الإنكليزية) في القصة. يستخدمها الإنسان ثلاث مرات والله يستخدمها مرة واحدة، المراجع الأربع تَروي قصة، قالوا أولاً: "هَلُمَّ نَصْنَعُ لِبْنًا وَنَشْوِيهِ شَيًّا" (11:3).

يبني الله بالحجر (1بطرس 2:4-8)، تُصوَّر إمبراطورية المسيح العالمية القادمة بأنها من الصخر (دانيال 2:34-35، 44-45). ولكن الإنسان يستخدم اللِّبْنُ " فَكَانَ لَهُمُ اللِّبْنُ مَكَانَ الْحَجَرِ، وَكَانَ لَهُمُ الْحُمَرُ مَكَانَ الطِّينِ" (11:3). اللبن هو ببساطة طين مُقّسى، رمزٌ مُناسب للجنس البشري. بكلمات أخرى، تِلكَ الإمبراطورية العالمية القديمة كانت إنسانية. لا يُمكن لشيء حقاً دائم أن يُصنع من طين مُقّسى والحُمَرُ. كل الأشياء البشرية لابُد أن تكون ذوات عيوب وسهلة المَكسر. الحُمَرُ المُستخدم من قِبل بنائي ذلك العالم القديم كان القار، مادة لاصقة مُتَصلبة. يا لهُ من تَبايُن بين الحجارة النفيسة للمدينة السماوية (رؤية 21:19) واللِّبْنُ والْحُمَرُ لبابل! الْحُمَرُ هو رمز كما اللِّبْنُ، يُذكِرانا بأن اللاصِق الذي سيستخدمه الوحش القادِم ليجمع معاً الأُمم لتشكيل إمبراطورية عالمية أخيرة والتي ستكون بذات المُساوات في العِناد ومُشابهة في الانحطاط. لم يُدعى اعتباطاً "برَجُل الخطيئة"، لأنه سوف يُوّحِد البشر بالشَر ويُقَيِّدهم معاً بوحدة لا إلهية حيث الفِسق مُمَجَد ومُتَوَّج.

بل لم يَكن كل شيء مُتعلق بالحُمَرُ فقط، هؤلاء البناؤون ما بعد الطوفان كانوا "لِسَانًا وَاحِدًا وَلُغَةً وَاحِدَةً" (11:1). بمعنى آخر كان لديهم وحدة ثقافية، فقد فكروا بالطريقة نفسها، وعبروا عن ذواتهم بمصطلحات مُتشابهة، وكانوا مُتَلَهِفين ليبقوها كذلك. تشابههم بالتفكير والكلام، ونظامهم الصارم في التعبير هو من نموذج واحد مع الجميع، وهي تُشير إلى مجيء إمبراطورية الوحش القادمة. نحن نستطيع أن نرى حالياً كيف أن الاتصالات المُكثفة لوسائل الإعلام تُنظم بصرامة تفكير البشر. تقنية غسل الدماغ قد أُتقنت لدرجة أن الصين، بثمانمائة مليون نسمة، استطاعت أن تُنتج بوقت قصير جداً لباس المعومان الموحد والجميع يَهتُف الشعارات ذاتها وجميعهم يقرأون ذات الكتاب الصغير الأحمر، الوحش سيُتقِن العملية ويَغسُل دماغ العالم.

2. منهجهم (11:4أ)

يَروي لنا السرد عن *المنهج* الذي اتبعه فيدراليو العالم الأول للوصول لهدفهم، "وَقَالُوا: هَلُمَّ نَبْنِ لأَنْفُسِنَا مَدِينَةً وَبُرْجًا رَأْسُهُ بِالسَّمَاءِ" (11:4). كانوا يُريدون الحصول على وحدة سياسية والمدينة رمزها، وكانوا يُريدون الحصول على وحدة دينية والبرج رمزها. التعبير " رَأْسُهُ بِالسَّمَاءِ" يتضّمن علامات حذف، رُبما يُمكن وضع الفِكرة بطريقة أفضل: "هَلُمَّ نَبْنِ... بُرجاً ورأسُهُ مع السَّمَاءِ." لم تكُن الفكرة بناء بُرج ارتفاعه يصِل للسماء، ولكن أن يُبنى بُرج السماء تَعتليه، أي عن طريق رُمُوز دائرة البُروج، ستُرتبط المعلومات الفلكية والتنجيمية مع ذلك البُرج. لم يَكُن الله في فِكرِهم على الإطلاق، سيكون السحر والتنجيم من مواصفات نظامهم الديني. مرة أخرى كُل هذا ينظر إلى آخر إمبراطورية عالمية التي ستحمِل العلامات ذاتها، الوحش سيستخدم الدين بشكل كبير، ولكنه دين مؤسس على السحر والتنجيم والعبادة لذاته. وكذلك سيكون لديه نظام سياسي يتبناه العالم أجمع والذي سيحجز على الجنس البشري في إخضاع لإرادته.

3. دافعهم (11:4ب)

يُصَرَح أيضاً *دافع* بنائي الإمبراطورية العالمية القُدماء "وَنَصْنَعُ لأَنْفُسِنَا اسْمًا لِئَلاَّ نَتَبَدَّدَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ" (11:4). كُل الفكرة هي أن تُمَجَد البشرية وأن يُقَيَّد الناس معاً في وحدة دائمة، وهذا جُمُوحٌ على إرادة الله.

4. خطأهم (11:5-9)

لقد صّفوا حساباتهم دون الله، يَروي موسى عن *ظهور* الله "فَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَنْظُرَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ اللَّذَيْنِ كَانَ بَنُو آدَمَ يَبْنُونَهُمَا." (11:5). تَبِعَ الظهور *حلول* الرب "هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ"، نَزَلَ الرب بِقَضَاءٍ على المشهد. هذا كان *خطأهم*، لقد استبعدوا الله من تَفكيرهم وبذلك تخيلوا أنهم قد تخلصوا منه، فقد ليكتشفوا أخيراً أن جوابهُ لحماقة كهذه هو حُكْمٌ سريع ودائم. لم يسمحْ الله أبداً للإنسان أن يعرف ديمومةً لنظامٍ اجتماعيٍ قد أستُثنيَ الله منه، ولن يسمحَ الله لذلك أن يحدُث حتى النهاية.

2. نعمة إلهية (11:10-32)

أ. شجرة عائلة إبرام (11:10-26)

والآن يعود موسى إلى جدول الأسلاف الذي شَغَلَهُ لمدى طويل في القسم كُله، وأصبح الآن مُهتماً في رسم شجرة عائلة إبرام. عاد إلى سام وأَرْفَكْشَادُ ورسم الخط مرة أُخرى حتى فَالَجُ ثم تابع إلى أن وصل إلى تَارَحَ. وهناك توقف عند أولاد ذلك الرجل الثلاثة (أَبْرَامَ وَنَاحُورَ وَهَارَانَ) وهم رجال ذو أهمية فيما يأتي بعد ذلك. وهكذا قد تتبع موسى سُلالة إبراهيم من نوح إلى شيث. وأخيراً وجد الله في سُلالة شيث الرجُل الذي على إيمانه الجَسُور جُعِلَ تمحوّر بقية الكتاب المُقَدَّس.

ب. روابط عائلة إبرام (11:27-32)

وصولاً إلى تارح، يقف موسى لينظر إلى روابط عائلة إبرام، فقد كان لديه أخان وبنت أخ وابن أخ. أولاد أخوه هاران الثلاثة هُم مِلْكَةُ ويِسْكَةَ ولُوطًا، وهكذا يُقَدَم لوطاً في القصة، الرجُل الذي يَبرُز بطُرق مُختلفة في تبايُن مع إبرام. تزوج نَاحُورَ أخي إبرام الثاني مِلْكَةُ ابنة أخيهما، نوع ترتيب دارِج في تلك الأيام، وفي الواقِع ومع أن الرواية الفورية لا تقول ذلك الآن، إلا أنه عندما تزوج إبرام ساراي (11:29) كان بالحقيقة يتزوج نصف أُخت (20:12). لقد تم ذِكر زواج ناحور أخي إبرام من قِبَل موسى، لأنه أصبح جَدَّ للابان ورفقة، حيث كلاهما يُأثران بشكل كبير على تاريخ يعقوب حفيد إبرام. وهكذا ينظر موسى إلى *شخص* إبرام ويُهيئ قُرائهُ للكثير من الذي سيتلو، عن طريق وضع مُلاحظات لبعض الروابط للعائلة المُباشرة لإبرام. مُلاحظته الأخيرة في ذلك السطر تُسَجِل الحقيقة أن سَارَايُ كانت عاقِراً وليس لديها أولاد.

وأخيرا، كمَدخَل لكامل قِصة إبرام (قِصة مهمة جداً في مَشورة الله حتى أن الروح القُدُس يُخصِص خمستً وعشرين بالمئة من سفر التكوين لتفاصيلها)، يُسَجِل موسى بداية مشروع إبرام*كمُهاجر*. مرة أُخرى لا تُسَجِل الرواية الفورية كيف أو متى الإله الحيّ والحقيقي أظهر نفسه لإبرام، الوثني العابِد للأوثان من أور، ولكنه فعل ذلك بجلاء، لأنه ليس فقط إبرام استجاب لتلك الرؤية ولكن أباه تارح وزوجته ساراي وابن أخيه لوط جميعهم أخذوا *الخطوة الأولى*. معاً تركوا أور الكلدانيين مُهاجرين تجاه الشمال إلى أن وصلوا إلى حاران. وبجلاءٍ أيضاً أن رؤية الله الأولى لِذاته لإبرام كانت قوية وذات طبيعة مُقنعة لدرجة أن تارح لم يكُن فقط مُقتَنِعاً للانضمام للهِجرة ولكنه بالفِعل أخذ القيادة.

كانت أور الكلدانيين حيث عاش أبرام مدينة بابلية هامة، كانت مدينة رخاء وبلوغ الأهداف، ومركز لعبادة القمر. رَحَلَتْ العائلة المُهاجرة إلى أن وصلت إلى مدينة حاران، وهناك جَعَلَ الغرباء *وقتهم الأولى*. كانت حاران بلدة حدودية لإمبراطورية البابلية ومثل أور الكلدانيين كانت مُكَرَسة لعبادة إله القمر. وهناك عَجِزَت الهجرة عن المُتابعة ويَبدو أنها بقيت جامدة لمدة خمسة وعشرين سنة إلى وفاة تارح. لا ننسى أن الطبيعة القديمة والتي تُمَثَل بتارح تستطيع فقط أن تُقَدِم استجابات رمزية للأمور الإلهية. أخطأ إبرام بشكل عظيم بعدم طاعة الله بشكل كامل (12:1) وفي اتباع العالم والجسد اللذين وقفا بينهُ وبين الدعوة الإلهية، ولكن الله صبورٌ. كان إبرام حَدِيثاً جداً في إيمانه، وكان لديه الكثير ليتعلم، والله لديه القُدرة أن ينتظر. لذا السنين المُبَدَدة ذهبت هباءً حتى أخيراً تم عزل العائق من التقدُم بموت تارح، فبدأ إبرام بأخذ تلك الخطوات العملاقة إلى الأمام والتي رفعته من ظلمة وجهالة الوثنية إلى مركز النور في الإيمان.

3. من أجل السهولة، يَتم مُتابعة شجرة العائلة لإبراهيم إلى ما بعد إبراهيم لإظهار ارتباطه مع الشخصيات البارزة الرئيسية الأخرى في كتاب التكوين.

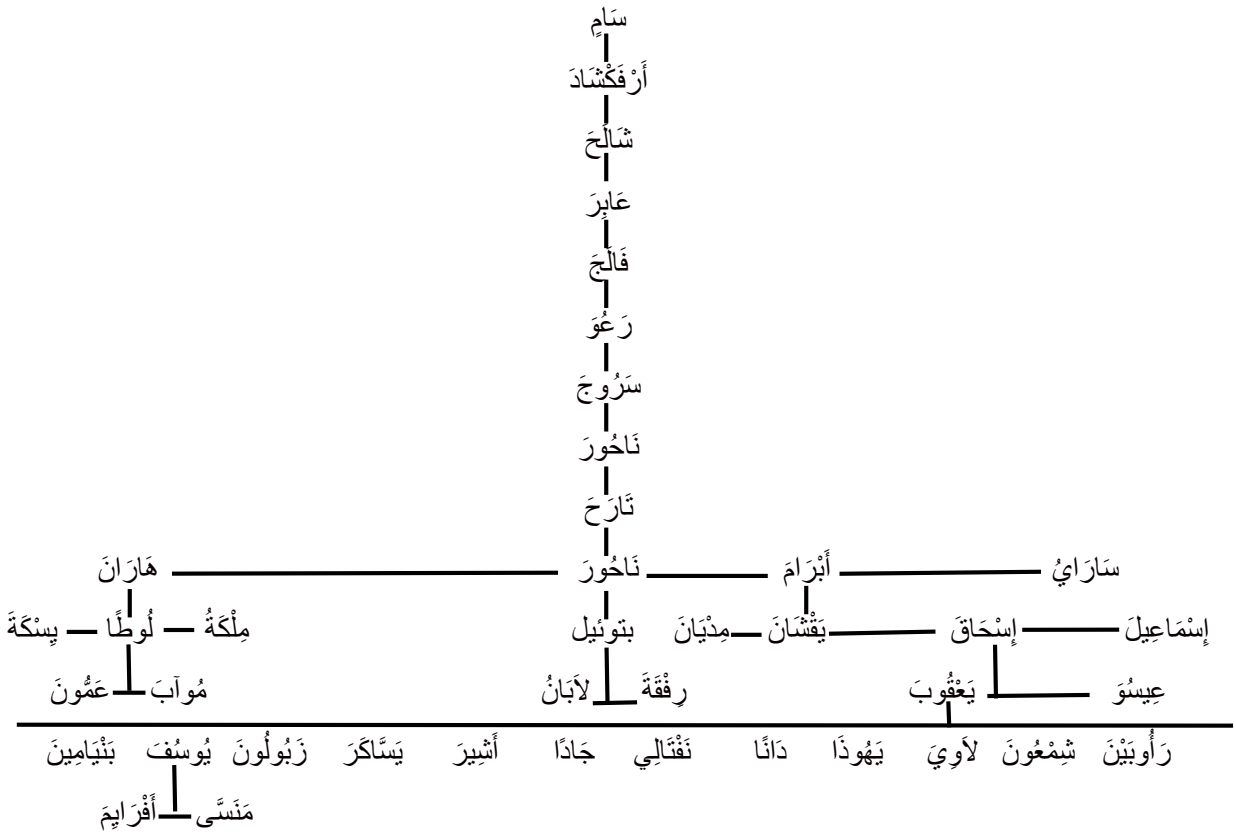
سَامٍ
أَرْفَكْشَادَ
شَالَحَ
عَابِرَ
فَالَجَ
رَعُوَ
سَرُوجَ
نَاحُورَ
تَارَحَ
سَارَايُ
أَبْرَامَ
نَاحُورَ
هَارَانَ
إِسْمَاعِيلَ
إِسْحَاقَ
يَقْشَانَ
مِدْيَانَ
بتوئيل
مِلْكَةُ
لُوطًا
بِسْكَةَ
عِيسُوَ
يَعْقُوبَ
رِفْقَةَ
لاَبَانُ
مُوآبَ
عَمُّونَ
رَأُوبَيْنَ
شِمْعُونَ
لاَوِيَ
يَهُوذَا
دَانًا
نَفْتَالِي
جَادًا
أَشِيرَ
يَسَّاكَرَ
زَبُولُونَ
يُوسُفَ
بَنْيَامِينَ
مَنَسَّى
أَفْرَايِمَ

الجزء الثاني

بدء العرق العبراني
تاريخٌ بطريركيٌ
(26:50-1:12)
الفصل الخامس
السَلف: إبراهيم
(18:25-1:12)

1. طريق الايمان (20-1:12)
أ. ابرام يؤمن (12: 1-9)
1. ايجاد طريق الايمان (12: 1-4)
أ. بتصريح بالايمان (12: 1-3)
ب. خطوة ايمان (12: 4)
2. إيجاد طريقة الايمان (12: 5-8)
أ. ابرام يشهد (12: 5)
ب. ابرام يمشي (12: 6)
ت. ابراهيم ينتظر (12: 6ب-7)
ث. ابراهيم يعبد (12: 8)
3. التخلي عن طريق الايمان (12: 9)
ب. ابراهيم يَتَرَاجَع في إيمانِهِ (12: 10-20)
1. مجاعة (12:10)
2. منذراً (12: 10-12)
3. الكذب (12:13)
4. الإحباط (15-14:12)
5. التملُق (16:12)
6. فشل (20-17:12)
2. ثمن الإيمان (18-1:13)
أ. علامات الرجُل الروحي (4-1:13)
1. الانفصال (1:13)
2. التقديس (3-2:13)
3. التضحية (4:13)
ب. ذُهن الرجُل الروحيّ (9-5:13)
1. ظروف مُقلِقة (6-5:13)
2. جيران خُبَثَاء (7:13)
3. الأخ الأضعف (9-8:13)
أ. صراحة روحية (8:13أ)
ب. فطنة روحية (8:13ب)
ت. بكرامة روحية (9:13)
ت. تَحَرُكات الرجُل الروحي (18-10:13)
1. مُقَيَّد من قِبَل الله (13-10:13)
أ. كان لوط ضعيفاً في عبادته
ب. كان لوط مُهتماً في رغباتُه (10:13)
ت. كان لوط مُخطئاً في قراراتهِ (13-11:13)
2. طمأنينة من قِبل الله (16-14:13)
أ. بخصوص أملاكِه (15-14:13)
ب. أجياله القادمة (16:13)
3. مُنَظم من قِبل الله (18-17:13)
3. قوة الإيمان (24-1:14)

أ. المعركة اليائسة (14:1-11)
1. التحالُف (14:1-2)
2. الصِراع (14:3-9)
3. الانهيار (14:10-11)
ب. الأخ المغرور (14:12)
ت. المؤمن الديناميكي (14:13-24)
1. ضعف الجسد (14:13)
2. حِكْمَة العالم (14:14-16)
أ. إبرام تصرف بِسُرعة (14:14)
ب. إبرام تصرف بعقلانية (14:15)
ت. إبرام تصرف بنجاح (14:16)
3. حيَل الشيطان (14:17-24)
أ. لقاء إبرام المُهم مع ملك سدوم (14:17-20)
ب. القاء الشرير لإبرام مع ملك سدوم (14:21-24)
1. تجربة إبرام الحاذقة (14:21)
2. شهادة إبرام البسيطة (14:22-24)
4. عهد الإيمان (15:1-21)
أ. بناء عائلة إبرام (15:1-7)
1. كلمة قوة الله (15:1-4)
أ. العهد (15:1)
ب. الالتماس (15:2-3)
ت. الخُطة (15:4)
2. الشهادة على قوة الله (15:5-6)
3. عمل قوة الله (15:7)
ب. أُسُس إيمان إبرام (15:8-12)
1. ظُلِلَت الجُلجثة أمام إبرام، عليه أن يُدرِك سِرَها (15:8-10)
2. أُشرِكَ إبرام *بالجُلجُثة*؛ فَفهِمَ لُغزها (15:11-12)
ت. بريق مُستقبل إبرام (15:13-21)
1. الوقت المُحدد المَعني (15:13-16)
أ. إرادة الله المُجيزة (15:13-14)
ب. الإرادة الله الشخصية (15:15)
ت. إرادة الله المُقَدَرة والمَحتومة (15:16)
2. المَنطقة المُحَدَدة المعنية (15:17-21)
أ. ضمان أرض الموعد (15:17)
ب. عظمة أرض المَوّعد (15:18)
5. رِهان الإيمان (16:1-16)
أ. اختِبار صَمتْ الله (16:1-6)
1. فِكِر إبرام المُزدَوّج (16:1-4)
أ. المُشكِلة (16:1)
ب. العرض (16:2-3)
ت. الثمن (16:4)
2. قلب ساراي المُخادع (16:5-6)
أ. السان الجامح (16:5)
ب. المَزَج الجامح (16:6)
3. إرادة هاجر الجريئة (16:6)
ب. الحقيقة لسيادة الله (16:7-16)
1. الرؤية لهاجر (16:7-12)
أ. مَجيء ذلك كُلي الوجود: رؤية للنعمة (16:7-8)
ب. أمر ذلك الكامل القُدرة: رؤية للسُلطة (16:9)

ت. الراحة لذلك الكامل المَعرِفة: رؤية العظمة (16:10-12).
2. ردة فِعل هاجر (16:13-16)
أ. تعبيراً شفوياً لإيمانها (16:13-14)
ب. تعبيراً حيوياً لإيمانها (16:15-16)
6. إمكانيات الإيمان (17:1-27)
أ. كيف أستُلِمَ العهد (17:1-16)
1. بخضوعٍ مُطلَق (17:1-3)
2. بصَمتٍ مُطلَق (17:4-16)
أ. مادة العهد (17:4-8)
1. المبدأ المعني
2. الشعب المعني (17:4-6)
3. الفترة الزمنية المعنية (17:7)
4. المكان المعني (17:8)
ب. خِتمْ العهد (17:9-14)
1. مضمونهُ (17:9-11)
2. تَطبيقهُ (17:12-13)
3. أهميتهُ (17:14)
ت. روح الوعد (17:15-16)
ب. كيف صُدِقَ العهد (17:17-27)
1. ضِحكِةُ الإيمان (17:17)
2. مَنطِق الإيمان (17:18-22)
أ. التماس لإسماعيل (17:18)
ب. الوعد لإسماعيل (17:19-22)
1. مادة محجوزة من المُعاهدة (17:19)
2. مادة مُلوكية من المُعاهدة (17:20-22)
3. حياة الإيمان (17:23-27)
أ. طاعة بلا حدود (17:23-24)
1. الطاعة الأبوية (17:23أ)
2. الطاعة البطريركية (17:23ب)
3. الطاعة الموضوعية (17:23ت)
4. الطاعة الشخصية (17:24)
ب. مرسوم محدود (17:25-27)
1. حالة الإنسان المُتَمَرِد (17:25)
2. مَوقِف الرَجُل البار (17:26-27)
7. صلاة الإيمان (18:1-33)
أ. الرجُل العملي (18:1-8)
1. سُرعَتُهُ (18:1-2)
2. ضِيَافَتِهِ (18:3-8)
ب. الرجُل ذو امتياز (18:9-15)
1. الوعد (18:9-10)
2. المُشكِلة (18:11-15)
ت. الرجُل المُبَرهَن (18:16-22)
1. عَظَمَة مُتَوَقَعة (18:16-18)
2. عَظَمَة شخصية (18:19)
3. عَظَمَة موّضِعية (18:20-22)
ث. الرَجُل المُصَلي (18:23-33)
1. سلوك إبراهيم (18:23)
2. حُجَة إبراهيم (18:23ب-32)
3. توكيد إبراهيم (18:33)

8. مَوقِع الإيمان (19:1-38)
أ. أخلاق سدوم الغير مُقَدَسة (19:2-22)
1. شيئاً شائعاً (19:1-3)
2. شيئاً مُلوثاً (19:4-5)
3. شيئاً مُستَمِراً (19:6-9أ)
4. شيئاً مُولعاً بالقِتال (19:9ب)
5. شيئاً يستحِق العِقاب (19:10-11)
ب. العقلية الغير مُقَدَسة لسدوم (19:12-38)
1. إيمان لوط المُتآكِل (19:12-26)
أ. شهادة لوط العديمة القيمة (19:12-14)
ب. ضَعِف إرادة لوط (19:15-23)
1. مُتَرَدِداً أن يبدأ (19:15-17)
2. مُستَعِداً للوقوف (19:18-23)
ت. امرأة لوط الصعبة المراس (19:24-26)
2. عائلة لوط المُفسَدة (19:27-38)
أ. ما كان سَيَصبُح بلوط (19:27-29)
ب. ما أصبحَ عليهِ لوط (19:30-38)
1. منظور سدوم الشرير (19:30-32)
2. مُمارسات سدوم المعدومة الحياء (19:33-36)
3. ذُرية سدوم الملعونة (19:37-38)

9. مخاطِر الإيمان (20:1-18)
أ. المُهاجِر المُتَنَقِل (20:1-2)
ب. النبي البائس (20:2-16)
1. لم يُمَيَز كنبيٍ بسهولة (20:3-7)
أ. وضع أبيمالك الهالِك (20:3)
ب. تَذَمُر أبيمالك الحاد (20:4-5)
ت. اعتِبار أبيمالك الأخير (20:6-7)
1. قد كُبِحَ بسيادة (20:6)
2. مازال مسؤولاً(20:7)
2. لم يُحتَرَم فِعلاً كنبي (20:8-13)
أ. تصَرُفَهُ الارتيابي (20:11)
ب. تَصَرُفَهُ المُخادِع (20:12)
ت. تَصَرُفَهُ المُهين (20:13)
3. لم يُستَقبَل بشكل مُلائم كنبيٍ (20:14-16)
أ. أهانَهُ عن قَصد (20:14)
ب. صَرَفَهُ (20:15)
ت. ازدرى به (20:16)
ت. الكاهِن الخادِم (20:17-18)
أ. المشهَد لخدمة كهنوتهِ (20:17أ)
ب. النجاح لخِدمة كهنوته (20:17ب)
ت. الأهمية لخدمة كهنوته (20:18)
10. جائزة الإيمان (21:1-34)
أ. إسحاق الأعجوبة الهائلة (21:1-8)
1. طبيعة التَكَهُنات (21:1-2)
2. طبيعة التنفيذ (21:3-8)
أ. اعتماداً (21:3-4)
ب. تَطَوُراً (21:5-8)
ب. استهزاء إسماعيل الفظيع (21:9)
ت. رسالة سارة النموذجية (21:10)

ث. غلطة إبراهيم المأساوية (11:21)
ج. مَراحِم الله الحنونة (12:21-13)
1. وصية الله (12:21)
2. تعزية الله (13:21)
ح. بُؤس هاجر المُدمِع (14:21-21)
1. طُرِدَت (14:21)
2. سُحِقَت (15:21-16)
3. لُحِقتَ (17:21-21)
خ. دوافِع أبيمالك الواضِحة (22:21-34)
1. التماسه (22:21-24)
2. تَعَهُدهُ (25:21-31)
3. فِراقه (32:21-34)
أ. إبراهيم يعمل (33:21أ)
ب. إبراهيم يَعبُد (33:21ب)
ت. إبراهيم ينتظر (21:34)
11. بُرهان الإيمان (1:22-24)
أ. الامتحان المُفاجئ الذي أعَدَ الله إبراهيم له (1:22-2)
ب. الثِقة البسيطة التي أتقَنَ الله إبراهيم بها (3:22-12)
1. طريق الصليب (3:22-5)
2. لكَلِمة الصليب (6:22-8)
3. عمل الصليب (9:22-12)
ت. الحقيقة الجليلة التي حمى الله إبراهيم بها (13:22-24)
12. صَبر الأيمان (1:23-20)
أ. حُزن إبراهيم (1:23-6)
1. دموعهُ (1:23-2)
2. شهادتهُ (3:23-6)
أ. غَريبٌ
ب. نَزِيلٌ
ب. قَبر سارة (7:23-18)
1. مُهَذَباً في كلامِهِ (7:23-8)
2. حذراً في مُعَامَلاتِهِ (8:23-18)
ت. هدية عفرون (19:23-20)
13. احتياطات الإيمان (1:24-67)
أ. النزيل الحكيم (1:24-9)
ب. الخادِم الرائع (10:24-28)
ت. الخاطئ الدُنيَوي (29:24-33)
ث. القديس المُستَعِد (34:24-61)
1.رفقة تتعلم عن إسحاق
2. رفقة تشتاق لإسحاق
3. رفقة تبحث عن إسحاق
ج. الابن المُنتَظِر (62:24-67)
14. مَفَارِق الإيمانِ (1:25-11)
أ. الرَجُل المُثمِر (1:25-4)
1. قرار إبراهيم (1:25)
2. أحفاد إبراهيم (2:25-4)
أ. زِمْرَانَ (2:25-3)
ب. يَقْشَانَ (2:25)
ت. مَدَانَ (2:25)
ث. مِدْيَانَ (2:25و4)

ج. بِشْبَاقَ (2:25)
ح. شُوحًا (2:25)
ب. الرجُل البعيد الرؤية (5:25-6)
1. التَخَلُص من ثَروَتِهِ (5:25)
2. تشتيت عائلَتِهِ (6:25)
ت. الرجُل الكامِل (7:25-11)
1. قياس أيام إبراهيم (7:25)
2. موضوع موت إبراهيم (8:25)
3. موضوع رغبات إبراهيم (9:24-11)
أ. الرغبة الأبوية (9:25)
ب. الرغبة الشخصية (9:25-10)
ت. الرغبة البطريركية (11:25)
ث. الرجُل العقيم (12:25-18)
1. روابِط عائلة إسماعيل (12:25-15)
أ. ولادة إسماعيل البارِزة (12:25)
ب. أولاد إسماعيل العديدين (13:25-15)
2. انتصارات إسماعيل الخمسة (16:25)
أ. الشعب الإسماعيلي
ب. الأماكن الإسماعيلية
ت. القِوى الإسماعيلية
ث. الأُمراء الإسماعيليين
ج. الأملاك الإسماعيلية
3. مأساة إسماعيل الأخيرة (17:25-18)
أ. وفاة إسماعيل المؤسفة(17:25)
ب. الطبيعة العلمانية لرغباتِهِ (18:25)

5

السلف: إبراهيم

1. طريق الايمان (12:1-20)

كان عمر ابراهيم خمساً وسبعين سنة ومازال لديه قرناً آخر كاملاً ليعيشه. عندما يفكر الشخص بكل الاشياء التي تطورت من اجل البشرية كنتيجة المئة سنة والتي فُتِحَت الان في حياة ابراهيم، يجب ان تُسجل كواحدة من اهم القرون في كل التاريخ.

لقد عمل صلاحاً من اجل نفسه. فقد كان ناجحاً في مجال عمله، سعيداً في زواجه من امرأة رائعة الجمال، راسخاً في محبته لمواطنيه وخدامه، أصله ونسبه يمكن أن يعودا مباشرة الى آدم. كان إبراهيم غنياً ومحترماً ومتديناً، ولكن عندما تُفتَح قصة ابراهيم، كان فقيرا خاطئاً ضائعاً مسرعاً من اجل الابدية الضائعة. التسجيل الحقيقي لحياة ابرام يبدأ مع قصة لقائه الشخصي مع الله الحي، اشير اليها في تكوين 11، ولكن أُرِخَت الان بشكل كامل. نتائج ذلك اللقاء مهمةٌ جداً لان اثنا عشر اصحاحاً خُصِصوا من اجل تطور الهجرة الروحية لإبراهيم.

أ. ابرام يؤمن (12: 1-9):

تبدأ قصة إيمان ابرام، طبعاً، مع الله. المبادرة كانت منه. رجل غير مجدد، شغوف بأوثانه يجب ان تكون المبادرة من الله. حتى رجل غير مجدد مثل ابراهيم مع نسبٍ سامٍ متعدد بأسمائه، أسلاف المشاهير الروحيين العظام- شيث، حنوك، نوح، سام. معظم الناس يجمعون مواد ايمانهم بنفس الطريقة التي يجمعون بها مواد مفروشاتهم- القليل من المواد هنا، مادة او اثنتان هناك، بحسب ما يرغبون، مصممة لتريحهم قدر الامكان في عالم الخطية. كلمة الله يجب ان تأتي بقوة لتكسر قبضة الايمان الغير مجدد.

1. ايجاد طريق الايمان (12: 1-4)

يوجد حركتان في تنوير ابرام. هناك وحي وجواب، تصريح بالايمان وخطوة ايمان. لقد بدأ بتصريح بالايمان (12: 1-3). "اذهب من ارضك ومن عشيرتك ومن بيت ابيك الى الارض التي اريك." كلمة الله تخترق ظلمة وموت روح ابرام عندما تحدث الله عن المكان الجديد والناس الجديدة. على ابرام ان يبدأ الهجرة الى ارضٍ اخرى. طبعاً، في السياق التاريخي المباشر، تلك الارض كانت كنعان، ولكن استنارة ابرام ذهبت الى ما وراء بلد ارضي. سفر عبرانيين 11 يقول لنا بأنه خرج بحثاً عن مدينة لها اساسات، صانعها و بارئها الله.

منذ البداية رُفِعَت عينا ابرام نحو السماء. هو بالحقيقة يجد مكانه في البلد الارضي الذي شكل التركيز المادي لرؤيته، ولكن ايمانه ورجاءَهُ المطلقين اتيا ليستريحا في السماء نفسها. الروحي كان الواقعي خلف المادي.

لذلك تبدأ هِجرة ابرام حيث تبدأ هِجرَتُنا، مع رؤية نحو بلد اخر، بلد أفضل، بيت مبارك الى الابد، كمسكن الله. الله يتكلم، نحن نؤمن، الايمان يبزغ، الحياة تبدأ.

التصريح بالايمان تلاه خطوة ايمان (12: 4). " ذهب ابرام كما قال له الرب وذهب معه لوط. وكان ابرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران." انتجت الرؤيا الاصلية في ابرام، والده، وعائلته ان يتركوا أور. ولكنها كانت طاعة جزئية، لانه قيل لابرام ان يترك الارتباطات الطبيعة والوطنية. يجب ان يكون هناك كسر كامل للماضي. الطاعة الجزئية أدت الى بطء في التقدم لان كل المغامرة تعتمد على محطة ما قبل ان تتطور اكثر من ذلك. لم تبدأ الهِجرة الحقيقية إلا بعد موت تارح ولكن على الاقل هناك خطوة قد أُخِذَت، متعثرة ربما ولكنها خطوة على الاقل. ابرام وجد طريق الايمان. مع العديد من العثرات والسقطات، مع لحظات من النصر، مع لحظات من الهزيمة، مع قِمة جبلية من الخبرات ومع اوقات حالكة الظلمة في الوادي، مع توقفات ومع بدايات، لحظة مملوءة بالثقة، والتالية مغطاة بالحيرة، ابراهيم حدد ان يعيش حياة في بُعْدٍ جديد. لم يعد هناك عيان، ولكن إيمان.

2. إيجاد طريقة الايمان (12: 5-8)

نرى ابرام يشهد (12: 5). " ابرام ساراي امرأته ولوطا ابن اخيه وكل مقتنياتهما التي اقتنيا والنفوس التي امتلكا في حاران .وخرجوا ليذهبوا الى ارض كنعان .فأتوا الى ارض كنعان." قرار ابرام بان يقوم بحركة جريئة لان الله لديه تأثير مباشر على عائلته. بدون شك، وجد هناك المشككون المألوفون بين معارفه، والذين اكدوا له بانه مجنون حتى يترك منزله اللامع في ارض الكلدانيين ويرتحل بحثاً عن اساطير. ولكن ابرام أحصى الثمن.

منذ عدة سنوات، قرر رجل انكليزي بأن يحظى على جرأة ايجابية اكثر للشهادة للمسيح. لقد كان يسافر ويقضي أغلب وقته في القطارات ومحطات القطار. اخذ معه واحدة من حقائبه ورسم عليها بخط عريض: "مجنون من اجل المسيح." كان يوقف الحقيبة امامه أينما ذهب. بشكل ثابت، قام بجذب الحشود الفضولية و الانتقادية. وعندما حصل على جمهوره، كان يدير الحقيبة بالاتجاه الاخر. على الجهة الاخرى كتب: " من أجل من انت مجنون؟" ابرام كان مستعداً حقاً بأن يكون مجنون من أجل المسيح.

عائلته، خدامه، واولئك الذين عرفوا أفضل ما عنده، وأولئك الذين عرفوه بأنه غير مجنون، مباشرة رموا ممتلكاتهم معه. لقد قام بصنع تأثير في حياة الايمان الجديدة. لقد ربح بعض النفوس. كان هناك خاتماً من الصدق الذي لا نِزاع عليه عن الدرهم الذهبي لإيمان إبرام. الاخرون قرروا ان يودعوا في البنك الذي أودع ابرام بِهِ. لقد رَهَنوا كُل شيءٍ على الله ايضاً.

ثم نرى ابرام يمشي (12: 6). "واجتاز ابرام في الارض الى مكان شكيم الى بلّوطة مورة. كان الكنعانيون حينئذ في الارض." لقد كان ما يزال في الارض المنخفضة للأيمان، ولكنه يحقق تقدماً. رآه الناس يتحرك للأمام في حياته الجديدة. لقد كان يأخذ خطة واحدة في كل وقت. لقد كان يبدأ في المكان الذي يبدأ منه كل مؤمن، يسير في النور الذي لديه وينتظر النور الجديد كيما يُعطى. ليس هناك طريقة اخرى للنمو بالنعمة وللازدياد في معرفة الله.

ثم نرى ابراهيم ينتظر (12: 6ب-7) "وكان الكنعانيون حينئذ في الارض. 7 وظهر الرب لابرام وقال لنسلك اعطي هذه الارض. فبنى هناك مذبحا للرب الذي ظهر له." كان الكنعانيون جنساً فاسداً الى أبعد تصور، وملعوناً ومداناً من الله. يمكننا ان نتصور ابراهيم ينظر نحو الأرض التي اتى منها، رائياً كل الأماكن تحت قبضة الأشرار، قائلاً لنفسه، "حسناً! لم أكن أتوقع هذا." ولكنه لم يعتمد على منطقه او مصادره عندما واجه الموقف. ولم يقل، كما قال سليمان، "أفضل شيء يُعمَل هو ان نتوحد بشكل مادي مع الكنعانيين." لم يقل، "أظن بأنني سوف أبدأ بشراء بعض الأملاك هنا وتدريجياً سأشتري الأرض." انتظر الله كيما يكلمه وعندما كلمه، عبد راضياً بأن يترك كل التفاصيل لليدين العاليتين.

العديد من المؤمنين اليافعين يخيب أملهم وهم ينتظرونه في مستهل حياتهم الجديدة في المسيح. أحدهم خذله، الاضطهاد يتصاعد. يكتشف ان الطبيعة القديمة حية جداً في تجربته أو أن المسيحيين الاخرين يسقطون. الله يسمح بخيبات الامل بالظهور في بداية الحياة الجديدة حتى نتعلم مبادئ حياة الايمان ونبرز أقوى للتجربة.

بعد ذلك نرى ابراهيم يعبد (12: 8). " ثم انتقل من هناك الى الجبل شرقي بيت ايل ونصب خيمته. وله بيت ايل من المغرب وعاي من المشرق. فبنى هناك مذبحا للرب ودعا باسم الرب." لقد وصل الان الى أعلى مراحل الاستقرار العالية في تجربته الروحية، لقد غرس رجليه في ارضٍ عالية، لقد كان يقيم فيما أسماه بولس "السماويات" وقبل كل شيء كان عابداً. إن هِجرَتِهِ الروحية لم تنتهِ عند هذه النقطة، ولكن من يفعل ذلك؟ بعدما وصل الى تلك النقطة العالية في هِجرَتِهِ، ابراهيم وجد انه من المستحيل ان يبقى هناك. نزل الى أسفل الجبل وبدأ تَحَرُكَهُ بعيداً عن تلك الهضاب من الايمان.

3. التخلي عن طريق الايمان (12: 9)

"ثم ارتحل ابرام ارتحالاً متوالياً نحو الجنوب." لقد خيَّم بين بيت أيل وعاي-موقع ذو أهمية عظيمة. بيت إيل تعني "بيت الله." عاي تعني "كومة خراب." كما قال أحدهم مستغرباً، ان الله قدم منزله إلى أولئك الذي فقدوا منازلهم. مع بيت الله حيث يقيم وكومة الخراب القريبة، حتى تذكره ما هو شكل العالم الحقيقي، انجرف ابرام بعيداً. زورق وشرك مصر جذباه بعيداً عن بيت ايل، منزل الله.

ب. ابراهيم يَتَرَاجَع في إيمانِهِ (12: 10-20)

التخلي عن طريق الايمان، مهما كان السبب، يجلب دائما تعقيداته. عدة احداث متسلسلة لحقت بتجربة ابراهيم، كل واحدة نشأت بسبب غياب ثقته بالله. اولاً كان هناك *مجاعة* (12:10). لم يتوقع ابرام وجود شيئين في كنعان-الكنعانيين والمجاعة. الاثنان كانا هناك كيما يجرباه. المجاعة اجتاحت الارض، او على الاقل، وصلت الى بيت ابرام بعد أن هجر شخصياً بيت ايل. التحرك بعيداً عن بيت الله دائما ما ينتج عنه مجاعة في روح التجربة.

ثم *منذراً* (12: 11-12). إدراكَهُ بالمجاعة وبعيداً عن التواصُل مع الله منذ ترك بيت ايل، قرر ابرام الوسيلة. مِصر بدت كحل جيد لمشاكله.

ولكن عندما اتت مصر الى الصورة، بدأ الانذار يملأ نفسه. امرأته، ساراي، كانت الامرأة الأكثر جمالاً. بمنطق الرجل الغير مخلص، قال ابرام، "اني قد علمت انك امرأة حسنة المنظر. فيكون اذا رآك المصريون انهم يقولون هذه امرأته. فيقتلونني ويستبقونك." ظلال الظلمة حطت على نفسه. لقد كان يتجه نحو الاتجاه الخاطئ وكل شيء امامه كان مظلماً.

خلال الايام المظلمة للحرب العالمية الثانية، كان الملك جورج السادس يتكلم للبريطانيين على محطة الـ BBC. لقد فعل ذلك بعد دنكيرك. قوات التحالف كانت في حالة فوضى كاملة. سعى ونستن تشيرشيل الى جمع الأمة، نظم الحرس الوطني (القوات الهزيلة، الغير كفوءة، كبيري السن، والرجال الغير قادرين على الخدمة في الجيش العادي)، ورمى بتحديه عبر القناة. ولكن كان الحرس الوطني جيشاً على ورق، قام بالعروض باستخدم المكنسة. بدا المستقبل مظلماً. ثم جاء الملك على الراديو وسعى كيما يلمس الاوتار الروحية للشعب، لان ملك بريطانيا جورج السادس كان رجلاً مُخلَّصاً صالحاً.ولكن كان دنكيرك في الخلف، فقط أمام معركة بريطانيا.

اغلب ما قاله جورج السادس ذلك النهار نُسيَّ، ولكن قصيدة واحدة مقتبسة عاشت:

وقد قلت للرجل الذي وقف على بوابة السنة:
"أعطني النور، كيما أخطو بأمان الى المجهول!"

وأجاب: "اذهب خارجاً الى الظلمة وضع يدك في يد الله.
وهذا سيكون لك أفضل من النور وأكثر أمناً من الطريق المعلوم."
لذلك تقدمت، ووجدت يد الله، فخطوت بسعادة الى الليل.
وقادني نحو التلال وكِسْر اليوم في الشرق الوحيد.
م. لويس هاسكين

هذا تماماً ما أراد الله من ابرام أن يفعله، ولكن أبرام سحب يده من يد الله. وكان ظهره نحو كِسْر اليوم ووَجْهُهُ نحو مصر. ليس من المستغرب أن النذر ملأ قلبه.

وبعد ذلك كان *الكذب* (12:13). " قولي انك اختي. ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من اجلك." يا للأنانية، طلب حقير! من المستغرب ان ساراي تكلمت معه مرة أخرى. ليس من المعلوم كم عميقاً سيغرق القديس عندما يتوقف عن الاتصال مع الله. طبعاً، يمكن لابرام ان يبرر تصريحه، لان ساراي كانت نصف شقيقته (20: 12)، ولكن نصف الحقيقة هي كذبة كاملة، واستخدام سفسطة كهذه فقط قادته عميقاً في المستنقع. كل السماء يجب ان تعصر يديها عندما عُلِم خبر كذبة ابرام. ولكن كم مرة لجأنا الى حيلة وذريعة متشابهتين، اذا لم يكن كذب صريح.

تلى ذلك *الإحباط* (12:14-15)، الشيء ذاته الذي أراد إبرام أن يَتَفاداه انفجر أمامه كالعاصفة. خُصِصَت ساراي لحَرَم الفرعون، مع أنها كانت بعمر الخمسة والستين، ومازالت امرأة فاتنه للنظر. مسكين إبرام! لقد قال لساراي "اسمعي يا ساراي، لقد تقدّمتِ بالعُمر بشكل جيد، وأنتِ جميلة المظهر وأنا خائف على كِلينا في مِصر. حقيقة أننا مُتَزَوِجون لن يُغَيِّر شيئاً. يُمكن للزوجات أن يُصبحنَ أرامِل في المكان الذي نَقصُدَهُ، ثم ستُسبين إلى حَرَم الفرعون أو حَرَم سَيّد آخر. دعينا نَتَفِق" كم من الأفضل لو ذهب إلى مِصر وهو يَثِق بالرب، كم من الأفضل أكثر لو لم يذهب إلى مِصر على الإطلاق.

ثم آتى *التملُق* (16:12)، نقرأ أن فرعون"صَنَعَ إِلَى أَبْرَامَ خَيْرًا بِسَبَبِهَا، وَصَارَ لَهُ غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَحَمِيرٌ وَعَبِيدٌ وَإِمَاءٌ وَأُتُنٌ وَجِمَالٌ" ذلك النمو المُفاجئ للغنى رُبما قد أعجب لوط، "أقول لك عميّ إبرام، ها قطيع آخر من الخراف يأتي، ويا للعجب! إنظر بياض الحليب الناتِج من قطيع البقر، وتعال وأنظر إلى تِلك النسوة العبيد الفاتِنات!" ولكن المسكين إبرام مع كُل علامة تعجُب كان يتأوه من جديد. لقد خَسِرَ ساراي، لقد رَفَضَ العلاقة، لقد لعِبَ دور الغبي، لقد خَسِرَ ساراي. الغنى المُقتنى بهذا السِعر فعلاً يَحْمِل بطاقة سعر عالية جِداً. ومع ذلك هناك الكثير من أولاد الله مُستَعدين أن يُغنّون بذات الشروط – بسعر إنكار الرب، بسعر إفلاس روحي وخراب، رِبح كهذا هو خسارة. غِنى مُقتنى بتلك الشروط هو مُلّطخاً من مَصدَرِهِ.

وأخيراً كان هناك *فشل* (12:17-20)، لقد قَصَدَ الله من إبرام أن يَكونَ مُبَارِكاً – لقد قال له: "وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ". هنا كان أول اتصال لإبرام مع قوة عالمية وحاكِم عظيم، ولكن بدلاً من أن يَكون بركة أصبحَ لعنة. " فَضَرَبَ الرَّبُّ فِرْعَوْنَ وَبَيْتَهُ ضَرَبَاتٍ عَظِيمَةً بِسَبَبِ سَارَايَ امْرَأَةِ أَبْرَامَ."

لم يَطُل الأمر حتى تم القبض على إبرام وأحضِرَ أمام فرعون، والحقيقة المُخجِلة ظهرت للعَلَن. "مَا هذَا الَّذِي صَنَعْتَ بِي؟ لِمَاذَا لَمْ تُخْبِرْنِي أَنَّهَا امْرَأَتُكَ؟ لِمَاذَا قُلْتَ :هِيَ أُخْتِي؟" لم يستطيع إبرام أن يُجيب بشيء على الأسئلة الحارقة، وقف هناك مربوط اللسان وخَجِل في مَحضَر الملك الناقِم. يا لها من فرصة هائلة ضائعة لشهادة شخصية عن الإله الحيّ لأنه ساومَ بالحقيقة.

ثم أتت كلمة فرعون الأخيرة الجافة صارفاً إبرام بازدراء مُسلماً ساراي لزوجها. "خُذْهَا وَاذْهَبْ!" في كُل هذا كانت شخصية فرعون الوثني أفضل من إبرام المؤمن. حقاً رُبما يمكن للمرء أن يسمع فرعون يلتفت إلى حاشيته بينما انسلّ إبرام وساراي بعيداً في غرفة الحضور قائلاً "إذاً! إن كان هذا مثالاً للمؤمن أتمنى ألا ألتقي بآخر!"

كم هو من المُهم أن نَحرُس على شهادتنا بشكل جيد، ألا نُسيء تمثيل الرب بالكلام أو الفِعل أو السُلوك أمام العالم.

2. ثمن الإيمان (13:1-18)

انتهت حلقة مِصر وإبرام فعَبَرَ إلى أرض الموعد للمرة الثانية وهو رجُل أحزن وأحكم، بدون شك أنه وعد نفسه ألا يخطو خارج إرادة الله مرة أخرى. عندما جَنَحَ إلى مِصر كان رَجُلاً مُنقذاً، والآن ظهر رجُلاً روحياً.

أ. علامات الرجُل الروحي (13:1-4)

ثلاث أشياء تُمَيّز الرجُل الروحي؛ الأولى هي *الانفصال*، "فَصَعِدَ أَبْرَامُ مِنْ مِصْرَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ وَكُلُّ مَا كَانَ لَهُ، وَلُوطٌ مَعَهُ إِلَى الْجَنُوبِ." (1:13). لقد وقعت الحقيقة الكتابية للانفصال عن العالم في أيام صعبة، رُبما هي ردة فعل ضد الانعزالية. الانفصال الكتابي هو ليس الانعزال ولكن العزل. هو العيش كمؤمن *في* العالم دون أن تكون *من* العالم، مثل الخط الساخن، مَعزول ضد كُل ما قد يُسَبب له دائرة القصر لفعاليته، المؤمن له اتصال بمصدر الطاقة من إحدى الأطراف والطرف الآخر مع الحاجة الواضحة.

هذا العالم هو عدوّ الله، لقد أظهر كُرهَهُ في قَتلِ ابنه. قال أرخميدس أنه يستطيع أن يَنقُل العالم لو أُعطيَ عِتلة ذات طول كافٍ ونقطة بعيدة في الفضاء بشكل كافٍ لنقطة الارتكاز. هكذا أيضاً يستطيع المؤمن أن يرفع العالم، ولكن فقط إن كان مَفصولاً عنه. لا يستطيع الرجُل أن يحمل برميلاً إن كان يقف في داخلِهِ. العلامة الأولى للروحانية الحقيقية إذاً هي الانفصال الكتابي عن العالم[3].

العلامة الثانية للرجُل الروحي هي *التقديس*. بعد أن أشرنا إلى غِنى إبرام الزمني، السِجِل يُتابع: "وَسَارَ فِي رِحْلاَتِهِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى بَيْتِ إِيلَ، إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَتْ خَيْمَتُهُ فِيهِ فِي الْبَدَاءَةِ، بَيْنَ بَيْتِ إِيلَ وَعَايَ،" (13:2-3). إن الانفصال والتقديس هما وجهان لذات العملة، ليس التقديس هو "الانفصال *عن*" بقدر أنه "الانفصال *إلى*"، أن تكون مَفروزاً لله. بعد سقوط إبرام بشكل سيء في مِصر، يَضَع الآن أكبر مسافة مُمكنة بينه وبين العالم. منذُ بضعة سنوات أرادت سيدة أن تُوظف حوذياً جديداً، وضعت إعلاناً وبعد فترة قصيرة حَصَلت على ثلاث مُقَدِمين، فسألت كُل واحدٍ منهم ذات السؤال "هل تَعرفون تلك التلة العالية خارج البلدة وتلك البقعة الضيقة حيث يَنحَدِر الطريق إلى الوادي؟ إلى أي درجة يُمكنك أن تَسوق العربة إلى الحافة دون أن تفقِد أعصابك؟" قال الرجُل الأول: "سيدتي، حتى لو اقتربت العجلة بستة إنشات من الحافة سأكون شاعِراً بالأمان". الحوذي الثاني قال: "سيدتي، أعتقد أنه حتى ولو خرجت إحدى العجلات خارج الحفة أستطيع أن أُسيطر على الأحصنة وأستعيد العربة دون أذى". ولكن كان الحوذي الثالث من حصلَ على الوظيفة، قال: "سيدتي، سأُبعد العربة بقدر استطاعتي عن ذلك الوادي". هذا ما يعنيه التقديس تماماً، ليس أن نقترب من العالم بقدر المستطاع دون فقدان شهادتنا، ولكن أن نكون أبعد ما يُمكن عنه بالبقاء قريبين من المسيح.

طافَ إبرام العالم مرة، والآن يضع مسافة بينه وبين مِصر من خلال العودة إلى بيت إيل، بيت الله، وإعادة تأسيس شخصيته المُهاجرة. نَصَبَ خيمته في بيت إيل ورمَمَ علاقته مع الله.

العلامة الثالثة للرجُل الروحي هي *التضحية*، أتى إبرام "إِلَى مَكَانِ الْمَذْبَحِ الَّذِي عَمِلَهُ هُنَاكَ أَوَّلاً .وَدَعَا هُنَاكَ أَبْرَامُ بِاسْمِ الرَّبِّ." (13:4). كانت الخيمة رمزاً لموقِف إبرام من *هذا* العالم، لقد كان مُهاجراً وغريباً، ولن يَضَع جُذوره هنا، كان مُستَعِداً للسفر بلحظة إشعار عند إرادة وقيادة الله. رَمَزَ مذبحه موقِفَه تجاه العالم *القادِم*. لقد كان مُستعِداً لأي تضحية؛ سَيُقَدّم أي شيء يُطلب منه من قِبل الله. لِذا نادى باسم الرب، مصمِماً أن خطوط الاتصالات نحو السماء ستبقى مفتوحة من الآن فصاعِداً.

مع زوجة وثلاث مُراهقين وهاتف واحد في البيت، كُنت في أغلب الأحيان أحصل على إشارة المشغول عندما أتصل بالمنزل. جميعنا يُدرك الشعور عندما نُحاول ونحاول للوصول، ولكن في كُلِ مرة نحصل على إشارة المشغول. كم من المرات يحصل الله على إشارة المشغول في حياتنا. صمم إبرام بأنه من الآن فصاعداً سيُبقي الخطوط مفتوحة لكي يستطيع أن يسمع صوت الله. مَذبَحَهُ العائلي كان علامة للرب بأنه مُستَعِد ليسمع ويعمل ما يقوله الرب.

هذه إذاً علامات الرجُل الروحي-انفصال وتقديس وتضحية، إنها الأشياء التي علَّمت إبرام في أزمنة التجارب القادمة.

ب. ذُهن الرجُل الروحيّ (13:5-9)

كيف يُفَكِر الرجُل الروحي؟ ما هو سلوكُه تِجاه مشاكل الحياة وحيرتها؟ نهج الرجُل الروحي مُختلف جداً عن ذلك الرجُل الجسدي. لوط الرجُل الجسدي وإبرام الرجُل الروحي وقفا في تناقُض صارخ بين الواحد والآخر في الأحداث التي تلت.

1. ظروف مُقلِقة (13:5-6)

كِلاً من لوط وإبرام كان لديهما عدد كبير من القطيع والخراف، عددهم كبير إلى حد أنه لم يكُن هناك أرض مرعى كافية لكليهما. كان من الطبيعي أن يقول إبرام للوط "أنظر إلى هنا يا لوط، هذه الأرض تعود لي وليس لك، لقد وعدني بها الله، وبِكُلِ بساطة عليك أن ترحل." ولكن ماذا فعل إبرام؟ لم يفعل *شيئاً*، كان ذلك أول ردة فعل لظروفٍ مُقلقة. لقد تعلم جيداً ماذا يحدُث عندما يأخذ ابن الله الأمور بيده.

منذ عدة سنوات مضت فَكَرَ والدي بشكل جدي أن يبيع عمله ويذهب في خدمة الرب بشكل كامل. كان هناك بعض الظُروف المُقلقة مُتَعَلِقة بالتغير المطروح. فسأل نصيحة ستيفن أولفورد. بعد أن سمع القصة وزان الأمور، قال ستيفن: "لِن، نصيحتي بسيطة-إن كُنت لا تعلم ماذا تفعل، لا تفعلها!"

تواجهَ إبرام مع الظروف المُقلقة، ظروف تبدو على أنها تصرُخ لِفِعِل فوري، ببساطة انْتَظَرَ. لقد كان واثقاً بأن الله سوف يجعل إرادته واضحة، لِذا لم يفعل شيئاً.

2. جيران خُبَثَاء (13:7)

أصبح الوضع أسوء، أُضيف إلى مُشكِلة الظروف المُقلقة مُشكِلة جيران خُبَثَاء "فَحَدَثَتْ مُخَاصَمَةٌ بَيْنَ رُعَاةِ مَوَاشِي أَبْرَامَ وَرُعَاةِ مَوَاشِي لُوطٍ .وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ وَالْفَرِزِّيُّونَ حِينَئِذٍ سَاكِنِينَ فِي الأَرْضِ." لقد كان من السيء أن يَتَخاصم الأخوة ويفتَرِقون بالأخص من أجل أمور مادية، ولكن في مَحضَر الشعب الغير إلهي كان هذا أسوء. لا شيء يستطيع أن يَكبَح الشهادة أسرع من ذلك، لذا يُحَذِر

3. كان لِدى الرُهبان القُدامى الفكرة المغلوطة أن الانفصال عن العالم عنى عزل الذات في دير. عَبَرَ بولس عن المَفهوم الحقيقي للانفصال عندما كتَبَ لمؤمني كولوسي أنهم "في المسيح في كولوسي". المؤمن يسكُن في مكانين يعيش في غلاف سماوي (فهو "في المسيح") ويعيش في غلاف أرضي (وهو "في كولوسي")، وعلى الاثنين أن يبقوا مُتوازنين. من المُمكن أن نكون منشغلين في كوننا "في المسيح" حتى ننسى أننا نعيش في عالم محتاج ويائِس، أو من المُمكن أن نكون منشغلين في كوننا "في كولوسي" حتى ننسى أننا بحاجة إلى عشرة يومية مع الله. يتضمن الانفصال الحقيقي عن العالم إبقاء بُعد "في المسيح" بتوازُن مثالي مع بُعد "في كولوسي".

بولس الرسول، "اِفْعَلُوا كُلَّ شَيْءٍ بِلاَ دَمْدَمَةٍ وَلاَ مُجَادَلَةٍ، لِكَيْ تَكُونُوا بِلاَ لَوْمٍ، وَبُسَطَاءَ، أَوْلاَدًا للهِ بِلاَ عَيْبٍ فِي وَسَطِ جِيل مُعَوَّجٍ وَمُلْتَوٍ" (فيليبي 14:2)

3. الأخ الأضعف (13:8-9)

وجود أخ أضعف أضاف على مشاكل إبرام، لأنه ببساطة لم يَكُن للوط طبيعة إبرام الروحية. لقد كان الرجُل الروحي من أخذ أول خطوة، فعل إبرام الشيء الروحي والمُضَحيّ وفي ذاكرته مَذبَحَهُ؛ تَنازلَ عن حقوقه الشخصية.

تَعَاملَ مع لوط *بصراحة روحية* "لاَ تَكُنْ مُخَاصَمَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ". يا له من تَصَرُفٍ مُتسامِح، لقد وضع نفسه أولاً وكأنه هو سبب المُشكِلة. لقد ذهب بشكل مُباشر للنقطة دون لف ودوران وطرح المُشكلة كما هي-مُخَاصَمَةٌ. "أسمع يا لوط، هذا النزاع أمام جيران غير مُخَلَصين على أمور دُنيوية مؤقتة يجب أن يَتَوَقَف. وأنا مُستَعِد أن أتخذ أي خطواتٍ ضرورية لوقفِها". هذه هي الطريقة الناجحة لتفكير الرجُل الروحيّ.

تَعَاملَ مع لوط *بفطنة روحية* "لاَ تَكُنْ مُخَاصَمَةٌ... لأَنَّنَا نَحْنُ أَخَوَانِ" قال له "أنظُر يا لوط الأمور التي تُوَحِدُنا هي أهم بكثير من الأمور التي تُفرِقُنا". كان على سيدتين مسيحيتين مؤمنتين أن تُشارِكا بعضهُنَّ مكتباً واحداً، إحداهما تُريد النافِذة دائماً مَفتوحة والأخرى تُريدها دائماً مُغلقة. قالت إحداهنّ "أشعُر بأنني سأختنق هنا!" ردت الأخرى بحجة مُعاكِسة وقالت "أكاد أموت من البرد!" فاقترح أحدهم "لما لا تَبقينَ النافذة مُغلقة إلى أن تموت إحداكما من الاختناق ثم ابقينَ النافذة مَفتوحة حتى الأخرى تموت من الالتهاب الرؤي، ثم نستطيع أن نحصل على بعض من السلام هنا!" قد نبتسم بسبب القصة، ولكن كم هي واقعية في الحياة. كم هي تافهة الأمور التي تُفرِقُنا، لقد كانت هتان المؤمنتان منقسمتين لفترة وجيزة على نافذة، ولكن كانتا مُتحِدتان بالمسيح طول الوقت. قال إبرام الفَطِن روحياً "نَحْنُ أَخَوَانِ"، دعنا لا نَفقِد بصيرة ذلك.

ثُم تَعَاملَ مع لوط *بكرامة روحية* (13:9) قال: "أخي الصغير العزيز، اختَر، سآخُذ ما تَترُك". بتلك الروح المُضَحية، وضَعَ إبرام حقوقه على جنب. لقد كان إبرام أكبر من لوط من الناحية الاجتماعية وكان له حق المُطالبة الأولى، ومن الناحية السيادية كان إبرام الأقوى بكثير بين الشخصيتين، ومن الناحية الروحية كان إبرام الوارث والمُستَفيد الوحيد للوعد الإلهي. ولكنه كان عند المَذبَح، لقد تَعَلَمَ كيف يُضَحي. قال سبرجين: "تتطلب نعمة أكثر مما أستطيع أن أُعَبر، أن تؤدي دور المخدوع بشكل جيد" هذا تماماً ما فعَلهُ إبرام هنا، قد يَصِم العالم إبرام بالغباء لأنه تنازل عن حقوقِه ومَوقِفَهُ القويّ، ولكن الله باركه على ذلك.

ت. تَحَرُكات الرجُل الروحي (13:10-18)

1. مُقَيَّد من قِبَل الله (13:10-13)

قبل أن ندخل في أهمية قَيد الله، يجب أن نستطرد لنرى كيف تَصَرَف لوط عندما أُعطيَّ الفُرصة. لأنه إذا تصرف إبرام بتَقيّد إلهي، تصرف لوط بِحَل جسدي. كان هناك ثلاث أمور وصَمَت اختيار لوط.

في المركز الأول، كان لوط *ضعيفاً في عبادته*. قيلَ لنا أنه كان لديه "قطيع ومواشي وخيَم" مِثل إبرام، ولكن إبرام كان لديه شيء لم يكن لِدى لوط، إبرام كان لديه مَذبح. لا يُوجد حتى تلميح أن لوطاً كان لديه شيءٌ كهذا أو أنه توقف وقال: "يا رب، ماذا تُريدُني أن أفعل في أمرٍ بهذه الأهمية العظيمة لي ولعائلتي" لم يَكُن للوط وقت هدوء، لا عبادة أو تأمُل، ولا فترة انتظار الله، لم يَكُن لديه مَذبح، لقد كان ضعيفاً في عبادته.

وبناءً على ذلك كان *مُهتماً في رغباتُه* (13:10). لم يَسأل: "هل هذا المكان مُناسب لتربية الأولاد؟" بل سأل: "هل هذا المكان مُناسب لتربية المواشي؟" كان لديه سببان لاختيار سدوم ووادي الأردن المُروى جيداً، سبب "ديني" وسبب حقيقي. كان وادي الأردن "كجنة الرب" – كان ذلك سببه الديني، و"كأرض مِصر" – كان ذلك سببه الحقيقي. لقد استمتع لوط بمِصر، لم يَستَفيد أبداً من اختبار إبرام الروحي كنتيجة إقامتهم المؤقتة في تلك الأرض.

الرجُل الضعيف في عبادتهِ وأرضيٌ في رغباتِهِ حتماً سيكون *مُخطئاً في قراراته* (13:11-13). اختار لوط سهول الأردن وفَصَل نفسه عن عمه المؤمن، وقبل مرور زمن طويل نصَبَ خيمته باتجاه سدوم، ويُضيف الروح القُدوس المُلاحظة الهامة: "وَكَانَ أَهْلُ سَدُومَ أَشْرَارًا وَخُطَاةً لَدَى الرَّبِّ جِدًّا". لقد أخطئ لوط في اختياره، السؤال الأول الذي يخطُر على البال هو "السماء أم جُهَنَم؟" السؤال الثاني هو "السماء أم الأرض؟" لقد جاوب لوط على السؤال الأول عندم غادر بلاد ما بين النهرين؛ وأجاب عن السؤال الثاني عندما اختار سدوم.

ولكن لنعود الأن لإبرام الرجُل المُقَيَّد من الله. كان القديس جورج ميولر يقول إن *الوقفات* كما الخطوات للرجُل الصالح مُوّجهة من قِبل الرب. كان إبرام مُقَيَّداً بشكل رائع من قِبل الله على ألا يختار وادي الأردن، حيث كان الله على وشك أن يُدَمِر مُدُن السهل بالنار والكبريت بليلة رهيبة من الخوف واللهب. قد نقول: "ولكن لوط لم يَعلم ذلك!" ولكن هذه هي الفكرة بعينها، لأن إبرام لم يَعلم أيضاً. ولكن الله كان يَعلم، ولأن إبرام أبقى على صِلته مع الله، قُيّدَ إلاهياً من أن يَتَخِذ الاختيار الخاطئ.

2. طمأنينة من قِبل الله (13:14-16)

لم يكُن إبرام مُقَيّداً من قِبل الله فقط، ولكن كان مطمئناً من قِبَل الله، أولاً بخصوص *أملاكِه* (13:14-15). نقرأ أن "وَارْتَحَلَ لُوطٌ شَرْقًا". والآن نقرأ أن الله قال لإبرام: "ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَانْظُرْ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ شِمَالاً وَجَنُوبًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا". وغرباً، نعم إبرام في الأسفل هناك حيث السهول المروية تبرُق مثل الزُمُرُد في الشمس، في الأسفل هناك حيث خيام لوط ومواشيه وقطيعه لا يزال يُمكن أن ترى مثل القذى في الأفُق، في الأسفل هناك على طول روافد الأردن، في الأسفل هناك، باتجاه سدوم – إنها لك. "لأَنَّ جَمِيعَ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ تَرَى لَكَ أُعْطِيهَا وَلِنَسْلِكَ إِلَى الأَبَدِ."

لم يَخسَر إبرام أي شيء، تلك الأراضي العشبية المُحتَلة بشجع من قِبَل لوط ما زالت له، كُل حجر وقصبة. عهود الله لن تُحبط من قِبَل عدم أنانية إبرام ومادية لوط، حسابات الله ليست كحساباتنا. بالنسبة لنا إذا طرحنا واحداً من واحدٍ نحصل على لا شيء، ولكن بالنسبة لله إذا طرحنا واحداً من واحدٍ سيدوم لنا كُل شيء. "وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ بُيُوتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَدًا أَوْ حُقُولاً مِنْ أَجْلِ اسْمِي، يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ." (متى 19:29) هذه حسابات الله.

ثم طُمئنَ إبرام من قِبل الله على *أجياله القادمة* "وَأَجْعَلُ نَسْلَكَ كَتُرَابِ الأَرْضِ" لقد كانت أجيال إبرام القادمة مُتَمركزة على ابن واحد، وواحد فقط، ولكن في ذلك الابن مَكَثَ العرق العبري أجمَعُه. تَحَرُكات الرجُل الروحيّ ستقود دائماً إلى إثمار كامل. هذا لا يعني بالضرورة أن الرجُل الروحي سيقود آلافاً للإيمان بالمسيح، قد يقود واحداً فقط، ولكن ذلك الواحد قد يكون سبرجين أو د.ل. مودي.

قراءة سفر رومية غيرت حياة مارتن لوثر، قراءة تمهيد لوثر لكتابه التفسيري عن رومية غيرت حياة جون ويسلي، حضور كنيسة صغيرة بدائية ميثودية حيث كانت إحدى المجموعات التي تَبِعت تعاليم جون ويسلي قادت إلى تحويل س.إيتش. سبرجين، وسبرجين لَمَسَ حياة هنري مور-هوس اليافعة، الذي بدوره حوّلَ خدمة د. ل. مودي، وحضور إحدى خدمات مودي غيرت حياة س. تي. ستد وستة آخرين الذين عُرِفوا باسم الكيمبرج السبعة، وبدورهم اجتاحوا الجامعات في إنكلترا وأسكوتلندا مُثيرين التلاميذ في كُل مكان ليعيشوا حياة العبادة والخدمة لله عبر المُحيطات. هذه هي الأجيال القادمة الروحية، هذا هو نوع التفاعُل المُتَسَلسِل الروحي الناتِج عندما يُبارك الله إنساناً.

3. مُنَظم من قِبل الله (13:17-18)

أخيراً كان إبرام مُنَظماً من قِبَل الله "قُمِ امْشِ فِي الأَرْضِ طُولَهَا وَعَرْضَهَا، لأَنِّي لَكَ أُعْطِيهَا. فَنَقَلَ أَبْرَامُ خِيَامَهُ وَأَتَى وَأَقَامَ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا الَّتِي فِي حَبْرُونَ، وَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ"، وهكذا تَنَقُلات إبرام مأمورة من الرب وقد تحرك بطاعة لمشيئة الله المعروفة والمُعلنة لحياته – بالحقيقة كان رجُلاً روحياً.

3. قوة الإيمان (14:1-24)

هناك عشر ملوك في الإصحاح 14، وواحد منهم فقط ملك البر، لا يظهر حتى النهاية. الإصحاح عبارة عن حجاب للتاريخ بملوكِه وصراعاته وأخيراً، في نهايتها جميعها، مجيء الله الملك الحقيقي والبار.

الإصحاح يُسَجِل أول معركة في الكتاب المُقَدَس، وفي الواقع في كُل التاريخ المُدَوّن. إنه إصحاح مُهم لأنه يَذكُر للمرة الأولى الكاهن والملك والحرب والخبز والخمر والعشور. الذِكر الأول للكاهن على سبيل المثال يأتنا بتركيز حاد لتفكير الله عن الكهنوت، الكاهن المثالي بالنسبة لله هو ليس كاهن طقوس بحسب ترتيب هارون، بل كاهن ملوكي بحسب ترتيب ملكِ صادق. مُشابهاً لذلك أول ذِكر للملك، يُظهِر أن الملك المثالي بالنسبة لله هو ليس ملكاً مُحارباً مثل كَدَرْلَعَوْمَرَ، ولا ملكاً شريراً مثل بَارَعَ ملك سدوم، ولا حتى ملكاً حكيماً مثل أَمْرَافَلَ مَلِكِ شِنْعَارَ، الملك المثالي بالنسبة لله هو ملكٌ عابِدٌ مثل مَلْكِي صَادِقُ.

هذا المقطع المهمل جداً من الكتاب المُقَدَس قد شُحِنَ بمواد ذات أهمية تامة لابن الله. خُذ مَرجِعَهُ للحرب، بما أنه أول ذِكِر للحرب في الكتاب المُقَدَس، قد نتوقع أن تقول شيئاً عن موقِف المؤمن تجاهها. لقد كان إبرام مؤمناً مفصولاً ولأنه لم يكُن مؤمناً معزولاً، لم يعش في دير أو في بُرج من العاج. لم يَكُن مُتَوّحِداً روحياً، يُخبئ وجهه بالرمل وكأنه لا يُريد أن يواجه الواقِع، كان مؤمناً عملياً ومُفعماً

بالحيوية باتصال يومي مع الإله الحيّ ووقائع الحياة. انفصاله عن العالم لم يقوده إلى الانعزالية، في حين أنه أبغض سدوم وكل ما رمَزَت له، وفي حين وقف بمَعزل عن شهوات سدوم وسياستها ومبادئها وغناها وحتى شعبها، ولكنه ولا للحظة تظاهر بأن سدوم غير موجودة. إنها موجودة وابن أخيه لوط العزيز والضعيف والمتعَثِر والمُتراجع في إيمانِهِ كان هناك بالأسفل، كان إبرام مُستعداً أن يَتَدَخَل من أجل لوط. ولكن فقط في الوقت المناسب والطريقة المناسبة، هذه هي الفكرة المُسيطرة خلف الإصحاح.

في الكنيسة التي تربيت بها، كان هناك أخ رافضاً للخدمة العسكرية خلال الحرب العالمية الثانية. قُدِمَ أمام كُرسيّ القضاء وسؤلَ من قِبل القاضي إن كان مُستَعِداً أن يفعل أي شيء ليُساهم في جِهد الحرب، وعندما رفض، سؤلَ عن السبب فقال: "مملكتي ليست من هذا العالم". نظر إليه القاضي بعين المُستَهجِن، فقد سَمعَ ذلك من قبل، فقال القاضي: "حسناً أيُها الشاب، *لن تحتاج إلى البطاقة التموينية!*" "الانفصال" للأخ اليافع كان بالحقيقة انعزالاً، والقاضي الفَطِن نظر من خلاله بلمح البصر. لم يَكُن إبرام هكذا.

أ. المعركة اليائسة (14:1-11)

تابعت الأخبار بالترشيح إلى إبرام، لقد كانت بغاية الأهمية له، لأنه كان يَملُك أرصِدة واسعة لممتلكات مُتَحَرِكة، النوع من الممتلكات التي يُحب الجيش المُحتَل أن ينهبها. لقد كان غنياً بالمواشي والفضة والذهب، لقد أصغى إبرام بعناية للأخبار.

أولاً حدث تَمَرُد في السَهْل، أعلنت مُدُن السَهْل الخمسة عزمها على عدم تَسديد الجزية للْعِيلاَمِيِّينَ. ثم أتت أخبار التحالُف العظيم لملوك الشرق، تبع ذلك بقليل أخبار إضافية أن جيشاً عظيماً يزحف باتجاه الغرب. ثم أتت بُشرى أن مُدُن السَهْل قد شَكَلوا مِيثاقَ عونٍ مُشترك؛ لقد كانوا يُحَصِنون القواعِد الأمامية ويحشِدون احتياطهم ويُحَولون معاملهم لإنتاج الأسلحة. كان هناك بُشرى من الشرق والشمال، وكانت هناك حروب وشائعات حرب. ولكن إبرام كان في المكان الذي أرادهُ الله، كان في سَهل مَمْرَا، ساكناً في حَبْرُونَ، معنى الاسم "خليل". كان قلبه مطمئناً، لم يكن هناك هروب من مِصر، كان سيقف مكانه ثابتاً منتظراً أن يرى خلاص الله.

نحتاج أن نضع المعركة في بؤرة التركيز، أولاً الرواية تشرح *التحالُف* (14:1-2). في مُعظم الأحيان يُشار للمعركة بأنها معركة الأربع ملوك ضد خمسة. وقد تم تسمية المشاركين بعناية، كان هناك أربع ملوك من الشرق والخمسة ملوك السَهل.

في العصور القديمة كان هناك طريق سريع مستَخدَم بِكَثرة الذي جَرى من دمشق وعبر جلعاد وباشان على طول الجانب الشرقي من الأردن وحتى سدوم وعمّورة. بتلك المرحلة كان مُتَقاطِعاً مع مسار قافلة رئيسية تجري إلى الشرق من المُتَوَسِط إلى بلاد ما بين النهرين. ما أعطى الأهمية الاستراتيجية لسدوم هو بلا شك تقاطُع ذينك الطريقين المهمين. مع المُدن أخواتِها، تحكمت سدوم بالسَهل وخطوط الاتصال بين الشمال والجنوب وبين الشرق والغرب.

يَبدو أن التحالُف الشرقي كان قوياً، وبدون شك أن أخبار تحَرُكهُ تجاه الغرب سبَّب ذُعراً في سدوم، واجتمع مُلوك السَهْل الخمسة في اتحاد غير مُقَدَس. يبدو أن كُل هذا عَصريّ بشكل لافت للنظر. لم يَكُن هناك ذكر لله والتوبة ولا صلاة ولا استيقاظ روحي، فقط معلومات عن اتحادات وتجهيزات لجيوش. التقى تَحَرُك التَوَسُع العظيم للقِوى الشرقية بتضامُن مُفاجئ في الغرب. وفي خلفية هذا كُلُه كان المؤمنان، في الأسفل هناك في سدوم المؤمن الأول المُتراجِع في إيمانِهِ يهتم حتى المرض على نفسه وعائلته وثروته؛ والآخر مؤمن مُنفَصِل يُراقِب ويُصلي ويتساءل لما وأين ومتى هذا الجيَّشان الدولي سيُأثر عليه أخيراً.

ثم تَصِف الرواية *الصِراع* (14:3-9) نقرأ: "اِثْنَتَيْ عَشَرَةَ سَنَةً اسْتُعْبِدُوا لِكَدَرْلَعَوْمَرَ، وَالسَّنَةَ الثَّالِثَةَ عَشَرَةَ عَصَوْا عَلَيْهِ." هنا أيضا يُسَطِّر قانون الذِكر الأول بنداً ذي أهمية، لأن هذه أول مرة يظهر بها هذان الرقمان في الكتاب المُقَدَس. يُلاحظ في الكتاب المُقَدَس أن الرقم أثني عشر يُشير للسلطة الحاكِمة والرقم ثلاثة عشر يُشر للتَمَرُد والردة. يتبع ذلك قائمة للانتصارات التي أحرزها جيش الاحتلال القادِم من الشرق، وهي قائمة مُثيرة للإعجاب. أُمةٌ بعد أُمةٍ سَقَطت مِثل الذُرة أمام المنجَل، بعض من تِلك الأُمم كانت شعوبها من العمالقة، ولكِنهم سقطوا. على سبيل المِثال الْحُورِيّونَ سَكَنوا حصوناً لا يُمكن الوصول إليها وعملياً هي منيعة ومُدُن الصخر لجبل سَعِيرَ، ولكنهم سقطوا. هؤلاء الملوك الغزاة زحفوا نزولاً حتى امتداد روافد الأردن الشرقية، ثم يقول الكتاب المُقَدَس "ثُمَّ رَجَعُوا".

لا بُدَ أن الفرحة في مُدُن السَهْل كانت مُرتَفِعة. دَقوا الأجراس دون أي شك على الانسحاب المُفاجئ والغير مُتوقع للعدو. رَجِعوا أدراجهم إلى قواعِدهم الأكثر جنوباً على ضفاف برية بُطْمَةِ فَارَانَ، ارتفع الأمل؛ رُبما كانوا مُكتَفين بغنائمهم وسيعودون أدراجهم الآن إلى الشرق مُحَمَلين بما نهبوا.

تِلكَ الآمال كانت فارغة، بعد فترة وجيزة عادت الجيوش المُحتلة للزحف مرة أُخرى، آتية للأسفل على الضفاف الغربية للأردن، وكانت ساعة القضاء تقترب بسُرعة. كان هؤلاء الغُزاة كُرباج الله، السوط الذي في يَدِه ليُعاقِب مُدُن السَهْل القَذِرة، في أَمَلٍ أن يتوبوا ولكي يَنجوا من هلاكِهم النهائي. ولكن لم يَكُن لسدوم وعّمورة أي فكر للتوبة، تفكيرهم الوحيد كان نحوَ اتحادهم.

وهكذا يَهرع السرد ليتلو عن *الانهيار* (14:10-11). اعتقد ملوك الأردن الخمسة أن لديهم فرصة. يُمكِننا أن نتخيلهم في مكتب الحرب، مُجتمعين حول خريطة الهلال الخَصِيب، والتي علَمَت سيلان أنهُر الفُرات ودجلة وطُرُق التجارة الرئيسية لكنعان وبحر الجليل والأردن والبحر الميت وساحِل البحر المتوسط والمُرتفعات والمنخفضات ومراكز القبائل الوديين والمُعادين والمُحايدين. وخريطة أُخرى تُظهر تفاصيل عُمْقِ السِّدِّيمِ والمُدُن الخمسة وحفر القار والخنادق وتطور القوات المُحاربة. حَدَقَ الملوك الخمسة بالخرائط، ثُم رُبما قال ملك سدوم: "ماذا تعتقدون يا أسياد؟ هل لدينا فُرصة؟"

كان تكلم أحد الجنرالات وقال: "يا أصحاب الجلالة، أعتقد بأننا نستطيع. هناك ستة أمور لصالحنا، أولاً هناك موضوع اللوجستية. خط مؤن العدّو مُمتد على طول المسافة من هنا إلى الفرات، بالإضافة أن قواتهم مُثَقَلة بالمنهوبات، وهذا يجعل القوات غير مُستَقِرة وذات فكرٍ مُنقَسِمٍ. ثم أنه هناك خمسة منا وأربعة منهم فقط فلدينا أفضلية العدد. رابعاً، نحن نُحارب من مواقع مُحَصَنة وقواتهم ستكون مكشوفة، بالإضافة أن رجالنا يُحارِبون لأجل عائلاتهم وبيوتهم وأنفسهم العزيزة، هذا وحده يجعلهم بُسلاء. وأخيراً نحن خبيرون بحقل المعركة أما العدّو فلا، نستطيع أن نجعل آبَارَ الحُمَرِ تُحارب من أجلنا؛ مع القليل من الحظ نستطيع أن نجعل جند المُشاة وسلاح الفُرسان يَغوصون إلى الأسفل هناك. لا أرى كيف من الممكن أن نخسر."

لذا لسببٍ أو لآخر اكتمل شمل المعركة. ولكن بعكس كُل التوقُعات، الدفاعات انهارت وملوك السَهْل وكل من كان محظوظاً أن يهرب من تلك الكارثة أصبحوا في فرار كامل. "وَعُمْقُ السِّدِّيمِ كَانَ فِيهِ آبَارُ حُمَرٍ كَثِيرَةٌ .فَهَرَبَ مَلِكَا سَدُومَ وَعَمُورَةَ وَسَقَطَا هُنَاكَ، وَالْبَاقُونَ هَرَبُوا إِلَى الْجَبَلِ." يبدوا أن في هذه جميعها عدالة شعرية، لقد كانت سدوم وعمورة شريرة وقذرة أكثر مما تستطيع الكلمات أن تصف، خطيئتهم كانت نتنة في خياشيم الله، كان مُلائماً أن ملوكهم يُستَحوَذوا للسبي مُلّطخة سُمعَتَهم ومُلّوثة بالحُمَر. كانوا قذرين من الداخِل وكانوا قذرين من الخارج، مَشْهَداً للإنسان والملائكة ودليل صامت أن الله لا يُسخَر منه.

ب. الأخ المغرور (14:12)

السِجِل مُختَصَر وبسيط "وَأَخَذُوا لُوطاً ابْنَ أَخِي أَبْرَامَ وَأَمْلاَكَهُ وَمَضَوْا، إِذْ كَانَ سَاكِنًا فِي سَدُومَ". أخر مرة رأينا فيها لوطاً كان يسكُن مُدُن السَهْل ويُثَبِت خيمته تجاه سدوم، والآن هو يسكُن في سدوم. خطوة تقود لأُخرى، حافظ على التظاهُر بأنه مُهاجر لفترة وجيزة، ولكن سريعاً ما أثبتت مفاتن العاصمة أنها أقوى منهُ لذا جعلَ بيته في أقذر مدينة على وجه الأرض. نظر تجاه سدوم – ثبت خيمته تجاه سدوم – سَكَنَ في سدوم. سدوم الرمال المُتحركة الغادرة للنفس، سريعاً ما سحبت لوطاً إليها. حتى كُل مُحاولات إبرام النبيلة لم تستطع تحريره من سحر ذلك المكان الشرير القاتِل، مع أن إبرام لاحقاً صنع كُل ما يستطيع المؤمن الأخ أن يصنعه لأخيه، إلا أن لوطاً عاد مرة أخرى إلى المُستنقع. رُبما سيقا إلى هناك بسبب إلحاح زوجته، أو رُبما احتياجات أولاده الدنيوية هي التي أوقعته بالفخ، أو رُبما وبكُل بساطة الرغبة في الحصول على مال أكثر، أو رُبما ذلك المسكين مازال يعتقد أن بإمكانه أن يكون عاملاً مؤثراً لله هناك. لم يُقال لنا، كل ما نعلمه أن ذلك الرجُل المَغرور عاد أدراجه.

ت. المؤمن الديناميكي (14:13-24)

بعد نظرة عابرة ووجيزة للوط، يعود السرد لإبرام حيثُ نراه يربح انتصاراً ثُلاثيّاً.

1. ضعف الجسد (14:13)

"فَأَتَى مَنْ نَجَا وَأَخْبَرَ أَبْرَامَ الْعِبْرَانِيَّ .وَكَانَ سَاكِنًا عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا الأَمُورِيِّ" كان مُمكناً لإبرام وبكُل سُهولة أن يَهُزُ كتيفيه باستهجان ويقول: "يستحق لوط ما حَصِلَ عليه! كان عليه أن يَبتَعِد عن سدوم، كان عليه ألا يخرُج من جماعة وشركة شعب الله. بالإضافة، ما علاقتي بكُل هذا؟ لا أستطيع أن أفعل أي شيء تجاه ما يحصُل. أنا عبراني؛ ولا يجب عليّ أن أتورط بشؤون هذا العالم، أنا عليّ أن أكون منفصِلاً عن هذا العالم. وحتى لو كان لدي كُل الإرادة، ماذا أستطيع أن أفعل للوط؟ إن لم يستطع ملوك السَهْل الخمس مع كُل التَسَلُح والقوات المُحْتَشِدة من قَهر ملوك الغرب، بالتأكيد أنا لن أستطيع. بالإضافة أنا مُزارع ولستُ مُحارباً، لم يَدعُني الله لأكون جُندياً ولكن قديساً، فأنا لا أعرف شيئاً عن الحرب". ضِعف الجسد يستطيع أن يُقَدِّم ألف سبب لماذا لا يجب على إبرام التورط. ولكنه كان مؤمناً ديناميكياً، وربح حربه مع ضعف الجسد.

الأسباب التي قد يخترعها إبرام نستطيع أن نخترعها نحن أيضاً. مواجهين بعالمٍ يموت، والملايين المُزدحمة التي لم تسمع حتى عن يوحنا 16:3، ما هو استعدادنا أن نفعل؟ مواجهون باحتياج أخوة وأخوات في المسيح أضعف منا يُساقون بعيداً عن طريق شهوات مؤلمة وكرهة، ما علينا أن نفعل؟ لدينا عائلتنا وأشغالنا لنهتم بهم، لدينا مسؤوليات في البيت.

2. حِكْمَة العالم (14:14-16)

كانت حكمة العالم سوف تُملي الحَذِر، كانت سوف تَقتَرح أن يفتح مُفاوضات مع الملوك الغالبين، كانت سوف تَقتَرح أن يُرسل أَلِيعَازَرُ الدِّمَشْقِيُّ على جَمَلٍ سريع ومعه رسالة لأَمْرَافَلَ وَأَرْيُوكَ وَكَدَرْلَعَوْمَرَ وَتِدْعَالَ ملوك الأُمم، "أسيادي: لديكُم فيما بين أسراكُم سجيناً يُدعى لوطاً. بدون شك أن عزمكم هو بيعه وعائلته للعبودية في بلاد ما بين النهرين، هل لي أن أقترح فدية؟" العالم كان سوف يَهمُس في أُذن إبرام "النقود تتكلم، كُل ما عليك فِعله هو أن تتكلم اللغة".

ولكن إبرام لن يتعامل مع التسوية، رَفَضَ أن يختبئ خلف الابتذال أو السلامية عندما حان الوقت أن يتدخل. وقت المُناقشة قد مضى، عليه أن يَتَصَرَف، يعمل بمشيئة الله ويعمل حالاً، وهكذا فعل – بِسُرعة وعقلانية ونجاح. حَشَدَ أولاً شَعبه، الذين "وِلْدَانَ بَيْتِهِ" كُل الثلاثمائة وثمانية عشر منهم. إنهم الشعب الذين تَرَبَوا في عائلة الله وهُم قادرون وراغبون للرد في ساعة الاحتياج. كانوا مُستعدين للأداء بالحال، كانوا مَهرة في استخدام السيف، خلال الساعة كانوا يزحفون بأقسى سُرعة تجاه الشمال. ثم كما أنه ولدَ للمعركة، قسم إبرام فِرقَتَهُ الصغيرة واستغلَ فائدة غطاء الليل وهجم على حُراس العدوّ، وضرب بِكُلِ قُوَتِه، ثم لاحق العدوّ المذعور والهارب. يُمكن لهذا النصر أن يُفَسَر فقط بشروط الله، كان الله معه كُل الطريق. أنقِذَ لوطاً وعائلته مع أسرى أُخَر كثيرين وكمية كبيرة من الغنائم.

3. حيَل الشيطان (14:17-24)

الأعداد الختامية للإصحاح مليئة بأمور مُهمة جداً للمؤمن، أولاً لدينا *لقاء إبرام المُهم مع ملك سدوم* (14:17-20). بعد بضع دقائق قليلة سيوضع أمام إبرام تَجرُبة بشكلٍ مُغرٍ جداً. في عنايته واهتمامه بروح إبرام، تأكد الله أن أبرام كان مُستَعِداً، قبل أن يأتي ملك سدوم، أتى ملك شاليم.

مَلِكُ شَالِيمَ كان مَلْكِي صَادِقُ، كاهن-ملك وأحد الأمثال العظيمة للرب يسوع في العهد القديم، البعض اقترحوا أنه فِعلاً كان الرب يسوع بالحقيقة، والبعض تَكَهَنَ أنه سام، الذي من المُحتَمَل أنه كان على قيد الحياة في ذلك الوقت. لم يُقال لنا من كان كشخص، تَقديمه في السرد هو تاريخي بحت، ولكنه نموذجيّ رفيع المستوى أيضاً. وضعَ مَلْكِي صَادِقُ الخُبز والخمر أمام إبرام – وهي رموز بالحقيقة لجسد ودم الرب يسوع الذي سيُقَدم يوماً على صليب الجُلجُثة. لذا بالنموذج والطيف والرمز الهام تَوَقَعَ إبرام الجُلجُثة. كما ننظر نحن إلى الخلف إلى الصليب من خلال الشعارات، كذلك نظر إبرام إلى الأمام إليه.

كان رده فوري وروحي، أعطى العشور لمَلْكِي صَادِقُ، الكاهن-الملك الذي وقف إبرام أمامه. العطاء هو فِعل عبادة، وهي استجابة صحيحة للتأمُل في الجُلجُثة. وهكذا تجدد إبرام بعلاقته مع الله، كما نحن في أغلب الأحيان عندما نأخُذ مكاننا في العبادة على مائدة الرب. في سلوك عبادة وشُكر مُتواضع، استلم إبرام بركة من الكاهن-الملك وتعلم اسم جديد لله: "اللهِ الْعَلِيِّ مَالِكِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ" وهكذا حُصِنَ إبرام لأن التجربة كانت ستقفز أمامه بكُل قوتها الحاذقة.

بعد أن أتَمَ لقائه الهام مع ملك شاليم، كان لدى إبرام الآن *لقاء شرير مع ملك سدوم* (14:21-24). إذا كان ملك شاليم نموذجاً عن المسيح، فملك سدوم كان نموذجاً عن الشيطان. في غد ما بعد النصر العظيم هو دائماً وقت عرضة للخطر الروحي للمؤمن، لن يخسر الشيطان أي وقت في القيام بهجوم مُضاض. حالاً بعد المعمودية قيد الرب يسوع للبرية لكي يُجَرَب على أيدي الشيطان.

تجربة إبرام كانت حاذقة "أَعْطِنِي النُّفُوسَ، وَأَمَّا الأَمْلاَكَ فَخُذْهَا لِنَفْسِكَ". أراد ملك سدوم *النفوس*، ويمكن لإبرام الحصول على الأملاك! الوقاحة الشديدة للرجل تأخُذ الأنفاس. لقد استعاد إبرام جميع النفوس والأملاك، حقيقة تجاهلها ملك سدوم بطريقة مُتعالية جداً. يا لدهاء الشيطان الذي يجعلنا نقايض أرواح بغنائم. هناك الكثير من الرجال في الأعمال اليوم، مسجونين ومغرورين من قِبَل الشرير، والذين قَصَدَ لهم الله أن يعملوا في حقله.

كانت شهادة إبرام بسيطة للغاية، "رَفَعْتُ يَدِي إِلَى الرَّبِّ الإِلهِ الْعَلِيِّ مَالِكِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، لاَ آخُذَنَّ لاَ خَيْطًا وَلاَ شِرَاكَ نَعْل وَلاَ مِنْ كُلِّ مَا هُوَ لَكَ، فَلاَ تَقُولُ :أَنَا أَغْنَيْتُ أَبْرَامَ." لم يُرِد إبرام أي شيء من سدوم أو ملك سدوم، ولا شِركة بأي شيء مُلَوَّث باسم سدوم. لقد استلم للتوّ رؤية جديدة مُتعَلِقة بالله، وبتلك الرؤية وقف ثابتاً. لقد تعلم بِمصر ماذا يحدُث عندما يُغني العالم رجُلاً، لم يَكُن يُريد أن يمتلك أي شيء خَرَجَ من أيادي ملك سدوم القَذِرة، يا له من موقِف عظيم يؤخّذ.

هذا هو المؤمن الديناميكي المنتصر بالتمام على العالم والجسد والشرير، يتهلل في تِذكار الرب والبُعد الجديد للاستنارة الروحية. وهكذا ذهب لوطاً – عائداً إلى سدوم ليغتني من قِبَل ملك سدوم، ليأخُذ ما رَفَضَهُ إبرام، وبلا شك بأنه رُفِعْ وتقدم في مجلس عند بوابة سدوم وهناك قريباً جِداً سيخسر روحهُ.

4. عهد الإيمان (15:1-21)

نحو نهاية القرن الثالث عشر، فوض إدوارد الأول لإنكلترا مجموعة من الفنانين الإيطاليين ليصنعوا عملة معدنية لمصنع صك العملة الإنكليزي. أخذ الفنانين المُزدهرين صفحة من الذهب والفضة، وقسَّموها لمجزات وطرقوا القِطع حتى أخذت الشكل المُناسب. ولكن ومع كُل مهارات الصُناع لم يستطيعوا أن يُقَدِموا لكُل قطعة وزناً مُتَساوياً تماماً. لسبب واحد إذ، لم تكُن للنقود المطروقة إطارات منحوتة حول أطرافها، لذا اكتشف اللصوص ليس بعد فترة طويلة أنه من الأسهل أن يبتروا قطعة أو إثنين من الفضة من إطار الشيلنغ عن أن يحصلوا على رزقهم بعرق جبينهم. فأصبح بتر النقود مشروع مُربح للجريمة.

حاولت الملكة إليزابيث أن تُحَسِن من عملة الدولة، وتم وضع طُرُق جديدة لسك العُملة. ولكن ذلك جعل الأمور أسوء، لأنه كان جانباً لجنب مع النقيّ العُملة النقدية ذات القيمة التامة عُملة قديمة مغشوشة وذات الوزن الخفيف مازالت تُداول. الفوضة كانت النتيجة، كُل عملية نقدية تمت انتهت بشجار حول استخدام تلك العُملة للسداد.

قام القضاء بمُلاحقة باتري العُملة، وفي بيلي القديمة جُعِلَ من كُل باتر عُملة مُدانٍ أمثولةً. شَهراً بعد شهرٍ كانوا يُساقون إلى أعلى تلة هولبورن ويتم إعدامهم علانية، قبل أن يستطيع القضاء استعادة ثقة الجمهور. ولكن جيوشاً من رجال الدولة وخبيري الأموال ومُستشاري الملك والبرلمانيين قد سيقوا للإلهاء عن أمور أخرى.

وعد الله هو عُملة مملكة الله. جون بُنيان رأى ذلك، في حكايته الرمزية المشهورة *الحرب المُقَدَسة* يروي كيف أن مانسول (روح الإنسان) بعد أن كان تحت قوة ديابلوس (الشيطان) تحرر أخيراً من قِبَل الأمير إيمانيول (المسيح). كانت إحدى الإجراءات الأولى للملك إلقاء القبض على الخائن كليب-بروميس (باتر-الوعد). لقد كان مُجرماً مشهوراً، قال بُنيان: "تم سوء استخدام عُملة الملك بسبب أفعالهُ، لِذا جُعِلَ منهُ أمثولة أمام الجمهور". قال أَلِكساندر وهيت في تعليقهِ على تلك الجُملة من القِصة:

تُشبِه نعمة الله كتلة سبيكة من الذهب الصافي، موسى وداود وأشعياء وهوشع وبولس وبطرس ويوحنا هم الفنانون المُلهمون فُوِضوا أن يأخذوا تلك السبيكة ويقطعوا منها ويطرقوها ويصهروها ويشكِلوها ويختِموها ويكتبوا عليها الوعود ثم يُصدِروا الوعود كعُملة في سوق الخلاص. شوه ذلك الكليب-بروميس (باتر-الوعد) هذه النقود المَلَكية المُصَّورة والمنقوشة في الشَبَه الملكي، مُقَلِلاً من قيمتها ومُسيئاً استخدامها.[4]

سبق وأعطى الله إبرام وعداً عظيماً جداً، صدق إبرام ذلك الوعد إلى التمام – لم يَكُن هو كيب-بروميس (باتر-الوعد)! بتصديقه لذلك الوعد الأصلي، أصبح مُهاجِراً وغريباً وقدميه مُثَبَتة على الطريق الضيق باستقامة. كان الله الآن على وشك أن يُسهِب الوعد، ومرة أخرى يؤمن إبرام وأصبح بالفِعل "أباً لكل من يؤمن". كان عند إبرام القُدرة الرائعة بأن يأخُذ الله على كلمته، لم يُشَوِه وعود الله ولم يُسئ استخدامها ولم يُقَلِل قيمتها ولا مرة.

أ. بناء عائلة إبرام (15:1-7)

كان لوط قد غادر للتوّ في طريقه إلى سدوم سعيدا، تاركاً إبرام يَهُزُ برأسهِ مُتسائلاً إن كانت جميع مُحاولاتهُ لإنقاذ وترميم أخاه المُتراجِع في إيمانِهِ دون جدوى تماماً. غادرَ ملك سدوم وهو يَفرُك يديه سعيداً باستعادة جميع أملاكُه دون تَكلفة له وبدون شك يُناقِش وزير ماليته نوع الجنون الذي حَلَ على إبرام حتى أنه رَفَضَ حِصَتَهُ من الغنيمة. غادرَ مَلكِ صادق تاركاً إبرام فقط بذكرى وتقدير جديد لله. غادرَ عَانِرَ وأَشْكُولَ ومَمْرَا وهم يُهَنئون بعضهم البعض على بطولاتهم في الحرب وابتهاجهم بالأرباح الغنية التي حصدوها. وهكذا تُرِكَ إبرام وحيداً، مُكتَئباً بعض الشيء ورُبما خائفاً قليلاً بسبب عَرضِهِ لقوتهِ العسكرية الغير المُتَوَقَعة قد يُحَفِز الكنعانيين لتشكيل فريق ضِدَهُ. بالإضافة على الأرجح أنه كان يَستَمِع لثرثرة أولاد لوط المنفَعِلة التي ذَكَرَتهُ-ليس لديه أولاد من لَدُنِه. كان في تِلك المرحلة أن الله بمحبته وعنايته أتى ليتكلم مع إبرام عن بناء عائلته.

1. كلمة قوة الله (15:1-4)

كان بناء عائلة إبرام من خلال القوة الروحية، وليس من قِبَل الطاقة الجسدية، والقوة الروحية مُوَرَثة في كَلِمة الله.

أولاً كان هناك *العهد* (15:1) "لاَ تَخَفْ يَا أَبْرَامُ .أَنَا تُرْسٌ لَكَ .أَجْرُكَ كَثِيرٌ جِدًّا" قال الله "إبرام لا تهتم، لديك إياي!" لقد سبق وأثبت ذلك بإرساله مَلكِ صادِق لِيُحَصِن إبرام من فخ ملك سدوم. قال:"أَنَا تُرْسٌ لَكَ" "إبرام، هل أنت قَلِق على الوضع العسكري؟ تَذَكَر، أن مَلكِ صادِق هو ملك وأنا تُرْسٌ لَكَ. هل أنت قَلِق على الوضع المالي؟ وغنائم الحرب التي رفضتها بنبالة؟ تَذَكَر، مَلكِ صادِق هو كاهن وأنا أَجْرُكَ. لا يُمكنكَ أن تخسر يا إبرام. لديك مَلِكٌ ليحميك وكاهِنٌ لِيُصلي لأجلك، وفوق كُل ذلك لديك إياي".

4. ألكساندر وايت، شخصيات بُنيَان، السلسلة الثالثة. Alexander Whyte, Bunyan's Characters, Third Series (London: Oliphant, Anderson, and Ferrier, 1895), pp. 95-100

تَبِعَ العهد *الالتماس* (15:2-3)، لقد امتلك إبرام أكثر مما كان يحتاج من الأمور الدنيوية، "أَيُّهَا السَّيِّدُ الرَّبُّ، مَاذَا تُعْطِينِي وَأَنَا مَاضٍ عَقِيمًا، وَمَالِكُ بَيْتِي هُوَ أَلِيعَازَرُ الدِّمَشْقِيُّ؟" ما جدوى جمع أموال أكثر عندما-كما يبدو-شخص من الخارج سيَرث كل شيء؟ قال: "مَاضٍ عَقِيمًا". كان مازال على إبرام أن يتعلم أنه لا يُمكن لثمر الله أن يُنتَج بوسائل طبيعية، وبذات الآن أن رجُلاً باراً أشار على نفسه أنه هو مصدر المُشكِلة، لم يَلُم الله أو ساراي. لم يَقُل: "ساراي عاقِر" قال: "أنا ماضٍ عقيماً"، كم من السهل أن نُحَوّل اللوم عندما يَقُل لدينا الثمر الروحي.

ثم أظهر الله لإبرام *الخُطة* (15:4) "لاَ يَرِثُكَ هذَا، بَلِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَحْشَائِكَ هُوَ يَرِثُكَ". كما كان يقول ديفيد ليفينغستون "كلمة الرجُل النبيل هي التي تحمُل الشرف الأكثر قداسة وصرامة وهذا خِتامُها!"

2. الشهادة على قوة الله (15:5-6)

"ثُمَّ أَخْرَجَهُ إِلَى خَارِجٍ وَقَالَ: انْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ وَعُدَّ النُّجُومَ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعُدَّهَا. وَقَالَ لَهُ: هكَذَا يَكُونُ نَسْلُكَ" كان الإنسان في ذلك الآن يعتقد بأنه يستطيع أن يحصي النجوم، نحن الآن نعلم أنها لا تُحصى. قال السير جيمز جينز أن هناك نجوماً في الفضاء أكثر من عدد حبات الرمال على جميع الشواطئ في العالم. وعد الله لإبرام كان مُذهِلا للمُخيلة، ومع ذلك لم تكُن مستحيلة. الإله الذي يستطيع أن يخلُق مَجَرات وسُدُم وعوالم لا تُحصى يستطيع بلا شك أن يُعطي إبرام نسلاً لا يُحصى. لذا نقرأ "فَآمَنَ بِالرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بِرًّا." استلم إبرام علاوة أكثر بكثير مما تجرأ أن يَفتكِر، أصبح الوريث للخلاص الأبدي. يجب أن نُلاحِظ أن إبرام حُسِبَ باراً، ليس بعد أن صَدَقَ الوعد الذي أخرجه من أور الكلدانيين، ولكن عندما صَدَقَ الوعد الذي يَخُص النسل. لأنه في النهاية يَرسو الخلاص على شخص المسيح في كُل العصور، فهو النسل. ليس ما يُخَلِص هو مُجَرَد إيمان -ولكن *إيمان بالمسيح*.

3. عمل قوة الله (15:7)

قال الله: "أَنَا الرَّبُّ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ لِيُعْطِيَكَ هذِهِ الأَرْضَ لِتَرِثَهَا". هناك قانون في الميكانيكية يتعلق بالعطالة (أو القصور الذاتي)، خاصة كُل مادة التي تجعل الجسم يُقاوم أي تغيير في حَرَكَتِهِ، ويُقاوم أي قوة تجعلهُ يتحرك، أو تِلك التي تجعله يُسرع أو يُبطئ أو يَتَوَقَف بعد أن تَمَت عملية الحركة. بسبب العطالة، يجب على قوة خارجية أن تُطبق دائماً لإنتاج الحَرَكة. ذلك القانون الفيزيائي يُمَثِل القانون الروحي، كان إبرام في حركة في أور الكلدانيين، ولكنه كان في حركة بالاتجاه الخاطئ. كان يَتَجه نحو هلاك أبدي، ومع كُل ساعة تَمُر كان يجمع زَخَم (قوة دافِعة). ثم فجأة أُوقِفَ ثم أُستُدير ثم وضِعَ بحركة باتجاه كنعان والسماء. قال الله: "أَنَا الرَّبُّ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ لِيُعْطِيَكَ هذِهِ الأَرْضَ"، كان *هذا* عمل قُوَتِهِ. إذاً بناء عائلة إبرام كان من عمل الله أيضاً، ذات القوة التي بَعَثَت بالنجوم إلى الفضاء ووضعتهم بحركة (أما الآن يُعَبَر عنها بمعنى روحي بدلاً من فيزيائي) كانت تَعمل لتُأمن لإبرام ليس فقط نسلاً ولكن نسل (المسيح).

ب. أُسُس إيمان إبرام (15:8-12)

قُدِمت الآن الجُلجُثة لتوضَع على حياة إبرام. كان الرب يتكلم مع إبرام عن الأملاك والأجيال القادمة وصدق إبرام حتى خلاص روحِه. والآن عليه أن يرى أن الأيمان الصحيح يَجِب أن يَرسو في النهاية على عمل المسيح الكامِل في الجُلجثة.

أولاً *ظُلَات الجُلجثة* أمام إبرام، عليه أن يُدرِك *سِرَها* (15:8-10) "خُذْ لِي عِجْلَةً ثُلاَثِيَّةً، وَعَنْزَةً ثُلاَثِيَّةً، وَكَبْشًا ثُلاَثِيًّا، وَيَمَامَةً وَحَمَامَةً". لما تِلكَ التشكيلة من المخلوقات لأجل الذبيحة؟ يَبقى ذلك لُغزاً. بطريقة عميقة وعجيبة وكاملة وغامضة يُصَوِرون جوانب مُختلفة من الجُلجُثة، الأهمية التامة والدقيقة لها تفوتنا، وكذلك لإبرام. لقد أُحضِرَ غموض الجُلجُثة لقلبه، المأساة القاسية للصليب والتمزيق والحُزن العميق والدم والألم والمحنة. إبرام رآها، رأى ظِل الجُلجُثة القاتم يقع على عرض العصور وشعر بها تُقشعرُ روحِه. لم يستطع أن يفهم الجُلجُثة بعلوها وعمقها ولكن لحدٍ ما فَهِمَ لُغز موت المسيح، كان هذا أساس إيمانه.

ثم لحَدٍ ما *أُشرِكَ إبرام بالجُلجُثة*؛ فَفهِمَ لُغزها (15:11-12) "فَنَزَلَتِ الْجَوَارِحُ عَلَى الْجُثَثِ، وَكَانَ أَبْرَامُ يَزْجُرُهَا. وَلَمَّا صَارَتِ الشَّمْسُ إِلَى الْمَغِيبِ، وَقَعَ عَلَى أَبْرَامَ سُبَاتٌ، وَإِذَا رُعْبَةٌ مُظْلِمَةٌ عَظِيمَةٌ وَاقِعَةٌ عَلَيْهِ." كان بذلك الرعب تماماً ما غُلِفَ به المسيح بينما عُلِقَ على الشجرة. تُستخدم الطيور غالباً في الكتاب المُقَدَس لتَرمُز لِقوى الهواء والأرواح الشريرة التي تفترس أرواح الإنسان. الطيور الجائفة والنوم العميق والظلمة والرُعب – أُحضِرت هذه الأشياء جميعها لفهم إبرام، الثمن المُخيف للعهد الذي أتاهُ به الله. أحضِرَ لقلبه رُعب الصليب بمقياس صغير.

ت. بريق مُستقبل إبرام (15:13-21)

صوت الله أقتحم، العصور التي لم تولد بعد أُحضِرت من رحم الزمن وجُعِلت تمُر في موكب استعراضي أمام الرجُل النائم. عليه أن يتعلم أن هناك *وقت مَعني ومنطقة* معنية في خطة الله المُتَجَلية.

1. الوقت المُحدد المَعني (15:13-16)

هناك ثلاثة مجالات مَعنية من إرادة الله بينما ارتبطت تلك الإرادة بإبرام. أولاً كان هناك إرادة الله *المُجيزة* (15:13-14) "اعْلَمْ يَقِينًا أَنَّ نَسْلَكَ سَيَكُونُ غَرِيبًا فِي أَرْضٍ لَيْسَتْ لَهُمْ، وَيُسْتَعْبَدُونَ لَهُمْ .فَيُذِلُّونَهُمْ أَرْبَعَ مِئَةِ سَنَةٍ ثُمَّ الأُمَّةُ الَّتِي يُسْتَعْبَدُونَ لَهَا أَنَا أَدِينُهَا، وَبَعْدَ ذلِكَ يَخْرُجُونَ بِأَمْلاَكٍ جَزِيلَةٍ." سمحت إرادة الله المُجيزة للشعب العبراني أن يُستَعبَد في النهاية من قِبَل المِصريين. غالباً ما تُجابه إرادة الله المُجيزة المؤمن والغير مؤمن سواء، ببعض المشاكل الشائكة المُتَعلِقة بالإيمان.

يُخبِر دانيال ديفو كيف حاول روبنسون كروزو أن يُفَسِر الأمور الإلهية لرجُل الجُمُعة، آكل لحوم البشر المُتَوَحِش الذي أنقذه. بعد تعليم الهمجي بدائيات اللغة الإنكليزية، عَلَمَ التائه رفيقه عن الإله الوحيد الحقيقي وخالق كُل شيء العظيم وذو القوة اللامتناهية. ثم قدمَ موضوع الشيطان وشرح مُحاولة الشرير في تدمير العِرق البشري.

قال رَجُل الجمعة: "حسناً، ولكنك تقول إن الله قويٌ للغاية وعظيمٌ، إن كان الله أقوى بكثير من الشيطان، *لما لا يقتُل الله الشيطان*؟" ادعى روبنسون كروزو أنه لم يسمع، ووجد عملاً لجُمعة ليعمله على الجانب الآخر من الجزيرة.

سَمَحَ الله بسيادته للإسرائيليين أن يُسحَقوا في مِصر، حتى أنه أوجدَ ظروفاً لإحضارهم لمِصر. ردة الفعل الطبيعية أن نسأل *لماذا*؟ لا يقول لنا الله دائماً لماذا، ولكنه فَعَل في حالة إبرام. وضع الحجاب على جنب وأعطى الخادم لمحة مما سيأتي من مأساة ووعد لانتصار نهائي لِنَسلِه.

ثم كان هناك الإرادة الله *الشخصية* "وَأَمَّا أَنْتَ فَتَمْضِي إِلَى آبَائِكَ بِسَلاَمٍ وَتُدْفَنُ بِشَيْبَةٍ صَالِحَةٍ." (15:15). لقد كانت مشيئة الله أن يموت إبرام في يومٍ من الأيام، ولكنه سيموت بسلام. ننظر للموت على أنه أسواء كارثة مُمكنة التي ستُدرِكُنا، ولكنها مُرحب بها عندما تأتي كإرادة الله الحسنة والمقبولة والكاملة.

بالإضافة كان هناك إرادة الله *المُقَدرة والمَحتومة*. عودة إلى مُستَقبَل نسل إبرام، قال الله: "وَفِي الْجِيلِ الرَّابِعِ يَرْجِعُونَ إِلَى ههُنَا، لأَنَّ ذَنْبَ الأَمُورِيِّينَ لَيْسَ إِلَى الآنَ كَامِلاً" (15:16). مَنظور الله لشؤون الإنسان مُختلفة تماماً عن منظورنا. يُحَدِثُنا الإنسان عن مَجيء الملوك الهكسوس إلى مِصر، وبناء المَعابد العظيمة في الكرنك على النيل، ونُشوء العِرق الباني للإمبراطورية الفرعونية التي رَفَعَت مِصر من الاحتلال الأجنبي وجعلت تَسَلُحها مُخيفاً من أثيوبيا إلى الفُرات. يَدوي التاريخ بأسماء أولئك الملوك ومآثِرهُم-ملوك لم يَعرِفوا يوسف. تجاهلهم الله، قال: "وَفِي الْجِيلِ الرَّابِعِ يَرْجِعُونَ إِلَى ههُنَا" التَلميح الوحيد الذي يُقَدِمَه الله لسبب التأخير الطويل له علاقة بذنب الأموريين.

وهكذا في الجيل الرابع انتهت إقامة إسرائيل المؤقتة في مِصر-لاوِي وَقَهَاتُ وَعَمْرَامُ وَمُوسَى، وبموسى بدأت وانتهت عصور العذاب الطويلة الصامتة. بينما مرت تلك السنين الطويلة والمؤلمة، راقب الله شروق نفوذ المِصريين، شروق الأموريين، تَدَفُق وانحطاط العلاقات الدولية، في حين جُعِلَ غيظ الإنسان في عبادة الله وفي النهاية كان القول الأخير في شؤون الإنسان لله.

2. المَنطقة المُحَدَدة المعنية (15:17-21)

أولاً تم ذِكر الضمان لأرض الموعد لإبرام (15:17) "ثُمَّ غَابَتِ الشَّمْسُ فَصَارَتِ الْعَتَمَةُ، وَإِذَا تَنُّورُ دُخَانٍ وَمِصْبَاحُ نَارٍ يَجُوزُ بَيْنَ تِلْكَ الْقِطَعِ." قَسَمَ إبرام جُثث الحيوانات بحسب الطقس المُناسب والقِطع قد فُرِقَت بالطريقة المشروحة. في أيامهِ الطرفان المُتَعَقِدان المُبرمَان لإتفاقية يمشيان ذهاباً وإياباً بين أجزاء الحيوان المذبوح. هناك أهمية لوقع إبرام في السُبات وأن الله وحده من مشى ذهاباً وإياباً. اعتمد العقد الذي ضَمِنَ الأرض لإبرام على الله وحده، كان إبرام مُستَقبِل سلبي لهذه كُلها. لم يَعتَمِد إتمام هذا الوعد عليه بأي طريقة.

ثُم تَكَلّم الله *بعظمة* الأرض المَوعودة لإبرام (15:18) "فِي ذلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ أَبْرَامَ مِيثَاقًا قَائِلاً: لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ." ستمتد لمساحة واسعة من النيل إلى الفُرات، لتَشمُل حوالي ثلاث آلاف ميل مُرَّبع من الإقليم والتي تحتضن أغلب الأراضي التي يحتلها العَرَب الآن. حتى تلك المرحلة قال الله "أنا سأُعطي" الآن يقول الله: "أنا أعطيت".

قال إبرام لملك سدوم: "لاَ آخُذَنَّ لاَ خَيْطًا وَلاَ شِرَاكَ نَعْل" أجاب الله: "إبرام! ليس فقط سُهُول الأردن المروية وليس فقط أرض كنعان ولكن سيناء وكنعان والهلال الخصيب العربي، كُلُّها لك حتى عبر نهر الفُرات". سؤلَ مرةً فلاحٌ كبيرٌ بالسن عن سبب ازدهارِهِ، فأجاب: "بالحقيقة وضعت اتفاقية مع الله بأنني سأُعطيه حِصَتَهُ. سأجرِفُ في صَندوقِهِ وهو يَجرِفُ في صندوقي، إلا أنه يَمتَلِكُ مجرافاً أكبر!" استيقظ إبرام من سُباتهِ بإدراكٍ نَضِر بحقيقة كم أن مجرفة الله كبيرةٌ جداً.

5. رِهان الإيمان (16:1-16)

يَنظُر الإصحاح السادس عشر إلى بيت إبرام، ويُسَجِل أول نَموذج كتابي للصراع المنزلي. هناك ثلاثة أشخاص في القِصة-إبرام وساراي ولوضع المُثلث الأبدي هناك هاجر المرأة الأُخرى. إن كان هناك شيء واحد نجمَعُهُ من ذلك الجزء الحَزين من تاريخ إبرام هو أن أشخاص الكتاب كانوا أشخاصاً واقعيين، رجالاً ونساءً مُتأثرين بالمشاعر المُشابهة لنا. تخيل إبرام يرتدي طقم رجُل أعمال وساراي ترتدي فستاناً أنيقاً وهاجَر خادمة طاهية حسنة والوضع هو بحداثة أخبار اليوم.

الوضع كان مُتفجراً جداً، وأخَذَ المجرى الذي أخذ لأن إبرام وساراي ومع كُل روحانيتهم وإيمانهم الراسخ كانا شخصين عاديين بآمال وخوف ورغبات واحتياجات مثل أي شخصٍ آخر. أراد إبرام ابناً ووريثاً أكثر من أي شيء في العالم، وساراي كانت مُحبطة أكثر مما تستطيع الكلمات أن تُعبِّر عن عدم إمكانيتها أن تُقَدِّم له ابناً. أُضيفَ إلى ذلك الخليط المُعَقَّد فتاة جارية فاتنة ومنفذ قانوني وبعض من المنطِق العالمي وحلّ جسدي، والنتيجة كانت تَشابُك مُعقد ومُلتوي لدرجة أن أربعة آلاف سنة لم تستطع أن تحُل خيوط هذا التعقيد.

أ. اختِبار صَمتْ الله (16:1-6)

ليس من الغير العادي أن يكون الله صامتاً، وبالحقيقة أنه كان صامتاً أكثر بكثير مما تكلم، صموتهُ بليغٌ مِثلَ أقوالهُ. عادةً يفعل الله ما فعله هنا مع إبرام، أعطاه رؤية لفِكرِهِ وإرادتِهِ بما يتعلق بالابن والوريث، ثم ينتظر الإيمان ليشتغِل. مع الأسف بحالة إبرام وكما معنا نحن أيضاً بدلاً من انتصار الإيمان ينتصر الجسد.

1. فِكر إبرام المُزدَوّج (16:1-4)

ازدواجية الفكر هي دائماً خطر جديّ للنمو الروحي، نُلاحِظ أولاً *المُشكِلة* "وَأَمَّا سَارَايُ امْرَأَةُ أَبْرَامَ فَلَمْ تَلِدْ لَهُ .وَكَانَتْ لَهَا جَارِيَةٌ مِصْرِيَّةٌ اسْمُهَا هَاجَرُ" (16:1). شُرِحَت المُشكِلة ببساطة أنه لم يكُن هناك ثمر، الحَلّ المطروح كان عملاً من الجسد، الذي أشار إلى هاجر، وليس الله، لقد كان حلاً مِصرياً. الاحتمال الأكبر أن هاجر كانت إحدى الموروثات لرِحلة إبرام المشؤومة لمِصر. لقد كان أسهل بكثير على الله أن يُخرِج إبرام من مِصر على أن يُخرج مِصر من إبرام. هذه هي المُشكِلة الكبيرة مع الدنيوية؛ تميل إلى تَلويث قراراتنا. مُواجهاً بِمُشكِلة عقر ساراي الواضح، بحث إبرام في فِكره إن كان هناك ربما حلٌ آخر لعدم إنجابِهِ. هل يجب أن تكون ساراي من تُعطيه الابن؟ هل فعلاً قال الله أن عائلته ستخرُج منها؟ وهكذا بدأ إبرام في التحليل، لأن "اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ عَدَاوَةٌ للهِ، إِذْ لَيْسَ هُوَ خَاضِعًا لِنَامُوسِ اللهِ، لأَنَّهُ أَيْضًا لاَ يَسْتَطِيعُ." (رومية 7:8)

ليس بفترة طويلة من طرح المُشكِلة حتى حضِرَ *العرض* (16:2-3)، أتى عن طريق زوجة إبرام. بدون شك أن إبرام كان يَستقبِل مشورة مُمتازة من زوجته في الماضي، ولكن في تلك المرة كانت مشورتها حمقاء لأقصى حد. رُبما جرى الحديث كالتالي: "عزيزي، لقد اكتشفت أن دستور حمورابي، الدستور التشريعي الأكثر حضارةً وتطوراً ولياقةً موجود لدى الإنسان الحضاري حتى الآن، مُكَرَّمٌ هنا في كنعان. إذاً وحسب الدستور فإنه قانونيٌ لك أن تتزوج هاجر جَارِيَتِي، ثم عندما تَلِد ابناً أستطيع قانونياً أن أجعله *ابني*. بهذه الطريقة نستطيع أن نجتاز مُشكِلة عدم قدرتي في الإنجاب، أستطيع أن أحصل على أولاد عن طريق النيابة إذا جاز التعبير". لم يَتَأخر إبرام حتى وافق على اقتراح زوجته. وهكذا "فَأَخَذَتْ سَارَايُ امْرَأَةُ أَبْرَامَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةَ جَارِيَتَهَا، مِنْ بَعْدِ عَشْرِ سِنِينَ لإِقَامَةِ أَبْرَامَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، وَأَعْطَتْهَا لأَبْرَامَ رَجُلِهَا زَوْجَةً لَهُ"

نرى أموراً مُشابهَ تَحدُث في كل الوقت، كنيسة أو ابناً لله عاقِراً، ويَبدو أنه لا يُوجَد بَرَكة ولا ثِمر. بدلاً عن انتظار الله، تُحضَر هاجر، ويُتَبنى وسيلة دُنيوية، وطبعاً تأتي بنتيجة -ولكن من نوعٍ خاطئ.

ليس بعد فترة طويلة، أصبح على إبرام وساراي أن يدفعا *الثمن* (16:4). حالما رأت هاجر أنها ستُصبِح أماً لأول طفل لإبرام، "صَغُرَتْ مَوْلاَتُهَا فِي عَيْنَيْهَا". البركة والوئام رحلا من بيت إبرام، ولم يَعودا إلا بعد ستة عشر أو سبعة عشر سنة، وحتى ذلك كان على حساب الانفصال المؤلم. هذا هو ثمر نفاذ الصبر تجاه الأمور المُتعلقة بالله.

2. قلب ساراي المُخادع (16:5-6)

لم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتى تعلمت ساراي شيئاً عن قلبها المُخادع. التضحية المصنوعة من طاقة الجسد هي إحدى أصعب الأمور تحمُلاً. تلك التي تبدأ بنبالة وكرم وعفوية ثم بسُرعة تُصبح كَدحاً وخصوصاً عندما يَمُر شهر بعد شهر وفواتيرها المحتومة الدفع تتراكم. لابُد أن ساراي اعتقدت بأنها مُضحية وإيثارية عندما قَدَمت عرضها الشهم بإعطاء هاجر لإبرام. ولكنها سريعاً ما ندمت على تَعُهدها بعد أن تواجهت يومياً مع بطاقة السعر المُتَمَثِلة بنظرات هاجر المغرورة والمُحتَقِرة، فنهض قلبها بثورة.

قلبها الثائر رَوَحَ عن نفسه بطريقتين، أولاً *بلسانٍ جامح* "فَقَالَتْ سَارَايُ لأَبْرَامَ: ظُلْمِي عَلَيْكَ !أَنَا دَفَعْتُ جَارِيَتِي إِلَى حِضْنِكَ، فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهَا حَبِلَتْ صَغُرْتُ فِي عَيْنَيْهَا .يَقْضِي الرَّبُّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ" (5:16) قالت له: "إنها غلطتك!" ليس من السهل تفسير المنطق المُعَقَد لذلك التَصريح، إنه مثل المكتوب الذي استلمه الشاب اليافع من صديقتهِ المَحبوبة "عزيزي جون، أتمنى ألا تكون ما زلت غاضِباً. أريد أن أشرح لك بأنني بالحقيقة كُنتُ أمزح عندما قُلتُ لك بأنني لا أعني ما قُلتَهُ عن إعادة النظر في قراري بأن لا أُغير فكري، أرجوك أن تُصَدِق بأنني أعني هذا. المُحِبة، جين". لا بُد أن وجه إبرام كان لا يُعَبَر عنه عندما تواجهَ بِمَنطِق ساراي! بالطبع ساراي كانت تُفَكِر بِقَلبِها، وبِكُلِ بساطة لِسانِها قَدَمَ تعبيراً لاستيائِها المدفون بسبب انقلاب الأوضاع التي خذت مجراها. على أحد أن يتَحَمَل اللوم، لِذا استقبلَ إبرام لسعات-اللسان.

ثم تَجَسَدت ثورة ساراي *بمَزَجٍ جامح* (6:16). رَوَحَت بغضبها على هاجر "فَأَذَلَّتْهَا سَارَايُ" هذا ما قاله الكتاب المُقَدَّس. من الصعب أن نُصَدِق أنها ساراي! هل هذه هي المرأة التي رُفِعَت في العهد الجديد على أنها الزوجة النموذجية التي دربت نفسها على واجِباتها المنزلية حتى أنها كانت عندما تُكَلِم زوجها تدعوه "سيدي"؟ هل هذه المُمتَعِضة واللئيمة والحقودة والاستبدادية هي ذاتها ساراي الزوجة المُتواضعة والمُحبة والأمينة والخاضعة التي عرفناها؟ كم هو مُخادعٌ قلب الإنسان، كيف يَخون نفسه-وبأشياء صغيرة. هل هدد إبرام أن يَترُكها؟ لا. هل سرق أحدهم كُل مُجَوهراتها؟ لا. هل جَمَلُهَا المُفَضَل مرض ومات؟ لا. ما الأمر إذاً؟ جاريتها كانت تتمَختَر وتتبختر وتنظُر إليها بنظرة علوية، هذا كُلُ شيء. وهكذا غضبت ساراي وأفسدت الصورة المرسومة عن الزوجة المثالية.

عندما نغضب، الذي في الداخِل هو الذي يخرُج. إذا جعلنا زُجاجة العسل أن تضطرب، سيخرُج عسلاً؛ وإذا جعلنا زُجاجة الخلّ أن تضطرب، سيخرُج خلٌ. اضطراب الزُجاجة لا يُحَدِد ما بداخِلها؛ فهو يُظهر ما بداخلها فقط. عندما نغضب ونقول كلمات قاسية وغير حَسَنة، لأنه هذا هو الموجود داخِلُنا، قلب الإنسان مُخادعٌ جِداً. كُشِف قلب ساراي المُخادع بأمر صغير جداً، قلوبُنا أيضاً كذلك.

3. إرادة هاجر الجريئة (6:16)

"فَأَذَلَّتْهَا سَارَايُ، فَهَرَبَتْ مِنْ وَجْهِهَا"، كان هذا طبيعياً جداً. ولكن يبدو أن هذا هو بيت القصيد لصموت الله، أن كُل فَردٍ من هذه العائلة الصغيرة كان يفعل ما يأتي *بالطبيعة*. إبرام تصرف بالطبيعة بزواجه من هاجر، وساراي بإذلالها لجاريتها، وهاجر بِهروبها. تجارب الحياة مع الصمت الإلهي الذي يأتي لابن لله تُعطيه الفُرصة أن يتصرف بحسب الروح بدلاً من الطبيعة. يُمكِن تَفَهُم هروب هاجر من تذَمُر ساراي المُستَمِر، لأن هاجر على كُل الأحوال كانت مُجَرَد مِصرية غير مُخَلَصة. ولكن كان هناك شيء مُحزِن خصوصاً بتصَرُف إبرام، لقد سَلَمَ قيادته لساراي وسمحَ لها أن تتذمر على هاجر المسكينة حتى أحبطتها تماماً. رُبما كان هناك عُذرٌ لساراي أيضاً، لأنه يبدو أن إيمانها كان إيماناً مُتَوارَثاً-إيماناً يَستَند على إيمان إبرام. ولكن إبرام لم يَكُن لديه أي عُذر، لقد فَشِل كقائدٍ لبيته.

هل لاحظت الفرق بين الأشرار في أمثال يسوع والأشرار في كُتُب الأدب الأُخرى؟ الشرير في الرواية هو الرجُل الذي يفعل شيئاً *لا* يجب أن يفعله، يَقتُل أحدهم أو يسرق بنكً أو يَكذُب أو يَغُش او يَنهب؛ ولكن في أمثال يسوع الشرير هو بِكُل بساطة الرجل الذي يَترُك الأمور التي عليه أن يفعلها دون أن يفعلها، هو الكاهن واللاوي اللذان مرّا بالمُسافر المضروب والمَسروق وتركاه لِحَتفِهِ؛ هو الرجُل الغني الذي سَمَحَ لألِيعازر أن يموت عند بوابَتِهِ، قِصَص كثيرة؛ هو الخادم الذي طَمَرَ وزنته، هؤلاء هم الأشرار الذين تَكَلَمَ عنهم يسوع. عندما نرى إبرام يَتَجاهل مسؤولياته كقائد لِبَيته، نحتاج أن نأخُذ حذرنا نحن كأشخاص وشُركاء وأهل.

تَجرُبة صمت الله إذاً توضِح لنا فَشَل هاجر *كجارية* وفَشَل ساراي *كمولاة* وفشل إبرام *كرجُل*. وبالنتيجة هربت هاجر المِصرية، يا لهُ من تَعليق مُحزن لذلك البيت البطريركي. ها هي تَذهَب! لقد تَرَعرعت الخرافات في مِصر الوثنية، ومن خلال ظروف لا نعلم عنها أي شيء أُتيَّ بها تحت مأوى سقف إبرام. يا لها من فِرصة لإبرام وساراي أن يُكلِماها عن الإله الحقيقي والحيّ، لِيَقودها إلى طريق الأبدية. ولكن ماذا حدث؟ لقد عُمِلت أسوء من قطعة أثاث، أُستُخدِمت ثم أسيئت المُعاملة حتى أنها هربت من ذلك البيت، وفكرها ملآن بأفكار مُرة تِجاه المُعاملة التي عُمِلت بها وبانطباع خاطئ تماماً عن إله إبرام.

ب. الحقيقة لسيادة الله (16:7-16)

إنها حقاً نعمة أن شهادة الله عن نَفسِهِ ليست مَحدودة للشهادة الفقيرة والمُظَلّلة التي نحملها نحن أنفسنا. لأنه إن أساء إبرام وساراي بمرارة في تَمثيل الله لهاجر، سيتقَدَم الله ويُظِهر ذاته لها.

1. الرؤية لهاجر (16:7-12)

أصبحت خيام إبرام بعيدة خلفها، والهاربة التعبة ذات الوجه المُلطخ بالدموع قد سافرت بسُرعة وعبرت سيناء ووصلت لبرية شور على حدود مِصر. كانت تسعى لتعود، لتعود لمِصر، لتعود للعالم، لتعود لبيت العُبودية الأعظم من أي شيء عرفته في خيام ساراي. كانت ستعود إلى الظلام الأبدي، ستعود لأرض الموت المُذَهَبة، ستعود لشعبها الوثني وآلهتها الوثنية. ثم قبل أن يتأخر كُل شيء، وقَبل أن تُغلِق أبواب مِصر خلفها إلى الأبد، تدخل الله بسيادته.

يُجذَب انتباهُنا *لمَجيء ذلك كُلي الوجود* (16:7-8) "فَوَجَدَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ عَلَى عَيْنِ الْمَاءِ فِي الْبَرِّيَّةِ، عَلَى الْعَيْنِ الَّتِي فِي طَرِيقِ شُورَ. وَقَالَ: يَا هَاجَرُ جَارِيَةَ سَارَايَ، مِنْ أَيْنَ أَتَيْتِ؟ وَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبِينَ؟ فَقَالَتْ: أَنَا هَارِبَةٌ مِنْ وَجْهِ مَوْلاَتِي سَارَايَ". لم تَكُن هاجر تعلم أن الله كان معها بنعمته اللا محدودة كُل خطوة من خطواتها.

نرى في حضور ذلك الكُليّ الوجود لهاجر *نعمة* الله مُغلّفة بسيادته. كان أول مرة يتم ذِكرٌ لملاك الرب في الكتاب المُقَدَس. أنه لشيءٌ رائعٌ في أقل ذكر، أن أول ظهور لملاك يهوه (من المُحتَمَل أن يكون يسوع المسيح ذاته في إحدى ظهوراتِهِ الملائِكية قبل تَجَسُدِهِ) يكون ليس لإبرام ولكن لهاجر؛ ليس لوريثٍ كُل الوعود، ولكن لهاربةٍ مِصريةٍ؛ ليس لِرَجُلٍ ولكن لامرأة؛ ليس لقديسٍ ولكن لخاطئٍ؛ ليس لشخصٍ ذو مَنصبٍ عالٍ ولكن لِجاريةٍ؛ ليس لشخصٍ يبحثُ عن الله ولكن لشخصٍ يهربُ باتِجاهِ مِصرَ.

صديقٌ من لا صديقٍ له، الشخص الثاني للألوهية (الثالوث) المُحِب، قابلَ تِلك المرأة البائسة بجانب العين، كما بعد عصورٍ وهو لابساً جسد الإنسان الحيّ، قابلَ امرأة أُخرى عند بئر على جانب الطريق (يوحنا 4). لقد كانت رؤية لنعمة الله، لقد أحب هاجر تماماً كما أحب إبرام. لقد بحَثَ عنها ووجدها على حدود مِصر كما بَحَثَ عن إبرام ووجدهُ بالجانب الآخر البعيد في أور.

وبمحبة وحنان نادى باسمها، ناداها "جَارِيَةَ سَارَايَ" وليس "زوجة إبرام". لِمُجَرَد كونها زوجة إبرام لم يُعطِها أي حق خاص على نِعمَتِهِ. أن تكون ذا صِلة ومهما كانت تلك الصِلة قوية مع ابنٍ لله لن تجعلك ابناً لله ولن تمنحك أية امتيازاتٍ خاصة-رُبما مسؤولياتٍ خاصة، ولكن ليس امتيازاتٍ خاصة. وهكذا قابلها الرب وأجبرها على مُواجهة وضعها الخاسِر. "مِنْ أَيْنَ أَتَيْتِ؟ وَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبِينَ؟" عَصَرَ من شِفاهِها الاعتراف الحزين "أَنَا هَارِبَةٌ" حتى يُديرُها للخلف ويضع قدماها على الطريق الضيق المُستقيم الذي يَقود للحياة. أمامها، كانت ستَدخُله غداً، البوابة الواسعة، الطريق الواسع إلى الليل المِصري. خلفها كانت البوابة المُستقيمة، الطريق الضيق، مسار المُهاجِر، الطريق السريع للإيمان. بسيادة نعمته وجدها الله في آخر لحظة.

ثم أتى *أمر ذلك الكامل القُدرة* "فَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: ارْجِعِي إِلَى مَوْلاَتِكِ وَاخْضَعِي تَحْتَ يَدَيْهَا". هذا هو السبب بعينه لما لا يُريدُ الكثيرون أن يُخَلَصوا. خَلُصَت هاجر بوضع إيمانها في الشخص الثاني للألوهية الذي أظهرَ نفسه لها، أو كما نقول اليوم أنها خَلُصَت بوضع ثِقَتِها بالرب يسوع المسيح، لا يُمكِن لشيء أن يكون أسهل أو أبسط من هذا. ولكن النتيجة المُباشرة لتلك الاستجابة للرب كانت التَحَوّل والاستدارة والرجوع وأن تجعل نفسها مُتَواضعة أمام ساراي وإرادة طائعة لله. رُبما لا شيء أصعب من ذلك، كانت الرؤية *لحُكم* الله مُغَلَفة بسيادَتِهِ[5].

أخيراً نرى *الراحة لذلك الكامل المَعرِفة* (16:10-12). باستخدام تعبير عامي، لا يَتَوقع الله منا أن "روحي عملي لحالك". لِيُساعد هاجر أن تُقَدِم دليلاً على تغيرها الحقيقي، أعطاها الله وعداً ونبوءة. *الوعد* كان أنها ستُثمِر "هَا أَنْتِ حُبْلَى، فَتَلِدِينَ ابْنًا وَتَدْعِينَ اسْمَهُ إِسْمَاعِيلَ" (16:11). الاسم يعني "الله سَيَسمع". لن تعيش حياة مهدورة، ولن تحتاج أن تُعاني بقوتها الشخصية خلال السنين الصعبة أمامها، سيكون الله مُهتماً بها ومُستَمِعاً لها.

تَمَركَزت *النبوءة* في إسماعيل "وَإِنَّهُ يَكُونُ إِنْسَانًا وَحْشِيًّا، يَدُهُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ، وَيَدُ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَيْهِ، وَأَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ يَسْكُنُ" (16:12). من إسماعيل خَرَجَت القبائل العربية لِتُتَمِم دور القَدَر على مَسرَح الزَمَن بدقة مُتناهية كما تُنُبِأَ عنهم هنا. يَبقون في خلفية الكتاب المُقَدَس، يضمون أياديهم مع أعداء إسرائيل. أوجَدوا لأنفُسِهم نبياً وقادوا أنفُسَهُم كرجال وحشيّين ضد أسوار العالم، بانين إمبراطورية مُتألقة وناشرين عقيدتهم بالسيف. شَقَ المُستَكشفون المسيحيون مَسَارات بالإنجيل اللامِع في أفريقيا، حيث وجَدوا أن أولاد إسماعيل قد سبقوهم وأشعلوا القارة في صيدِهم الوحشي للعبيد. واليوم يجلسون منفرجيّ الساقين على احتياطي النفط في العالم ويُهدِدون السلام في العالم. حِنقَهُم على إسرائيل يُبقي العالم في اضطراب، دائماً على حافة حرب عالمية. كُلُ هذا قد تُنبِأ به وغُلِفَ بذلك جنين النبوءة التي أخبِرَت بها هاجر منذُ زمنٍ بعيد. يا لها من رؤيا *لعظمة* الله المُغلفة بسيادته![5]

5. ملايين من الناس يخدعون أنفسهم بما يُدعى "بالإنجيل الرخيص" فعلاً. يُقال لهم: "فقط آمن!"، "كُن لديك إيمان فقط". صَحيحٌ أن الخلاص يأتي مؤسساً على عمل المسيح الكامل وأنه لا يوجد شيء نستطيع أن نفعله لشرائه أو نستحقه. وصحيحٌ أن الخلاص هو بالنعمة التي أعطيت لنا بناءً على الإيمان، وأنها "لَيْسَ مِنْ أَعْمَال كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ". ولكن في ذات الوقت الإيمان بالمسيح يتطلب التزام، أتت كلمة المسيح للمُحَرَر من الشيطان "ارْجِعْ إِلَى بَيْتِكَ وَحَدِّثْ". أول كلمة لشاول الطرسوسي المُستنير والمُتَغَيّر كانت "يَارَبُّ، مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ؟" أُنسِيمُسَ الهارب رَبِحَ للمسيح في روما البعيدة من خلال الرسول بولس العظيم، وأُرسلَ فوراً إلى سيده في كولوسي. الحوار الحقيقي يَعترف بدعوى الآخرين ودعوى المسيح أيضاً. تَتضمن توبة وولادة جديدة وتجديد، وتَتضمن تصحيح الأمور التي أسأنا بها للآخرين بقدر المستطاع بشرياً ومن خلال قوة الروح القُدُس الساكنة فينا. كُل فحوى سفر يعقوب هو أنه يجب أن يكون لنا إيمانٌ عاملٌ.

2. ردة فِعل هاجر (16:13-16)

ردة فعلها كانت ثنائية، أولاً أعطت *تعبيراً شفوياً* لإيمانها "فَدَعَتِ اسْمَ الرَّبِّ الَّذِي تَكَلَّمَ مَعَهَا: أَنْتَ إِيلُ رُئِي... لذلِكَ دُعِيَتِ الْبِئْرُ بِئْرَ لَحَيْ رُئِي" ("بئر الذي يُحيّني ويراني"). أحد المُترجمين يضعها هكذا "بئر رؤيا الحياة". أنه المكان الذي عبرت به هاجر من الموت للحياة. منذ هذه اللحظة لم يَعُد الإله الحيّ والحقيقي ليتكلم عنه إبرام وساراي فقط، ولكنه سيكون إلهها أيضاً، لقد اعترفت بفمها.

أخيراً أعطت هاجر *تعبيراً حيوياً* لإيمانها (16:15-16). عادت إلى مُخيم إبرام وأخضعت نفسها لساراي. وبالوقت المُعَيَّن وِلِدَ ابن الموعِد.

6. إمكانيات الإيمان (17:1-27)

مُشكِلة إبرام أنه لم يستطع الانتظار، وَعَدهُ الله بابنٍ ونسل. قرر إبرام على مُساعدة الله بسبب تلهُفِهِ الشديد ليرى تحقيق الوعد فتزوج بهاجر لِيُسَرِّع الأمور.

أخذَ عَالِمُ طبيعةٍ مرةً شرنقةٍ تُدعى العِثة الإمبراطورية وأبقاها في غُرفة دراستهِ لشهور، على أمل أن يُشاهِد بزوغها في وقتِها المُناسب. كان شَكِل الشرنقة كالقارورة بفتحة ضيقة عند العنُق حيث سَتَخرُج العِثة، الفرق الكبير بين حجم الفتحة وحجم العِثة جعل العالم يتسأل كيف ستخرُج الحشرة من سِجنِها. وأخيراً أتى اليوم المنشود، وخِلال الصباح كُله راقب الرَجُل مُعاناة الحشرة، وبدا أنها غير قادرة عن التَخَطي لنقطة مُعينة. المُعاناة في الخروج هو ما يَضغط على السوائل الموجودة في جِسم العِثة إلى الأجنحة ويجعل طيرانها مُمكِناً. عالم الطبيعة لم يَكُن يعلم هذا، وعندما فَرِغَ صَبرَهُ قرر أن يُساعد مجرى الأمور. بِكُل عناية قَصَّ باستخدام رأس مِقَصهِ الخيوط الحاجزة ليجعَل الخروج أسهل بقليل جداً. وفي الحال خرجت العِثة بِكُل راحة، ولكن عالم الطبيعة راقب بدون جدوى كي يُشاهِد الأجنحة الرائعة تمتد وتنفتح، لم تفعل ذلك أبداً. عدم صَبرِهِ وإحسانِهِ الزائف قد أفسد العِثة، لم تُصبِح إلا إجهاضاً، تزحف بألم خلال حياتها القصيرة التي من المُفترض أن تقضيها طيراً في الهواء على جناحيّ قوسِ قُزح.

إنه لمن الخطأ دائماً أن نُحاول استعجال عمل الله، لديه أسبابه في تأخيره الظاهِر. ولكن لم يَستَطع إبرام أن ينتظر، تبع ذلك صمت مُهيب كنتيجةٍ لعدم صبرهِ، دام لمُدة ثلاثة عشرة سنة طويلة حيثُ لم يَستَلِم أي خَبَر من الله. كان عُمرَهُ ستة وثمانين سنة عندما وِلِدَ إسماعيل وتِسعة وتسعين سنة عندما كَسَرَ الله صمتَهُ أخيراً. هناك ثلاثة عشرة سنة لم يَتَقَدَم إبرام خلالها في أمور الله، ولم يَرى أي ثَمَر، والتي خلالها لم يَكن يَحدُث أي شيء يستحِق التسجيل في حياتهِ.

عندما تَكَلَمَ الله أخيراً، كان ليجمع الخيوط المُختَلِفة للوعد الذي سبقَ وقطعهُ وليَنسُجها لتُصبِح مِيثاقاً شَامِلاً عظيماً. المَعروف بالعهد الإبراهيمي، وهو أهم ما وضِعَ للتداول في اللُغة البشرية. تركت علامتها على كُل التاريخ الاحق، وتَحكُم المُستقبل بيدٍ من حديد، وهي أساس كُل بركات الله للجنس البشر. الذي يَحدُث في الشرق الأوسط اليوم، هو جِزء من العَمَل الظاهري لبعض بنود العهد حتى أن الأمور التي تَحدُث الآن في القرن العشرين لعهد المسيحية يُمكن حقيقةً أن تُفهم في ضوء ما قِيلَ قبلاً في القرن العشرين قبل عهد المسيحية.

أ. كيف أستُلِمَ العهد (17:1-16)

1. بخضوعٍ مُطلَق (17:1-3)

حان الوقت لإسحاق أن يولد، ولكن قبل أن يَحدُث ذلك، يجب أن يُمارس الإيمان، لذا صنع الله رؤية جديدة لإبرام لِيُعطي الإيمان فُرصَتَهُ. أُستُلِمَت تِلكَ الرؤية من قِبَل إبرام بخضوعٍ مُطلَق.

هُناك ثلاثة أسماء لله في الأعداد 1-3، الرب (يهوه) ظهر لإبرام؛ تكلم على أنه "الله الكامل القُدرة" (إيلشداي)؛ والله (إيلوهيم عدد3) تَكَلَمَ مع إبرام. يهوه العهد القديم هو يسوع العهد الجديد، إيلشَداي هو المُرضي-الذي يَسكُب نفسه في حياة المؤمن ليجعلهم مُثمرين، أيلوهيم هو الله في معناه الكُليّ والمُطلق. وهكذا نستنتج أن الله الابن والله الروح القُدُس والله الآب اشتركوا في إيصال العهد.

"سَقَطَ إبرام على وجهه"، وهناك بَقيَ خلال الرؤية بأكملها. استَلَمَ الوعد بحالة خضوع مُطلق، لم يَكُن هناك أي شيء مطلوبٌ منه، كل شيء كان بالنعمة. كان عليه بكُل بساطة أن يسمع، لأن العهد الإبراهيمي كان غير مشروط ولا يَعتَمِد بأي شَكِل على تعاون إبرام أو حتى نَسلِه.

2. بصَمتٍ مُطلَق (17:4-16)

صوت الله تكلم وتكلم، وإبرام وقعَ ساجِداً في التُراب يسمع بينما أُعطيَّ وعداً بعد وعدٍ. كُل كَلِمة نُطِقَ بها بين أعداد 4 و16 نَطَقَها الله. المقطع مُهيب، بحوارٍ مونولوجي (من طرفٍ واحدٍ) من قِبل الله الذي عندما نطق في الخليقة، كلماته كَوّنَت العوالم وأنشأتها. نُطِقَت كلماته ليس ليخلق ولكن ليؤكد، ليُدَوّن عَقداً من طَرَفٍ واحد الذي به كُل المنفعة تذهب لإبرام وكُل المسؤولية تقع على الله.

أ. مادة العهد (17:4-8)

نُلاحِظ وجود *مبدأٌ* معنيٌ، اجمعَ على الاستخدام المُستَمِر للكلمات "أنا سوف" و "أنت سوف" مع حتمية "لا بُدَ" في عدد 13 " وَأُثْمِرُكَ كَثِيرًا جِدًّا، وَأَجْعَلُكَ أُمَمًا، وَمُلُوكٌ مِنْكَ يَخْرُجُونَ." هناك على الأقل أربع وعشرين إفادة من هذا النوع في الإصحاح. إنها اتفاقية مُطلقة وغير مشروطة ومُلزِمة وغير قابلة للإلغاء ذات المُبادرة والقصد والإصرار الكاملين من قِبَل الله. لا يُمكِن لِفشَلٍ من طَرف إبرام او أخطاء أو نسيان من طَرَف نسلِهِ القادم أن يُلغي ذلك المرسوم. تَعَهَّدَ الله ذاته ليرى كُل سطر على حِدا وكُل مِثقال ذرة وإرادة صغيرة مُتممة. في النهاية كُل العوامل والقِوى التي قد يتم تَشكيلها لتمنع أو لإيقاف الاتفاقية قد أُزيحت جانباً.

وفي حِفظِ ذلك غيّرَ الله بيت إبرام إلى إبراهيم-هذا يعني أنه أضاف الحرف الخامس من الأبجدية العبرية لاسم إبرام. في الكتاب المُقدّس الرقم خمسة له ارتباط بالنعمة.

ثم هُناك *شعبٌ* معنيٌ (17:4-6) "أَمَّا أَنَا فَهُوَذَا عَهْدِي مَعَكَ، وَتَكُونُ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ". الشخص هو إبراهيم والشعب هو نَسَلَهِ. مثلَ أي عقدٍ آخر تِلك الاتفاقية العظيمة حَذِرة أن توَضِح تماماً من سينتَفِع من شروطِها، إبراهيم والشعب اليهودي هم المُنتَفعين.

هناك *فترةٌ زمنيةٌ* معنيةٌ (17:7) "وَأُقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لأَكُونَ إِلهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ." العقد أبدي، فيما بعد أضاف الله عهوداً أُخرى-العهد الموسوي، العهد الفلسطيني، العهد الداوودي؛ ولكن لم يُغير أو يُعَدّل أحد هذه الأحكام من العهود المُعطاة لإبراهيم. على سبيل المِثال، بعض هذه الأحكام تحت العهد الفلسطيني فرضت شروطاً بواسطتها تَستطيع إسرائيل مُتابعة احتِلال أرض الموعِد، ولكن هذه الأحكام لم تُعَدِل أحكام العهد الإبراهيمي. كُل الإضافات كهذه كانت ذات طبيعة مؤقتة ولا تُلغي وعد الله المُهيب الذي سيُحَقِق في النهاية كُل مرحلة على حِدى من وعد الله الدائم إلى الأبد لإبرام. بالإضافة أن الاتفاقية ركزت على شعب وليس كنيسة، اليوم سيأتي من دون أي ريب عندما ستؤسس إسرائيل أمام كُل البشر بكامِل علاقِة العهد أمام الله كما وّعِدَ لإبراهيم هنا.

هناك *مكانٌ* معنيٌ "وَأُعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا .وَأَكُونُ إِلهَهُمْ". أرض إسرائيل ليست مُلكاً للعرب مع كُلِ صَخبِهم. لم تُوَرَث لإسماعيل بل لإسحاق.

وهكذا مادة الوعد برزت، وعد الله نفسه أن يُعطي امتلاكاً إقليمياً خاصاً للشعب اليهودي وأن يكون إلهَهُم.

ب. خِتمْ العهد (17:9-14)

ختم الوعد كان شعيرة الخِتان وكان على السكين أن تؤخَذ إلى اللحم، ولكن الوعد ذاتُه لا يُتَمَم بأي وسيلة جسدية. هناك ثلاث أمور سُجِلت بخصوص ختم العهد، أولاً نُلاحظ مضمونه. كان يجب أن يكون علامة داعِمة: "هذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي تَحْفَظُونَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ :يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ... فَيَكُونُ عَلاَمَةَ عَهْدٍ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ". عندما يُنَفَذ عقد قانوني ما، يتم في غالب الأحيان وضع خِتم حتى في أيامنا هذه، لإظهار أن شروط الاتفاقية لها قوة قانونية. بذات المعنى كان ختم الختان تذكاراً مرئياً أن شروط تلك المُعاهدة سارية المفعول. الختان كشعيرة دينية دون الانضمام لشروط الاتفاقية هو بلا معنى.

لم تَكُن علامة داعمة فقط ولكنها كانت رمزاً روحياً الغرض منها أن تُعَلِم إبراهيم درساً روحياً مُهماً. عُد بِتَفكيرك للاختبارات التي عبرها ذلك المؤمن العظيم. أصبح مُهاجِراً وآمن بالله وأعتُبِرَ له ذلك بِراً، ثُمَ تراجع بإيمانِهِ وتمَ تَرميمَهُ، تَقابَلَ مع الله وجهاً لوجه وتعلم أن يُعطي طريقاً لأخيه الأضعف ويُحارِب لأجل روح إنسانٍ آخر، وتقابل مع ملكي صادق وأسس مذبحاً عائلياً. ولكنه أخفق أن يحمِل ثماراً والتجئ لِطُرُقٍ جسدية ليُحضر له شكلاً ما من نسل، النتيجة كان إسماعيل. لِذا مع أن إبراهيم كان مؤمناً جيد جِداً، كان غير قادِرٍ كُلياً أن يُقَدِم لله ثمراً، عَرِفَ ذلك الآن. بإذلال عميق أمام الله وبعد ثلاثة عشرة سنة من الصمت، أصغى بينما أعطى الله الحل لمُشكِلَتِهِ. كان الختان-الحُكم بالموت على جِسَدِهِ. كان رمزاً لصليب المسيح يقطع عِرضَ كُل ما كان من خلال الولادة الطبيعية. كان إقراراً حاداً مؤلماً لا يُنسى أنه لا يَستطيع أن يُنتِج بطريقة جسدية نوع الحياة التي يتوقعها الله. كان إدراكاً مؤلماً أنه فقط من خلال المسيح يستطيع الشخص أن يحمِل ثمراً حقيقياً لله.

نلاحِظ تالياً تَطبيقها "اِبْنَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ فِي أَجْيَالِكُمْ". الرقم*ثمانية* مُهِم؛ هو رقم القيامة ورقم البداية الجديدة. العلامة الموسيقية الثامنة هي ذاتها الأولى إلا أنها أوكتافاً أعلى. ولِدَ في إسرائيل طِفلٌ جديد، عاش أسبوعاً كاملاً ثم في اليوم الثامن، يوم البداية الجديدة اليوم الأول من الأسبوع إذا جاز التعبير، قد أختُتِن. كانت طريقة رمزية لإحضار الطِفل تحت العهد الإبراهيمي، لم تَجعَلَه بشكلٍ أوتوماتيكي ابناً لله، كما أثبت ذلك الرسول بولس في رومية 2و4. فمازال الختان هو غير مُتَصِل بالمعمودية بأي بطريقة. لم يَكُن المقصود منه أن يكون تعبيراً لإيمان *خلاصي* من طرف الطِفل، بل إيمان *خاضع* من طرف الأهل.

ثم تأتي أهميته "وَأَمَّا الذَّكَرُ الأَغْلَفُ... فَتُقْطَعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ شَعْبِهَا .إِنَّهُ قَدْ نَكَثَ عَهْدِي" (17:14). إن أهمل الأهل خِتان الطِفل، أصبحت مسؤولية الطِفل أن يُختَتَن عند سن الرشد والإدراك. الفشل في فِعلِ ذلك هو أمر جدي، ساوى احتِقار العهد، وكنتيجة العبري الغير مختتن أصبح أجنبياً لأمة إسرائيل وغريباً لعهود الوعد. جَسَدَ عدم إيمان إجمالي وإرادي وإجرامي.

ت. روح الوعد (17:15-16)

"سَارَايُ امْرَأَتُكَ لاَ تَدْعُو اسْمَهَا سَارَايَ، بَلِ اسْمُهَا سَارَةُ. وَأُبَارِكُهَا وَأُعْطِيكَ أَيْضًا مِنْهَا ابْنًا .أُبَارِكُهَا فَتَكُونُ أُمَمًا، وَمُلُوكُ شُعُوبٍ مِنْهَا يَكُونُونَ" بمعنى آخر، ليس هاجر بعد، يا إبراهيم! لقد غير الله للتو اسم إبرام لإبراهيم؛ والآن غير الله اسم ساراي أيضاً بذات الطريقة، بإضافة الحرف الخامس من الأبجدية العبرية للاسم الموجود. من "أبٍ عالي"، تغير اسم إبرام "لأبٍ لشعوبٍ كثيرة". في كُلِ مرة ينطق باسم إبراهيم، كان يُذَكَر بهذا؛ هو أبٍ لشعوبٍ كثيرة. والآن كرامة ملوكية أُنعمت على ساراي أيضاً.

تعني "ساراي" "أميرتي" ويبدو ان اسمها كان تَحَبُباً كما أنه كان اسم شخصي، لأن ساراي الجميلة نُصِبت بثبات في قلب إبراهيم. والآن أخذ الله ذلك الاسم العذب وأعطاه أهمية جديدةٍ أخرى. بدلاً من "أميرتي" ستُصبِح "أميرة"-الاسم الشخصي أصبح اسم موضِعي، هذا ما تفعله نعمة الله للشخص، تجعَلَهُ نَبيلاً[8].

ب. كيف صُدِقَ العهد (17:17-27)

1. ضِحكِةُ الإيمان (17:17)

هناك أنواع مُختَلِفة من الضَحِك، هناك الضِحكة الفُكاهية الصادقة-الضِحكة النابعة من القلب قاسِمة الخاصِرة، هي كالدواء للنفس عندما تكون بحدود الأخلاق. كم هو رائعٌ من الله أن يُبارك رِجالاً لديهم القُدرة على الضحِك، يُريد شعبه أن يكونَ شعباً سعيداً ومُغنياً وضاحِكاً. ثم هناك الضِحكة الشنيعة، القَهقَهة الغبية لرَجُل يضحك للخطية، الذي يَسعَد لمصَائب وأخطاء وأفعال الآخرين السيئة، يَدعو الله رَجُلاً كهذا بالغبي. يُقَدِم لنا إصحاح 17 نوعاً آخر من الضَحِك، *ضِحكِة الإيمان* (17:17) "فَسَقَطَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى وَجْهِهِ وَضَحِكَ، وَقَالَ فِي قَلْبِهِ: هَلْ يُولَدُ لابْنِ مِئَةِ سَنَةٍ؟ وَهَلْ تَلِدُ سَارَةُ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِينَ سَنَةً؟"

ضَحِكَ إبراهيم من كِثرة الفرح، لِجلال استِحالِة الأمر! لماذا، عندما تكَلَمَ معه الله عن ابن لأول مرة من خمسة وعشرين سنة مضت عندها كان الأمر على حدود المُستَحيل، أما الآن! الآن هو عجوز، رَجُلٌ عجوز وسارة (بالإيمان استعمل فوراً اسمها الجديد) أصبحت امرأة عجوزاً جداً. فضَحِكَ ضِحكَة الإيمان كما توضح تماماً في رومية4 "نَحْوِ مِئَةِ سَنَةٍ وَلاَ مُمَاتِيَّةَ مُسْتَوْدَعِ سَارَةَ. وَلاَ بِعَدَمِ إِيمَانٍ ارْتَابَ فِي وَعْدِ اللهِ، بَلْ تَقَوَّى بِالإِيمَانِ مُعْطِيًا مَجْدًا للهِ." (رومية 4:19-20)

لقد نَفِعَت لروح إبراهيم، لثلاثة عشرة سنة لم يَسمَع من الله، لثلاثة عشرة سنة عاش مع ثمر عدم صَبرِهِ. هل لله أن ينسى ويُسامِح؟ هل سيتكلم الله مرة أُخرى؟ وعندما فَعَل، لم يَستَطِع الرَجُل العجوز الطيب من أن يَضبُط نفسهُ من الفرح.

كان جون بُنيان رَجُلاً يَعلم كيف يُحَوِل الكآبة لسعادة. يَروي بطريقته البوريتانية (طائفة بروتستانتية) الخاصة عن الأيام الطويلة عندما وضِعَ تحت الإدانة الرهيبة للخطيئة. قال: "مَكَثتُ لمُدة طويلة في سيناء، ونظرتُ النار والسحاب والظلام"[9]. طبعاً قَصَدَ أنه كان تحت حِمل الشريعة لمُدة طويلة، لمُدة طويلة تحت إدانة الخطيئة، مُضطرب لمُدة طويلة لعدم قُدرَتِهِ التامة أن يُقَدِم أي شيء يُرضي الله. ثُم جاء إطلاق الأسر، عندما أُطلقَت روحَهُ حُرَةً ورؤية سيناء تَبَدَلت برؤية صَهيون. يقول بُنيان: "وضِعَ الإصحاح الثاني عشر من عبرانيين بأكمله أمام عينيَّ. كانت تِلك ليلةً حَسَنة لي. حَصِلتُ على أفضَل من قَبِل. نادِراً ما استطعتُ أن أستلقي في فراشي من الفَرَحة والسلام والنُصرة". لقد كان مِثل إبراهيم عندما وارَدَهُ ما أعدهُ الله له كاملاً في أول بروز مُفاجئ على روحِهِ، "فَسَقَطَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى وَجْهِهِ وَضَحِكَ".

8. عندما يُصبح إنسانٌ مؤمناً بالمسيح يُصبح عضواً في العائلة الملكية السماوية، وعلى حياته أن تَعكُس ذلك. في إحدى المناسبات تجرأ اللورد بالمرستون العجوز السَفيه بأن يتلوا للملكة فكتوريا نكتة بذيئة، فنظرت إليه بِكُل ما استطاعت أن تحشُده من جفاء" وقالت له "نحن لسنا مُستَمتعين" كان جواباً لبقاً لملكة كهذه. هل نستطيع نحن أولاد وبنات الإله الحيّ أن نعيش بمستوى أقل من هذا؟ طبعاً لا.

9.مثل جيس الصغيرة عندما وقفت أمام دورة كيرك في درمتوتشتي Drumtochty تَطمح أن تُعَد من ضمن الذين قُبِلوا أن ينضموا كأعضاء في الكنيسة: سألها العجوز لاتشلان كامبل بصرامة "كم من الزَمن أصبح لكِ في سيناء"، ووقف العجوز لاتشلان باستقامة مُتَصَلِبة "عليكِ أن تُقَدِمي للدورة ما هو قانون عَمَلَكِ وكم من الزمن لكِ في سيناء". انهارت جيس تماماً وقالت: " ماذا تسأل أنا دينا كين، لم أغادر درمتوتشتي قط".

2. مَنطِق الإيمان (17:18-22)

يَقول الإيمان: "إن كان الله يَستَطيع أن يُبارِكُني هكذا، يستطيع أن يُبارك أشخاص آخرين أيضاً". الأيمان ليس أنانياً أبداً، وليس مَقصوراً على أحد، وليس أرعن لحاجات الآخرين. الإيمان يُريد لِمَد فيضان الفرح أن يطفو على الآخرين أيضاً.

أ. التماس لإسماعيل (17:18)

"وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ للهِ: لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَعِيشُ أَمَامَكَ!" لم تَكُن صرخة عدم إيمان، بل تعبيراً عن رغبة مُقَدَسة أن إسماعيل، وهو الآن على وشك بلوغ سن الرُشد الباكِر، يُحضَر أيضاً إلى داخل قُبة بركة الله. نشوء إسماعيل في بيت البطريرك وشهادة والدته التي تَدعم شهادة إبراهيم، كان مازال غريباً عن النعمة، لأن الولادة في بيت مُقَدَس لا يضمن أن الطِفل سيؤمن أيضاً، ليس لِدى الله أحفاد. كُل إيمان وخضوع وبر إبراهيم لا يستطيع أن يجعل من ابنه مؤمناً وباراً وخاضِعاً. ولكن على الأقل يستطيع أن يُصلي لأجلهِ.

ب. الوعد لإسماعيل (17:19-22)

رد الله بإعطاء إبراهيم وعداً لإسماعيل ذو شقين. وَعدَهُ كان مؤسساً على معرِفَتِهِ لقلب إسماعيل، لأن الله عَرِفَ أن السُخرية من الآمور الإلهية مُتَرسِخة بِعُمق في روح ذلك الشاب اليافِع. أولاً وقبل كُل شيء الوعد لإسماعيل كان يتضمن *مادة محجوزة من المُعاهدة* "فَقَالَ اللهُ: بَلْ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ .وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ." كان يقول: "لا تُخطئ يا إبراهيم، فيما يَتَعَلق بهذا الأمر من العَهد، النَسل يأتي من إسحاق وليس إسماعيل. إسحاق سيكون الرجُل المؤمن". ولكن بعد أن قُدِمَت المادة المحجوزة من المُعاهدة، قَدَمَ الله *المادة المُلوكية من المُعاهدة*. "وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا. اِثْنَيْ عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً. وَلكِنْ عَهْدِي أُقِيمُهُ مَعَ إِسْحَاقَ". حَفِظَ الله وعدَهُ، يمتد العالم العربي من سواحِل الأطلسي إلى الخليج الفارسي، ويحتَضِن أكثر من سبعة عشرة من أهم الأماكن الاستراتيجية وأغنى البلاد اقتصادياً في العالم، ولكن كما سبق فرأى الله إنهم لا يَعرِفونهُ. ولكِنَهُم بسُرعة أمسكوا إحدى الأخطاء الأكثر إماتةً وتَشَبُثاً وتَسَلُحاً التي عرفها العالم على الإطلاق.

3. حياة الإيمان (17:23-27)

حياة الإيمان هي في الجوهر حياة الطاعة لإرادة الله المُعلنة. لقد أعلن الله للتوّ لإبراهيم ضرورة الخِتان، وبالحال بدأ إبراهيم في وضع ذلك الخِتِم للعَهد.

أ. طاعة بلا حدود (17:23-24)

نفذ إبراهيم حذافير وصية الله بأربع خطوات. لم يُقبَل أي اعتراض، ولم يُسمَح للخوف أن يَكبُح، ولم يُسمَح لأي استياء مُمكن أن يُعَرقِل.

في المكانة الأولى كان هناك *الطاعة الأبوية* التامة "فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ إِسْمَاعِيلَ ابْنَهُ" (17:23). كان إسماعيل ابن ثلاثة عشرة سنة من العُمر، حيثُ في الشرق كان هذا يعني أنه على وشك أن يُصبِح رجُلاً بالِغًا. "أنت أولاً يا إسماعيل" لا نَعرف إن اعترض إسماعيل أم لا على هذه الشعيرة الدينية المؤلمة والمُذِلة التي تُطَبَق عليه الآن، ولكن إن اعترض ستُخنَصَر شكواه، كان إبراهيم شيخاً لعشيرتهِ وكان يعلم كيف يحكُم. حقاً سيكون شاباً طائشاً من يتحدى إرادة رَجُلٍ قائدٍ كإبراهيم بشخصيتهِ المُلوكية وأسلوبَهُ ذي السلطان والعينين الثاقِبَتين وحَقَهُ ليَملُك على الذين كَسَروا خُبزَهُ.

تَبِعَ الطاعة الأبوية *الطاعة البطريركية* "فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ... وَجَمِيعَ وِلْدَانِ بَيْتِهِ". امتدت سُلطة إبراهيم لِكُل الذين ولِدوا في عشيرته كشيخٌ لقبيلَتِهِ، فقد كان حاميَهم ومُعيلَهم، لذا طالما هم عندَهُ، خضَعوا لسُلطانِهِ واحترموا إرادَتِهِ. لذا مدَّ إبراهيم مِظَلِة العهد للذين دانوه كبطريركهم.

سَرَدَ مارك توين كيف أخذت الأرملة دوغلس إلى بيتها اللقيط الفقير هيكلبيري فين، الذي كان أبوه سكيراً مُدمِناً.

هل شَيَعَ غِنى هَكْ فِين وحقيقة حماية الأرملة دوغلس له إلى المُجتَمَع؟ -لا، بل جَرَتهُ إليهِ، قَذَفَتهُ بهِ-وعذابَهُ كان أكثر مما يستطيع أن يتحمل. أبقاه خَدَم الأرملة نظيفاً وأنيقاً، مُمَشطاً ومُفرشاً، ووضعوهُ في الفراش يومياً بشراشفٍ غير مُتعاطِفة التي لم يَكُن عليها ولا حتى بُقعة واحِدة يستطيع أن يضعها عِندَ قلبهِ ويعرفها كصديق. كان عليه أن يأكُل مُستخدماً الشوكة والسكين؛ وكان عليه أن يستخدم

منديلاً، كأساً وصحناً؛ كان عليه أن يتعلم كُتُبَهُ ويذهب للكنيسة؛ كان عليه أن يتكلم بلباقة حتى أن الكلام أصبح بلا طَعم في فَمِهِ؛ حيثما استدار كانت هناك قضبان وأغلال الحضارة لتُغلِق عليه وتُقَيّد يَدَهُ ورجلَهُ.

حسناً، تحمَّلَ ذلك لمدة ثلاث أسابيع ثم انطلق هارباً، عاد إلى البرميل الكبير القديم والفارغ الذي كان يوماً بيته، عودة إلى سَرِقَة الفضلات للأكل ولراحة غليونِهِ، عودة " لذات خرابة الخِرَق القديمة التي جعلتهُ مَفتوناً في الأيام التي كان سعيداً وحُراً". قَدَمَ له صديقَهُ توم سوير النصيحة وأقنَعَهُ بالعودة.

كان لهَكْ فين الخيار، كان يستطيع أن ينتَفِع من كُل ما لَدى الأرملة دوغلس أن تُقَدِم، أو يُدير القفى على كُل شيء ويعيش حياة البرية، حياتهُ الجامِحة. لا يستطيع أن يحصل على كِليهما معاً، يُمكِن لهُ أن يبقى في بيتها ولكن بحسب شروطِها فقط.

وهكذا كان الأمر في المُجتَمَع البطريركي في أيام إبراهيم، كان هناك مزايا عظيمة ومن الرائع أن تكون من عشيرته، أن تكون "مولوداً في بيتِهِ"، ولكن المسؤولية تأتي مع المزايا. وقف إبراهيم في مكان الله للذين انحنوا لحُكمِهِ، يستطيعون أن يبقوا ويتمتعوا بكُل ما كان لديه أن يُقَدِمَهُ، ولكن بحسب شروطِهِ فقط. إبراهيم يتوقع ذات نوع الطاعة البطريركية الآن من أبناء عشيرتهِ من ناحية الخِتان. كُل من انتمى له كان عليه أن يُختَتَن، الذين لم يُريدوا أن ينحنوا لهذه الشروط لهم الحق أن يذهبوا.

ثم كان هناك *الطاعة الموضوعية* "فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ... وَجَمِيعَ الْمُبْتَاعِينَ بِفِضَّتِهِ". لم يسمح إبراهيم بطيبة قلبهِ لأي حواجِز اجتماعية أن تَقِف بينهُ وبين رَغبَتِهِ أن يأتي بكُل من هو في داخِل قُبَة نُفوذِهِ تحت بَرَكِة العهد.

أنظر هناك في المطبخ! هناك ولد عملهُ أن يَضمُر النار ويُزيل الرماد ويرفع المقالي الساخنة والسَخِمة، إنهُ وضيعٌ وتَفوحُ منه رائحة العرق، يُدفَع ويُؤمر دائِماً، أدنى الدنيئين، عبد العبيد. ها يأتي السيد العظيم بذاته، يضع يَدَهُ على كَتِف الفتى، والفتى الصغير خائفٌ ومُرتَعبٌ. "تعال يا بُنَيّ" يقول له إبراهيم "لا تَهتَم لهذه المقالي والطناجر، لديَّ شيءٌ لأقولَهُ لكَ، أريد أن أخبِرُكَ عن الإله الحيّ ووعدَهُ العظيم اللامحدود، أريد أن أشارِكَكَ البركات الروحية التي حَصِلتُ عليها" وهكذا "أَخَذَ إِبْرَاهِيمُ... وَجَمِيعَ الْمُبْتَاعِينَ بِفِضَّتِهِ، كُلَّ ذَكَرٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ إِبْرَاهِيمَ، وَخَتَنَ لَحْمَ غُرْلَتِهِمْ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ عَيْنِهِ كَمَا كَلَّمَهُ اللهُ."

بالطبع لا نملُك ذات السُلطة الديكتاتورية اليوم، ولكن لدينا المسؤولية تجاه الذين يعملون لدينا ومعنا بأن نُخبِرَهم عن الأشياء الصالِحة التي صنعها الله لأرواحِنا. طاعة إبراهيم كانت طاعة موضوعية، خَدَمَ روحياً الذين خَدَموه، واستخدم موضِعَهُ ليُخبِرَ الآخرين ما فعله الله لأجلهِ. ونحن نستطيع أيضاً.

بالإضافة كان هناك *الطاعة الشخصية* "وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ ابْنَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً حِينَ خُتِنَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِهِ" (17:24). كم من الأعذار كان من الممكن أن يُقَدِم! "أنا رَجُلٌ عجوزٌ، الصدمة ستكون عظيمة على جسدي، سأجِد طريقة أخرى أعبِرُ بها عن قبولي للعهد، سأقَدِم مائة من رؤوس البقر، سأتبرع بشوالٍ من الذهب للتخفيف من الفقر في هذه الأجزاء من الأرض". لا، كان إبراهيم مُطيعاً، فأخذ السكين على ذاتهِ، كانت طاعَتَهِ طاعةً بلا حدود.

ب. مرسوم محدود (17:25-27)

أُعطيَ المرسوم من قِبَل الله وبالتالي هو ذو أهمية عظيمة، ولكن كأي مرسوم كهذا من المُمكن أن نأخُذ أحد الطرفين المُتَطَرِفَيْنْ، يُمكِن أن نجتاز تقدير أهميتِهِ، أو نُقَلِل من أهميتهِ. يُمكِن أن نقول: "ليسَ هناك أهمية لهذا المرسوم على الإطلاق، يُمكِن لي أن أخلُص وأتجاهلهُ تماماً، فهو غير أساسي للخلاص". رُبما لا، ولكِنهُ بالتأكيد أساسٌ للنمو الأكثر في الأمور الروحية. التطَرُف الآخر هو أن تقول: "إذا خضعت لهذا المرسوم سأخلُص، فهو أساس الخلاص، دونَهُ ليس لي أمل في السماء". كِلا الطرفين المُتَطَرِفَيّن خطأ.

وهكذا ينتهي الإصحاح 17 بالإشارة على أن الخِتان هو مرسومٌ محدود، فهو لم يَفعَل أي شيء لتَغيير *حالة الإنسان المُتَمَرِد* (17:25). "وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ ابْنُهُ ابْنَ ثَلاَثَ عَشْرَةَ سَنَةً حِينَ خُتِنَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِهِ." هذا التصريح ذو أهمية، الرقم ثلاثَ عشرة في الكتاب المُقَدَس مُرتَبِط بالتَمَرُد. من الولادة الطبيعية كان إسماعيل مُتَمَرِداً، ودام مُتَمَرِداً حتى نهاية أيامِه، لم يَكُن لديهِ لا قلب ولا فِكر لأمور الله، بل بالعَكس سَخِرَ منهم. الختان لم يَفعَل شيئاً لِيُغيّر قلب المُتَمَرِد.

المرسوم لم يَفعَل شيئاً ليُغيّر *موقِف الرَجُل البار* (17:26-27) "فِي ذلِكَ الْيَوْمِ عَيْنِهِ خُتِنَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ ابْنُهُ. وَكُلُّ رِجَالِ بَيْتِهِ". كان إبراهيم رَجُلاً باراً قبل أن يُختَتَن، ببساطة إختِتانَهُ جَسَدَ طاعَةَ قلبهِ الداخلية.

7. صلاة الإيمان (18:1-33)

كان لوط مُعجباً بسدوم، أما إبراهيم فلم يَكُن له أي صِلة بذلك المكان على الإطلاق. يبدو أن لوطاً اعتقد أن سدوم مكان مُمتاز لتربية الأسرة؛ كان لديها العديد من الميزات الاجتماعية والتعليمية والعملية. أبقى إبراهيم مسافة بعيدة بينهُ وبين ذلك المكان؛ كان المكان حوض من الإثم. كانت سدوم وعمورة والمُدُن الأخرى في ذلك الوادي مراكِزاً مُقرِفة للوسخ الإباحي. تَعَجَبَ إبراهيم كيف أن الله لم يَمسَحَهُم من عن وجهِ الأرض. سدوم ذاتها كانت وضيعةً لدرجة أنها أعطت اسمها لأشنع نوع من الانحراف المعروف لِدى الإنسان.

يحين الوقت في التاريخ لِكُلِ الأماكن مِثل سدوم عندما يُقرر الله أن يتَصَرَف. لكن قَبْل أن يُتابع الله ضِدَ سدوم، أخذ الله إبراهيم في ثِقَتِهِ وأظهَرَ لخادِمِهِ خطاً جديداً من الحقيقة-حقيقة مُرَوِّعة (برُعب نهاية العالم)، حقيقة مُتعَلِقة بقُرب إطاحة حضارة شريرة تماماً.

رؤية تِلكَ الحقيقة كانت اختباراً مُثيراً للاهتمام لنمو إبراهيم في النعمة وزيادة مَعرِفَتِه لله. ما هي رَدَة الفعل لابنٍ لله المؤمن والناضِج والمطيع تُجاه حقيقة أن الإبادة الجماعية عن طريق العدالة على وشك أن تَبتَلِع عالماً من الناس الأشرار والكفرة؟ يونان كان سعيداً عندما تَواجهَ مع الحقيقة المُرَوِّعة (لنهاية عالمٍ)، تعامَلَ مع حتف نينوى الوشيك بطرب، مُصَمِماً على عدم فِعل أي شيء ليرى سقوط المدينة، غير مُهتم لآلاف الأطفال الذي عاشوا داخِل جُدرانها. ذرفَ يسوع الدموع عندما واجَهَ الحقيقة المُرَّوِعة (لِنهاية عالمٍ)، بعينيّ النبوءة رأى أورشليم، كما حدث خلال جيلٍ واحِد، بتلالها المُحيطة بها سوداء بسبب الصُلبان وفوق كُلِ صَليبٍ يَهودي. فبكى، بكى على المدينة التي خطاياها صرخت للانتقام الكامل والشامل. عندما تواجه إبراهيم بالحقيقة المُرَّوِعة (لنهاية عالمٍ) أخذَ يُصَلي.

أ. الرجُل العملي (18:1-8)

كان مُنتَصَف النهار، الوقت من اليوم في تِلك البلاد الشرقية الذي يأخُذ به كُل الأشخاص المُعتَبَرين قيلولة بعد الظُهر. كان إبراهيم يَجلِس في مَدخَل خيمتِهِ يتمَتع بأي نسمة هواء باردة تَمُر عِبرَ الوادي عندما شاهدَ ثلاثة رِجال يقتربون. الطريقة المُفاجئة التي قُدِموا بها في السرد تَقتَرِح أنه في الحظة الأولى لم يَكُن هناك أي شيء وفي اللحظة التالية ظهروا بها، فَرَكَ إبراهيم عيناه. ماذا يَفعل الرِجال خارِجاً في حَرّ شمس الظُهر الحارقة؟ ثم بَزَغَت الحقيقة له، كان هؤلاء أكثر من مُجَرَد رجال.

1. سُرعَتُهُ (18:1-2)

"فَلَمَّا نَظَرَ رَكَضَ لاسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ" إبراهيم كان رَجُلاً عجوزاً جداً، قُرابة المائة سنة من العُمر. رُبما نادت زوجتُه له "إبراهيم! تَصَرَف كعُمرِكَ، اهتم بقلبك!" لكن إبراهيم كان يَعلم ماذا يَفعل. بصيره روحية عميقة عَلَمَتهُ أن أحد هؤلاء الرجال هو ربُ المَجد بذاتِهِ. وعندما يتَفَضَل الرب ويزور، الشيء المفروض فِعلُهُ هو أن تُسرِع وتضع نفسك بموضِعٍ لتَسمَع. وهكذا ركضَ إبراهيم وأحنى ذاته حتى الأرض، زَلَّ نفسه أمام الرب. كانت ردةَّ فِعل غريزية وصحيحة ومنطيقة أن تُفعَل، لأن في حضور الله لا ينفع إلا التبجيل العميق. لا يُمكِن أن يوجد أي تهكم، لا استهتار بوضع اليدين في الجيب، ولا عمل تافِه ارتِجالي.

كم من المرات نأتي إلى الاجتماعات بثرثرة فارغة ونميمة طفيفة وعدم اهتمام ولامُبالاة. ألم يُعلن الرب "لأَنَّهُ حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ بِاسْمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ" (متى 18:20)؟ قد لا نُلاحظ دائماً وجودَهُ. حقيقةً أنه لأول وهلة عندما شاهدَ إبراهيم الرجال يقتَربون اعتَقَدَ أنهم "ثلاثة رجال" ولكن سيُظهِر الرب ذاته في وسط قِديسيّ الله المُجتمعين. كم من المُهم أن نضع أنفُسنا في حالة سلوكٍ مُتَواضِعٍ ومُتحَمِسٍ ومُتَلَهِفٍ. الرب أتى، فمن الغير مقبول أن يُعتَبَر أي اجتماع لجماعة الرب على أنه روتين، وحدث عادي. مع ذلك نَدخُل بمَشية مُتَكاسِلة ومُتَمايلة ونُدَرِدِش مع هذا وذاك، نُناقِش الطقس ولُعبة الكُرة، نتثاءب وننظُر من حولنا، نأخُذ مُلاحظة عن هذه التفاهة أو تِلك، إنه مُجَرَد اجتماع آخر. *ولكنَ الله هُنَاك*، كم نحتاج أن نُدرِك ذلك بسرعة. كم من المؤسِف أن المؤمنين المسيحيين الحقيقيين يسمحون لأنفسِهم بالألفة مع الأمور المُقَدَسة، الالفة التي بالتالي تولِد احتِقاراً. كيف نجرؤ أن نُخاطِبَهُ "بيسوع" عندما اقتضى منا أن نُخاطِبَهُ "برب". فنقرأ أن ذلك الرجُل المُسن الضليع بأمور الله، "رَكَضَ... وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ". تُعَلِمُنا سُرعَة وتواضع إبراهيم الدرس المُهمل جداً في التبجيل أمام محضر الله. لم يَكُن الأمر إجباراً أو تظاهُراً مُصطنعاً، بل كان الأمر بَديهةً روحيةً، الحِس الغامِر لِحُضور الله.

2. ضِيَافَتِهِ (18:3-8)

"فَأَسْرَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْخَيْمَةِ إِلَى سَارَةَ، وَقَالَ: أَسْرِعِي بِثَلاَثِ كَيْلاَتٍ دَقِيقًا سَمِيذًا .اعْجِنِي وَاصْنَعِي خُبْزَ مَلَّةٍ. ثُمَّ رَكَضَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْبَقَرِ وَأَخَذَ عِجْلاً". يا له من تَفَجُر نشاطي غير مرغوب به يُدَنِسُ ساعة القيلولة المُقَدَسة، ولكِنَ الربَ قد حَضُر! تخيل رَجُلاً يُهاتِفُ زَوجَتَهُ من المكتب خمسة دقائق قبل الغذاء، "مرحباً عزيزتي، أنا على وشك المجيء. سأحضِر معي مُديري للبيت لتناول الغذاء، أيضاً سَيَحضُر رئيس المَجلِس ورئيس الشركة. سنكون في البيت خلال خمسة دقائق، على فِكرة أريدُكِ أن تَخبُزي بعض الخُبز، أريد

أن أُعامِل هؤلاء الضيوف بشكل مُناسِب-لا أريد خُبز المتاجِر بل بعض الخُبز الطازج من تحت يديكِ، أريده أن يكون طازجاً من الفُرن. وسنأكُل الستيك (اللحم) المشوي، سأحضِر ذلك معي من المتجر، وداعاً". يا لهُ من ذُعر سيُسبب في أغلب البيوت، وثورة غضب! "ماذا؟ أخبُز خُبزاً في هذا الحر، بفترة خمسة دقائق؟ وكيف لي أن أشوي الستيك؟ حتى أني لا أدري أين يضع الفحم"

لم يكُن الأمر كذلك في بيت إبراهيم، فعلت زوجتهُ تماماً كما قال، فعلتها دون تَذَمُر، دون أي لمحة انتقاد أو ذُعر أو شكوى. ولكن أنظر كيف تَصرَفَ إبراهيم، بعد أن تأكد من راحِة ضيوفه، اعتَذر وأسرع ليُشرِف على ذبح وطبخ الستيك. إذاً هو بذاتِهِ وبيدِهِ أعدَ المائدة، نقرأ "ثُمَّ أَخَذَ زُبْدًا وَلَبَنًا، وَالْعِجْلَ الَّذِي عَمِلَهُ، وَوَضَعَهَا قُدَّامَهُمْ". هل من العجَب أن الأمر كان سهلاً على سارة أن تفعل ما طلبهُ منها إبراهيم، بينما كان هو مُهتماً بها ويحتَرِمُها؟

إذاً أول نظرة نحصَل عليها لإبراهيم في ظرفٍ جديد نراه رَجُلاً عملياً. في مَحضَر الله وضعَ نفسهُ فوراً في مَوضِع يقولُ للرب "أنا مُستَعِد أن أسمع أي شيء لديك أن تَقوله". واضِعاً حملاً آخر على زوجَتِهِ، أخذ إبراهيم فوراً مسؤولية مُعظم الواجِبات ولم يَعلُ فوق أن يَستأذن نفسه من أمام مَحضَر رب السماوات لِفِعلِ ذلك. ليس من العَجَب أن إبراهيم كان يَملِكُ بيتاً سعيداً ومُتناغِماً.

ب. الرجُل ذو امتياز (18:9-15)

ليس هناك العديد من الأشخاص، حتى في الكتاب المُقَدَس، الذين ظهر لهم الرب بتجلي مَرئي حتى يتكلم معهم بخصوص أمور عائلية أو شؤون خارجية. ولكنه فعل ذلك مع أبراهيم.

1. الوعد (18:9-10)

الوجبة التي طُبِخَت بعجلة قد انتهت والصحون قد نُزعت من على المائدة، يا لها من رؤية مُبهِجة نراها لله في الإصحاح 18. من كان ليتخيل شيئاً كهذا-الرب، صانِع الكون، واثنان من ملائكتهِ، فعلاً يجلسون مع رَجُلٍ عاديٍ مثلي ومِثلك ليتمتعوا بوجبةٍ من الخُبز المصنوع في البيت وستيك الطازج القطع مُبَهَّر بصلصة الزُبدة وبجانِبها كُوبٌ من اللبن ليسقي العطش. كم كان الرب حريصاً على تحرير إبراهيم من القلق بالكامل، بالحقيقة لم يَكُن هناك سبب لما عملهُ يهوه العظيم، صانِع الشموس والنجوم والمجرات، بأن يَتَنازل ليأكُل وجبةً بشريةً. كان من الممكن أن يقول "شُكراً إبراهيم، ولكننا لسنا بحاجة أن نأكُل"، ولكِنهُ لم يفعل. عوضاً عن ذلك، جلسَ بتَعَمُد وأخذ الطعام الذي قُدِمَ له، وانغَمَسَ في وجبةٍ وديةٍ. إبراهيم عند ذلك الوقت قد كَوّنَ فكرةً واضِحَةً عمن هم ضيوفَهُ، لذا لابُد أنه كان يُشاهِد بدهشة بينما الإله الحيّ يقطعُ قِطعةً من اللحم ويضعها في فَمِهِ ويقول "هل تُمانع يا إبراهيم لو أخذتُ قِطعةً أخرى من الخُبز" أو رُبما، "جبرائيل، لو سمحت مرِر المِلح ".

انتهت الوجبة والأطباق أزيلت، ونظر الرب لإبراهيم. وقال: "أَيْنَ سَارَةُ امْرَأَتُكَ؟" كما ولو أنهُ لم يكن يَعلم! كانت أذُنَيها مُلصَقة بباب الخيمة "إِنِّي أَرْجِعُ إِلَيْكَ نَحْوَ زَمَانِ الْحَيَاةِ وَيَكُونُ لِسَارَةَ امْرَأَتِكَ ابْنٌ" وبالطبع سَمِعت سارة ذلك، كما عَلِم الله أنها ستفعل ورُبما قَصَدَ لها أن تَسمع. لقد سبق وأُعطيَ إبراهيم الوعد، والآن مُلَخَصهُ وخُلاصتهُ قد سُكِبَت أيضاً في أذُنِها المُتَلَّهِفة والمُختَلِسة السمع.

2. المُشكِلة (18:11-15)

بالطبع ذلك أثار المُشكِلة "وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَةُ شَيْخَيْنِ مُتَقَدِّمَيْنِ فِي الأَيَّامِ، وَقَدِ انْقَطَعَ أَنْ يَكُونَ لِسَارَةَ عَادَةٌ كَالنِّسَاءِ. فَضَحِكَتْ سَارَةُ فِي بَاطِنِهَا". عندما ضَحِكَ إبراهيم في الإصحاح السابِق، كانت ضِحكَة إيمان. ولكِن ضِحكَة سارة كانت بعدم إيمان تام. وقائع الحياة كانت ضِد أي احتمال كهذا، حتى ولو أن الله قد دَخَل في علاقةِ عَهدٍ مع إبراهيم وسارة، ولكن، كما يبدو، لم يتغير أي شيء. لذا ضَحِكَت سارة "ها أنا مُتَزَوّجةٌ لقُرابة سبعين سنة"، وفكرت في نَفسِها "أنا بِعُمرٍ من الممكن أن أكون جدةُ جدة والآن أحدهم في الخارِج يقولُ لإبراهيم أنه، ومن بين جميع النساء، أني على وشك أن أنجِبُ طِفلاً!" لقد كان الأمر مُضحِكاً لها.

رُبما اختَلَست نظرةً لتحصُل على رؤية أخرى للغريب الذي كان يقول هذه الأمور المُسَلية. رُبما أخَذَت في المُحاولة للسمع بشكل أكبر لتعلم ماذا سيقول بعد ذلك، ولكن في تصريحهِ التالي، وقف شعرها في نهايتِهِ "لِمَاذَا ضَحِكَتْ سَارَةُ؟" خائفة لدرجة عدم الانتباه فقالت بدون تفكير "لَمْ أَضْحَكْ"، فرد عليها رب المجد بهدوء وبساطة وتَفَهُم ورِفق (ليس لإبراهيم ولكن لسارة خلف حائط الخيمة)، "لاَ ! بَلْ ضَحِكْتِ"، لقد كان إثباتاً آخراً لمحبتهِ وتعاطُفِهِ. لقد كَذَبَت سارة على الإله الحيّ-لقد كَذَبت على قُدوس إسرائيل، ومع ذلك وبعطف لا نهاية له عَبَرَ ببساطة عن الإهانة الشنيعة كما ولو أنها لم تَحدُث. يا له من توضيح رائع في مزمور 130 "إِنْ كُنْتَ تُرَاقِبُ الآثَامَ يَارَبُّ، يَا سَيِّدُ، فَمَنْ يَقِفُ؟ لأَنَّ عِنْدَكَ الْمَغْفِرَةَ .لِكَيْ يُخَافَ مِنْكَ."

إذاً كان إبراهيم رجُلاً ذا امتياز، متميز لدرجة أن الإله الأزلي بذاته يأتي إليهِ ليتكلم معه، رجُلٌ لرجُل، ويقول له، بحديثٍ بعد الغذاء، أن سارة بالفِعل ستحصَل على ابنٍ. لأن الله كان مُهتماً بذلك الابن بقدر ما كان إبراهيم أو سارة، كان بالحقيقة مُهتماً أكثر. جميع مقاصِدَهِ للنعمة لجميع العالم الضال والمهدوم تَوَقَفَت في الوقت الحالي على وِلادة ذلك الابن، الذي بِدَورهِ سيقف مُباشرة في الخط الذي من خلاله سيأتي للعالم ابن الله ذاتهُ.

ت. الرجُل المُبَرهَن (18:16-22)

1. عَظَمَة مُتَوَقَعة (18:16-18)

انتهى الغذاء وأُكمِل حديث العائلة الصغيرة، والزائرون الثلاثة وقفوا على أرجُلِهم. ونظروا بمغزى تجاه سدوم، وبتلك النظرة قرأ إبراهيم حتف سدوم. توقف الرب للحظة بينما تابع الاثنان، الملاكان، مشيهما تجاه المدينة الملعونة، وكأنه كان يَستَشير نفسه بداخلِهِ، رُبما نظر الرب إلى سدوم ثم إلى إبراهيم "هَلْ أُخْفِي عَنْ إِبْرَاهِيمَ مَا أَنَا فَاعِلُهُ" مُفكِراً "وَإِبْرَاهِيمُ يَكُونُ أُمَّةً كَبِيرَةً وَقَوِيَّةً، وَيَتَبَارَكُ بِهِ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ؟" رُبما ذهب فِكرُ الله بينما كان ينظُر إلى خادِمِهِ المُسِن إلى العصور التالية رائياً الجنس العبراني بجميع مِهَنِهم المُتنَوِعة، ورُبما رأى المسيح ذاته آتياً إلى العالم عن طريق هذا الشعب الذي لم يُلَد بعد. وكُل هذا بدأ بإبراهيم، ذلك الرجُل المُسِن أمسكَ كُل التاريخ بيَدِهِ. وبالتالي رأى رَجُلاً عظيماً.

2. عَظَمَة شخصية (18:19)

"لأَنِّي عَرَفْتُهُ لِكَيْ يُوصِيَ بَنِيهِ وَبَيْتَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَنْ يَحْفَظُوا طَرِيقَ الرَّبِّ" (18:19). لقد سبق وبدا للعيان سُرعَة إبراهيم للختان، حتى إسماعيل. إحدى علامات العظمة في إبراهيم هي التحَكُم الذي كان يملُكَهُ على الذين يُدينونه ولائهم.

3. عَظَمَة موّضِعية (18:20-22)

بعد مشورته مع نفسه، أفصح الرب لإبراهيم ما كان مُزمِعٌ أن يفعل تجاه سدوم. كانت خطاياها البشعة مُهينة جداً-رائحة عفنهم وصلت للسماء ذاتها-حتى أن الله أتى فعلاً شخصياً ليستقصي في المَوضِع طبيعة ومدى وساختها. شارك الله هذه الأمور مع إبراهيم بينما غاب الملائكة خلف حاجِب التلة، ثم نقرأ "فَتَقَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ". أخذَ مكانهُ وفِكره مشغولٌ بلوط الذي مازال في الأسفل هناك في سدوم. وكأنه وقف بين الحيّ والمائت آخذاً مَوقِفَهُ على أرض الفِداء مُستَعِداً أن يتضرع ويتضرع من أجل سدوم بسبب لوط. لقد كانت جرأة مُقَدَسة في أسمى درجة، لقد أصبح الآن إبراهيم شبيهاً بالمسيح أكثر مما سبق؛ لقد أصبح وسيطاً بين الله والإنسان. ماذا كانت أفكار قلب الرب بينما نظر الله إلى إبراهيم، لأنه هو بذاته الشخص الثاني للألوهية العظيمة يستطيع أن يرى مُستَقبَل خِدمَتِهِ منعكسة بأفعال رَجُلِهِ المنتَصر والمُبَرهَن. نستطيع أن نتصوّر إبراهيم يقف هناك، وذِراعاه ممدودتان وكأنه يقف حاجِزاً الطريق لسدوم، وهكذا سيقف الرب يوماً بذراعين ممدودتين ليُخَلِص ليحَجُز الطريق لجُهَنَم.

ث. الرَجُل المُصَلي (18:23-33)

دراسة سفر التكوين والاصحاح الثامن عشر، كان ما علَّمَ في الإيمان القديس جورج ميولر لبريستو ذلك العملاق اللإيمان الحديث، إحدى أهم أسرار الصلاة. علمتهُ أن يستخدم الحجة في التماس قضيتهِ أمام الله. كان يُذَكِر الرب أن الأولاد والبنات اليتامى الموكلين لعنايتِهِ لم يكونوا أيتامَهُ، بل كانوا لله. ألم يُعلن الله نفسهُ أباً لمن ليس له أب؟ لقد كان ذلك عمل الرب وليس عمل ميولر، لم يَكُن إلا أداة. إن كان ذلك عمل الله، ألم يَكُن الله مُلزَماً أن يهتم بهذا الأمر؟ هل من المُمكِن أن يُكَبِد الله مَجدَهُ بالتضاؤل؟ ألم تَكُن كنيسة نصف مؤمنة تنظر نحوَ وإلى عالمٍ غير مؤمن بالأكمل؟ ألن يُسكِت الله اللسان الساخر؟ ألن يُسكِت المُشَكِك والمُتَهَكِم؟ وهكذا أخذ جورج ميولر بالصلاة وهكذا أخذ بالحقيقة باستلام الأجوبة المُذهِلة من الله. وهكذا صلى إبراهيم، مُحاصِراً ضيفهُ السماوي بحُجةٍ بعد حُجة.

1. سلوك إبراهيم (18:23)

أولاً وقعَ على وجهه ثم وقف أمام الرب ثم "تَقَدَّمَ". انتظرَ إبراهيم امتياز اليوم الحاضر ودخل منهُ، كما لوكان بجُرأة إلى أقدسها جميعها. قُضبان ومزلاج الشريعة لم يَكونا قد وضِعا بعد. ببساطة "تَقَدَّمَ" إبراهيم بناءً على أساس الجُلجُثة في سلوكٍ ممزوجٍ بجُرأة مُقَدَسة مع روعٍ تبجيلي.

2. حُجَة إبراهيم (18:23ب-32)

بالحقيقة أن إبراهيم ساوم مع الله كشرق أوسطي حقيقي، أي شخص ذهب إلى السوق الشرقي يعلم كيف تَجري الأمور: "كم تُريد ثمن هذا الوشاح الحريري؟"

"خمسون قِرشاً"

"خمسون قِرشاً! أعطيكَ خمسة"

بهذه اللحظة تُشاهد التاجر على وشك أن ينفُر عِرقَ دمِهِ، ويَدعو جميع أقربائه ليُشهدوا على الإهانة التي حلَّت عليه، أخيراً يقول "خمسة وأربعين".

يقول المُشتَري "غير مقبول، أستطيع أن أحصُلَ عليها من جارِكَ دون أن أنهَب" ويُعيد الوشاح للبائع. ولكن ذِكِر المُنافِس يُثير تخفيضاً آخراً في السِعر. "يشهَدُ الله عليَّ بأني سأفلس، سأعطيك إياه بثلاثين قِرشاً!" ويرمي التاجر الوشاح بِقَرَف.

فيَهُم المُشتَري بالخروج من المَتجَر ليذهب إلى جارِهِ، ولكن قبل أن يأخُذ عدداً من الخطوات يأتي صاحب المحل مُسرعاً إلى الخارج أيضاً، يَفرُكُ بيديهِ ويدعوا إلهُه "عُد! عُد! يُمكِنُكَ الحصول عليها بعشرين".

يَعود البائع إلى المَتجَر ويُحضِر البضاعة ويَنظُر إليها بازدراء. البائع مُستَعِد، يأخُذ منديلاً حريرياً مُبَهرجاً ويقول: "عشرون قِرشاً وسأضيف عليها هذا المنديل الا مَثيلَ له والمصنوع من أجود أنواع الحرير الدِمَشقيّ، أله يَشهَد أنني أهدَم؛ ولكن ما عسايَّ أن أفعل؟ لديَّ عائلة كبيرة، عشرون قِرشاً وهذا المنديل الحريري ببلاش".

المُشتَري يأخُذ مِحفَظَتَهُ ويضع عشرة قروش على المنضدة، ثم يأخُذ الوشاح "عشرة قروش يا عبد الله وهذا عرضي الأخير، عشرة قروش ويُمكِنُكَ الاحتِفاظ بمنديلك"

هذا ما حَصل بين إبراهيم والله، ساوَمَ مع الله كما يُساوِم في السوق، ساوَمَ وكأنهُ يُساوم على سِعر. ماذا سيأخُذ الله؟ كم من النفوس يحتاج لإنقاذ سدوم؟ لقد فعل ذلك بجُرأة عظيمة ولكن بِمَهابة ورَوع عظيمتين أيضاً. "يا رب، لو كان هناك خمسين باراً؟ لو قلَ ذَلِك خمسة من الخمسين؟ ماذا عن خمسة وأربعين؟ أربعون؟ عشرون؟ عشرة؟" وفي كُلِ مرة، الإله الحيّ بِتَسامُحِهِ اللا محدود، تنازلَ حتى توقف إبراهيم عند العدد عشرة.

3. توكيد إبراهيم (33:18)

تَوَقَفَ عند العدد عشرة، وحتى إلى ذلك الرقم كان لديه تأكيد كامِل بأن الله سيسمع ويستجيب، ولكن عند العدد عشرة كُل التأكيد انتهى. لقد وصلَ إلى حد الحدود الإلهية، وهكذا كان إبراهيم مُتَناغِم مع فِكِر وإرادة الله بامتياز، حتى أنهُ بصورة غريزية عَلِمَ أنه لا يستطيع أن يطلُب أقل من عشرة.

ولكن لما كان العدد عشرة هو الرقم؟ لنفترض أن إبراهيم طلب خمسة، لم يَكُن ليستطيع أن يُخَلِص سدوم، لأنه لم يكُن هناك حتى خمس أنفُس بارة في ذلك المكان، كان هناك أربعة فقط من استجابوا في الساعة الحَرِجة. لقد كان هناك خمس مُدُن في السهل، في الكتاب المُقَدَس *اثنان* هو العدد الكافِ للشهادة، لذا احتاج الأمر *لعشر* أشخاص أبرار مَوجودين في السَهِل، وإلا لن يكون هناك العدد الأدنى من الشهود لله. ثم هناك أيضاً الاحتِمال أن إبراهيم اعتقد أنه سيكون هناك عشر أنفُس أبرار في سدوم، كان هناك لوط وزوجَتهُ وبناتهُ الاثنتان الغير مُتَزَوِجَتين والساكِنتان في بيتِهِ-هذا جعلهم أربعة. وكان هناك أصهِرَتِهِ (النص يستخدم الجمع وليس الثنائي مما يَدُل على أنه كان هناك أكثر من ثلاثة) الذين مع زوجاتِهم يجمعون لستة آخرين، وهكذا المجموع أصبح عشرة. لذا لسببٍ أو لآخر خسِرَ إبراهيم الحُرية للصلاة أكثر من ذلك عندما وصلَ إلى العدد عشرة.

كان لله طريقَتَهُ، وبروّعةٍ كان لإبراهيم أيضاً طريقَتَهُ. كان عِبء إبراهيم الرئيسي هو لوط وعائِلَتَهُ. لقد كان السدوميون مَهدومين، ولكن لوط المؤمن وكُل من آمن مَعَهُ خَلِصوا. الأبرار خلِصوا بعد كُل شيء، وشخصية الله صِينت إلى التمام.

بالنسبة لشعب سدوم كان لدى إبراهيم بصرامة معاييره الانفصالية، شيئاً شاذاً وتعصُبياً. لقد احتَرَموه، ولكِنَهُم على الأرجح سَخِروا منهُ أيضاً. الأشخاص الذين يعيشون لله يُنظَر إليهم بارتياب من قِبَل العالم، ولكن كرجال سدوم العالم لن يَعلَم أبداً ما يَدينهُ لوجود رجال أبرار على الأرض. عندما لم يَعُد إبراهيم يستطيع أن يُصلي، وقعت الدينونة.

8. مَوقِع الإيمان (19:1-38)

في ثقافَتِنا المُنحَلّة أخلاقياً يدعون الناس المُمارسين للشهوات الشريرة المُرتَبطة بسدوم بصِفة المثليين "غيه"، يُطالِبون بحقوقِهم، يتظاهرون ويخرجون في استعراضات، ويَبُثون خُزيهم عبر الراديو وبرامج النقاش التلفزيوني. يُجاهِدون للقضاء على كُل تَشريع يَتَعارض مع حقوقِهُم المُفترضة لمُمارسة رجاساتِهُم. حاكِم إحدى المُدُن الأمريكية العظيمة ذهب بعيداً بتعدياتِهِ حتى أنه أعلن "أسبوع فخر المثليين" ليُبَجِلَهُم ويُقَدِّم لهم اعترافاً علنياً. ثقافة مغسولة الدماغ ومريضة التي فقدت طريقها الأخلاقي تماماً، تنحني للضغط وتخضع للمطالب. إن كان الناس مثليين "غيه" دعهم يكونون مثليين في تَصرُفاتِهم. في الحقيقة "إن لم يُعاقِب الله أميركا والعالم، عليه أن يعتَذِر لسدوم وعمورة"

تُذكَر سدوم ست مراتٍ في العهد القديم وأربع مرات في العهد الجديد، اسمها مُرادِفٌ للانحِراف الجنسي. تَبرُز في الكتاب المُقَدَس على أنها المِثال الأبرز للإطاحة دون وجود علاج. عندما مشى يونان بغطرسة خلال طُرُق نينوى، ألغيت الدينونة التي أعلنها عندما أتت التوبة والنهضة الروحية. دينونة الطوفان لن تُكَرر مرة أخرى-تعهد الله ذاتهُ لهذا الأمر من خلال قوس قُزح في السماء. ولكن خطايا سدوم لم يَكُن لها علاجاً، كما يُعلِم بولس في رومية1، تَسَاهُل المُجتَمَع يُشير أن الثقافة المُلاطِفة لرزيلة كهذه هي ثقافة مَنبوذة تماماً. إطاحة سدوم تُقَدَّم أمامنا أكثر من أي كارثة في تاريخ العالم بأنها المثال الأعلى للدينونة القادمة على العالم. قال يسوع: "كَذلِكَ أَيْضًا كَمَا كَانَ فِي أَيَّامِ لُوطٍ... هكَذَا يَكُونُ فِي الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ يُظْهَرُ ابْنُ الإِنْسَانِ." (لوقا 17:28-30).

تُقَدِم لنا إطاحِة سدوم مِثالاً مدروساً مؤسساً على مبادئ لا تتغير. بإعطاء ذات الظروف، سيتصرف الله بذات الطريقة التي تصرف بها من قَبِل. وهكذا هلاك سدوم وهروب لوط بآخر لحظة ممكنة يُمَثِل هلاك العالم الوشيك أن يَحدُث وهروب الكنيسة بآخر لحظة مُمكنة.

أ. أخلاق سدوم الغير مُقَدَسة (19:2-22)

يضع الله حدوداً لشر الإنسان التي من بعدها تُصبح الدينونة محتومة وغير مُتَوَقعة من الأغلبية ونهائية في خاصيتها. "وَكَانَ أَهْلُ سَدُومَ أَشْرَارًا وَخُطَاةً لَدَى الرَّبِّ جِدًّا " هو الحُكُم الذي سبقَ فأصدِرَ على المدينة وثقافتها من قِبَل الروح القُدُس (13:13). أولاً كانت أخلاق سدوم الغير مُقَدَسة شيئاً *شائعاً*. لم يَكُن واحد أو اثنان من الأفراد الخجولين الذين تسَلَلوا خلال الليل ليفعلوا فحشائهم بالسر، خلف أبواب مُقفلة. بل كانت طريقة حياة مقبولة.

في الإصحاح الذي سبق، نرى إبراهيم جالِساً عند باب خيمتِهِ؛ في الإصحاح 19 نجِد لوط جالساً عند بوابة سدوم. لقد كَبُرَ مقامهُ في العالم، ورُبما أصبح أحد المسؤولين المُهمين في سدوم، أحد مُشرعيها على الأقل، مُوكلٌ على دعم مبادئها وحماية الحقوق الوسخة لشعبها. يا له من مكان لمؤمن مُجاهِر! كان لوط مُعَهَدَاً للمُساعدة في حِفظ القوانين في الكُتب التي قوَّت المنحرفين والشاذين على مُمارسة خطاياهُم دون الخوف من التأنيب. كانت تلك هي المرحلة التي وصلت إليها أخلاق سدوم في تلويث القِيَم والحُكُم على الأمور وحِس الخطأ من الصح لطِفل الله المُتراجِع في إيمانِهِ.

هناك جلس لوط مُتألقاً بجلبابهِ الرسميّ مُحاطاً برجال ذوي أذهان نجسة، مَقبولاً من قِبلهم لأنهِ الأن يتكلم لُغَتِهم وتغاضى عن مُمارساتهم، وفوق هذه جميعُها لأن كان لديه الاتصالات الصحيحة. فَعَمَهُ إبراهيم كان رَجُلاً قوياً وشجاعتهُ في الحرب تُذكَر جيداً في سدوم. وهكذا جلسَ لوط هناك يبتسم ويضحك ويُوافق خارجياً بينما داخلياً كان يَقتُل نفسه بسبب العادات والمُمارسات البغيضة التي ارتبط في حمايتها كأحد أسياد سدوم، وفجأةً جُفِلَ بظهورٍ لملاكين. لقد ظهروا لإبراهيم*كرَجُلين*، أما للوط فظهروا كملاكين. المظهر المُتغير يُصَوِر المسافة؛ لم يكونوا قريبين أو وديين مع لوط كما كانوا مع إبراهيم. لقد رآهُم في شكلِهم الملائكي ولكن لمُقَرَبيه الغير مُخلّصين بدو لهم كرجال، رؤية الملاك سيكون أكثر مما يُمكن أن يحتملوا.

لوط عَذَرَ نفسه وأسرع لِيُقابل الزوار وقدم لهم ضيافة بيتِهِ "يَا سَيِّدَيَّ، مِيلاَ إِلَى بَيْتِ عَبْدِكُمَا وَبِيتَا" (للصدفة، هذا أول ذِكر للبيت في الكتاب المُقَدَس). إبراهيم كان لديه خيمة؛ لوط كان لديهِ بيت، إبراهيم كان مُهاجِراً؛ لوط كان مُواطِناً. إبراهيم كان يعيش للمدينة السماوية؛ لوط كان يعيش لسدوم. عِندما زار الملاكان إبراهيم قَبِلوا ضيافَتَهُ بسرور، أما لوط فكانا فظين مَعَهُ، قالا: "لاَ، بَلْ فِي السَّاحَةِ نَبِيتُ" (مرة أخرى هنا أول ذِكر لشارِع). انتشار أخلاق سدوم الدَنِسة تَقفُز للعيان بتلك اللحظة، شوارع سدوم ليست آمنة، وخصوصاً في الليل. لم يَكُن هناك أحد يعلم أكثر من لوط الأشياء التي جرت في الليل في شوارع ذلك المكان الشرير، لذا قيل لنا: "فَأَلَحَّ عَلَيْهِمَا جِدًّا"، لقد كان مُستعجِلاً ومُصِراً. كعضو في إدارة المدينة كان يعلم جيداً نوع الجريمة والفساد الذين سادا سدوم في الليل، ونوع الجماعات الفاسقة المنحرفة التي طافت الشوارع-رجال أسوأ من الحيوانات البرية، بشغفٍ مُشتعِلٍ من جُهَنَم.

بالحقيقة أن أخلاق سدوم الغير مُقَدَسة لم تكن فقط شيئاً سائداً بل شيئاً *مُلوثاً* أيضاً (19:4-5). بمُمانعة واضحة قَبِلَ الضيفان الملائكيان ضيافة لوط، وضع أمامهما ما دُعيَ بشكل لطيف "ضِيَافَةً"، ولكن روح الله لا يَتَرَيث حولها بمحبة كما فعل مع وجبة إبراهيم. بالحقيقة الشيء الوحيد الذي ذُكِر هو الخُبز الفطير-غير مُمتع وشيء لا طعم له. لم يَكُن هناك خبزاً طازجاً على مائدة لوط، لأنه ماذا لديه الرجُل ذو ذهنٍ جسديٍ أن يُقَدِم لضيوفٍ من السماء؟ كُل ما تأخُذ منه السماء هو خُبز فطير، تبدو أنها كانت إشارة رمزية على أن الخطيئة يجب أن تُوضع بعيداً عن حياتهِ.

لم يَكُن العشاء قد انتهى حتى كان هناك صَخَبٌ عند باب لوط، لقد ارتبك لأنه علمَ تماماً ما تعني هذه الصيحات القبيحة. سفاحو سدوم اليافعون بشهواتِهم التنينية (العنيفة)، كانوا بالخارج يُطالبون باستحَقَاقاتِهِم. والآن أصبحوا يطرقون الباب بعُنف: "أَيْنَ الرَّجُلاَنِ؟ أَخْرِجْهُمَا إِلَيْنَا" أهينت حقوقهم المدنية من قِبَل باب لوط الموصَد والمُقبَض. كان لديهم الحق أن يفرِضوا شهوتهم الفظيعة على الغَريبين اللذين تجرآ أن يمكثُا الليلةً في سدوم.

زاد الصَخَب، وبينما يَنظُر لوط إلى الخارج من المُحتَمَل أنه رأى الجمهور يَتَزايد عند بابه بِسُرعة مثل الكلاب المسعورة. حضرَ جَميع ارذياء سدوم الوسخين، جراء وكلاب مُسِنة على سواء، يَلهثون وينبحون ويُهدِرون-أسوأ من الكلاب، أسوأ من الخنازير البرية، الجميع مُحمى لنُقطة الشغب بشُعلة شهواتِهم البغيضة والجُهنمية. "أين الرَجُلان؟ أين الرَجُلان؟" المطلب كان أشر وأكثر دناءة وشيطانية مما من المُمكن أن يخرُج من شفاه إنسان.

كانت أخلاق سدوم الغير مُقَدَسة شيءٌ *مُستَمِر* (19:6-9أ) "فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ لُوطٌ إِلَى الْبَابِ وَأَغْلَقَ الْبَابَ وَرَاءَهُ وَقَالَ: لاَ تَفْعَلُوا شَرًّا يَا إِخْوَتِي. هُوَذَا لِي ابْنَتَانِ" ما فعلهُ كان شيئاً شُجاعاً أن يضع نفسه بين الرُعاع وضيوفِه. ولكن تخيل مؤمناً-صديقاً لإبراهيم خليل الله، رجُلاً كان مُهاجِراً، رجُلاً كان لديهِ مرةً خيمةٌ، ومرةً أعتَرَفَ بإيمان إبراهيم -تخيل رَجُلاً كهذا يدعوا حُثالة سدوم "إِخْوَتِي"! لهذا البُعد التفت أخلاق سدوم الغير مُقَدَسة حول إدراك لوط للقيَم.

لقد كان يائساً، رُبما اعتقد أن مَوقِعَهُ كقاضي صُلح للمدينة قد يُرهِب الرُعاع. وقف هناك وظهرَهُ للباب، مُواجِهاً الرُعاع وبطريقة ما استطاع أن يجعل صوتهُ مسموعاً. يا لهُ من خُذيّ! عرضَ عليهم ابنتاه، اقترح أن يُضَحي بابنتيه لشهواتهم فقط إذا ارتضوا أن يذهبوا بعيداً. ولكن الشغف العادي أصبح أليفاً بالنسبة للتنين النافس لنار الشهوة التي استهلكَتهُم. حَثَ بِهِم قوانين الضيافة الشرقية المُقَدَسة، ولكن كان من الأفضل أن يُوَفِر أنفاسَهُ. ما همَ رجال سدوم، عندما تكون شهيتهم المُنحَرِفة مُشتَعِلة، لقوانين الضيافة والحِشَم العادية للرجال؟ رَفَضوا بازدراء وصخبوا: "أنت حتى لا تنتمي إلى هذا المكان، ابتعد عن الطريق أيها الرجُل التافِه، وإلا سنفعل بكَ أسوء مما نعتمد أن نفعل بالرجُلين خلف ذلك الباب"، الأخلاق الغير مُقَدَسة لسدوم كانت شيئاً مُستَمِراً. إن كان هناك شيءٌ واحِدٌ يُميز الانحِراف، هو شخصيَتَهُ العَميقة الجُذور، كالخلية السرطانية في الجِسم الصحيح تنمو وتنتشر حتى تُدَّمِر صِحة الجِسم بأكمِلِهِ، هكذا الشهوة المُنحَرِفة تُرَسِخ نفسها وتَحتَل الحياة.

ولكن بالإضافة لأخلاق سدوم الغير مُقَدَسة، كانت شيئاً *مُولعاً بالقِتال* (19:9ب) "فَأَلَحُّوا عَلَى الرَّجُلِ لُوطٍ جِدًّا وَتَقَدَّمُوا لِيُكَسِّرُوا الْبَابَ". الشغب فَجَر كُل قيّد، وبعيداً عن قُدرَتِهِ بنصح الرجال الأشرار بالعدول، نجح لوط فقط باستفزازهِم، وبخلال ثوانٍ سَيُسحَق كاللُباب، بابُ بَيتِهِ قد ضُرِب حتى فُتِح، وعائلَتَهُ وضيوفه أصبحوا مكشوفين لرُعبٍ أسوأ من سقوطِ مدينةٍ تحت النهبِ.

شهوات هؤلاء الرجال الغير مُقَدَسة كانت مُولعة بالقِتال. لم يَعُد المُنحَرِفون يُمارِسون عَمَلَهُم البغيض في الخفاء، منبوذين من بقية المُجتَمَع. لم تَعُد فقط خطاياهُم المُخزية مُحتَمَلة من قِبل المُجتَمَع المُتَساهِل على أنَّ للناس حقٌ في مُمارستهِ كما يشاؤون، لقد ذهب الأمر أبعد من ذلك. أصبح الناس الآن قوة مُنفَتِحة وعُدوانية ومُصِرة في المدينة التي لم يَجرؤ أحد بها أن يَتَدَخَل. لأن تَصَرُفاتِهم لم يُنظَر إليها من قِبَل السدومين على أنها إجرامية بل *دَستورية*. كان لهُم الحق الدَستوري أن يُشبِعوا شَغَفَهُم متى وأين أرادوا وأي مُحاولة لإحباطِهم يَجِب التَوَقُع لشَغَب مَفتوح في المَدينة.

ولكن إن كانت أخلاق سدوم الغير مُقَدَسة شيئاً شائعاً ومُلوَثاً ومُستَمِراً ومُولعاً للقَتل كانت أيضاً شيئاً يستحِق *العِقاب*-رُبما ليس بحسب قوانين سدوم، ولكن بالتأكيد بِحَسَب قوانين الله. إن لم يُعاقِب المُجتَمَع هذا النوع من التَصَرُف، الله بِكُلِ تأكيد سوف يفعل. بحالة لوط الملائكة تصرفوا "فَمَدَّ الرَّجُلاَنِ (الملاكان الزائران) أَيْدِيَهُمَا وَأَدْخَلاَ لُوطًا إِلَيْهِمَا إِلَى الْبَيْتِ وَأَغْلَقَا الْبَابَ. وَأَمَّا الرِّجَالُ الَّذِينَ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ فَضَرَبَاهُمْ بِالْعَمَى، مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ، فَعَجِزُوا عَنْ أَنْ يَجِدُوا الْبَابَ" كان ذلك عمى قضائي. قال أحد الفلاسفة القُدماء "من تُحَطِمَهُ الآلِهة، تجعلهُ مجنوناً أولاً"، هذا ليس صحيحاً! من يُحَطِمَهُ الله، يَجعَلَهُ أعمى أولاً. تأتي مرحلة في الارتفاع الجذري للشر البشري عندها يَتَصَرَف الله، يُعمي في مرحَلِة الإعداد. العملية تأخُذ عدة أشكال؛ بحالة فرعون، الله قَسَّى قلبَهُ؛ في يوم الآتي سَيُرسِل للبشر وهماً شديداً حتى يؤمنوا "الكذبة". انتهاك قوانين الله بغطرسة وإصرار شيءٌ خَطِيرٌ.

ب. العقلية الغير مُقَدَسة لسدوم (19:12-38)

من الآن فصاعِداً يتأرجح الضوء المُسَلط على وساخِة سدوم إلى الوضع الراهِن في عائلة لوط. تُظهر ماذا فعلت فلسفة سدوم لتَفكير الرَجُل المؤمن. في الحقيقة لا نستطيع أن نستَمِر في تَشَرُب أفكار العالم دون أن نُلوّث ذواتنا.

1. إيمان لوط المُتآكِل (19:12-26)

في الخارِج يُسمَع التجديف العنيف للغير الإلاهيين بينما الرُعاع يدفعون ويندفعون ويلعنون الظُلمة السوداء التي حلَّت عليهم، ومع ذلك مُصرون على حقوقِهم في إطفاء شهوتَهُم المُنحَرِفة. في الداخِل لوط وزوجَتُه وابنتاه مُنهارون على الوسائد، مَرعوبون بشِدة. رُبما استدار لوط لضيوفِهِ بكلمات اعتِذار شديدة على شفتيهِ، دون أن تُتاح لهُ الفُرصة.

"ليس هناك وقت لذلك، أين بقية عائلتك؟ لديك أولاد مُتَزَوِجون؟ أحضِرهم بالحال، لأننا سنُدَمِر المكان".

مهما كانت أخطاء لوط، قِلة الشجاعة لم تكُن واحِدة منها. منذ لحظة مضت، كاد أن يَخسر حياتَهُ عند عتبة بابهِ. والآن عليه أن يعود إلى الخارج، ويجول شوارع المدينة، ويزور بيوت أولادِهِ في مُختَلَف أجزاء المدينة. يا لهُ من منظرٍ لفُرشاةِ فنانٍ-لوط يُسرِعُ خلال الشوارع المُظلمة، يتفادى أيادي العمي المُذَلِلة، ذِئابٌ بشريةٌ ضارية ما زالت تُهاجِمُ بابهُ، مؤكداً لأولاده مجيء الهلاك المحتوم. ولكن من الواضِح أن شهادة لوط كانت عديمة القيمة (19:12-14)، ركَضَ من بيت لبيت، وأيقظ أولادَهُ، وجَمَعَ العائلَة من هذا وذاك حوله في غُرفة المعيشة. وقصَّ ما حَصَل، وأكد لهم هلاك سدوم المحتوم، ومَثَّلَ لهُم النهاية المُرَوِعة ووصفَ مجيء الدينونة بكلمات مُلِحة ولكن قليلة. صرَخَ "أسرعوا! أسرعوا!"، "فَكَانَ كَمَازِحٍ فِي أَعْيُنِ أَصْهَارِهِ" (19:14) قالوا: "الرَجُل العجوز مجنون!"

وهكذا غادرَ بعيونٍ معميةٌ بالدموع، يَتعَثَرُ في طريقِ عودَتِهِ، يقِفُ الآن خلفَ سِياجٍ لينكَمِشَ على نفسهِ، والآن في مَمَرِ مَتجَرٍ بينما يَعبُرُ مَجمُوعة من الخليعون بعواء. سقطت شهادَتَهُ على آذانٍ صماء، بناتُهُ تزوجنَّ من رجال سدوم وكان لديهُم عقلية سدوم فلم يستطيعوا أن يَستَقبِلوا الحقيقة الروحية. ولوط بسنين تراجُع إيمانِهِ خلفَهُ، لم يَكُن له القوة الروحية، لم يكُن يَستطيع أن يُحَمِل في كلامِهِ إدانة روحية.

تَدَفُق القوة الروحية المُفاجئة قد بُذِلت، ودخل لوط من الباب مُتَرَنِحاً ومُتعَباً. ثُم عَبَّرَ عن كم كان مُستَنزَفاً في عيشيهِ في سدوم، ويُشير الانتِباه إلى *ضَعف إرادة* لوط (19:15-23). لا يُمكِن للحياة الروحية الديناميكية أن تتغذى على دُنيويات، كم *كان مُتَرَدِداً أن يبدأ*. بدأ الملاكان في استِعجال لوط في أول لحظة لبزوغ الشمس "قُمْ خُذِ امْرَأَتَكَ وَابْنَتَيْكَ الْمَوْجُودَتَيْنِ لِئَلاَّ تَهْلِكَ بِإِثْمِ الْمَدِينَةِ. وَلَمَّا تَوَانَى، أَمْسَكَ الرَّجُلاَنِ بِيَدِهِ وَبِيَدِ امْرَأَتِهِ وَبِيَدِ ابْنَتَيْهِ". نستطيع أن نتخيل المَشهَد-يُجَر لوط خارِج سدوم، وكُل العائلة تتباطأ وتتلاعب وتتوانى في الطريق-الزوجة تُريد أن تُرَتِب جواهِرها، والبنتان تُريدان أن تتسربلا بِشِكلٍ مُناسب، ولوط يُريد أن يَجِد دفتر حسابات البنك والقبض. إنه لشيءٌ عجيبٌ كيف يُصبِح الشخص المُتراجِع في إيمانِهِ تِجاه الحقيقة الروحية.

كم *كان مُستَعِداً للوقوف*. سَحَبَهُ الملاكان للتوّ إلى خارج سدوم عندما بدأ لوط بالاعتراض على قُسوة الطريق "لاَ يَا سَيِّدُ... لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَهْرُبَ إِلَى الْجَبَلِ لَعَلَّ الشَّرَّ يُدْرِكُنِي فَأَمُوتَ." لماذا، الجَبَل كان حِصنٌ حقيقيٌ بالنسبة لمُدُن السَهل المُهلهلة التي سبق ولاحَ عليها سيفُ الهلاكِ المسلول. الحيوانات البرية المارة كأنها قِطط يافِعة بالنسبة لِشَرِ وحوش سدوم ذوي القائمتين. بالإضافة، لم يُنَجِّ الله لوطاً من سدوم حتى يَرميهِ بِكُلِ بساطة منسياً على الجَبَل. ولكن طريقة تفكير سدوم لا تستطيع أن تَستَوعِب حقيقة كهذه.

ثم كان هناك *امرأة لوط الصعبة المراس* (19:24-26). أنتقلَ لوط وعائلته أخيراً خارِج منطقة الخطر تحت إلحاح الملاكين المُستَمِر، ثم بذات اللحظة سقطت الدينونة. نار وكبريت سقطوا مُندَفعين من الأعلى، أمطَرَت جُهَنَم من السماء، وعويل المدينة المَفقودة صَعِدَ إلى السماء. ونظرت امرأة لوط إلى الخلف.

صَرَخَ الملاكان "لاَ تَنْظُرْ إِلَى وَرَائِكَ، وَلاَ تَقِفْ فِي كُلِّ الدَّائِرَةِ" العائلة المُخَلَصة كما بنار عليها أن تنسى تِلكَ الأشياء التي في الخلف. يَجِب أن يُطَلَق العالم من قلوبِهِم، حتى بتِلك الساعة المُتأخرة، ولكن زوجة لوط نظرت إلى الخلف. يَقول ألفورد أنها كانت نظرة ثابتة وجدية، نظرة حزينة وطويلة ولَهِفة. رُبما كانت تَفتَكِر بجميع الحُليّ والأدوات التي تركتها خلفها، رُبما كانت تَفتَكِر بأولادِها. بأي حال، لقد عصَّت ونظرت إلى الخلف وتَحَوَّلت إلى نِصبٌ تِذكاريٌ للقلب المنقَسِم. لقد تَحَوَّلت إلى عمودِ مِلح بينما أهداب المِحرَقة عَمَّتها بالمكان الذي وقَفَت بهِ. والآن تآكُلات عامِل الوقت والطقس قد محا ذلك التِمثال، ولكن الرب يسوع قد حَنَطَها في الكتاب المُقَدَس كتنبيه لنا أجمعين، قال "اُذْكُرُوا امْرَأَةَ لُوطٍ !" (لوقا 17:32)

2. عائلة لوط المُفسَدة (19:27-38)

وكأن الروح القُدُس مُثاراً اشمئزازهُ من خطايا وعار سدوم، يَتَوَقَف لدقيقة في مُتابَعِة القِصة ليتكلم عن إبراهيم. ذِكر إبراهيم يُرينا ما كان سَيَصبُح بلوط (19:27-29) "وَبَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ فِي الْغَدِ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي وَقَفَ فِيهِ أَمَامَ الرَّبِّ، وَتَطَلَّعَ نَحْوَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ، وَنَحْوَ كُلِّ أَرْضِ الدَّائِرَةِ، وَنَظَرَ وَإِذَا دُخَانُ الأَرْضِ يَصْعَدُ كَدُخَانِ الأَتُونِ." لم يَفقِد إبراهيم أي شيء، حتى أنه لم يَفقُد ليلةَ نومٍ. وقفَ هناك على أرضٍ مُقَدَسة، بعيداً وعالياً من الخراب المُحتَرِق للعالم في الأسفل، مُدرِكاً أنه في ذلك الموضع عينهُ تلاقى وجهاً لوجه بالأمس، ليس مُجَرَد ملاك، بل الله بذاتِهِ. في قَلبهِ سكَنَ التوكيد الهادئ أنه مع أن الدينونة حلت على سدوم، صلاتهُ لأجل لوط لم تَكُن عَبَثاً. كان من المُمكِن أن يقف لوط بالمكان الذي وقف به إبراهيم؛ بدلاً عن ذلك أصبح الآن هارِباً ولاجِئاً ومُتَشَرِداً على وجه الأرض، مُفتَقِراً ووحيداً.

ثُم يُقال لنا *ما أصبحَ عليهِ لوط* (19:30-38) تروي هذه الأعداد قِصة طريقة تَفكير سدوم، التي تَشَرَبها ابنتا لوط بحذافيرها، حتى أنهما وجدا أنفُسهنَّ عاجزات عن المنطِق السليم. تُرينا لوطاً سكيراً ومُهاناً، وابنتاه تتصرفان بطريقة تَربَح تَصفيق أي رَجُل ذو ذهنٍ نتن في سدوم.

الفتاة الأكبر وضعت الاقتراح أمام أختها، اقتراح شائن لدرجة أنه يُصَوِر بِسُرعة نوع التعليم الذي حَصَلَت عليه في مدارس سدوم. لم يَكُن هناك تفكير بالله، ولا مَعرِفة بكَلِمَتِهِ، ولا اهتمام بإرادَتِهِ، ولا مَفهوم لعِنايَتِهِ. لم يَكُن هناك صلاة، ولا فِكر بأن اقتراحِها خاطئ أخلاقياً، هي وأختها كانتا فاقِدَتين الحِس الأخلاقي تماماً. لقد كانتا مَيتتين روحياً، وزنتا الأمور كثُنائي وثني، وهذا ما كانتا عليهِ بالحقيقة.

كُل ما استطاعت الفتاتان أن تُفَكِرا بهِ هو انعِزاليتهُنَّ عن العالم والفِكر، بحسب معرفِتهن، أنهما لن تأتيا بأي اتِصال مع جنسِهما أبداً. لقد كانتا مهووسَتين بفكرة احتمال موتِهما دون إنجاب أولاد. صممتا على إسكار أبيهما وبعدها الأولى ثم الأخرى، تَغرينَ الرَجُل المُسِن، وعلى الأقل تَحظَين بفُرصة أن تُنجِبنَّ ولداً.

وهكذا فَعَلْنَ، لم يَكُن هناك عيبٌ ولا أسى ولا ندمٌ ولا حِسٌ الخطيئة ولا مَفهومٌ لقداسةِ الله، فقط مَحِضَ شرٍ كما ولو كان تَصَرُفهنَّ طبيعياً، الذي بالطبع كان كذلك-بالنسبة لسدوم. ولكن إذاً، سدوم هي كُلَ ما كنَّ يعلمنَّ.

والنتيجة كانت ولادة موآب وعمُّون، ومن موآب وعمُّون خرج شعبان أصبحا أعداء شعب الله المريريّن والمُثابريّن. استقرَ الموآبيون وأصبحوا جيراناً راسخين وعِدائيين لإسرائيل، وكان العمُّونيون بدَويين متَجولين وغير مُستَقرين في مُعظَم الأنحاء، باحثين عن كُلِ فُرصة للوقوف بجانب أعداء إسرائيل.

سيكون من الصعب الإقرار إن كان لوط رجُلاً مُخَلّصاً حقاً من خلال قِراءة قِصَتِهِ في العهد القديم، لم يُقَدِم أي إسهام إيجابي لحياة الأيمان. لقد اختار الطريق الأدنى والجسدي والعالمي، ترك شَرِكَة الأيمان في أول فُرصة مُمكِنة ولم يُرَمِم تلكَ الشَرِكة أبداً. لم يَترُك أثراً لله وعائلَتَهُ انتهت بكارثة، وآخر ما نراه في السرد كان سَكِراً ومُهاناً. بالحقيقة لولا تصريح بُطرس القصير والاستثنائي المكتوب بعد ألاف السنين (2بطرس2:7-8) لكُنا مُبَرَرين في الاستنتاج أن جذور الإيمان لم تَكُن بهِ على الإطلاق. هذه هي حياة المُتراجِع في إيمانِهِ، أطلُب من الله أن يُنجينا من حياةٍ كهذه، بالحق علينا أن "أُذْكُرُوا امْرَأَةَ لُوطٍ !"

9. مخاطِر الإيمان (20:1-18)

المأساة بالطبع أن إبراهيم فعل ذات الشيء مرةً من قَبل، في طريقِهِ إلى مِصر اتفق هو وسارة أن تَتَظاهر على أنها أختَهُ بدلاً من أن تُعَرَف بزوجَتِهِ. قد يُعتَقَد أن الاختِبارات المأساوية في مِصر عَلَّمَت إبراهيمَ دَرساً، ليس كذلك. أعاد تِكرار ذات الغلطة المُحزِنة مرة أخرى، بالحقيقة أن الروح القُدُس لا يَعبُر بلمعان فوق أخطاء وهفوات حتى أعظم القديسين. في جميع الأحوال إبراهيم كان رَجُلاً ذا مشاعِر كما نحن، تَعثَّرَ ووقَعَ كما نحنُ نَفعَل. في الكثير من الأحيان نحن مثل إبراهيم قد خُلِصنا برحمة من فِعلٍ خاطِئٍ من خِلال نعمة وتَدَخُل الله، فقط لنعود للشيء ذاتِهِ في وقتٍ لاحِقٍ. مَشهَد عودة لوط إلى سدوم أقل بؤساً بكثير من مَشهَد عودة إبراهيم إلى ذات أرض الفشل كما قَبل.

"أنظري إلى هنا يا سارة، عزيزتي-تعلمين كيف هو الوضع في هذه الأجزاء من الأرض، المشايخ في هذه الأماكِن بريّن ومجموعة جامِحة، وشيوخ الفلسطينيين أقوياء وغير مُقَيَدين. والآن لا تنسي، نحن ذاهِبون إلى بلاد أَبِيمَالِكُ كأخ وأخت، وليس كزوج وزوجة، اتفقنا؟" كان هذا خلفية حوادِث القِصة. تبدو مُستَحيلة التصديق أن الرَجُل الذي ربِحَ العديد من الانتصارات، واستقبل تَجَلٍ فريدٍ لحِضور

الله، أن يَتَعَثَّر بهذا السوء بهذه السُرعة. طبعاً خلف كُل هذه الواقِعة هو الشيطان، يَحفُر حِفرةً أخيرة مُحاولاً مَنع ولادة إسحاق، وبالتالي ولادة المسيح في النهاية.

أ. المُهاجِر المُتَنَقِل (20:1-2)

لم يُقال لنا لماذا كان إبراهيم يَتَنَقَل، لقد كان يَعيش في شَرِكة مع الله في سُهُول مرمرة. أخر نظرة لدينا له كان يَقِف في المكان الذي به التمس الرحمة من الله لسدوم، ناظراً إلى الأسفل تجاه وادي الأردُن المُشتَعِل. رُبما بكى إبراهيم على تِلك الحُطام المسكينة، يتساءل أين وكيف هرب لوط. رُبما مَشهَد الحطام السوداوي أزعَجَهُ كثيراً حتى أنه قرر أن ينتقِل بعيداً. في أيةِ حال جَمَعَ مواشيه وقطيعَهُ ووضَّبَ المُخَيَم وذهب تجاه الجنوب على الطريق ذاتهِ الذي أخذه مرةً إلى مِصرَ. من صَمت الله بما يتعلق بالترحال، يبدو أن إبراهيم كان يتصرف بحسب إرادَتِهِ دون أي إرشاد مُباشر من الرب، هذا دائماً من خطِر فعلِهِ.

أخذ الطريق السريع الجنوبي المُهاجِر وعائلتهُ إلى بلاد الفلسطينيين، حيث أعاد تِكرار خطيئته الماضية. "وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ سَارَةَ امْرَأَتِهِ: هِيَ أُخْتِي. فَأَرْسَلَ أَبِيمَالِكُ مَلِكُ جَرَارَ وَأَخَذَ سَارَةَ." طبعاً الحقيقة المُذهِلة أن سارة قد أصبحت في سن التسعين من العُمر، وكما هي ذاتها اعترفت، مُسنة جِداً. والآن الملوك ذوو الدم-الحار، مالكو عددٍ كبيرٍ من الحريم الجميلات، لا يختارون نساءً عُجَّز كي يكنَّ مع زوجاتِهم. إذاً هذا استِدلالٌ قويٌ جِداً أن الرب قد صنعَ مُعجِزة وقد أعاد صِبا سارة استعداداً لدورِها القادم كأم.

منذ بضعة سنين مضت أُخِذَ واعِظٌ مُتَقَدِمٌ بالسن ليرى البقايا المومیائية للواعظ المشهور جورج ويتفيلد. المنظر لم يَكُن مُلهِماً جداً، لأن الزمن قد وضع يَدَهُ على عمل التحنيط. الواعظ المُسِن نظر إلى البقايا الفانية للانتعاشي العظيم، وكونَهُ مُتَأثِر جداً بالمَشهَد، خاطَبَهُ هكذا: "حسناً يا جورج، لا تَبدو بِشَكِلٍ جيد. لا أتوقع أن أعود إلى هنا يا صديقي، ولكنك ستكون في مظهرٍ أفضل بكثير عندما أراك مرة أخرى-في الهواء!"

يَبدو أن الرب لم يَنتَظر حتى الاختطاف لفعل عمَلَهِ التجميلي على جَسَد سارة المُستَهلك والمُسِن. في الأسفل هناك في جَرَار، في عُمر التسعين، استطاعت أن تُنافِس أي تاسِعَةَ عشرة من العُمر في الأرض.

يُرى إبراهيم في الإصحاح 20 كمُهاجِر، ولكِنهُ أتخذ حركة خاطئة وهو على وشك أن يُكَش-ملك من قِبل الله، كما يَكُشُ-الملك الله معنا في الكثير من الأحيان.

ب. النبي البائس (20:2-16)

هذا هو المكان الأول في الكتاب المُقَدَس حيثُ بالفِعل يُدعى أحدهُم نبياً، ولكن يا لهُ من انطباع بائسٍ يَترُكُهُ لنا إبراهيم! هناك شيءٌ عن نبيٍ يَتَصَرَف بالجسد وكأنه يسير عكس التيار. لدينا شعور غريزي أن أي شخص يُمَثِل الله يجب أن يكون بعيداً عن اللوم في حياتِهِ الشخصية والعلنية، يجب أن تكون أمانتهُ لا غُبارَ عليها. لقد سبقَ لإبراهيم وخاطر بأمانَتِه بقولهِ كذبةً سافِرة.

1. لم يُمَيَز كنبيٍ بسهولة (20:3-7)

بالطبع لم يَقل أبيمالك لنَفسِهِ، بينما ظَهَرَ إبراهيم أمامهُ، "هذا الرَجُل نبيّ الله!" السرد يُرَكِز أولاً على أبيمالك ويُعطينا لمحة *لوضع أبيمالك الهالِك* (20:3). "فَجَاءَ اللهُ إِلَى أَبِيمَالِكَ فِي حُلْمِ اللَّيْلِ وَقَالَ لَهُ: هَا أَنْتَ مَيِّتٌ مِنْ أَجْلِ الْمَرْأَةِ الَّتِي أَخَذْتَهَا، فَإِنَّهَا مُتَزَوِّجَةٌ بِبَعْل". موازين الله عالية فيما يخُص الطهارة الزوجية وغير مُتَغيرة سواءً في عصر البطريركية أو تحت الشريعة أو في أيام النعمة. أن تأخُذ زوجة أحد آخر هي خطيئة تُعاقَب بالموت في شريعة الله الأخلاقية.

لسببٍ ما لم يَكن أبيمالك قد لَمَسَ سارة، لقد خصصها في حَرَمِه، ولكِنهُ لم يذهب أكثر من ذلك. ذهب إلى فِراشِهِ تِلك الليلة مُتَرَقِباً المُستَقبل برِضاً عن نَفسِهِ، ولكِنَهُ استيقظ وشعرهُ يَقِفُ مُنتَصِباً. لقد حَلِمَ حُلماً مُرعِباً، لقد حَلِمَ نَفسَهُ ميتاً وجهاً لوجه مع الله الغاضِب، وكُلُ ذلك بسبب تِلكَ الفتاة الحَرَم الجديدة-ما كان اسمُها-سارة؟ نعم سارة اخت الشيخ إبراهيم. ورُبما ولأول مرة في حياته، ذلك المَلِك الذي كان يَمتَلِك العديد من الصِفات النبيلة، قد تواجهَ مع رُعُبِ وضعِهِ الهالِك. ليس هناك شيءٌ مثل الخوف من الموت الشخصي والمحتوم ليُحضِر الشخص وجهاً لوجه مع الحقائق التامة. وهكذا أجبِرَ أبيمالك أن يواجِه الحقيقة أنه خاطئ وأن أجرة الخطيئة هي الموت وأن بعد الموت تأتي الدينونة.

ثُمَ نسمع *تَذَمُر أبيمالك الحاد* (20:4-5)، وباللحظة حَوَّلَ اللوم "أَلَمْ يَقُلْ هُوَ لِي :إِنَّهَا أُخْتِي، وَهِيَ أَيْضًا نَفْسُهَا قَالَتْ :هُوَ أَخِي؟ بِسَلاَمَةِ قَلْبِي وَنَقَاوَةِ يَدَيَّ فَعَلْتُ هذَا". صحيح تماماً أن كِلا إبراهيم وسارة قد تَصَرّفا بطريقة غير مُبَرَرة، ولكِنَ ذلك لم يَكُن عُذراً لِتَصَرُفات

أبيمالك الفاسِقة. مبادئ أبيمالك الأخلاقية كانت أدنى بكثير جِداً من تلك التي مَطلوبة من قِبَل الله، بحسب حِسابات أبيمالك كان أمراً طبيعياً له أن يُخَصِص لنفسهِ أيَ امرأة يشتهيها. إرادَتُها في الأمر لم تَكُن مُعتَبَرة، في منظورهِ أنه من المناسب تماماً له أن يستَغِل مَوقِعَهُ وقوتَهُ ويُمارِس صلاحياتهُ. يستطيع أن يُشبِع شهوتهُ حتى مِلئ قلبِه، بالأخص عندما وضع عَبائة الشرعية فوق شَغَفِه. لذا احتِجاجُهُ وتَذَمُرُهُ الحاد، لم يَكُن مُثيراً للإعجاب أبداً. من المُحتَمَل أن أبراهيم كان مُذنباً أكثر منه في تِلكَ الحالة، ولكن سوء تَصَرُف إبراهيم لا يُبَرِرهُ. تَذَمُرَهُ الحاد تجاهَل بطريقة مُلائمة الحقيقة، بغض النظر عن الظروف الحاضرة لقد تَصَرفَ بطريقة مُتعالية ومبادئ جسدية وشهوانية ومادية. لم يَكن الله مبهوراً باحتجاجاتِهِ.

لا ننسى أن قوانين البشر يُمكِن أن تكون مُلائمة جداً، هل كسر أبيمالك القانون؟ لا، ولماذا؟ لسبب بسيط، القانون كُتِب حتى يُلائم شهوتَه. ذات الروح جلية اليوم، كان هناك زمنٌ كان الزنى فيهِ جريمة؛ ليس بعد، لقد أعدنا كِتابة القوانين. كان هناك زمنٌ كان الشذوذ فيهِ جريمة؛ ليس بعد، لقد كتبنا قوانين جديدة لتُلائم المُنحَرفين. طريقة الإنسان في التعامُل مع القضايا الشائكة بأن تُشَكِل قوانين تمنح حقوقاً لشهوات الإنسان، هذه ليست طريقة الله.

هذا يأتي بنا *لاعتِبار أبيمالك الأخير* (20:6-7)، آخر شيء دخل في ذِهن أبيمالك أنه كان قد *كُبِحَ بسيادة*. كان لديه كُل الإرادة أن يُجبِر شهوتَهُ على سارة، لقد تَدَخّلَ الله وكَبَحَهُ من أن يَعبُر ذلك الخط المُميت. " فَقَالَ لَهُ اللهُ ... وَأَنَا أَيْضًا أَمْسَكْتُكَ عَنْ أَنْ تُخْطِئَ إِلَيَّ، لِذلِكَ لَمْ أَدَعْكَ تَمَسُّهَا." بِكَلِمة واحدة، دَمّرَ الله جميع ادعاءات أبيمالك التقية. لن نعلم أبداً، من هذه الجهة من السماء، كم من المرات كَبَحنا الله عن طريق مجموعة ظروف غريبة، من أن نرتَكِب خطايا جدية. ولكن لم تَخطُر على بالِ أبيمالك أبداً فِكرة أن الله مَنَعَهُ فِعلاً من المثابرة في الطريق المُنتهي بالدينونة.

كان اعتِبارَهُ الأخير أنه *مازال مسؤولاً* "فَالآنَ رُدَّ امْرَأَةَ الرَّجُلِ، فَإِنَّهُ نَبِيٌّ، فَيُصَلِّيَ لأَجْلِكَ فَتَحْيَا .وَإِنْ كُنْتَ لَسْتَ تَرُدُّهَا، فَاعْلَمْ أَنَّكَ مَوْتًا تَمُوتُ، أَنْتَ وَكُلُّ مَنْ لَكَ". لم يَعرُض أبيمالك وضع الأشياء بمكانها، حقاً أنه إثبات أن جَميع احتِجاجاتِهِ عن أمانَتِهِ الشخصية كانت غير مُخلِصة. يَستَطيع الله أن يقرأ قلب الرَجُل، ويستطيع أن يرى أنه إن لم يَخَفْ خوفاً شديداً كان بالتأكيد سيشرع بنواياه في إخضاع سارة لشهوتِه، إن كانت أو لم تكن زوجة إبراهيم. وفي النهاية تَصَرَف ليس لأنه أحب البِر ولكن لأنه خاف من العِقاب. مُواجَهة إبراهيم مع أبيمالك كانت مُشوهَة لِسُمعة إبراهيم لأن الملك الوثني لم يَتَعَرَف عليه على أنه نبيّ الله. ولكِن قيلَ لأبيمالك، على الرغم من أن كُل المظاهِر مُعاكِسة، إبراهيم كان نبياً وعليهِ أن يُعامِلَهُ كما يَجِب.

2. لم يُحتَرَم فِعلاً كنبي (20:8-13)

استيقظ أبيمالك عند الفجر، ورُعب الليل لايزال يُطارِدَهُ. استدعى خَدَمِه وسَرَدَ لهم الكابوس الذي عاناه، وخوف الله سقط على خَدَمِهِ أيضاً. ثُم، لابِساً ومُستَعِداً وفي قِمة الغضب، مزاجَهُ مُتأثراً بخوفٍ صحيٍ من الله، استدعى ملك الفلسطينيين إبراهيم لِيُلَقِنَهُ درساً فكرياً.

أنه ليس جُزءاً من تعامُلات الله العادية أن يحمينا من المواقِف المُحرجة التي نأتي بها على أنفُسنا بسبب خطايانا. بعد أن فَرَّغَ غضَبَهُ على إبراهيم، طَالبَ الملك الغاضِب تعليلاً، ويا له من تعليلٍ بائسٍ ومُرتَعِش كالبطة العرجاء عندما قدَمَهُ. نحو الله، اعتَرَف إبراهيم بأنهُ *مُرتابٌ*؛ نحو الإنسان، اعترف بأنه *مُخادِعٌ*؛ نحو نفسِهِ، اعترف بأنه *مُهانٌ*.

تمتَمَ البطريرك ذو الوجه المُحمَر "أنا فَعَلتها" "إِنِّي قُلْتُ :لَيْسَ فِي هذَا الْمَوْضِعِ خَوْفُ اللهِ الْبَتَّةَ، فَيَقْتُلُونَنِي لأَجْلِ امْرَأَتِي." يا *للارتياب*! لماذا، خوف الله كان غامِرٌ لدرجة أن أبيمالك، حتى بغَضَبِهِ، كان بالكاد يستطيع أن يَحفَظ ذاتهُ من السقوط من شدة الخوف حتى بينما كان يَجلسُ على عَرشِهِ، وجميع حاشيتِهِ من حولِهِ كانوا بذُعرٍ مُماثِلٍ لمَلِكَهم.

تابعَ إبراهيم المُتواضِع "وَبِالْحَقِيقَةِ أَيْضًا هِيَ أُخْتِي ابْنَةُ أَبِي، غَيْرَ أَنَّهَا لَيْسَتِ ابْنَةَ أُمِّي" يا له من *خِداع*! هناك بِضعة أشياء يحتَقِرها الغير المؤمن في المؤمن أكثر من الخِداع. ومن كُل أنواع الخِداع، لا يوجد أسوء من ذلك النوع الذي يَستَمِد قوتهُ من نصف الحقيقة. يُكاد ألا يُصَدَق أن قديس الله ينحني لخِدعةٍ كهذِهِ. ويكاد ألا يُغتَفَر، أن إبراهيم ينحني مرتين لذات شكل عدم الأمانة-إلا أن الله يَغفِر لنا ليس مرة ولا مرتين ولا حتى سبع مرات ولكن سبعون مرة سبع مرات.

"وَحَدَثَ لَمَّا أَتَاهَنِي اللهُ مِنْ بَيْتِ أَبِي أَنِّي قُلْتُ لَهَا :هذَا مَعْرُوفُكِ الَّذِي تَصْنَعِينَ إِلَيَّ :فِي كُلِّ مَكَانٍ نَأْتِي إِلَيْهِ قُولِي عَنِّي :هُوَ أَخِي" كان في مَحضَر ملوكِ الفوضى والشهوة مِثل أبيمالك، راسخين في كُلِ مكان على طِوَلِ طُرُق التجارة العظيمة، ملأ ذلك قلب إبراهيم بالخوف. كم هو *مُهينٌ*! يا له من عمَلٍ جبانٍ. لكن إذاً، عندما نرفع أعيُننا من عن الرب لن يكون هناك نهايةٌ للأخطاء التي سنرتَكِبُها.

الجُبُنْ هو شيءٌ فظيعٌ، قادَ بُطرُس لإنكار رَبِهِ، قادَ إبراهيم لإنكار زوجَتِه، يستطيع أن يقودنا للعديد من التَنَازُلات والمُساومات. من كان يُصَدِق أن رجُلاً عظيماً ونبيلاً مثل إبراهيم، خليل الله، يكون مُشيناً ورديئاً. ليس من العجب أن أبيمالك، ناظِراً لإبراهيم ومُستَمِعاً لكَلِماتِهِ، لم يَحتَرِمَهُ كنبيّ.

3. لم يُستَقبَل بشكل مُلائم كنبيٍ (20:14-16)

ليسَ هناك أي تلميح أن أبيمالك طلب من إبراهيم أن يُصَلي من أجلِهِ، مع أن الله نفسهُ قال له أن خلاصَهُ يكمُن في ذلك. بالتأكيد لم يَطلُب أبيمالك أبداً من إبراهيم أن يُخبِرهُ أكثر عن الإله الحيّ والحقيقي الذي أخافَهُ بشكلٍ عظيمٍ في تِلكَ الليلة، ولم يسأل إبراهيم أي شيء عن خلاص الله أيضاً. كان خائفاً، ولكِنَهُ بالتأكيد لم يَكُن يُريد أن يَعرِفَ الله. بل بالعكس، فعل ثلاثة أشياء مَحسوبة لِتُربِك إبراهيم أكثر مما هو عليه.

في المرتبة الأولى، *أهانَهُ* عن قَصد "فَأَخَذَ أَبِيمَالِكُ غَنَمًا وَبَقَرًا وَعَبِيدًا وَإِمَاءً وَأَعْطَاهَا لإِبْرَاهِيمَ، وَرَدَّ إِلَيْهِ سَارَةَ امْرَأَتَهُ." (20:14). لم يَكُن لِدى أبيمالك أي احتِرام لإبراهيم ولم يَكُن لديه أي نية استِفادة من مَعرِفة إبراهيم لله، ومع ذلك كان لديه خوفٌ صحيٌ لله الذي هزهُ. فكرَ أبيمالك، *إن كان هذا الشخص الحقير نبياً يجب أن أسترضيه بشكل جيد، لِكُلِ رَجُلٍ سِعرَهُ*. وهكذا أهان أبيمالك إبراهيم بتعامُلِهِ معهُ، على الطريقة الدُنيَوية، بطريقة أجمل بكثير مما عامَلهُ إبراهيم بها. فكرَ *رُبما يُغضُّ الرَجُل النظر الآن عن حقيقة استيلائي على زوجَتِهِ*، "هل هذا يكفي سيدي، ليجعلكَ تنسى ضَيمكَ؟"

ثُمَ *صَرَفَهُ* "وَقَالَ أَبِيمَالِكُ: هُوَذَا أَرْضِي قُدَّامَكَ .اسْكُنْ فِي مَا حَسُنَ فِي عَيْنَيْكَ" يا له من توبيخٍ عندما رَجُلٌ غيرُ مُخَلَصٍ يُعَلِمُ مؤمنٍ الأمانة العادية والأدب. بِصَرفِ إبراهيم بهذه الطريقة، كَدَّسَ أبيمالك جمراً على رأسِهِ. الفحوى أنهُ قال لإبراهيم "دعني أريكَ كيف يجب على المؤمن أن يَتَصَرَف، عليهِ أن يَكون كريماً وصادِقاً ذا يَدٍ مَفتوحَةٍ وجَديراً بالثِقة".

لقد *ازدرى* به في كُلِ هذا وَقَالَ لِسَارَةَ: "إِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُ أَخَاكِ أَلْفًا مِنَ الْفِضَّةِ". يستطيع المرء أن يرى أبيمالك ينهض من عرشه بينما قال هذا، صوتُهُ حادٌ بالسُخرية والهُزء على وجهِهِ مع انحناءة لإبراهيم. " ألفاً من الفضة يا عزيزتي *لأخاكِ*، ما رأيك بهذا؟ من الأسف يا أميرتي أنه ليس لديكِ زوجٌ، وإلا كنتُ أعطيتُ ذَلِكَ له". وبذلك الانفِصال دُفِعَ إبراهيم ليعلم تماماً كم كان تَقديرَهُ منخَفِضًا عِندَ أبيمالك-نبيٌ، حقاً!

ت. الكاهِن الخادِم (20:17-18)

لا بُد أن إبراهيم شعر بِصِغَرٍ شديد بينما جَمَعَ أشياءهُ وأخذ بالرحَيل من بِلاط أبيمالك. كان مجروحاً حتى الصميم من سخرية أبيمالك المَصقولة وبالكاد مُتَنَكِرة، ولكن كانت عند تلك المرحلة حيثُ ظَهَرَت حقيقية العَظَمَة الروحية لإبراهيم. بدلاً من أن يَكمُن امتعاضاً ضد أبيمالك، اعتَرَفَ داخلياً بأن ليس هناك أحد ملامٌ لهذه الحادِثة المؤسفة كُلها إلا نَفسَهُ. رَفَضَ أبيمالك خدماتُه كنبي؛ ويُمكِن أن نَتَفَهَم ذلك، ولكن إن خَسِرَ إبراهيم كُل فرصة ليَعِظ لأبيمالك يستطيع على الأقل أن يُصَلي لأجلِهِ، وهكذا فعل.

إذاً يُعيدُ السردُ أمامنا *المشهَد* لخدمة كهنوت إبراهيم "فَصَلَّى إِبْرَاهِيمُ إِلَى اللهِ، فَشَفَى اللهُ أَبِيمَالِكَ وَامْرَأَتَهُ وَجَوَارِيَهُ" (20:17أ). يا للخسارة أنه مع كُل الصلوات المُدَوَّنة في الكتاب المُقَدَس، ليس لدينا تدويناً لما فِعلاً قالهُ إبراهيم عندما صلى من أجل أبيمالك. رُبما كان "يا رب، لقد سببتُ مرةً أُخرى إهانةً لشهادتي، قلبي الشرير الغير مؤمن هو وثَنيٌ كما كان عندما قابلتني لأول مرة في أور البلاد البعيدة. يا رب، أُعطُف على أبيمالك وجميع بيتِهِ، لقد فَشِلتُ أنا في أن أريه حقيقة ما أنت عليه، هل تُريه أنت يا رب".

ثُم كان هناك *النجاح* لِخدمة كهنوت إبراهيم "فَشَفَى اللهُ أَبِيمَالِكَ وَامْرَأَتَهُ وَجَوَارِيَهُ فَوَلَدْنَ". بالحقيقة أن صلاة الرجُل البار الحارة والفعالة تنفع كثيراً. قد يكون أبيمالك ازدرى بإبراهيم، ولكن ليس هُناك طبيباً في كُل أنحاء العالم يستطيع أن يفعل ما فعله إبراهيم. قضية أبيمالك كانت الخطيئة، وليس هُناك طبيباً يستطيع أن يتعامل مع ذلك-فقط الطبيب العظيم.

أخيراً يُقال لنا عن *الأهمية* لخدمة كهنوت لإبراهيم "لأَنَّ الرَّبَّ كَانَ قَدْ أَغْلَقَ كُلَّ رَحِمٍ لِبَيْتِ أَبِيمَالِكَ بِسَبَبِ سَارَةَ امْرَأَةِ إِبْرَاهِيمَ." (20:18). حقاً أن الدافع واضح، النسل الموعود سيأتي من سارة. كُل ما سبق وحدث كان ترتيب من الشيطان، إما أن يمنع ولادة إسحاق أو أن يُشَكِك من تِلكَ الولادة التي لا يستطيع أحد تهوين التلميح أن إسحاق كان ابن أبيمالك وليس إبراهيم. حتى وإن لم يَمُس أبيمالك سارة أبداً، التلميح الحاذِق قد يبقى. لذا ولكي يحمي سارة، ولإسكات أي شك، عَمِلَ الله كما فعل. لقد أحبطَ وأفشل الشيطان بجَعلِه كُلِ امرأة في بيت أبيمالك عاقِراً وعقيمة. وبالطبع دام العُقُمْ حتى الوقت الذي صلى به إبراهيم لِرَفعِهِ. تَمَتَ خدمة كهنوت إبراهيم نيابةً عن أبيمالك وبيتِهِ عندما كان بعيداً عن ذلك المكان وكل أسُس الشك قد أُزيلت، مما دَلَ أن الخطر قد انتهى، أُحبِطَ الشيطان مرةً أُخرى.

10. جائزة الإيمان (21:1-34)

لقد كان يومٌ من حياة إبراهيم تُدَوَّنُ حروفُهُ بالأحمر، لقد كان فصلاً من اختبارِهِ يُكتَب بالحروف النافرة والعريضة، ويُضع خطٌ تحتها وتُأطر وتُعلَق في صَالِة عرضٍ للأيمان إلى الأبد. لقد كان هناك أيامٌ أخرى جديرة بالحِفظ، ولكن ليس يوماً كذلك اليوم. لأنه في ذلك اليوم ولِدَ إسحاق. لا بُدَ أن الملائكة في السماء من فوق ابتسموا لرؤية إبراهيم يَقفزُ ويثبُ حَولَ مُجَمَعِهِ مِثلَ ولدٍ عُمرُهُ خمسة سنوات. تُذَكَر بإبنزر سكروج العجوز عندما استيقظ بعد ثلاث ظهورات للأشباح تَهُزُ النفسَ ليجد أنه ما زال يوم عيد الميلاد، لقد كان ملآناً بالفرحة لدرجة أنه كان يجد صعوبة في وضع ثيابِهِ عليه، صرخ سكروج "لا أعرف ماذا أفعل" وهو يضحك ويبكي بذات الآن. "أنا خفيفٌ كالريشة، أنا سعيدٌ كالملاك، أنا فَرِحٌ كتِلميذٌ مدرسة، أنا دائخٌ كرَجُلٍ سكران". وثبَ مَرِحاً في أرجاء غُرَفِهِ، وانفجرَ بالضحِك. يُعلِن دِيكنز بقوة "حقاً، حقاً، لرَجُلٍ لم يَتَدَرَب منذُ سنينٍ عديدة كانت الضِحكة رائعة، ضِحكة شهيرة جِداً، أبٌ لنَسلٍ طويلٍ من الضِحكات"

وكذلك لا بُد أن الوضع كان مع إبراهيم الرزين. صبيٌ قد ولِدَ في بيتِهِ، صبيَهُ! صبي سارة! صبي الله! وإن كان من المُمكِن أن نكون هناك في ذلك اليوم، يُمكِنُنا أن نراه يَقفِز من وإلى خيمتهِ، يضحكُ ويُقهقِهُ ويبتَهِجُ ويُعانِقُ كُلَ واحدٍ في مُتَنَاوَلِهِ.

قِصَة ولادة إسحاق، تماماً مثل غيرها، كانت تقريباً ستُزحَم إلى خارج الصفحة، يا لهُ من إصحاحٍ ناشِطٍ. هناك سبعة أشياء دوّنت معاً، نتقابَل مع إسحاق وإسماعيل، سارة وإبراهيم، أله وهاجر، وفي النهاية يَحشُرُ أبيمالك أنفه ذلك المُنافِق العجوز ذو الوجهين.

أ. إسحاق الأعجوبة الهائلة (21:1-8)

مُجَرَد وجود إسحاق هناك هي أعجوبة عظيمة جداً. يا الشكوك والصعوبات والكوارث التي كان يجب عُبورُها قبل أن يرى ذلك الطِفل الصغير نور النهار. هناك أعجوبتان مُحَدَدتان تتعلقان بولادة إسحاق، كان هناك أعجوبة طبيعة *التَكهُنات* ذاتِها (21:1-2) "وَافْتَقَدَ الرَّبُّ سَارَةَ *كَمَا قَالَ*، وَفَعَلَ الرَّبُّ لِسَارَةَ *كَمَا تَكَلَّمَ*. فَحَبِلَتْ سَارَةُ وَوَلَدَتْ لإِبْرَاهِيمَ ابْنًا فِي شَيْخُوخَتِهِ، فِي الْوَقْتِ *الَّذِي تَكَلَّمَ اللهُ عَنْهُ*." (أضيف الخط المائل). ثلاث مرات في جُملة واحِدة تُذكر التَكَهُنات.

فقط الله يستطيع أن يتنبأ. هناك عدد لا يُحصى من المُتَكَهِنين والمُنَجِمين المُنبثقين في يومنا هذا، تُجرى معهم المُقابلات ويُستشارون على محطات الراديو الشهيرة وبرامج النقاش التلفزيوني ويُنتِجون ضوضاءً كافيةً. ولكن فقط الله يستطيع أن يتنبأ. جميع التَكَهُنات خارِج الكِتابَة المُقَدَسة المُتَعَلِقة بالمُستَقبَل مُغلَفة بالغموض والأخطاء والاحتيال، دون ذِكر الخِداع الشيطاني الصريح. ولكن يستطيع الله أن يُمَزِق الغطاء عن المُستَقبَل ويقرأ حوادِث الغد كما لو كانت قد حَدَثَت بالأمس. قَبلَ تِسعة أشهُر، قال الله لإبراهيم وسارة أنهم سيحصلون على ابن "الْوَقْتِ الَّذِي تَكَلَّمَ اللهُ عَنْهُ" وهذا ما حَدَث. بعد تسعة أشهُر ولِدَ الطِفل بتَحَدٍ لقانون الطبيعة.

كان هناك أعجُوبة طبيعة *التنفيذ* ذاتِها (21:3-8)، إسحاق وعِدَ به؛ فولِدَ إسحاق. كان إبراهيم بِعُمر المئة وسارة بِعُمر التسعين، هتفت سارة في فيضِ انفِعالِها: "وَلَدْتُ ابْنًا فِي شَيْخُوخَتِهِ! [إبراهيم]". ضَحِكَ إبراهيم وضَحِكَت سارة وكما قال الله دَعا الصبي الصغير "إسحاق" *ضِحْكًا*. جميع الشكوك وخيبات الأمل الماضية تَبَخَرت مثلَ الضباب أمام الشمس المُشرِقة. لقد حَفِظَ الله وَعدَهُ؛ ولِدَ إسحاق.

حَدَثان تابِعَان سُجِلا من قِبَل الروح القُدُس، الأول يُظهِر اعتماداً والأخر تَطَوُّراً. أولاً، ختن إبراهيم إسحاق عندما كان بِعُمر الثمانية أيام. كم من السَهل أن ننسى اعتمادنا على الله في يَقَظة الاستِجابة الرائعة للصلاة. ليس إبراهيم، كان لديه الاستجابة المُنتَظَرة طويلاً للصلاة، والآن سيهتم بأمرِ اعتمادِهِ المُطلق على الله لِلخير الروحي المُستَقبَلي لذلك الطِفل أن يُعتَرَف به بطريقة مَرضية لله. لم تَكُن شعيرة الخِتان مُمتِعة؛ بل كانت مؤلمة، الأب والابن يتألمان سواء. اختبر الأب الكَرَب في رؤية الصغير يتألم؛ الابن شعر بطعنة السكين المُفاجِئة والحادة بينما سُفِكَ دَمَهُ. اعتَرَفَ إبراهيم لنَفسِهِ بأنهُ مُعتمِداً على نعمة الله للخير الروحي لابنِهِ.

إذاً قَدَمَ إبراهيم وليمة عظيمة عندما فُطِمَ إسحاق، أراد أن يَعلم العالم تَطَوُّر إسحاق. لم يَعُد يعتَمِد على الحليب، لقد كان يَنموّ؛ لقد كان مُستَعِداً للحم. يا له من شيءٌ مُبارَكٌ عندما يَكون هؤلاء المَولودين بأعجوبة مُماثلة "المَولودين من الله" يُظِهرون علامات النموّ، بأدنى الأحوال أنهُ أمرٌ مُشَوِقٌ أكثر من ولادَتِهِم الثانية.

ب. استهزاء إسماعيل الفظيع (21:9)

"وَرَأَتْ سَارَةُ ابْنَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةِ الَّذِي وَلَدَتْهُ لإِبْرَاهِيمَ يَمْزَحُ". يا لها من عبارة كاشِفة جداً! تُظهِر بلمح البصر أن *الروحيات* لا تُوَرَث، ولكن تلك الجسديات تُوَرَث. كُل ابن لسُلالة لآدم وَرَثَ طبيعة بشرية ساقِطة، طبيعة خاطِئة. لا أحد، ولا حتى الذي ولِدَ لأكثر الأهل قَداسة، يَرِث طبيعة روحية. ذلك يأتي فقط كنتيجة للولادة الجديدة.

أصبح الآن إسماعيل في عُمر الرابعة عشرة، وولادة إسحاق أظهَرَت طبيعتهُ الحقيقية. لقد أُختُتِن هو نفسهُ السنة الماضية، ولكن ذلك لم يؤثر على قَلبَهُ المُتَمَرِد. مُجَرَد شعيرة دينية، كما هي رُبما مُثقَلة بالمعنى والسُلطة الكتابية، لا تُغَيّر القلب. الرَجُل المُتَمَرِد في القلب سيبقى مُتَمَرِداً إلا إذا ولِدَ من جَديد. قد يُعَمَّد ويُختَتَن ويُثَبّت ويَعتَرِف وأي شيءٍ آخر قد يقتَرِحَهُ الدين، ولكن ذلك لن يُغيرَهُ. مَنح الأسرار المُقَدَسة لأناس غير مُخَلَصين هو مَضيعة مُطلقة للوقت.

لقد تَرَعرعَ إسماعيل في بَيتٍ مُقَدَسٍ، لقد رأى حياة والِدِهِ المُقَدَسة، وسَمِعَ قِصَص واقعية للقاءات إبراهيم مع الله، ورأى إبراهيم عند الصلاة، وكان في المُخَيَم عندما الإله الحيّ بذاتِهِ مع اثنان من ملائكَتِهِ القديرين أتوا للمكان. عَرِفَ من أُمِهِ نفسها أن الله هو بالحقيقة الإله الحيّ، الإله الذي يَحتَفِظ ببركة لهُ أيضاً، كُل هذا لم يَعني أي شيء لإسماعيل. سَخِرَ من إسحاق، وبسُخرِهِ أظهرَ حالةَ روحِهِ. سَخِرَ من النَسِل المَوعود وبذلك خانَ في قَلبِهِ مثل هيرودس، في يومٍ قادِمٍ، عندما "احْتَقَرَ" ابن الله.

إسماعيل هو نَصبٍ كضوء إنذار لِكُلِ يافِع، لقد كان في سُن المُراهقة، في عُمر تَغمُرُ حياة الشخص اليافِع صعوبات شديدة، عندما تُمتَحَن سُلطة الأب ويتحدى إيمانهُ. الشيطان مُستَعِدٌ بفلسفاتِهِ الكاذبة، العالم مَوجُدٌ بِكَثرةِ إغراءاتِهِ، الجَسَد يُؤكِدُ ذاتهُ بِطُرُقٍ جديدة. "دين الأب القديم" يَظهر بأقل جاذبية بكثير وأقل إقناعاً كما كان في أيام الطفولة، يَبزُغُ سلوكٌ جديدٌ مغرورٌ ذو جزمٍ ذاتي. يُمكِن لاختيارٍ لرفيقٍ خاطئٍ أن يُحَطِمَ حياةً يافِعةً. في ذلك العُمر (رُبما بِعُمرٍ أكبر لأقرانِه اليوم، ولكن مع ذلك يافعين) إسماعيل اليافِع سَخِرَ من إسحاق، وفي سُخرِهِ لإسحاق سَخِرَ من المسيح. امتعاض وغيرة وعِداء لِخِطة الله التي وضعت إسحاق في مَركَزِها، جميعُها غَلَت مثلَ خليط الساحِرة في روح إسماعيل. لم يُريد أن يَكُون له دوراً بتلك العائلة في أي شيء له علاقة بإسحاق. لِذا سَخِرَ، وبِسُخريتِهِ نَبَذَ أي أمل لخلاصِ روحِهِ.

ت. رسالة سارة النموذجية (10:21)

رأت سارة كُلَ شيء، التواء شفاه إسماعيل والهُزء على وجهه ثم سُخريتَهُ الواضِحة لطِفلِ الوعد "فَقَالَتْ لإِبْرَاهِيمَ: اطْرُدْ هذِهِ الْجَارِيَةَ وَابْنَهَا، لأَنَّ ابْنَ هذِهِ الْجَارِيَةِ لاَ يَرِثُ مَعَ ابْنِي إِسْحَاقَ". سَحَقَ ذَلكَ إبراهيم حتى الصميم، لقد نمى في مَحَبَةِ لذلك الصبي الرَجُل، إسماعيل. ولكن من البدء حتى النهاية كانت علاقَتَهُ بهاجر من الجَسَد وكانت سارة على حق، لا يستطيع الجسد أن يَرِث أشياء روحية. يبدو تَصرُفِها قاسياً لنا، ولكن الله أخذ جانِباً معها وأعلن أنها على حق[10].

لقد كان درساً صعباً لإبراهيم، وهو دَرسٌ صعبٌ لنا في تعلمِهِ. الطبيعة القديمة عنيدة جِداً، ولكن عندما نستطيع أن نرى كراهيتها المُتَرَسِخة للطبيعة الجديدة، لا يبقى هناك خيار. علينا أن نرى أنه كما تم التعامُل مع الخطيئة عند الجُلجُثة هكذا يجب التعامُل مع الذات أيضاً-بذات المعايير كالخطيئة، حَل الله للجسد هو الصليب. ليس الحَل هو تَحويلٌ آخر بل تكريس أعمق، ليس خلاصٌ مُكرر بل تقديسٌ عمليٌ. يجب على الطبيعة القديمة وأعمالها ومبادئها المُمَثلة بإسماعيل وهاجر أن تُخلَع وتُنزَع مُلكيَتُها. الحقيقة المُرة يجب أن تُواجَه "لَيْسَ سَاكِنٌ فِيَّ، أَيْ فِي جَسَدِي، شَيْءٌ صَالِحٌ" (رومية 18:7). هناك الكثير من لأشياء في الجسد نَجِدُها بغيضة بالنسبة لنا، ولكن هناك أشياء أيضاً نَجِدُها مُحَبَبة. لن يُبارك الله أياً منها، يجب أن تُرمى بعيداً وإلى الأبد.

تواجه إبراهيم مع الحقيقة بأسى، فمع كُل تأثير دلال الأب وأمنياتَهُ، لم يَكُن إسماعيل من الله، وعليهِ أن يَذهب. بعد أن صُنِعَ القرار ونُفِذ بحسب خصائص إبراهيم التي تعمل بِسرعة وبحذافير دقيقة، هناك بُعد آخر في حياتِهِ لأنه تعاملَ مع هاجر.

وإسماعيل، وكُلَ ما مثَلوه بحياتِهِ من دنيوية وجسدية. شعر بموجة قوة روحية جديدة، لم يَعُد يخاف أبيمالك. لقد أدخل الروحيات بِكُلِ املاكهِ التي كانت لهُ في كنعان. كان على الوثني ذاتِهُ أن يَعتَرِف أن الإله الحقيقي كان مع ذلك الرَجُل. ماذا فعل؟ هل جند رِجالَهُ ووضع جنودَ أبيمالك تحت السيف؟ كلا، بكُلِ بساطة تعامل مع الجارية وابنِها، والله قد أعطاه بطريقة عجيبة وغامضة قوة جديدة للتعامُل مع الرجال-قوة ليست مؤسسة على مبادئ دُنيوية وجسدية بل على مبادئ روحية.

ث. غلطة إبراهيم المأساوية (11:21)

لم يَكُن هناك شيءٌ سهلٌ في طرد هاجر وإسماعيل "فَقَبُحَ الْكَلاَمُ جِدًّا فِي عَيْنَيْ إِبْرَاهِيمَ لِسَبَبِ ابْنِهِ." الكتاب المُقَدَس لا يَعِد باختِيارٍ مُفرِحٍ كَتِرياقٍ للجسد، بل يُقَدِم الصليب. الموت عن العالم والجسد والأشياء التي نَتَجَت عنها ليس بشيءٍ مُمتِع بل مؤلم. حَلّ الله

10. في غلاطية 4، يُشير بولس الرسول إلى الحادثة ويُعلن بأن كُل الظروف بمُجملها جَسَدَت حكاية رمزية روحية رائعة. في إصرار سارة بطرد الجارية وابنها، كانت تتصرف بأكثر من بصيرتها الروحية. في ضوء رؤيا العهد الجديد نستطيع أن ننظر للخلف ونرى الأهمية المُسَّطرة لهذا كُلُه. نرى أربعة أشخاص يُمثلون أدوارهم-إسحاق وإسماعيل، سارة وهاجر. والأربعة لهم علاقة خاصة مع إبراهيم، *إسحاق وإسماعيل* يُمثلون الطبيعتين في المؤمن، إسماعيل يُمَثِل الجسد والطبيعة القديمة، وإسحاق يُمَثِل الجديدة، إسماعيل كان ثَمَر الجَسَد وإسحاق كان ثمر الإيمان. أما *سارة وهاجر* من ناحية أُخرى يُمثلان مبادئ الأعمال والإيمان، القانون والنعمة، ولادة المطالب الجديدة وطرد القديمة. ولكن على إبراهيم أن يَتَخِذ الخطوة، لأنه هو فقط يستطيع أن يأخُذ الخطوة الحاسمة. كان يجب أن يَتُم التَعامُل مع إسماعيل وهاجر، وكان يجب طرد كِليهما مهما كانت العملية مُؤلمة. "اطْرُدْ هذِهِ الْجَارِيَةَ وَابْنَهَا"، لم يَعُد الأمر "أعمال" أو "قانون"، ولكن إيمان. ذلك الذي ولِدَ من الجسد يجب "طردُه"، لن يكون هناك حل وسط أو تسوية، يجب أن يكون هناك انفصال تام عن الطبيعة القديمة إذا أردنا أن نُطَوِر الطبيعة الجديدة وتحتَل كُل قلب المؤمن.

لضعفاتنا ليس غيمةٌ في الهواء بل صليبٌ خشن؛ ليس الاختطاف بل الصلب. بكى إبراهيم من القلب بسبب هذا الاختِبار.

منذُ سنوات تم خلاص رَجُلٍ سمينٍ للغاية في إحدى الاجتماعات لمجموعة المُخَلَصين، عادَ لبيتِهِ لكي يُشارك زوجَتَهُ الأخبار السارة. ثم عاد إلى الاجتماعات وتَمَتَع بخلاصِهِ، ولكن في إحدى الأيام عاد لبيتِهِ حَزين المَظهَر، أرادت زوجَتَهُ أن تعلم ما المُشكِلة. قال: "في الحقيقة أن جميع الأشخاص في الاجتماع لديهُم جاكيت-الشِعار حمراء اللون إلا أنا"، لم تَكُن تلك مشكلة على الزوجة، حاكَت لهُ واحدة-جاكيت كبيرة وضخمة وهائلة بضخامة خيمة. وضعها عليه وذهب سعيداً إلى الاجتماع، ولكِنَهُ عاد حزيناً كما كان من قَبِل. مرة أخرى أرادت زوجَتُهُ أن تعلم ما المُشكِلة فقال لها: "الجميع في اجتماع الخلاصيين لديهِ أحرُف بيضاء جميلة على جاكيت، وليس لي أياَ منها على جاكيتي"، فأجابت زوجته "حسناً، أنا لا أستطيع أن أكتب وأقرأ ولا أنت أيضاً ولكن أترُك الجاكيت معي وسوف أرى ما أستطيع فِعلَهُ". عبر الشارع كان هناك رَجُلٌ يطلي لافِتة على إحدى نوافِذ المَتجَر، فقررت الزوجة أن تَنسَخ الأحرُف التي كان الدهان يستخدِمُها، وهكذا فعلت نسَخَت كُل شيء على الجاكيت. في تِلكَ الليلة ذهب الرَجُل إلى الاجتماع فخوراً مُرتَدياً جاكيتهُ التي تَحمِل الأحرُف الجديدة عليها. عاد للمَنزل ووجههُ يطفو عليه الفرح هاتِفاً: "لقد فَعَلتِها يا عزيزتي، لقد فَعَلتِها، الجميع قال لي لديَّ أفضل جاكيته بين جميعهم". لقد كتَبَت الزوجة بأحرُف بيضاء كبيرة في العرض الأمامي للجاكيت الضخم "*هذا العمَل تحت إدارة جديدة*".

هذا كُل شيء! على العمل القديم أن يُعلن إفلاسهُ؛ ولا شيء يُمكِن أن يُنقَذ منهُ على الإطلاق. ثُم تُوضعُ الحياة بين أيدٍ جديدةٍ قادِرةٍ. لقد كان عملاً مأساوياً منذُ البداية أن يُقيم إبراهيم علاقة شراكة مع هاجر، ولكِنهُ سيكون مأساوياً أكثر لو أصَرَّ إبراهيم على "العمل كالمُعتاد" بعد أن علِمَ عن القضايا المَطروحة. بدلاً عن ذلك فعلَ كما أمر الله وطرد كُل الذرائع الدُنيَوية والجسدية، ووضع إدارة حياتِهُ بين يدي الله بالكامل.

ج. مَراحِم الله الحنونة (21:12-13)

تَنتَقِل القِصة الآن من المجازي والنَموذجي إلى الواقعي والتاريخي. أولاً، يتواجَه إبراهيم مع *وصية* الله (21:12) "فَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيمَ: لاَ يَقْبُحُ فِي عَيْنَيْكَ مِنْ أَجْلِ الْغُلاَمِ وَمِنْ أَجْلِ جَارِيَتِكَ .فِي كُلِّ مَا تَقُولُ لَكَ سَارَةُ اسْمَعْ لِقَوْلِهَا، لأَنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ." لقد كانت سارة على حق بالتمام؛ لقد تَعَلَمَت الدرس. لأن إبراهيم "سَمِعَ لِقَوْلِ سَارَايَ" (16:2) في البداية، صبح لهُ علاقة مع هاجر، ولكن الآن تستطيع سارة أن تُقَدِم له تعليمات صحيحة.

مع وصية الله كان هناك *تعزية* الله. وجِهَت الآن أعيُن إبراهيم إلى إسحاق أو كما هو الحال معنا اليوم، إلى المسيح، طُلِب مِنهُ أن يأخُذ نظرة جديدة على طِفل المَوعِد. عندما نبتُر الجَسِد وأعمالَهُ يُصبح دائماً مرأى المسيح أوضح. في الكثير من الأحيان منظورنا للمسيح مَحجوب بسبب انشِغالِنا بأمور تافِهة من صُنع أنفسنا حتى إذا تَعَرَفنا عليها جيداً هي ليست إلا وسائل جسدية.

وهكذا أيضاً وبمُستوى بشري تاريخي محض، جدد الله برحمَتِهِ الحنونة وعودَهُ لإبراهيم "وَابْنُ الْجَارِيَةِ أَيْضًا سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً لأَنَّهُ نَسْلُكَ". بين الكثير من القُضبان الحديدية الموضوعة في النار من قِبَل دي. إل. مودي كانت ال وي. إم. سي. أيه. العديد من مشاريع دي. إل. مودي ولِدَت من روح الله-لا يستطيع أحد إلا وأن يُفَكِر بالتأثير الروحي المُستَمِر لمَعهَد مودي للكتاب المُقَدَس حتى يُدرِك ذلك، لكن مع ال وي. إم. سي. أيه. كان الأمر مُختَلِف. اليوم ال "واي" هي مؤسسة عالمية معروفة ببرامِجها الثقافية والتعليمية والاجتماعية والرياضية ولكِنها مسلوبة تماماً من أي تأثير روحي، لقد كانت "إسماعيل" مودي. لقد تطورت وكَبُرت وأصبحت مؤسسة عظيمة جداً، ولكن هذا كُل شيء. إنها حركة عالمية جسدية، جيدة فقط بحسب طُرُقها وإحرازها للأهداف الدُنيوية، ولكِنها مُفلِسة كقوة روحية. جميع آمال مودي لمُثابرة التأثير الروحي ل وي. إم. سي. أيه. أُجهِضَت. من المُحتَمَل أن سبب ازدهارُها هو لأجل مودي، لأنهُ أحبها. رَغِبَ لها أفضل المواهِب الروحية، ولكن بَرَكة الله كانت على المعهد، وليس المؤسسة. كذلك أيضاً، كانت بَرَكِة الله على إسحاق وليس إسماعيل.

ح. بُؤس هاجر المُدمِع (21:14-21)

أولاً، *طُرِدَت* (21:14) "فَبَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ صَبَاحًا وَأَخَذَ خُبْزًا وَقِرْبَةَ مَاءٍ وَأَعْطَاهُمَا لِهَاجَرَ، وَاضِعًا إِيَّاهُمَا عَلَى كَتِفِهَا، وَالْوَلَدَ، وَصَرَفَهَا . فَمَضَتْ وَتَاهَتْ فِي بَرِّيَّةِ بِئْرِ سَبْعٍ." لماذا لم يُقَدِم إبراهيم للمطرودين مؤن أكثر من ذلك لِرِحلَتِهما؟ لماذا لم يُعطِهما قطيعاً وخيم؟ لقد كان غنياً بشكلٍ كافٍ ليفعل ذلك. رُبما لأنه كان يعلم طبيعة الكنعانيين السالبة والناهبة، فقرر إبراهيم أن أي نوع من الغِنى سيُعَرِض حياتُهما للخطر فقط؛ سيَجذُب قُطاع الطُرُق واللصوص الذين سيتجرؤون بسبب وضعِهما الضعيف والعاجِز. في أي حال، لم يَكُن ذلك بالضرورة شيئاً سيئاً لإسماعيل اليافِع أن يُواجِه حقائق الحياة القاسية، ستجعل منهُ رَجُلاً.

الدرس الروحي خلف فعل إبراهيم واضح بشكلٍ كافٍ، لا يَجب علينا تَقدِيم أية مؤن للجَسَد، يكفي فقط تَدابير قاسية. إذا قدمنا لها أي تشجيع أو دلال ستعود إلينا.

وهكذا طُرِدت هاجر، بعد فترة قصيرة *سُحِقَت* (21:15-16)، المياه في قُربَتِها نَفُذت. مُتعَبة من قسوة الطريق ومع ابنها مُرهق ومُنهك القوة، ساعدتهُ ليأخُذ مأوى تحت شُجَيرة وجَلَسَت وأخذت في البُكاء. في المُستوى البشري البحت، يا لها من أفكارٍ مُرة لابُد وأنها راودتها. يا لها من أفكَارٍ ساورتها لسارة وإبراهيم، كم هي استِحالة بشرية أن تستطيع أن تُفَكِر بشكل حَسَن تجاه العلاقَة التي قد طُرِدَت مهنا. كم نحن مُهملون تِجاه تَسَهُلِنا للرغبات الجسدية، ولمخاوف الأذى الذي نُلحِقَهُ بحياة الآخرين أو بالأفكار القاسية التي نَغرِسُها في أرواح الذين نستخدِمَهُم لغاياتنا الشخصية.

ولكن بعد ذلك *لُحِقَ* بهاجر (21:17-21) من خلف الكواليس كان الله مازال يَعمَل بنعمة رائعة، أتى للمرأة اليائسة ليخدُم شخصياً وبشكل مُباشر احتياجاتِها. أنقذَ هاجر وإسماعيل بطَريقَتِهِ المُحِبة الخاصة وأرسلَهُما بطريقِهما ليتعاملا مع مَصِيرهُما في العالم.

أصبح إسماعيل صياداً، وجعل مَسكَنَهُ في البرية وأخذ آخر خطوة التي فصلتهُ عن كُل ما هو روحيٌ بزواجِهِ من مِصرية. موازين حياتِهِ قد سبق وتوَّجهَت تِجاه العالم، والآن اتجهت بشكل مُباشر للأسفل. وهكذا رفض إسماعيل الأمور الروحية بسُخريتِهِ من إسحاق فجعل البرية بيتهُ وأخذ العالم لقَلبِهِ. من الآن وصاعِداً لن يَكون هناك إلا العداء والكراهية بينه وبين نَسل إسحاق.

خ. دوافِع أبيمالك الواضِحة (21:22-34)

يبدو الأن أن أبيمالك لديهِ إعادة نظر في مُعامَلَتِهِ الشهمة لإبراهيم، الكلمات "فَإِنَّهُ نَبِيٌّ" قد عَلُقَت في ذهنهِ وطارَدَتهُ. يأتي للقِصة *بالتماس* (21:22-24)، ويتأكد أن طريقهُ يتقاطع مع طريق إبراهيم ويتأكد من وجود مُستشارَهُ العسكري معهُ. وهكذا فاتَحَ أبيمالك البطريرك وهو مُستَعِدٌ وقال: "اللهُ مَعَكَ فِي كُلِّ مَا أَنْتَ صَانِعٌ. فَالآنَ احْلِفْ لِي بِاللهِ هٰهُنَا أَنَّكَ لاَ تَغْدُرُ بِي وَلاَ بِنَسْلِي وَذُرِّيَّتِي".

على ما يبدو أن أبيمالك حَكَمَ على الجميع بحسب ذاتِهِ، لقد كان خائفاً من إبراهيم (مع أن إبراهيم لم يَكُنَّ لهُ أي سوءٍ بل صلى لأجلِهِ)، ولَكِنَهُ كان يعلم ماذا سيفعل هو لو كان مكان إبراهيم. كان يتخيل أن إبراهيم ينتظر اللحظة المناسبة ليُعامِلَهُ بذات الطريقة. قال إبراهيم "أَنَا أَحْلِفُ"، علاقَتهُ الخاصة مع الله لم تُعطِه الحق بالعَبَث بحقوق الآخرين. لقد كان مؤمناً ونبيلاً بآنٍ واحِد، أمرين يجب أن يَتَرَفقا دائماً. تمنى لأبيمالك الخير من كُلِ قَلبِهِ، تَصَرُفَهُ الظليل كان أسَفَهُ الوحيد الذي شَوّهَ شهادَتَهُ وبالتالي لم يستطع أن يشهد له عن شخصية الله الحقيقية. مع ذلك، وبطريقة نبيلة، أخذ إبراهيم القَسَم المطلوب منه ألا يَعبَث بحقوق أبيمالك.

ثم أتى *تَعَهُد* أبيمالك (21:25-31)، في الواقع أن الحِذاء كان في القَدَم الأُخرى؛ كان أبيمالك هو المُعتَدي المُحتَمَل وليس إبراهيم كما وضَحَ إبراهيم. منذ زمنٍ حَفَرَ إبراهيم بئراً وكان بئراً جيداً جداً، وهو أصولٌ ثمينةٌ جداً في أراضٍ جافة وعطشى. رجال أبيمالك اغتصبوها من إبراهيم بعُنف، والبطريرك عانى الخسارة بصمت. لعلمك، منذُ سنين قصيرة كان إبراهيم هو الرجُل الذي غلب ملوك الشرق ورَكَعَ عِندَ قَدَميهِ ملك سدوم، ومع ذلك عانى الخسارة بصمت. بكُل وقاحة نَكَرَ أبيمالك أي مَعرِفة للواقِعة ولطبيعة ووقت حدوثها، فوقعَ على عقدٍ مع إبراهيم لِحَقِهِ بالبئر. ومن المُحتَمَل أنه لم يكن لديه أي نية في حِفظ العقد، ولكِنهُ على الأقل ظهر بمَظهَرٍ جيدٍ.

أخيراً يُسَجِل السرد *فِراق* أبيمالك (21:32-34) "فَقَطَعَا مِيثَاقًا فِي بِئْرِ سَبْعٍ، ثُمَّ قَامَ أَبِيمَالِكُ وَفِيكُولُ رَئِيسُ جَيْشِهِ وَرَجَعَا إِلَى أَرْضِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ". بلا شك أن الثنائي هنئ بعضهما على احتيالِهما لإبراهيم. كانَت دوافِعَهُما شفافةٌ جداً، ما أرداه هو *صداقة* إبراهيم؛ هذا يعني أنهم أرادو أن يتأكدوا أنه لن يَشُنَ حرباً عليهما في المستَقبل المنظور. وبالتالي، تسليم بئرٍ لم يَكُن لهما بالأساس كان مُقايضة مُمتازة. ولكن لم يكُن لديهما أي اهتمام *لعلاقة* مع إبراهيم، وبالحقيقة لم يَكُن هناك أي أُسس لعلاقة، كان أبيمالك غير مُرتاحٍ في مَحضر إبراهيم وإبراهيم كذلك، كان عالَمهُما على افتراق أبدي.

ينتهي الإصحاح بنظرة جديدة لإبراهيم وهو يُتابِع حياة إيمانِهِ، يُشاهَد وهو *يعمل* (21:33أ) "وَغَرَسَ إِبْرَاهِيمُ أَثْلاً فِي بِئْرِ سَبْعٍ" كان يستعد لِصُنع الفائدة والثمار للأيام القادِمة. لم يُرد أبيمالك علاقة بذلك؛ لم يهتم لما فَعَلَهُ إبراهيم، على أن يترُكَهُ وشأنِهِ. ثم يُشاهد إبراهيم وهو *يَعبُد* (21:33ب) "وَدَعَا هُنَاكَ بِاسْمِ الرَّبِّ الإِلهِ السَّرْمَدِيِّ" لم يَهتَم أبيمالك بذلك، ما هو اهتمامَهُ بـ "الله السَّرْمَدِيّ"؟ وأخيراً نُشاهد إبراهيم *ينتظر* (21:34) "وَتَغَرَّبَ إِبْرَاهِيمُ فِي أَرْضِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ أَيَّامًا كَثِيرَةً". كان إبراهيم راضٍ أن ينتظِر بِصَبرٍ حتى يرضى الله في وقتِهِ وطريقَتِهِ أن يُعطيهِ إياها، في إحدى الأيام ستكون له جميعُها. لم يَكُن لأبيمالك أي اهتمام بأمورٍ كهذه.

11. بُرهان الإيمان (22:1-24)

حصلَ السير أيدموند هيلاري على الشُهرة في تمام السعة 11:30 صباحاً من أيار (مايو) 29، 1953. رَفَعَ العلم البريطاني فوق قِمة جبل ايفرست وأصبح الإنسان الأول ليتسلق قِمة العالم على الإطلاق. كانت ذروة شهور طويلة من التخطيط، كان يجب اختيار الرجال المناسبين للمُساعدة وابتياع المُعِدات المناسبة وصَرف الساعات الطويلة على التدريب، كان يجب إتمام بروفات بنيبال وفترة تأقلُم على الارتِفاع والبرد. كان يجب أن يكون هناك استطلاع مُبَكِر لسقوط الجليد، ثم ابتدأ الاشتِداد وجمع المؤمن المخزونة وثم بدأ التسلُق. حتى بعد كُلِ هذا لم يَكُن المُتَسَلِقون جاهزون للهجوم النهائي.

زحفوا بطريقِهم تجاه الأعلى خلال البرد وهم مُثَقليّ الأحمال، كُل خطوة كانت محفوفة بالأخطار والتثبيط، الكارثة والموت كانا مُتَرَبصين بِكُل صِدعٍ عميق، ولكنهم ثابروا مُقتَحمين طريقَهم إلى القُمة. في بعض الأماكن نحتوا صعوداً في جُدرانٍ جليديةٍ بالتمام، مُتَحَدين التعب والعوامِل الهائجة وقِلة الأوكسجين والبرد القارص. ثابرَ المُتَسلق الباسل صعوداً مُتَسَلقاً تارةً بين إفريزٍ وصخرة وتارة على نتوءٍ جبلي. كانت الخطوات تَقطعُ الثلجَ والوقت والقوة كانتا على وشك النفاذ عندما أصبحت القِمة على مسافة بضعة ضربات وثُقهَر. السير إيدموند وشريكَهُ وقفا في مكانٍ لم يَقِف به أحد من قَبل، 29،002 قدم فوق سطح البحر، لن يتسلق أي إنسانٍ أعلى من ذلك أبداً.

في تكوين 22 هناك جَبلٌ آخر يرفع رأسه عالياً-ليس ايفرست بل الْمُرِيَّا. يُمكِن مُشاهدة رجُلين يشقان طريقهُما إلى الأعلى، كانت الطريق أعلى بكثير من ايفرست وأقسى وأكثر تَكلِفة وأصعب. عندما وقف أخيراً إبراهيم وإسحاق معاً على جَبينِهِ وقفا على رِبوة، على شُرفة روحية أعلى بكثير مما وصل إليه إنسانٍ من قَبل. مَثَّلَ جبَل المُريَّا أعلى أوجٍ مُمكِنٍ *للتَسليم* من جِهةٍ وأعلى أوجٍ *للتضحية* من جهةٍ أخرى. فقط بضعة الرجال تَسَلقوا هذا العلو، وبالحقيقة هناك قِمة أعلى من جبَل المُريَّا في كُل الكتاب المُقَدَس، وهو جبل الجُلجُثة، جَبَل المُريَّا لا يُقاس أمامَهُ. كان إبراهيم قد خاض خمسين سنة يستَعِد على هضاب ومنحَدَرات الله للانتصار بإيمانَهُ الأخير.

أ. الامتحان المُفاجئ الذي أعَدَ الله إبراهيم له (22:1-2)

"وَحَدَثَ بَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ أَنَّ اللهَ امْتَحَنَ إِبْرَاهِيمَ" لم يَمتَحِن الله لوطاً، لم يَكُن هناك أي حاجة لأن قُدرة لوط كانت معروفة. حياتَهُ السطحية والفارغة والعالمية والجسدية كانت واضِحة حتى أن أي امتحان كان غيرَ مُجدي، ولكن الله امتَحَنَ إبراهيم.

لم يأتِ الامتحان دون تدريب "وَحَدَثَ بَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ" ما هي الأمور؟ لماذا، كُل الأشياء التي مَرَت من قَبل، طرد راحيل وإسماعيل، مراراً وتِكراراً تم تَحَدي إبراهيم للتسليم. أولاً كان أبوه والآن ابنهُ وبينهما سهول الأردن المروية، ثُم هدايا ملك سدوم بعد ذلك إسماعيل. وبِكُل تسليم كان يَتَعَلم كيف يَتَسَلق المُرتفعات ويكتَسِب الخبرة على سفوح الهضبات ويعالِج صعوبات الأنهُر الجليدية المُنخَفِضة ويستَعِد للتحَدي النهائي. قال الله: "الآن إذاً يا إبراهيم، عالِج صعوبة مُريَّا".

يفتخرُ الله برَجُلِهِ بذلك الإصحاح الرائع. أين تجِد في جميع أحضان كتاب الله المُبارك إصحاحاً مثل تكوين22 لإبراز ما عنت الجُلجُثة لله الآب؟ نفتح مزمور69 وأشعياء53 ومزمور22 لنرى ما عنت الجُلجُثة للابن، ولكن تكوين22 يُظهر ما عنت الجُلجُثة للآب. "خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ، وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا، وَأَصْعِدْهُ... عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ". علاوة على المُطالبة بإسحاق كانت المُطالبة المُطلقة بيسوع، كُل ما عنت مُريَّا لإبراهيم من ناحية الكَرَب والحُزن والألم؛ كانت الجُلجُثة ألفَ عشرةِ آلافِ ضِعفٍ ما عنته لله.

"اللهَ امْتَحَنَ إِبْرَاهِيمَ" كان وقت الامتحان، وكان امتحاناً قاسياً. ولكن كان الله يُهيئ رَجُلَهُ ويُدَرِبَهُ بِكُل صبر في مدرسة الإيمان ويُعطيهِ تِلك المُذاكرات الصغيرة بين حينٍ وآخر، والآن حان وقت "النهائيات". هُنا كان الامتحان الذي هيأ الله إبراهيم لهُ، جميع الاختبارات الأخرى كانت تمهيدية والآن يُمكِن تَمثيل الدور على مِنَصة حياة إبراهيم، الطباعة النافرة، الدراما العظيمة للجُلجُثة، لدرجة أننا إذا وضعنا يدُنا على قلب إبراهيم النابِض نستطيع أن نقيس نبض قلب الله. بينما نُشاهِد إسحاق يَشُقُ طَريقَهُ إلى جبل المُريَّا نرى يسوع يذهب صعوداً في طريقِهِ لمُنحدرات الجُلجُثة الموازية.

المُريَّا تعني " المَعرِفة المسابقة ليهوه" لم يُفاجئ الله بسقوط آدم أو خطيئة البشر الطويلة والمؤسفة جِداً، لقد سبق وعَرِفَها الرب. خُذ ساعة يَد على سبيل المثال عملها الوحيد هو أن تُعَرِفنا بالوقت، ستكون سدة باب سيئة ولم يُقصَد لها أن تكون طاقة لسيارة، قُصِدَ لها أن تُقَدِم الوقت. عملها أن تتحرك بانسجام مع السماء وتُسَجِل على وجهها دوران العالم على مِحوَرِهِ. إن كانت إحدى تِلك الساعات التي تحتوي على التقويم إذاً عليها أن تُسَجِل أيضاً حركِة الأرض حول الشمس، إنها ساعة. هذا رَجُل وعملَهُ أن يُمَجِد الله، وأن يتحرك بانسجام مع السماء. في الحقيقة أن الساعة التي لا تُسَجِل مرور الوقت ليس لها الكثير من القيمة؛ والرَجُل الذي لا يُمَجِد الله في حياتِهِ يَنفي الهدف الذي صُنِعَ من أجلِهِ.

قد تبدأ الساعة، أية ساعة، بالإسراع أو الإبطاء؛ أو قد تتوَقَف حيثُ لا تعود أذرُعها تُنَفِذ وظائفها على الإطلاق، وبالتالي وجهها يُسَجِل كذبة. لكن من الواضح أن المُصَمِم قد سبق وتوَقَع ذلك وعندما كانت ماتزال على لوحة التصميم أوجد حلاً لذلك. أوجَدَ تقنية في الآلة حيث يُمكِن لفها وإعادة تشغيلها واستِعادَة تناغُمِها مع الزمن، لقد سَبَقَ وعَرِفَ القِوى التي تعمل على إخراج تِلكَ الساعة عن التناغُم مع الكون، لذلك اتخذَ احتياطاً ليوم الحاجة وأوجَدَ في داخِل الألة لفاف صغير لكي يُمَكِن من إعادة ضبط الأذرُع وإعادة لف الساعة، كُل ذلك قد سبق وعُلِم.

وكذلك أيضاً خطيئة الإنسان قد سبق وعُلِم بها من قِبَل الرب، وقد صَنَعَ في خِطة الخليقة خِطة للخلاص. قبل بكثير من أن يضع الشمس في السماء قد أخذ الاحتياط لسقوط الإنسان وخراب الجنس البشري، كان الرب يسوع بالحقيقة "الْخَرُوفِ الَّذِي ذُبِحَ قبل تَأْسِيسِ الْعَالَمِ" (رؤية 8:13). لقد سَبَقَ وعُلِمَ بالسقوط وتم التجهيز له في مَشورة الله في الأزلية الماضية.

"اذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا" قَرَعَ الأمر بداخِل روح إبراهيم هناك على الهضاب الكنعانية. ولكن بعد هذا كُلَهُ كان ذلكِ مُجَرد صدىً للأمر العظيم الذي أُصدِرَ من الله على ذاتِهِ هناك على الهضاب الغير مُنتَهية، أمرٌ سيُنَفَذ يوماً في الجُلجُثة التي هي بِمَنظار مُريَّا ذاتِها.

ب. الثِقة البسيطة التي أتقَنَ الله إبراهيم بها (22:3-12)

تَعَلَمَ إبراهيم أن يَثِق بالله خلال السنين، وعَلِمَ أنه يُمكِن الاعتماد على الله. أعلنَ الله مراراً وتِكراراً "بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ" لذلك لم يَكُن من المُمكن أن يَموت إسحاق قبل أن يُولَد له أولاداً. في مَنطِق إبراهيم أنه حتى ولو ذُبِح إسحاق لكان على الله أن يُقِيمَهُ من الموت، وبتِلكَ الثِقة بالإله الذي يُمكِن الاعتماد عليهِ بالمُطلَق، خَرَجَ إبراهيم بِثَبات إلى امتِحانِهِ. كان امتِحاناً لا يَقُل عن إيمان إبراهيم مَهيب.

تعلم إبراهيم أولاً *طريق الصليب* "فَبَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ صَبَاحًا وَشَدَّ عَلَى حِمَارِهِ، وَأَخَذَ اثْنَيْنِ مِنْ غِلْمَانِهِ مَعَهُ، وَإِسْحَاقَ ابْنَهُ، وَشَقَّقَ حَطَبًا لِمُحْرَقَةٍ، وَقَامَ وَذَهَبَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَهُ اللهُ." بعد أن صُنِعَ القرار كان الأمر يَتَعَلق بالتَحَرُك إلى الأمام بثبات، بقلبٍ يتألم، إلى الْمَوْضِعِ. *الْمَوْضِعِ*، لا بُد أن ذلكَ الْمَوْضِعِ طارَدَ إبراهيم بأحلامِه، ذَكَرَ ذلك مراراً وتِكراراً، البطريرك المُسِن يَنظُر إلى السهول اللطيفة المُتموجة من حولهِ أو إلى الأعلى إلى الأجراف المُنحَدِرة العالية، فدائماً يأتي منظَر ذلك المَوْضِع راقِصَاً أمام أعيُن ذهنِهِ. "فَبَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ صَبَاحًا... وَذَهَبَ إِلَى الْمَوْضِعِ." "وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ رَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَأَبْصَرَ الْمَوْضِعَ" "فَلَمَّا أَتَيَا إِلَى الْمَوْضِعِ" لقد كان ذلك صدىً يَهدُر على العصور التي لم تُولَد بعد-صدىً سُجِلَ من قِبَل لوقا33:23 "وَلَمَّا مَضَوْا بِهِ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُدْعَى جُمْجُمَةَ صَلَبُوهُ هُنَاكَ" موضِعٍ تنبأ بالآخر.

وهكذا سَلَكَ إبراهيم طريق الصليب، سَرَجَ حِمَارِهِ واستدعى غِلْمَانِهِ وطلب إسحاق وقَسَمَ الحَطَب وقامَ وذهَبَ في طَرِيقِهِ ورأى المَوضِع. وأخيراً وصَلَ هو وإسحاق إلى مرحلة لا يستطيع الأخرين أن ذهبوا إلى ما بعدها. أمر إبراهيم غُلمانَهُ أن يَجلِسوا وينتظروا عودَتَهُ و (بثِقةً عجيبة بالله) عودة ابنهِ. "اجْلِسَا أَنْتُمَا هٰهُنَا مَعَ الْحِمَارِ، وَأَمَّا أَنَا وَالْغُلاَمُ فَنَذْهَبُ إِلَى هُنَاكَ وَنَسْجُدُ، ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَيْكُمَا"

لقد كان ذلك تدريباً لواقِعة الجُلجُثة، نقرأ عن الرب يسوع أنه "أَخَذَ مَعَهُ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا، وَابْتَدَأَ يَدْهَشُ وَيَكْتَئِبُ. فَقَالَ لَهُمْ: نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ !اُمْكُثُوا هُنَا وَاسْهَرُوا. ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلاً وَخَرَّ عَلَى الأَرْضِ، وَكَانَ يُصَلِّي." (مرقس14:33-35). لقد أتت المرحلة من حياة الرب التي حتى بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا لا يستطيعوا العبور إلى ما بعدها. ذهب يسوع وحيداً، وحيداً مع أبيهِ ليَشتَرِك معه في الطريق إلى الصليب. يا لها من شَرِكة مؤلِمة تَجَلَت هُناك تحت ظِلال شجر الزيتون بين الآب والابن-شَرِكة لا يستطيع أحد أن يَتَشارك بها.

طريق الصليب يُعطي طريقاً *لِكَلِمة الصليب* (22:6-8) "فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ حَطَبَ الْمُحْرَقَةِ وَوَضَعَهُ عَلَى إِسْحَاقَ ابْنِهِ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ النَّارَ وَالسِّكِّينَ .فَذَهَبَا كِلاَهُمَا مَعًا. وَكَلَّمَ إِسْحَاقُ إِبْرَاهِيمَ أَبَاهُ وَقَالَ: يَا أَبِي! فَقَالَ: هأَنَذَا يَا ابْنِي. فَقَالَ: هُوَذَا النَّارُ وَالْحَطَبُ، وَلكِنْ أَيْنَ الْخَرُوفُ لِلْمُحْرَقَةِ؟ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: اللهُ يَرَى لَهُ الْخَرُوفَ لِلْمُحْرَقَةِ يَا ابْنِي. فَذَهَبَا كِلاَهُمَا مَعًا."

كان ذلك الجَثْسَيْمَانِي، كثيراً ما نُفَكِر بما عنت الجَثْسَيْمَانِي للرب يسوع، ولكن ماذا عنت للآب؟ ماذا فَعَلَ ذلك السؤال المُؤلم الخارِج من شفاه إسحاق لقلب إبراهيم؟ ما عنت تِلكَ القطرات من الدَّم ودموع الكَرَب في الجَثْسَيْمَانِي لأبي ربنا يسوع المسيح؟

"فَذَهَبَا كِلاَهُمَا مَعًا" لم تُجبَر المُريَّا على إسحاق، لم يُجَر مُكَبلاً يُعاني ويُقاوِم لجُلجُثَتَهُ، ذهبا معاً. أصبحَ الآن إسحاق رَجُلاً بالِغاً ذا فِكرٍ وإرادةٍ شخصيةٍ، يسيرُ صعوداً بجانِبِ أبيهِ المحبوب. ثم طرَحَ السؤال، سؤال المُحَقِق المُحرِج الذي كان إبراهيم يهابهُ كُل الطريق.

الغُلامان قد تُرِكا في الخلف والحُمار رُبِط وأصبح الحطب على إسحاق بكامله شَاعِراً بِثِقَله "فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ حَطَبَ الْمُحْرَقَةِ وَوَضَعَهُ عَلَى إِسْحَاقَ ابْنِهِ" لقد كان الحَطَب موجوداً هناك طِوال الوقت ولكن آن الآوان لإسحاق أن يشعُر هو بالثِقَل. الثِقَل المُفاجئ جَعَلَهُ يُدرِك

الدور الذي عليه أن يؤديه في الدراما التي تلوح في الأفُق. نستطيع رؤيتَهُ ينظُر إلى أبيه-إلى ذلك الوَجه الحكيم والمُسِن، والآن أصبح مُرهقاً ومنزوياً-وبذلك الوجه قرأ شيئاً لم يرى مِثلَهُ من قَبل.

في كُلِ خطوة يُصبِح الحطب أثقل، نَظَرَ إسحاق مرة أخرى إلى أبيهِ، وفي يدي الرَجُل العجوز رأى الغُلام ما تهجى حتفهُ-في إحدى اليَدين كانت السكين وفي اليد الأخرى كانت النار، بَرَزَ العَرَق على جَبين إسحاق. والثِقَل الذي شَعَرَ به كان صليبَهُ، لقد كان يَحمِلُ حِملاً وضِعَ عليهِ من قِبَل الآخرين. وبينما كان العرَق يَقِفُ كالخَرَز عِندَ حاجِبَيهِ، سأل: " أَيْنَ الْخَرُوفُ؟ أَيْنَ الْخَرُوفُ لِلْمُحْرَقَةِ؟"

لقد كان إبراهيم مُستَعِداً، لم يَكُن هناك أي مُراوغة، إيمانٌ مُذهِلٌ فقط "اللهُ يَرَى لَهُ الْخَرُوفَ". لم يَكُن يَعلم متى وكيف أو أين سيفعل الله ذلك، ولكِنَهُ سيفعل. بينما نظرَ إسحاق إلى وجهِ أبيهِ من جديد ربما قرأ شيئاً وضعَ حداً لجميع الأسئلة. الآن قَد عَلِم، إن كان الطريق رهيباً بالنسبة لهُ كان أسوء بألفِ مرةٍ بالنسبة لأبيهِ. وهكذا "ذَهَبَا كِلاَهُمَا مَعًا"، تِكرار الجملة من بعد الأخذ والعطاء بالأسئلة يُشير إلى الاحتمال أن إسحاق قد عَرِفَ الآن بالكامل ما كان ينتظِرَهُ قُدُماً، ومع مَجد وقوة بأسِهِ خَضَعَ لإرادة الآب.

ألا نستطيع أن نشعُر بما شَعَرَ إبراهيم؟ ألا نستطيع أن ندخُل إلى الكرب الذي احتَلَ نفسهُ؟ ألا نستطيع أن نفهم كم انكمشَ من العمل أمامَهُ؟ ألا نستطيع أن نرى كم كانت قدماه مُثَّقلة بينما كان يَجِرُهما باتِجاه جبين الهضبة؟ ألا نستطيع أن نُمسِك بالنظرة السريعة السرية التي اختلَسها باتِجاه ابنهِ، ابنهِ الوحيد المحبوب، إسحاقَهُ الوحيد؟ ألا نستطيع أن نسمع التأوه الداخلي بينما بكى بداخِل نفسِهِ-"آه يا بُنيّ، إسحاق، ابني، ابني إسحاق. لو يسمح الله لكُنتُ مُتُ من أجلك، يا إسحاق يا بُنيّ يا ابني".

ألا نستطيع أن نشعر ما شَعَرَهُ الله الآب في ظلام جُثسيماني؟ "يَا أَبَتَاهُ!" "ها أنا ذا يا ابني" "ها هو الكأس. إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ، وَلكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ". الجواب الوحيد الذي يستطيع الآب أن يُقَدِمَهُ هو أن يُشير قُدُماً نحوَ الصليب، لم يوجَدَ خروفاً لابنِهِ، لذا "ذَهَبَا كِلاَهُمَا مَعًا". ذهبا خارجاً من هدوء البُستان إلى ذراعيّ الرُعاع وإلى مُحاكمات الكهنة الزائفة والقائم على السُلطة والأمير الهيرودي؛ إلى البصق والجلد والازدراء؛ خارجاً إلى شمس الصباح حيث الرب يسوع مُتَهاوٍ تحت ثِقَل الخشبة وتحت ثِقَلٍ أعظم لخطية العالم بينما يُشاهد أباه؛ ثُمَ إلى أعلى الهضبة، إلى الموضِع، كلاهما معاً.

أتى أخيراً في اختِبار إبراهيم *عمل الصليب* "فَلَمَّا أَتَيَا إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَهُ اللهُ، بَنَى هُنَاكَ إِبْرَاهِيمُ الْمَذْبَحَ وَرَتَّبَ الْحَطَبَ وَرَبَطَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ فَوْقَ الْحَطَبِ. ثُمَّ مَدَّ إِبْرَاهِيمُ يَدَهُ وَأَخَذَ السِّكِّينَ لِيَذْبَحَ ابْنَهُ". سُجِلَ كُل فِعلٍ بِعناية مُتَعَمَدة على حِدى، بناء المَذبَح وترتيب الحَطَب وربط إسحاق وإحضار السكين-سُجِلَ كُل فِعل. فَقَط عندما كانت السكين في الهواء وهي تهوي أوقف الله يَد إبراهيم. من يَستَطيع أن يُثَمِن تَكَلَفَة إبراهيم ليَصِل إلى تلك المرحلة الأخيرة والنهائية، رفع السكين لذَبحِ ابنِهِ.

بينما أخذ السكين، رُبما شاهَدَ إبراهيم في ذهنِهِ صورةً حيةً من الماضي. شاهد نفسه عندما كان شاباً يافِعاً، وتذكر أول مرة ذبحَ بها خروفاً، قد يكون خروفاً أطعَمَهُ بيَدِهِ؛ خروفاً صغيراً صوفياً ومَرِحاً ومَحبوباً. نستطيع أن نتخيلهُ آتياً بثغاءٍ عندما ناداه، مُمَرِغاً نفسه بإبراهيم ويتخطى بجانِبِهِ بنهاية الحبل المربوط برَقَبَتِهِ. رُبما جَفِلَ من الخوف بسبب رائحة الدم في المَوضع الذي كان بِهِ المَذبَح. فنظَرَ الخروف إليه بعيون الثِقة بينما حَلَ الرباط بأيدٍ غير ثابته. ربما كان الخروف ساكِناً عند المَذبَح وعيناه الرخيمة تُراقِب كُل حَركة منهُ وهيئَتَهُ الصغيرة تَرتَعِش من الخوف، رُبما شَعَرَ إبراهيم بأنهُ كقاتِل بينما سَلَبَ نفسهُ ليفعل الفِعل. والآن عليهِ أن يَذبَحَ ابنَهُ، إنه عمل الصليب.

هل كان هناك عَمَلٌ مثل هذا قاتِمٌ ومأساويٌ تم تحت قنطرة السماء العريضة خلال كُل عصور الزمان أو حَوليّات السرمدية؟ لقد شاهَدَ الله ابنهُ يُقاد مِثلَ الشاة للذبح ووضِعَ على خشبة والمسامير سيقوا إلى مكانِهم، شاهدَ الله العَمَل القاتِم والرهيب بأكمَلِهِ على هضبة الجُثسيماني. ثم الله نفسهُ أخذ السكينة العظيمة لغضَبَهِ الرهيب على الخطيئة ورفعها بينما اجتاح الظلام وسَحَقَ ابنِهُ بجُهَنَم الأبدية التي تستَحِقها خطايانا. *هذا* كان عمل الصليب والعمل الذي مَثَلَهُ إبراهيم على ذلك الجبل المعزول في أرض مُريَّا بالحقيقة مَثَلَ المَوضِع المُسمى الجُمجُمة.

ت. الحقيقة الجليلة التي حمى الله إبراهيم بها (22:13-24)

ولكن يد إبراهيم ثُبِتَت والسكين الساقِطة أوقِفَت بصوت الله المُفاجئ، "فَنَادَاهُ مَلاَكُ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ: إِبْرَاهِيمُ ,إِبْرَاهِيمُ! فَقَالَ: هأَنَذَا فَقَالَ: لاَ تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْغُلاَمِ وَلاَ تَفْعَلْ بِهِ شَيْئًا، لأَنِّي الآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفٌ اللهَ، فَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي. فَرَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا كَبْشٌ وَرَاءَهُ مُمْسَكًا فِي الْغَابَةِ بِقَرْنَيْهِ، فَذَهَبَ إِبْرَاهِيمُ وَأَخَذَ الْكَبْشَ وَأَصْعَدَهُ مُحْرَقَةً عِوَضًا عَنِ ابْنِ. فَدَعَا إِبْرَاهِيمُ اسْمَ ذلِكَ الْمَوْضِعِ يَهْوَهْ يِرْأَهْ" (22:11-14). تلك كانت الحقيقة التي حماهُ الله بها، ثُبِتَت السكين في يد إبراهيم لأنها ستسقُط بالنهاية ليس على إسحاق بَل على يسوع. بالحقيقة أن الله قَدَمَ خروفاً لِمُحْرَقَةِ التَقدِمة.

يا للأفكار التي لا بُد أنها عَبَرَت بنفس إسحاق بينما وَقَفَ هناك، حُلَّ من رِباطِهِ كما يُفعل بالذي يُقام من الموت. يا الأفكار التي عَبَرت بينما شاهدَ موت الكبش، هل عانق ذلك الكبش قبل أن يموت؟ لا بُد أن الدموع فاضت من على وجنتيه بينما شاهدهُ يَنزِف. يجب لأفكار مُماثلة أن تملأ قلوبنا بينما نُفَكِر بالخروف الذي قَدَمَهُ الله، ليس فقط لإسحاق، بل لخطيئة العالم. لم يَكُن هناك تأجيل لله ولا تعليق التنفيذ للمسيح.

وهكذا يَرسُم لنا الروح القُدُس إحدى أروع الصور للجُلجُثة في الكتاب المُقَدَس. اختِبار إبراهيم وإسحاق في مُريَّا الذي لا ينسى لديهِ تتمة. رن صوت الله مرة أخرى مؤكداً جميع البركات التي سبق وأنعم لله بها لإبراهيم ونسلِهِ، وبذلك التأكيد الجديد يَرُن في آذانِهِم وجَدَ الأب والابن طريقَ عودَتِهِم إلى المكان الذي انتظر به الغُلامان. ومن هناك سافروا عائدين إلى مَوضِع البئر، إلى بئر سبع في الجنوب.

ينتهي الإصحاح عن طريق الهبوط المُفاجئ للروحانية-تقريباً، بذكُر ولادة أولاد لِنَاحُورَ أخي إبراهيم. المَقصُود من عِلم الأنساب المُباشِر هو تَقديم رِفْقَةَ إلى القِصة، إذاً ليس هو هبوطٌ مُفاجئ للروحانية كما اعتقدنا. كانت الكنيسة هي ثمار الجُلجُثة الأولى، نحن الذينَ لسنا على الإطلاق في خط النسب المُباشر للوعد، قد أحضِرنا من خلال زواج ابن الآب المحبوب.

12. صَبر الأيمان (23:1-20)

بعض النساء معروفين بحساسيَتِهِم في الإفصاح عن عُمرِهِم، أنه سِرٌ مَحروسٌ أكثر من سِر ترسانة أسلِحَة الروس الحديثة. عندما كان ويلي الصغير بِعُمر الأربع سنوات أخذتهُ أمُهُ أحد الأيام إلى مركز المدينة في الحافِلة، وكان النظام يَنُص على أن الأطفال الصِغار يستطيعون أن يركبوا دون مُقابل حتى عمر الخمسة. سأل جابي الحافِلة أم ويلي "كم عُمر ابنُكِ الصغير؟" قالت "أربعة" رد الجابي "شكراً سيدتي". نظر ويلي الصغير للأعلى مُعتَقِداً أن معلوماتٍ أكثر يجب أن تُقَدَم، وقال بإشراقة "وأمي واحد وأربعين".

من الظَاهِر أن الكتاب المُقَدَس يَحتَرِم مُعَدَل النساء المُتَحَفِظات لأعمارهُنَّ، حيثُ أن سارة هي المرأة الوحيدة في الكتاب المُقَدَس التي يُسَجَل عمرُها وقت وفاتِها، لقد كانت بعُمر 127 سنة عندما توفيت. لم يَكُن ذلك الوقت الوحيد الذي يُعطى عُمر سارة به، حيث لم يكُن موسى دِبلوماسياً في عُمرِ سارة كما كان الرجُل الشاب الذي وقَفَ من قَبل يَبحَثُ عن جوابٍ عندما سألَتهُ أرملةٌ إن كان بإمكانِهِ أن يَحذُر عمرها، أصرت قائلة: "لا بُد أن يكون لديك فِكرة"، قال الديبلوماسي المُحَنَك "لدي عِدة أفكار، المُشكِلة الوحيدة في تَرَددي هي أن أقَدِرُ عمركِ بعشرِ سنواتٍ أصغر بسبب جمالَكِ أو بعشرِ سنواتٍ أكبر بسبب ذكَائكِ". لا يُحابي موسى بهذا الخصوص؛ كانت سارة 127 ويُمكِن لجميع العالم أن يَعرِف ذلك. كان عُمرٌ جديراً بالذكر ورائعاً.

في الإصحاح 23 نحضُر جُنّازاً-جُنّازٌ آخر من تِلك الجنازات المُتَكَرِرة في السفر الأول من الكتاب المُقَدَس التي تُعزينا. يُذَكِرُنا الروح القُدُس بشكل مُتَكَرِر أن أجرَة الخطيئة هي موت، يُسَجِل تكوين 23 جُنّاز إحدى أكثر النسوة الذين قد نُلنَّ المحبَة في العالم وأجملهُنَّ. القِصة تتحرك في ثلاث محاوِر، رواية حُزن إبراهيم وقبر سارة وهدية عِفْرُونُ. سوف نأخُذ هذه التحرُكات الثلاثة ونصِلَهُم بثلاثة تصريحات مُعاكِسة في العهد الجديد، كُلٍ منها يَتَمَيز بإحدى الكلمات الصغيرة "لا ولم وليس".

أ. حُزن إبراهيم (23:1-6)

لمُدة حوالي ستون سنة الآن، جَالَ البطريرك خلال أرض الموعِد مع سارة مُرافِقَتهُ الأمينة والمُخلصة، وقد أحب إبراهيم زوجَتَهُ كثيراً. حتى أن خطأيه المأساويين كانت هي مِحورهما وقد أمليا بما اعتَبَرَهُ لمَصلَحَتِها، والآن قد ماتت. عادَ بِفِكرِهِ لسنين التجوال الطويلة التي صرفاها معاً، بالرُغم من جميع الأخطاء البشرية والفشل، بحثاً عن مَعرِفة وعمل إرادة الله. يَتَوَقف الروح القُدُس ليعطينا لمحة عن *دموع إبراهيم* (23:1-2)، لا خطأ في صرف المؤمن للدموع على مآسي وألم الحياة، فيسوع بذاتِهِ بكى عِندَ قبر أليعازر. ولكن بالمُقابل لدموع إبراهيم نحتاج أن نضع أول نص لنا في العهد الجديد: "لاَ تَحْزَنُوا كَالْبَاقِينَ الَّذِينَ لاَ رَجَاءَ لَهُمْ" (1تسالونيكي 13:4). عَلِمَ إبراهيم ذلك، ما بعد جميع البركات المؤقتة على هذه الأرض، كان إبراهيم يَبحث عن "الْمَدِينَةَ الَّتِي لَهَا الأَسَاسَاتُ، الَّتِي صَانِعُهَا وَبَارِئُهَا الله" (عبرانيين 10:11). رُبما نظرَ إلى الأعلى من خلال دموعِهِ الحاجِبة مُحاوِلاً أن يَثقُب قِبة السماء الزرقاء وينظُر تلك المدينة حيثُ الحُزن والبكاء لا يكونان بعد. كانت سارة هناك! قريباً سيكون هو هناك، في الوطن أخيراً.

مَاتَتْ سَارَةُ فِي حَبْرُونُ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، لا بُد أن إبراهيم كان دائماً سعيداً لذلك. لقد ماتت في مَوضِع البركة "في كنعان" وماتت في مَوضِع الشَرِكة، لأن هذا ما تعنيه كلمة "حَبْرُونُ". لقد بدأت أيامها في أور البعيدة، امرأة وثنية جاهِلة عابدة للقَمَر. لقد ولدَت خاطِئة ضائعة فقيرة مِثل أي شخصٍ آخر، نشأت فتاةً صغيرةً جميلةً ذاتِ لسانٍ لاذِعٍ وتَعَرَفت ثُمَ تَزَوّجَت بشابٍ قد قطع مسافةً حسنة في طريقِهِ لإحراز ثروته في أور. لقد كان إبراهيم وثنياً أيضاً ولكن بروحٍ تُصارِع وغير مُشبَعة. حسناً، لقد عَلِمَ في قَلبِهِ أن القمر مِلكِة السماء لم تَكُن الإله الحقيقي، ولكن هناك خلف جميع الأجرام السماوية والنجوم المتلألئة، خلف المُخمَل الأسود لليل لا بُد من وجود الإله الحيّ الحقيقي. رُبما قد همس لسارة شكوكَهُ السرية وهرطَقَتَهُ في أمانِ بيتهم الهادئ الواقِع في المنطقة الحضارية لأور. ثُم أتت

تِلكَ الرؤية العامية لذلك الإله الحقيقي والحيّ والهِجرة الطويلة بجميع ارتِفاعاتِها وسقطاتها، لقد شارَكَتهُ سارة جميعها. والآن قد ماتت، ولكنها ماتت "بشركة" لقد ماتت في حبرون، الموت في مَوضِع الشركة هو ثاني أفضل شيء من بعد عدم الموت على الإطلاق.

"فَأَتَى إِبْرَاهِيمُ لِيَنْدُبَ سَارَةَ وَيَبْكِيَ عَلَيْهَا." يا لهُ من مَشهَدٍ لهذا الرَجُل المُسِن ذي الشعر الأبيض صاحِب الملامِح النبيلة واللحية المُتَدَفِقة، مُنحَنيٌ فوق التربة الرطِبة الباردة لمَحبوبَتِهِ تاركاً دموعَهُ تجري على وجنَتَيهِ دون قيود، لقد كسِبَت السماء قديسةً مرموقة. لن تعود تِلكَ النقرات الصغيرة في زاوية فم سارة تظهر عندما تبتَسِم، لن تعود ابتساماتها تُشرِق على بزوغ فَجرِ يَومِهِ. لن يَعود يُسمَع لسان سارة الماهر يُعَجِلُ الخدَم لعَمَلِهِم. ولن يستطيعا أن يَجلِسا معاً يداً بيد لِيُشاهدا غروب الشمس في السماء الغربية. انكسر قلب إبراهيم وهدَرَت دموعَهُ بحُرية من عيناه، لقد كانت دموعاً مَريرةً، يستطيع أيَّ شخص خَسِرَ مَحبوباً أن يُقَدِر ذلك ولكِنَهُ لم يحزن كما يفعل الذين ليس لديهُم أمل. لقد أصبحت سارة في الوطن واستبدلت الخيمة البدوية بقَصرٍ من العاج.

ولكن إن أخبرنا الروح القدُس عن دموع إبراهيم فهو يُخبِرنا أيضاً عن*شهادة إبراهيم* (23:3-6). إن كان هناك وقتٌ يجب أن تلمع بهِ شهادة المؤمن بقوة في عالمٍ مُظلِمٍ بالخطيئة، فهو الوقت الذي يزور به الموت البيت "وَقَامَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ أَمَامِ مَيِّتِهِ وَكَلَّمَ بَنِي حِثَّ قَائِلاً: أَنَا غَرِيبٌ وَنَزِيلٌ عِنْدَكُمْ .أَعْطُونِي مُلْكَ قَبْرٍ مَعَكُمْ لأَدْفِنَ مَيْتِي مِنْ أَمَامِي".

كانت تِلكَ شهادة إبراهيم "أَنَا غَرِيبٌ وَنَزِيلٌ"، منذ اللحظة الأولى التي وضع قدمهُ في كنعان قد حافَظَ على شخصيَتَهُ المُهاجِرة. لم يَكُن مُتَكَبِراً ولَم يَحتَفِظ بأي ازدِراء تِجاه جيرانِهِ الغير مُخَلَصين ولم يُلَمِح أبداً أن أرضَهُم كانت بالحقيقة أرضَه وأن ذلك بقرار إلهي. لقد كان حكيماً بشهادتهِ، لقد تَحَرَكَ بين زُملائِهِ الرجال بهدوء مُستَمتِعاً بالرب مُنعَزِلاً عن تعقيدات شؤون هذا العالم. دائماً خدوم وودود ومُهَذَب، وبذات الوقت لم يَتَوَقَع إبراهيم أي شيء من الناس الغير مُخَلَصين-لا مُحاباة ولا تنازُلات ولا احترام خاص. مبادئ حياة إيمانِهِ كانت بعيدة كُل البُعد عن المبادئ التي حركَت رجالاً مثل ملك سدوم وأبيمالك، كبُعدِ الليل عن النهار. وبذات الآن لم يَفرُض إبراهيم إيمانَهُ ولم يُصِر على "حقوقِه" ولم يَتَوَقَع أي شيء من الغير مُخَلَصين، وإن اشترى شيئاً ما، كان نقدياً وبالكامِل. كان في العالم ولكِنَهُ لم يكُن من العالم، لقد كان غريباً ونزيلاً. رُبما فقد لوط الصبر من أفكار إبراهيم عن العالم الآخر، ولكن البطريرك كان مُكتَفياً لينتظر الله ويدع الله يعمل كُل الأشياء بحَسَب مشيئَتِهِ الصالِحة والكامِلة والمقبولة. لقد كانت حِكمة إبراهيم السماوية التي أكسبتهُ وجهة نظر منفَصِلة عن الأمور الأرضية. كانت شهادَتَهُ "أَنَا غَرِيبٌ وَنَزِيلٌ عِنْدَكُمْ".

غريبٌ، الغريب هو الشخص الذي يَجِد نفسهُ في ثقافةٍ ومُجتَمَعٍ لا ينتمي إليهِ بالطبيعة. ويشعُر بعدم راحة عندما يكون مع تِلك الجماعة، غريبٌ عنها ومَرفوضٌ منها. وهو يعلم أنه مهما كان لطيفاً معهُم لن يكون بالحقيقة واحِداً مِنهُم، فهو غريب، قلبهُ يَتوق نحو الوطن. هذا ما شعر به إبراهيم في كنعان، ما شعر به يسوع في هذا العالم-ما يجب أن نشعُرُ بهِ نحنُ في هذا العالم، في الحقيقة هذا ليس موطِننا.

نزيلٌ، النزيل هو المُقيم المؤقت، ذلك الذي يَمكُثُ لفترة قصيرة. جنسيَتَهُ ووطَنَهُ في مكانٍ آخر؛ فهو مُجَرَد مُسافِرٌ لفترة قصيرة في هذه الأجزاء، ثُمَ سيعود إلى الوطن. كان هذا موقف إبراهيم من كنعان، نعم *كنعان!* كُل حجر وقشة كانت لهُ، يستطيع أن يَبتَسِم على إيماءات ملك سدوم ومَوقِف أبيمالك الدُنيوي، لم يَعلموا أن بيوتَهُم وأراضيهِم لهُ، لقد أعطى الله الأرض لهُ. لا بُدَ أنه وجدَ اهتِماماً كبيراً بينما جالَ من الشمال للجنوب آخِذاً مُلاحظاتٍ لكُلِ شيءٍ لهُ بحسب مشيئة الله الغير مشكوك بها. ولكن اهتمامَهُ الأكبر كان بإدراكِهِ أن السماء لهُ، فموت سارة وضع ذلك أخيراً بوضوحٍ كامِلٍ.

عندما كُنت فتىً كُنت أحِبُ أن أفعل شيئاً مُعظم الفتية الإنكليز يُحِبون أن يفعلوهُ في تلك الأيام. كنا ندفع قِرشاً ونَصرِف ساعة أو اثنتين على مِنَصة محطة القِطار المحلي، ومحطتُنا كانت مُزدحِمة. خطوط السكة الرئيسية من لندن وشمال إنكلترا أتت خارجة من نفق السيفرين الطويل باقتِحام لتجري خلال بلدتنا. خطوطٍ فرعيةٍ تَعَرَجَت كالأفعى إلى داخِل وديان مناجم الفحم المُجاورة واتجه الخط الرئيسي مُباشرة إلى ويلز. وهكذا يَصِل قِطار كُلِ دقيقة أو اثنتين مع زخم عظيم من البُخار وصرير المكابِح وطبش الأبواب وصخب الجموع. أحببنا نفث المُحَرِكات الصغيرة النيقة والشاخرة التي سحبت عربةً أو اثنتين إلى السهول، وأحببنا المُحَركات الضخمة التي زمجرت بتحَدٍ ضِد كُل عائق تُجاهِدُ لِتَنطلق مرة أخرى مع نفثٍ عظيمٍ من البُخار والدُخان. أحببنا جلجلة وقعقعة الصفوف الغير منتهية من العربات التي تصطدم وتُدافِع بعضها البعض بينما تَحتَشِد عند المسار المركزي. الروائح والمشاهد والأصوات مازالت تعيش معي.

ولكن شيئاً واحداً يَتَمَيَز في فِكري، في أحد الأيام تَجَولتُ إلى النقطة البعيد من المِنَصة لأنظُر بحشرية إلى درزن من السِلال الملأى بالحمام واليمام. شرحَ لي حمال لطيف ما الهدف منها قال: "سوف نضعهم على مَتنِ قطارات مُختَلِفة يا بُني، البعض سيتجِه شمالاً والبعض جنوباً والبعض إلى ويلز والآخر إلى الشرق، سيقطع الجميع المسافة ذاتها. كما ترى، هذه حمامات سباق، واليوم بعد الغد في تمام الساعة الثانية عشر سيطلق جميعَهُم. سيرتَفِعون في الهواء ويَدُرون مرة أو اثنتين ثم سيتجهون مُباشرة لبيتِهِم. الفكرة هي أن نرى من منهُم تَصِل أولاً".

مِراراً فكَرتُ بذلك، لم يَكُن عن طريق الصِدفة أن الروح القُدُس لهُ صِلة مع *الحمامة*. عندما نقبل المسيح كمُخَلِص، يأتي ويصنع بيتَهُ في قلوبِنا، ويُحضِر مَعَهُ غريزة للوطن. يُعَلِمُنا أن هذا العالم ليس وطَنُنا، وأن السماء هو المكان الذي ننتمي إليه، ويضع بنا اشتياقاً لأرض المَجد ويُوَجِه قلوبنا إلى ذلك الاتجاه ويُعلِمنا أن نمشي الطريق المُستَقيمة والضيقة. هذا ما وَجَدَهُ إبراهيم، كَلَّمَ بَنِي حِثَّ قَائِلاً: "أَنَا غَرِيبٌ وَنَزِيلٌ عِنْدَكُمْ".

كان جوابُهم حكيماً جِداً، قالوا: "أَنْتَ رَئِيسٌ مِنَ اللهِ بَيْنَنَا"، لم يَدعوا لوطاً ذلك أبداً. إبراهيم، المؤمن المَفصول، الذي رفَضَ أن يتورط بشؤونِ العالم الذي اعتَبَرَهُ لوط أنه غير عملي وانعزالي، *ذلك* هو الرجُل الذي رَبِحَ احترام الغير مُخلصين. الفِكرة السائدة تقول أن علينا أن ننخرِط في شؤون العالم وعلينا أن نتولى ذلك المنصِب الحكومي أو نُصبح فعالين في ذلك النادي أو تلك الحركة إذا كُنا نُريد أن نفعل شيئاً لتغيير الظُلم الاجتماعي للعالم، كانت تلك فلسفة لوط، ولكن لم تَكُن فلسفة إبراهيم. إيفان روبيرتز عامِل في منجم ويلز الغير مُثَقَف-مع رائحة الفحم على ثيابِهِ، ترعرع في قرية مجهولة في ويلز، وأعتُبِرَ أنه مُتَطَرِف من الكثيرين-ومع ذلك فعل أكثر ليُغير البيئة الاجتماعية لبريطانيا العُظمة خلال ستة أشهُر مما فعلهُ جميع البرلمانيين خلال ست سنوات. لأن ذلك الفرد المفصول عن العالم قد عَرِفَ الله واستُخدِم من قِبل الله ليُشعِل انتِعاشاً في ويلز والذي تَرَكَ علامةً روحيةً واجتماعيةً لسنين عديدة ليس فقط في ويلز ولكن في إنكلترا وسكوتلاند وإيرلندا والولايات المُتَحِدة الأمريكية.

ب. قَبر سارة (23:7-18)

يَكمُن أهمية قَبر سارة لأن قبرها هو القطعة الوحيدة من الأرض التي امتلكها إبراهيم في جميع أنحاء كنعان خلال حياتِهِ. وهذا يُحضِرنا إلى النص الثاني من العهد الجديد، النص الذي لا يَحتَضِن إبراهيم فقط بل إسحاق ويعقوب أيضاً " فِي الإِيمَانِ مَاتَ هؤُلاَءِ أَجْمَعُونَ، وَهُمْ لَمْ يَنَالُوا الْمَوَاعِيدَ، بَلْ مِنْ بَعِيدٍ نَظَرُوهَا" (عبرانيين 13:11 أضيفت الحروف المائلة). لم يَكن عند إبراهيم فرق أنَّ مغارةً صغيرةً وحقلاً صغيراً مَثَلَ المجموع النهائي لمُلكية عِقارٍ قد دُون باسمِهِ، هل صَرَفَ كُل حياتِهِ لأجل هذا؟ لا، لقد صرف حياتِهِ في معرفة الله، والآن هو يَعرِف الله بشكل جيد جداً حتى أنه لا يَملك أي شك أن كُل شِبرٍ من أرض المَوّعِد من النيل إلى الفُرات ستكون يوماً ما لنَسلِهِ.

من المُنَور جِداً أن نرى كيف تعامل إبراهيم في تأمين صك المُلكية للقبر. في المركز الأول كان مُهَذَباً في كلامِهِ (23:7-8)، لماذا هناك الكثير من المسيحيين لديهم فظاظة؟ كان الرب يسوع أكثر الرجال تَهذيباً. الكياسة ليست أصولاً اجتماعية فقط؛ بل نعمة روحية، كما هي واضِحة حتى من أكثر القراءات الخاطِفة لرسائل العهد الجديد. عندما قدم بنو حِث خيار المقابر لإبراهيم في الحال تَصَرَفَ إبراهيم بطريقة مُهَذَبة "فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ وَسَجَدَ لِشَعْبِ الأَرْضِ، لِبَنِي حِثَّ" (23:7). لقد كانت عادة اجتماعية لَبِقة والتي لا تُساوِم بأي طريقة على الإيمان الراسخ الذي كان لديه كمؤمن، لذا قام بها إبراهيم. ثُم رفع طلبَهُ لشيخ القبيلة المحلية "الْتَمِسُوا لِي مِنْ عِفْرُونَ بْنِ صُوحَرَ" لم يَكن إبراهيم مُتَخَبِط في الكلام وفظ لقد كان سيداً مُثَقفاً ومُهذباً عارِفاً أهمية الاحتِرام.

بالإضافة أنه كان حذراً في مُعامَلاتِهِ (23:8-18)، لقد قُدِمَ له القبر كهدية بِكُلِ وضوح وبكرم بلا حدود كما يبدو. ولكن إبراهيم عَرِف العادات أفضل من أن يقبل عرضٍ كهذا على ما بدى. إلى هذا اليوم العربي الشرقي مُستَعِدٌ أن يُقَدِم لك أي شيء في بيتِهِ قد أبديت إعجابك بِهِ، ولكن عرِفَ إبراهيم جيداً أن أبناء حث سيندهشون ويغضبون لو أخذهُم عِند كلامِهم، لهذا فتح إبراهيم باب المُفاوضات لشراء المغارة من عفرون. التفاصيل هي ثقافة نموذجية، طرح إبراهيم القضية (23:8-9)، تمم العادات (23:10-13) وأمن العقد (23:14-18) ثم انتهى كُل شيء، القبر وصك المُلكية أصبحوا لهُ مُقابل أربع مائة شاقِل من الفِضة. لقد عَلِم عفرون أنه يَطلُب السعر الأعلى لمُلكِيَتَهُ، لأنه ومع جميع ريائِهِ واعتراضاتِهِ قد علم أن إبراهيم يحتاج بكُل بساطة إلى موضِع للدفن، ولم يتلكأ حتى يأخُذ عرضاً أفضل، قال عفرون "يَا سَيِّدِي، اسْمَعْنِي .أَرْضٌ بِأَرْبَعِ مِئَةِ شَاقِلِ فِضَّةٍ" ثم أسرع وقال: "مَا هِيَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ؟ فَادْفِنْ مَيْتَكَ" (23:15). لم يَتَوَقف إبراهيم ليُساوِم، مُستَغنياً عن الأخذ والعطاء الشائع للمُساومة في السوق الشرقي، فبكُلِ بساطة وكرامة ملوكية سلمَ السعر الأول الذي طُلِب.

ت. هدية عفرون (23:19-20)

"وَبَعْدَ ذلِكَ دَفَنَ إِبْرَاهِيمُ سَارَةَ امْرَأَتَهُ فِي مَغَارَةِ حَقْلِ الْمَكْفِيلَةِ أَمَامَ مَمْرَا، الَّتِي هِيَ حَبْرُونُ، فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، فَوَجَبَ الْحَقْلُ وَالْمَغَارَةُ الَّتِي فِيهِ لإِبْرَاهِيمَ مُلْكَ قَبْرٍ مِنْ عِنْدِ بَنِي حِثَّ" قال عفرون مرة تِلوى الأخرى "وَهَبْتُكَ إِيَّاهُ، وَهَبْتُكَ إِيَّاهُ، وَهَبْتُكَ إِيَّاهُ" ثلاثة مرات بعددِ واحد (23:11). وبالمُقابل لهذا نضع نصاً آخر من العهد الجديد "سَلاَمِي أُعْطِيكُمْ *لَيْسَ* كَمَا يُعْطِي الْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَا " (يوحنا 14:27 أضيفت الحروف المائلة). العالم لا يُعطي، بل يأخُذ. عندما قرر يونان أن يذهب بطريق العالم، ذهب إلى ترشيش، ووجدَ سفينة و"دَفَعَ أُجْرَتَهَا"-دَفَعَ. ولكن الله مُعطي كريم.

لم يَكُن عند عفرون أي نية أن يُعطي إبراهيم تلك المغارة والحقل، لقد عَلِمَ تماماً المبلغ الذي سيطلُبَهُ عندما وصلت المُفاوضات تلك النقطة الحاسِمة، وتوقعاتِه كانت كثيرة. في أحد الأيام سمعتُ رَجُلاً على الراديو يَعرِضُ كتاباً مُقَدَساً كبيراً وغالي الثمن لأي شخص

يُرسِل له-على شرط أن يُرسِل خمسة وعشرين دولاراً لكي يدعم عملهُ. هذا أمرٌ عالميٌ-أعطني شيئاً وسأعطيك شيئاً بالمُقابِل. الطبيب النفسي المعروف د. إريك بيرن يُشير في كتابِهِ الأكثر مبيعاً *ألعاب يلعبوها الناس*، حتى أننا لا نُقَدِم سلاماً لأحد أو نسأل "كيف حالُك" دون أن نَتَوَقَع شيئاً مُساوياً بالمُقابِل.

واجهَ إبراهيم دموع الحياة بحُزن طبيعي ولكن ليس بلا عزاء، واجهَ *تجارب* الحياة عالماً أنه مع أن وعود الله تبدو بطيئة التنفيذ جداً، ولكنها ستُكمل جميعُها في السماء. حتى منظر أبناء حِث ووجوههم الماكرة وتكشيرتهم العريضة وحساباتَهُم المُخادِعة لن تستطيع أن تُزعِجُهُ. لقد واجهَ غدر الحياة برباطَةِ جأشٍ عالماً أن كلمة الإنسان قد تكون أو لا تكون أكيدة، أما كلمة الله فهي أكيدة.

13. احتياطات الإيمان (24:1-67)

تَرَيثَ الروح القُدُس في الإصحاح 24 عند كُل تفصيل بمحبة فهو أطول إصحاح في التكوين، لأن كُلِ تَفصيل يتكلم عن المسيح وكنيسَتَهُ. ذلك غير مُفاجئ، لأن الروح القُدُس يقول لنا بطريقة مُعَبِرة أن الزواج قُصِدَ منهُ أن يكون مرآة لعلاقة أسمى وأقدس (أفسس 5:21-33). في الإصحاح 22 رأينا إسحاق يذهب إلى جبل المُريَّا كالابن المحبوب للأب طائعاً حتى الموت، حتى موت الذبيحة.

لدينا في تكوين 23 موت سارة، نوع من التغيرات الشاملة التي حدَثَت لحالة إسرائيل عندما قُدِمَت الكنيسة إلى شؤون البشر. رفقة في الإصحاح 24، نَموذَجٌ عن الكنيسة كالعروس لإسحاق، قد أُحضِرَت إلى خيمة سارة ذاتِها. بينما كُل الإصحاح هو عبارة عن قِصة مثيرة للاهتمام ومُثَقِفة وملئ بألوان محلية ودِفئ، هو بذات الآن دراسة كاملة عن الطريقة التي حصَلَ بها الابن المحبوب من الأب على عروسهِ، الكنيسة.

أ. النزيل الحكيم (24:1-9)

"وَشَاخَ إِبْرَاهِيمُ وَتَقَدَّمَ فِي الأَيَّامِ" (24:1)، قسَّمَ اليهود الشيخوخة إلى ثلاث مراحِل. من الستين إلى السبعين يُطلق عليهِ "بداية الشيخوخة"، من السبعين إلى الثمانين كان ما وصفوه "عُمر الرأس الأشيب"، يُطلق على الرجُل من بعد الثمانين "مكروب جِداً بالسنين". كان إبراهيم قُرابة المائة والأربعين من العُمر في ذلك الوقت، وكان إسحاق قُرابة الأربعين. وقد حان الوقت للبحث عن عروس لابنِهِ.

نظر البطريرك المُسِن برُعبٍ إلى ما رآه من حولِهِ في كنعان، جموع بنات كنعان كُنَّ عالميات وشريرات وخليعات دون معرفة على الإطلاق عن الإله الحيّ الحقيقي. كُنَّ مَغويّات بأكثر الطُرُق المُخيفة من العبادة الوثنية، ليس من الوارد أبداً أن يتزوج إسحاق واحِدَةً منهم.

يُقَدِم الكتاب المُقَدَس توجيهات حتمية عن زواج المؤمنين، لا يكون زواج من الغير المؤمن. رأى مرةً المُتَجَوِل المشهور إيتش. في. مورتون مِحراثاً مربوطاً على جملٍ وحِمارٍ. واجَهَ الحمار البائس وقتاً عصيباً، وبالطبع لم يُعجَب الجمل في كُونِهِ مربوطٌ قريباً جداً من مُنافِسِهِ وكان يُحَدِق من حَولِهِ بغطرسة وازدراء اللذان يُمكن فقط الإنسان والجمل أن يتبناهما. وحَمَلَ الحِمار الصغير المسكين ثِقَل النير بأكمَلِهِ على كَتِفيهِ، ولم يَستطع الواحد أو الآخر أن يأخُذ خطوة واحدة، نيرٌ غير عادِل كهذا مُحَرَمٌ عند الله، إن كان في العمل أو الدين أو الزواج. كانت فِكرة أن إسحاق قد يكون تحتَ نيرٍ غير عادِلٍ كهذا ككابوسٍ لإبراهيم.

ولكن أين لهُ أن يَجِد عروساً لابنِهِ؟ أفكارُهُ أعادتهُ إلى الوراء إلى حاران البعيدة حيث شهادَتَهُ أثمرت منذُ سنين مضت. رُبما كان يَعرِفُ رفقة شخصياً أو لا، ولكِنهُ بالتأكيد كان يَعرِفُ عنها (22:23). وهكذا أخذ إبراهيم المُبادرة وأرسل خادِمَهُ قُدُماً ليبحث عن عروس لابنِهِ. كان كذلك في الأزلية السابقة أن الإله الأزلي أخذ مشورَة ذاتِهِ من ناحية ابنِهِ. سيَحصُل الله على عروسٍ لابنِهِ، واحِدَةً مُناسِبَةً لهُ، واحِدَةً قادِرة أن تُشارِكَهُ مركزهُ الشامخ. سَيُرسِل الروح القُدُس إلى العالم ليبحث عن تِلك العروس-ولكن ليس قبل أن تُمَهِد الجُلجُثة الطريق. "مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ، كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ" (أفسس 1:3-4)

ب. الخادِم الرائع (24:10-28)

الخادِم غير مُسَمى، قيل لنا أنه "كَبِيرِ بَيْتِهِ الْمُسْتَوْلِي عَلَى كُلِّ مَا كَانَ" لإبراهيم (24:2)، نحن نفترض أنه كان أليعازر الدمشقي (15:2)، ولكن النص لا يقول هذا. صموت الله في بعض الأحيان هو بأهمية أقواله، مراراً الرجُل الغير مُسمى في الكتاب المُقَدَس يُستَخدَم كنموذج للروح القُدُس، الذي تَكمُن لذَتَهُ في جذب الانتباه للابن بدلاً عن ذاتِه، وبالتأكيد النموذج ينطبق هنا. التنفيذ في غاية الله

للإرادة الإلهية في العالم قد أُتْمِنَت للروح القُدُس، لقد كان الروح القُدُس من حلَّ في يوم الخمسين ليبدأ العمل العظيم في البحث عن العروس المُشتراة بدم المسيح، أي الكنيسة. في تكوين 24 الخادِم تصرف دائماً بحسب مشيئة إبراهيم ومصالِح إسحاق في الفِكر.

مضى الخادِم قُدُماً وهو موكلاً بإرساليتِهِ العُظمة في مهمةٍ صعبةٍ وطويلةٍ وشاقةٍ. "فَقَامَ وَذَهَبَ إِلَى أَرَامِ النَّهْرَيْنِ إِلَى مَدِينَةِ نَاحُورَ." كان إبراهيم يعيش قُرابةً من حبرون آن ذاك، لذا كان أمام الخادم رحلة طويلة. ذهب شمالاً وعبر سهل الأردُن وقطع دمشق ثم من حول الهلال الخصيب إلى "عين الشرق" وبعد مسافة طويلة قطع الفُرات فوصل إلى المكان المقصود. لم يَكُن ذلك تجوالا بلا هدف، ولكنهُ بعثة مُخطط لها بشكل جيد. لقد عَلِم الخادم ما كان هدَفَهُ.

صلى الخادم عندما وصل إلى المكان المقصود، يجب أن يُتَمَم كُل شيء بشركة مع الله في السماء. عندما اقترحَ اختِباراً عملياً: سيسأل ليستقي عندما تأتي النسوة إلى البئر، والفتاة التي تعرُض أن تسحب ماءً، ليس فقط له بل لجمالِهِ أيضاً، تكون هي مُختارة الله. لم يَكُن الاختِبار سهلاً، يستطيع الجمل أن يشرب قُرابة الخمسة غالونات من الماء، والخادم كان لديهِ عشرة جمال. إن سحب خمسون غلوناً من الماء من البئر وسكْبَهُ في المسقاة في حرّ ذلك المناخ كان عملاً جباراً، ستكون امرأة كهذه زوجة مُمتازة.

والآن أتت رفقة وبدون علمِها تممت الشروط، وبالحال كافأها الخادِم بسبب روحها الخدومة بهدية كريمة، ثُم اكتشف أنها ابنة بَتُوئِيلَ وحفيدة ناحور أخي إبراهيم. بقية القِصة تتبع بشكل سريع وطبيعي، أُخِذَ الخادِم إلى بيت رفقة حَيثُ أفصحَ عن مُهِمَتَهُ العُظمة. لقد سافرَ ليَجِد عروساً لإسحاق، الابن المحبوب لإبراهيم، وكان من الواضِح أن الله اختار رفقة. لقد كان كُل شيء دون تخطيط وطبيعي ولكن في ذات الوقت من الله بشكل واضِح فما فوق الطبيعة كسا الطبيعي. هنا، لم يَكُن هناك فرصة للقاء، هنا، كان لقاءً مُخططاً لهُ في السماء والآن يُنَفَذ على الأرض. استمعت رفقة بملء قَلبِها وبعينين مفتوحتين بينما شرح الخادم قضية ودعوى إسحاق.

نرى بتلك القِصة البشرية تماماً، خيوطاً ذهبيةً قد أُحيكت في فتيل ونسيج قِماشها قِصةً أخرى أعظم بكثير. نرى مجيء روح الله إلى العالم بمُهمة عظيمة ليربح ويلمُس قلباً هنا وقلباً هناك لمحبوب السماء. في مرات قليلة يتكلم عن ذاتِهِ، عملهُ العظيم أن يُعَظِم الابن ويُخبِر عن الآب وطُرُقِهِ العجيبة، مُهِمَتُهُ العظيمة هي أن يبحث عن الذين سيصبِحون عروس المسيح. كيف يستفيد من ظروف الحياة العادية بشكلٍ رائع ويستخدمها لتخدُم هدَفَهُ، لا يُجبِر أبداً ولا ينتهِك الإرادة البشرية أبداً ولا يَعمُر أبداً ولا يستخدم طُرُقاً غريبة وخارِقة للطبيعة ليَفتُن الروح. أمُورٌ عادية تَحدُث؛ زيارة هنا، فُرصة تعارُف هناك، حديث غير مُتَوَقَع، كِتابٌ قد قُدِم لنا عن طريق صديق- وفي كل الوقت روح الله يعمل، حتى في النهاية يُقَدَّم الإنجيل وساعة القرار تَقتَرِب. كانت تلك طريقة الخادِم مع رفقة؛ وهي طريقة الروح القُدُس مع النفس.

ت. الخاطئ الدُنيَوي (24:29-33)

كان لرفقة أخٌ ويا لهُ من شخصٍ ماكِر وشجع. أول شيء فعَلَتهُ رفقة عندما قُدِمَت لها هدايا الخادم هو أنها ركضت إلى البيت وشاركت الأخبار الرائعة "وَكَانَ لِرِفْقَةَ أَخٌ اسْمُهُ لاَبَانُ، فَرَكَضَ لاَبَانُ إِلَى الرَّجُلِ خَارِجًا إِلَى الْعَيْنِ" (24:29).

أنظر جيداً إلى لابان، لم تَكُن القِصة الرائعة ما أثار إعجابهُ ولا حتى العلامات المُرافِقة، ولكن الشيء الذي حُسِبَ عند لابان كانت *الهدايا*. لم يَكُن مهتماً بشكل خاص بالأب أو الابن أو الخادِم، لقد كان مُهتماً بالهدايا. لقد كان شوقَهُ أن يُلقي أيديهِ على الهدايا التي حَضِرَ بها الخادِم الغير مُسمى "وَحَدَثَ *أَنَّهُ إِذْ رَأَى الْخِزَامَةَ وَالسِّوَارَيْنِ* عَلَى يَدَيْ أُخْتِهِ، وَإِذْ سَمِعَ كَلاَمَ رِفْقَةَ ... جَاءَ إِلَى الرَّجُلِ" (24:30 أضيف الخط المائل). الخِزَامة والسِوارين-هذا كان في المرتبة الأولى لدى لابان.

ولكن كان على لابان أن يسمع القِصة بأكملها، إن أراد أم لا. عمل الخادِم هو أن يتكلم عن إسحاق، ولكن في طيلة الوقت كانت عينا ذلك الرجُل الدُنيَوي على الهدايا. يظهر لابان مرة أخرى لاحِقاً في تكوين وتظهر شخصيتَهُ الحقيقية. سيظهر على ما هو، رَجُلٌ لديهِ القُدرة أن يستخدم مؤمناً فقط ليجني المال عن طريقِهِ. بقيَّ لابان رَجُلاً غير مُغيراً حتى النهاية، مُستَعِداً أن يُقَدِم تَملُقاً وخدمةً شفويةً لله (24:50) لكن دون أي اهتمام حقيقي للبُعد الروحي للحياة. استوعِبَتْ رفقة في القِصة؛ لابان كان مأخوذاً بالهدايا. قُدِمت هدايا أولية عن طريق الخادِم للابان أيضاً (24:53)، ولكن عند ذلك بدأ يُحاول تأخير عمل الخادِم الرئيسي (24:55-56).[11]

لقد أعطيَّ لابان شيئاً، لم يُقال لنا ما هو ولكن نستطيع أن نُلاحِظ بأنه لم يَفعَل شيئاً ليُدفِئ قلبَهُ الدُنيَوي. لم يُجَسِد أي اهتمام بالأب أو الإبن، لقد دام خاطئاً دُنيَوياً حتى نهاية أيامهِ. تَعَرُضهِ اللاحِق لحقيقة كلمة الله المُطلقة لم تَنفعهُ بشيء، لَقَد حَصَلَ على الهدايا المرغوبة ولكن دون شك هذه فقدت قوتها لتَجذُب وتَحتَفِظ بقَلبِهِ. المسيح هو فقط من يستطيع أن يملأ القلب، وبقيَ لابان بارِداً وغير مُكتَرِث لما قد قيل عن المسيح.

11. لِدى لابان ورثة وخُلفاء في المسيحية، هُناك هؤلاء الذين لديهم أحباء في الحقيقة دَخلوا في المسيح وعَمِلَ الروح القُدُس في قلوبهم عملاً عجيباً وكاملاً، ولكن كان هذا انطباعاً عابراً فقط. غالباً ما يَحدُث أن الذين يتجاهلون قلب ولُبّ الرسالة ومع ذلك يُبدونَ اهتماماً "بهُدُبْ-الفوائد" للإيمان، مِثل لابان يُعجِبُون "بالهدايا". لقد كان لابان مشغولاً بالخادِم والهدايا لدرجة أن اهتمامه بإسحاق كان ضئيلاً. أمثاله في يومنا الحاضر مأخوذون بالروح القُدُس وهدايا-العلامات التي منذُ البداية كان لها أهمية مؤقتة. ولكن هذه "الهدايا" تشتهي ما لغيرك وهي صعبة الحصول. كان الهدف الوحيد من خلف الهدايا هو التأكيد وتوطيد قصته واستنثار قلب رفقة لإسحاق. حالما تم إنجاز هدف الهدايا كان ذلك نهايتها.

ث. القديس المُستَعِد (24:34-61)

الأمر كان مُختَلف مع رفقة، فدَفِئ قَلْبها بتِلك اللحظة بما رأت وسمِعَت، كان هناك شيءٌ في قِصة إسحاق أضرم استِجابةً في قلبِها. لم ترهُ من قَبل، وقد عَرِفَت عَنهُ عن طريق كلمة الخادِم فقط، ولكن شعرت بأنها تَعرِفَهُ من قَبل، فأعطتهُ قلبها من الآن.

في النهاية تمت مواجهة السؤال العظيم: "هَلْ تَذْهَبِينَ مَعَ هذَا الرَّجُلِ؟" (24:58). الله في سيادَتِهِ يُعالِج ببراعة كُل الظروف المُتَعَلِقة بالزمان والمكان ليأتي بالشخص إلى موضِع القرار، ولكنهُ لن يُجبر القضية عليه أبداً، لن يدفع الشخص ليعبُر الخط، ولن يُقرر عنا. استغل الخادِم كُل مَيزة للظروف المُنكشفة أمامهُ، ولكنَهُ لم يُحاوِل أن يُكرِه أو يُجبِر على اتخاذ قرارٍ ما أبداً. لم يستخدم أي مُناشدة ذات ضغط عالي، قَدَمَ الحقائق البسيطة للقضية، وقصَ قِصَة إسحاق ومُهِمَتَهُ كخادِم، ودعى رفقة أن تُقَدِم نفسها للرجُل الغير منظور المُقيم بعيداً مع الأب، بعد ذلك الأمر يعود لها.

بلا شك كان من الممكن لرفقة أن تخترع مئة سبب لتقول لا للدعوة، كان من الممكن أن تقول "كيف لي أن أعلم أن قِصَتَك صادِقة؟" أو "لا أريد أن أتخلى عن طبيعة عيشي الحالية فأنا سعيدة حيثُما أنا" ولكن لم يَكُن هناك أية أعذار، كما لم يَكُن هناك أيَ إكراه. بتلك اللحظة سلمت نفسها وقلبها لإسحاق الغير منظور.

والآن أتت الرحلة الطويلة للقاء الشخص الذي أعطت ذاتها لهُ. يا لها من رِحلة عظيمة، بينما كانت هي والذين تأثروا من خلالها "رَكِبْنَ عَلَى الْجِمَالِ وَتَبِعْنَ الرَّجُلَ". هنا أيضاً يمكِن أن تُشاهَد ضفائر الشعر الذهبية للقِصة الأعظم تُحبَك في نسيج قصة بشرية تماماً. كان الخادِم هناك ليحمي ويُرشِد، لقد كان يعلم الطريق. لم تُترك رفقة وحيدة لتَتَعَثر بأفضَل ما تستطيع أن تفعل. اتُخِذَت كل الاحتياطات لإحضارِها بأمان لوطنِها الجديد. وهكذا تماماً الروح القُدُس يبدأ بالحال بإرشاد الذين يُسلِمون ذواتَهُم للمسيح، والروح القُدُس من يَتَخِذ على عاتِقِهِ أن يُحضِرنا للوطن بأمان.

نُفَكِر برفقة وهي *تتعلم عن إسحاق*، كان لديها مئة سؤال لتسأل "هل هو طويل، أسمر ووسيم؟ كم عُمرُه؟ ما هو عَمَلُه؟ هل هو غني جِداً؟ كيف يبدو بالحقيقة؟ هل هو رجُلٌ سعيدٌ؟ هل هو لطيفٌ ومُراعٍ للشعور؟ لماذا بحثَ عن زوجة بعيداً؟" من المُذهل قِلة المعرفة التي نمتلِكها عن المسيح في الوقت الذي نُسَلِم أنفسنا له. الحياة المسيحية هي خبرة تعليمية طويلة تحت رعاية الروح القُدُس الذي يُسَّر في التَكَلُم معنا عن المسيح.

تَخَيل السرور الذي تكلم من خلاله الخادم للفتاة المُتلَّهفة عن الرَجُل الذي سوف تُقابِلَهُ. كان يُخبِرُها عن الأب وحُبِهِ لإسحاق، وكيف أن إسحاق هو وريث كُل شيء، وكيف أن جميع خطط الله وأهدافَهُ تَمركَزَت بالابن. رُبما شرح لها أن كُلَّ ميلٍ من الطريق الذي يُسافِرون عليهِ قد أعطيَّ من الله لإسحاق. يَروي لها عن سُخرية إسماعيل. وأكثر من كُل شيء، يروي لها عن جبلِ مُريَّا وكيف الأب والابن ذهبا معاً إلى ذلك الموضع الرهيب وكيف عاد إسحاق كما لو من الموت. تعلمت عن إسحاق، كان ذلك عمل الخادِم، أن يتكلم عنهُ.

فَكِر أيضاً برفقة *تشتاق لإسحاق*، كُلما عَرِفت عنه كُلما زاد اشتياقُها. في البدء كان مُجَرَد اسم، ولكن بالتدريج بدأ يتكوّن في عقلها وقلبها وأصبحت تُحِبَهُ أكثر فأكثر. لقد أحَبَتهُ الآن، ليس فقط من أجل الهدايا التي أنعمَ بها عليها من خلال الخادم-لأنها مُجَرَد حليّ، ولكن لشخصِهِ ومن هو وماذا فعل. تحلم به في الليل وتُخبِر مُرافقيها كُل ما عَرِفَتهُ عن إسحاق، بدأت تتوق لهُ.

بينما كانت الرحلة تَمُر أصبح إسحاق أكثر فأكثر حقيقةً وأقل فأقل غموضاً، وأكثر فأكثر شخصاً حيّاً وحقيقياً وحيوياً ورائعاً لمن أعطت قلبها لهُ. بينما بدأ الماضي يتبدد في ذهنها، كذلك المستَقبل بدأ يَلوحُ أكبراً وأكثر أهمية-مُستَقبلاً ملياً بإسحاقٍ.

هذا ما يرنو له الروح القُدُس في قلوبِنا-ليملأُها باشتياق للرب يسوع إلى أن، مثل كاتب المزمور، نهتُف من أعماق قلوبِنا "كَمَا يَشْتَاقُ الإِيَّلُ إِلَى جَدَاوِلِ الْمِيَاهِ، هكَذَا تَشْتَاقُ نَفْسِي إِلَيْكَ يَا اللهُ." (مزمور 42:1). روح الله يُدَرِبُنا على التفكير أقل فأقل بالعالم وطُرُقَهُ وأكثر فأكثر بالمسيح. قلوبُنا، مثل قلبيّ التلميذين على طريق عمواس، يجب أن تبدأ بشُعلة اشتياق من الداخِل لربنا.

فكِر أيضاً برفقة *تبحث عن إسحاق*، نقرأ "وَرَفَعَتْ رِفْقَةُ عَيْنَيْهَا... وَقَالَتْ لِلْعَبْدِ: مَنْ هذَا الرَّجُلُ الْمَاشِي فِي الْحَقْلِ لِلِقَائِنَا" (24:64-65). لقد تَعَلمَت أن إسحاق سيأتي للقائها، وهذه أثمن حقيقة على الإطلاق. لقد كان إسحاق في شوقٍ ليُقابِلها كشوقِها للقائهِ، لذا ستبدأ بالبحثِ عنهُ بينما تَقتَرِب الرحلة من نهايتها.

ج. الابن المُنتَظِر (24:62-67)

وفي كُل ذلك الوقت كان إسحاق ينتظِر، لقد ذَهَبَ إلى المُريَّا وعمَلَهُ قد أُكمِل، وأما دَعوة العروس فكان عَملُ شخصٍ آخر. مُهِمَتَهُ الآن أن ينتظر في محضر الآب، حتى الوقت المُحَدَد حيث يذهب قُدُماً ليُقابِل عروسَهُ. لا بُد أن الوقت بدا طويلاً، ولكن اليوم العظيم بزغَ أخيراً وذهب إسحاق ليُقابِل عروسَهُ ويقودها للبيت. "فَأَدْخَلَهَا إِسْحَاقُ إِلَى خِبَاءِ سَارَةَ أُمِّهِ، وَأَخَذَ رِفْقَةَ فَصَارَتْ لَهُ زَوْجَةً وَأَحَبَّهَا"[12]

لم تَكُن رفقة سارة، ولكنها شخصٌ آخر تماماً. الكنيسة ليست إسرائيل، مع ذلك فقد أُحضِرت إلى موضِعٍ قد كان لإسرائيل قبلاً. كِلا إبراهيم وإسحاق قد تأثرا بموت سارة؛ توصَف تَعزية إسحاق في الإصحاح 24 وإبراهيم في إصحاح 25.

لقد أُحضِرَت الكنيسة إلى موضِعِ امتيازٍ روحي قد أخليَّ حالياً من قِبل إسرائيل. الرب يسوع يجِد سرورَهُ بالكنيسة، العروس المدفوع ثمنها بالدم. لا تُعتَبَر إسرائيل عروس المسيح أبداً؛ فهي زوجة يهوه وفي اليوم القادِم، ستُرَمَم لمَوقِعِها المفقود كما يُصَرِح في تكوين 25، ولكن حالياً التركيز هو على المسيح وكنيسَتِهِ.

اليوم ينتظر الرب يسوع عن يمين الله، عملهُ قد أُكمِل وهناك يَجلُس في شَرِكَة مع الآب، أفكارَهُ ملأى بعمل الروح القُدُس الذي يفعلهُ في العالم. في إحدى هذه الأيام سينتهي الانتظار وسيقوم وسيمضي قُدُماً ليُلاقي عروسَهُ. ثُم سيُهتَف عالياً "هُوَذَا الْعَرِيسُ مُقْبِلٌ" (متى 6:25) يا لهُ من يَومٍ!

14. مَفَارِق الإيمانِ (25:1-11)

لقد وَصِلنا إلى آخر إصحاح من حياة إبراهيم، ويا لهُ من إصحاحٍ رائع. إنه من الشيء الرائع أن نرى رَجُلاً يقِفُ في الثَّغرِ لله بِكُلِ شجاعةٍ في عُمرِ الخامسة والسبعين وأن نراه ينفَصِل عن عائلَتَهُ، ويقلَعُ جُذورَهُ المُتَأصِلة عميقاً بثقافِة ما بين النهرين، مُبتَدِأً طَريقَ هُجرَتِهِ. ومن الأكثر روعة أن نراه بعد قرنٍ كامِلٍ مُثابِراً بذات القوة لله كما في اليوم الذي أُخرِجَ من أور. إنه شيءٌ رائعٌ أن تبدأ بشكل حَسَن؛ ولكن الأروع أن تنتهي بشكل حَسَن أيضاً، هذا ما فعلهُ إبراهيم.

أ. الرَجُل المُثمِر (25:1-4)

لقد مرَّ على وفاة سارة عشرون سنة أو أكثر، وبحسب بعض المؤرخين فقد توفيَّ سام في ذات السنة في عُمرٍ استثنائيٍ حقاً قُرابة الستمائة سنة وقد كان أخرَ نفسٍ حية تَذُكُرُ الطوفان[13]. وبِمَوتِ سام، بدأ إبراهيم يشعُرُ بِوِحدَتِهِ وعُزلَتِهِ كبطريركٍ مُهَاجِرٍ مُتَجَوِلٍ دون بيتٍ غريبٍ في أرضٍ عُهِدَت لهُ ولكن لم يَمتَلِكَها بعد. رُبما ذلك الشعور بالوحدة العظيمة أو رُبما صوت الله الواضِح المُرشِد قاد إبراهيم أن يتَخِذ قرارَهُ بأن يَتَزَوّج مرة أخرى.

1. قرار إبراهيم (25:1)

كان قرار إبراهيم مُهِماً، لأن ستة أولاد ولِدوا له الآن من ضِمنِهِم ميديان الذي من سُلالَتِهِ أتى المديانوين وأصبحوا أعداءً مُعتَبَرين لإسرائيل. اسم زوجَتَهُ الجديدة*قَطُورَةُ* ويا لهُ من اسمٍ جميل، الذي يعني "بخور" أو "التي تَصنَع البخور لتُشعِلَهُ". لا بُدَ أن حُضُورها كان مانِحاً للبركة إن عاشت بحسب اسمِها، لقد كانت امرأةٌ تُضفي عِطرها الخاص على كُلِ عملٍ وكُلِ ظرفٍ في الحياة، تطفو رائحة البخور حَيثُما ذهبت. لقد كانت مريم العهد القديم التي عندما كُسِرَت وسُكِبت قارورة طيبها تُعَبِئُ بيتها بالعِطر. نوَّد أن نعتقد بأن قَطُورَةُ كانت من نوع النساء التي حياتها تَجذُب الآخرين للعِبادة. تَرفع أفكار الذين حولها باتجاه السماء مِثل البخور المُتصاعِد، لا نستطيع أن نتساءل إن كان إبراهيم قد انجذب لامرأة كهذه بعُزلَتِهِ.

هناك طبعاً مغزىً أعمق، كما في قِصَة إسحاق ورفقة، الخيوط الذهبية لمَوضوعٍ أسمى وأرفع قد حُبِكَت في النسيج الخشن لزواج مُجَرد رجُل، فكيف لرَجُلٍ تقيٍ ونبيلٍ مثل إبراهيم. لدينا مُذَكرة في العهد الجديد لنرى دراسة الرموز هنا (عبرانيين 13:9)، سارة قد "شاخت واختفت" كما وضعها كاتِب العبرانيين. يملأ إسحاق ورفقة الصورة، والآن تأتي قطورة. بعد أن عَبُرَ العهد اليهودي للأعمال والخلاص الحصري، يملأ المسيح وكنيسَتَهُ المشهد. ولكن الكنيسة هي فترة فاصلة فقط بتعامُلات الله مع إسرائيل، كما تُوضِح رومية 11. لم يَنتَهِ الله من إسرائيل كشعب بعد ويَهدُف ليرَمِمَهُ لمَركزٍ مُثمِرٍ ومُبارِكٍ في المُلك الألفي.

تُمَثِل قطورة إسرائيل في الأيام القادِمة عندما يُصبِح الشعب مرةً أخرى قناةً للبركة لجميع البشرية. أولاد قطورة يُمَثلون تلك الشعوب التي تمتلك أدواراً خلال الألفية.

12. لاحظ الذِكر الأول والثاني للحُب في الكتاب المُقَدَس، في سفر التكوين 22 كان الذِكر الأول لِحُب الأب لابنه. هنا لدينا الذِكر الثاني للحُب-حُب الابن للعَروس. تصنيف (دراسة الرموز) الكتاب المُقَدَس مُتناسق.

13. القليل يُعرف عن سام، أين سَكَن وماذا فعل وحجم عائلته والقناعات التي كانت لديه. إبراهيم كان حَفيداً بعيداً لسام (حفيد-حفيد-حفيد-حفيد-حفيد-حفيد-حفيد-حفيد سام إذا كانت الكرونولوجيا كاملة) وعاش إبراهيم كُليَّ الوثنية في أور الكلدانيين المُزدَهِرة. إحدى الافتراضات أن سام وَمَلْكِي صَادِقُ هما ذات الشخص، مع أنه يوجد القليل من الإثبات على ذلك. ولكن إن كان ذلك صحيحاً وأن مَلْكِي صَادِقُ مَلِكُ شَالِيمَ هو سام طويل العُمر، إذاً إبراهيم لا بُد أنه قد شَعَرَ بخسارته على نحو مُضاعفٍ.

2. أحفاد إبراهيم (25:2-4)

حَصِلَ إبراهيم على ستة أبناء من قَطورة وسبعة أحفاد وثلاثة أبناء من الأحفاد، الذين دونَ الروح الله أسماؤهم هنا. لا بُد أن هذه لهذه الأسماء أهمية بما أنها وجدت مكاناً في النص المُقَدَس. نعلم القليل عن مصير هؤلاء الأحفاد لإبراهيم، المديانيون أصبحوا أعداءً فعالين ضد إسرائيل، ويُشاهَد شبا وددان يَتَخِذون طرفاً مع إسرائيل ضد جوج وماجوج في الأيام القادِمة. عدا عن ذلك نَعرف القليل أو لا شيء عن الست عشرة فرداً الذين كُتِبَت أسماؤهُم هنا.

غير أن أسماء الكتاب المُقَدَس دائماً لها أهمية. طبعاً علينا أن نتعامل برفق عندما نُحاول أن نُحَدد المعاني، ولكن نستطيع على الأقل أن نقترح اتِجاهاً للحقيقة من خلال ملامِح مُقَدَمة من قِبل أصحابِها. إذاً نُتابِع بحذر ونأتي أولاً *لِزِمْرَانَ*، اسمُه يعني "ترنيمة" أو "مُرَنِم". يكون الاستدلال أنه كان شخصاً سعيداً مع شيءٍ من ارتِفاع رغبة أَمِهِ لهُ، كان لديهِ روحٌ ملأى بأُغنية.

ثُم يأتي *يَقْشَانَ* وقيل أن اسمهُ يعني "صعب" "مُخزي". هذا يقود إلى الاستدلال المُبَرَر أنه كان رجُلاً يافعاً صعب التعامُل معهُ، وهو نوعٌ مُختَلِف تماماً عن أخيه الأكبر. إن كان المفهوم "مُخزي" يقول شيئاً، إذاً لا بُد أنه تَمَرَدَ تماماً ضد السلطة الأبوية وانغمسَ بحياة بلا قانون. الاسمين *مَدَانَ وَمِدْيَانَ* يعنيان ذات المعنى تقريباً، يُقال إن الإثنين يحمِلان مفهوم الدينونة، رُبما كِلا الولدين كانا مُتَمَرِدين أيضاً.

الاسم يِشْبَاقَ له معاني مُختَلِفة-"منبوذ" أو "فارِغ" أو "مهجور"، أيضاً هنا يبدو وجود تلميح للفشل وخيبة الأمل، وهذا استثنائيٌ في عائلة إبراهيم. من الصعب أن يَبدو إبراهيم قد فقد القُدرة على أن "يُسيطِر على أولادَهِ وأهل بيتَهِ"، وبالحقيقة أن النص يُوَضِح أنه كان مازال قادِراً على فرض إرادَتِهِ (25:6)، لابُد أن هناك أهمية أخرى وأعمق للأسماء. أخر الفتية كان شُوحًا، وأعطيَّ اسمَهُ كمعنى "هوة" "صُراخ" "إذلال".

كيف لنا أن نُعَلِل الشخصيات من خلال وحي الاسم؟ في المَوضِع الأول، كون الرجُل تقيٌ لا يضمن أن أولادَهُ سيكونون أتقياء. دون شك أن إبراهيم أصر على الطاعة من أهل بَيتِهِ، ولكن ليس هناك طريقة يستطيع بها أن يُشَرِع القدَاسة. كان إبراهيم رَجُلاً ذو روحَانية شامِخة، ولديهِ الفِطرة السليمة والمسؤولية الأبوية، جَهِدَت قطورة لأجل تأثير تعبُدي وسعيد. ومع ذلك ها هم ستة أولاد فقط واحِدٌ منهم يَبدو بأنه يُظهِر علامة للروحانية. أحدَهُم أصبحَ أباً لعِرقٍ وسِمَ في العهد القديم بالكُره العنيد لشعب الله، وآخر أصبح أباً لبِلْدَدُ أحد نُقَّاد أيوب الأكثر لذاعه بكلامِهِ.

ومع ذلك أحب الله هؤلاء الأولاد كما يُحِب جميع الناس، وكتب أسماؤهم في كلِمَتِهِ من أجل إبراهيم. ها هي أسماءٌ دون وجوه، تُحَدِق بنا من الماضي بشفاهٍ خرساء دون حياة تُحاوِل أن تتكلم معنا. ها هي أسماءٌ تنده لنا عِبرَ فراغ القرون، خصوصاً للذين منا قد ولِدو في بيوتِ آباءٍ مؤمنين.

ولكن المرء لا يستطيع إلا وأن يشعُر بوجود مغزى أعمق لهذه الأسماء. عندما نذكر أن قطورة تَرمُز بشكل نموذَجي لتَرميم إسرائيل لمَوضِع الشرف بعد نهاية الفترة الفاصِلة للكنيسة، إذاً أسماء أولادِها تحتَل مغزىً نموذَجياً أيضاً. يُشيرون إلى الأمام إلى الألفية، والتسلسُل الذي يظهرون بهِ يقتَرِح تاريخ شعوب الأمُم بعلاقَاتِهِم مع إسرائيل ومسيح إسرائيل خلال عصر الألفية[14].

ب. الرجُل البعيد الرؤية (25:5-6)

يُقَرر إبراهيم بحكمة عند قُرابِة ختام سني حياتَهُ أن يضمن خِلافِة العهد وأمان إسحاق. قام بأمرين هامين جِداً ليصل لهذه النتائج.

الأمر الأول المُسَجَل هو *التَخَلُص من ثَروَتِهِ* "وَأَعْطَى إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ" (25:5). شُرِعَ إسحاق على أنه وَريثَهُ وأصبح مالِكاً لجميع مُمتَلَكَاتِهِ. لم يَكُن هناك مكاناً لأي سؤال أو نزاع، إسحاق هو الوريث.

14. اسم *زِمْرَانَ* يعني "مُرَنِم" أو "ترنيمة"، هكذا سيبدأ عصر الألفية، ستبدأ بترانيم تسبيح للرب لأجلِ كُل ما صنعَهُ للأرض. ستدخُل ترنيمة أيزك واتس ست حيزها الخاص "بهجة للعالم، الربُ جاءَ، دَع الأرضَ تستقبلُ مَلِكَها!" الشعوب المُخلصة من قُطبٍ إلى قُطب ستُرَنِم تسابيح الحمل.
اسم *يَقْشَانَ* يعني "قاسٍ" أو "صعبٍ" أو "مُخزٍ"، بينما يَمُر الوقت سيولد أكثر فأكثر أولادٌ في عالم الألفية، ولن يَعرِفوا أبداً العالم الذي نعرِفهُ نحن، عالمٌ حُكمُهُ فاسد ويجتاحُهُ المَرض والحرب والغُبن الاقتصادي. سيَعرفون فقط الهبة السخية للأرض الألفية، السلام والازدِهار لحُكم المُخلص. ولكن هؤلاء الأولاد سيكونون أولاد آدم تماماً مثل أي ولد مولود اليوم، مثل الذين ولِدوا اليوم في بيوتٍ مسيحيةٍ مؤمنة في بعض الأحيان يكبرون بقسوة قلبٍ للإنجيل، لذا سيكبِرون بقسوة قلبٍ للمجد. سيكون هناك تَصرُفاتٍ لبعضٍ منهم التي حتى في ذلك العصر ستأتي بالخُزي.
إسمَيّ *مَدَانَ وَمِدْيَانَ* كِلاهما يدُلان على الدينونة. خلال العصر الذهبي سيملُك الرب بعصىً من حديد، والذين يتحدُّون سُلطَتَهُ سَيُدانون بعدلٍ بذات الحظة وغير مُفاجئة لهم. خلال الألفية سيكون الموت هو الحالة الشاذة بدلاً من أن يكون القاعدة، وبالأغلب عندما يَحدُث يكون نتيجةً للدينونة.
اسم *يِشْبَاقَ* يعني "فارغ" أو "منبوذ" أو "مهجور". عندما تقتَرب نهاية العصر الألفي سيزيد عدم الولاء، والمُتَمَردون المخفيون سيحتَشِدون أكثر فأكثر من أورشليم، مركز الأرض الألفية. وإطلاق سراح الشيطان من الهاوية سيُعطي هؤلاء المنبوذين نقطة تجمُع لانطلاق تَمُردِهِم المُشتَعِل. يبدو أن اسم يِشْبَاقَ بدلالاتِهِ المُقتَرَحة يُشير إلى الوضع الروحي للذين سينقادون لمعايير الشيطان عندما تُطلق.
يأتي *شُوحًا* آخر الأسماء والذي يعني "هاوية" أو "صُراخ" أو "إذلال". ألم يُطلَق الشيطان من الهاوية السحيقة؟ ألن يكون هناك صُراخٌ صاخبٌ بينما يجد أخيراً جموع الأشرار البطل الذي سيقودَهُم ضدَ مَلِكَهُم الذي يكرهونَهُ؟ وألن تكون النتيجة إذلالاً بينما تُجرَف جيوشِهِم بانفِجار الكوكب والاستدعاء اللحظي للعرش الأبيض العظيم؟

وهكذا أيضاً نقرأ عن المسيح أن الله عيَّنَهُ "وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ" (عبرانيين 2:1). صلى يسوع "وَكُلُّ مَا هُوَ لِي فَهُوَ لَكَ، وَمَا هُوَ لَكَ فَهُوَ لِي" (يوحنا 10:17). إنهُ وَريثَ الآب، مُشارِكاً الله في كُل شيء في الكون. ليس هناك نصلَ عُشبٍ أو قذى غُبار كوني، أو قطرة في خندقِ ماءٍ لا تعود لهُ، فهو يمتَلِكُها جميعها.

تالياً نقرأ بما يتعلق بإبراهيم عن *تشتيت عائلَتِهِ* "وَأَمَّا بَنُو السَّرَارِيِّ اللَّوَاتِي كَانَتْ لإِبْرَاهِيمَ فَأَعْطَاهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَطَايَا، وَصَرَفَهُمْ عَنْ إِسْحَاقَ ابْنِهِ شَرْقًا إِلَى أَرْضِ الْمَشْرِقِ، وَهُوَ بَعْدُ حَيٌّ" (6:25). لقد كانت حركة حكيمة لأنها ضَمِنت أن لا أحد سيُنافِس إسحاق على استحقاقاتِهِ في المُستقبل.

بذات النمط ضَمِن الآب أن المُستَقبَل يعود للمسيح، سيكون هناك مُنافسة على ادعاءاته على أنهُ وريث الله. في هذه الحياة يوجد بلا شك العديد من الاشخاص اللذين يتحدون ادعاء المسيح، ولكن بالمُستَقبل الجميع لهُ. لقد اهتم الآب بذلك (فيلبي 2:9-11).

اهتم إبراهيم، الرجُل البعيد الرؤية لمُستَقبل إسحاق ابنهِ. وهكذا أحضِرت بالكامل إرادَتَهُ السيادية لتَحمِل أمور المُستَقبَل.

ت. الرجُل الكامِل (25:7-11)

يبدو روح الله مُتردِداً بأن يَترُك قِصة الرجُل الذي أصبحَ "خليل الله"، فيتَريث عند المشهد الختامي. عَبَّرَ الله عن تقديرهِ لعابِديه

قبل زمن إبراهيم بكثير، ولكن هنا وفي كُل الأرض الملعونة بسبب الخطيئة، هل كان لله *خليل*؟ لذا يتوانى الروح حول فراش موت إبراهيم ويلمُس مرةً تِلوى الأخرى الأشياء التي حصَلَت بينما جَهَّزَ إبراهيم للرحيل إلى الوطن وإلى خَليلِهِ.

1. قياس أيام إبراهيم (25:7)

"وَهذِهِ أَيَّامُ سِنِي حَيَاةِ إِبْرَاهِيمَ الَّتِي عَاشَهَا :مِئَةٌ وَخَمْسٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً" (25:7). في ذلك الوقت كان عمر إسحاق خمسة وسبعون وعُمر يعقوب خمسة عشرة وعيسو خمسة عشرة، وكان عُمر عَابِرَ حفيد سام أربعمائة وستين سنة. ولِدَ إبراهيم بعد سنتين فقط من موت نوحٍ، وقد عاش من بعد موت مَحبوبَتِهِ سارة قُرابة النصف قرن. لقد دُعيَّ لدرب الهجرة عندما كان بعُمر الخمسة والسبعين، وسار المسار المُستقيم والضيق لمدة مائة سنة.

قال الله "وَهذِهِ *أَيَّامُ* سِنِي حَيَاةِ إِبْرَاهِيمَ" فبديهياً الحياة مُكَوَّنة من أيام. نقط الله في حِكمَتِه الزمن بهذه الطريقة، يُعطينا القوة لليوم، ونحن نحتاج أن نتعلم هذه الحقيقة لِلحسابات الإلهية. لقد عاش إبراهيم قُرابة ثلاثة وستين ألف يومٍ، وعاش مِنهم كرجُل مؤمن ستة وثلاثين ألف يومٍ. العيش مع الله هو أمر يحتاج أن نأخُذ الحياة كُل يومٍ بيَومِهِ ونُقيم حسابات دقيقة يومية مع الله. نحتاج أن نبدأ النهار معهُ باحِثين عن بركاتِهِ، ونختم اليوم معه باحِثين عن بركة رِضاهُ. إذاً حَسَبَ الله أيام حياة إبراهيم، قياس أيامِهِ.

2. موضوع موت إبراهيم (25:8)

"وَأَسْلَمَ إِبْرَاهِيمُ رُوحَهُ وَمَاتَ بِشَيْبَةٍ صَالِحَةٍ، شَيْخًا وَشَبْعَانَ أَيَّامًا، وَانْضَمَّ إِلَى قَوْمِهِ." (25:8)، لا يموت العديد من الناس بشيبة *صالحة*. سمع مرة واعِظاً صديقاً لي، أنه قيل إن ليس للشيطان رِجالٌ شُيَّب سُعداء، فقرر أن يضع هذه النظرية تحت الفحص وسأل كُل رجُلٍ أشيب إن كان سعيداً، ففشِلَ بإيجاد حتى واحِدٍ. مرةً ساعدَ رَجُلٍ مُسِن في حَملِ حقيبة ثقيلة إلى أعلى تلة الطريق، وسألَهُ سؤالَهُ الدائم بينما كان يفترق عنه "سيدي، هل أنت رجُلٌ كبيرٌ بالسن وسعيدٌ؟" فلَعَنَهُ الرجُل في وجههِ. وجدَ رَجُلاً عجوزاً سعيداً واحِداً-رجُلاً عجوزاً أعمى ساعَدَهُ في عبور الطريق. لم يَكُن مُتفاجِئاً باكتشافِهِ أن ذلك الرجُل الأشيب كان مؤمناً، ليس للشيطان رجالٌ شُيَّب سعداء. فهذا العالم هو سارِقٌ عظيمٌ، لا يسرُقُ الناسَ من شبابِهِم وصِحَتِهِم فحسب بل يَسرُقُهم من سلامِهم وفرحِهِم وبراءتهم وكُلِ شيءٍ.

عندما كان جدي على فِراش الموت، سألَهُ والِدي كيف حالَهُ، فقال: "لين، ليس للموت اعتِبار-بل الحياة ما يُعتَبَر! إن عِشت بالحق، تموت بالحق". تمنى بلعام أن يموت موت البار، ولكن لم يَكُن لديهِ أي رغبة في أن يعيش حياة البار، وبالطَبع لم يَمُت الميتة التي تمناها. تبدأ الشيبة الصالحة بصبوة صالحة وشبوبيه صالحة.

بالإضافة أنه مات شبعان، ترجمة الملك جيمز تقول إنه مات "ملآن سنين"، ولكن بالحقيقة النص يقول أنه مات شبعان، مات راضٍ، أو أفضل من ذلك مُتخَم. لقد عاش الحياة حتى ملئها، لقد كان مُفعَم، لقد حَصُلَ على كُل ما كان يستطيع أن يَحصُل، ليس فقط من غنى بركات الحياة، ولكن من الحياة ذاتها، لقد كان مُستَعِداً ليموت. يَجلُس شخصٌ على مائدة عشاء عيد الميلاد، وبالنهاية يدفع نفسه من

عن المائدة-شَبِعاً! لا يستطيع أن يأكُل أي شيء آخر، ولا حتى فُتات خُبز. لقد كان إبراهيم شبعان، شبعان حياة، راضٍ وأكثر من راضٍ، ثُم أخذ الله خَليلَهُ العزيز إلى الوطن. كما لو أنهُ قال: "والآن يا صديقي، تعال للأعلى هنا، لديَّ بُعدٌ جديدٌ للحياة لأضعَهُ أمامك وسيكون للأبد، والأبدية".

3. موضوع رغبات إبراهيم (24:9-11)

الله الآن، بنعمة عجيبة، على وشك أن يُمَجِد الثلاث رغبات العُظمة لقلب إبراهيم التي لا بُد وأنها كانت لدى إبراهيم.

كان هناك أمر رغبة أبراهيم *الأبوية* (25:9) "وَدَفَنَهُ إِسْحَاقُ وَإِسْمَاعِيلُ ابْنَاهُ". ماذا يُريد أكثر من ذلك الرجُل العجوز الصالح والشَبِع؟ ها هو إسماعيل ابن الجارية، الفتى العزيز الذي أضطرَ أن يَطرُد منذُ سنين طويلة، أتى إلى بيتِهِ كي يَدفُن أباه العجوز. بالإضافة، قد دُفِن الآن أي كُرهٍ يَكُنَهُ لإسحاق. يظهر الاثنان بأنهما يتصرفان بانسجامٍ كامل عند مكان قَبرِ البطريرك.

كان هناك أمر رغبة أبراهيم *الشخصية* (25:9-10) "وَدَفَنَهُ إِسْحَاقُ وَإِسْمَاعِيلُ ابْنَاهُ فِي مَغَارَةِ الْمَكْفِيلَةِ فِي حَقْلِ عِفْرُونَ بْنِ صُوحَرَ الْحِثِّيِّ الَّذِي أَمَامَ مَمْرَا، الْحَقْلِ الَّذِي اشْتَرَاهُ إِبْرَاهِيمُ مِنْ بَنِي حِثٍّ .هُنَاكَ دُفِنَ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَةُ امْرَأَتُهُ." إن كان لِدى إبراهيم رغبة شخصية واحِدة، لكانت أن يَرقُد لنهاية الزمن بجانِب مَحبوبَتِهِ سارة، ومنح الله تلك الرغبة أيضاً.

أخيراً، كان هناك أمر رغبة إبراهيم *البطريركية* (25:11) "وَكَانَ بَعْدَ مَوْتِ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ اللهَ بَارَكَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ .وَسَكَنَ إِسْحَاقُ عِنْدَ بِئْرِ لَحَيْ رُئِي". قد تُمِمَت رغبة إبراهيم كبطريرك أن يؤكَد عهد البركة لإسحاق. وهكذا بالنعمة، تمم الله أمنيات فراش الموت لخليلِهِ.

ث. الرجُل العقيم (25:12-18)

في إبقاء موسى لمنظوره التاريخي الطبيعي، أبقى نظرَهُ في الإصحاح 25على السُلالة المسيانية. وفي التعامُل مع علم الأنساب في التكوين، فرَّق بشكل ثابت السُلالات المُلازِمة وأزالهم عن الطريق قبل أن يتعقب السُلالة الرئيسية لاهتمامِهِ. وهذا ما فعلهُ هنا، يُكَمِّل قِصة إسماعيل ويُبعِدُهُ عن الطريق قبل أن يُرَكِز على قِصة إسحاق. في الواقع أن إسماعيل لم يَمُت في هذه المرحلة من القِصة، ولكن تم تسجيل حياتَهُ وموتَهِ هنا بهذه الطريقة لتخلوا الأرض أمام موسى ليُتابع بالفكرة الرئيسية.

لقد وعد الله إبراهيم أن ابن الجارية لن يُترَك دون بركة، وبما أن أسماعيل رفض بازدراء الأمور الروحية بسُخريَتِهِ لإسحاق، لم يستطع الله أن يُبارِكَهُ ببركات روحية، ولكن منحه بركاتٍ زمنية.

ها هو رَجُلٌ غنيٌ ومُزادٌ بالأملاك شاعِراً بعدم احتياجِهِ لأي شيء، وها هو ذات الرَجُل مُعدَمٌ من الغنى الروحي وفقيرٌ وبائسٌ وتعيسٌ وأعمى وعاري في الأمور التي لها الحساب الأسمى. أوجَدَ إسماعيل أثني عشر سبطاً مِثلَ يعقوب، ابن شقيقِهِ من أمٍ أخرى. خرج الشعب العربي من هذه الأسباط الذين قدموا الكثير، رُبما أكثر من الأغلبية، لثقافة العالم وقساوة العالم. تجارة العبيد الأفارِقة البشعة كانت من عمل العرب لحدٍ كبير. الظلام الروحي السحيق للإسلام هو تقدِمة أخرى للعرب لمصائب العالم. وإلى اليوم وبكُل إصرار يُتابِع الرصيد الإسماعيلي على كونِهم ألد أعداء لإسرائيل.

1. روابِط عائلة إسماعيل (25:12-15)

يتم تسجيل هنا شجرة عائلة إسماعيل وذُريَتَهُ، يبدأ الروح القُدُس بتسجيل *ولادة* إسماعيل *البارزة* "وَهذِهِ مَوَالِيدُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، الَّذِي وَلَدَتْهُ هَاجَرُ الْمِصْرِيَّةُ جَارِيَةُ سَارَةَ لإِبْرَاهِيمَ." (25:12). سارة وهاجر وإبراهيم-والأخير يُذكر مرتين! يبدو التركيز واضح على الحقيقة أن ليس لإسماعيل عُذراً لرفضِهِ لله، لقد ولِدَ لعائلة ذات امتياز فريد من نوعِهِ. بين جميع الآلاف التي لا تُحصى من العائلات على الأرض في تِلك الأيام، المُغلَّفة بالظلام الوثني والمُعتقدات الخرافية، كان امتياز إسماعيل الاستثنائي أن يولد في بيت حيثُ حقيقة الله كانت معلومة ومُطاعة. لقد ولِدَ لرَجُلٍ أصبح معروفاً في الكتاب المُقَدَس "بخليل الله".

طبعاً لن يتظاهر أحد بعدم وجود احتِكاكات في ذلك البيت، لقد كان هناك تشابُكات وعُقَد مؤسفة ونكايات تافِهة ومُشاحنات، بالأخص فيما يتعلق بالامرأتين. ولكن ليس هناك من شك أن إبراهيم العجوز البار قد أحب ذلك الولد وفعل كُل ما يستطيع الأب أن يفعلهُ ليؤمن له تِلك البركات الروحية التي لا يستطيع إلا الله فقط أن يُعطيها. ولكن كان إسماعيل مُتَمَرِداً، واستاء من ولادة إسحاق وكُل ما عنت ولادَتَهُ للمُستَقبل. لم يستطع أن يرى أي شيء في إسحاق إلا ما بدى لهُ بأنه أخذ المكانة الأولى في عاطفة الأب التي كانت في يومٍ من الأيام حصريةً لهُ. لم يَستطع إسماعيل أن يرى أي شيء من هدف الله الأبدي المُتَمَركِز في إسحاق وبالتالي من خلالِهِ للمسيح، لقد كان أعمى بالعمى الكامِل لرَجُلٍ طبيعيّ للحقيقة الروحية. تخصص إسماعيل بنموهِ في ذلك البيت البطريركي، بالسلبيات والأخطاء

والسقطات وعيوب الآخرين، لقد نما ليُصبح مُراهِقاً مُتَمَرِداً، كما نقول "مطفئ" للأمور الروحية. لم يُرد أن يكون لهُ أي علاقة بأي بركة تأتي من خلال إسحاق.

ومع ذلك أحب الله إسماعيل بقَدر ما أحب إسحاق وقلبَهُ حَنَّ على الشاب اليافع المُتَمَرِد، مرة تِلوى الأخرى يَنتَشِل الله اسمَهُ ويكتُبُهُ في كِتابِهِ، ثم يضعهُ جانِباً بِحُزنٍ على ما يبدو. بالرغم من جميع امتيازات ولادَة إسماعيل وتَدريبَهُ، لم يُريد أية علاقة بأي مَسيّا آتي يُصبِح بسببهِ مُضطراً أن يَعتَرِف بإسحاق. سَخِرَ من إسحاق وقد كان عنيداً في تَصَلُّبِهِ كما هُم أحفادُهُ إلى اليوم تِجاه الخلاص "الآتي من اليهود".

ولكن هناك المزيد، لم يكُن فقط لإسماعيل إبراهيم والداً بل كان لديهِ هاجر أماً، وهاجر كانت تَعرف الله. كِل من إبراهيم وهاجر بدأنَ حياتهما وثنيان، تَعَرفَ إبراهيم على الله في مُدُن بابل المُزدَهِرة والبعيدة؛ وهاجر قابَلَتهُ في البرية على حدود مِصر، وأصبحت هاجر مؤمنة بقدر إبراهيم بعد مُقابَلَتها مع الله الحيّ. إيمانها قد غير تصرُفاتِها وأرجعها لتسكُن، الفترة التي تُريدها، تحت غطاء إبراهيم. إسماعيل كان بلا عذر على الإطلاق، مع أنه على الأرجح قد أمتعض من سارة وكان هناك مرارة تجاه إبراهيم، لم يَكُن لديهِ إي سبب في العالم ليرفُض شهادة أمَهُ.

بُورِكَ إسماعيل بولادة مُعتَبَرة وكَبُرَ رافضاً لكُلَ ما رمزَ لهُ إبراهيم، بتعبير روحي بحت. لا يوجد أي إشارة في أي مكان أن إسماعيل خضعَ لأهداف الله الأزلية في المسيح أو أنه تعَرَفَ على الله بذاتِهِ. لم يَستطع إلا وأن يَعرِف عن الله، حيثُ أن ظروف ولادَتِهِ ونُشوئهِ اهتما بذلك، إلا أنهُ لم يتَعَرَف على الله بذاتِهِ.

ثم يتكلم الكتاب المُقدَّس عن أولاد إسماعيل العديدين "وَهذِهِ أَسْمَاءُ بَنِي إِسْمَاعِيلَ بِأَسْمَائِهِمْ حَسَبَ مَوَالِيدِهِمْ..." (25:13-15) ثُم يتبع ذلك لائحة بالاثني عشر أجمع. لماذا يأخُذ الروح القُدُس وقتاً ومساحةً ليُسَجِل هذه الأسماء؟ على سبيل المثال، لماذا لا يقول ببساطة أنه كان لإسماعيل اثنا عشرَ ولداً وينتهي؟ مُعظم أجزاء التاريخ الواقعي لهؤلاء الأولاد أصبح غير واضِح منذُ زَمَنٍ بعيد إن لم يَكُن قد نُسيَّ بشَكِلٍ كامل. في الواقع أن الباحِثين قاموا ببعض المُحاولات لإيجاد المواقع في الشرق الأوسط حيثُ تمركزَ أولاد إسماعيل أخيراً، ولكن النتائج ضئيلة وغير مؤكدة وغامِضة.

لقد رأينا من قبل أن الأسماء في الكتاب المُقَدَّس لها أهمية في أغلب الأحيان، حتى تنبؤيه. في بعض الحلات الجديرة بالمُلاحظة (متوشالِح على سبيل المِثال ويعقوب ولِمَهَيْرَ شَلاَلَ حَاشَ بَزَ) تاريخ المُستَقبَل بأكمَلِهِ قد تَغلف باسمٍ، وبأكثر الأحيان ليس مُستَقبل الفرد فقط ولكن جميع الشعب. لقد قُدِمَت أسماء أولاد إسماعيل بتسَلسُل خاص؛ من المُفتَرَض بحسب ولادَتِهِم ولكن ليس بالضرورة، لقد ارتبطوا ببعضِهم البعض بطريقة غريبة. الأسماء السبعة الأولى مُرتَبِطة ببعضها البعض باستخدام "Polysyndeton" (أي الاستخدام المتكرّر لحرف العطف "وَ") وهي أداة أدبية استُخدِمَت دائماً من قِبل الروح القُدُس للتشديد الخاص، ثم يُستغنى عن الأداة ويُعاد استخدامُها مرة أخرى لوصل الاسمين التاليين معاً. وأخيراً تُختَتَم اللائحة بالثلاث أسماء غير مُتَصِلة على الإطلاق بالأداة "Polysyndeton". لا بُد من وجود سبب لهذا التكوين البُنيَوي.

لا يستطيع الفرد إلا وأن يُفتَن بالطريقة التي يَكتُب بها الروح القُدُس الأسماء العديدة في الكتاب المُقَدَّس. بالطبع إن كُنا نؤمن بشكِلٍ مُطلق بالوحيَّ الشفهي للكتاب المُقَدَّس، فتِلك الأسماء موجودة لسبب، كُل كلمة على حِدة هي من نَفَس الله ومُثمِرة. لا نستطيع أن نُهمِل هذه الأسماء بخفة أو نعتَبِرهم مُجرد كتابة وصلة ضرورية لسلسلة. حيثُ إلى أين تقود هذه الوصلات المُعَيَّنة؟ تعقُبِها من هنا سيكون استطراداً لا مُبررَ لهُ، ولكن يُمكن أن تُكَوّن قضية للأهمية النبوية لأسماء أولاد إسماعيل الاثني عشر.

أصبح إسماعيل مُتَفَوِّقاً بشؤون البشرية لسبب واحد مُهِم -الإسلام. الدين الإسلامي هو الدين الذي يتوقع له المرء أن يطفو من خُضَّم شعبٍ يَنحَدِر من إبراهيم التوحيدي ومن خلال شعبٍ ذي قرابة كَتيمٌ للشهادة اليهودية والمسيحية سواء. مُحتَقِرٌ للمسيح، لما لا نختَرِع مسيحاً لذاتنا؟ هذا تماماً ما تتوقعَهُ من سُلالة إسماعيل. يبدو أن الإله الذي اهتم بإسماعيل بقدر ما اهتم بإسحاق قد كتب تحذيراً مُقَنعاً ضد الإسلام في كَلِمَتِهِ من خلال كتابة أسماء أولاد إسماعيل بالتسلسُل والترتيب. تماماً مِثل أهمية أسماء أولاد قطورة، كذلك أسماء أولاد إسماعيل. يُشَكِلون فصيلةً من النبوءة، وبجَمعِهِم معاً يكشفون قِصَة الإسلام-كارِثَتَهُ الروحية العظيمة ونُصرَتَهُ الاجتِماعية العظيمة وصلابَتَهُ الدُنيَوية العظيمة.

2. انتصارات إسماعيل الخمسة (25:16)

أسماء! مُدُن! قِوى! أُمراء! شعوب! وضع إسماعيل بصمَتَهُ على العالم، يُسلط أولاً الانتِباه على *الشعب* الإسماعيلي. لقد صنع هو وأولادهُ وسُلالَتهُ اسماً لأنفُسِهم، من الواضح أن أسماء هؤلاء الرجال كانت أسماء لا يُستهان بها في ذلك العالم القديم. أسماء العرب هي أسماء لا يُستهان بها عندما خرج مُحَمَد من عِزلة الصحراء العربية بحشدٍ من الجنود المُتَعَصبين لكسر قِوى الغرب، كاسِحاً شمال

أفريقيا وسحق قلب إسبانيا. أسماء العرب وأسماء العُلماء العرب أصبحت مشهورة في العالم عندما تمرغت أوروبا ثقافياً وعلمياً في ظلام العصور المُظلمة. أسماء العرب هي أسماء لا يُستهان بها حتى اليوم.

يتم لفت النظر إلى *الأماكن* الإسماعيلية. بينما غزت الحشود الإسلامية العالم المُتَحَضِر، أصبحت العواصِم الإسلامية قِوى عُظمة مركزية للكُرة الأرضية وبقيت كذلك لعصور عديدة. القاهرة ودمشق وبغداد، هذه هي الأماكن التي بها تمت التشريعات وحيثُ العلم والفن ازدهرا.

يُلفت النظر إلى *القِوى* الإسماعيلية. كان العرب هم أول من طعنَ في أفريقيا السوداء واستغلوا الموارِد البشرية للقارة. إن العرب هم من يحجِزون العالم للفدية اليوم، البلاد الصناعية العظيمة في أوروبا واليابان وحتى الولايات المُتَحِدة الجبارة على جميعهُم أن يَتَعاملوا برِقة بسبب الاحتِكار العربي المُحتمَل لموارِد النفطية العالمية. قدمَ الدولار-البترولي العربي للعرب دُفعة جبارة لمركِز عظيم في القِوى الاقتصادية حتى أن دُويلات صغيرة عربية تستطيع أن تبتز قِوى صناعية عظيمة (مثل اليابان على سبيل المِثال) وتُطالِب بمواقِف موالية للعرب فيما يتعلق بشؤون العالم كتقدِمة لبيع البترول. يُحظَر البترول العربي وتُهَدد كُل الدول الصناعية بارتِفاع الأسعار والعالم ذاتَهُ يُهَدد بتضخُم اقتِصادي لا يُمكن السيطرة عليه. يُمَول الدولار-البترولي العربي عُمق التغلغُل الإسلامي لأفريقيا السوداء. تواجِه الكنيسة في أفريقيا أعظم تَحِدٍ لوجودِها منذُ أن محا حشود الإسلام الأول المسيحية في الشرق الأوسط وتركيا وشمال أفريقيا. خمسون سنة قبلاً، لم يَكُن لأحد أن يتوقع طفرة جديدة كهذه لقوى العرب.

يُلفَت النظر إلى *الأُمراء* الإسماعيليين. سيطرَ شيوخ وخُلفاء العالم العربي على الشؤون البشرية الدولية في أيام ذُروة الفتوحات العربية. حَجَّموا المسيحية في أوروبا ووقفوا منفرجيّ الساقين على جميع الطُرُق المؤدية للتوسُع عن طريق القِوى الغربية. القِلة من الدول اليوم يتجرؤون أن يتَخِذوا أية حركة ذات أهمية دون الحساب أولاً كيف ستكون ردة الفِعل لقادة العرب. فجأةً، شيوخ ورؤساء بلاد عربية صغيرة أصبحوا زعماء أقوياء عالمياً وأصواتُهُم لها آذان صاغية ومؤتمراتِهِم مُتابَعة في جميع عواصِم العالم.

يُلفت النظر إلى *الأملاك* الإسماعيلية، وبالأخص إلى البلاد المُسيطر عليها الشعب العربي. يُسيطرون على البلاد الأكثر حيوية وحساسية وغنى على الكُرة الأرضية. استطاعت إمبراطوريتي بريطانيا وفرنسا أن تُحافِظا على ذواتِهما لفترة طويلة بسبب تحَكُمِهما بالأراضي العربية. لقد تضاءل النفوذ البريطاني والفرنسي في العالم تقريباً بقدر خِسارَتِهم لنفوذهِم في أراضي العرب. خرجت بريطانيا من مِصر وفلسطين والأردُن والعراق وعدن ومشيخات (القبائل العربية) الخليج العربي، وبناءً على ذلك انتهت بريطانيا بكونها قوة عالمية. تعلم روسيا الأهمية الاستراتيجية لهذه الدول العربية وتنظُر إليها كمُفتاح لسيادة العالم، أعظم رصيد لروسيا في الشرق الأوسط هو اشتِراك العرب والروس في كُره اليهود. المُنحَدِرون من إسماعيل لديهُم تقريباً كُل استعداد لدفع أي ثمن ومُواجَهة أي مُخاطرة لإشباع رغبات ذلك الكُره. هذه إذاً الانتصارات الخمسة لإسماعيل، جميعُها انتصارات جسدية وعالمية. يُظهِر التاريخ كيف تَمَتَع إسماعيل بالقدر الكامل بكُل ما وعدهُ بهِ الله، ولكن روح الله يُدَوِّن انتصارات إسماعيل بأضأل طريقة مُمكِنة، ولا يصرف وقتاً عليها ولا يتوسع بها إطلاقاً، لذلك ليس لنا أن نُعجَب بها. ولكن الروح القُدُس سيُخَصِص إصحاحاً تلو الإصحاح ليُخبِر عن تِجوال يعقوب وخمسة وعشرون بالمئة من التكوين ليُخبِر عن يوسف ولكن كُل انتصارات إسماعيل يُمكن التخلُص منها من خلال درزن من الأسماء وبقَدرهم عددٌ من الكلمات. كما لو أن الله يقول "أما أسماعيل، فقد حَصُلَ على الأشياء الحسنة، ولكن في ضوء الأبدية لا تُساوي حتى فِكرَةٌ أخرى".

3. مأساة إسماعيل الأخيرة (25:17-18)

في ختام ما كان لِدى الله أن يقول عن إسماعيل، روح الله يُلفِت النظر إلى طبيعة *وفاة* إسماعيل *المؤسفة*. "وَهذِهِ سِنُو حَيَاةِ إِسْمَاعِيلَ : مِئَةٌ وَسَبْعٌ وَثَلاَثُونَ سَنَةً، وَأَسْلَمَ رُوحَهُ وَمَاتَ وَانْضَمَّ إِلَى قَوْمِهِ." (25:17). ها هو، مُجَرَد تسجيل وفاتَهُ ودَفنَهُ دون تزين وجاف ونهائي، لا تَرَيُث حول "أيامِهِ"؛ ذكِر السنين يَكفي. موت ودفن إسماعيل هو بتبايُن مقصود مع موت ودفن إسرائيل، حيثُ يجمع يعقوب (تكوين 49) أولادَهُ الاثني عشر حول فراش موتِهِ أيضاً ويسكُب قلبهُ لهُم من خلال عِباراتٍ روحية لأن لكُلِ واحِدٍ منهم كلِمة من الله قبل مَوتِه. لا يُسَجِل الكتاب المُقَدَس أي شيءٍ قيل لأولادِهِ على الإطلاق، مات كما عاش، مُفلِساً روحياً غيرَ تارِكٍ أي شيء ذي قيمة أبدية لأولادِهِ. هذه هي الطبيعة المؤسِفة لموتِهِ.

يُلفت النظر أخيراً إلى الطبيعة *العلمانية لرغباتِهِ*. "وَسَكَنُوا مِنْ حَوِيلَةَ إِلَى شُورَ الَّتِي أَمَامَ مِصْرَ حِينَمَا تَجِيءُ نَحْوَ أَشُّورَ .أَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ نَزَلَ" (25:18). مِصر وأشور كانتا القِوى العظيمة لتِلك العصور القديمة. وقفت كِلتاهما للعالم-مِصر للعالم بذكائها وأشور للعالم ببطشها. لم يَسكُن إسماعيل في مِصر ولا في أشور، ولكن رغباتَهُ كانت لِكِلتيهِما. عاش قُريباً منهم بقدر المُستطاع وشكَلَ حياتَهُ بحسب نمَطِهِم. كان ذلك نقش الله على ضريح حياتِهِ.

"نَزَلَ" الكلمة تعني "سَقَطَ أرضاً" يَدُل ذلك على أنه "قد حَصِلَ على نصيبَهُ" في مَحضَر إخوتِهِ. وفي النهاية، العالم الذي أَحَبَهُ والذي عاش من أجلِهِ والذي رَغِبَهُ بشِدة انزلق من قَبضَتِهِ. انطلقَ إلى عالمٍ لم يَكُن مُستَعِداً لهُ إطلاقاً وبالاتجاهٍ لم تَكُن لهُ رُغبه أبداً.

الفصل – 6 المُهاجِر: إسحاق (25:19-27:46)

1. إسحاق وأولادَهُ (25:19-34)
أ. التوأمان في الرحم (25:19-26)
1. الزوجة العقيمة (25:19-21)
2. الحرب السرية (25:22-26)
ب. التوأمان في العالم (25:27-34)
1. الصراع المتزايد (25:27-28)
2. المواجهة العظمى (25:29-34)
2. إسحاق وسلوكه (26:1-35)
أ. مسير إسحاق (26:1-5)
1. المشكلة الصعبة (26:1)
2. الحظر الإلهي (26:2أ)
3. بوعد مؤكد (26:2ب-5)
ب. زوجة إسحاق (26:6-11)
1. الكذب كان جاهزاً (26:6-7)
2. قد كُشِفت الكذبة (26:8-11)
ت. ثراء إسحاق (26:12-16)
1. كان رجلاً ثرياً (26:12-14أ)
2. كان مستاءً (26:14ب-16)
ث. آبار إسحاق (26:17-22)
1. ماذا استعاد إسحاق (26:17-18)
2. ماذا أدرك إسحاق (26:19-22)
ج. عبادة إسحاق (26:23-25)
1. الوحي المهم (26:23-24)
2. الجواب المباشر (26:25)
ح. شهادة إسحاق (26:26-33)
1. اسلوب تعامل العدو (26:26-27)
2. استئناف العدو (26:28-29)
3. ترضيت العدو (26:30-33)
خ. خوف إسحاق (26:34-35)
3. إسحاق وبركته (27:1-46)
أ. الأب الغير روحي (27:1-4)
1. مخاوف إسحاق (27:1-2)
2. جسدية إسحاق (27:3-4)
ب. الزوجة التي لا تستسلم (27:5-10)
1. قرار رفقة (27:5-7)
2. خداع رفقة (27:8-10)
ت. الأخ المجرد من المبادئ (27:11-33)
1. سلوك يعقوب المشكوك فيه (27:11-27)
2. بركة يعقوب المسروقة (27:28-33)
ث. الابن الغير مخلص (27:34-46)
1. عيسو المتقد بالندم (27:34-35)
2.استياء عيسو العنيد (27:36-37)
3. مطلب عيسو المُلِح (27:38-40)
4. قرار عيسو المتهور (27:41-46)

الفصل 6

المُهاجِر: إسحاق

1. إسحاق وأولادَهُ (25:19-34)

قصة إسحاق مرفقة بطريقة او بأخرى إما بقصة ابراهيم أو إسماعيل او يعقوب. هناك فصل واحد فقط في سفر التكوين مخصص بشكل كامل لإسحاق وتجربته الخاصة. من اجل نظرة عامة قد نُقسِّم قصة اسحاق كالتالي-(1) إسحاق واخوه (25:12-18)؛ (2) اسحاق واولاده (25:19-34)؛ إسحاق وسلوكه (26:1-35)؛ وإسحاق وبركته (27:1-46).

ليس هناك فاصل في السرد ينتقل من أمور اسماعيل الى شؤون إسحاق. الاستخدام المتميز والمتكرر لحرف العطف واو (لئلا يكون أحد زانيا او مستبيحا كعيسو الذي لأجل اكلة واحدة باع بكوريته) يستمر بطريقة صحيحة مع ايقاع "و" "و" "و." "وَهذِهِ سِنُو حَيَاةِ إِسْمَاعِيلَ ... وأَسْلَمَ رُوحَهُ وَمَاتَ وَانْضَمَّ إِلَى قَوْمِهِ. وَسَكَنُوا مِنْ حَوِيلَةَ... أَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ نَزَلَ. وهذِهِ مَوَالِيدُ إِسْحَاقَ... وكَانَ إِسْحَاقُ ابْنَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَمَّا اتَّخَذَ لِنَفْسِهِ زَوْجَةً." قبل أن نعرف، قد انتقلنا من حياة الى اخرى. إسماعيل وكل شؤونه قد صُرِفَ النظر عنها كما لو أن روح الله يعود الى الوضع الاصلي للوحي الالهي، الى قصة ابراهيم وإسحاق ويعقوب، الى القصة التي تقود الى بيت لحم والجلجثة وأرض ما وراء السماء.

حتى الآن، مع أنه لا يوجد أي فاصل في ايقاع القصة، وعلى الرغم من ثباتها على نفس الوتيرة، يتابع التقدم المتأني بدون توقف. هناك حاسة واحدة غير مسموعة تشتاق للتحرر. هناك الكثير لإسماعيل! ولكن الآن لننظر الى إسحاق! لننظر من جديد الى الرجل الذي ذهب الى المريا ليقدم نفسه كذبيحة حية الى الله.

القسم الذي يُفتَتَح امامنا من القصة يخبر عن ولادة الصبي إسحاق. لدينا هنا أول تسجيل في الكتاب المقدس عن ولادة توائم. ليس هناك أي شيئاً متطابق عن هذين التوأمين، لا عن الشكل ولا عن التشابه. في الواقع، سيكون من الصعب إيجاد تباين أعظم من ذلك الموجود بين عيسو ويعقوب. وُجِدَ هنا طفلان، ولدا بنفس الوقت وبنفس المكان، من نفس الابوين، لنفس الميزات والفرص. ومع ذلك ومنذ البداية أحدهما ينطلق نحو تعثره الخاص في طريق خاطئ لإرضاء الله والآخر ينطلق لإرضاء نفسه. أحدهما حُكِمَ بالرؤيا السماوية والآخر بالأمور الارضية والجسدية. "الَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ رَجُل-كُتِبت كلها عن عيسو، بَلْ مِنَ اللهِ." (يوحنا1:13).

في الاصحاح 25 نرى الطفلين اولاً في الرحم ثم في العالم. التنافس بينهما كان قوياً جداً لدرجة أننا وعلى نحو غريزي نشعر بأن هناك شيء ما أكثر يضاف للقصة من مجرد تسجيل ولادة توأم-هناك تنافس محلي قوي. نَجِّسْ أن الروح القدس لديه حقيقة أعمق ليعلمها من مجرد ذلك. نجد ما نبحث عنه في كلمات بولس الى اهل غلاطية: "لأَنَّ الْجَسَدَ يَشْتَهِي ضِدَّ الرُّوحِ وَالرُّوحُ ضِدَّ الْجَسَدِ، وَهذَانِ يُقَاوِمُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ، حَتَّى تَفْعَلُونَ مَا لاَ تُرِيدُونَ" (غلاطية5:17). الصراع بين عيسو ويعقوب عكس الصراع بين الجسد والروح.

أ. التوأمان في الرحم (25:19-26)

1. الزوجة العقيمة (25:19-21)

يعود الصراع الى ما قبل ولادة الصبيين لرفقة نفسها. لقد بدأت المشكلة مع الزوجة العقيمة. "هذِهِ مَوَالِيدُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ: وَلَدَ إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ. وَكَانَ إِسْحَاقُ ابْنَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَمَّا اتَّخَذَ لِنَفْسِهِ زَوْجَةً، رِفْقَةَ بِنْتَ بَتُوئِيلَ الأَرَامِيِّ، أُخْتَ لاَبَانَ الأَرَامِيِّ مِنْ فَدَّانَ أَرَامَ." انتباهنا قد جذب فوراً الى *نسب رفقة* (25: 19، 20). لقد تعيَّن بتناقض ملحوظ مع ما لإسحاق. كان إسحاق الولد المحبوب كثيراً لإبراهيم؛ لا عيب في نسبه. ولكن رفقة شُوِهَت، فلم تولد بنفس الطريقة المعجزية التي ولد فيها إسحاق، الوارث لهكذا امتيازات بارزة، سليلة أسرة مثل أسرته. لقد ولدت لقبيلة وثنية. العضو الوحيد من عائلتها الذي ارتفع لأي درجة من الشهرة كان اخوها، وقد كان نذلاً

من غير مبادئ. نسب رفقة يقول لنا اننا لا نستطيع أن نتوقع كثيراً من ولادتنا الطبيعية. رفقة اخذت خطوة إيمان عظيمة وحَّدتها مع الابن المحبوب للآب ووضعتها في عائلة الله، ولكن حتى الآن نسبها الطبيعي كان موضع قلق، الروح القدس يبدو انه يسجل حالاً بأننا لا نستطيع أن نتوقع اي شيء من ذلك. "المولود من الجسد جسد هو."

ثم نلاحظ *مشكلة رفقة*. "وَصَلَّى إِسْحَاقُ إِلَى الرَّبِّ لأَجْلِ امْرَأَتِهِ لأَنَّهَا كَانَتْ عَاقِرًا، فَاسْتَجَابَ لَهُ الرَّبُّ، فَحَبِلَتْ رِفْقَةُ امْرَأَتُهُ." (25: 21). ينسج الروح القدس الحق الروحي بمهارة بارعة بل أكثر من المعتاد وأكثر ألفة للأحداث الطبيعية.

ارتباط رفقة بقرار واختيار مع الابن المحبوب للآب، والتزامها بالكامل به، يوضح، كما رأينا سابقاً، العلاقة بين المؤمن والمسيح. لقد اتحدت بالمحبوب بالارتباط الاكثر حميمية وقدسية. ومع ذلك، لقد كانت عاقراً. حقيقة إعطاء نفسها لإسحاق لم تضمن لها الإثمار وكذلك قبول المسيح كمخلص لا يضمن الروحيات والاثمار لله. هناك العديد من المسيحين، مُخَلَصين حقاً، مرتبطين حقاً بالإيمان الخلاصي بالرب يسوع، ويبقون عاقراً روحياً ولا يقدمون اي ثمار دائمة لله. مشكلة رفقة هي مشكلتهم، فهم عاقران.

العقم لم يكن في إسحاق؛ النص يوضح ذلك بطريقة صريحة، فالمشكلة تكمن في رفقة وليس في إسحاق. إذا تابعنا مشكلة عقمنا الروحي الى مصدرها المناسب يجب أن نعترف أن المشكلة تكمن فينا وليس في المسيح. هو كل ما يجب أن يكون؛ الحق من دون شك. فشَلنا بأن نحقق أثماراً لا يمكن أن يقودنا الى بابه، يجب أن يُقاد الى بابنا. رفقة وبالرغم من علاقتها بالابن المحبوب للآب، لم تستطع أن تجلب أثماراً لنفسها. كان لا بد أن تحصل في حياتها مُعجزة قبل أن تستطيع إحضار حياة جديدة. الجسد لا يصبح شيئاً غير جسد. إسحاق عرف المشكلة وابتدأ بالحل بأن توسط لأجل رفقة، لذلك نقرأ: "وَصَلَّى إِسْحَاقُ إِلَى الرَّبِّ لأَجْلِ امْرَأَتِهِ لأَنَّهَا كَانَتْ عَاقِرًا" لم يلُم رفقة، بينما الخطأ يقع عليها، لم يكن خطأها بتاتاً، لقد ورثت الموت في رحمها. كما انه لا يوجد شيء في طبيعة الإنسان تجعله قادراً على حمل الثمار الروحية؛ نحن ورثنا العقم على طول الخط. ولكن، كما توسط إسحاق لرفقة، كذلك توسط الرب من اجلنا. لقد حمل خدمة تواسطية نيابة عنا عن يمين الآب. هذا هو الحق في يوحنا 14-17. قال يسوع مرشداً تلاميذه "كَمَا أَنَّ الْغُصْنَ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَأْتِيَ بِثَمَرٍ مِنْ ذَاتِهِ... كَذلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا ... بهذَا يَتَمَجَّدُ أَبِي: أَنْ تَأْتُوا بِثَمَرٍ" (يوحنا 15:4-8) ومضى ليصلي بجدية من أجل ذلك الشيء.

2. الحرب السرية (25:22-26)

يتحول سرد القصة الآن من الامرأة العقيمة الى الحرب السرية (25:22-26). حالما حملت رفقة واظهرت بأنها مثمرة أدركت شيئاً أخراً الآن-الحرب تدور في الداخل. لقد حملت بطبيعتين في داخلها، وكانت هاتان الطبيعتان في حرب. في حالتها العقيمة لم يكن هناك ثمة صراع كهذا، ولكن في اللحظة التي بدأ فيها الاثمار، بدأ الصراع. هذه حالة شائعة بما فيه الكفاية روحياً. أولئك الذين يعيشون ويثمرون بالأكثر لله هم الأكثر درايةً بالصراع بين الطبيعتين في الداخل. في الآية التي تلي، وجود الطبيعتين هو التجربة المعاشة اولاً، ثم المشروحة وثم المكشوفة. خطوة بخطوة، التجربة الجسدية لرفقة قد صممت كي تعلمنا الحق الروحي. بتعبير آخر، تجربة رفقة هي مثال تجربة المؤمن في رومية 7، ويجب أن تؤخذ بتلك الطريقة.

أولاً، إذاً الصراع بين الطبيعتين، الحرب السرية، قد *جربا* (25:22) "وَتَزَاحَمَ الْوَلَدَانِ فِي بَطْنِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ كَانَ هكَذَا فَلِمَاذَا أَنَا؟ فَمَضَتْ لِتَسْأَلَ الرَّبَّ." واجهت الحقيقة المعقدة بأن المعركة كانت تحتدم في الداخل، لم تستطع أن تفهم المعركة فعملت رفقة عملاً واعياً بسؤالها لله عنها.

لقد شهدنا كلنا ما شهدته رفقة فطالما نحن راضون بالعيش للجسد، لن يكون هناك مشكلة أن نعيش للعالم، ولكن متى قررنا أن نقابل الحالة التي تقودنا إلى الإثمار، ستبدأ المعركة. العديد من المؤمنين اليافعين لديهم مشكلة معقدة ذات شكل مشكلة رفقة. تدوم فكرة أن كل ما نريده هو بعض التجارب المنعشة، بعض المعموديات للمُقَدَسين الخارقين وكل المشاكل المتعلقة بالشهوة ستُحل. العكس هو الصحيح فالطبيعة القديمة لم تستأصل عندما وثقنا بالمسيح ولم تلغَ عندما خضعنا له من اجل الإثمار. هي خصم متواجد في كل حين، يعادي وبمرارة كل عمل للروح فينا، وتخاصم بسرعة كل مجهود لولادة روح تقود نحو الاثمار لله. وبعيداً عن الاستئصال، يبدو أن الجسد يُثار بنشاط قاتل وحاسم عن طريق أي إشارة لتطوير قداسة الحياة.

لقد تم *شرح* الحرب السرية بعد ذلك. "فَقَالَ لَهَا الرَّبُّ: فِي بَطْنِكِ أُمَّتَانِ، وَمِنْ أَحْشَائِكِ يَفْتَرِقُ شَعْبَانِ: شَعْبٌ يَقْوَى عَلَى شَعْبٍ، وَكَبِيرٌ يُسْتَعْبَدُ لِصَغِيرٍ." (23:25). في التفسير الاولي، كان لا بد لجواب الرب أن يكون عن العرقين الاسرائيلي والأدومي الذين انحدرا من يعقوب وعيسو إلى ثرواتهم المستقبلية في العالم، ولكن القصة لها معنى أعمق. تصور العلاقة بين الطبيعتين في المؤمن، الطبيعة القديمة هي أقدم الاثنتين لسبب بسيط هو أنها كانت هناك اولاً؛ الطبيعة الجديدة لم تصل الى المشهد حتى الولادة الجديدة. ولكن المستقبل يكمن مع الطبيعة الجديدة. النصر المطلق قد أُكد للطبيعة الجديدة، "الكبير يُستعبد للصغير." لقد وعد الله نفسه أن يدعم الطبيعة الجديدة في نزاعها للسيطرة؛ من اجل ذلك، في النهاية، لا يمكنها أن تخسر. سوف تنجح بشكل أبدي في حين أن الطبيعة القديمة في المؤمن ليس لها أبداً أي مستقبل ما بعد القبر ومبدأ الموت يمكن أن يُتَرجِم قوته الباطلة والفارغة حتى في هذه الحياة.

أخيرا، لقد *كُشِفت* الطبيعتان. " فَلَمَّا كَمُلَتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ إِذَا فِي بَطْنِهَا تَوْأَمَانِ. فَخَرَجَ ٱلأَوَّلُ أَحْمَرَ، كُلُّهُ كَفَرْوَةِ شَعْرٍ، فَدَعَوْا اسْمَهُ عِيسُوَ. وَبَعْدَ ذلِكَ خَرَجَ أَخُوهُ وَيَدُهُ قَابِضَةٌ بِعَقِبِ عِيسُو، فَدُعِيَ اسْمُهُ يَعْقُوبَ. وَكَانَ إِسْحَاقُ ابْنَ سِتِّينَ سَنَةً لَمَّا وَلَدَتْهُمَا." (25:24-26). أخيراً برزت الطبيعتان، وكُشِفتا على حقيقتهما بشكل واضح. كان عيسو احمراً، وتجلى ذلك في الطبيعة الآدمية بكل قوتها (الاسم "آدم" يعني "أحمر"). عبر عيسو عن الطبيعة الآدمية الجامحة. لقد بدا كطفل حيوان أكثر من اي شيء آخر، متغطياً كله بالشعر. الشعر في الكتاب المقدس هو رمز للطاقة الطبيعية. الطبيعة الدنيا كانت دليل على شكل عيسو، ورفقة نفرت منه وأعطت حبها ليعقوب.

قد يبدو أن عيسو حاول قتل أخيه يعقوب في الرحم. إذا كان الأمر كذلك، فسيكون اعتداءٌ شيطانيٌ آخر على النسل الذي آتى بعد ذلك على الجلجثة. ولكن انتصر يعقوب، إمساك يعقوب بعقب عيسو يقودنا الى الجلجثة، حيث حُلَّ الصراع الروحي. يمكن للشخص أن يتصور (بشكل نموذجي، طبعاً)، يعقوب قائلاً: "هل رأيت، لقد حصلت عليه. لقد حصلت على انتصار المسيح البديع على الجلجثة وبذلك النصر، انا انتصرت." طبعاً، لم يقل يعقوب شيئاً كهذا. لقد كان رضيعاً، يصرخ بشكل قوي كأخيه الحديث الولادة. ولكن الرمزية تكمن هناك بنفس الطريقة.

لأن انتصارنا على الجسد يأتي مباشرة من الجلجثة. يقول بولس "عَالِمِينَ هذَا أَنَّ إِنْسَانَنَا الْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ لِيُبْطَلَ جَسَدُ الْخَطِيَّةِ، كَيْ لاَ نَعُودَ نُسْتَعْبَدُ أَيْضًا لِلْخَطِيَّةِ." (رومية6:6). ننتصر من خلال الصليب على كل من نحن بالولادة الطبيعية. تم التعامل مع الطبيعة القديمة من خلال الصليب حيث وضعت في مكانها، مكان الموت. هذا هو الدرس العظيم من التوأمين في الرحم. عندما أخرج الصراع الداخلي الى العلن، بدأ يُنظر إليه بأنه قد حُلَّ من خلال موت المسيح.

ب. التوأمان في العالم (25:27-34)

سوف يمثل الطفلان مبدئين مختلفين. لم يخرج هذان المبدأن الى العلن حتى الآن. قد سُنَّ الآن الصراع وتبعياته قانونياً بحيث يمكن للجميع رؤيته، عاجلاً أم آجلاً سيظهر الصراع الداخلي الذي نختبره بشكل واضح في حياتنا. سوف نتبنى إما المبادئ التي تمثلت بعيسو او المبادئ التي تمثلت بيعقوب.

1. الصراع المتزايد (25:27-28)

لم يشفِ الوقت الثغرة بين الاخوين فكلما مرت السنين كلما ازدادت المنافسة بينهما. لا يوجد إبطال للحرب بين الروح والجسد ففي حالة عيسو ويعقوب، لقد استمر الصراع حتى وصل الى درجة أن يعقوب أحضر المسيح الى العالم وعيسو أحضر هيرودس.

يخبرنا الروح القدس كيف *تطور* هاذان الطفلان المولودان. "فَكَبِرَ الْغُلاَمَانِ، وَكَانَ عِيسُو إِنْسَانًا يَعْرِفُ الصَّيْدَ، إِنْسَانَ الْبَرِّيَّةِ، وَيَعْقُوبُ إِنْسَانًا كَامِلاً يَسْكُنُ الْخِيَامَ." (25:27). كان عيسو رجلَ حقلٍ وكان يعقوب رجلَ زريبةٍ؛ اختار عيسو نوعية الحياة التي سُرَ بها قايين، اختار يعقوب نوعية الحياة التي سُرَ بها هابيل؛ كان شغف عيسو أن يقتل، كان شغف يعقوب أن يحمي. يجب ألا نتصور أن يعقوب كان ضعيفاً، كان أي شيء ما عدا ذلك، ولكن مواهبه واهتماماته كانت رعوية، وقائية، منتجة، بينما عيسو كانت القتل والجرح والتدمير.

بتعبير آخر، لقد كانت طبيعتي ذَيْنَكَ الولدين بعكس بعضهما، وقد تطورتا أكثر فأكثر مع مرور الوقت. بالحقيقة، إن الاشياء التي نرعاها في حياتنا هي الاشياء التي تسيطر علينا في النهاية. إذا راعينا مقداراً قليلاً من صداقة الغير مخلصين أي أدب بذيء وشهوات عالمية، هذه الاشياء سوف تسيطر علينا في النهاية، ولكن عندما ننمي ذوقاً للكتاب المقدس، الشركة مع المؤمنين، وربح النفوس، هذه الاشياء عندها سوف تسيطر على حياتنا.

نلاحظ إذا كيف تطور الولدان؛ ونلاحظ أيضا كيف *اختلفا*. " فَأَحَبَّ إِسْحَاقُ عِيسُوَ لأَنَّ فِي فَمِهِ صَيْدًا، وَأَمَّا رِفْقَةُ فَكَانَتْ تُحِبُّ يَعْقُوبَ." (28:25). لقد سيطر عيسو على عاطفة إسحاق بعملية بسيطة وهي إرضاء شهيته؛ سيطر يعقوب على قلب رفقة بكونه على طبيعته. في الواقع قال عيسو لإسحاق: "أحبني لأجل ما أنا اعمل. يمكنني أن أُشبِع شهوتك، أشعرك بأنك سعيد، أُدلِل رغباتك. "لأَنْ لَيْسَ مَلَكُوتُ اللهِ أَكْلاً وَشُرْبًا، بَلْ هُوَ بِرٌّ وَسَلاَمٌ وَفَرَحٌ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ." (رومية17:14). لم يعرف عيسو اي شيء عن هذا. لقد أرضى شهوة إسحاق. يعقوب، من جهة اخرى، قال لرفقة، "أحبيني لأجل ما أنا عليه." إن المسيح يطالبنا ببساطة على أساس من هو. "هل تحبني؟ هل تحبني، أكثر من هؤلاء؟ هل تحبني؟" بهذه الطريقة يقدم نفسه لأحبائه (يوحنا15:21).

هناك إذا صراع ينمو. مبدآن يعملان، الأول يرضي ووضيع ودنيوي وأرضي وجسدي وشيطاني، الآخر غير أناني وطاهر.

2. المواجهة العظمى (25:29-34)

أدى الصراع مباشرة الى المواجهة العظمى. عاجلاً أم آجلاً، على المبادئ المتعارضة مع بعضها أن تتواجه بشكل فاضح، وشؤونهم الأبدية يجب أن تكون واضحة وصريحة. لقد مثَّل الطفلان مجموعات مختلفة تماماً من القيم؛ مال عيسو الى الاشياء الارضية ويعقوب الى الاشياء الابدية. لم تعرف المبادئ التي جسداها حلاً وسطاً.

لقد *اهتم عيسو بالأشياء الارضية* (25:29-34). لقد أراد كل شيء هنا والآن. تصميمه كشف حالة واحدة، قد تبدو شيئاً صغيراً، ولكنه تدرج إلى الأسفل مع عواقب أبدية. كان من المفترض أن تنكشف كل طرق عيش عيسو لمكانته معدومة تماماً من القيم الروحية. "وَلكِنَّ الإِنْسَانَ الطَّبِيعِيَّ لاَ يَقْبَلُ مَا لِرُوحِ اللهِ لأَنَّهُ عِنْدَهُ جَهَالَةٌ، وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَعْرِفَهُ لأَنَّهُ إِنَّمَا يُحْكَمُ فِيهِ رُوحِيًّا." (1كورنثوس14:2). لقد حصل كل ذلك فجأة، فبعض الكلمات المتهورة أغلقت باب الامتياز الروحي من وراء عيسو للأبد. بعض الكلمات المتهورة، ولكن "من فضلة القلب يتكلم اللسان،" لذلك قد فضحت تلك الكلمات المتهورة التعبير المظلم لروح عيسو. بعض الكلمات المتهورة، ولكنها كشفت بأن ذلك الجذر غير موجود فيه بتاتاً؛ لقد كان غير قابل للتجديد وآثماً ورجلاً غير روحي ورجلاً حُكِمَ بشهوته ورجلاً تشَّبه بكل شيء عناه الكتاب المقدس عندما تحدث عن "الجسد."

امتلأ المشهد بالسحر. يجب أن نقر بأن سلوك يعقوب لديه القليل حتى يُمدح عليه. بطريقة ما، ما فعله يعقوب كان سيئاً تماماً كما فعل عيسو. ولكننا لا نتعامل مع ما عمله يعقوب بقدر مع ما أراده، لم يكن هناك شيء ما خطأ في رغباته-فقد كانت رغبته روحية. رغبة يعقوب كانت رغبة الله، ولكن عيسو لم يفكر بالله مطلقاً.

لقد كان عيسو خارجاً يصطاد، ومع أن المطاردة كانت طويلة وحماسية، ولكنه لم يصطد شيئاً بل أصبح الآن جائعاً وتعباً. ربما حضَّر الله المسرح من اجل عرض مفتوح لرغبات عيسو الحقيقية عن طريق حجب الطرائد من فخاخ عيسو. كان يكدح صاعداً الى القمة، ناشراً رمحه وقوسه، مرهقاً للعظم وجائعاً بشكل كاف حتى يطبخ ويأكل حذائه. لقد كان مثبط العزيمة ولكنه اقترب من البيت عندما يخبرنا روح الله، بلمحة، *ماذا رأى عيسو*. "وَطَبَخَ يَعْقُوبُ طَبِيخًا، فَأَتَى عِيسُو مِنَ الْحَقْلِ وَهُوَ قَدْ أَعْيَا." (25:29). لقد رأى يعقوب أخاه ينحني فوق قدر خرجت منه ألذ رائحة في العالم. اخرج عبير تلك اليخنة كل فكرة أخرى من رأس عيسو. منذ اللحظة التي رأى ذلك القدر يغلي واستنشق النفحة الأولى لما كان يعقوب يطبخه، تلألأت عينا عيسو، امتلأ فمه من اللعاب، وسيطرت شهيته. لقد تجسدت في عيسو القوة الكاملة للشهية الجسدية، وأخيراً، تولت السيطرة بلا منازع.

ثم قيل لنا *ماذا قال عيسو*. "فَقَالَ عِيسُو لِيَعْقُوبَ: أَطْعِمْنِي مِنْ هذَا الأَحْمَرِ لأَنِّي قَدْ أَعْيَيْتُ. لِذلِكَ دُعِيَ اسْمُهُ أَدُومَ. فَقَالَ يَعْقُوبُ: بِعْنِي الْيَوْمَ بَكُورِيَّتَكَ. فَقَالَ عِيسُو: هَا أَنَا مَاضٍ إِلَى الْمَوْتِ، فَلِمَاذَا لِي بَكُورِيَّةٌ؟" (25:30-32). ماهي المنفعة! كان عيسو يبيع الأبدية، ولكن

يا له من أعمى، قال عيسو "هَا أَنَا مَاضٍ إِلَى الْمَوْتِ". بالنسبة له، كان لديه ربح أكبر في حق الباكورية في الموت مِنْ الحياة، لأنه تعامل مع المستقبل ومع الأبدية. ولكن عيسو لم يهتم للأبدية فالجسد لا يهتم أبداً وهو يعيش من أجل الهُنَا والآن.

أخيراً قيل لنا *ماذا باع عيسو* (25:33-34). لقد كان فعل متعمد وازدرائي. "فَقَالَ يَعْقُوبُ: احْلِفْ لِيَ الْيَوْمَ. فَحَلَفَ لَهُ، فَبَاعَ بَكُورِيَّتَهُ لِيَعْقُوبَ. فَأَعْطَى يَعْقُوبُ عِيسُوَ خُبْزًا وَطَبِيخَ عَدَسٍ، فَأَكَلَ وَشَرِبَ وَقَامَ وَمَضَى. فَاحْتَقَرَ عِيسُو الْبَكُورِيَّةَ." حق البكورية (لقد امتلكه ولكن كان يجب أن يترافق معه البصيرة الروحية حتى يراه) تَضَّمن العرش. "وَتَسْجُدْ لَكَ قَبَائِلُ" (تكوين29:27)، لقد باعها عيسو من أجل طبق يخنة.

إن العهد الجديد يعطينا تقييم الروح القدس لعمل عيسو، فيطلق عليه لقب "شخص دنيوي." لقد كان خداعاً قوياً وسخياً ومندفعاً وجديراً بأن يحب. لقد كان الابن الأكبر للعائلة الوحيدة المختارة من قبل الله على وجه الأرض، وريث للأولوية التي قدمت له خط مباشر للمسيح وللحق الكهنوتي والمُلوكي. ولكنه كان دنيوياً؛ اي لم يكن مقدساً وغير مكرساً ومدنساً وملوثاً ومبتذلاً. "لأجل أكلة واحدة،" على نحو ملائم ومحتقر يُترجِم كينغ جميس؛ "كعيسو الذي لأجل اكلة واحدة احتقر بكوريته" (عبرانيين16:12). أكلة واحدة! كل شهوات الأرض الشهوانية قد فُهْرِسَتْ في عبارة، مقايضة المجد الأبدي لشهوة حالية. تقدير وعود الله برخص وتفاهة. استخدام حرم العطف (Polysyndeton) يؤكد التعمد، والازدراء والطريقة البغيضة لإجراء المبادلة-الا يُقَدَر بثمن والأشياء أبدية وضعت جانباً.

"فَأَعْطَى يَعْقُوبُ عِيسُوَ خُبْزًا وَطَبِيخَ عَدَسٍ، فَأَكَلَ وَشَرِبَ وَقَامَ وَمَضَى. فَاحْتَقَرَ عِيسُو الْبَكُورِيَّةَ."

لقد اهتم عيسو بالأمور الارضية بينما *اهتم يعقوب بالأمور الابدية* (25:31-34). بالرغم من جميع أخطائه وسقطاته العديدة، تعينت عواطف يعقوب على الأشياء العالية، فقد عرف قيمة البكورية، لقد عرف بأنها تمثل المسيح. لقد حملت تلك البكورية معها الحق في ممتلكات العائلة (حق البكر في الحصول على ضعف حصته من الميراث)، لقد حملت حق العائلة في الكهنوت، وفوق الكل، حملت حق العائلة في السلف الصالح، قادت مباشرة الى المسيح في العائلة البطريركية. لم يهتم عيسو لا بالكهنوت ولا بالسلف الصالح أما يعقوب فاهتم. اراد الحصول على الاثنين بشغف لأنه نظر الى ما وراء الدنيوي، الى الابدي.

في المواجهة العظيمة بين الجسد والروح وبدافع من الجسد، خسر عيسو وللأبد. أما يعقوب، وبدافع وشغف للأبدي، فاز. راقب بتأنٍ ما يقوله روح الله، "مُلاَحِظِينَ لِئَلاَّ يَخِيبَ أَحَدٌ مِنْ نِعْمَةِ اللهِ... لِئَلاَّ يَكُونَ أَحَدٌ زَانِيًا أَوْ مُسْتَبِيحًا كَعِيسُو، الَّذِي لأَجْلِ أَكْلَةٍ وَاحِدَةٍ بَاعَ بَكُورِيَّتَهُ." (عبرانيين12:15-16).

ما هو المبدأ التي يسيطر علينا؟ من أجل اي عالم نحن نعيش؟

2. إسحاق وسلوكه (26:1-35)

لقد عُتِمَ على إسحاق. لقد استغرق معظم حياته واقفاً إما في ظل ابيه الشهير ابراهيم او في ظل ابنه الشهير يعقوب. تكوين 26 هو الاصحاح الوحيد الذي خُصِّص لإسحاق وحده. إنه يُسجِل التطور الذي حققه كمؤمن لوحده في العالم. يخبر عن رجلٍ تُوجَتْ حياته بالفعل حتى وصلت قمتها في سنوات ما قبل الذهاب الى جبل المريا ولكنه استطاع بين زلة واخرى وبطريقة ما أن يستمر من اجل الله.

أ. مسير إسحاق (26:1-5)

الآية الأولى من الاصحاح ترينا بأن تآكلاً ما قد ابتدأ. لم يحظَ إسحاق بمكانة ابراهيم او يعقوب. لقد كان رجلاً يُصاغُ بشكل سهل بحسب الظروف فقد كان مستعداً بأن ينحني ويتشكل بدلاً من أن ينتهز الفرص التي تخدم مصلحته.

يبدأ الاصحاح بإخبارنا عن *المشكلة الصعبة* التي واجهت إسحاق. "كَانَ فِي الأَرْضِ جُوعٌ غَيْرُ الْجُوعِ الأَوَّلِ الَّذِي كَانَ فِي أَيَّامِ إِبْرَاهِيمَ، فَذَهَبَ إِسْحَاقُ إِلَى أَبِيمَالِكَ مَلِكِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، إِلَى جَرَارَ" (26:1).

كون الإنسان مؤمناً هذا لا يعفيه من الكوارث التي تعصف بالجنس البشري. إذا بنى شخص مسيحي بيته على خط صَدع جيولوجي، فإن الزلزال سوف يهز منزله كما سيهز منزل جاره الملحد أيضاً. مع أن الله يحمي الذين له وعندما يحل الأسوأ بهم فإنه يحوله لخيرهم (رومية28:8). إسحاق أيضاً، وجد نفسه مرتبكاً بنفس حالة المجاعة التي نزلت بجيرانه الغير المؤمنين في كنعان.

كما يحدث عادة، الضغط الخارجي ولَّدَ ضغطاً داخلياً. المجاعة من الخارج والجسد من الداخل، والاثنان أجبراه وقاداه الى قرار جسدي متهور، لقد قرر النزول الى مصر حتى انتهاء المجاعة. قبل مئة عام، فعل والده ذات الشي مع نتائج كارثية. كان إسحاق على علم بها، لأن القصة كانت جزءً من تراث الحق الذي اخذه والذي سُلِمَ من جيل الى جيل، بالنهاية سُجِّل في كلمة الله. بالرغم من الإنذار الذي أطلق بتجربة ابراهيم، عين إسحاق طريقه نحو مصر. بعبارة اخرى، كانت المشكلة تحت السيطرة.

ثم يأتي تالياً *الحظر الالهي*. "وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ وَقَالَ: لاَ تَنْزِلْ إِلَى مِصْرَ" (2:26أ). هذا ما حدث! لم يكن إسحاق على وشك أن يعصى بصراحة كلمة الله الموحاة. مصر في الكتاب المقدس، تمثل العالم الذي نعيش فيه، العالم الذي هو عدو الله المبين. علينا أن نتذكر أن يد العالم الممدودة بشكل ودي، موشحة بدم المسيح.

ولكن الله وبشكل ملحوظ إله عملي لذلك نجد بأن المَنْع قد ألحق *بوعد مؤكد* (2:26ب-5). لقد قيل لإسحاق أن يبقى في أرض الموعد. أكد الله إرادته العليا في ذلك الأمر سبع مرات وتعهد بنفسه أن يكون لإسحاق كل ما كان لإبراهيم. في الحقيقة، لقد كان ذلك تكراراً للميثاق الإبراهيمي ولكنه الآن أُكِدَ لإسحاق. لأن كلمة الله أتت في ساعة الأزمة ملائمة ومحدثة بشكل واضح. لقد تم التأكيد على طاعة إبراهيم خمس مرات كوسيلة لتشجيع إسحاق كيما يثق ويطيع. لذلك قد حُوِل انتباه إسحاق من الظرف الذي وجد فيه نفسه حيث كان سيقوم بحركة خاطئة، وقد وُجِّهَ عوضاً عن ذلك الى كلمة الله. لكم من الضروري في كل الاوقات وخاصة في اوقات الازمات أن ننشغل مع الله بكلمته!

هناك الكثير إذن لمسير إسحاق. السفر في هذا العالم ومواجهة المشاكل من دون الضغط الداخلي، لقد تعلم بأن خطواته يجب ان تُرَتَّب من الرب. يجب عليه ألا يأخذ الأشياء بيديه. يجب أن يُقاد بكلمة الله.

ب. زوجة إسحاق (6:26-11)

نقرأ بأن "إسحاق سكن في جرار." لقد قال الله لإسحاق بأن يبقى في كنعان، ولم يقل له أن يذهب الى جرار. كان على إسحاق أن يكون أكثر عقلانية. نفس الأسباب التي منعته من الذهاب الى مصر يجب أن تمنعه من الذهاب الى جرار. الآن وبدلاً من تكرار خطأ إبراهيم بالذهاب الى مصر كان على وشك تكرار خطأ ابراهيم بالذهاب الى أبيمالك. لأن ابراهيم تعثر مرتين، مرة بالذهاب الى مصر ومرة بالذهاب الى جرار، ومع أن إسحاق علم بهاذين الخطأين، اختار بأن يتجاهل ما تعلم. أن يتصرف هكذا، مثل أن يقترب قدر المستطاع من العالم من دون الذهاب اليه فعلاً، سيجبر إسحاق على تعلم تجربة مريرة والتي رفض تعلمها من كلمة الله. كانت جرار في منتصف الطريق الى مصر. نصف طاعة قلب إسحاق لله استقرت به في مياه ساخنة. متاخمة العالم هي تقريباً بنفس سوء صُلْب العالم.

1. الكذب كان جاهزاً (6:26-7)

لقد استقر إسحاق في جرار بصعوبة قبل أن يلجأ إلى الكذب، وكان هذا وحده سبباً كافياً ليثبت له انه في المكان الخطأ. بالرغم من إعلان الله المدهش له عن حضوره وحمايته، قام إسحاق بالكذب للحصول على الملجأ. العديد منا يندهش من سهولة تدبير الكذب عندما نواجه موقفاً محرجاً. الطبيعة القديمة تتشبث فينا بطريقة مرعبة فقلوبنا بالحقيقة مخادعة وشريرة بشكلٍ مفرط. كانت الكذبة جاهزة. "وَسَأَلَهُ أَهْلُ الْمَكَانِ عَنِ امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: هِيَ أُخْتِي. لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَقُولَ: امْرَأَتِي لَعَلَّ أَهْلَ الْمَكَانِ: يَقْتُلُونَنِي مِنْ أَجْلِ رِفْقَةَ لأَنَّهَا كَانَتْ حَسَنَةَ الْمَنْظَرِ." لقد وجد لنفسه عذراً، بطريقة ملائمة طبعاً. لقد كانت زوجته امرأة جميلة، وقد كان خائفاً إذا ما قال الحقيقة أن يقتله الفلسطينيون ويحتفظوا بها لأنفسهم. لقد سبق وأنزل نظره عن ميثاق وعد الله لذلك فإن ملاذ الكذب لم يكن مرفأً حقيقياً في العاصفة. الله ستأكد دائماً بأن كل أماكن اللجوء قد وجِدَتْ وحُطِمَتْ.

2. قد كُشِفت الكذبة (26:8-11)

لم تُكْشَف الكذبة لفترة طويلة، حيث انتظر الله بصبر كيما يرى إسحاق ما إذا كان سيتخلى عنها أم لا. لقد اعتاد إسحاق أن يعيش مع الكذبة، ومع مرور الوقت لم يعد يهتم لسلوكه بل تصرف بطريقة كشفت خداعة فوراً. من الصعوبة أن تحافظ بشكل ثابت على موقف كاذب لفترة طويلة من الزمن لأن الحياة كلها سيعاد بناؤها حول هذه الكذبة. في يوم من الايام نسي إسحاق نفسه وأُمسِك بخداعة فقبض عليه من قبل الملك الفلسطيني.

إننا مدمنون على الكذب. الخداع راسخ في ألياف شخصياتنا والولادة الجديدة تزرع الحق في نفوسنا لأن يسوع هو الحق والروح القدس سُميَّ روح الحق (يوحنا 17:14) والكتاب المقدس هو حق الله وآخر شيء يتوقعه العالم من رجل مؤمن هو الكذب. الملك الفلسطيني انقض على كذبة إسحاق وجلده بها وقد كان محقاً، "كذبتك *مخادعة*،" قال (26:10) "بقولك اخبار كاذبة عن امرأتك، قد عرضتنا جميعاً للتجربة. كذبتك قد تحميك، ولكنها قد استفزتنا جميعاً." إن الكذب يؤذي الاشخاص الآخرين دائماً لأن الناس وضعوا في موقف مزيف، خاصة إذا صدقوا من كل قلوبهم الكذب الذي قيل لهم. إبليس نفسه هو أبو الكذب-إن الكذب هو المصطلح الرئيسي للغته. ربما اعتبر إسحاق كذبته "كذبة بيضاء" ولكن أية كذبة هي من الشيطان وتُحزِن روح الله القدوس.

"كذبتك مخادعة" قال الملك المستاء. "بالإضافة الى انها *غير ضرورية*" (26:11). لكي يثبت ذلك أوصى شعبه: "الذي يمسّ هذا الرجل او امرأته موتا يموت." لقد رضي إسحاق بذلك. أي أناس غريبي الاطوار نحن، لم تكن هناك أية مشكلة بالنسبة لإسحاق كيما يصدق كلمة الملك الوثني، ولكنه وجد صعوبة في الثقة بكلمة الله الثابتة. كم من المرات نعامل الله بنفس طريقة عدم الإيمان المهينة.

ت. ثراء إسحاق (26:12-16)

يتحول سرد القصة الى مشهد مُسِر ويخبرنا بأن إسحاق كان *رجلاً ثرياً* (26:12-14أ). كل ما صنعه نجح، إن زرع البذار؟ لقد حصل على مئة ضعف، أكثر بكثير مما قد يعتقده المرء حتى في الأرض الخصبة. مئة ضعف-عشرة ألاف بالمئة نسبة الاستثمار! إن رعى الماشية؟ تضاعف قطيعه. "فَتَعَاظَمَ الرَّجُلُ وَكَانَ يَتَزَايَدُ فِي التَّعَاظُمِ حَتَّى صَارَ عَظِيمًا جِدًّا." الآن وبعد أن تخلى عن موقفه المخادع، استقرت بركات الله عليه بطريقة ملحوظة ووافرة حتى أن غناه كان ساحقاً.

ثم نلاحظ بأنه كان *مستاءً* (26:14ب-16). "فَحَسَدَهُ الْفِلِسْطِينِيُّونَ. وَجَمِيعُ الآبَارِ، الَّتِي حَفَرَهَا عَبِيدُ أَبِيهِ فِي أَيَّامِ إِبْرَاهِيمَ أَبِيهِ، طَمَّهَا الْفِلِسْطِينِيُّونَ وَمَلأُوهَا تُرَابًا. وَقَالَ أَبِيمَالِكُ لإِسْحَاقَ: اذْهَبْ مِنْ عِنْدِنَا لأَنَّكَ صِرْتَ أَقْوَى مِنَّا جِدًّا."

في دراسة لرموز العهد القديم، يرمز الفلسطينيون الى الرجال الغير متجددين والذين يشغلون الأرض التي تخص شعب الله. لقد كان الفلسطينيون المخزون اليوناني، لقد امتلكوا الأرض التي أعطاها الله لإبراهيم ونسله ولكنهم لم يحصلوا على الأرض بطريقة الله؛ عن طريق الفداء بالدم، عن طريق الإيمان بوعود الله، عن طريق السير في طاعة كلمة الله. لقد اتوا إلى هذه الأرض بطريقة أخرى واستقروا في مكان لا ينتمون إليه لكي يظلوا العدو الدائم لشعب الله الحقيقي. إنهم يمثلون غير المؤمنين الذين يتشبثون بالأشياء التي ليس لديهم الحق فيها والتي تتعارض مع قديسي الله الحقيقيين. لقد بقي الفلسطينيون مشكلة في كنعان حتى مجيء داود والذي وضع لهم حداً بشكل فعال. تماماً كحال المعلمين المخادعين في الكنيسة والذين لن يُقْتلَعوا حتى مجيء المسيح.

وهذا يُحضِرنا الى الآبار في عهد إسحاق والتي اوقفها الفلسطينيون بشكل متعمد. كانت تلك الآبار مصدر الحياة والإنعاش ويمكنها ان تمثل ما يحمله المسيح نفسه للنفس البشرية. قال يسوع للمرأة على بئر سوخار، "أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: كُلُّ مَنْ يَشْرَبُ مِنْ هذَا الْمَاءِ يَعْطَشُ أَيْضًا. وَلكِنْ مَنْ يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أُعْطِيهِ أَنَا فَلَنْ يَعْطَشَ إِلَى الأَبَدِ، بَلِ ... يَصِيرُ فِيهِ يَنْبُوعَ مَاءٍ يَنْبَعُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ" (يوحنا 4:13-14). لقد قدم ابراهيم خدمة المسيح، بشكل رمزي، الى فقراء الروح عن طريق حفر آباره، وبذلك جعل ماء الحياة متاحةً للجميع. لقد أوقف الفلسطينيون هذه الآبار وفعلوا ذلك بحقد وبشرٍ متعمد. لم يكونوا يريدون الماء لأنفسهم ولم يريدوا لأي أحد أن يحصل عليها أيضاً. مثل اللاهوتيين الليبراليين وأتباعهم الذين انسلوا الى الكنيسة واستولوا على مراكز خاصة بشعب الله وسعوا كيما يخنقوا قنوات البركة التي تأتي الى الناس في الإنجيل عن طريق المسيح.

قرر الفلسطينيون، متحركين بالحقد، أن يعارضوا ويقاوموا كل ما مثَّله ابراهيم وإسحاق في الارض. هؤلاء الأعداء عارضوا الأب والابن في خدمتهم الكريمة بتأمين الآبار في الأرض العطشى. وبالنهاية طلبوا من إسحاق أن يرحل من الأرض كلها، مستائين من تأثيره وقوته.

ث. آبار إسحاق (26:17-22)

1. ماذا استعاد إسحاق (26:17-18)

لقد صُب الانتباه الآن على الآبار الفعلية والتي جهزها إسحاق بنفسه في تلك الارض الناشفة والعطشى. في البداية نلاحظ ماذا *استعاد* إسحاق. "فَعَادَ إِسْحَاقُ وَنَبَشَ آبَارَ الْمَاءِ الَّتِي حَفَرُوهَا فِي أَيَّامِ إِبْرَاهِيمَ أَبِيهِ، وَطَمَّهَا الْفِلِسْطِينِيُّونَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ، وَدَعَاهَا بِأَسْمَاءٍ كَالأَسْمَاءِ الَّتِي دَعَاهَا بِهَا أَبُوهُ." (26:18). الاراضي الشرقية في أيام الكتاب المقدس، كل الاراضي القاحلة، كانت تدعى "أراضي الله" وكل من كان قادراً على تأمين وسائل استحياء وروي الأرض تصبح تلك الأرض أوتوماتيكياً ملكاً له. تسمية البئر كانت طريقة متداولة علنيةً كيما تُعلِن عن مُلْك ما في تلك المنطقة. إنه فعل عَبَثْ حين توقف أو تَطمُر بئراً كان قد حُفر في أرضٍ حيث الماء فيها استثنائي، لا بل يعتبر إعلانَ حربٍ. أنه انتهاك متعمد لحقوق وملكية الغير.

عندما أوقف الفلسطينيون آبار ابراهيم، أعطوا دليلاً عن إيمانهم السيء. لقد سبق ودخلوا في معاهدة مع ابراهيم (تكوين 21:22-34) عن حقوقه في الأرض-مع أنه من غير الضروري وجود أي معاهدة طالما أن الله أعطى كل الأرض له. مع توقف آبار ابراهيم، كان الفلسطينيون بالنتيجة يمزقون معاهدتهم مع ابراهيم.

بالعودة لإسحاق، لقد نبش آبار ابراهيم مؤكداً ملكيته لما يسمى "أراضي الله." بترجمة هذا الامر الى اختبار روحي، نرى بأن عمل إسحاق يرمز الى اعادة اكتشاف الحق الخاص بالمسيح عندما تتمتع به الكنيسة ثم تدفنه في التقليد واللاهوت الح، والتعاليم الخاطئة المقدمة من قبل المنسلين الى الكنيسة. على الأغلب وجد إسحاق فرحاً عظيماً في إعادة اكتشافه للآبار التي حفرها والده، كما المؤمن اليوم سيفرح في اكتشاف الحق المتعلق بالمسيح والذي ابْتُهِجَ به مرة من قبل الاخرين ولكنه دفن من قبل التعليم الخاطئ او نُسِيَّ ببساطة مع مرور الوقت.

2. ماذا أدرك إسحاق (26:19-22)

لقد أدرك بأن هناك المزيد. هناك المزيد من الآبار التي تحتاج الى نبش، ليس فقط آبار والده ولكن هناك أكثر من ذلك. لكم من الرائع أن نجد المزيد بالمسيح، إنه لمن الجيد أن نستمتع بالحق الذي يكتشفه الأخرون، ولكن من الأروع أن يكشف الروح القدس الحق مباشرة الى قلب المرء. لم يقاتل إسحاق في معارك كبيرة، ولم يبنِ مدناً عظيمةً، لم يبنِ نصباً تذكارياً خالداً ولكنه حفر الآبار بهدوء في تلك المرحلة من حياته. بعبارة اخرى، ترك إرثاً مباركاً خلفه حيثما ذهب. يجب أن يكون هناك معنى روحياً بما أن الروح القدس يماطل بكل محبة في ذلك القسم من القصة. ما الذي يعنينا اليوم، بعد حوالي أربعة آلاف سنة، من قصة رجل اسمه إسحاق حفر ثلاثة آبار غير مهمة نسبياً في زاوية من كنعان؟ لماذا حسبهم روح الله بهذه الاهمية ليسجل هذه الاشياء عنهم وليسجل في كل وقت أسماؤهم؟ يجب أن يكون هناك أهمية روحية.

إن آبار إسحاق الثلاثة مهمة بسبب أسمائهم، وأسماؤهم مهمة لأنهم يشملون ليس الحق الروحي فقط، ولكن لأنهم يعرضون جواب الفلسطينيين لأعمال إسحاق. فهم بذلك يرمزون الى سلوك أعضاء الكنيسة الغير مخلصة تجاه مساعِ المؤمن الحقيقي.

اسم البئر الأول *عسق* ومعناها *كفاح*. "وَحَفَرَ عَبِيدُ إِسْحَاقَ فِي الْوَادِي فَوَجَدُوا هُنَاكَ بِئْرَ مَاءٍ حَيٍّ. فَخَاصَمَ رُعَاةُ جَرَارَ رُعَاةَ إِسْحَاقَ قَائِلِينَ: لَنَا الْمَاءُ. فَدَعَا اسْمَ الْبِئْرِ عِسِقَ لأَنَّهُمْ نَازَعُوهُ." (26:19-20). لقد كان إسحاق رجلاً محباً ومسالماً وكارهاً للنزاعات، ولكن في بعض الاحيان سواء أراد المرء ام كره، يعاني المؤمن، وحتى المؤمن الاكثر سلماً، من النزاعات حوله. "في الحقيقة اننا نكافح جدياً من اجل الايمان." كل حق أساسي للكنيسة هُوجِم بقسوة من قبل "الفلسطينيين" ضمن صفوفه. "المياه لنا،" صرخ الفلسطينيون القدماء، "الحق لنا" قال الليبراليون والوجوديون والطقسيون والطائفيون لمنشأة الكنسية. ليس ذلك حقاً فالحق يعود الى إله إسحاق وليس إلى الفلسطينيين العالميين.

البئر الآخر اسمه *سطنة*. إذا دل عسق عن الكفاح، فإن سطنة يمثل *الاحتقار*. "ثُمَّ حَفَرُوا بِئْرًا أُخْرَى وَتَخَاصَمُوا عَلَيْهَا أَيْضًا، فَدَعَا اسْمَهَا «سِطْنَةَ»" (26: 21). معنى الكلمة "احتقار" وتأتي بالأصل العبري بمعنى "التربص بالعدو." يأتي اسم ابليس من نفس الأصل. الآن عرفنا المصدر المطلق لكل معارضي الحق الإلهي، وخاصة الحق الذي يتعلق بشخص وعمل المسيح، إنه ابليس ذاته. إنه مستَهلَك بالاحتقار (تجاه الاشياء التي تخص الله) وبالحسد المرير والعداء والغضب تجاه اي شيء يوصل المسيح الى القلب المحتاج.

ثم يأتي *رحوبوت*. "ثُمَّ نَقَلَ مِنْ هُنَاكَ وَحَفَرَ بِئْرًا أُخْرَى وَلَمْ يَتَخَاصَمُوا عَلَيْهَا، فَدَعَا اسْمَهَا رَحُوبُوتَ، وَقَالَ: إِنَّهُ الآنَ قَدْ أَرْحَبَ لَنَا الرَّبُّ وَأَثْمَرْنَا فِي الأَرْضِ" (22:26). إن اسم ذلك البئر يمثل *اللامبالاة* الأساسية للعالم تجاه المسيح. بكل بساطة تجاهل الفلسطينيون إسحاق في ذلك الوقت. سلوكهم كان واحد من اللامبالاة المُهمِلة. كان سلوكهم، "دع ذلك الشخص يتابع في حفره! عاجلاً ام آجلاً سوف نأخذ ذلك البئر منه بكل الأحوال." وجد إسحاق مصدراً آخر لإشباعه، بئر آخر، وفتح العالم فمه بكل بساطة في وجهه كما يرفع كتفيه كعلامة استهجان أمام أعمال رجال الله. "وماذا في ذلك، من يهتم؟" هو سلوك الأغلبية.

ج. عبادة إسحاق (26:23-25)

1. الوحي المهم (26:23-24)

ما أظهره إسحاق في موضوع الآبار قاد الى عبادة طبيعية. أي اهتمام مع المسيح يجب أن يؤدي الى ذلك. هناك شيئان يسجلان بالنسبة لهذا الموضوع: الأول بأنه كان وحياً مهماً له. لقد استقر إسحاق في بئر سبع وهو مكان ارتبط مع معاملة ابراهيم للفلسطينيين. يعني الاسم "بئر الحلف" لأن هناك حلف الفلسطينيون بأن يتركوا ابراهيم لوحده طالما تركم هو لوحدهم. هناك أُجبِرَ الفلسطينيون على الاعتراف بأن ابراهيم يمتلك شيئاً هم لا يمتلكونه؛ لديه الله. ثانياً، استقر إسحاق هناك وهناك اتى الله إليه ومرة أخرى تحدث إليه عن العهد وعن *شخص* الرب ("أنا إله ابراهيم أبيك")؛ *حماية* الرب ("لا تخف")؛ *حضور* الرب ("لأني معك") *ووعد* الرب ("وأباركك وأكثر نسلك"). ما الذي قد يريده أي رجل أكثر من ذلك؟

2. الجواب المباشر (26:25)

ذلك الوحي الهام الذي أتى لإسحاق قد أُعقِبَ بجواب فوري من قبل إسحاق. "فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا وَدَعَا بِاسْمِ الرَّبِّ. وَنَصَبَ هُنَاكَ خَيْمَتَهُ، وَحَفَرَ هُنَاكَ عَبِيدُ إِسْحَاقَ بِئْرًا." (26:25). كان جواب إسحاق ثلاثياً: لقد أجاب *بعبادة فورية* تتمثل ببناء المذبح، مما يعني بأنه اعطى قلبه، حياته وكله للرب. أجاب *بالكلمة المحكية* لأنه "دعا باسم الرب"؛ لقد اعترف بفمه بالحق الذي يلهب قلبه الآن. لقد أجاب *بعمل معين* لأنه حفر البئر. العبادة الحقيقة هي ليست أبداً حلم يقظة اعتباطي، وإنما تقود الى أشياء تنجَز من أجل الله. بئر آخر! علامة أخرى من البركة في بلد العدو، في أرض جافة وقاحلة! إنهم يحفرون الآن بقرب المكان الذي حفر فيه ابراهيم. بعبارة أخرى، إنهم يضيفون إلى ما اكتشفه رجل الله العزيز منذ أمد طويل منذ ذهابه إلى بيته إلى مكافأته.

ح. شهادة إسحاق (26:26-33)

لقد ظهر الفلسطينيون مرة أخرى. يسجل الروح القدس اسلوب *تعاملهم* (26:26-27). *ثم* مباشرة بعد الوقت الذي قضاه إسحاق مع الرب (لأن ذلك *هو* مصدر كل قوة حقيقية)، أتى الفلسطينيون ليغنوا نغمة جديدة. لقد أتوا بالقوة مع مَلِكِهم وواحد من أصحابه ورئيس أركان الجيش. "قال لهم إسحاق ما بالكم أتيتم اليّ وأنتم قد ابغضتموني وصرفتموني من عندكم؟" هذه ليست الطريقة التي يعامل بها العالم المؤمن أحياناً، ولكن لو عشنا أقرب للرب لتكرر الأمر معنا أكثر من المعتاد. مع معرفة إسحاق المسبقة بموقعه، بأنه تحت عناية الله نفسه، لم يكن ينوي أن يسلم إنشاً واحداً حتى ولو تواجد مئة ملك وألف رئيس أركان.

طريقة التعامل أُلحِقت *بالاستئناف* (26:28-29). لم يُضيع الزوار أي وقت لفتح الموضوع. "فَقَالُوا: إِنَّنَا قَدْ رَأَيْنَا أَنَّ الرَّبَّ كَانَ مَعَكَ، فَقُلْنَا: لِيَكُنْ بَيْنَنَا حَلْفٌ، بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ، وَنَقْطَعُ مَعَكَ عَهْدًا: أَنْ لاَ تَصْنَعَ بِنَا شَرًّا، كَمَا لَمْ نَمَسَّكَ وَكَمَا لَمْ نَصْنَعْ بِكَ إِلاَّ خَيْرًا وَصَرَفْنَاكَ بِسَلاَمٍ. أَنْتَ الآنَ مُبَارَكُ الرَّبِّ" يا لها من جملة استثنائية. ويا لسفاهة وقلة حياء أولئك الرجال! لقد إضطهدوه، نهبوه ولاحقوه وسرقوه وعادوه بكل حيلة، والآن يدعون وبكل تملق بأنهم فعلوا خيراً معه! بالتأكيد إن تقييم الرجل الغير متجدد لسلوكه هو تملق نفسه بدلاً من الحقيقة الصادقة. في كل الاحوال، لقد تمنى الرجال أن يصنعوا سلاماً مع إسحاق الآن. ولماذا؟ لأنه من الواضح أن الرب كان معه. لقد اعطوا خدمة شفوية للرب وهم لا يعلمون.

ثم أتت *ترضيتهم في* (26:30-33). لقد أضافهم إسحاق وغفر لهم ولكنه لم يرد أي جزء من رفقتهم فصرفهم بعيداً. وَصَرَفَهُمْ إِسْحَاقُ. فَمَضَوْا مِنْ عِنْدِهِ بِسَلاَمٍ." *بنفس اليوم* أحضر خدام إسحاق خبراً له عن البئر التي حفروها وقالوا له: لقد وجدنا ماءً، فسمى ذلك البئر شبعة لأن اسم المدينة بئر سبع حتى يومنا هذا. عندما تم استلام اقتراحات السلام التي لا معنى لها من الأشرار، وعندما سُمِح لغير

المؤمنين بالرحيل، وعندما اتخذ إسحاق موقفه مجدداً مع الرب بانفصاله عن العالم – عندها استطاع التمتع بمصدر جديد للإشباع في المسيح.

من المثير للاهتمام بأن الغير مؤمنين كانوا سعداء بمغادرة إسحاق كما كان إسحاق سعيداً بمغادرتهم. لقد أثنوا على حقيقة أن الرب كان مع إسحاق وان بركة ذلك الرب بقيت معه على كل ما صنع، ولكنهم لم يرغبوا بالبقاء والبحث عن الرب لأنفسهم. لقد عرفه إسحاق وعرفوا بأن إسحاق عرفه، ولكنهم لم يهتموا بمعرفته.

خ. خوف إسحاق (26:34-35)

خلال الفترة الماضية كَبُرَ عيسو حتى بلغ سن الرجولة في البيت. إنه من الغريب أن يفشل العديد من الرجال-من الذين أثرت حياتهم بشكل كبير في الآخرين-من التأثير على حياة أولادهم. ربما لأنهم يعرفون الأشياء المقدسة بشكل جيد. لم يُبدِ عيسو أي اهتمام بكلمة الله. لقد بلغ الآن الأربعين من عمره وقرر أن يتزوج، وكسر قلب أبويه بقرار زواجه. "وَلَمَّا كَانَ عِيسُو ابْنَ أَرْبَعِينَ سَنَةً اتَّخَذَ زَوْجَةً: يَهُودِيتَ ابْنَةَ بِيرِي الْحِثِّيِّ، وَبَسْمَةَ ابْنَةَ إِيلُونَ الْحِثِّيِّ. فَكَانَتَا مَرَارَةَ نَفْسٍ لإِسْحَاقَ وَرِفْقَةَ." هناك المزيد ليقال عن تينك الفاتنتين عندما ندرس الاستعراض الطويل الذي يقدمه الله عن حياته في تكوين 36. يكفي أن يقال هنا أن اختيار عيسو لزوجتيه بيَّنَ الطريق الهابط الذي اختاره إلى الأبدية المفقودة.

لم يكن إسحاق ورفقة كاملين. لقد عملا بعض الاخطاء فقد فضلا ولداً عن الآخر، تعثرا ووقعا، وفي بعض الأحيان انحرفا عن الله. وبالرغم من ذلك أحبا الله من كل قلبيهما وكما نرى كانت شهادة إسحاق للعالم مبهرة. كَبِرَ أحدُ ولديهما ليصبح واحداً من أكبر قديسي العهد القديم: وكَبِرَ الآخر ليكسر قلبيهما. إذا لم يستطع الشيطان الهجوم على الإنسان بأي طريقة، فسيهجم عليه عن طريق عائلته. وقد رأينا ذلك مراراً.

3. إسحاق وبركته (27:1-46)

لقد حاول عيسو بصحن من الطرائد أن يعيد شراء ما حاول بيعه بمقدار من حساء الخضار، ولكن الخطة لم تنجح. اصحاح 27 واحد من أحزن الإصحاحات في سفر التكوين لأن كلَ واحدٍ يفعل شيئاً خاطئاً-خاصة إسحاق. عادة ما نفكر بإسحاق كواحد من اروع الأمثلة للمسيح في العهد القديم-وكان كذلك في تكوين 22. ولكن إسحاق لا يرمز الى المسيح في تكوين 27. لو كان يرمز لأي شيء هنا، فهو يرمز الى المسيحي المرتد، العالمي، والجسدي. إنها لحقيقة محزنة أن نعكس صورة جمال ونعمة المسيح في مرحلة ما من حياتنا، وعكس ذلك تماماً في مرحلة اخرى. هكذا هو القلب البشري، حتى قلب الإنسان المتجدد.

نقف على عتبة بيت إسحاق، محتاجين أن نتذكر بأنه بيت رجل مؤمن، لأنه سوف يكون من الصعب أن نتذكره بعد ذلك. بعض البيوت الآثمة تُظهِرْ سلوكاً غير مرغوب فيه كما فعلت عائلة إسحاق في ذلك اليوم الحزين. هذا السفر هو بمثابة تحذير وتوبيخ للعائلات الجسدية ولكن المؤمنة.

أ. الأب الغير روحي (27:1-4)

إن المسألة التي عُرِضت في تكوين 27 لم تتطور في يوم واحد وإنما تعود جذورها إلى يوم ولادة عيسو ويعقوب عندما اختار كلٌ من إسحاق ورفقة ابنه المفضل. وذلك التفضيل المميت زرع البذرة التي سوف تظهر بشكل وردة كاملة.

هناك بعض الأمور التي كانت تدور بشكل خاطئ في بيتهم لسنين عديدة. المنافسات والاستياءات السرية كانت بطريقة او بأخرى مخفية، ولكن فجأة، فتح الله الباب الأمامي بنفسه ليدعو العالم كله للنظر. كل حياتهم المحلية سُحِبَت على الملأ، سُجِلَتْ ونُشِرَت في كتاب؛ سيكون للكتاب اصدارات أخرى أكثر من اي كتاب آخر طبع وسيترجم الكتاب الى عدة لغات-أكثر من أي كتاب آخر على الارض. فكر بالأمر! أن تطبع وتقرأ وتناقش وتعظ وتعلق على شؤون يوم واحد لبقية الوقت كله. بالتأكيد إن أفراد عائلة إسحاق كانوا ليتمنوا، إذا كان ذلك ممكناً، أن يعيشوا مجدداً ذلك اليوم بشكل مختلف. ولكن لا يقدر أحد أن يعيش يومه مجدداً. ما كُتِب قد كُتِب.

تبدأ القصة برأس البيت. في مرة كان شَبَه المسيح. هل يمكننا أن نجد في كل الكتاب المقدس شبهاً للمسيح كإسحاق عندما أطاع حتى الموت في جبل المريا؟ لقد كان ذلك الرجل حفار آبار، تاركاً وراءه آثراً للبركة ولإنعاش الاخرين. ولكن كان ذلك منذ زمن بعيد. لقد أصبح الآن شخصاً وبشكل حزين شخصاً غير روحي.

تتركز القصة في البداية*بمخاوف إسحاق*. "وَحَدَثَ لَمَّا شَاخَ إِسْحَاقُ وَكَلَّتْ عَيْنَاهُ عَنِ النَّظَرِ، أَنَّهُ دَعَا عِيسُوَ ابْنَهُ الأَكْبَرَ وَقَالَ لَهُ: يَا ابْنِي. فَقَالَ لَهُ: هأَنَذَا. فَقَالَ: إِنَّنِي قَدْ شِخْتُ وَلَسْتُ أَعْرِفُ يَوْمَ وَفَاتِي." (27:1-2). لقد كان عمر إسحاق مئة وثلاث وسبعين سنة. أخوه اسماعيل قد مات بنفس هذا العمر وربما هذا ما جعل إسحاق يفكر بوقت وفاته. ولكِنه كان مخطئاً فقد عاش أربعاً وثلاثين سنة اخرى (28:35)، ومات بعمرٍ يناهز المائة والثمانين سنة.

ومع ذلك، أفكار إسحاق كانت مليئة بأفكار الموت وقرر أن يهتم بوصيته. أعظم شيء امتلكه للتوريث هو بركته البطريركية، لم تتضمن البركة ملكية مستقرة فقط، وانما الحق بالسلف الصالح (progenitorship)، الحق بأن يكون سلفاً في الخط المباشر لنسب مسيح الله القادم. تلك البركة بالذات لا يمكن أن تمنح ولا يمكن أن يُتْرِكُ أمر تدبيرها للبطريرك. يجب أن تمنح بحسب وحي فكر الله وارادته. لقد كان إسحاق محقاً فيما أراد فعله، ومخطئاً بشكل كامل في قراره بإعطاء البركة للولد المفضل، محبوبه عيسو. لقد مر زمانٌ طويلٌ حيث قيل "الكبير يستعبد للصغير." فإما أنه نسي ذلك او اختار أن يتجاهله. البركة كانت ليعقوب، وليس لعيسو. الله قال ذلك.

إنه لأمر رائع أن تتدرب على الاشياء الروحية. نحتاج أن نعرفها ولكن تقتصر التزاماتنا الروحية على حسب ارادة الله الموحاة. داود كان محقاً بتمنيه أن يرى تابوت العهد المقدس سالماً باستمرار في أورشليم؛ لقد كان مخطئاً بوضعه على عربة. كان موسى محقاً بتمنيه مساعدة أقاربه اليهود ولكنه كان مخطئاً بضرب المصريين. كان شاول محقاً عندما تمنى ان يستشير الله قبل معركة جلبوع المشؤومة؛ كان مخطئاً في إستشارة العرافة ليتلقى الإرشاد والذي تمناه بشكل متأخر. من الممكن الحصول على تمرين روحي جدير بالثناء وجعله يفسد ولا يحضر شيئاً بسبب إعدامه بالطريقة الخطأ.

لقد أُخبِرنا لاحقاً عن *جسدية إسحاق*. "الآنَ خُذْ عُدَّتَكَ: جُعْبَتَكَ وَقَوْسَكَ، وَاخْرُجْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ وَتَصَيَّدْ لِي صَيْدًا، وَاصْنَعْ لِي أَطْعِمَةً كَمَا أُحِبُّ، وَأْتِنِي بِهَا لآكُلَ حَتَّى تُبَارِكَكَ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ." (27:3-4). يعطينا بولس أفضل تعليق على ذلك "إِنَّ الَّذِينَ هُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ فَبِمَا لِلْجَسَدِ يَهْتَمُّونَ، وَلكِنَّ الَّذِينَ حَسَبَ الرُّوحِ فَبِمَا لِلرُّوحِ. لأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ مَوْتٌ، وَلكِنَّ اهْتِمَامَ الرُّوحِ هُوَ حَيَاةٌ وَسَلاَمٌ. لأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ عَدَاوَةٌ للهِ، إِذْ لَيْسَ هُوَ خَاضِعًا لِنَامُوسِ اللهِ، لأَنَّهُ أَيْضًا لاَ يَسْتَطِيعُ. فَالَّذِينَ هُمْ فِي الْجَسَدِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُرْضُوا اللهَ." (رومية 8:5-8). دعونا نرى كيف عمل هذا المبدأ في حياة إسحاق.

نراه في البداية يعرض *العداوة العنيدة* لفكره الجسدي. "أَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ عَدَاوَةٌ للهِ." لقد أراد إسحاق طريقه الخاص. لقد عرف بأن البركة يجب ان تذهب الى يعقوب، ولكن يعقوب لم يكن ولده المفضل. لقد حصل على كلمة الله بخصوص هذا الأمر أن الكبير (عيسو) يجب ان يستعبد للصغير (يعقوب) ولكن لم يعنِ له الامر بشيء. الفكر الجسدي لإسحاق لم يكن خاضعاً لقانون الله. كان مستعداً أن يضع كلمة الله جانباً ليحصل على طريقه الخاص[2].

ثم بعد ذلك نرى كيف عرض إسحاق *الممارسة الحسية* للفكر الجسدي. "إِنَّ الَّذِينَ هُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ فَبِمَا لِلْجَسَدِ يَهْتَمُّونَ." لقد أحب إسحاق عيسو، ليس لأنه كان رجلاً مقدساً وليس لأنه مشى طريق الحج، ولكن لأنه أكل من لحم طرائده. لقد كانت الممارسة الجسدية والحسية من دفعت إسحاق وسيطرت عليه حالاً في عزمه على منح البركة البطريركية للشخص الخطأ. "وَاصْنَعْ لِي أَطْعِمَةً كَمَا أُحِبُّ، وَأْتِنِي بِهَا لآكُلَ حَتَّى تُبَارِكَكَ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ." لقد ظن أن البركة الروحية يمكن أن تُمنَح بطاقة الجسد. انتقل الى آخر الاصحاح وسترى أن الاطعمة ذُكِرَت ست مرات، صيد سبع مرات وأكل ثمان مرات. لقد كان رجلاً سيطرت عليه شهيته الجسدية وهناك أكثر من عشرين مرجعاً لرغباته الدنيوية. لقد كان يمتلك فكراً جسدياً لأن "الَّذِينَ هُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ فَبِمَا لِلْجَسَدِ يَهْتَمُّونَ." ممارسات إسحاق كانت صحيحة بما يكفي ولكنها كانت ممارسات جسدية. لقد فكر بأنه يستطيع ان يفعل أشياءً روحيةً بطريقةٍ جسديةٍ.

ب. الزوجة التي لا تستسلم (27:5-10)

ألكسندر وايتي لديه كلمة مميزة عن رفقة. يقول، مع كل جمالها وشجاعتها وطموحها لتكون في خط العهد، افتقرت رفقة الى أفضل شيء في المرأة-سواء من تتبع خط العهد او لا-احساس المرأة، حنانها، هدوئها، تواضعها، وخضوعها ... "وأما المرأة فتهب رجلها" يقول بولس وعيونه موجهة نحو رفقة. نعم؛ ولكن ماذا لو لم تكن كذلك؟ ماذا لو تبقى القليل في الرجل لتحترمه المرأة؟ ماذا لو استيقظت المرأة لتجد أنها قيدت نفسها إلى الموت بشخص فظ، أو ساذج او جاهل او مغرور او كسول او خمول او بشبه رجل يعتبر الله بطنه او حقيبته او مجرد شخص بائس...؟ بالحقيقة، تحتاج ان تكون امرأة حقيقية وقديسة حقيقية إذا ارادت أن تفعل ما هو صحيح ... يجب ان تقرر أن تكون زوجة العهد الجديد له. يجب أن تؤمن بأن يسوع المسيح قال، ومازال يقول، احمل صليبك يومياً[3]!

2. سيُشاهد ذات المبدأ خلال الكتاب المُقَدّس بأكمَلِهِ، نُشاهِدُهُ في زَواج *ابراهيم* بهاجر وفي اختيار *لوط* لسدوم وفي قطع *يشوع* عهداً مع جِبْعَةَ وفي عفو *شاول* عن أَجَاجَ وقطيعِهِ وفي زيجات *سُليمان* السياسية وفي هرب *يونان* من حَضرَة الرب إلى ترشيش وفي اعتراض *بُطرس* لتصميم المسيح في المُضيّ إلى الجُلجُثة وفي إخفاء *حنانيا وسفيرة* لجزء من السعر. ونستطيع أن نُشاهد ذات المبدأ يعمل كثيراً من الأحيان في قلوبنا وحياتنا الشخصية، فالفِكر الجسدي ليس خاضِعاً لقانون الله. كم من المرات تصارعنا مع أمرٍ كتابيٍ واضِح لأننا بكُل بساطة لسنا مُعجبين بالطريقة التي يتعارض بها الأمر مع إرادتنا وشهواتنا، مع تَحيُزاتنا وأفكارنا المُسبقة واتِجاهاتنا اللاهوتية المألوفة لنا.

3. ألكسندر وايت، شخصيات كتابية، العهد القديم (لندن: أوليفانتس، 1952)،1:209-10

لقد تزوجت رفقة من شخص تبقى لديه القليل ليُحَب من أجله. اذ قال الكتاب، "وأما المرأة فلتهب رجلها،" فإنه أيضاً يقول، "على الرجال أن يحبوا نساءهم كأنفسهم." لقد أحب إسحاق رفقة فيما مضى (67:24)، ولكن الآن صار لديه حب أول. قال، "اصنع لي أطعمة كما أحب."

لقد كانت رفقة امرأة متفتحة الذهن وعملية وقوية الإرادة ومتواضعة. نتبين قبلاً في تكوين 24 بأنها كانت امرأة جامعة للواقعية والتصميم والرومانس في تصميمها. إسحاق، بالمقابل كان شخصاً هادئاً ولطيفاً ومطيعاً نوعاً ما، عُتِم عليه بشكل فعال من قبل اقربائه واصدقائه. ويجب أن يضاف الى ذلك أنه قد نما بشكل جسدي مع التقدم بالعمر. قصة رفقة قُصِد لها ان تعلم دروس الحكمة لكل النساء العمليات، المؤهلات واللواتي يجدن أنفسهن متزوجات من رجال خاضعين ومرنين. الاغراء العظيم لنساء كأولئك هو أن تتأمرن وتتنمرن على أزواجهن. وكنتيجة لذلك يصبحن ذكوريات بشكل متزايد، ويصبح الرجال أنوثيات بشكل زائد. الامرأة القوية بالحق سوف تستخدم قوتها لتقدم القوة لزوجها، وليس لتخلصه ما كان لديه من عزيمة في يومٍ من الأيام. قصة رفقة هي قصة الزوجة التي لا تستسلم.

كذلك يمكن القول بأن إسحاق خسر كل الحق باحترام رفقة له عندما تنكر لها في جرار. أنه لأمر مؤسف أن رفقة لم تكن تعرف حماتها، لأن ربما سارة كانت قد علمتها كيفية الخضوع، حتى في تجربة ساحقة كهذه. ليس مرة بل مرتين ابراهيم، الرجل القوي، خذلها في نفس الطريقة تماماً. ومع ذلك استطاعت ان تقول له "سيد"-بالرغم من ذلك كله (1بطرس6:3). ربما كانت رفقة قد تعلمت الكثير من امرأة كهذه. ولكن للأسف لم تحظَ بفرصة التعلم من سارة لذلك كان عليها أن تتعلم دروس الحياة الصعبة عن طريق تجارب شخصية مريرة.

إن النص يضع أمامنا *قرار رفقة*. "وَكَانَتْ رِفْقَةُ سَامِعَةً إِذْ تَكَلَّمَ إِسْحَاقُ مَعَ عِيسُو ابْنِهِ..." (5:27-7). استدعت يعقوب ابنها المفضل في الحال واخبرته بما سمعت. لقد كانت أكثر حيلة من زوجها. بلا شك أكدت لنفسها أن "الكتاب المقدس" إلى جانبها (أنه لمن المدهش كم أننا ماهرين في إيجاد الدليل من النص والذي يدعم رغباتنا المتمردة) لقد أقسم الله بأن البركة سوف تذهب الى يعقوب. بالتأكيد الغاية تبرر الوسيلة ولكن الله المتحكم بكل الاوقات والامكنة لا يحتاج الى مخططاتنا الصغيرة والذكية. كان يمكن له أن يطارد كل الغزلان في الغابة والحقول لأميال حتى لا يجد عيسو أية طريدة، تماماً كما جمع السمك في شبكة بطرس. كان يستطيع ان يتكلم الى إسحاق بطريقة مقنعة بحيث لا يجرؤ بعدها على العصيان. ولكن كلا، كان يجب على رفقة أن تتصرف بنفسها.

ثم يأتي *خداع رفقة* تالياً. " الان...اذهب،" قالت ليعقوب. "الآنَ يَا ابْنِي اسْمَعْ لِقَوْلِي فِي مَا أَنَا آمُرُكَ بِهِ: اِذْهَبْ إِلَى الْغَنَمِ وَخُذْ لِي مِنْ هُنَاكَ جَدْيَيْنِ جَيِّدَيْنِ مِنَ الْمِعْزَى، فَأَصْنَعَهُمَا أَطْعِمَةً لأَبِيكَ كَمَا يُحِبُّ، فَتُحْضِرَهَا إِلَى أَبِيكَ لِيَأْكُلَ حَتَّى يُبَارِكَكَ قَبْلَ وَفَاتِهِ" (8:27-10). حفنة من الملح هنا ورشة من الفلفل هناك، القليل من المريمية ربما مع فص ثوم كبير وعصير بصلة، كلها طهيت ببطء وغُلِيَّت بالتمام. ثم غصن من النعنع مع المرق المبهر ومن يستطيع بعدها ان يميز الفرق بين الماعز ولحم الغزال؟ ليس إسحاق بأية حال. من خلال الاصحاح نجد أن إسحاق قد خُدِعَ بحواسه، نظره قد قل فقد كان اعمى، خدعته رائحته فقد ظن من رائحة التراب للّباس أن يعقوب هو عيسو، ذوقه خدعه فقد ظن بأن لحم المعزى هو لحم طرائد، أحاسيسه خدعته فقد ظن أن جلد المعزى هي ذراع عيسو المشعرة. سمعه كان جيداً ولكنه لم يستطع تصديق ما قد سمع.

لدينا قصة مذهلة عن زوجة تحضر كيما تخدع زوجها عن قصد بعد أن اقنعت نفسها أولاً بأنه من الصحيح والملائم أن تفعل ذلك. بالطبع سوف تدفع ثمن فعلتها عندما تأتي النهاية. إن الله لا يسمح لشعبه بأن يفلت من هذه الاشياء. قبل نهاية ذلك اليوم ابنها المحبوب يعقوب سيهرب من أجل حياته بعيداً إلى فدان آرام. عزت نفسها بأنه سيهرب "لعدة أيام" ولكن الأيام القليلة طالت لتصبح سنة ثم لسبع سنوات ثم لأربع عشرة سنة ثم لعشرين سنة، حتى أنها لم تشاهد ابنها المحبوب ثانية. لقد ماتت قبل أن يعود. حتى أنها لم تشاهد كبيرها، أحفادها الفذين. ربما لم تسمع حتى كلمة واحدة من يعقوب بعد ذلك. بالحقيقة إن طريق الإثم صعبة.

ت. الأخ المجرد من المبادئ (11:27-33)

يعقوب، وبطريقته المنحرفة، صوب عاطفته نحو الأشياء العليا. من المحتمل بتلك المرحلة من حياته المهنية بأنه لم يكن يعرف الله بشكل شخصي مع أنه قد عرف عنه واشتهى كل ما يمكن لله أن يفعله لرجل. لقد أراد بركة الله ولكنه لم يكن مشتَكلاً بعد للحصول عليها. لا تزال بركة الله هي نجمه المرشد.

1. سلوك يعقوب المشكوك فيه (11:27-27)

بداية يتجه انتباهنا الى *خوفه*. لقد خاف بأن يكتشف أمره عندما تظاهر بأنه عيسو ويحضر بذلك لعنة لا نعمة على رأسه. "أَنَا رَجُلٌ أَمْلَسُ،" قال يعقوب. لقد كان ذلك بالحقيقة! "فَأَكُونُ فِي عَيْنَيْهِ كَمُتَهَاوِنٍ،" اعترض. لم تزعج يعقوب حقيقة بأنه *سيكون* متهاون إذا نفذ

اقتراحات أمه. لم يكن على ما يبدو يبدي رغبة بأن *يظهر* كمتهاون. لقد أراد الحفاظ على شكله بينما هو يتدرب على حيلة مدروسة. لقد خدع نفسه منذ عهد بعيد قبل ان يخطط لخداع والده.

قد سُحِب الانتباه*لكذبه* (27:14-27). لبس معطف عمل عيسو، يديه ورجليه تغتطيا بشعر الماعز القاسي ومع صحن شهي من الماعز المبهرة في يديه، قد أعين يعقوب على خداع والده.

لقد كان كاذباً بارعاً. سأله الرجل الكبير في السن الأعمى، "من أنت يا ابني؟". " أَنَا عِيسُو (الكذبة الأولى)، بِكْرُكَ (الكذبة الثانية)؛ قَدْ فَعَلْتُ كَمَا كَلَّمْتَنِي (الكذبة الثالثة وهي اسوأ كذبة): قُمِ اجْلِسْ وَكُلْ مِنْ صَيْدِي (الكذبة الرابعة)، لِكَيْ تُبَارِكَنِي نَفْسُكَ." لقد كذب أربع كذبات في نفس الوقت! " فقال إسحاق لابنه مَا هذَا الَّذِي أَسْرَعْتَ لِتَجِدَ يَا ابْنِي؟ فَقَالَ: إِنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ قَدْ يَسَّرَ لِي (الكذبة الخامسة)." في ذلك الوقت أضاف اسم الله الحي الى خداعهِ كي يدعم كذبه بالقبول.

لم يقتنع بعد الشيخ المسكين إسحاق. لقد شعر بأن ثمة شيء ما على خطأ، ولكنه لم يستطع أن يحدده. لقد حاول مجدداً باستدعاء يعقوب ليقترب منه أكثر حتى يستطيع ان يتحسس جسده. " الصَّوْتُ صَوْتُ يَعْقُوبَ،" قال مرتعشاً، " وَلكِنَّ الْيَدَيْنِ يَدَا عِيسُو." وفعل إسحاق آخر أخطائه كرجل جسدي، لقد قرر الذهاب مع مشاعره مقتنعاً رغماً عنه. جلس وصنع وجبة كما يحب قلبه ثم قرر بعد أن شبع وامتلئ بأن يُحضِّر نفسه كيما يصب التزاماته البطريركية.

2. بركة يعقوب المسروقة (27:28-33)

يا لها من بركة رائعة. يسجل الروح القدس محتوى هذه البركة (27:28-29). لقد منحت يعقوب قوةً وازدهاراً لا محدودين من دسم الأرض والتسلط على الشعوب وسيادة اخوته، وحماية إلهية-إن بركة الرب من تصنع الغنى وتنفي الحزن.

ثم أُخبِرنا عن *تثبيت* البركة (27:30-33). خرج يعقوب مسرعاً يتنفس الصعداء، تاركاً الشيخ خلفه مستلقياً ومتغذياً وراضياً عن نفسه وعن عمله وسعيداً بأنه خَدَعَ، حتى الأبدي، كي لا يعطي بركته لعيسو. لقد كان يتمايل من النعاس عندما رفرفت خيمته مفتوحة مرة أخرى. جلس إسحاق مستقيماً ومصعوقاً. لا يوجد أخطاء في المنادات الصاخبة. "لِيَقُمْ أَبِي وَيَأْكُلْ مِنْ صَيْدِ ابْنِهِ حَتَّى تُبَارِكَنِي نَفْسُكَ" لقد أتى عيسو كي يأخذ شيئاً لم يمتلكه بالأصل.

لقد كانت لحظة إيقاظ عنيفة لإسحاق. ترجمة الملك جميس تكتب، "فارتعد إسحاق للغاية." ترجمت الآية على الهامش في الكتاب المقدس نسخة سكوفيلد بالشكل التالي، "فارتعد إسحاق ارتعاداً عظيماً جداً." لقد اهتز ورق شجر الحور. إطاره الفقير والقديم اهتز الى أجزاء، وتأرجح كرسيه من تحته. لم يكن ذلك مجرد عجز جسدي ولكنه إيقاظ عنيف لسنين من السبات الروحي. لقد كان إسحاق رجلاً نشيطاً بشكل مفاجئ تجاه الحقائق الروحية لذلك قد رُوِّع لما حاول فعله من فداحة، واعتقاده وتساهله في سعيه لأداء واجبه المقدس بطريقة جسدية. لقد تصرف بالجسد ولكن الله فرض سلطانه عليه بكل بساطة. لقد اهتز الى اعماقه. متلمساً طريقه بعد اسم يعقوب وصارخاً " فَمَنْ هُوَ الَّذِي اصْطَادَ صَيْدًا وَأَتَى بِهِ إِلَيَّ فَأَكَلْتُ مِنَ الْكُلِّ قَبْلَ أَنْ تَجِيءَ، وَبَارَكْتُهُ؟" ثم وبكل ضخامة تأنيبات الروح القدس، أضاف، " نَعَمْ، وَيَكُونُ مُبَارَكًا."

ث. الابن الغير مخلص (27:34-46)

لقد امتلك عيسو نظرة الرجل الغير مُخَلَص عن الحقائق الابدية. لقد ظن بأنهم يمكن أن يباعوا ويشتروا او أنهم في السوق كيما يباعوا بأعلى سعر. بطريقة ما لم يكن عيسو الملام الوحيد. في السنوات الاخيرة قام والده بخيانة روح الله في حياته.

هناك أربع أمور قيلت لنا عن الابن الغير مُخَلَص. أولاً، لدينا عيسو *المتقد بالندم* (27:34-35). "صَرَخَ صَرْخَةً عَظِيمَةً وَمُرَّةً جِدًّا... بَارِكْنِي أَنَا أَيْضًا يَا أَبِي." يخبر العهد الجديد بأن عيسو لم يجد أي طريقة كيما يغير فكر والده. لم يندم عيسو ولو للحظة. لقد كان مكسور القلب لأن أمله خُيب في توقعاته الجسدية.

يوم السبت 18 نيسان من سنة 1974، كست بريطانيا نفسها بالحزن. واحد من أبطالها قد مات ودفن في الضريح الوطني. كان ديفيد ليفينستون في طريقه الى المدفن في ويست منستر آبي عندما انضم الى حاملي نعشه أسماء دوى صداها في التاريخ، ليس آخرهم كان المغامر الأمريكي اتش ام ستانلي. كانت الكنيسة ممتلئة بالناس، اخذت *الحفارة* صفحة لتكتب على ضريح ليفينستون:

أفتح باب كنيسة آبي واحمله في الداخل

كيما ينام مع الملك ورجل الدولة، الرئيس والحكيم

المُرسَل، عشيرة الحائك،

ولكن عظيم العمل ممن لم يعانِ من الأجر القليل.

لقد ضاع بمكان ما بين الحشد الضخم، هناك وقف بالياً، مفلساً، متسولاً أشعثاً. لم يفكر فيه أحد ما. ولكن عندما مرت الحاشية، رُفِع بالحظ الظاهر ذلك الجزء من الناس المتشردين فوق شواطئ الإنسانية والتي اصطفت على طريق الجنازة، وسُمِعَت تقول، "نحن الرجال سوية، ديفي وأنا، ذهبنا إلى المدرسة سويةً. ديفي العنيد وأنا جلسنا سويةً في بيت المدرسة، في طابور الباص. ولكن ديفي اختار المسيح وأنا اخترت دينا. الآن كل العالم يحترمه ولكن من يهتم بنصف فلس من أجلي. ذلك المتسول المغمور باع بكوريته مقابل العبث في حساء العالم، والآن أصبح الوقت متأخراً كيما يستعيدها من جديد. لوى عيسو يديه بالباطل. لا يستطيع ندمه المتقد أن يجلب له البركة مجدداً أو يغير مجرى دوران الأرض عن محورها أو يرجع طريقها حول الشمس.

لدينا بالإضافة الى ذلك، *استياء عيسو العنيد* (27:36-37). "أَلاَ إِنَّ اسْمَهُ دُعِيَ يَعْقُوبَ؟" صرخ عيسو. "فَقَدْ تَعَقَّبَنِي الآنَ مَرَّتَيْنِ!" استياءه كان صحيحاً وخاطئاً في نفس الأوان. لقد كان مفهوماً. كانت طرق يعقوب ماكرة ووضيعة وليست ضرورية أبداً فقد تعهد الله لإعطائه البركة. يمكننا ان نتفهم استياء عيسو ولكنه قد باع بكوريته بكامل ارادته الحرة، لم يجبره أحد على ذلك. لقد حثه يعقوب على ذلك ولكنه لم يجبره. لقد عامل عيسو حقه في الولادة بازدراء تام. لقد أتى متأخراً في يومه حتى يمتلئ بالاستياء لان يوم الحساب عن اخطائه قد حضر.

لقد قيل لنا عن *مطلب عيسو المُلِح* (27:38-40). "لَكَ بَرَكَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَطْ يَا أَبِي؟ بَارِكْنِي أَنَا أَيْضًا يَا أَبِي». وَرَفَعَ عِيسُو صَوْتَهُ وَبَكَى. "لقد وجد إسحاق بركة لعيسو والتي تضمنت الغنى والحرب، ولكن ليس فيها شيء باقي او ذو قيمة أبدية. سوف يذهب الى العالم وسيصنع اسماً لنفسه، حتى انه سوف يكسر نير يعقوب عن عنقه. هذا كل ما تبقى له. الندم لوحده لا يستطيع أن يربح البركة الروحية؛ بل يحتاج الى توبة، ولم يكن لعيسو أي أثر للتوبة على الاطلاق.

لدينا، على العكس، *قرار عيسو المتهور* (27:41-46)."فَحَقَدَ عِيسُو عَلَى يَعْقُوبَ... وَقَالَ عِيسُو فِي قَلْبِهِ: قَرُبَتْ أَيَّامُ مَنَاحَةِ أَبِي، فَأَقْتُلُ يَعْقُوبَ أَخِي" ربما يستطيع أن يربح بالجريمة ما لم يستطع أن يربحه بأكلة اللحم؛ إذا لم يستطع لحم الطرائد أن يشتري له البركة ربما العنف يستطيع. لو قتل يعقوب لبقي الوريث الحي الوحيد لوالده. قد سُمِعَ قراره ووصل إلى رفقة والتي بدورها ذهبت وأخبرت ابنها المفضل. "فَالآنَ يَا ابْنِي اسْمَعْ لِقَوْلِي." قالت رفقة ليعقوب. لقد استخدمت نفس الصيغة التي استخدمتها معه لتجعله يخدع أباه. المسكينة رفقة مازالت تتطفل! ربما الألم والسنوات الفارغة القادمة ستعلمها الصبر فيما يختص بأمور الله.

7
المُتكاثِر: يعقوب
(29:35-1:28)

1. كيف خَلَّصَ الله يَعْقُوبَ (22-1:28)
أ. رحيل يَعْقُوبَ (9-1:28)
1. أهميتهُ الهائلة (4-1:28)
2. تأثيرَهُ الفوري (9-5:28)
ب. حِلم يعقوب (17-10:28)
1. البلد البعيد (11-10:28)
2. الميثاق الجديد (15-12:28)
3. الإيمان الراسِخ (17-16:28)
ت. قرار يعقوب (22-18:28)
1. تَصَرَفَ يعقوب *بفورية* (18:28أ)
2. يعقوب تَصَرَفَ *بهدف مُعين* (18:28ب-19)
3. تَصَرَفَ *ببطريركية* (22-20:28)
2. كيف أَخضَعَ الله يعقوب (43:30-1:29)
أ. وصول يعقوب إلى فَدَّانِ أَرَامَ (12-1:29)
1. المجيء إلى البئر (3-1:29)
2. الثِقة عند البئر (8-4:29)
3. الغزوات عند البئر (12-9:29)
ب. تدابير يعقوب في فَدَّانِ أَرَامَ (43:30-13:29)
1. أمر زوجاتَهُ (24:30-13:29)
أ. حُبَهُ الحماسيّ (20-13:29)
ب. دَرسَهُ الأول (31-21:29)
ت. حياتَهُ العائلية (24:30-32:29)
2. أمرُ أُجرَتِهُ (43-25:30)
أ. كيف أُثير إيمان يعقوب (26-25:30)
ب. كيف أُخمِدَ إيمان يعقوب (43-27:30)
3. كيف أوقف الله يعقوب (32:32-1:31)
أ. كيف تُحُدِيَّت الأهداف القديمة (16-1:31)
1. اهتمام يعقوب الجوهري (3-1:31)
2. مؤتَمَر عائلة يعقوب (9-4:31)
3. اعتِراف يعقوب الأمين (13-10:31)
4. التِزام يعقوب الأخير (16-14:31)
ب. كيف تُحُدِّيَت الأهداف القديمة (35-17:31)
1. ماذا علم لابان (21-17:31)
2. ماذا اعتقدَ لابان (30-22:31)
3. عن ماذا بحث لابان (35-31:31)
ت. كيف تُحُدِيت الأحقاد القديمة (55-36:31)
1. نقمة يعقوب المُحِقة (42-36:31)
2. ابتِهال يعقوب الديني (55-43:31)
ث. كيف تُحُدِيَّ الذنب القديم (32-1:32)
1. تأكيد يعقوب من الله (2-1:32)
2. ارتباك يعقوب حول الله (23-3:32)
3. مواجَهة يعقوب مع الله (32-24:32)
4. كيف عزل الله يعقوب (31:34-1:33)
أ. يعقوب وأخاه (16-1:33)
1. كيف وجد عيسو يعقوب (3-1:33)
2. كيف غفر عيسو ليعقوب (7-4:33)

3. كيف أنعم عيسو على يعقوب (33:8-11)
4. كيف أخاف عيسو يعقوب (33:12-16)
ب. يعقوب وتراجُع إيمانِهِ (33:17-34:31)
1. فشل يعقوب كمُهاجِر (33:17-20)
2. فشل يعقوب كأب (34:1-31)
أ. الفضيحة التي سببها تصَرُف دينا (34:1-7)
ب. الفضيحة التي سببها أخوة دينا (34:8-31)
5. كيف قدس الله يعقوب (35:1-29)
أ. يعقوب كرَجُلٍ مؤمن (35:1-15)
1. تجديد حيوّية يعقوب الروحية (35:1-4)
2. تجديد انتصار يعقوب الروحي (35:5)
3. تجديد حقيقة يعقوب الروحية (35:6-15)
ب. يعقوب كرَجُلٍ محروم (35:16-29)
1. يُحرَم يعقوب من مُفَضَلتِهِ (35:16-26)
أ. خسارة راحيل (35:16-21)
ب. شَبَق رَأُوبَيْنَ (35:22-26)
2. يُحرَم يعقوب من أبيه (35:27-29)

7

المُتكاثِر: يعقوب

1. كيف خَلَّصَ الله يَعْقُوبَ (28:1-22)

لدينا بعض الصعوبة في التوافُق مع يعقوب، إنه أحد الأشخاص الأكثر إنسانية ويُمكِن تَفَهمه في الكتاب المُقَدَّس. الإصحاحات الثمانية القادِمة من التكوين ستُرَكِّز على ذلك الرجُل العظيم جِداً. سوف نرى الله *يُخَلِّص* يَعْقُوبَ (28) والله *يُخضِع* يَعْقُوبَ (29-32) والله *يَفصِل* يَعْقُوبَ (33-34) والله *يُقَدِّس* يَعْقُوبَ (35). بالواقع تمتد القِصة لأكثر من عشرين أو ثلاثين سنة من حياة يَعْقُوبَ، لأن الله لا يستَعجِل أبداً ولا يُخَفِف من عَمَلِهِ في الروح البشرية، فالله يعمل للأبدية.

أ. رحيل يَعْقُوبَ (28:1-9)

لم يَعُد وضع يَعْقُوبَ يُدافع عنه بعد أن خَدَعَ والِدَهُ العجوز الأعمى واحتال على أخاه عيسو. قال عيسو "حسناً يعقوب، ادفن أبانا وأنا أدفُنَك!"

1. أهميتهُ الهائلة (28:1-4)

في المرتبة الأولى، لم يتسلل يعقوب من خلال ظلام الليل، لقد أطلِق بسبب ظروف مُثيرة بشكل كافٍ لتترُك انطباعاً باقٍ في ذِهنِهِ. يبدو أن إسحاق المُسِن قد أخرِجَ من الجسديات من خلال خوفهِ بسبب الأمور التي حدَثَت للتوّ. استدعى يعقوب ببطريركيته الروحية وأعطاه تعليمات مُتَعَلِقة بالمُستَقبَل، كان لديهِ كَلِمَتَان لابنِهِ، الواحِدة اجتِماعية والأخرى روحية؛ الأولى تتعامل مع أمر الزوجة والأخرى تتعامل مع أمر العِبادة. القرارات المُتَعَلِقة بكِلا المجالين تؤثر على حياة الرَجُل في هذا الوقت والأبدية، من غير الممُكِن أن يحِرص المرء أكثر من اللزوم في التعامُل مع كلا الأمرين.

لدينا أولاً كلمة إسحاق *للتوجيه*، التي تتعلق باختيار يعقوب *زوجةً* (28:1-2) "فَدَعَا إِسْحَاقُ يَعْقُوبَ وَبَارَكَهُ، وَأَوْصَاهُ وَقَالَ لَهُ: لاَ تَأْخُذْ زَوْجَةً مِنْ بَنَاتِ كَنْعَانَ. قُمِ اذْهَبْ إِلَى فَدَّانِ أَرَامَ"، زواج يعقوب من وثنية مرفوض تماماً. مازالت مَعرِفة الله الحقيقي تحوم في بيتِ جَدِهِ من أمِهِ، وهي بدون شك إرثٌ من شهادة إبراهيم في الأيام الماضية، وعلى يعقوب أن يذهب إلى هناك ويبحث عن زوجة. جعل ضِعة الدين الكنعاني الذي لا يوصَف، بأن يَعزِل يعقوب نفسَهُ عن أي ارتباط بنساء الكنعانيين حتميٌّ. سبق ووصَمَ عيسو نفسهُ بزواجِهِ بوثنيات شريرات؛ على يعقوب ألا يفعل ذات الشيء.

كان بَتُوئِيلَ والِد رفقة ابن أخ إبراهيم، ودلالة مَعرِفَتِهِ شيئاً عن الرب تَكمُن في استجابَتِهِ عندما أتى خادِم إبراهيم باحِثاً عن زوجة لإسحاق منذ سنوات. قال بَتُوئِيلَ بعد أن أصغى لقِصة الخادِم بإمعان "مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ خَرَجَ الأَمْرُ" (50:24). قال إسحاق ناظِراً إلى ابنِهِ "بركتي لك" "بركتي لك يا يعقوب، ولكن عليك ألا تتزوج من وثنية".

يلي ذلك كلمة *الوحيّ*، التي تعود *لعبادة* يعقوب والمسؤوليات البطريركية التي في يومٍ من الأيام ستكون لهُ. لم يَعُد إسحاق يتكلم كأب عندما أعطى تلك الكلمة بل كبطريرك، وكان روح الوحي والاستنارة علية. لقد وضع أمام يعقوب *حقيقة الحياة المُثمِرة* (28:3) *ومسؤولية النسب البطريركي* (28:4أ) *وسند مُلكية أرض الموعِد* (28:4ب). ما أرادَهُ إسحاق من ولدهُ الصلب الرأي والصعب والعنيد كان ما يُريدَهُ كُل أب روحيّ-فِكِر لابنِهِ، أراد أن يرى يعقوب مُتَزَوِّجاً من مؤمنة وأراد أن يراه يمشي في طُرُق الرب. إذاً كان رحيل يعقوب من البيت ذا أهمية عظيمة.

2. تأثيرَهُ الفوري (28:5-9)

حزم يعقوب حقائبَهُ وودعَ أحِباءَهُ ومنطق نفسَهُ للرحلة ورحل. شوهِدَ التأثير الفوري في أوساط غير مُتَوَقّعة، سجَلَ عيسو حقيقةً واحِدَةً، إسحاق قد أرسل يعقوب بعيداً، ليس لأنه كان خائفاً مما قد يستَهلَهُ عيسو المُنتَقِم، لأن بركة الله قد وضِعَت على يعقوب ولا يُمكِن لعيسو أن يفعل أي شيء ليؤذيه، لقد أرسَلَهُ بعيداً بسبب خوفِهِ من نساء كنعان. بدأت المُسننات تدور في ذِهن عيسو الجسدي، فكرَ في نفسِهِ *لهذا أبى والدي أن يُعطيني البركة، لقد رفض لأني لم أتزوج من مؤمنة*. فقرر أن يتواصل مع إسحاق بِحَذَقة "فَذَهَبَ عِيسُو إِلَى إِسْمَاعِيلَ وَأَخَذَ مَحْلَةَ بِنْتَ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، أُخْتَ نَبَايُوتَ، زَوْجَةً لَهُ عَلَى نِسَائِهِ" (28:9). هاكَ! هذا الأمر سيُصلِح الشأن! الأن أصبح جَيداً مثل يعقوب، رُبما الآن يستطيع أن يعود إلى جانِب والِدهِ المُنعِم ويَحصُل على البركة المُعطاة ليعقوب، هذا هو تفكير الرجُل الغير المُخَلَّص. تخيلَ عيسو بأنهُ إذا حافَظَ على المظاهر الخارجية يستطيع أن يحصُل على ما يُنقَل بالإيمان فقط. لقد أضاف بعضاً من التلميع الديني الخارجي لحياتِهِ الجسدية، طبعاً كُلَ ما أثبَتَهُ هو استِحَالة أن يفهم الرجُل بحسب الطبيعة الأمور الروحية. ما كان منطقياً عند عيسو كان في قِمة الحماقة عند الله.

ب. حِلم يعقوب (28:10-17)

قد يبدو أن يعقوب في تِلك المرحلة من حياتِهِ لم يكن رجُلاً مُخلصاً بعد، لقد نشأ في بيت مؤمن، وأباه وجَّدَهُ كانا رَجُلين قد عَرِفا الإله الحيّ. يعقوب بنفسِهِ قد عَرِف الأمور الروحية وتاق في قلبهِ للحقائق الروحية المعلومة لدى إسحاق وإبراهيم، ولكن حتى الآن لم يكُن لديهِ مواجهة شخصية مع الله. لقد كان هناك ثلاث مستويات لتَحَوُّلِهِ.

1. البلد البعيد (28:10-11)

"فَخَرَجَ يَعْقُوبُ مِنْ بِئْرِ سَبْعٍ وَذَهَبَ نَحْوَ حَارَانَ. وَصَادَفَ مَكَانًا وَبَاتَ هُنَاكَ لأَنَّ الشَّمْسَ كَانَتْ قَدْ غَابَتْ، وَأَخَذَ مِنْ حِجَارَةِ الْمَكَانِ وَوَضَعَهُ تَحْتَ رَأْسِهِ، فَاضْطَجَعَ فِي ذلِكَ الْمَكَانِ. لقد كان في طريقهِ مسافة يوم أو إثنين وقد كان تَعِباً وقلقاً ومُحبطاً وخائفاً. تهديدات أخاه مازالت تَرُن في أذُنِهِ، ولم يَكُن هناك فِكر لله في ذهن يعقوب أبعد من حقيقة ذهابِهِ إلى المكان الذي قال عنهُ إسحاق، لم يَكُن هناك أي تلميح لتوبة أو أسف لما فَعَلَهُ. وجد بُقعةً مُلائمة لقضاء الليل، أصطاد حجراً أملساً ومناسباً ليستخدِمَهُ كوسادة ثم نظر إلى النجوم وتثاءب في وجه الله وذهب للنوم. لقد كان ضال العهد القديم يَدفَعُ أول دُفعة على "الحساب المُقَدَم" لتصرُفاتِهِ الماضية.

2. الميثاق الجديد (28:12-15)

الله هو إله النعمة الغير مُنتهية، ولا يسمح لضاليه أن يبتعِدوا عنهُ بسهولة. رُبما نصب يعقوب خيمَتَهُ وتجاهل الله، ولكن سيدخُل الله بهدوء إلى مُخيم يعقوب ويقتحم حُلمَهُ. نُلاحِظ أولاً أن الله *بُرْهِنَ ليعقوب* في تِلك الليلة (28:12) "وَرَأَى حُلْمًا، وَإِذَا سُلَّمٌ مَنْصُوبَةٌ عَلَى الأَرْضِ وَرَأْسُهَا يَمَسُّ السَّمَاءَ".

قال شابٌ لصَديقَتِهِ مرةً: "لقد حَلِمتُ بِك ليلة أمس"، بالطبع أصبحت مُهتمة وأرادت أن تعرِف كُل شيء عن ذلك الحُلم. قال: "لقد حَلِمتُ أنني طلبتُ يَدَكِ، أتساءل ماذا يعني ذلك!" قالت: "المعنى بسيط جِداً، ذلك يعنى أنه لديك حكمة أكثر في نومك مما في يقَظَتِك!"

في تِلك الليلة كان يعقوب حكيماً بالإجماع عندما كان نائماً أكثر مما كان عليهِ عندما كان يقِظاً. تعلم في تِلك الليلة أن إله جَدِهِ إبراهيم وإله أبيهِ إسحاق قد يُصبح إله حتى يعقوب.

وتعلم أكثر من ذلك أنه يوجد مكانٌ يُدعى السماء، والسماء ليست فقط مكاناً واقعياً؛ بل مكانٌ يُمكن الدخول إليه. عرّفَ الرب يسوع *نفسَهُ*، بعد عصورٍ من ذلك الحَدث، في حَديثِهِ مع نثنائيل بأنهُ السُلَّم الذي رآه يعقوب. فهو الوصل بين الأرض والسماء، لأنهُ كالله وإنسان بذات الآن يكون جِسراً للمسافة اللا حدود لها بين الألوهية والبشرية، السماء والأرض. نستطيع أن نقتَرِب من الله ونصل إلى السماء من خِلالِهِ، تعَلَمَ يعقوب في تلك الليلة حقيقةً محورُها المسيح، لقد كان حقيقةً مُخَلِصة.

أبعد من ذلك، نُلاحِظ ماذا *وَعَدَ* الله *يعقوب* (28:13-15). سَمِعَ يعقوب صوت الله يتكلم معهُ في رؤيَتِهِ عن *الرب* وعن *الأرض* وعن *حياتِهِ*، لقد كانت إعادة تأكيد للوعد الأصلي المُقَدَم لإبراهيم ومُوَّطد لإسحاق والآن يرسو على يعقوب، وعد الله الغير مشروط. كان ليعقوب أن يستيقِظ من ذلك الحُلم في معرفة مؤكدة بأن نَسلَهُ هو المُختار والذي سيقود بشكل مُباشَر للمسيح.

3. الإيمان الراسِخ (28:16-17)

"فَاسْتَيْقَظَ يَعْقُوبُ مِنْ نَوْمِهِ وَقَالَ: حَقًّا إِنَّ الرَّبَّ فِي هذَا الْمَكَانِ وَأَنَا لَمْ أَعْلَمْ! وَخَافَ وَقَالَ: مَا أَرْهَبَ هذَا الْمَكَانَ !مَا هذَا إِلاَّ بَيْتُ اللهِ، وَهذَا بَابُ السَّمَاءِ". مُجبَراً أن يَترُكَ بيتَ أبيهِ وجد يعقوب الله في نِعمَتِهِ اللا محدودة يُقَدِمُ لهُ *بَيتَهُ*، لقد تم خلاصُهُ منذُ تِلك اللحظة.

ت. قرار يعقوب (28:18-22)

الآية الختامية للإصحاح تُسَجِل خطوة يعقوب الأولى كرجُلٍ قد تَغَيَّر. بالطبع بعض تصَرُفاتِهِ تخون نُضوجَهُ الروحيّ، ولكن مع ذلك فهي علامةً على البُعد الجديد للحياة الروحية التي نهضت في نفسِهِ وتُقَدِم دلالةً على التَحَوّل الأصيل.

أول شيء تَصَرَفَ يعقوب *بفورية* "بَكَّرَ يَعْقُوبُ فِي الصَّبَاحِ" (28:18أ)، الحياة الجديدة تنبض في نَفسِهِ، قَفَز من فِراشِهِ مع أول ضوء للنهار وأجراس الفرح تقرع في روحِهِ. السماء في الأعلى كانت بزراق أعمق والأرض من حولِهِ بخضار أروع! لم يَكُن ذلك نهاراً جديداً فقط، لقد كان إنساناً جديداً ايضاً.

ثم نقرأ أن يعقوب تَصَرَفَ *بهدف مُعين* (28:18ب-19). أخذ الحجر الذي استخدمهُ كوسادة وأنشأ عموداً، وسكب زيتاً عليهِ لِيُقَدِسُهُ ودعا اسم المكان "بَيْتَ إِيلَ". يَذكُر روح الله أن "اسْمُ الْمَدِينَةِ أَوَّلاً كَانَ لُوزَ"، يعني اسم لوز "انفِصال"؛ بيت إيل يعني "بيت الله". الرجُل الذي كان "مُبعَداً"، مفصولاً عن الله بسبب الخطيئة وأعمالِهِ الشريرة، الآن قد "جُعِلَ قريباً". بمعنى آخر، بنصب يعقوب ذلك التذكار لتغييرِه كان يُقَدِم شهادة علنية لما حَدَثَ لهُ. إن ذلك إشارة حسنة دائماً.

أخيراً تَصَرَفَ *ببطريركية* (28:20-22) باعتِرافِهِ بحضور الرب وعطايا الرب وحماية الرب. قيل لنا بأنه نَذَرَ نِذراً، وهذه أول مرة يُذكر بها النذر في الكِتاب المُقَدَس؛ ليس لك إلا يعقوب أن يفعلها! "وَنَذَرَ يَعْقُوبُ نَذْرًا قَائِلاً: إِنْ كَانَ اللهُ مَعِي [أو بشكل أفضل: *بما أن* الله معي: فهو لا يستخدم لُغة عدم اليقين بل التأكيد]، وَحَفِظَنِي فِي هذَا الطَّرِيقِ الَّذِي أَنَا سَائِرٌ فِيهِ، وَأَعْطَانِي خُبْزًا لآكُلَ وَثِيَابًا لأَلْبَسَ، وَرَجَعْتُ بِسَلاَمٍ إِلَى بَيْتِ أَبِي، يَكُونُ الرَّبُّ لِي إِلهًا" كان ذلك اعتِراف يعقوب الشفوي للتغيير الداخلي في قلبِهِ.

ولكِنَهُ لم ينتهي بعد "إِنْ كَانَ اللهُ مَعِي... يَكُونُ الرَّبُّ لِي إِلهًا، وَهذَا الْحَجَرُ الَّذِي أَقَمْتُهُ عَمُودًا يَكُونُ بَيْتَ اللهِ، وَكُلُّ مَا تُعْطِينِي" يُضيف مُخاطِباً الله مُباشرة "فَإِنِّي أُعَشِّرُهُ لَكَ" لقد كان ذلك دليلاً عملياً لتغيير يعقوب. حتى الآن الشغف المُصيطر في قلبِهِ كان الطمع، كان عليهِ دائماً أن يحصل على شيء، أما الآن فهو يُريد أن يُعطي. وقف هناك كزكّا العهد القديم، كما نذكر أن زكّا بعد أن أخذ الرب يسوع إلى قلبِهِ وبيتِهِ بدأ بالحال بالتعبير عن امتِنانِهِ عن طريق العطاء، وكان تعليق الرب "الْيَوْمَ حَصَلَ خَلاَصٌ لِهذَا الْبَيْتِ" (لوقا 19:1-10). لم يَخلُص زكا لأنهُ أعطى؛ بل أعطى لأنهُ خَلُص. كان ذلك صحيحاً ليعقوب أيضاً.

وهكذا في أول لحظة من تغيير يعقوب يَعِد الرب بأنهُ لن ينسى أمرين: لن ينسى مكان الله ولن ينسى قِسمة الله. لقد كانت بداية مُمتازة.

2. كيف أَخضَعَ الله يعقوب (29:1-30:43)

لقد تم خلاص يعقوب، ولكن خلاص المرء هو أمرٌ؛ وإخضاعِهِ هو أمرٌ آخر. ستأخُذ عملية الإخضاع العشرين سنة المُقبِلة من حياة يعقوب. كم نحن بطيؤون في تَعَلُّم حتى الحقائق الأساسية والابتدائية لحياة الإيمان. تُخبِر قِصة إخضاع الله ليعقوب عن وصولِهِ وترتيباتِهِ واعتقالِهِ في فَدَّانِ أَرَامَ، وسوف ننظُر أولاً إلى الوقائع التي تتعلق بإيجاد عائلة يعقوب. تعامل يعقوب في فَدَّانِ أَرَامَ مع أمرين بطريقَتِهِ-أمر الزواج وأمر المال، وهنا سوف ننظُر إلى الأولى منهما.

أ. وصول يعقوب إلى فَدَّانِ أَرَامَ (29:1-12)

لقد انتهت المواجَهة المُغيِّرة للحياة مع إله بيت إيل، ووقف العمود الحجري التذكاري هناك كثناء لإيمان يعقوب المُخَلِص. والآن على يعقوب أن يُمارِس خلاصَهُ بخوف وارتِجاف في عالمٍ عِدائي.

1. المجيء إلى البئر (29:1-3)

"ثُمَّ رَفَعَ يَعْقُوبُ رِجْلَيْهِ وَذَهَبَ" يا لهُ من وصفٍ تصويري لمُهاجِر مولود ثانيةً! كيف كان يَجُر قَدَمَيهِ بعد أن قطعَ تلك الأميال الأولى الصعبة بينهُ وبين عيسو. كم كانت الأفكار الثقيلة تُتعِبَهُ بعد أن طُرِدَ من البيت، وبمستَقبلٍ خالٍ وغيرِ مؤكدٍ أمامَهُ وأخٍ انتقاميٍ خلفهُ. ولكنَهُ رَفَعَ رِجلَيْهِ الآن، لقد حَصِلَ على انطلاقة جديدة في خطوَتِهِ وترنيمة جديدة في قَلبِهِ. سارَ بخطواتٍ ثابِته ورأسٍ مرفوعٍ عالياً يُصَفِرُ لنفسِهِ والأميال تذوب تحت خطواتِهِ الواسِعة والمُبتَهِجة.

ذهب شمالاً وشرقاً مُتَبِعاً الهلال الخصيب على قوسهِ المُمتد ل 450 ميلاً إلى بلاد ما بين النهرين. ثم وصل أخيراً إلى الأرض الأسطورية التي سمع عنها الكثير من جَدِهِ إبراهيم، الأرض التي خرج منها المُهاجر القديم منذ حوالي 150 سنة مضت. أمامه كان المنظر المألوف لبئرٍ على جانِب الطريق مع عددٍ من قِطعان الغنم يتمدَدون من حولهِ ومجموعة من الرُعاة مُتَدَلين في الظِلال. لم يَكُن هؤلاء الرُعاة اللُطفاء والمُناسبين للصور التي نراها على كروت عيد الميلاد، إنهُم رجالٌ ذوو مظهرٍ شرسٍ بخناجِرٍ في نطاقِهم، داكنيّ البشرة وذوو لحية، رجالٌ مُعتادون على مصاعِب البرية وجميع أنواع الطقس، رجالٌ قادرون على مواجَهة الذئاب والأسود واللصوص، لابُد أنهم راقبوا الغريب المُتَقَدِم بمزيجٍ من الفضول والعِداء. أتى يعقوب إلى البئر.

2. الثِقة عند البئر (29:4-8)

سَلَمَ عليهُم، لم يَكُن خجولاً مع الغُرباء، فقد كان راعياً وقوياً أيضاً كأي واحِدٍ منهُم. لم يُوصَم يعقوب بالخجل أو بحِس الدونية، قال "يَا إِخْوَتِي، مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ؟" "مِنْ حَارَانَ" رَدَهُم كان مُختَصراً ومُتَحَفِظاً وكأنَهُم يقولون لهُ بتعبيرنا "احلق من هنا"، لم يَكونوا مهتمين بهِ.

تعلّمَ يعقوب في بيت إيل من هو الله؛ في حاران سيتعلم من هو الإنسان. حتى الآن كان يعقوب دائماً الرجُلٌ العظيمٌ ابن شيخ القبيلة الغنيٌ وصاحِبُ نفوذٍ، رجُلاً لهُ عِدة خدم تحت أمرهِ وإراداتِهِ. لقد اختلف الأمر الآن، فهو الآن الدخيل والأجنبي والغريب الغير مرغوب بهِ، باحِثاً ليصنع طريقاً له ضِمن رجالٍ ليس لهم أي منفعة منهُ.

ولكن لم يَكُون يعقوب ذا جِلدٍ رقيق، فسأل: "هَلْ تَعْرِفُونَ لاَبَانَ؟" كانت الإجابة المُقتَضِبة "نَعْرِفُهُ". يا لغنى المعاني المُخبأة خلف الإجابة الجافة، الجميع لأميالٍ عِدة عَرِفَ لابان، وقبل أن يمضي الوقت الطويل سيعرِف يعقوب لابان أيضاً-سيعرِفَهُ حتى تكلِفَتَهُ. لو طُلِب من تشارلز ديكينز أن يصِف الخال لابان لكان بدون شك استخدم ذات اللُغة التي استخدمها في وَصفِهِ لإبنزر سكروج، لأن الخال لابان كان " خاطِئاً عجوزاً وقابضاً عاصِراً وساحِباً بقوة وكشطاً وجشعاً وطماعاً! صلباً وحاداً كصوان، سرياً ومُتَحَفِظاً كالمحارة. البرودة في داخِلِهِ جمَدَت صفاتِهِ القديمة وقَرَصَت أنفَهُ المسنون وأذبلت خديّهِ وأصلَّبت مشيَتَهُ" كان ذلك سكروج وكذلك كان لابان؛ لقد قُطِعا من ذات قطعة القماش. "هَلْ تَعْرِفُونَ لاَبَانَ؟" "نَعْرِفُهُ".

يُحاول يعقوب مرة أخرى بشجاعة "هَلْ لَهُ سَلاَمَةٌ؟" جَلَبَ لُطفَهُ الدؤوب بعضاً من الدِفء "لَهُ سَلاَمَةٌ .وَهُوَذَا رَاحِيلُ ابْنَتُهُ آتِيَةٌ مَعَ الْغَنَمِ"، من المُحتَمل أن راحيل كانت مُلَثَمة بشِدة فأخذ يعقوب نظرة أخرى بحرص. ثم ألتفت إلى الخلف إلى الرُعاة وطلب أن يَعرِف لماذا لم يسقوا القطيع بعد فقال "هُوَذَا النَّهَارُ بَعْدُ طَوِيلٌ!" أو يُمكن أن تُقَدَم على النحو التالي "لا يزال الكثير من النهار". لم يستطيع أن يفهم لما يستلقي الرجال بينما هناك الكثير من العمل لِيُعمل. كانت طاقتَهُ تلك المُلتَهِبة المُساقة التي ميَّزَتهُ كرجُلٍ لا بُد أن ينجح.

كان رَد الرُعاة بفصاحِة لامِعة تقريباً، قالوا ليعقوب بأنهم لا يستطيعون أن يسقوا القطيع حتى يَصِل جميع الرُعاة، لم يُقَدِموا أي سبب. رُبما حمى ذلك الترتيب البئر من الغبرة-من الأفضل أن يُفتَح مرة واحِدة عندما يجتَمع الجميع بدلاً من فتحِهِ كُل النهار. رُبما كان الترتيب مقصوداً منه توزيع المياه الثمينة بشكلٍ عادِلٍ. لمْ يُقَدَم السبب، ولكن المشهد يُثير إعجابنا بثِقة يعقوب.

3. الغزوات عند البئر (29:9-12)

لقد وصلت راحيل، وبمُجاملة غير معروفة في تلك الأوقات بين أناسٍ جامِحين كهؤلاء، حرك يعقوب الحجر بالرُغم من نظرات الآخرين وسقى قطيع ابنة خالِهِ. عادةً، رُبما تَدَافَعَ الرُعاة أولاً وتركوا النساء تهتم لأنفسهنَّ بعدما فَرِغوا. لا بُدَ أنهم حدقوا بيعقوب، ولكن إن جُرِبوا ليتدَخلوا ويضعوا الغريب الوقح بمكانِهِ، فكان هناك شيءٌ يتعلق ببروز حَنَكِهِ وعضلاتِ ذراعِهِ الصلبة جعلهم يجفلون. فتركوه وشأنه، لقد غزاهُم.

ثم غزى راحيل، فوقفت بذُهول حيث أنها لم تَكُن مُعتادة لاهتمام وخِدمة كهذه. زاد تعَجُبها عندما عرَّفَ عن نفسِهِ بأنهُ ابن عمتِها بالطريقة العادية والعاطفية لتلك الأيام. قال ببساطة بينما عانقها " أَنا ابْنُ رِفْقَةَ"، تركت راحيل البئر وروحها في اشتعال وركضت إلى البيت لتُخبِر أباها بأن غريباً قد أتى وأنهُ عند البئر وأنهُ ابن أختِهِ! لقد كانت قِصَة رفقة الرومانسية عند البئر بالمقلوب. وهكذا وصل يعقوب إلى فَدَّانِ أَرَامَ.

ب. تدابير يعقوب في فَدَّانِ أَرَامَ (29:13-30:43)

خلال الإصحاحين 29 و30 نرى يعقوب يصنع تدابيرَهُ الخاصة، لم يكُن لديهِ فِكرة سؤال الله عن مشيئتِهِ فيما يتعلق بأمري الزواج والمال. وهو مليء بالثِقة الذاتية، شعر بأنهُ يستطيع أن يُعالِج أمورَهُ الخاصة.

1. أمر زوجاتَهُ (29:13-30:24)

أ. حُبَهُ الحماسيّ (29:13-20)

قد تكون الأشياء الأخرى في روح يعقوب أساسُها خليطٌ معدنيٌ إلا أن حُبَهُ لراحيل كان ذَهبٌ خالِص. لقد أشعِل ذلك الحُب في اللحظة التي رأى بها وجهها ولم يُغادِرَهُ حتى يَومَ مماتِهِ. أسرع لابان إلى الخارج بعد سماع وصول يعقوب من راحيل ليُقابِل ابن أُختِهِ، ولكِنهُ لم يَكُن يعلم طبعاً بأن يعقوب كان شبه هارِب. من المُحتَمَل أن ذهنهُ كان ملآناً بطيوف الحلاق والجواهِر التي حُمِلَت بها أختَهُ رفقة عندما أتت للبيت بأخبارٍ مُماثِلة مُنذ سنين عديدة مضت. كان لابان يعلم أن يعقوب من عائلة غنية جِداً-لذا قدمَ لهُ استقبالاً ملوكياً، فارِشاً السُجاد الأحمر اللا مثيل له بالنمط الشرقي الأصيل. لم يحصَل يعقوب على القبُلات والعِناق والدلال كهذا من قَبل. فصاح لابان "إِنَّمَا أَنْتَ عَظْمِي وَلَحْمِي" يعتقد المرء بأن لابان من سيتزوج بيعقوب.

قَبِلَ يعقوب عرض خالِهِ للضيافة وبمَكرِهِ المُعتاد جعل نفسهُ في منزلِهِ دون أن يقول أي كلمة عن رحيلِهِ الشائن من حبرون. بدون شك كان يتكلم عن جمال أمِهِ المُستَمِر ونجاح والِدِهِ في الأعمال، ولكن نستطيع أن نكون متأكدين أنه لم يتكلم أي كلمة عن عيسو. وفي كُل الوقت كان الخال لابان يُحاوِل أن يُخَّمِن قيمة ابن أختِهِ هذا، لقد كانا ثُنائيان يستحِقان بعضهُما البعض.

لقد كان يعقوب أحنك من أن يجلُس في بيت لابان دون عمل لمُدة طويلة، حيثُ لم تكُن البطالة إحدى سيئاتُه. بدأ يجعل نفسَهُ مُفيداً لخالِهِ، وثَميناً حقاً حتى أن لابان عَرَضَ عليهِ وظيفة ذات دوام كامِل "أَلأَنَّكَ أَخِي تَخْدِمُنِي مَجَّانًا؟ أَخْبِرْنِي مَا أُجْرَتُكَ" (29:15). بخلال شهرٍ واحد بدأ لابان يتساءل كيف كان يُدير مزارِعَهُ قبل مجيء يعقوب. لم يرَ من قبل مُثابرة كهذه وفِطنة عمل كهذه وشطارة في إغلاق عقود كهذه ومهارة غريبة مع الماشية والغنم كهذه. لقد كان الفتى يُساوي ثروة لأي شخص فطن بشكلٍ كافٍ ليضع اسمَهُ على الخط المُنَقَط.

ولكن إن كان الخال لابان يَحسُب حِساباتَهُ فكذلك كان يعقوب، بعد شهرٍ في بيت لابان وقع بحُبٍ عميقٍ مع راحيل. بدون شك ليئة كانت حسنة بشكلٍ كافٍ ولكن كان لديها مُشكِلة بعينيها. رُبما كانت قصيرة النظر أو حولاء. يقول النص أن عيناها "ضَعِيفَتَيْنِ"، مهما كانت المُشكِلة لم يكُن لدى يعقوب أي شيء ضد ليئة، ولكِن عينيه كانتا لراحيل فقط. لم تَكُن ليئة موجودة بحسب نظرِه؛ راحيل ملأت نظرَهُ. لذا عندما فتح لابان سؤال الأُجرة، كان يعقوب جاهِزاً، قال "راحيل" "أريد راحيل، أَخْدِمُكَ سَبْعَ سِنِينٍ بِرَاحِيلَ" المُقايضة نُفِذت و "فَخَدَمَ يَعْقُوبُ بِرَاحِيلَ سَبْعَ سِنِينٍ، وَكَانَتْ فِي عَيْنَيْهِ كَأَيَّامٍ قَلِيلَةٍ بِسَبَبِ مَحَبَّتِهِ لَهَا" (29:20).

ب. دَرسَهُ الأول (29:21-31)

تنكشف القِصة بثلاث أجزاء، أولاً أتى *المطلب* (29:21-22) "ثُمَّ قَالَ يَعْقُوبُ لِلاَبَانَ: أَعْطِنِي امْرَأَتِي لأَنَّ أَيَّامِي قَدْ كَمُلَتْ"، صادِقاً بوَعدِهِ، أعطى لابان أوامر حَفِل الزفاف. قَبِل يعقوب أن يتزوج براحيل بحسب عادات البِلاد، رُبما قال له لابان "يعقوب يا بُنيّ، أنت بالطبع تتفهم بأنك لا تستطيع أن ترى عروسك خلال الحفل، ستكون مُحَجَبة بشِدة. وسيكون الحفل خلال الليل يا يعقوب، وبعد الحفل

ستنتَقِل العروس إلى سَكَنَك، بذات الحِجاب الشديد. ستتريث بعض الشيء لتقبل تهاني الضيوف-" وهكذا بين تِلك السطور قد دُبِرَ الأمر.

تلي ذلك *الاكتشاف* (29:23-29). تم الزواج، وأعتزل يعقوب إلى سَكَنِهِ المُعتِم وتمم زواجَهُ بدخولهِ، ليستيقظ في اليوم التالي مُكتَشِفاً بأنه قد تَزَوجَ بالمرأة الخطأ. يا لهُ من مشهَدٍ في كِلا المكانين، سَكَن يعقوب وغُرفِة جلوس لابان عندما أدركَ يعقوب الخدعة التي قد وقع بها. كان هذا درس يعقوب الأول، غير أن جميع اتهاماتِهِ الغاضبة أجابها لابان بتَمَلُق "يا صديقي العزيز، لدينا قواعِد في هذه البلد، *فنحن نَحتَرِم حقوق البِكر*" (29:26)، لا بُد أنها كانت مِثل العاصِفة في وجهِ يعقوب.

هناك "عدالة شعرية" في تَعامُلات الله مع الإنسان، يتأكد الله أن يُكَل لنا بذات الكيل الذي نكيل بِهِ (متى 7:2). لاحِظ عمل هذا القانون هنا، بقسوةٍ دَّسَ لابان لِيئة ليعقوب، ويعقوب كان كُل الوقت يعتقد بأن العروس التي حَصَل عليها كانت راحيل. ما هو هم لابان إن كانت طُرُقَهُ مُخادِعة وحقيرة وخسيسة؟ ما همهُ إن كان يَدوس على أرق وأقدس مشاعِر لقلب يعقوب؟ لم يهتم. ولكن عُد سبع سنين من حياة يعقوب وأنظُر إليهِ واقِفاً أمام أبيهِ المُسن والأعمى يتظاهر بأنهُ عيسو. بقسوةٍ دَّسَ يعقوب نفسَهُ لإسحاق، وإسحاق كان كُل الوقت يعتقد بأن البركة التي كان يمنحُها كانت ذاهِبة لعيسو. ما هو هم يعقوب إن كانت طُرُقَهُ مُخادِعة وحقيرة وخسيسة؟ ما همهُ إن كان يَدوس على أرق وأقدس مشاعِر لقلب إسحاق؟ لم يهتم. والآن عليهِ أن يحصُد ما زرع، طواحين الله تطحن ببطء ولكنها تطحن بنعومة إلى حدٍ بعيد.

كان يعقوب مصعوقاً ومذهولاً ومُجبراً أن يواجِهَ الحقائق الباردة. شاء أم أبى فهو مُتَزَوِّجٌ بليئة بحسب طقوس البِلاد وقد تتم زواجَهُ بدخولِهِ. "أَكْمِلْ أُسْبُوعَ هذِهِ" حّثَّهُ لابان واضعاً زيتاً على نارٍ، "ثم أسمح لك بالزواج من راحيل أيضاً-بِالْخِدْمَةِ الَّتِي تَخْدِمُنِي أَيْضًا سَبْعَ سِنِينٍ أُخَرَ".

ثم أتت *الصعوبة* (29:30-31). أنهى يعقوب أسبوعَهُ مع لِيئة بالكلام إن لم يكُن بروح الاتِفاق وتَزَوَّجَ براحيل. ثُم بدأت صعوباتهُ البيتية. هل كانت لِيئة بيدقاً مُكرَهاً في تِلك المسرحية الكئيبة أو كانت هي نفسُها واقِعة بِحُب يعقوب وكانت شريكاً راغِباً؟ لا نعلم، ولكن بعد أن تزوج يعقوب براحيل أهمل لِيئة، وبكُلِ بساطة تجاهل المرأة؛ فشمسُهُ أشرقت وغربت على راحيل، فبها عاش وتحرك ووجد نفسَهُ. ووضِعت لِيئة على الرف وعومِلَت وكأنها لم تَكُن موجودة.

لكن حُكمْ يعقوب كان دون الله، فالله أحب لِيئة بقدر ما أحب راحيل بغض النظر عن مشاعِر يعقوب، لذا فعل الله شيئاً تجاه ذلك وجعل إنجاب راحيل للأطفال مُستحيلاً ومن الواضِح أنه سمح للِيئة. في ثقافَةٍ حيث الأبناء-الضُخام والأقوياء والأصِحاء-يُسانِدون والِدَهُم ويدعمون عملَهُ ويأتون بمَهرِ الزواج المُعتَبَر، كانوا أساسيين لمكانة الرجُل الاجتماعية، لم يَطِل الأمر حتى تم تَعَلُم الدرس. إن أراد يعقوب أبناءً كان عليهِ أن يفَكِر بلِيئة، لأنه لن يحصل عليهِم من راحيل. ويعقوب أراد أبناءً.

ت. حياتَهُ العائلية (29:32-24:30)

يُسَجِل هذا المقطع الطويل ولادة أولاد يعقوب حتى ولادة يوسف. لقد كان سِجِلاً مُحزِناً لأن بيت يعقوب أصبح أرضَ معركة حيث تحارَبت امرأتان ذاتا مرارة وكافحتا لأجل عاطِفة يعقوب. لقد مُزِق يعقوب بين إخلاصِهِ لراحيل ورغبَته للأبناء فجُرَ باتِجاهٍ والآخر.

بِكَرَهُ كان *رَأُوبَيْنَ، طِفل المحنة المؤلمة* (29:32)، خرج ذلك من تعليق لِيئة الحزين آن ذاك. قالت "إِنَّ الرَّبَّ قَدْ نَظَرَ إِلَى مَذَلَّتِي .إِنَّهُ الآنَ يُحِبُّنِي رَجُلِي". لاحِظ كيف عبرت لِيئة عن شُكرِها للرب (يهوا)، لقد بقيَّ بعض المعرِفة عن الله في بيت لابان منذ أيام إبراهيم. ولا بُد أن يعقوب تحدث عن الله أيضاً خلال السبع سنين الطويلة في بيت لابان. بوِحدَتِها ومرارَتِها عبرت لِيئة عن شُكرِها ليهوا من خلال ولادة ابنِها، وكانت أول شخص في عائلة يعقوب يَعتَرِف بإيمانِهِ بالله.

ثم أتى *شِمْعُونَ، طِفل خيبة الأمل البسيطة* (29:33)، من الواضِح أن لِيئة قد خاب أمَلُها بأن رأوبين سيُرِبحُها عاطِفَة زوجِها، فلم يَجديها الأمر نفعاً. رُبما حاولت بقوة منصِبِها الجديد كأُم أن تَفرُض نفسها، يَبدو أنها حُجِمَت إما من قِبَل يعقوب أو راحيل. عندما ولِدَ رأوبين قالت لِيئة " لِرَّبَّ قَدْ نَظَرَ" والآن قالت "الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ"، لقد سمع الله المواجهات الكلامية في ذلك البيت الحزين حيثُ شُحِذَ لسان يعقوب ولِيئة على لِيئة، فسمعَ الله صرخات كَرَبْ لِيئة له. دعت اسم ابنها الثاني شمعون ("سَمَعْ").

كان *لاَوِيَ* ابن لِيئة الثالِث، *طِفل التثبيط الروحي* (29:34). قالت لِيئة: "الآنَ هذِهِ الْمَرَّةَ يَقْتَرِنُ بِي رَجُلِي، لأَنِّي وَلَدْتُ لَهُ ثَلاَثَةَ بَنِينَ" *لاَوِيَ* يعني "مُتَرَبِط" أو "مَوصول". كان التثبيط الروحي واضِحاً بحياة لِيئة، عبرت عن شُكرِها لله بابنيها ولكن ليس بهذه المرة فلم تُعطي الله أي استحقاق. مع ذلك بعد يَهُوذَا لم يَكُن هناك ولداً مشهوراً مثل لاَوِيَ ولدَ ليعقوب، لم يَستطع حتى تثبيط لِيئة الروحي في منع الله من إظهار نعمَتَهُ.

ثم أتى *يَهُوذَا، طِفل المصير الباهِر* (35:29). حتى هذه المرحلة كانت ليئة قد استعادة تفاؤلها الروحي صاحت قائلة "هذِهِ الْمَرَّةَ أَحْمَدُ الرَّبَّ" لهذا كَرَّمها الله، لأن ملوك إسرائيل خرجت من يَهُوذَا وعند ملء الزمان ابن الله نفسَهُ أتى إلى العالم من خلال سُلالة يَهُوذَا. لم تَعُد ليئة تُنجِب لأن أختها احتكرت بفعالية قلب يعقوب، فوجَدَت ليئة مَخرَجاً لِحُبِها في الرب، ولم تَعُد مُحتاجةً للناس لتُصبح سعيدة فسعادتها وتسبيحها كان في الله. توقّفت ليئة عن إنجاب الأبناء بعد وصولها إلى مستوى عالٍ في حياتها الروحية، ما حاجَتُها لتأكيد أكثر من ذلك؟ لقد كان الله أفضل لها من مائة ابن.

دَانًا كان التالي، *طِفل اليأس المُتَكَبِّد* (30:1-6) يعود تسليط الضوء على راحيل بولادة دان، كانت الغيرة تلتَهِم قلبها. أرادت ما كان لليئة، ولليئة أرادت ما كان لها. أفرغت أخيراً غضبها على يعقوب بغير عقلانية مُطلقة وقالت: "هَبْ لِي بَنِينَ، وَإِلاَّ فَأَنَا أَمُوتُ!" لا بُد أن يعقوب نظرَ إليها بدهشة ورد عليها بحجة مُمَثِلة "أَلَعَلِّي مَكَانَ اللهِ؟"

ثُم أتت إحدى تلك الخِدع الصغيرة التي لا تقود إلا إلى عدم سعادة إضافية، فبدأت راحيل بالكيد. إن لم يَستَطع يعقوب أن يلعب دور الله إذاً هي ستفعل فقالت ليعقوب "هُوَذَا جَارِيَتِي بِلْهَةُ"، مُلَمِحَةً إلى استعدادها لاستغلال نقطة قانونية. إذا جاريتها بلهة ولدت من يعقوب فيُعتَبَر الولد ابنُها قانونياً، وهكذا ولِدَ دان وبتوكيد زائف أعلنت راحيل "قَدْ قَضَى لِيَ اللهُ وَسَمِعَ أَيْضًا لِصَوْتِي وَأَعْطَانِيَ ابْنًا" أطلقت عليه اسم دان الذي يعني "قاضي" أو "المبرئ". كان كُل ذلك شيئاً مُحزناً.

كانت راحيل مسرورةً بنجاح كيدها حتى أنها أعادة الكرَّ، وهكذا وُلِدَ *نَفْتَالِي طِفل الخلاص المُفتَرَض* (30:7-8) أعلنت راحيل "مُصَارَعَاتِ اللهِ قَدْ صَارَعْتُ أُخْتِي وَغَلَبْتُ". عندما وُلِدَ دان عبرت راحيل عن شُكرِها لله فاعترفت بأنَهُ إيلوهيم، ومكانَتُها الروحية كانت أدنى من ليئة، ولكن عندما وُلِدَ نَفْتَالِي لم تُعَبِّر راحيل بشُكرِها لله أبداً، فهي بِكُلِ بساطة غلبت ليئة بالجَسَد. الخلاص الذي تخيلَت راحيل بالحصول علية كان وهماً فالانتِصارات الروحية لا يُمكن أن تُربَح بالجسد.

خلال كُل تِلك الفترة كانت ليئة تُشاهِد أداء أختها المُثير للشفقة، فقررت أنها تستطيع أن تلعب ذات اللُعبة، لأنها توقفت عن الإنجاب. هابطةً إلى المستوى الجسدي الذي اختارت أختها أن تُحارِب من خلالِهِ، زَوَّجَت جاريتها زِلْفَةَ ليعقوب. وابن النتيجة كان *جَادًا طِفل الهزيمة المُحزِنة* (30:9-11) فتهللت ليئة "بِسَعْدِي!". يبدو وكأنهُ تعبيرٌ حاقِدٌ لأختها، ولم تُقَدِم ليئة اعتِرافاً بالله في ولادة جَاد، فكيف يُمكن أن يُعتَرَف بالله عندما يكون الجسد هو المُتَحَكِم؟ من المُحزن أن نُشاهد ليئة تأخُذ ذلك الموضع الدون، هل تَغَيَّرَ الله؟ لا. هل توفيَّ أيٌ من أبناءِها؟ لا. بكُل بساطة هوت من المُرتَفَع الروحي في التسبيح فقط لتنتَقِم من أختها.

ثم أتى *أَشِيرَ طِفل البهجة المُفاجِئة* (30:12-13). عندما وَلَدَت زِلْفَةَ الأبن الثاني مُساويةً النتيجة مع راحيل، صاحت ليئة "بِغِبْطَتِي، لأَنَّهُ تُغَبِّطُنِي بَنَاتٌ". يعني الاسم أَشِيرَ "سعيد" أو هذا ما قالتهُ. ألم تُساوي النتيجة مع غريمتها؟ ولكن لم يَكُن هناك ذِكرٌ لله في تِلك الولادة، وكانت ليئة تَخدَعُ نفسها. أنها طريقٌ طويلٌ إلى أسفل السُلُم الروحي من التسبيح إلى مُجَرَد سعادة. كما قال أَحَدُهُم "السعادة تعتَمِد على ما سيَحصُل!" بدلاً من إيجاد الفرح بالله، كانت ليئة تَجِد سعادةً عابرةً في رِبحِ انتصاراتٍ جسديةٍ.

الظروف المُحيطة بولادة *يَسَّاكَرَ طِفل الكُره اللاذِع* لم تَكُن سعيدة (30:14-18). لقد وصل الشجار العائلي بين الأختين إلى أدنى مُستوياتِهِ في الظروف التي أدت إلى ولادة يَسَّاكَرَ. يَبدو أن ولادة أَشِيرَ لم يُقَدِم السعادة التي شَغِفَت ليئة لها، حيث أن راحيل مازالت تَمتَلِك الهيمنة الكامِلة على قلب يعقوب.

كان رَأُوبَيْنَ بعمر الحوالي أربع سنوات عندما وصلَ للبيت مع اللُفاح، لقد كان وقت الحصاد والحقول ملأى بالحصادين؛ المَرَح والاحتِفالات كانت تملأ الجو. كان رَأُوبَيْنَ الصغير بالحقل وقد جمع بعضاً من الزهور لأُمِهِ-بلا شك كان الرجال بالحقل يجِدون ما يفعَلَهُ مُسلياً. وصل للبيت ومعَهُ "تفاح الحُب"-الكلمة "لُفاح" تأتي من أصل الكلمة التي تعني ذلك تماماً. تلك النبتة تنمو بكثرة في إسرائيل، لديها أوراق غامِقة وجذور تُشبِه الجزر، الأزهار بيضاء أو أرجوانية اللون ولها رائحة حلوة، وثمرها مثل التُفاح. يُمكن للجذر أن يُشَكَل بسهولة ليأخُذ شكل تشبيهِ للرجُل، وأعتقد الناس أن النبتة تستطيع أن تُثير الشهوة وتُحَسِن الإنجاب عند المرأة العاقِر. لقد تَعِبت راحيل من انتظار الله ليجعلها مُثمِرة، رُبما البعض من تُفاح الحُب تُساعِد. لذا عندما رأت اللُفاح، عقدت اتِفاقاً مع أختها فقالت "يُمكِنُكِ الحصول على يعقوب ليلة أو اثنتين مُقابِل لُفاح رَأُوبَيْنَ".

فعلت التعويذة فِعلاً عكسياً، فبدلاً من أن تجعل راحيل مُثمِرة أصبحت ليئة من بدأ مرة أخرى بإنجاب الأبناء، فصاحت ليئة "قَدْ أَعْطَانِي اللهُ أُجْرَتِي!". لقد عَبَّرَت بشكرِها لله في ولادة يَسَّاكَرَ، بما يُظهِر أنها أرات أن تُعلِن أن اللُفاح لم يَكُن لهُ علاقة بخصوبَتِها الجديدة. ومع ذلك لم تَستَطِع ضبط نفسها من تقديم تعبيراً عن كُرهِها لأختِها من خلال دمج معنى "أجرى" في اسم الطِفل. من الواضح أن ليئة قد فقدت أرضيتها الروحية، لقد دَعَت الله "إيلوهيم" وفي النص هنا لم تنهَض مرة أخرى إلى مُرتفع التسبيح أو دعوة الله باسمِهِ حسب العَهد.

ثُم أتى *زَبُولُونَ طِفل الرغبة الشديدة* (30:19-20) "وَحَبِلَتْ أَيْضًا لَيْئَةُ وَوَلَدَتِ ابْنًا سَادِسًا لِيَعْقُوبَ، فَقَالَتْ لَيْئَةُ: قَدْ وَهَبَنِي اللهُ هِبَةً حَسَنَةً. الآنَ يُسَاكِنُنِي رَجُلِي، لأَنِّي وَلَدْتُ لَهُ سِتَّةَ بَنِينَ". يعني اسم زَبُولُونَ "سُكنى" أو "مسكن" ولكن على الرغم من ذلك قرع الطبل العالي للنصر، لم تَحُث ليئة أبداً يعقوب ليأتي ويَسكُن معها بشكل دائم. ولكن كَرَّم الله شوقَ قَلبِها العَطِش، لأنه عندما جاء ابن الله إلى العالم أتى وسَكَنَ في الناصِرة في زَبُولُون.

ثُم حَصَلَ بعض التَغيير فأنجبت ليئة ابنةً، *دِينَةَ طِفل الكرامة الصامِتة* (30:21). رُبما كان ليعقوب بناتٌ أخريات (37:35؛46:7)، ولكن دِينَةَ كانت الوحيدة التي ذُكِرَت. أسمها يعني ذات المعنى لدان "قاضي" أو "المبرئ"، من المُحتَمل أن الاسم كان يَهدُف ليكون صفعة أخرى للمسكينة راحيل التي بدون أولاد. ولكن ليئة لم تَقلْ أي شيء عن ولادة الفتاة بحد ذاتِها، أخذت الخطوة بكرامة صامِتة. وكان أخر طِفل تُنجِبهُ ليئة وهو السابِع، ولم يكُن هناك أي شيءٍ إضافيٍ يُقال.

أخيراً وبعد انتظَارٍ طويل جاء يُوسُفَ طِفلُ الإخلاص العذب (30:22-24). "وَذَكَرَ اللهُ رَاحِيلَ... فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتِ ابْنًا فَقَالَتْ: قَدْ نَزَعَ اللهُ عَارِي. وَدَعَتِ اسْمَهُ يُوسُفَ قَائِلَةً: يَزِيدُنِي الرَّبُّ ابْنًا آخَرَ". وهكذا أخيراً انتصرت راحيل طبيعياً وروحياً، لم تُعَيِر عن شُكرِها لله مرة فقط بل مرتين، مرةً باسمِهِ إيلوهيم ومرةً بيهوا. استعادت المُرتَفَع الروحي الذي انحدَرَت منهُ ليئة بعد ولادة يَهُوذَا وبعد شِجارِها الجسدي فيما يَتَعَلَق بالجاريات واللُفاح. ولكن تَسَلَقَت الآن راحيل مُستوىً أعلى، لأن بُولادة يُوسُفَ سعى إيمانُها للأكثر فقالت "يَزِيدُنِي الرَّبُّ ابْنًا آخَرَ"، وهذا ما فعلهُ الله.

2. أمرُ أُجرَتِهُ (30:25-43)

لقد نظرنا إلى ترتيبات يعقوب فيما يتعلق بأمور زوجاتِهِ؛ والآن علينا أن ننظُر إلى ترتيباتهِ فيما يتعلق بأُجرَتِهِ. بذات القِصة القديمة للتخطيط والكيد من خلال الجسد.

أ. كيف أُثير إيمان يعقوب (30:25-26)

"وَحَدَثَ لَمَّا وَلَدَتْ رَاحِيلُ يُوسُفَ أَنَّ يَعْقُوبَ قَالَ لِلاَبَانَ» :اصْرِفْنِي لأَذْهَبَ إِلَى مَكَانِي وَإِلَى أَرْضِي." حَدَثَ شيءٌ ليعقوب عندما وُلِدَ يوسف، أدرك أن بلاد ما بين النهرين ليست وطنه، فَوَطَنُهُ بعيدٌ في أرض الموعِد. باللحظة اتخذ قراراً عظيماً، سيعود إلى الأرض حيث وضع الله اسمهُ، لقد أُثيرَ إيمانهُ.

ب. كيف أُخمِدَ إيمان يعقوب (30:27-43)

كُل ما كان على لابان أن يفعلَهُ لإخماد إيمان يعقوب هو أن يَرفَع أجرَهُ، الكثير من الأشخاص انحرفوا عن طريق خدمة الرب بذات الطريقة. ولكن الشيطان سيدٌ تعيسٌ بالدفع كما سيكتَشِف يعقوب قريباً، فغيرَ لابان أجر يعقوب بعشرة أضعاف، ونستطيع أن نكون مُتأكدين أن كُلِ ضُعفٍ لصالِح لابان. مبدأ العدالة الشعرية لله كانت لا تزال تعمل في حياة يعقوب.

ما هم لابان أن يعقوب هو نَسَبَهُ وابن أُختِهِ؟ ما همهُ إن كان يَستَغِل رَجُلاً أُضْعِفَ تحت سُلطانِهِ مؤقتاً؟ لم يهتم. يعقوب بالنسبة للابان هو مُجَرَد أداة تُستَخدَم ثُم تُرمى جانِباً بعد أن خَدَمَت طموحاتِهِ الشخصية. ولكن انتظر! عُد حوالي أربعة عشر سنة من حياة يعقوب، أتَذكُر كيف عامل يعقوب عيسو في اليوم الذي أتاه عيسو ضعيفاً من الصيد وأراد بعضاً من طبخ يعقوب. ما هم يعقوب أن عيسو من نَسَبِهِ، وأخاه التوأم؟ ما همهُ إن كان يَستَغِل رَجُلاً أُضْعِفَ تحت سُلطانِهِ مؤقتاً؟ لم يهتم. عيسو بالنسبة ليعقوب هو مُجَرَد أداة تُستَخدَم ثُم تُرمى جانِباً بعد أن خَدَمَت طموحاتِهِ الشخصية. بالحقيقة "فَإِنَّ الَّذِي يَزْرَعُهُ الإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضًا."

كان يعقوب يصنَعُ ترتيباتِهِ من ناحية أُجرَتهِ وكان يُخدع مراراً وتِكراراً، ولكِنَّهُ سيحصل على حَقِهِ قبل أن ينتهي.

لاحِظ ما قيل عن *شهادة يعقوب* (30:27-30) "فَقَالَ لَهُ لاَبَانُ لَيْتَنِي أَجِدُ نِعْمَةً فِي *عَيْنَيْكَ* .قَدْ تَفَاءَلْتُ فَبَارَكَنِي الرَّبُّ بِسَبَبِكَ" يا لها من شهادة رائعة! كان ضعيفٌ ومُتَعَثِرٌ ولكن إيمان يعقوب مُجتَمِعاً مع ذكائهِ بالأعمال قد عَمِلَ تأثيرَهُ. عَرِفَ لابان جيداً أن مهارة يعقوب كرَجُل أعمال لم تَكُن هي الوحيدة التي جَعَلَتهُ موظفاً قيماً، بل علاقَتُهُ مع الرب.

لاحِظ ما قيل عن أجرِهِ (30:31-36). ارتضى يعقوب أن يُتابِع في الإشراف على شؤون لابان، ولكن يجب أن يُسمح لهُ أن يضع أُسُس مُستَقبَلِهِ المالي. سيجتاز بين قطيع لابان ويَفصِل الخراف السوداء والماعز المُنَقَطة والمُرَقَطة، سيفصِل هؤلاء على حِدى، فهؤلاء للابان. هذا سَيُبقي على الخراف والماعِز ذوي اللون الواحِد في قطيعٍ منفَصِل. الخراف البيضاء والماعِز السوداء، ستكون هذه للابان أيضاً، فجميع القطعان الموجودة هي للابان.

والآن إذاً، لن يُكاثِر يعقوب من الخراف السوداء والماعِز المُنَقَطة والمُرَقَطة *الموجودة*، يُمكن للابان أن يفعل بها ما يشاء. يستطيع أن ينقُلَهم إلى حقولٍ أخرى أو ائتمانهم لآخرين، ولكن جميع الخراف السوداء المُستقبلية المولودة من الخراف البيضاء وجميع الماعِز المُنَقَطة والمُرَقَطة المولودة من الماعِز السوداء ستكون ليعقوب، مع أي مُضاعفات من نسلِها ذات علامة شبيهة. بمعنى آخر كان يعقوب راضياً أن يبدأ بلا شيء، هذا سيُعطي الله فرصة أن يُبارِكَهُ بالترتيب المُقتَرَح وسيُزيل أي شكٍ للغِش من ذُهن لابان. ولكن يجب أن يتم الاتفاق أن أيَّ خراف سوداء وماعِز مولودة بنُقط ورُقَط مُستقبلية تأتي من القطيع ذي اللون الواحِد يجب أن تكون ليعقوب. كان هذا هو الاتِفاق.

لا بُد أن لابان نظر إلى يعقوب على أنهُ مجنوناً، فالجميع كان يعلم أن خراف الشرق في الأغلب ذات لون أبيض صافي ومن النادِر أن تكون سوداء، وأن الماعِز الشرقي بالغالِب سوداء اللون ومن النادِر أن تكون مُنَقَطة ومُرَقَطة. ومع ذلك كان يعقوب راضياً أن يَجِد ثَروَتَهُ المُستَقبَلية على احتِمالات كهذِهِ؟ لقد كانت صفقة أروع من أن يرفُضَها لابان، فأغلق الصفقة في الحال وقبل أن يُغَيِّر يعقوب رأيَهُ، وأرسل مُساعِديه ليَفصِلوا جميع الخراف والماعِز ذوي علامة.

بينما وضعَ بين يعقوب والخراف السوداء والماعِز المُنَقَطة والمُرَقَطة مسيرة ثلاثة أيام، لا بُد أن الفلاح السوري الشيخ قد هزَّ رأسَهُ في حيرةٍ، فما زالت شهادة يعقوب تَرُن في أذُنيهِ: "وَيَشْهَدُ فِيَّ بِرِّي يَوْمَ غَدٍ... كُلُّ مَا لَيْسَ أَرْقَطَ أَوْ أَبْلَقَ بَيْنَ الْمِعْزَى وَأَسْوَدَ بَيْنَ الْخِرْفَانِ فَهُوَ مَسْرُوقٌ عِنْدِي". لا بُد من وجود شَرَكٍ في مكانٍ ما، ولكن لابان عارِفٌ بجميع خِدَع المَصلَحة وذو أيدٍ قديمة بالحيَل لم يَستطع أن يَكتَشِف الأمر حتى ولو اعتمدت حياتَهُ على ذلك.

ولكن يعقوب كان يعلم ما يفعَلَهُ، لم ينوِ أن يستخدم الخراف السوداء والماعِز المُنَقَطة والمُرَقَطة الموجودة لديه لذا أزالها بعناية من بين القطيع وسلمها للابان. كان سيثق بالله، ويعمل بِجِد ويُجَرِب حيلة أو إثنين من حيَلِه. لم تُكُن خِدمَتَهُ الأربع عشرة سنة المِهَنية مع لابان مُقابِل لا شيء، ولم تَكُن ولادتَهُ وتَرَعرُعَهُ في عائلة تمتَلِك مهارة رائعة في تربية المواشي مُقابِل لا شيء.

يبدو أن يعقوب قد عَثَرَ على قانون الوراثة المندلية. لم يَكُن عند يعقوب أي شك كخبيرٍ ومُراقِبٍ لمُكاثرة للماشية وقد سبق وجَرَّب في التكاثُر الانتقائي. لم يَستَطع أن يُحَدِد اكتِشافاتهِ بتعابير علمية، ولكِنَهُ تعلم أن الحيوانات لديها كِلا الصِفات المُهيمِنة والمُتنحية. فالصِفات المُهيمنة في قطيع لابان أنتجت بالأغلب خِرافاً بيضاء، ولكن كان يعقوب يعلم أنه يستطيع أن يُنتِج خِرافاً سوداء حتى ولو بدأ بقطيعٍ أبيض صافي. كان الأمر كذلك مع الماعِز، بدأ بماعِز سوداء عالماً أنه في النهاية سيحصُل على ماعز مُنَقَطة ومُرَقَطة. الصفات المُتنَحية المخفية مع الوقت ستُنتِج نواة لكِلا الخراف والماعِز التي منها سيبني قَطيعَهُ الخاص.

أيضاً وَثِقَ يعقوب بالله بأنه سيكونُ سخياً معهُ فيُعطيهِ نِسبةً أفضل مما يتوقع عادةً. وكوْنُهُ يعقوب سيُضيف بعضاً من الدهاء أيضاً.

لاحِظ ما قيل عن *حِيَّل يعقوب* (30:37-43). ذهب إلى الهضاب مع قطيعين رائعين الأول قطيعٌ من الخراف الأبيض الصافي والآخر قطيعٌ من الماعِز الأسود الداكِن. لم يَكُن هناك ولا وحِدة من الأقل جاذبية أو لونٍ باهِت بينهم، فقد اهتم لابان بذلك. أصبح الأن من مصلَحِة يعقوب، ولابان أيضاً، التأكُد من تكاثُر القطيع بِسرعة. كُلما كَثُرَ إنتاج الذُرية كُلما كانت فُرَصُهُ أفضل للحصول على بداية النواة لخرافٍ ملونة وماعِزٍ مُرَقَط.

يَبدو الشيء الأول الذي فعلهُ غريباً، قطع بعضاً من القُضبان القوية من اللُبْنَى وَاللَوْز وَالدُلْب القريبة (البعض يعتقد بأنها كانت أشجار البُندُق والحور والكستناء). قشر هذه القُضبان ليظهر الخشب عارياً على شكل شرائط وعُصابات، ووضع هذهِ القُضبان المُنَقَطة والمُرَقَطة والمُقَشرة في أحواض السقاية. لماذا؟ هل آمن يعقوب بتأثير ما قبل الولادة؟ من المُحتَمَل ذلك. غالِباً ما نهزأ من أفكار كهذه اليوم، ولكن هَزأ الناس من أشياء في الماضي ثم في عصورٍ مُقبِلة أُكتُشِفَ أخيراً بأنها واقعية[1].

لم يَدُم الوقت طويلاً حتى بدأ القطيع والغنم يتكاثر ونوع الخراف والمِعاز التي أرادها يعقوب بدأت بالظهور بأعدادٍ كبيرة بشكلٍ استثنائي. والآن هَدَفَ يعقوب خلف أمرين-الكمية والنوعية، ليضمن *النوعية* استخدم القضبان المُثيرة للشهوة فقط عندما كانت القطيع الأقوى تتناسل. ثم فصل باستمرار الحيوانات الأقوى عن الأضعف إلى أن بدأ يُشَكِل سُلالة فحلة فاخرة من الخراف والماعِز. كان هذا ببساطة تطبيق مبدأ التكاثُر الانتِقائي. ليضمن *الكمية*، في كُلِ مرة يولَد خروفٌ أسود أو جديٌ مُرَقَط أو مُنَقَط يفصِلُها عن باقي القطيع، بالطبع هذه كانت له. وسمح لهذه الخراف والماعِز أن تتكاثر فيما بينها، وهذا يُزيد احتمال الحصول على ذات النوع. بعد فترة قصيرة

1. حتى اليوم لا نعلم جميع العوامل المُشاركة في التركيب الجزئي للحمض النووي للمخلوق الحيّ، ولم نُتقِن بعد جميع التأثيرات التي تُساهِم في تشكيل الصفات الشخصية. رُبَما كان يعقوب يعلم شيئاً لا نعلمهُ نحن. نعتَقِد أن يعقوب كان أحمقاً، فقط لأن امرأة حامِلاً ترتعب عندما تُشاهِد قِرداً في حديقة الحيوان بينما تَحمِل بطِفلِها لا يعني أن الطفل سيكون قبيحاً. لم يَكُن يعقوب أحمقاً على الإطلاق فيما يَخُص تربية القطيع. على ما يبدو أنه اعتقد أن القُضبان المُقَشرة كانت فعالة، بغض النظر عن الابتسامة التي نبتسِمُها اليوم بسبب "بساطَتِهِ". العديد من الصفحات الأكاديمية قد كُتِبت عن قُضبان يعقوب المُقَشرة. نعلم اليوم على سبيل المثال أن كيماويات مُعيَّنة لديها تأثير هام قبل الولادة إن وصِلت للجنين أو الحُمض النووي للخلية الجنسية بالوقت المُناسب. رُبما الكيماويات الموجودة بالأشجار التي اختار منها يعقوب القُضبان كان لها تلك التأثيرات، لأننا نذكر أن يعقوب وضع القُضبان المُقَشرة في الأجران التي احتوت مياه الشُرب للحيوانات. يُعرَف أن لدى إحدى تلك المواد الكيماوية صفات مُثيرة للشهوة الجنسية ولم تُستخدم في القديم فحسب لتَرويج الخصوبة بل ما زالت تُستخدم. بعض المُستندات تدعي حقيقة أن قُضباناً مُخططة بيضاء تتصرف كمُنَشِط للقطيع. من الواضِح أن يعقوب وَثِقَ أن القُضبان ستكون فعَّالة في إنتاج عدد كبير من الذرية.

بدأت قِسمَتُهُ من القطيع تَزيد بشكل كبير-ليس بسبب أي خِدَعة قد استخدم، ولكن كما قال للابان لاحِقاً، لأن الله إختار أن يُبارِكَهُ (10:32).

وهكذا نقرأ عن يعقوب أنهُ "فَاتَّسَعَ الرَّجُلُ كَثِيرًا جِدًّا، وَكَانَ لَهُ غَنَمٌ كَثِيرٌ وَجَوَارٍ وَعَبِيدٌ وَجِمَالٌ وَحَمِيرٌ." (43:30). بينما كانت قُطعانُهُ وأغنامَهُ تتضاعَف، بدأ يعقوب في التَوَسُع في مجالاتٍ أخرى مُشابِهة من الأعمال. فِطنَتَهُ الفطرية ساعَدَتهُ، كذلك العمل الجاد والاستثمارات الصائبة، فيكُل بساطة كان أفضل رَجُلٍ في مجالِهِ. ولكن أكثر من أي شيء آخر، أغنى الله يعقوب؛ ولأن الله اختار أن يُبارِكَهُ، أصبح بعد فترة قصيرة رَجُلٌ غنيٌ جداً حقاً وقوةً لا يُستهانُ بها في المنطِقة.

3. كيف أوقف الله يعقوب (31:1-32:32)

وجَدَ يعقوب في فدان آرام كِلاً من عائلَتِهِ وثروَتِهِ، وأصبح غنياً بالأولاد والأمور المادية. ولكن بيتَهُ الحقيقي لم يَكُن على ضِفاف الفُرات بل في كنعان، أرض المَوّعِد. كُل وعود الله لروحِهِ كانت في كنعان، وليس في بلاد ما بين النهرين. لن يسمح له الله أن يستقر إلى الأبد في الأرض ذاتِها التي منذُ سنوات مضت دُعيَّ منها إبراهيم. لذا في حِكمَتِهِ سمح الله للأمور أن تُصبِح مريرة ليعقوب، كان على وشك أن يُلقي القبض عليهِ ويُرسِلَهُ عائداً إلى كنعان.

أ. كيف تُحُدِيَّت الأهداف القديمة (31:1-16)

لقد تُحُدِيَّ يعقوب مراراً وتكراراً بخصوص الأشياء التي تسللت لحياتِهِ، الأشياء التي كان يحتاج أن يتعامل معها أو أن تُنتزَع أو تُصحح. في الإصحاح 31 سنمتحِن أول التحَديات الأربعة العظيمة التي كان على يعقوب أن يُواجِها، تَحَديات *الأهداف القديمة* (31:1-16). كان يعقوب مُحَبَط بهدفين حتى الآن-أي يتزوج براحيل وأن يغتَني، وقد حقق كِلاهما، ولكن لم يكن أيهما كافٍ، لأن لا الزواج ولا المال يستطيعان أن يُشبِعا الاحتياجات الدفينة لدى حياة الشخص. لذا وضع الله ذُبابة قبيحة جداً في دُهن مِسحة يعقوب (شيء قبيح بداخل شيء رائع).

1. اهتمام يعقوب الجوهري (31:1-3)

حَدَثَ ذلك بشكل مُفاجئ، *فجأةً أصبح العالم مُمَهِداً* (31:1-2) "فَسَمِعَ [يعقوب] كَلاَمَ بَنِي لاَبَانَ قَائِلِينَ: أَخَذَ يَعْقُوبُ كُلَّ مَا كَانَ لأَبِينَا، وَمِمَّا لأَبِينَا صَنَعَ كُلَّ هذَا الْمَجْدِ. وَنَظَرَ يَعْقُوبُ وَجْهَ لاَبَانَ وَإِذَا هُوَ لَيْسَ مَعَهُ كَأَمْسِ وَأَوَّلَ مِنْ أَمْسِ." أصبح وَجهَ لابان كقناعٍ عبوسٍ بدلاً من أن يكون مُكَلاً بالابتِسامات كما كان من قَبل عندما عَمِلَ يعقوب لحِسابِهِ فقط. لقد حافظ يعقوب بدِقة على اتِفاقيتَهِ مع لابان واغتنى شرعياً، ولكن الغيرة ليست منطقية أبداً. أستطاع يعقوب أن يرى الدعاوي ضدهُ على وشك الحدوث-ليست دعاوي نظامية مؤسسة بحسب قوانين البلاد، بل دعاوٍ جاهِزة وعنيفة من الوعر، مُدَعّمة بالعُنف ومُزودة بوقود الكُره. فجأةً أصبح العالم مُهَدِداً.

في ذات الوقت فجأةً أصبح العالم ذا معنى (3:31) "وَقَالَ الرَّبُّ لِيَعْقُوبَ: ارْجِعْ إِلَى أَرْضِ آبَائِكَ وَإِلَى عَشِيرَتِكَ، فَأَكُونَ مَعَكَ." لقد مضى وقتٌ طويلٌ منذ أن سَمِع يعقوب صوت الله بوضوح، ولكن سَمِعَهُ الآن في وضعِهِ المُتَغير ونزعت عنه خيوط العنكبوت. كُل شيء أصبح واضِحاً؛ لقد قُبِضَ عليهِ من قِبل الله! يجب عليهِ أن يعود إلى أرض الموعِد. يا لها من بركة عندما أخيراً يتحول علينا العالم الذي يظهر جذاباً لنا إلى نكد، عندها فقط نُصبح مُستَعدين أن نُصغي إلى ما يُريد أن يقولَهُ الله لأرواحِنا.

2. مؤتَمَر عائلة يعقوب (31:4-9)

كيف نهرب من لابان-كانت تِلك هي المُشكِلة، هل يقول له ببساطة بأنهُ سيُغادِر؟ بتلك الحالة سيدعو لابان مُعاونيه وإما يمنَعَهُ أو يَسلِبَهُ ويُرسِلَهُ من حيثُ أتى مفقراً من كُل شيء من عائلَتِهِ وثروتِهِ سواء. لا، قرر يعقوب إن كان عليهِ أن يُغادِر فدان آرام فيجب أن يُغادِر بالسِر، لذا دعا لمؤتَمَر عائلي، ليس في بيتِهِ حيثُ من الممكن أن تُسمَع المُناقَشة، بل في الحقل. لم يستَدعي أولادَهُ فقد كانوا يافعين ليُدركوا كُل هذا، ولم يَدعُ زوجاته الجواري؛ فأفضَل هو الأقل مِنْ مَنْ عَلِم، لذا استدعى راحيل وليئة فقط.

شارك زوجاتَهُ بأمرين أزعجاه في أبيهما، تكلم عن *كُره لابان المثبَت* (31:4-5) قال: "أَنَا أَرَى وَجْهَ أَبِيكُمَا أَنَّهُ لَيْسَ نَحْوِي كَأَمْسِ وَأَوَّلَ مِنْ أَمْسِ .وَلكِنْ إِلهُ أَبِي كَانَ مَعِي." بما أن لابان وأبناءَه لم يُحاوِلوا إخفاء عدم ثِقَتِهم وكُرهِهم ليعقوب، لم يحتاج يعقوب لجُهدٍ للإثبات، وبنات لابان عَرِفنَّ والِدهنَّ جيداً.

ثم تَكلم عن *عدم أمانة لابان المُستَمِرة* (31:6-9) "وَأَنْتُمَا تَعْلَمَانِ أَنِّي بِكُلِّ قُوَّتِي خَدَمْتُ أَبَاكُمَا، وَأَمَّا أَبُوكُمَا فَغَدَرَ بِي وَغَيَّرَ أُجْرَتِي عَشَرَ مَرَّاتٍ .لكِنَّ اللهَ لَمْ يَسْمَحْ لَهُ أَنْ يَصْنَعَ بِي شَرًّا." يا ليعقوب المسكين! بكى قائلاً "أَبُوكُمَا غَدَرَ بِي" حتى الآن لم يرى نفسهُ في

المرآة التي كانت لابان. كم نحن سريعي التَذَمُر علناً عندما يُخطئ أحدُهم معنا، وكم نحن عميّ للأخطاء والسيئات التي نفعلها بالآخرين. "أَبُوكُمَا غَدَرَ بِي!" ماذا عن جميع الخِدَع الدنيئة التي قام بها في السنين الماضية؟ لقد نسيها.

جلس مرةً روبيرت بيرنز شاعر أسكوتلندا المحبوب في الكنيسة خلف سيدة من الطبقة العُلية في المُجتَمَع، امرأة مُهتمة جِداً لمظهرها المُقَلَم، وثيابُها ثمينة ومكانَتُها في المُجتَمَع. بينما كان بيرنز يَجلُس خلفها شاهد حشرةً تَزحفُ إلى أعلى رقَبَتِها مُتَجِهَ نَحوَ قُبَتِها، فأخذ قلماً ودوَّن بسُرعة أغنية صغيرة-(أوٍ لو الله بنِعمَتِهِ يُعطينا أن نرى أنفُسنا كما الآخرون يَرونا). لم يرى يعقوب نفسَهُ بعد، ولكن ذلك كان قادِماً. كُل ما كان يستطيع أن يُفكِر به الآن هو عدم أمانة لابان المُستَمِرة، هتَف قائلاً "غَيَّرَ أُجْرَتِي عَشَرَ مَرَّاتٍ"

3. اعتِراف يعقوب الأمين (31:10-13)

الآن قدم يعقوب شهادَتَهُ لزوجاتِهِ، لقد كانت مُهِمة لأنها أظهرت المسافة التي عادها يعقوب في روحِهِ خلال المِحنة الجديدة في حياتِهِ. لقد عاد فوراً إلى الله.

اعترافَهُ الأول كان يتعلق بازدِهارِه. فاعترف أن ازدهاره لم يكن نتيجةً لحنكَتِهِ ولكن من نعمة الله (31:10-12). لقد أراه الله في الحُلُم كيف يُكاثِر الماشية. طبعاً قد لاحظ قوانين الوِراثة! طبعاً قد استخدم جميع الحيَّل التي عَرِفَها ليُحَفِز الإنجاب! ولكن نجاحاتِهِ هي أبعد بكثير وكثير جِداً من أن تُنسَب إلى مهارة بشرية فقط، لقد أراه الله ما عليهِ أن يفعل. قد يعلم يعقوب شيئاً عن الصِفات المُتَنَحية في الحيوانات، ولكِنَهُ لم يعلم شيئاً عن الجينات أو أن يعلم أي حيوان لديهِ النوع المُناسِب من الجينات لتحقيق هَدَفِهِ، ولكن الله عَلِمَ. وقد أعانَهُ الله من خلال تبيين له في الحُلُم أي حيوانات عليه أن يجعلها تتناسل مع من. فها هي شهادة يعقوب، ازدِهارُهُ لم يكون نتيجةً لحِنكَتِهِ ولكن من نعمة الله.

اعتِرافهُ الثاني كان له علاقة *بالآفاق*، التي مَكُثَت ليس في تواطُئهُ الشخصي ولكن بإرشاد الله (31:13) قال "دعنني أيَتُها الزوجات أُخبِرَكنَّ ما كان يقولُهُ الله لي، كان يقول، أَنَا إِلهُ بَيْتِ إِيلَ ... الآنَ قُمِ اخْرُجْ مِنْ هذِهِ الأَرْضِ وَارْجِعْ إِلَى أَرْضِ مِيلاَدِكَ ". اعترف أنه لا يوجد مُستَقبل له في فدان آرام؛ فمستَقبَلَهُ يكمُن في المَوضع الذي وضع الله اسمَهُ (اسم الله). إنهُ دَرسٌ عظيمٌ ليتعلمهُ المؤمن، الازدهار الحقيقي هو روحيٌ وليس ماديٌ، فالازدهار لا يكمُن هنا بل حيثُ الله. علينا أن ننظر أعلى من هذا العالم للازدهار الحقيقي، وهكذا فجأةً يعقوب مواجهاً خِسارة كُل شيء، عاد إلى الوطن إلى قلب الله.

4. التِزام يعقوب الأخير (31:14-16)

بقي فقط على راحيل وليئة أن يُطمئناه بأنهم معهُ فيما اقترح أن يفعل، فوافقتا حالاً لأنهما كانتا أيضاً تعبتين من حيل لابان. كان واضِحاً لديهِنَّ بأن لابان سيغُشَهُنَّ كما غش زوجِهنَّ، فقالتا ويُثلِج القلب أن تَجِد الأختين مُتَحِدَتين "فَالآنَ كُلَّ مَا قَالَ لَكَ اللهُ افْعَلْ". حقاً لا يستطيع الرَجُل أن يَطلُب أفضل من ذلك، أن يحصل على التأييد من أحِبائِهِ، من كُل قَلبِهم ودون تَحَفُظ، لشهوتَهُ الخاصة في أن يعمل مشيئة الله. وهكذا أوقف الله يعقوب من أن يُلاحِق أهدافاً قديمة.

ب. كيف تُحَدِّيَت الأهداف القديمة (31:17-35)

"لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي!" هذا ما نصَّتهُ الفقرة الأولى من الوصايا العشر عندما دوّنَ القانون لاحِقاً لأولاد إسرائيل عند سيناء. لم تَكن الوصية قد حُفِرَت بالصخر بعد وسُلِّمَت لإسرائيل، ولكن عَرِفَها يعقوب جيداً. فجَدُهُ قد نبذ الوثنية وعبادة الآلهة المُزيفة في تلك الأراضي ذاتِها في بلاد ما بين النهرين. وعَلِم يعقوب أنه لا يوجد مؤمن يستطيع ان يَعبُد إلهاً زائفاً ولا يستطيع المؤمن أن يَتَساهل مع صورٍ منحوتة في بيتِهِ.

إلا أن زوجات يعقوب كُنَّ حقيقةً بنات لابان. كان للابان بعض المعرفة عن الإله الحقيقي والحيّ، ولكنه كان دائماً وثنياً في قلبِهِ. وبناتُهُ وبالأخص راحيل، شَعَرَت بالسحب والجر لخُرافات لابان، وأبقت راحيل بعضاً من أصنام لابان المنزلية في بيتها. على هذه الأشياء أن تُكشف ويُحكم عليها وتُلقى بعيداً، على يعقوب أن يأخُذ على عاتِقِهِ مسؤولية المهمة الصعبة في التخلُص من الآلهة القديمة. سيكون تنفيذ المُهمة سهل بسبب الطريقة المخزية التي أظهرت التَمَاثيل ذاتها على أنها لا شيء إلاّ كُتَل سخيفة من الخشب والحجر.

1. ماذا علم لابان (31:17-21)

يُقَدَم لنا ضوأين جانبيين عن شخصية لابان ومُثيرين للاهتمام، على سبيل المثال، نكتشف ما علمهُ لابان. وضع لابان مبدأين في ذِهن أولادِهِ، وهو على وشك أن يُشاهِد كلا المبدأين يُستخدمان ضِدَهُ.

عَلَمَهم من خلال تصرُفاتِهِ كمِثْلَهُم الأعلى *الانتفاع دون رحمة* (31:17-19أ). نقرأ " فَقَامَ يَعْقُوبُ وَحَمَلَ أَوْلاَدَهُ وَنِسَاءَهُ عَلَى الْجِمَالِ، وَسَاقَ كُلَّ مَوَاشِيهِ وَجَمِيعَ مُقْتَنَاهُ الَّذِي كَانَ قَدِ اقْتَنَى :مَوَاشِيَ اقْتِنَائِهِ الَّتِي اقْتَنَى فِي فَدَّانِ أَرَامَ، لِيَجِيءَ إِلَى إِسْحَاقَ أَبِيهِ إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ . وَأَمَّا لاَبَانُ فَكَانَ قَدْ مَضَى لِيَجُزَّ غَنَمَهُ"، (يُمكن أن نضيف أن كان هناك تغير-فبالعادة كان يَجُزُّ يعقوب!). كان الشيء المُناسب ليعقوب أن يفعلهُ هو أن يتسلل هارباً بينما كان عَمَهُ مشغولاً، بتشجيع سريّ من زوجاتِهِ استخدم يعقوب ذات مبادئ لابان ضِدَّهُ. أتى إلى لابان وهو بِذاتِهِ مُخادِعٌ مُحَنَّكٌ، ولكن عدة سنوات من مُعاشرة لابان قد أضافت إلى حيَلِهِ. حتى بنات لابان لم يترددنَّ أن يُشاركنَ يعقوب مُخططهُ.

أيضاً علمَ لابان أولادهُ *أخطاءً دينية* (31:19ب-21)، لهذا سرقت راحيل أصنام أبيها. منذ أيام حداثتها وهي تراها في البيت وتُشاهِد كيف يُبَجِلُها أبوها[2]، كان على لابان أن يُدرِك أفضل من ذلك فشهادة إبراهيم كانت ما تزال في تلك الأرض. ويعقوب الذي استخدم الله يَدَيّهِ الماهِرتين ليؤتي بازدهارٍ مادي لبيتِهِ لم يُعجَب يوماً ببعولِهِ. ولكن بنوعٍ من نصف إيمان قدم لابان خدمة شفوية لإله إبراهيم وقدم اهتماماً فعلياً لبعولِهِ، فليس من العجب أن راحيل، حقاً ابنة لابان، أخذتهم معها فقد علمها جيداً. طبعاً راحيل كانت تعلم عن إله يعقوب وقد أُتيت إلى علاقة شخصية مع الله، ولكن مازالت تقف برهبة أمام آلِهة أبيها. وهكذا وَّجَهَ يعقوب وجهه نحو الغرب وأصبحت ضِفاف نهر الفُرات العريضة خطاً نحيلاً في الأفق، ولكن آلِهة لابان المنزلية كانت تُنقل في اخراج راحيل بغير عِلمِهِ.

2. ماذا اعتقدَ لابان (31:22-30)

كان لابان رجُلاً مُستَعبداً بأفكارِهِ الغير المُلائمة عن الله، فنُلاحِظ *كيف قابلَ يهوا* (31:22-24). عند وصولِهِ إلى البيت من الجَزّ اكتشف لابان أن يعقوب قد رحل وراحيل وليئة قد رحلنَّ وأحفادِهِ قد رحلوا وكُل أملاك يعقوب الواسِعة التي كان ينوي الاستِيلاء عليها قد رحلت. كان لابان يتحرق بالغضب، فجمع قوةً كافية ليُلاحِق بعقوب وضرب بالسوط ما أمتضاه في مُطاردةٍ للهاربين.

ذهب عِبر الفُرات ومن حول الهلال الخصيب وإلى الأسفل باتِجاه كنعان حتى جبل جلعاد في الرُبع الشمالي من البِلاد، المسافة التي قطعها كانت قُرابة الثلاثمائة ميل. احتاج يعقوب لعشرة أيام ليقطعها دافِعاً قافِلَتَهُ بأقصى سُرعة مُمكنة؛ قطع لابان المسافة بأسبوع. وأخيراً استطلع مُخيَّم يعقوب وتجّهَّزَ لانقضاضٍ عنيف في اليوم الثاني.

ولكن في تلك الليلة قابل لابان الإله الحيّ، إله يعقوب وإبراهيم في حُلُم فحُذِر، قال الله "احْتَرِزْ مِنْ أَنْ تُكَلِّمَ يَعْقُوبَ بِخَيْرٍ أَوْ شَرّ" "دَعهُ وشأنَه إنهُ لي".

منذ سنوات عندما كان علم البلاد لا يزال يعني شيئاً، كان رجُلٍ أمريكي أبيض في رحلة خارج البلاد ومن سوء حظه تم القبض عليه من قِبل متطرفين وحجزوه رهينة تحت تهديد القتل. طلب القنصل الأمريكي والبريطاني رؤية المُحتَجَز كمُقَدِمة للمُفاوضات، وفي لحظة مناسبة أخذ القنصل البريطاني خطوة للأمام ورمى العلم البريطاني فوق السجين وكذلك فعل القنصل الأمريكي بالنجوم والخطوط (العلم). وقالوا "والآن أطلقوا النار على هذه الأعلام إن جرأتم!"، وهكذا رمى الله رايتَهُ فوق يعقوب وحذر لابان من مَسِّهِ. تقابل أخيراً لابان مع الإله الحقيقي والحيّ الذي سَمِعَ عنه من هذا وذاك وجهاً لوجه.

مثل الكثيرين الذين تواجهوا مع الله، لم يُعجبْ لابان بها على الإطلاق، لأن الله وضع إصبَعَهُ على خطية لابان وخصوصاً خطيئتَهُ العِدائية تِجاه الرجُل المؤمن الوحيد الذي عَرَفَهُ فعلاً. حُذِرَ لابان بالقضاء القادم إن أصر على الطريق الذي اختارَهُ. قابل لابان الرب.

ثم قد قيل لنا كيف تقابل مع يعقوب (31:25-30). تؤكد القِصة نزعة لابان (31:25-28) ومرارتَهُ (31:29) وعماءَهُ (31:30). توعدَ ليعقوب بطريقَتِهِ المُنافِقة المُعتادة-"لماذا هربت؟ لماذا لم تسمح لي بتقبيل أولادي قبلة الوداع؟ لماذا لم تسمح لي أن أشيعك بحفلة وداع؟" كان كل هذا التظاهر بالتقوى رياءً. وزمجر قائلاً "فِي قُدْرَةِ يَدِي أَنْ أَصْنَعَ بِكُمْ شَرًّا، وَلكِنْ إِلهُ أَبِيكُمْ كَلَّمَنِيَ الْبَارِحَةَ" ثم وصل إلى لُب الحديث "لِمَاذَا سَرَقْتَ آلِهَتِي".

هذه هي-الطبيعة الوثنية الوضيعة والقبضة الشيطانية الضارية التي تُمسِك النفس. بالأمس فقط قابل لابان الإله الحقيقي والحيّ؛ ومع ذلك أشارَ إلى الأصنام الفخارية الصغيرة الوضيعة على أنها *آلِهَتُهُ*. وكانت تلك أول مرة ذُكر بها التماثيل في الكتاب المُقَدَس، وأول ذكر مُباشر لآلِهة وثنية.

"آلِهَتِي!" صرخ لابان. خلف التماثيل يكمُن الشيطان؛ عبادة الأوثان تُعطي الشيطان قبضةً على العابِد، صرخ لابان "آلِهَتِي!". آلهة حقاً! آلهة عظيمة! آلهة يُمكن أن تُسرق! آلهة يُمكن أن تُحزم مثل قدورٍ قديمة والمقالي وتُوضع في كيسٍ! آلهة يُمكن أن تتأرجح وتصطدم بعضها ببعض لمُدة ثلاثمائة ميل دون أي كلمة أو شكوى! آلهة يؤمن أنها تستطيع أن تُأثر بالرياح والطقس ومع ذلك لم

2. كان هناك بعلٌ لعصر الزيت لتأمين مِلء براميلِهِ بالزيت؛ بعلٌ للبراميل والأباريق للتأمين على زيتِهِ وخمرِهِ أن يبقان حلوين وجيدين. هناك بعلاً لعصر الزيتون-إلاهاً صغيراً مُدهِشاً، إلاهاً يستطيع أن يُنتِج زيتاً من الزيتون ليؤكل مع الخُبز ويُستخدم مع الطهي ويُفرك على الأطراف الموجِعة للشخص، وهناك بعولٌ لطُرُق السفر وخلايا النحل والحنطة والشعير، لذا اعتقد لابان أن خصوبة حقولِهِ وقطيعِهِ ستهلُك دونهم.

تستطع أن تصرخ لتُلفِت انتباه الرجُل المخدوع، "ها نحن يا لابان على رؤوسنا في سُرج راحيل!" صرخ لابان المَخدوع "آلِهَتي!" ورنين صوت الله الحقيقي مازال في روحِهِ.

3. عن ماذا بحث لابان (31:31-35)

طبعاً يعقوب لم يكن يعلم شيئاً عن سَرِقَة راحيل للأصنام، وإلا لن يكون بتِلك الثقة لو أنه كان يعلم. انتفض قائلاً "فتش المكان! ضع السارق للموت إن كان هناك سارِقاً". وهذا ما فعلهُ لابان، فتش وحشر انفه في كُل شيء ووقف يعقوب يُشاهِد بينما ضغطهُ يرتَفِع. بعد فترة أخذ بحث لابان إلى خيمة راحيل، فنظرت والِدها عينٍ بعين "تفضل يا أبي وأنظر من حولك ولكن أعذُرني إن لم أقِف فلستُ أشعر بأفضل حال اليوم. لن تَجِد آلِهَتَك هنا ولكن أنت مُرَحب بك أن تبحث" وهذا ما فعلهُ لابان ولكن بلا جدوى، وذلك ليس من العجب فراحيل كانت تَجلُس عليهُم. هناك رجاء أن راحيل تعلمت درساً عن آلهتها هذه-أشياء غير نافِعة وعقيمة. تخيل إلاهاً يُجلَس عليه! كثير من الأحيان نعتز بأصنام غير نافِعة في قلوبِنا، آهٍ لو نمتَلك النعمة والحكمة في التخلُص منها.

ت. كيف تُحُّدِيت الأحقاد القديمة (31:36-55)

لسنوات كان يعقوب يُكَدِّس الامتِعاض ضد خالِهِ، ولا يُوجد أي تَسجيل على أنه نَفَّسَ عن الأحقاد من قبل، ولكن الآن قد نَفَذَ صَبْرُهُ فاستدار على لابان بغضبٍ. نظر إلى مُخَيَمِهِ المنقوب ووجوه أولادِهِ المذعورة وإلى رجالِ لابان المُسَلَحين ثم أعلن للابان ما كان في ذهنِهِ، والأحقاد التي كان يدفِنُها لسنوات خرجت مُندَفِعة.

1. نقمة يعقوب المُحِقة (31:36-42)

"فَاغْتَاظَ يَعْقُوبُ وَخَاصَمَ لاَبَانَ" كلمة *اغتاظ* تعني بالأصل "أن يُحرَقَ"؛ وكلمة *وَخَاصَمَ* تأتي من أصل "أن يحجُز" أو "أن يُمَزِق"، كان يعقوب يحتَرِق من الغضب ومستَعِداً ان يُمَزِق أحَدَهُم. لقد كان غاضِباً كونَهُ *لُحِقَ بشراسة* من قِبل لابان (31:36) "مَا جُرْمِي؟ مَا خَطِيَّتِي حَتَّى حَمِيتَ وَرَائِي؟" كان غاضِباً لأنهُ أُتُهِمَ كَذِباً من قِبل لابان (31:37-40) " لقد استعبدتني لعشرين سنة، ولم آكُل طعامك بل أمنتُ طعامي بنفسي. لم يَكُن هناك حملٌ أو جديٌ خروفٌ أو عنزةٌ وقعت كُرهاً لحيوانٍ مُفتَرِس وإلا أنا شخصياً عوضتك عنها، خلال عشرين سنة لم تَخسر حتى حملاً واحِداً. وتحَمَلتُ المشقة وحرارة النهار والبرد وصقيع الليل. وأنت تأتي إلى هنا تُعامِلُني كمُجرِمٍ وتتهِمُني بسَرِقَة آلِهَتَك المنزلية!" لقد كان غاضِباً لأن لابان غشهُ بشكلٍ قَذِر (31:41-42) "لقد غيرت أجرتي عشرة مرات! عشرة مرات حاولت أن تَغُشَني! حتى الآن كُنت ستؤذيني لولا حقيقة أن الله، إلهي الإله الحيّ، وقف بيني وبينك ليلة أمس" حقاً وضع يعقوب كُل شيء على المَحَك.

حسناً، يعقوب فقد سيطرتَهُ وكما يَحدُث في حالاتٍ كَهَذِهِ يفقد شهادَتَهُ أيضاً معها. رَجِعَ لابان إلى فدان آرام، مريراً إلى الأبد مُتأكِداً بأنه قد خُدِع، مُمتَعِض بعُمق تُجاه المؤمن الوحيد الذي عَرِفَهُ على الإطلاق. هذا هو ثمن فُقدان السيطرة وتسديد الدين بذات العُملة.

2. ابتِهال يعقوب الديني (31:43-55)

يجب أن يُعمل شيءٌ، ولا يجب أن يفترق عن لابان بهذه الطريقة. لم يكن لدى لابان شيءٌ ليقولهُ فيما يخص اتِهامات يعقوب، فهو يعرف تماماً كم يَدين ليعقوب ولكِنَهُ لم يمتلك الإرادة على إدانة نفسِهِ بالخطأ. فلوحَ بيديهِ باتجاه الشهود المذهولين من الخلاف المُحتَد بدلاً عن الاعتِذار، وباتجاه راحيل وليئة والأولاد والقطيع والغنم القريب منهم "كلُ هذا مُلكي!" هذا كان كُل ما أستطاع أن يقولَهُ. وكمُنافقٍ عجوز، اقترح أن يصنع عهداً بينهُ وبين يعقوب، فاستجاب يعقوب بالحال وصنع عموداً ودعا جميع الموجودين لينضموا في بناء النصب التذكاري الدائم للميثاق الذي على وشك أن يُصنع. الحدث له أهمية مُعينة لأنه يُظهر كم كان لابان مُنافِقاً مُغالياً وكيف أصبح يعقوب رجُلاً روحياً منذُ لِقائِهِ الأخير مع الله.

هناك أمران مُرطبتان بالعمود، أولاً كان هناك *القسم* (31:47-53). بالنسبة للابان القسم يرمُز أن العمود هو حدود وضمان للمُستَقبل لا أكثر، ويعني أن يعقوب لن يُعامل راحيل وليئة بالسوء الآن وقد أصبح والِدهما غير موجود ليحميهما. كان ذلك إهانة بلا مُبرر، لا يوجد لدى لابان أي أسس لهذه الأفكار، فيعقوب قد أحب راحيل بشغفٍ ودائماً عامل ليئة بكياسة. وعنى العمود أيضاً أن يعقوب لن يأخُذ زوجاتٍ أخرى-مرة أخرى، لم يكن يعقوب يُريد زوجاتٍ أخرى؛ الزوجة الوحيدة التي أراد ورَغِب بها كانت راحيل، حصولُهُ على ليئة والزوجات الأُخَر كانت خطأ لابان وليس خطأهُ. بالإضافة عنى العمود للابان بأنهُ لن يقطع علامة الحدود تلك ليُزعِج يعقوب. كان ذلك هو القسم.

دعا لابان العمود "يَجَرْ سَهْدُوثَا" أو "كومة الشهادة" و "الْمِصْفَاةَ" ثُم نادى على إله يعقوب وكأن يعقوب هو من يحتاج أن يُراقب، فنادى "لِيُرَاقِبِ الرَّبُّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ حِينَمَا نَتَوَارَى بَعْضُنَا عَنْ بَعْض!" رقة المشاعر لم تَكن مقصودة هنا كما تُفَسَر في بعض الأحيان؛ بل المقصود هو تحذير ليعقوب. إذاً بالنسبة للابان العمود هو حدود وضمانة للمستقبل وضمانة طرحت كُل المسؤولية ووصمة عار الماضي على يعقوب.

ولكن لم يكن فقط القسم مُتَعَلِقٌ بذلك العمود، فكان هناك *التقدِمة* (31:54-55). بالنسبة ليعقوب التقدِمة مثلت أن العمود هو بركةً وليس حدوداً؛ فقد كان وداعاً للماضي بدلاً من ضمان للمُستَقبَل. " وَذَبَحَ يَعْقُوبُ ذَبِيحَةً فِي الْجَبَلِ وَدَعَا إِخْوَتَهُ لِيَأْكُلُوا طَعَامًا... ثُمَّ بَكَّرَ لاَبَانُ صَبَاحًا وَقَبَّلَ بَنِيهِ وَبَنَاتِهِ وَبَارَكَهُمْ وَمَضَى .وَرَجَعَ لاَبَانُ إِلَى مَكَانِهِ." لم يُعانِق يعقوب ولكن بقلبٍ حزين ومُتألم لخسارَتِهِ لبناتِهِ عانقهم وعانق أحفادِهِ "وَرَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ". عادَ إلى فدان آرام، عادَ إلى ظلام الوثنية، عادَ ليرعى مَظالِمَهُ. وهكذا خرج من حياة يعقوب ومن كتاب الله.

ث. كيف تُخُدِيَّ الذنب القديم (32:1-32)

أصبحت فدان آرام في ماضي يعقوب، وكُل شيء له علاقة هناك بحياة يعقوب قد تم التعامُل معه من قِبل الله. بتنهُد ارتياح شاهد يعقوب لابان وأولادَهُ وخدَمَهُ يختَفون أخيراً خلف الأفق البعيد. وقلب صفحة من حياتِهِ ليكتَشِف لطخة سوداء من صفحة قديمة قد تغلغلت من خلال الصفحات. عليهِ الآن أن يواجِه مسألة عيسو.

الآن على يعقوب أن يتعلم أحد أكثر الدروس الأساسية والبعيدة المدى التي يُمكن لرجُلٍ مؤمن أن يتعلم-أن الله لا يُدين الخطيئة في الخاطئ ويتغاضى عنها في القديس. منذ سنوات عديدة مضت تعامل يعقوب مع عيسو بطريقة عدم أخوية وعدم ضمير. لقد نسيَّ كُل هذا؛ فالسنين المُزدَحِمة في فدان آرام وحياة العجلة والنشاط الصاخِب جعلت النسيان سهل، ولكن الله لم ينسَ-وكذلك عيسو. على يعقوب أن يواجِه بشكل كامل الحساب الطويل الذي أنشأهُ مع أخيه منذُ سنين طويلة مضت. هذه هي الطريقة دائماً، لا يُمكن لله أبداً أن يُبارِكَنا روحياً حتى نواجِه آثامَنا ونصحح-عندما تكون تحت قُدرَتِنا-الأخطاء التي فعلناها. تعامُلات الله مع الذنب القديم في حياة يعقوب يُذَكِرُنا بأن الله سيتعامل معها في حياتنا أيضاً.

1. تأكيد يعقوب من الله (32:1-2)

لقد تعلم يعقوب درس الخلاص العظيم في بيت إيل منذُ عشرين سنة مضت؛ والآن في يَبُّوقَ عليهِ أن يتعلم التقديس، الدرس المساوي بالعظمة. ما حدث في بيت إيل اهتم بمُعتَقَدَاتِهِ؛ وما حدث في يبوق اهتم بتصرُفاتِهِ. لقد كان هناك أزمة عظيمة في حياتِهِ عندما أصبح رَجُلاً مُخلصاً؛ وهناك أزمة عظيمة مساوية في حياتِهِ عندما أصبح-بالمعنى العملي-رَجُلاً مُكرساً. موضعياً طبعاً، الخلاص والتقديس هما عملا الله اللذان لا ينفصِلان في خبرة الروح؛ عملياً، الكثير منا لا نَدخُل في حقيقة التقديس في وقت خلاصِنا.

كان يعقوب مُطيعاً منذ الوقت الذي قابَلَهُ الله في فدان آرام وأمرَهُ أن يَعود إلى كنعان، لقد قطع شوطاً طويلاً. لاحِظ الآن *ما رآه يعقوب*. "وَأَمَّا يَعْقُوبُ فَمَضَى فِي طَرِيقِهِ وَلاَقَاهُ مَلاَئِكَةُ اللهِ" (32:1). لقد كان يعقوب مُرافقاً من قِبل ملائكة غير مرئية كُل الرِحلة-فمن الطبيعي ألا يتلاعب لابان مع يعقوب-ولكن الآن قد شاهد الملائكة لأول مرة. فعَرِف أن خلاصَهُ من لابان لم يَكن بسبب حنكَتِهِ وشجاعَتِهِ، بل بسبب تدخل إلهي نشيط في شؤونهِ.

صرف جون وسلي خمسين سنة على السرج راكباً خيلهُ خلال الطين والوحل، مُواجِهاً الخطر عند كُل منعطف مُبشِراً بالخلاص لجيلِهِ. في تِلك الأيام الطُرُق السريعة كانت أماكن خطِرة لرَجُلٍ مُنعَزِل، فعربات الرُكاب كانت تتنقل مع حُراس مُسَلحين لأن قُطاع الطُرُق ترصدوا في سياجات الشجيرات واختبأوا خلف الأشجار منتظرين فرصةً لينالوا من عابِرٍ سبيلٍ غافِل. كان مشهد المشانق مألوفاً منصوبةً عند ضفاف طُرُق السفر كتذكرة عنيفة لقُطاع الطُرُق بأنهم إن أمسكَ بِهم سيُشنقوا ويطلوا بالزفت ويُتركوا ليتعفنوا، كان هذا عِبرةً لمن يَعتَبر.

في إحدى الأيام كان جون وسلي راكِباً حِصانَهُ لمسافة طويلة ووحيدة عندما لاحظ هيئة ظلال أمامهُ، التي اختفت خلف سياج حالما نظر إليها. لم يستطع أن يعود للوراء؛ فلم يكُن ذلك طريقَهُ، ولكن إن تابع قدُماً قد يعني الخطر أو حتى الموت. لم يكن هناك أمل من مُساعَدة إنسان على ذلك الطريق المُنعَزِل، فصلى جون وسلي. تقريباً في الحال سمع صوت خطوات آتية من خَلفِه، فالتفَّ في سَرجِهِ بينما سار مُسافِرٍ آخر بجانِبِهِ. أهدى وسلي القادِم الجديد تحيةً حارة ثم اندفعا على المسار قاطعين الموضع الذي كان به اللصوص مُختَبئين، وعندما رأى اللصوص رَجُلين بدلاً من واحِد تَرَكوهما وشأنِهما. ثم استدار وسلي ليقول شيئاً لرفيقِهِ فاكتشف أنه لا يوجد أحد هناك! الراكب المجهول قد اختفى في الهواء. حَصُلَ جون وسلي على لمحة غير اعتيادية لملاكِهِ المُرافق في الطريق.

نُلاحِظ إذاً ما شاهدَهُ يعقوب *وما قالهُ يعقوب* "وَقَالَ يَعْقُوبُ إِذْ رَآهُمْ: هذَا جَيْشُ اللهِ! فَدَعَا اسْمَ ذلِكَ الْمَكَانِ مَحَنَايِمَ" (2:32). الاسم يعني "الجيشين"، كان هناك الجيش المرئي، يعقوب وأبناؤه وخدمه، وكان هناك الجيش الغير مرئي، ملائكة الله المُشيرة تسير بجانبهِ بصمت غير مرئية ولكنها شديدة القوة. ذات الجيش يسير مع جميع أولاد الله عندما يختارون أن يمشوا مع إلههم بوداعة. كانت رؤية يعقوب المُفاجِئة تأكيداً له من الله، لقد كان في إرادة الله.

2. ارتباك يعقوب حول الله (32:3-23)

عدم الإيمان راسخاً بعمق في قلب الإنسان، حتى مع رؤية المُرافقة الملائكية لا تزال تتلألأ أمام عينيهِ، بدأ يعقوب يحتال ويُخطط مرة أخرى بينما يُحاول التفكير في طُرقٍ تحتال على غضب عيسو المُشتَعِل، لأن الأمر أشرق عليه الآن. قبل أن يأمل أن يحيى بسلامٍ وازدِهارٍ في أرض الموعِد، عليهِ أن يفعل شيئاً بخصوص عيسو. القسم الأكبر من الإصحاح 32 يتعلق بجميع الخُطط الغالية والغير ضرورية التي طورها يعقوب ليهدئ أخاه.

أولاً، فكر في محاولة التفاوض (32:3-8) أرسل أمامَهُ رُسُلاً ليُقيموا اتصالاً مع عيسو ومعهم رسالةٌ داهنه ومُتملقة. "هكَذَا قَالَ عَبْدُكَ يَعْقُوبُ :تَغَرَّبْتُ عِنْدَ لاَبَانَ وَلَبِثْتُ إِلَى الآنَ. وَقَدْ صَارَ لِي بَقَرٌ وَحَمِيرٌ وَغَنَمٌ وَعَبِيدٌ وَإِمَاءٌ .وَأَرْسَلْتُ لأُخْبِرَ سَيِّدِي لِكَيْ أَجِدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ" مُنحَنياً وكاشطاً! سَيِّدِي هذا وسَيِّدِي ذاك! إن كان باستطاعة جواباً ليناً أن يُبعد غضباً ساخِطاً فيعقوب سيحاول كُل جُهدَهُ بالتأكيد.

ثُم عاد الرُسُل "أَتَيْنَا إِلَى أَخِيكَ، إِلَى عِيسُو، وَهُوَ أَيْضًا قَادِمٌ لِلِقَائِكَ، وَأَرْبَعُ مِئَةِ رَجُل مَعَهُ " (32:6)، كان ذلك رد عيسو الشرس. ولا حتى كلمة ترحيب ليعقوب ولا كلمة عن الماضي ولا كلمة عما ينوي فِعلَهُ، فقط تهديداً حاداً عن قُدرَتِهِ أن يتعامل مع يعقوب الآن من موقع قوة وليس من ضعف كقبل. "ربح أخٍ مُهان أصعب من ربح مدينة قوية!" لقد سبق ونَسيَّ يعقوب الجيش الغير مرئي الذي يسير بجانِبِهِ في عالم الروح. "فَخَافَ يَعْقُوبُ جِدًّا وَضَاقَ بِهِ الأَمْرُ، فَقَسَمَ الْقَوْمَ الَّذِينَ مَعَهُ وَالْغَنَمَ وَالْبَقَرَ وَالْجِمَالَ إِلَى جَيْشَيْنِ. وَقَالَ: إِنْ جَاءَ عِيسُو إِلَى الْجَيْشِ الْوَاحِدِ وَضَرَبَهُ، يَكُونُ الْجَيْشُ الْبَاقِي نَاجِيًا" (32:7-8).

مازال يعقوب يُخَطط ويتجاهل الله الذي كان يقول "ثِق بي يا يعقوب" وكان يعقوب يقول "انا أثق بك يا رب ولكن-"

خلال الحرب العالمية الأولى، كان على رجُلِ أعمالٍ أن يزور معملاً حيث تُصنَع به الذخيرة، بينما كان يقترب من البوابة رأى لوحةً مكتوب عليها " كشيع" فحيرتهُ، ولكِنهُ سريعاً ما نسيَّ أمرها وتابع عملهُ. ولكِنهُ لاحظ وجود الإشارة في كُل مكان، فقد كانت مُلصقة على الجُدران وظهرت على الأبواب وحتى أنها كانت معروضة في مكتب المُدير. بحث في مُذَكِرَتِهِ عن تلك الكلمة ولكن دون جدوى وكان مُتكَتِماً جداً ليسأل معناها. عندما انتهى عملهُ رافقتهُ سكرتيرة المُدير إلى بوابة المعمل وقالت "طبعاً رأيت إشارتنا" فهتف "كيف لي أن أتفاداها! ولكن ماذا تعني؟" قالت "إنها اختصارا لجُملة-إنها تعني كُل شيء يعتمد علي!" هكذا كان يعقوب "كُل شيء يعتمد علي" كان هذا شعارَهُ كُل حياتِهِ.

عندما فَشِلت المُفاوضات، فكر يعقوب أن *يحاول الشفاعة* (32:9-12) الصلاة التي قدمها الآن لله كانت ذات جرأة عظيمة وجمال. كانت صلاة رَجُلٍ يائس، رَجُلٍ قد أدرك فجأةً أن " لا يعتمد كُل شيء علي" على الإطلاق؛ بل كُل شيء يعتمد على الله.

كانت الصلاة بأربع أقسام، أولاً تَضَرَّعَ يعقوب *لأهداف الله* (32:9) "يَا إِلهَ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَإِلهَ أَبِي إِسْحَاقَ، الرَّبَّ الَّذِي قَالَ لِيَ :ارْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ وَإِلَى عَشِيرَتِكَ فَأُحْسِنَ إِلَيْكَ." فبالتالي هو قال "إن لم أكُن مُطيعاً لك يا رب لكُنت الآن بعيداً عن عيسو مئات الأميال!" إنه لشيء عظيم أن نستطيع أن نأتي لله ونقول "ها أنا يا رب في وسط إرادَتك وأنت تعلم الظروف التي ظهرت فهي أعظم مني، ولكِنها مسؤوليتك لأنني الآن أنا حيث أنت تُريدُني أن أكون".

ثم تَضَرَّعَ يعقوب *لعناية الله* (32:10) "صَغِيرٌ أَنَا عَنْ جَمِيعِ أَلْطَافِكَ وَجَمِيعِ الأَمَانَةِ الَّتِي صَنَعْتَ إِلَى عَبْدِكَ .فَإِنِّي بِعَصَايَ عَبَرْتُ هذَا الأُرْدُنَّ، وَالآنَ قَدْ صِرْتُ جَيْشَيْنِ." كان يقفُ قريباً من تقاطُع الأردن ويَبُّوقَ. منذُ عشرين سنة مضت أتى من هذه الطريق وليس معه إلا عصا في يدهِ والآن بعناية الله قد أصبح رَجُلاً ثرياً-ليس لأنه يستحقها بل بالعكس، أعطاه الله غنى وتنور روحي أبعد بكثير مما كان يستطع أن يتخيل، لقد كان يعقوباً جديداً.

تَضَرَّعَ *لحماية الله* (32:11) "نَجِّنِي مِنْ يَدِ أَخِي... لأَنِّي خَائِفٌ مِنْهُ" وصل يعقوب الآن إلى الهدف. كان لعيسو سمعة وحشية فصرخ يعقوب مُستَخدِماً مثلاً من زمانهِ "أَنْ يَأْتِيَ وَيَضْرِبَنِي الأُمَّ مَعَ الْبَنِينَ". التفسير الحرفي لصَرخَتِهِ "أن يأتي ويضربني... الأم على الطِفل" الصورة هي لصياد يُبيد دجاجةً حتى وهي تَفرُش جناحيها لتحمي فِراخها؛ الصورة هي لتصميم دون رحمة ولعين لا تعرف

الرأفة ونشر الموت. يُمكِنَهُ أن يرى راحيل ميتة وليئة ميتة والزوجات الجواري ميتتين ويهوذا ميت ويوسف ميت، فتضرع لحماية الله من عُنف عيسو.

تَضَرَعُ *لوعود الله* (12:32) "وَأَنْتَ قَدْ قُلْتَ :إِنِّي أُحْسِنُ إِلَيْكَ وَأَجْعَلُ نَسْلَكَ كَرَمْلِ الْبَحْرِ الَّذِي لاَ يُعَدُّ لِلْكَثْرَةِ" هذه دائماً حجة قوية مع الله، خذ الله بجُرأة إلى وعودَهُ. مرة أخرى، هذا ما كان يفعلهُ القديس جورج ميولر. خرج جورج ميولر ليرفع تذكاراً في بريستول لأمانة الله، أراد أن يُمَثِل لجيلٍ غير مؤمن أن الله هو المُكافئ للذين يبحثون عنه بجد. مراراً وتِكراراً بنى ميولر ووظف وحافظ على بناء مياتِمِهِ تلك، وأختَبَرَهُ الله. يشرح كاتب سيرَتِهِ أي. تي. بيرسون كيف يبني ميولر حُجَجاً في صلاتِهِ، يُذَكِر الرب بأن بيُوت اليتامى هي لله، بأن اليتامى وحاجاتَهُم هي مسؤولية الله، بأن الله وعد بأنه "أباً لمن ليس له أب". يُعلق بيرسون "طبعاً لا يحتاج الله أن يقتنع: لا يوجد حُجة من الممكن أن تجعل مطلب الأرواح الواثِقة أبسط له ليتعامل معها، مطالب مؤسسة بحسب كَلِمَتِهِ ومُؤَثقة بوَعدِهِ". إذاً لماذا استخدم جورج ميولر حُججاً كهذه مع الله؟ يقول بيرسون "علينا أن نتحاجج مع الله وعلينا أن نُقَدِم حُجة لقضيتنا مع الله، طبعاً ليس لإقناعِه بل لإقناع أنفُسِنا."[3]

ولكن يعقوب مازال يعقوب، غير قادِر أن يترك الأمر بيد الله، فقرر أن *يُحاوِل المُصالَحة* (32:13-23). أعدَ 200 عنزة و20 تيساً، و200 نعجة و20 كبشاً، و30 ناقة مع مهورها، و40 بقرة و10 ثيران، و20 أتاناً و10 حمير-كُل هذه كهدية مُصالحة لعيسو. هذا يُعطينا فكرة عن مدى غنى يعقوب، حيثُ يستطيع أن يُقَدِم جزية مهيبة كهذه كمُجَرَد هدية.

ثم فصل يعقوب بحدثه الفطري أصناف الحيوانات المُختَلِفة إلى خمس اسراب وأرسلَهُم إلى عيسو مع وجود مسافة مُعتَبَرة بين كُل سرب، أراد أن يُثابر في العطاء لعيسو ليُظهر أملهُ الصادق في المُصالحة. المبدأ الذي طبَقَهُ يعقوب كان ذات المبدأ الذي كان خلف ذبيحة الإثم، سيُصبح لاحِقاً جُزءاً من نظام التضحية لإسرائيل. علمت ذبيحة الإثم أنه إن أراد رَجُلٌ أن يُصالِح الله عليه بالضرورة أن يُصالح الشخص الذي أساء لهُ، عليهِ أن يُعَوِضَهُ ويُضيف أكثر مما سرق.

3. مواجَهة يعقوب مع الله (32:24-32)

نأتي الآن إلى الأزمة الثانية العظيمة في حياة يعقوب. في بيت إيل شاهد السُلُم وفي يَبُّوقَ شاهد الرب؛ في بيت إيل أصبح رَجُلاً مؤمناً وهنا أصبح رَجُلاً مكسوراً؛ في بيت إيل أصبح ابناً لله وهنا أصبح قديساً لله. خرج من بيت إيل وفي خطواتِهِ قفزة جديدة؛ خرج من يَبُّوقَ وهو يعرج بمشيَتِهِ بشكلٍ دائم. في بيت إيل مات لخطيَتِهِ؛ هنا مات لذاتِهِ.

نرى يعقوب *وحيداً تماماً* (32:24أ)، نقرأ "فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ". لقد سبق وسَبَقَهُ غِناه أمامَهُ، فعائلَتُهُ وثروتُهُ وخدَمُهُ جميعُهم قد أرسِلوا، والآن أصبح يعقوب وحيداً. مُعظَمُنا يكره أن يكون وحيداً، فنُنظم وقتنا حتى المِلء لأننا لا نجرؤ على أن نُترك دون وجود شيئاً ما نفعلهُ إلا أن نواجِه الله. ومع ذلك لا يُوجد شيء نحتاجه أكثر من أن نُترك وحيدين مع الله.

ولكن إن كان يعقوب وحيداً تماماً فقد كان *حياً تماماً* أيضاً (32:24ب-25أ) "فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ، وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ. وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ". هذا يعني أن المُهاجِم المجهول لم يجد جدوى مع يعقوب، لقد كان يعقوب العجوز والجسدي والعنيد والمُحارِب والمُكتَفي ذاتياً والغير مُستَسلِم حياً تماماً. المعركة دامت كُل الليل، كم أخذ يعقوب وقتاً كي يُلاحِظ بأنه كان فعلاً يَتَصارع مع الله نفسه، أو أن مُهاجِمَهُ لم يَكُن إلا الشخص الثاني للألوهية، من الذي أتى لكي يتواجه معهُ لحاجَتِهِ المُلِحة ليُسَلِم لله تسليماً كامِلاً وغير مشروط؟

ثُم نرى يعقوباً قد *تغيرَ تماماً* (32:25ب-32)، تلك الليلة كانت ذُروة العشرين سنة من صبر الله في تَعامُلِهِ مع يعقوب. نحن دائماً في عجلة؛ ولكن ليس الله. نستطيع أن نحصل اليوم على كُل شيء بسُرعة-وجبات سريعة وترفيه سريع ونقل سريع واتصالات سريعة-ولكننا لن نحصل أبداً على القداسة السريعة. يأخُذ الله وقتَهُ ليُحضِرنا إلى النضوج الروحي، لن يحشِدُنا ولن ينتَهِكُنا أبداً؛ فهو ينتظر دائماً ويصبُر.

والآن نرى في يعقوب رَجُلاً *مَكسوراً من قِبل الله* (32:25ب-27)، لم يَعُد يُقاتل بل يتشبث "وَلَمَّا رَأَى [الملاك] أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ [يعقوب]، ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ، فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ" حق الفخذ هو الورك وطبعاً لا يستطيع أحد أن يُصارِع بوركٍ مكسور. كُل ما كان يعقوب يستطيع أن يفعلهُ الآن هو أن يتشبث.

" وَقَالَ [ملاك الله]: أَطْلِقْنِي، لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ. فَقَالَ [يعقوب]: لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي"، وهنا الفرق الأساسي بين عيسو ويعقوب. مع جميع عيوبِهِ وفي عُمقِ قَلبِهِ حيثُ تَكمُن قرارات أمور الحياة النهائية أراد يعقوب بركةً من الله؛ أما عيسو فلم يُرِد أبداً. وهكذا نرى يعقوباً مكسوراً يتشَبَثُ ويعتَرِفُ.

3. آرثر تي بيرسون، جورج ميولر من بريستول (نيويورك: فليمينغ إيتش ريفيل، ص.149) نقرأ في ميخا 20:7 "تَصْنَعُ الأَمَانَةَ لِيَعْقُوبَ وَالرَّأْفَةَ لإِبْرَاهِيمَ، اللَّتَيْنِ حَلَفْتَ لآبَائِنَا مُنْذُ أَيَّامِ الْقِدَمِ." لاحِظ التَقَدُم في الفِكر، ما كان رحمةً لإبراهيم أصبح حقيقةً ليعقوب. لم يَكن الله تحت إي التِزام ليبسط بركات العهد لإبراهيم، لذا بكُل بساطة كانت لإبراهيم رحمة صافية. ولكن بعد أن وضع الله نفسهُ تحت التِزامٍ طوعيٍ، أصبح ليعقوب أن يُطالب بها كحقيقة ما كان لإبراهيم رحمة.

طَالَبَ الزائر السماوي "مَا اسْمُكَ؟"، ألم يعلم الله اسم يعقوب؟ بالطبع كان يعلم، ولكن مرةً منذ زمن سُئِلَ ذات السؤال فقال "أنا عيسو!" أما الآن فقال الرجُل المكسور "يَعْقُوبُ" يعقوب! غشاش! الخلف! الذي "يأخُذُكَ من عقِبِكَ!" أو كما يُقال اليوم "الذي يلوي ذِراعك!" فصرخ يعقوب "آه يا ربي، أنت تَعرِفُني، أنا يعقوب أنا مُجَرد غشاش وكذاب" هذا كُل ما أرادَهُ الله، بِكُل بساطة أراد الله يعقوب أن يكون مَكسوراً في محضَرِهِ، وأن يرى نفسَهُ على ما هو حقاً، مُعتَرِفاً بكُل ما هو عليه بالولادة الطبيعية. "أنا يعقوب" الآن يستطيع الله ان يعمل.

الرَجُل المكسور من قِبل الله يُمكن أن يُصبِح *مُباركاً من قِبَل الله* (32:28-30). يكسِرُنا الله فقط ليصنعنا من جديد "لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ" يأتي اسم "إسرائيل" من كلِمة تعني "أن يكون رئيساً". وهكذا الرجُل الذي سيدخُل كنعان الآن، أرض البركة، ليس هو ذات الرَجُل الذي غادرها منذ عشرين سنة مضت، الرجُل الذي يُمكنه أن يغُش أخاه ويخدع أباه الأعمى ودهاؤه يفوق دهاء الخال العديم الضمير. الرجُل الذي يدخُل كنعان هو إسرائيل، أمير الله، الرَجُل الذي تعلم أن قلب الله يُمكن أن يتعاطف معه إن كان الاستسلامَ والتَضَرعَ هما الوسيلتان العامِلَتان. الاسم الجديد الذي حصل عليه يعقوب ذلك اليوم كان عربوناً لطبيعة جديدة، هاجعٌ منذُ زمنٍ ولكن الآن عالِبٌ في حياتِهِ.

سأل يعقوب الزائر بجُرأة مُقَدَّسة أن يقول لهُ عن اسمِهِ، أراد أن يَعرِفَهُ بشكلٍ أفضل، فقال "أَخْبِرْنِي بِاسْمِكَ". أعلن الله في العهد القديم عن شخصِهِ لِرِجالٍ من خلال أسمائِهِ بالأخص. على سبيل المِثال كانت تِلك الطريقة التي نمى بها إبراهيم في مَعرِفة الله، لذا لم تَكن وقاحَةً من قِبَل يعقوب أن يسأل الغريب عن اسمِهِ؛ بل كان إيماناً. إن كان هو إسرائيل، فإسرائيل هو سيكون! فسأل "ما هو اسمك؟". لم يقل له الرب، لأن يعقوب قد سبق وعَرِفَ من كسَرَهُ وبارَكَهُ. ولكن بِرَّدٍ لإيمان يعقوب، أضاف مُصارِع منتصف الليل بركة أخرى بالإضافة إلى التي سبق وأعطيت.

"فَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ فَنِيئِيلَ [وجه الله] قَائِلاً: لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ، وَنُجِّيَتْ نَفْسِي". مشهد الروعة والعجب غطى روح يعقوب، لقد رأى الله! لقد نظر إلى وجه الله في إحدى ظهوراتِهِ الفريدة قبل التَجَسُد في شكلٍ مرئي، وغُمِرَت روحُهُ بالسعادة.

ينتهي الإصحاح بيعقوب موسوماً من قِبل الله حامِلاً في جَسَدِهِ من الآن فصاعِداً "علامة عبد يسوع المسيح" (32:31-32)، عرج على وركِهِ. نتخيلُهُ يجتاز يبوق وهو يرتَكِز بشدة على عصاه ويعرُج إلى المُخيَّم حيثُ زوجاتَهُ وأولادَهُ مكثوا في ضوء الصباح. يُنادي "زوجاتي! أولادي!" فيُسرِعون راكضين إليهِ ناظرين إلى يعقوبٍ مُختَلِف. يسألون "ماذا حدث؟" فيقول "لقد تقابلتُ مع الله ليلة أمس ولن أسير كما كنت مرة أخرى".

4. كيف عزل الله يعقوب (33:1-34:31)

أ. يعقوب وأخاه (33:1-16)

كان يعقوب المكسور من دخل المُخيم بعد مواجَهَتُهُ مع الله، لقد قطع مرحلة مهمة أخرى من حياتِهِ. نفتكر بيعقوب عندما تعرفنا عليهِ أول مرة؛ يعقوب *مُضطجِع*، ونتذكر يعقوب *يُصغي* هناك عند طرف الهضبة في تلك الليلة التي لا تُنسى بعيداً عن وطَنِهِ حيثُ ظهر له الإله القدير للمرة الأولى. كان يعقوب يتعلم خلال السنين العشرين الطويلة في منفاه، يا لهُ من مُتَعَلِم بطيء وبليد، كما هو حال مُعظَمُنا. والآن نرى يعقوب يَعرُج، رَجُلٌ مكسور ورَجُلٌ مُبارك ورجُلٌ ذو اسمٍ جديد وطبيعة جديدة مُتَحَكِمة. لاحِقاً سوف نرى يعقوب *يستَنِد*، رجُلٌ عجوزٌ جداً هناك في الأسفل في مِصر، مع أولادِهِ مُجتَمِعين من حَولِهِ ليسمعوا كَلِماتِهِ الأخيرة قبل أن يبدأ مُغامرَتُهُ قُدُماً حيثُ رِحلَتُهُ العظيمة الأخيرة إلى المجهول.

رأينا في دِراسَتِنا لحياة يعقوب الرائعة كيف الله *أنقذ* يعقوب ورأينا كيف الله *أخضع* يعقوب. الآن سوف نرى كيف الله *عزل* يعقوب (إصحاحات 33-34). القصة بجزأين، في الإصحاح 33 لدينا قِصة يعقوب وأخيه؛ في الإصحاح 34 لدينا يعقوب وتراجُع إيمانِهِ. سوف نبدأ بيعقوب وأخيه (33:1-16)، تُروى القِصة من وجهة نظر عيسو بدلاً من يعقوب.

1. كيف وجد عيسو يعقوب (33:1-3)

لقد صعد عيسو من أَدُومَ مع أربعمائة رَجُل خلفَهُ، إن كان يعقوب يُخطط لعداء جديد فعيسو مُستَعِد. لقد نقش عيسو اسماً لهُ هناك في صخر مُدُن سَعِيرَ ومَركِزاً ذا قوة مُعتَبَرة. لم يعلم عيسو أي شيء عن مُرافَقِة الملائكة ليعقوب وعن تغيير قلب يعقوب أيضاً، كان يعلم شيئاً واحِداً فقط إن كان يعقوب لديهِ أية حيل مخبأة في جُعبَتِهِ من مصلحتهِ ألا يُحَول أية منها عليهِ. نظر برضى مُتَجهم إلى فرسانِهِ الخاصين، مُدججين بالسلاح ومُتَحَمِسين للقِتال، فحث في سَبيلِهِ لِيُقابِل يعقوب توأمَهُ.

لقد وجَدَ *يعقوباً حَذِراً* ينتَظِرَهُ (33:1-2) "وَرَفَعَ يَعْقُوبُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا عِيسُو مُقْبِلٌ وَمَعَهُ أَرْبَعُ مِئَةِ رَجُل، فَقَسَمَ الأَوْلاَدَ عَلَى لَيْئَةَ وَعَلَى رَاحِيلَ وَعَلَى الْجَارِيَتَيْنِ. وَوَضَعَ الْجَارِيَتَيْنِ وَأَوْلاَدَهُمَا أَوَّلاً، وَلَيْئَةَ وَأَوْلاَدَهَا وَرَاءَهُمْ، وَرَاحِيلَ وَيُوسُفَ أَخِيرًا." هذا يعني أنه وضع الأقل أهمية في المُقَدِمة حيثُ يكونون أول من يُلاقي أي عِداءٍ مُحتَمَل من ناحية عيسو، وهذا سيُعطي الآخرين وخصوصاً محبوبَتَهُ راحيل ويوسف فُرصةً للهروب. لم يُساعِد ذلك التدليل الصارخ ليوسف على نزع فتيل الكُره المُوَلد تجاههُ من قِبل الإخوة الآخرين. وقع يعقوب بالتخطيط مرة أخرى، كم هي الأمور راسِخة بعُمق في قلب الإنسان، حتى القلب المُجَدَد، فهذا ينُم عن عدم ثقة بالله. هذا هو الجسد، يا لهُ من شيءٍ رائعٍ أن الله ليس شديد الحساسية.

ولكن إن وجد عيسو يعقوباً حَذِراً فقد وجَدَ أيضاً يعقوباً شُجاعاً (33:3أ)، لأن يعقوب ليس بجبان. نقرأ "وَأَمَّا هُوَ فَاجْتَازَ قُدَّامَهُمْ" هذا يعني أنه عَبَر أمامَهم واضِعاً نفسهُ في الطليعة وفي مَوضِع الخطر. في الجيش الإسرائيلي العصري هناك قانون صارم للشجاعة مَفروضة على جميع الضباط، فعلى جميعهم أن يأخذوا تدريب المغاوير أو المظليين. فالكَلِمات "أماماً سِر" قد مُحيَّت من مُفردات اللُغة العسكرية الإسرائيلية واستُبدِلت بالكلمات "أتبعوني!" في قانون الجيش الإسرائيلي، إن كان الضابط غير مُستَعِد أن يضع نفسهُ في الأمام مُواجِهاً الخطر، فهو ببساطة غير مؤهل أن يقود جنوداً آخرين. وهكذا وضع يعقوب نفسَهُ في الأمام، كان ذلك تَصَرُف رَجُلٍ شُجاعٍ، تَصَرُف راعٍ شرقي. نستطيع أن نُسامِح يعقوب على هفواتِهِ عندما نراه يفعل ذلك.

ثم وجد عيسو *يعقوباً مُنسَحِق الفؤاد* (33:3ب) "وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ سَبْعَ مَرَّاتٍ حَتَّى اقْتَرَبَ إِلَى أَخِيهِ" يأخُذ بضعة من الخطوات ثم ينحني، يأخُذ بضعة من الخطوات وينحني مرة أُخرى، يا لهُ من مشهَدٍ. ها هو عيسو رجُلاً جامِحاً مُشعِراً يمتطي جوادَهُ العربي الأصيل يُحَدِقُ إلى الأسفل حيثُ أخيهِ، ومُرافقة عيسو خلفَهُ عصابة من الجامحين والعنيفين من النوع الذي لم يُشاهِدَهُ يعقوب من قبل في كُل حياتِهِ. وها هي زُمرة الأطفال والزوجات مازالت كما نسقها يعقوب ناظرين بأعيُن خائفة أولاً على عيسو ثم على يعقوب، وها هُم رُعاة يعقوب هُم أنفُسَهم رِجالٌ أقوياء وأشِداء ولَكِنَهُم لا يُقارنون مع رجال عيسو المُسَلَحين. وها هو يعقوب ينحني ويزحف، ينحني ويتقدم وينحني مرة أخرى، يتمايل مِثل قطعة فلين على الأمواج. ومن حَولِهم على امتِدادٍ لمسافات بعيدة كانت قُطعان يعقوب والمواشي تنتظر حتى يَبُوقَ لها. هكذا وجَدَ عيسو يعقوب.

2. كيف غفر عيسو ليعقوب (33:4-7)

الإصحاح 33 هو تسجيلٌ رائعٌ لأحداث المُصالحة الأخوية، إن أهنا أخاً فلا يفيد أبداً الذهاب إليهِ بروحٍ مُجادِلة وبروح التبرير الذاتي. طريقة الحضور هي بروحٍ مُتواضِعة ونادِمة وفي يدك التعويضات. تلك الروح جردت عيسو من سِلاحِهِ في الحال، وسامحَ يعقوب بالكامِل وبحُرية وإلى الأبد. (إلا أن ذُرية عيسو لم يَكُن لديها ذات روح المَغفِرة).

"فَرَكَضَ عِيسُو لِلِقَائِهِ وَعَانَقَهُ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ، وَبَكَيَا" لقد كان أمراً شرقياً عادياً يُعمل وهو غريباً على الغربيين ولكِنَهُ طبيعي مثل شروق الشمس عند الشرقيين. الكتاب المُقدَس لا يُرَكِز كثيراً على العواطِف ولكن من جهة أخرى فهو لا يُهمِلها، هناك بعض الأوقات حيثُ يكون عرض العواطف أمراً صحياً وأفضل من عشرة آلاف كَلِمة. لم يَكُن هناك خطابات طويلة، ويعقوب لم يَستَرسِل في شُرُوحات طويلة عن توبَتِهِ المُكتَسَبة حَديثاً، لم يَكُن هناك تبادُل فكري أبداً. بدلاً عن ذلك كان هناك أمرٌ أقوى بكثير، أمرٌ صفى الجوّ بشكل أسرع وأنظف، مثل هطول الأمطار في نهاية يومٍ حار. كان يوجد تبادُلٌ عاطفيٌ جيدٌ وشافيٌ، غسلت الدموع التي ذُرِفَتْ على وجنَتين الأخين المُبعدَين كُل المرارة والنية السيئة التي دامت لأكثر من عشرين سنة.

عندما انتهى الهيجان العاطفي حان وقت التقديم الرسمي ومنذ ذلك الوقت لم يَرفع أبداً العدوان القديمان رأسيهما خلال حياة عيسو ويعقوب. كان عيسو شخصاً رائعاً من جوانِب عديدة فهو كريم ومحبوب ونبيل ولكن ضائع. وهذا ما يُسبب المُشكِلة للعديد من الناس، وهذا ما حصل لروبرت ليدلو.

كان روبرت ليدلو رجُلَ أعمالٍ نيوزيلندي ناجح، ويشرح في كتابهِ الصغير *-السبب لماذا* -كيف كانت تلك المُشكلة قد أقلقتهُ مرةً. يقول "أنا أعرف رجُلاً نبيلاً مصقولاً ومُثقفاً وهو غيرُ مسيحي، وأعرف رجُلاً فجاً وجاهِلاً وهو مسيحيٌ. هل تُحاوِل أن تقول لي أن الله يُفَضِل الرجُل الجاهِل لأنهُ ببساطة قَبِلَ واعترف بالمسيح أنه المُخَلِص؟" تلك كانت مُشكِلَتَهُ، أليك الطريقة الحل "المسيحي هو ليس مُختَلِفاً *بالمرتبة* بالنسبة للغير مسيحي فهو مُختَلِف *بالنوع*، مِثل الفرق بين الألماسة والملفوفة فهما ليستا مُختَلِفتين بالمرتبة بل بالنوع. الأول مَصقول والأخر فج، ولكن الأول ميت والأخر حيّ، لذا الثاني لديه ما لا يمتَلكهُ الأول على أي مرتبة-الحياة! وهذا هو الفرق الذي يراه الله بين المسيحيّ والغير مسيحيّ"

هذا كان الفرق الجوهري بين عيسو ويعقوب. كرَجُلٍ كان عيسو شخصاً صريحاً وصادِقاً وودياً أكثر بكثير من يعقوب، لقد كان إنساناً جيداً ولكِنَهُ كان ميتاً روحياً. يعقوب كان مولوداً مُخادعاً ورَجُلاً لديهِ العديد من الأخطاء الفاضِحة ولكِنَهُ كان يمتَلِك حياةً روحية. لقد كان فرقاً بالنوع وليس المرتبة.

3. كيف أنعم عيسو على يعقوب (33:8-11)

لفت عيسو إنتِباهَهُ الآن إلى الكمية العظيمة من الحيوانات الثمينة التي أرسلها يعقوب كهدية له، فسأل: "مَاذَا مِنْكَ كُلُّ هذَا الْجَيْشِ الَّذِي صَادَفْتُهُ؟" فقال يعقوب "لأَجِدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْ سَيِّدِي" كان يقول "لقد غششتُك منذ سنين مضت يا عيسو، وأنا مُتأسف جداً وأريد أن أقدم تعويضاً وأريدك أن تعلم أن ندمي هو أعمق بكثير من كلامي".

بالحال *رفض* عيسو ذبيحة الإثم (33:8-9) "لِي كَثِيرٌ، يَا أَخِي .لِيَكُنْ لَكَ الَّذِي لَكَ"، هذا هو عيسو بعِبارة كريمة واحِدة يستطيع أن يُلغي دين يعقوب كُلَهُ. ولكن عندما رأى أن رفضَهُ للهدايا قد أقلقت أخاه، *قَبِلها* بِكرم. قبول الهدية في الشرق هي بمثابة رُباط صداقة، وأراد يعقوب أن يتأكد أن ذَنبَهُ القديم لن يُستَخدَم ضِدَهُ مرة أخرى "خُذْ بَرَكَتِي الَّتِي أُتِيَ بِهَا إِلَيْكَ، لأَنَّ اللهَ قَدْ أَنْعَمَ عَلَيَّ وَلِي كُلُّ شَيْءٍ." (33:11)، لاحِظ مرة أخرى الفرق الأساسي بين عيسو ويعقوب، كِلا الرجُلين قال "لي كُل شيء" ولكن يعقوب ذكر الله أما عيسو فلم يفعل؛ لدى يعقوب شهادة أما عيسو فلم يَكُن لديهِ شيء. لم يكن الاسم الذي استخدمَهُ يعقوب لله يهوا، اسم العهد، لأن فِكر عيسو الجسدي لن يُقَدِّر ذلك الاسم المُبارك والمجيد لله. استخدم الاسم "إيلوهيم" رُبما آملاً أن التفكير بالله كإله *الخليقة* قد يُوقِد شُعلةً في روح عيسو المائتة، بينما التفكير بالله كإله العهد كان أبعد بكثير من قُدرَة عيسو على الاستيعاب. في تقديم تلك الكلمة الموجزة للشهادة لأخيه نزل يعقوب إلى مُستوى عيسو وأستخدم لُغة الحضانة للإيمان. لقد فعل الأمر الراشد، فعل بولس الرسول ذات الشيء عندما كان يَعِظ مُفكريّ أثينا الذين بفلسفَتِهِم المُتَبَجِحة كانوا غير قادرين على الإطلاق إدراك الحقيقة الروحية.

4. كيف أخاف عيسو يعقوب (33:12-16)

عرض عيسو الأن على يعقوب أن يُرافِقَهُ، عارِضاً عليهِ كياسة حُضورِهِ (33:12-14). ذلك أخاف يعقوب، ليس لأنه كان يخاف من أن يؤذيَهُ عيسو، ولكن لأنه قد تعلم درس النير الغير كُفوء. من غير المعقول أن يكون يعقوب بماشيَتَهُ وقطيعِهِ الواسعي المدى وبطيئي الحركة تحت نيرٍ واحد مع عيسو وفُرسانِهِ الأربعمائة. لم يَكُن ذلك معقولاً وحالما أشار يعقوب لعيسو عن هذا الأمر رأى أخاه ذلك أيضاً.

لا منطقَ في النير الغير مُتَكافئ إن كان في العمل أو الزواج أو العلاقات الاجتماعية، نحن مُلزمون أن نكون وديين مع الأشخاص الغير مُخلصين ولكننا مسؤولون أيضاً ألا نُصبِح مُقيَّدين بِهِم. استخدم يعقوب تكتيكاً جديراً بالثناء في رفض عرض أخيه السخي، يجب دائماً استخدام الذوق والدبلوماسية عندما تتبع مُبادرات الصداقة لجيرانٍ غير مُخلصين عروضاً مُتبادلة والتي ستؤدي بالتالي إلى ارتباطٍ فبتلك الحالة من الأفضل أن نعتذر من العرض.

لقد رأى عيسو وجهة نظر يعقوب، ولكن إن لم يقبل عَرضَ حضورِهِ فبالتأكيد سيقبل عرض حمايَتِهِ (33:15-16) "أَتْرُكُ عِنْدَكَ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ مَعِي" مرة أخرى يتجنب يعقوب بحذر المُشاركة فيقول "لِمَاذَا؟ دَعْنِي أَجِدْ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْ سَيِّدِي". ينحني عيسو مرة أخرى لقرار أخيه الذي عَرَضَ عليهِ التقدِمة لأنهُ رُبما اعتقد أنّ يعقوب الذي يظهر بأنَهُ ضعيفٌ وغيرُ محميٍ يحتاج إلى مُرافقة لتحميهِ من اللصوص وقطاع الطُرُق. وهكذا ودَّعا بعضهما وذهب عيسو عائداً إلى سعير.

من خلال الحديث هنا إيحاء لِنصفِ وعدٍ من طرف يعقوب أن يزور عيسو في سعير. لا يَتِم إعلامُنا إن فعل ذلك بعد فترة ما من الزمن، فمن المُحتَمل أن كِلا يعقوب وعيسو قد عرِفا أن وَدَاعُهما هذا هو الأخير. لقد اختار الفتيان مسارين مُتباينين، فاختار عيسو العالم الحالي الشرير وأما يعقوب فاختار العالم الذي سيأتي. لقد كان هناك القليل مُشتركاً بينهما إن لم يَكن معدوماً بالإضافة لولادَتِهما لذات العائلة وذكريات طفولتهما المُشوهة لحدٍ ما، وبذات الوقت ليس من المُستبعد أن يعقوب رُبما أخذ رِحلةً لأدوم ليرى أخاه. نُحب أن نُفكر أن يعقوب حافظ على وعدَهُ، كما نرى في تكوين 36 أن سِجِل عائلة عيسو وقع بين أيدي موسى. من يعلم؟ رُبما في وقتٍ ما لم يُسَجَل في كلمة الله، أعطى عيسو ليعقوب نُسخة من تلك السِجِلات هناك في وسط مساكِن الصخور المُذهلة للبتراء.

ب. يعقوب وتراجُع إيمانِهِ (33:17-34:31)

يتعامل الإصحاح 34 وجزء من الإصحاح 33 مع يعقوب وتراجُع إيمانِهِ، وهما إصحاحان مؤسفان من حياة يعقوب، يتعاملان مع غليان قِدر الطبخ الكبير من المشاكل التي كانت تتخمر لسنوات في حياة أولادِهِ الغير مُهَذَبة. سوف نتقدم بخطوات خفيفة إلى نهاية المقطع، فمن السهل أن نوجِه أصابع الاتهام إلى فشل الآخرين، وفي الناحيتان اللتان فَشِل يعقوب بهُما هما ناحيتين اللتين قد فَشل معظمنا بهما اليوم. فَشِل كمُهاجِر وفشِل كوالِد، فَشَلُهُ في كِلا الناحيتين سيُكَلِفانَهُ الكثير.

1. فشل يعقوب كمُهاجِر (33:17-20)

لقد كان جميع البطاركة رِجالاً أغنياء ولكن مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب (حتى هذه المرحلة) لم تُفقَد صِفة المُهاجِر أبداً. فرَمز صِفة المُهاجِر هي الخيمة والمَذبح؛ الخيمة التي أظهرت مَسِيرة المُهاجِر في عالمٍ شرير، والمَذبح الذي أظهر عِبادة صافية في خُضَّم فساد ديني كبير. كان البطاركة في حركة دائمة كمُهاجرين، قادرين ومُستَعدين دائماً على طاعة صوت الله، كان ذلك الجانِب من الشهادة الذي تعَطَّل في حياة يعقوب.

نتبع يعقوب أولاً إلى *سُكُوتَ*، وهناك نرى *يعقوب يبني* (33:17)، بنى بيتاً وصنع مأوى لمواشيه دلالةً على أنه سيَستَقِر، تَعِباً من حياة المُهاجِر وتَعِباً من التَنَقُّل المُستَمِر. جميع الآخرين يملكون بيوتاً، لما لا يستطيع أن يحصل على واحدٍ؟ فهو بالطبع يستطيع أن يتحمل تَكلِفة بيتٍ، بيتٍ كبيرٍ-قصرٍ إن أراد. فقد يعقوب في هذا الوقت رؤية القصر الذي يُجَهز له في المجد حتى يرتضى ببيتٍ في سُكُوتَ على الجِهة الشرقية من الأُردُن في الوادي بجنوب يبوق. بعد كُل شيء توقف يعقوب بالقُرب من أرض الموعِد.

اول ذِكرٍ لبيت في الكِتاب المُقَدَّس لهُ علاقة مع لوط، فإبراهيم المُهاجِر سكن في خيمة في سهول مَمْرَا؛ لوط المُتراجِع في إيمانِهِ سكن في بيتٍ في سدوم. هنا في تكوين 33 أول ذِكر لبيتٍ له صِلة مع البطاركة، والروح القُدُس يتجاهلها تماماً في عبرانيين 11 ذلك إصحاح الإيمان العظيم، عندما يقول عن إبراهيم "بِالإِيمَانِ تَغَرَّبَ فِي أَرْضِ الْمَوْعِدِ كَأَنَّهَا غَرِيبَةٌ، سَاكِنًا فِي خِيَامٍ مَعَ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ الْوَارِثَيْنِ مَعَهُ لِهذَا الْمَوْعِدِ عَيْنِهِ." (عبرانيين 9:11)

هنا إذاً خطأ يعقوب الأول، فقد قرر أن يستقر ويسترخي حتى ولو عنى فعل ذلك الاستقرار قُرابةً من كنعان وعنى ذلك هجر طريقة حياتِهِ كمُهاجِر. أراد بِكُل بساطة أن يكون مثل جميع الآخرين، على الأقل لفترة قصيرة.

نُتابع إلى *شَكِيمَ*، هناك نرى *يعقوب يبتاع* (33:18-20). لا نعلم كم من الزمن عاش يعقوب في سُكُّوتَ، من المُحتَمل أن يكون لعددٍ من السنوات، ولكن بدون شك لمُدة طالت أكثر مما قصد. لقد كانت لفترة تكفي حتى تنمو دينا لتُصبِح فتاة ناضِجة-كانت بعُمر الست سنوات تقريباً في أول استقرارهِ. ولكنه تحرك أخيراً وذهب إلى مدينة شكيم فنقرأ "ثُمَّ أَتَى يَعْقُوبُ... وَنَزَلَ أَمَامَ الْمَدِينَةِ " (33:18). كم تُذَكِرُنا تلك العِبارة بلوط! يبدو أن يعقوب قد عاد إلى كونهِ مُهاجِراً ولكِنَهُ مازال مُهاجِراً مُترَدِداً. لقد عاد إلى خيمَتِهِ ولكِنَهُ أرَد أن يقتَرِب من العالم بالقدر المُستطاع بينما كان مازال يعتَرِف علانية بأنهُ مُهاجِرٌ لله في عالمٍ قد أهان الله.

كانت شَكِيمَ مدينة بارزة تقع في جبل جِرِزّيمَ، لاحِقاً أصبح ذلك الجبل مشهوراً في التاريخ العبري بالمكان الذي أُعلِنت منه بركات الشريعة. وقف بالمُقابِل جبل عِيبَالَ الذي منهُ أُخبِرَت اللعنات المُقابِلة للشريعة في آذان إسرائيل. كانت شَكِيمَ قريبة من المكان الذي ستَقِفُ به العاصِمة العظيمة للسامرية يوماً ما، كان هو ذات المكان الذي حفر به يعقوب البئر المشهور الذي جلس عليه الرب يسوع عندما تقابل مع المرأة السامرية وتكلم معها عن ماء الحياة.

في ذلك الوقت اشترى يعقوب قطعة أرض من بَنِي حَمُورَ أبي رَجُلٍ يافِع باسم شكيم، وكانت بلا شك تلك التعاملات التجارية هي التي عَرَّفت دينا على الشاب اليافِع المُسمى شكيم الذي سيكون له تأثيراً كارِثياً. كم كان من الأفضل ليعقوب لو ترك تلك الأعمال التجارية وشأنها، تماماً مثل غالبيتنا الذين يُحاولون أن يضعوا هالة من المسؤولية الدينية على التراجُع في الإيمان، نصب يعقوب "مذبحاً ودعاه إِيلَ إِلهَ إِسْرَائِيلَ (الله، إله إسرائيل)". بدى ذلك جيداً، ولكن كان يعقوب هو من يعمل وليس إسرائيل، يعقوب وليس الله. لا يوجد ولا حتى تلميح بسيط أن الله أرشد يعقوب ليشتري نقدياً ما قد وعِدَ به بالإيمان، وبدون شك أن يعقوب قصد من المذبح أن يكون شهادةً لهُ للوثنيين من حولِهِ. وإن كان ذلك صحيحاً فلم تأتي نواياه بأي نتيجة بسبب تَصَرُف ثلاثة من أولادِهِ، كان يجب أن يتوغل بِعُمق أكثر في كنعان كما فعل إبراهيم، وكان عليه أن يضع مسافةً بينهُ وبين المدينة الكنعانية الشريرة التي نصب خيمَتَهُ تِجاهُها. عندما يُصِر الله على الانفِصال الكامل عن العالم هذا لأنه يعلم ما هو الأفضل.

2. فشل يعقوب كأب (34:1-31)

بدأت قِلة التأديب الملحوظة في عائلة يعقوب بالظهور الآن، ولا يُذكر الله أبداً في الأحداث التالية، ولا نستطيع إلا وأن نؤمن أن الحوادِث المُسَجَلة لم تكنُ لتَحدُث لو أن يعقوب بقيَّ مُهاجِراً وغريباً عوضاً عن مُحاولتَهُ أن يكون مثل العالم. لا يُقال لنا إن كانت قصة نجاح عيسو في أدوم قد أزعجت يعقوب، فهل كان يُحاول أن يُقَلِد أخاه في وضع علامَةً لِنَفسِهِ؟ قد يكون ذلك هو الأمر. يبقى يعقوب صامتاً خلال الإصحاح بأكمَلِهِ، صامتاً حتى النهاية حيثُ لم يَعُد ينفع الكلام. يبدو أنه فقد كل السيطرة على تصرُفات أولادِهِ.

أ. الفضيحة التي سببها تصَرُف دينا (34:1-7)

نُحاول أن نبحث عن كُل تعليل للفتاة اليافِعة، فلا ننسى بأنها فتاة الريف، لذا أضواء المدينة الكبيرة كانت باهِرة جداً بالنسبة لها والحياة البدوية التي نشأت بها لم تُهيئها لإغراءات تلك المدينة القريبة. لم يُسَلِحُها التدريب الأخلاقي، الذي رُبما قد حَصُلت عليه، ضد إطراءاتِ أميرٍ يافِعٍ مُفعمٍ بالحياة مثل شكيم، ويُمكِن للعالم أن يبدو جذاباً جِداً وفاتناً لأولادٍ قد نشأوا في حِمى بيتٍ مسيحي. إن الكثير من الأحيان الذين نشأوا في بيوتٍ لا تعرف الله يعلمون من خلال التجربة المُرة كم هو العالم مكانٌ سطحيٌ ومُخزٍ. والذين قد نشأوا في مناخٍ منفصل يجدون العالم بأنهُ ساحِراً، هذا إن لم يُدَرَبوا على الخوف منهُ.

نُعاين أولاً كيف *شوهِدَت دينا* (34:1-2أ) "وَخَرَجَتْ دِينَةُ ابْنَةُ لَيْئَةَ الَّتِي وَلَدَتْهَا لِيَعْقُوبَ لِتَنْظُرَ بَنَاتِ الأَرْضِ، فَرَآهَا شَكِيمُ ابْنُ حَمُورَ"، هكذا بدأت المشاكِل. نتساءل، ما الذي كان يفعلهُ يعقوب ليسمح لابنَتِهِ بالحُرية في مكانٍ كهذا؟ رُبما لم يعلم من كُنَّ صديقات دينا، وإن كان ذلك صحيحاً فذلك أسوء. إن أصدقاء الشخص اليافع يُصبِحون بسُرعة أهم صُنّاع الرأي في حياتِهِ، وضغط الأصدقاء يُصبِح عاملاً قوياً عندما يتأسس. وهكذا ذهبت دينا لتزور صديقاتِها الغير مُخلصين وبالطبع قد شوهِدَت، لقد رأها شكيم وعَرِفَها وجعلها هدفَهُ ليتعرف عليها بشكلٍ أفضل ووقع بِحُبِها بشكلٍ جنوني. إلا أن المبادئ الأخلاقية لشكيم لم تكن كتلك التي ليعقوب ذي الذهن الروحي، ونسيت دينا بِسُرعة مبادئ أبيها تحت سِحر ذلك الفاتن من مدينة شكيم.

وهكذا وقبل أن يمضي وقتاً طويلاً أغويت دينا (34:2ب)، لم تَكن قادِرة على شكيم. فها هي فتاة الريف قد سيقت من قِبل أميرٍ من المملكة، فقد خطف قلبها وأقنعها بأن تقاليد أبيها كانت دقة قديمة وأقنعها أن المبادئ الأخلاقية هي نسبية وليست مُطلقة وأن في شكيم، وبالحقيقة في جميع أنحاء كنعان، "الجميع فعلها". ليس هناك أي خطيئة فيها؛ فهو فِعل ما يأتي بالطبيعة، وهكذا ألقت بالحذر والمنطق السليم بالهواء واستسلمت دينا.

يُقال لنا بعد ذلك كيف *بُحِثَ عن دينا* (34:3-7). وقع الآن شكيم الشاب في حُب دينا وبمُحاولة سببتها العاطِفة الصادِقة أن يبحث عن طريقة ليُصَحِح الخطأ الذي اقترفَهُ، حَثَ والِدهُ أن يدخل في حِوارٍ رسميٍ مع عائلة دينا ليستطيع أن يتزوج بالفتاة. وفيما تلا بعد ذلك أثبت شكيم نفسهُ على أنهُ رَجُلٌ نبيلٌ.

ولك أخبار إغرائهُ لدينا قد سبق وتسربت في البيت، قيل لنا "سَكَتَ يَعْقُوبُ" (34:5-6) ولكن لم يفعل أخوا دينا الأقرب لها، شمعون ولاوي. لقد كانا حاقدين على الإهانة التي وقعت على العائلة ولم يستطيعا أن يُفكِرا بأي شيء إلا بالانتقام السريع والفظيع والحارق لتبرئة اسم العائلة.

ب. الفضيحة التي سببها أخوة دينا (34:8-31)

تنكشف القِصة بأربع خطوات مأساوية، تبدأ *بالرغبة اليائسة التي سببت المُشكِلة* (34:8-12). كان خلف كُل شيء شغف شكيم للفتاة التي أهانها، فلا يوجد أمير أعظم من أن يدفع ثمناً ليَحصُل على الفتاة لتُصبِح زوجتهُ بالقانون والعُرف، وهكذا بدأت مُفاوضات الزواج. أقترب حَمُورَ المُسِن من يعقوب وأبناءِهِ وحِنكِة الثعلب في داخِلِهِ ليرى ما هي الترتيبات التي من الممكن أن تُقَدَم لتُهَدئ المياه الهائجة.

كان عرضُهُ عرضاً عالمياً بحتاً، فقد عرض عليهِم *مُجتَمَعاً* عالمياً، حيث قال "صَاهِرُونَا". لم يَكُن عرضَهُ بلا جاذبية، حيثُ أن أبناء يعقوب كانوا بعُمر الزواج ولا بُد أن يعقوب فكر بشكلٍ جدي في مُشكِلة أين يجد زوجات لأبنائهِ. ولكنهُ كان بطريركاً والزواج خارج إرادة الله لا يُمكن حتى أن يُعطى له أي اعتبار بالنسبة لهُ. ثم عرض حَمُور *أماناً* عالمياً فقال "تَسْكُنُونَ مَعَنَا" ولا بُد أن ذلك كان مُغرياً أيضاً. لقد عاش يعقوب في عالمٍ وثنيٍ وعِدائي ولا بُد أن حِلفٍ مع عشيرةٍ قويةٍ قد كان طِعماً من الصعب مُقاومَتَهُ. واخيراً عرض حَمُور *نجاحاً* عالمياً فقال "الأَرْضُ قُدَّامَكُمْ .اسْكُنُوا وَاتَّجِرُوا فِيهَا وَتَمَلَّكُوا بِهَا"، لو قُدِم ذات العرض عشرون سنة من قبل لألتهم يعقوب العرض. لقد كان عرضاً كريماً من وجهة نظر عالمية، ولكن ذلك كان بيت القصيد، لقد كان عرضاً عالمياً. بينما كان ذلك أفضل ما يستطيع رجُلٌ غير مُخلصٍ أن يُقَدِمَهُ إلا أن حَمُور كان يُقَدِم العملة الخطأ، عُملة زائفة مسبوكة من خليط معدني، عُملة لا يُمكن أبداً أن تُغري رَجُلاً قد تقابل مع الله في يَبُوق. لو قَبِلَ يعقوب العرض لكان أزال النسل البطريركي بجيلٍ واحد.

ولكن تدخل شكيم الشاب قبل أن يُتاح ليعقوب فرصة أن يتكلم، فقد تكلم أباه بصيغة الإقناع؛ أما هو فتكلم بصيغة العشق، فقد كان مُستَعِداً ان يفعل أي شيء، أي شيء على الإطلاق ليَحصُل على شهوة قلبهُ، فقال "كَثِّرُوا عَلَيَّ جِدًّا مَهْرًا وَعَطِيَّةً، فَأُعْطِيَ". ولكن كان ذلك ذات الشغف اليائس الذي سبب المُشكِلة بالأساس، رُبما لاختلفت القِصة لو استطاع حَمُور أن يُقدم عرضاً بسيطاً لإصلاح الوضع. ولكن شكيم أراد دينا، مهما كانت التكلِفة.

تُخبِر القصة بعد ذلك عن *المكر الوضيع الذي وُصِمت به الأحداث التالية* (34:13-24). من الصعب التصديق أن مؤمنين صريحين من الممكن أن يتصرفوا كما تصرفَ شمعون ولاوي، بالحقيقة أنه عندما يكون الشخص بعيد الصِلة عن الله لا يوجد حد لا يُمكن أن يتعداه. كانت الازدواجية المُمارسة بقسمين، كان هناك *الكذب الحنق* من قِبل أخوة دينا (34:13-17)، فاستلموا المفاوضات وقالوا

"أنتم تُقَدِمون النوع الخاطئ من العُملة، فنحن لا نَبرُم اتفاقاً بهذه الطريقة. فنحن لا نُقيم الضرر المُسبب لنا بحسب الغِنى بل بحسب الدين، فما فعلتموه هو أكثر بكثير من مُجَرَد تدنيس اختنا؛ فقد أهنتم وانتهكتم مُعتقداتنا الدينية. لا ننوي أبداً أن نُزَوِج اختنا لوثني، بغض النظر عمن يكون. قبل أن نفكر بوحدة معكم أيها الناس من خلال الزواج لا بُد أن تقبلوا الافتراض الأساسي لديننا، فيجب ختنكم وجميع عشيرتكم، وبدون ذلك لن يكون هناك أي نِقاش آخر. ولكن إن قَبِلتُم شروطنا، سنقبل شروطكم". كان ذلك المكر الوضيع لشمعون ولاوي، لم يَكن لديهما أي نية بالسماح لشكيم أن يتزوج بدينا، ما أرداه بالحقيقة سينكشف بِسُرعة. كل أنواع الكَذب خطأ، ولكن الكَذِب الملفوف بنصوص الكتاب المُقَدَس هو أسوأ نوع.

ثُم نرى *الكذِب الأبسط* من أبي شكيم (34:18-24)، كان حَمُور وغداً، ولكِنَهُ بدى تقريباً كقديسٍ بالمُقارنة مع شمعون ولاوي. عاد إلى المدينة مع ابنهِ ليجتمع مع عشيرَتِهِ، سيحتاج أمر إخضاع المدينة بأكمَلِها تحت شعيرة الختان المؤلمة الكثير من الإقناع! أخذ حَمُور اتجاه الزواج بالعقد حيث بعد التوقيع يستطيع الشكيميون أن يتقدموا بحُرية في الهضم الكامل للإسرائيليين وبالتالي إغناء أنفُسِهِم بالأصول السائلة والواسعة التي كان من الواضح أن يعقوب يمتلكها، فحَثَهُم قائلاً "أَلاَ تَكُونُ مَوَاشِيهِمْ وَمُقْتَنَاهُمْ وَكُلُّ بَهَائِمِهِمْ لَنَا؟" (34:23) "كُل ما علينا فِعلَهُ هو المُضي بذلك الوسواس الديني لديهم، ثم نستطيع أن نبتَلِعَهُم!" أُثير جشع أباء المدينة وسادت حُجج حَمُور.

تلى ذلك *الجريمة النكراء التي تممت تلك الشراكة* (34:25-29)، وقِعَت الاتفاقية وشعيرة الختان نُفِذَت على جميع رجال شكيم. مرَّ يومان لسماح تأثير الشعور بألم العملية أن يأخُذ مجالَهُ الكامل، ثم عندما أصبح الشكيميون فاقدين القُدرة بشكل مُطلق، ضُرِبَت المدينة من قِبل شمعون ولاوي، الرجُلان الوحيدان والعنيفان. جالا شوارع شكيم ذهاباً وإياباً مُقتَحمين كُل بيت بشكِلٍ منهجيٍ وذبحا كُل رَجُلٍ في المكان. كان فِعلاً مؤهلاً بالبوليس السري النازي (جستابو).

دينا التي أُخِذَت إلى بيت حَمُور للتحضير من أجل الزواج الموعود والقادم قد أُمسِكَت وسُحِبَت إلى بيتها، وأُخذ القطيع والحمير وجميع غنى المدينة الذي يُمكن أن يُنقل كغنيمة وعُومِلت نساء وأطفال المدينة كسبايا أُخِذت بالحرب. يُجَدْوِل الروح القُدُس كُل تفصيل دنيء (34:27-28) وكُل كَلِمة تقع مِثل ثِقلٍ حديدي من الدينونة في ميزان القدوس. تصرف شمعون ولاوي أسوأ من قوات-الصدمة الآشورية. لايزال موسى الذي يروي القِصة بكُلِ رَوعِها العاري، يشعُر بفظاعة وعار العمل حتى بعد عُبور أكثر من أربعمائة سنة.

أخيراً لدينا *الصرخة اليائسة التي أدانت المؤامرة* (34:30-31). وقف يعقوب وحدقَ بِرُعبٍ في الكمية الهائلة للغنيمة التي أتى بها شمعون ولاوي إلى مُخَيَمَهُ. سد أُذُناه من البُكاء المُثير للشفقة القادِم من النساء المسبيات والمُرَملات والأطفال المُيَتَمين لشكيم، ونظر ببؤس إلى ابنيه وصرخ قائلاً "كَدَّرْتُمَانِي بِتَكْرِيهِكُمَا إِيَّايَ عِنْدَ سُكَّانِ الأَرْضِ... فَيَجْتَمِعُونَ عَلَيَّ وَيَضْرِبُونَنِي، فَأُبِيدُ أَنَا وَبَيْتِي". لم يَصفح عنهما أبداً، وشعر بالعار والخيانة من قِبَلِهما. لقد أفسدا شهادَتَهُ وتصرفا أسوأ من الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ، لقد جعلا اسمه مكروهاً عند الذين لا يعرفون الله.

ولكن الله رؤوفٌ وكانت كلماتَهُ التالية ليعقوب "قُمِ اصْعَدْ إِلَى بَيْتِ إِيلَ وَأَقِمْ هُنَاكَ، وَاصْنَعْ هُنَاكَ مَذْبَحًا للهِ". لم يَكُن لدى يعقوب أي شك أن طريقَتَهُ كانت غير حكيمة واللينة في تربيتَهُ لأولاده، ولم يكن لديهِ أي شك أن بعضاً من نماذج تصرُفاتِهِ السيئة قد ساهمت بإنشاء التمرُد في روح أولادِهِ. ولكن قلبه كان مُستقيماً، ولم يتصرف بإجرام وما حَصل سيقع عند أبواب شمعون ولاوي وليس بابهِ. ولكن خشيةً من أن يحصُل مكروهٌ أعظم، كان من الأفضل أن يعود إلى بيت إيل، عودة إلى بيت الله وعودة إلى المكان الذي تم به خلاصُه، وهُناك عليهِ أن يُجَدد عهودَهُ. لأن عهود الله وحمايَتَهُ وأهدافَهُ لم تتغير بالنسبة ليعقوب.

5. كيف قدس الله يعقوب (35:1-29)

وصلنا الآن إلى آخر فصل من قصة حياة يعقوب الروحية، لقد شاهدنا كيف *خلص* الله يعقوب (28) وكيف *أخضع* الله يعقوب (29-32) وكيف *عزل* الله يعقوب (33-34) والفصل الأخير إصحاح 35 يَروي كيف قَدَّس الله يعقوب. يُصبح التركيز الأهم في التكوين من تلك المرحلة فصاعِداً على يوسف وليس يعقوب، بالطبع يظهر يعقوب ويُصبح بارِزاً في القِصة مرة أخرى في وقتِ وافاتِهِ.

هناك ثلاث مواقِع في الإصحاح، بيت إيل وأَفْرَاتَةَ ومَمْرَا، ويُسَجِل الإصحاح أربعة مدافن وثلاث جنازات، مازال الله يَفصِل الروابط التي كبلت يعقوب بالأشياء الدُنيوية. بعض هذه الروابط كانت عزيزة جِداً، على سبيل المِثال لا بُد أن وفاة راحيل بدت ليعقوب أنهُ "أقسى انفِصال على الإطلاق".

نفتَكِر بشكل خاص بديفد ليفينغستون، المُجاهِد العظيم الساجِد والمُنحَني والمَكسور أمام القبر الوحيد في شوبنغا حيثُ وضع للتوّ جُثمان محبوبَتِهِ ماري. لم تَكن زوجة ليفينغستون حقاً قوية بشكلٍ كافٍ لخشونة المِحنة مع أنها ابنة أحد المُرسلين لأفريقيا الباسِل والرائد. عانت لسنين عديدة ولكن بعد فترة تهالكت، وبوجود أولاد صِغار بحاجة لاهتمام، استسلمت وعادت للوطن بينما ثابر زوجها. هناك

ثلاث أنهُر يتراقصون أمام ذهن ليفينغستون الزمبيزي والكونغو والنيل وكُلِ واحدٍ منهم يَصُب فيضَهُ في بحرٍ مُختَلِفٍ، والذي يستطيع أن يكتشف أسرر هذه الأنهُر يستطيع أن يكتشف أفريقيا. وتتراقص دائماً أمام ذهن ليفينغستون الأهوال التي شَاهدها من خلال الأعمال الوحشية التي لا يُعبَّر عنها لتِجَارة الرقيق، كما تتراقص دائماً أمامهُ مُهِمَتُهُ الآتية من الأعلى، مأموريتُهُ للوصول إلى نفوس الرجال الضالة. أستكشف! اعتِق! بشر! كان حبلاً مثلوثاً من الصعب قطعُه، لذا ثابرَ ليفينغستون وحيداً ومكثت ماري في الوطن مع الأطفال لتُصَلي.

ولكن كان الثرثارون مجتهدين في كلامهم "ليفينغستون لا يَطيق زوجَتَهُ، وشهوتهُ الوحيدة أن يكون بعيداً عنها بقدر المُستطاع" فوصل إليهُ هذا الكلام، وبعكس حِكمتهِ استدعى ماري لتكون بجانِبِهِ، فأتت ومَرِضَت وماتت. سَجَد هناك ودموعَهُ الساخِنة تسري على وجهِهِ المُحمر من الشمس باكياً من صميم قَلبِهِ "ماري! آه يا ماري! احببتُكِ عندما تزوجتُ بكِ وكُلما طال بي العُمر كُلما أحببتكِ أكثر! آه يا ماري، كم من مرةٍ تُقنا لبيتٍ هادئٍ وسالم ندعوه ملكُنا منذ أن جُرِفنا بعيداً في أفريقيا! ليرحم الله الأولاد!" سجد هناك تحت شجرة البوحِباب المُمتدة شاعِراً للمرة الأولى في حياتِهِ أنهُ من الأفضل أن يموت.

نعود لعقوب وفصل الجنازات الذي جَعَلهُ مَفجوعاً أكثر مما تستطيع الكلمات أن تُعَبِر. يضع الكتاب المُقَدَس حِجاباً لبقاً فوق حُزن يعقوب السري، ولكن بدون شك أنه بكى بكَرَبٍ في تِلك الليلة في وحدَتَهِ بخيمَتِهِ (الخيمة التي أصبحت مهجورة بسبب خسارَتِهِ لبلهة، جارية راحيل، بسبب خطيئة رَأُوبَيْنَ القَذِرة).

وهكذا كسر الله روابِط يعقوب الدُنيوية بيدٍ رقيقة ولكن صارمة بذات الآن، بعد أن انتهى الفصل الحزين ستأتي السنون وتمُر بِذِكرٍ قليل جِداً عن يعقوب، سبعة عشرة من هذه السنين ستُصرف في تَرَفٍ في مِصر. وهناك سيُقَدَم لنا نظرة أخيرة وطويلة عن يعقوب بينما يتجَهز ليضرُب خيمتَهُ ويرفع أوتادَهُ للمرة الأخيرة ويبدأ رُحلَتَهُ للوطن. سنرى رَجُلاً مملوءً من الروح القُدُس ومُباركاً من قِبَل أولادِهِ ومُتَكَلِماً بقوة نبوية، هامِساً ومُرتَكِزاً على عصاه. بعد هذا الإصحاح الذي أمامنا سنكون قادرين أن نَترُك يعقوب ونذهب إلى أمُورٍ أخرى، وسيكون عمل التقديس بالحقيقة انتهى وكما يجب.

أ. يعقوب كرَجُلٍ مؤمن (35:1-15)

أبتدأ كُل شيء بكلمة حاسِمة من الله. كاد يعقوب أن يفقُد عقلهُ ودينا جالِسة معزولة في مُخَيَّمِهِ عليها العار وأرملة قبل أن تُصبِح زوجة ويعود الشُكر لضراوة أخويها. لا بُد أن شمعون ولاوي كانا غاضبين ويردون نظرات المُخيم المُريبة تِجاهِيهما بذات النظرات، وقِصة الأفعال القاتِمة لليلة الأمس كانت تنتقِل عِبر الأرض طولاً وعرضاً. إن احتاج رَجُلٌ ما لكلمة حاسِمة من الله كان هذا الرجُل هو يعقوب في الصباح بعد مذبحة شكيم. وعندما أتت الكلمة، لا يُوجد التِباس في قوتها.

1. تجديد حيوّية يعقوب الروحية (35:1-4)

كان هناك ثلاث مناطِق من حياة يعقوب الروحية التي تحتاج إلى تجديد كامِل، احتاج أولاً إلى تجديد حيوّيَتَهُ الروحية، لوضع حياةٍ جديدة في بعضٍ من المعتقدات الأساسية لإيمانِهِ، المُعتقدات هي مِثل المفاصِل التي تصدأ إن لم تُزيت وتُستَخدَم. احتاجت مُعتقدات يعقوب للتنشيط.

بدأت العملية بذِكر *المَوضِع* (35:1أ) "ثُمَّ قَالَ اللهُ لِيَعْقُوبَ: قُمِ اصْعَدْ إِلَى بَيْتِ إِيلَ وَأَقِمْ هُنَاكَ، وَاصْنَعْ هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلهِ الَّذِي ظَهَرَ لَكَ حِينَ هَرَبْتَ مِنْ وَجْهِ عِيسُوَ أَخِيكَ". كان عليهِ أن يعود إلى بيت إيل المكان المُقَدَس ذو الذِكريات العبِقة، كان في بيت إيل حيثُ عَلَّمَ إبراهيم المُهاجِر الأول مرةً حدود حَقِهِ لكنعان وبنى مذبَحَهُ الأول في تلك الأرض، وكانت بيت إيل المكان الذي عاد إليهِ بعد تراجُعِهِ الروحي الكارِثي في مِصر. كان في بيت إيل حيثُ تقابل يعقوب مع الله لأول مرة ورأى السُلم وأصبح رجُلاً مؤمناً حقيقياً. بيت إيل! هناك بعض الأماكن في الحياة التي نربُط بها الذكريات المُقَدَسة، كما يوجد بعض الأماكن التي نتجنبها لأنها تُطارِدُنا بخطايانا. أن نعود إلى بيت إيل أي أن نعود إلى الوطن.

يُذكر *الهدف* تالياً (35:1ب) قيل ليعقوب "أَقِمْ هُنَاكَ، وَاصْنَعْ هُنَاكَ مَذْبَحًا". من الواضح أن الله أراد ليعقوب أن ينقع روحَهُ المكدوم بمرهم الذكريات المُقَدَسة الشافي. كانت بيت أيل مُجَرَّد درزن من الأميال في شمال أورشليم، حيثُ مكَثَ ملكي صادِق ملك البِر وكاهن الله العلي ومُبارِك إبراهيم. أراد الله ليعقوب أن يذهب إلى بيت إيل ويَمكُث هناك كما يُريدُنا أن نبدأ رِحلَتُنا إلى الجُلجُثة وننصُب خيمتنا هناك لفترة لكي نُجَدد إيمانَنا وننشط حياتنا الروحية.

ثم أتى *التجهيز* (35:2-4) قال يعقوب لبيتِهِ "اعْزِلُوا الآلِهَةَ الْغَرِيبَةَ الَّتِي بَيْنَكُمْ وَتَطَهَّرُوا وَأَبْدِلُوا ثِيَابَكُمْ""نحن صَاعِدون إلى بيت الله". التقطت زوجات يعقوب وأولادُهُ الأصنام من هنا وهناك خلال التِرحال، ومن المُحتَمَل أن راحيل كانت ماتزال تمتلك بعل لابان البيتي.

وبدون شك أن شمعون ولاوي امتلكا الكثير من الأصنام المحلية بعد أن نهبوا شكيم، لا بُد من التخلُص من هذه. "فَأَعْطَوْا يَعْقُوبَ كُلَّ الآلِهَةِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي فِي أَيْدِيهِمْ وَالأَقْرَاطِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ، فَطَمَرَهَا يَعْقُوبُ تَحْتَ الْبُطْمَةِ الَّتِي عِنْدَ شَكِيمَ"، كان ذلك أول دفن في الإصحاح. كان من الأفضل لو أُحرِقت هذه الأصنام بدلاً من أن تُدفن، فنحن مُستَعدون أن نُبعد الأصنام في أوقات اليقظة الروحية ولكن مُعرضون جداً لوضعِهم في أماكن نستطيع أن نعود إليهم لاحِقاً إن شئنا.

2. تجديد انتصار يعقوب الروحي (5:35)

"ثُمَّ رَحَلُوا، وَكَانَ خَوْفُ اللهِ عَلَى الْمُدُنِ الَّتِي حَوْلَهُمْ، فَلَمْ يَسْعَوْا وَرَاءَ بَنِي يَعْقُوبَ"، من الواضِح أن المُجتمعات المُحيطة كانت تُخطط الانتقام لمذبحة شكيم. لو كان الانتقام مُوجهاً فقط على شمعون ولاوي لكان مُبرراً، ولكن الانتقام دائماً يخرُج عن السيطرة. فبدون شك عندما يبدأ القَتل سيستولي الكنعانيون بالتمام على كُل ما هو حيّ في مُخيم يعقوب، لذا هدف الله أن يَجلُب بركة للعالم من خلال يعقوب سيُفسد. لذا تصرف الله، رهبة فوق الطبيعة سقطت على الأرض، الرهبة ليس من يعقوب بل من الله. كان على العالم أن يتعلم أنه بالرُغم من خطاياهُم العديدة، الخطايا التي سيتعامل معها الله بنفسِهِ بطريقتِهِ المِثالية، كان يعقوب وشعبهُ في الجانِب المُنتَصِر وأن يُحارَبوا كان يعني أن تُحارِب ضد الله.

3. تجديد حقيقة يعقوب الروحية (35:6-15)

الله على وشك أن يُعيد يعقوب للحقيقة الأساسية، يجب أن يتعلم أنه على الروح ألا تتكل على المُعجِزات، حتى نوع المُعجِزات التي كبحت الكنعانيين وأوقفتهم عند حَدِهِم، بل على كلمة الله ذاتِها. وهكذا *تم الاعتِراف بتجديد علاقة يعقوب بالله* (35:6-8)، وبنى مذبحاً ودعا اسمهُ إِيلَ بَيْتِ إِيلَ، "الإله العلي لبيت الله"، كانت خطوة عظيمة للأمام لمضي إلى ما بعد بيت الله إلى الله ذاتَهُ. حملت مشاعِر يعقوب كمد الفيضان عندما وصل إلى بيت إيل، كما قصدها الله، إلى اعترافٍ جديد لحُبِهِ واهتمامِهِ بالله ذاتَهُ.

ثُم أتى الدفن الأول، فماتت دبورة المُسنة العزيزة التي كانت مُرضِعة لرفقة أُمِهِ، بالطبع قد عَرِفها يعقوب طيلة حياتِهِ، فقد جاء إليها بألعابِهِ المكسورة ورُكَبِهِ الدامية وهو بعد طِفلٍ يَحبو. لقد اكتشف أن أُمهُ قد ماتت عندما وصل إلى كنعان، وعَلِم أيضاً أين كانت خادِمة أُمِّهِ وبالطبع أخذها تحت جناحِهِ. رُبما استطاعت أن تُربي أولادِهِ كما ربتهُ، ولابُد أن دبورة كانت مُسنة جِداً فقد مرَّت حوالي مائة وخمسون سنة منذ أن تركت فدان آرام لتصطحب رفقة عندما أتت لتتزوج بإسحاق. كان وجودها عونٌ عظيمٌ ليعقوب وبدون شك أن ذلك كان عونٌ عظيمٌ لزوجاتِهِ أيضاً لأنها كانت حلقة صِلة لفدان آرام. لابُد أن دبورة كانت مُتلهِفة بأسئلَتِها عن لابان وأصدقائها القُدامى بعد مُضي كُل هذه السنين. ثم كانت حلقة صِلة مع رفقة أيضاً، حلقة صِلة للوطن وماضي يعقوب في أيام صِباه والذكريات الأولى للحياة. ولكن كان الله يقطع كُل هذه الروابط بلُطفٍ ويَفصِل يعقوب لهُ، وهكذا ماتت دبورة ودُفِنَت بِرفق تحت شجرة البلوط البارِزة وهي معلماً في تلك الأجزاء، والآن يُطلق عليها "أَلُّونَ بَاكُوتَ" (بلوطة البُكاء). ذلك كسرَ رباطٍ آخر قد قيَّد يعقوب بأمور دُنيوية.

ثُم *تم التأكيد بتجديد علاقة يعقوب بالله* (35:9-13) "وَظَهَرَ اللهُ لِيَعْقُوبَ" كان ذلك شيئاً جديداً. لقد سبق لله وتكلم مع يعقوب عن مكانَتِهِ في النسل البطريركي وقد سبق وأيقظ حواسَهُ في حُلُمٍ ولكن الآن قد ظهرَ لهُ. تكلم مع يعقوب عن اسمَهُ الشخصي (35:9-10) وعن شُهرَتِهِ الموعودة (35:11) وعن مُلكَهُ الدائم (35:12-13)، يعقوب المسكين والمُرتَبِك كان ما يزال *إسرائيل*. والإله العلي سيتأكد من أن ملوكاً وشعوباً ستخرُج من نسلِهِ وأن أرض الموعِد ستكون لهُ على الرغم من كُل المظاهر التي تَدُل على عكس ذلك. كانت هذه حقائق روحية يستطيع يعقوب أن يرتكِز عليها، حقائق لم تتغير بسبب كُل ما حَدَث منذ أن عبر من هذا الطريق آخر مرة، فقد رست الحقائق على كلمة الله التي لا تُكسَر لذلك لم تتغير.

ثم *تم الامتلاك بتجديد علاقة يعقوب بالله* (35:14-15) "فَنَصَبَ يَعْقُوبُ عَمُودًا فِي الْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ تَكَلَّمَ مَعَهُ، عَمُودًا مِنْ حَجَرٍ، وَسَكَبَ عَلَيْهِ سَكِيبًا، وَصَبَّ عَلَيْهِ زَيْتًا. وَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ تَكَلَّمَ اللهُ مَعَهُ بَيْتَ إِيلَ". السُلُم وصل الأرض بالسماء في تِلك البُقعة عينها، والآن في تلك البُقعة شاهد الله بينما "صَعِدَ"-كما لو كان يبدو-على السُلم عائداً إلى السماء. على عائلَتِهِ وجميع العالم أن يعلم أهمية ذلك المَوضِع، لذا أقام العمود وسكب سكيب التقدِمة الشعائرية وصب الزيت. يتكلم لنا الحجر عن المسيح؛ تقدمة السكيب (بلا شك أنه كان سكيباً من نِتاج الكرمة) للدم المسفوك الذي يُخَلِص[4]؛ والزيت هو سكيب الروح القُدُس. رُبما يعقوب سيُدرِك هذه الأمور بشكلٍ خافت بفهمِهِ المُحَفز للحقائق الروحية. لذا طلب من جديد بمُلكِيَتِهِ لكنعان، غير مؤسسٍ مُلكيَتِهِ على استحقاقٍ شخصي ولا على نسَبِهِ كابنٍ لإبراهيم بل على عمل المسيح المُنتَهي.

ب. يعقوب كرَجُلٍ محروم (35:16-29)

كان تَجَدُد تراجُع إيمان يعقوب فوري وعُقِب على ذلك بتلك اللحظة. ابتعد عن بيت إيل؛ لقد أمرَهُ الله أن يذهب إلى هناك ويَمكُث، ولا يُمكن التساهُل مع تراجُع الأيمان في حياته بعد الآن، لذا عُقِب بسُرعة لعدم طاعتِهِ. لقد أصبح يعقوب رَجُلاً مُكرساً الآن، وأخطأ سنين

4. لقد كان فِعلاً جَديراً بالذكر، لدينا هنا أول نموذج في الكِتاب المُقَدس لتقدِمة المشروب، تقدمة ليست مشمولة بين التقدمات اللاوية اللاحِقة ولكِنها تقدمة مشمولة في التعليمات للأرض (عدد15:5-7). كانت طريقة يعقوب التعبيرية في الإمساك بالوعد الذي أصبح مؤكداً بالنسبة له. تقدمة المشروب، كما أستُخدِم لاحِقاً في إسرائيل، كان يُسكب دائماً ولا يُشرب أبداً، وهو يُمَثِل سكب المسيح نفسهُ من أجلِنا على الصليب.

حضانة مدرسة الله لا يُمكن أن يتغاضى عنها بعد الآن. يتم تسجيل الآن حرمانين ويبدو أنهما مَفصولان من ناحية الزمن، إلا أنهما موضوعان بتزامُن لكي نستطيع أن نرى التأثير المُتراكِم الذي لابُد أنهُ أثر على المُهاجِر في طور النضوج. لقد كانا جِزءاً من خطة الله ليَحُل الروابط الدُنيَوية ويجعل هذا العالم مكاناً كئيباً والعالم الآتي حقيقياً أكثر فأكثر.

عندما يُريد الرَجُل أن يرتَفِع في المِنطاد عليهِ أن يرمي بالأثقال، كُلما أراد أن يرتَفع أكثر يحتاج أن يرمي أثقالاً أكثر، هذا ما كان يَحدُث مع يعقوب. كانت الأشياء التي أثقَلَتهُ والتي ربطتهُ بالأرض تؤخذ منهُ، بذات الطريقة سيفطِمنا الله من الأشياء الزمنية والحِسية ويَجذُبنا إليهِ.

1. يُحرَم يعقوب من مُفَضَلَتِهِ (35:16-26)

أ. خسارة راحيل (35:16-21)

نرى أولاً يعقوب يُحرَم من مُفَضَلَتِهِ ويُقَدَم لنا تسجيلاً عن الأحداث التي قادت إلى الحَدَث المأساوي. يفقِد يعقوب أي اهتمام بالعالم بعد ذلك؛ على نحوٍ فعال، يُصبِح العالم مصلوباً بالنسبة له بعد وفاة محبوبَتِهِ. نُلاحِظ خطأ يعقوب الغريب (35:16أ) "ثُمَّ رَحَلُوا مِنْ بَيْتِ إِيلَ" ولكن لماذا؟ من يستطيع أن يُجيب لماذا نسأم بسُرعة من الموضع الذي تقابل به الله معنا وحيثُ وضع الله أسمهُ؟ ابتعد إبراهيم عن بيت إيل بسبب مجاعةٍ، رُبما ارتحل يعقوب بسبب جنازةٍ (35:8)، اعتِبارات مادية حرَّكَت إبراهيم، رُبما اعتِبارات عاطفية حَرَّكت يعقوب، كِلا السببين ليس كافياً. كان إبراهيم على وشك أن يخَسِرَ سارة كنتيجة لتراجُع إيمانِهِ، أما يعقوب فخَسِرَ راحيل.

يبدو أن الحركة المأساوية كان لها تأثيراً مُباشراً على ما تلا، كانت راحيل على وشك أن تَلِد ابنها الثاني، وكان وضعها مُتَقَدِماً جِداً، ولهذا السبب وحدَهُ كان على يعقوب أن يبقى حيثُ كان. التِرحال كان صعباً في تِلك الأيام، ولتترنح راحيل وتهتز بينما كانت جالسة على ظهر الجمل كان أكثر مما تستطيع قِواها الضئيلة أن تتحمل. كانوا على وشك الوصول إلى أَفْرَاتَةَ (الاسم الأصلي لبيت لحم) عندما حلت المأساة.

يُحكى لنا عن بؤس يعقوب المُفاجئ (35:16ب-21). ولد بنيامين وعاشت راحيل وقتاً كافياً لتراه، ولتعلم أنها أنجبت ليعقوب ابناً ثانياً وتدعوه بَنْ أُونِي، همست بنفسها الأخير "ادعوه بَنْ أُونِي"، "ادعوه ابن حُزني". مسكين يعقوب! لا يستطيع أن يَحرُم راحيل أي شيء قد رسا قلبها عليه، فكيف سيحرمها الآن؟ ولكنهُ فعل. بلُطفٍ ولكن بحسمٍ استبدل الاسم بآخر "بنيامين!" بكت راحيل وقالت "ادعوه ابن حُزني" فقال يعقوب "سأدعوه ابن يدي اليُمنى!".

وهكذا ماتت راحيل ودُفِنت وقبرها يبقى معلماً حتى يومنا هذا، ماتت راحيل ومات قلب يعقوب معها وجميع طموحاتِهِ الدُنيوية معهُ. لقد كان *يعقوب* من دفن راحيل، ولكن *إسرائيل* من تابع المسيرة. والآن أصبح بالحقيقة مُهاجِراً ذا أقدامٍ مِثل الرصاص وقلبُهُ مُمزقاً إرباً وآمالُهُ وعواطِفُهُ مُثبتةٌ الآن على الأشياء من مفوق، حيثُ يجلُس المسيح عن يمين يد الله.

ب. شَبَق رَأُوبَيْنَ (35:22-26)

ولكن على اليد الكاتِبة أن تُتابع والآن عليها أن تُسَجِل الفِعل المُشين والمُهين. لقد قيل لنا عن خسارة راحيل؛ والآن يَجِب أن يُقال لنا عن شبق رأوبين. كيف يستطيع رأوبين ابن يعقوب البكر أن يتصرف بطريقة دنيئة كهذه؟ ما فعلهُ كان جُرماً بحِساب أي عصر، ولكن أن يفعل ما فعلهُ في عصرٍ كهذا يُصِمُهُ برَجُلٍ قَذِرٍ وشابِق حقاً. يُقال لنا أن رأوبين دنسَ بلهة زوجة أبيه، لقد كانت بلهة جارية راحيل وراحيل أعطتها ليعقوب. إن كان هناك شخصٌ واحِد في انحاء المُخيم يستطيع أن يُقَدِم بعضاً من الراحة ليعقوب في تلك الليلة السوداء، فمن المؤكد أن ذلك الشخص هو بلهة. ولكن رأوبين كان عديم المبادئ وفاقِد للآداب العامة والإنسانية والأخلاقية لدرجة-واضعين عملهُ الشرير على جنب-أنه استطاع أن يقتَرِف جُرم مُضاجَعة المُحرم مع شخصٍ كهذه وفي وقتٍ كهذا. من يدري ما دار من مُداعبة ومُغازلة قبل الفِعل؟

يُقال لنا فقط أن رأوبين كان تائهاً عن الآداب وضبط النفس وبلا خجل حتى أنه استطاع أن يُحيّ ساعات الدفن بتدنيس إحدى زوجات أبيه. لقد كان الفِعل قبيحاً بحد ذاتِهِ، ولكن عندما نُضيف الفترة التي حَدثَ بها الفِعل والمكان الذي جرى به الفِعل والشخص الذي تم به الفِعل يُصبح ذلك التصرُف لا يُغتَفَر.

"وَسَمِعَ إِسْرَائِيلُ"، *إسرائيل* وليس يعقوب، لو كانت طبيعة يعقوب هي المُسيطرة لكان رأوبين رَجُلاً مائتاً. ولكن كانت طبيعة إسرائيل من أخذت الضربة، ولأن إسرائيل سادَ على قلب المُهاجِر المكسور، لم يُقال أي شيء. بدون شك أن رأوبين تنفس الصعداء، ولكن منذ تلك اللحظة هناك فأسٌ يَلوحُ فوق راسِهِ غير مرأي أو مُتَوَقع من قِبَلِهِ، مُعلقٌ هناك دائماً ينتظر الوقت المُناسب ليسقُط. لأن الله *دائماً*

يُعاقِب الفسوق الجنسي؛ عاجِلاً أن آجِلاً الفأس دائماً يسقُط. سياط أخلاقية واجتماعية وروحية وجسدية ونفسية مُتَوَّفِرة لله التي يستخدِمها ليُعاقِب الذين ينتهكون.

يتم تسلسُل أبناء يعقوب في تلك المرحلة من السرد (35:23-26) والهدف هو للفت انتباه خاص لموضِع رأوبين في العائلة ولوضع خطاً تحت المسؤولية الناتِجة عن ذلك والتي ازدرى بها بِكُلِ استخفاف. التسجيل يتلو "بَنُو لَيْئَةَ: رَأُوبَيْنُ بِكْرُ يَعْقُوبَ-" إنه الابن الوحيد بين الاثني عشر الذي يَتَصِل اسمَهُ بتعليق، فموقِعَهُ كبكرٍ زاد أكثر على خطيئتِهِ. إلا أنهُ لم يُقال أي شيء عن هذا الفِعل الشرير، لأنه سيتم قراءة اتهام رأوبين لاحِقاً عندَ فِراش موت يعقوب، وسيُقرأ علانيةً ورسمياً وبرَهبة. خطيئة رأوبين التي لم يعتَرِف بها وبالتالي لم تُطَّهر، ستُطارِدَهُ كُل أيامهِ المستقبلية.

2. يُحرَم يعقوب من أبيه (35:27-29)

كان هناك جُنازٍ آخر عندما حُرِمَ يعقوب من أبيه (35:27-29)، مع أن إسحاق لم يمُت فعلاً في تلك المرحلة من التاريخ. لقد ترك يعقوب بيت إيلَ وترك علامةً وحيدة في الطريق التي ستقود إلى بيت لحم. مُرضِعَتُهُ المسِنة قد ماتت وراحيل محبوبَتُهُ قد ماتت ودينا كانت تحضُن ألم قلبها وعارِها ولاوي وشمعون مازالا في المُخيم يُواجِهون نتائج أفعالِهم ورأوبين تصرف أسوء من أي وثني. لذا أتى يعقوب أخيراً والِدَهُ الأعمى إسحاق وهو يحتضن آلامَهُ العديدة.

يتم تسجيل وفاة إسحاق بذات اللحظة، وكأن هناك تركيزاً على أهمية إيجاد يعقوب التعزية في الله والله وحدَهُ. يُقال لنا بأنه كان "شَيْخًا وَشَبْعَانَ أَيَّامًا"؛ وبالحقيقة أنه كان بعُمر المائة والثمانون سنة عندما توفي، وقام يعقوب وعيسو في دَفنِهِ. هناك شيءٌ جذابٌ في ذلك، فها هما التوأمان بالولادة ولكن مُمَزقان أرباً بسبب النزاع والرغبة والمصير، والآن مُتحدين للمرة الأخيرة لدفن أبيهما الشيخ.

وهكذا نزع الله آخر صِلة ليعقوب بالأرض، بالحقيقة أنه قد مُيِّزَ لله كرَجُلٍ مُكَرَسٍ. هناك آلام أخرى مُدَّخرة ولكنها جِزءً من قِصة يوسف الذي بإصحاحٍ قصير (المُخصص لعيسو وحِصَتَهُ من الحياة) سيستلم ويُهيمن على الربع الأخير من كتاب التكوين.

الفصل 8

المعطي: يوسف (36:1-47:26)

1. خلفية يوسف (36:1-43)
   أ. تاريخ عيسو الشخصي (36:1-8)
      1. عائلة عيسو المقربة (36:1-5)
      2. ثروة عيسو الهائلة (36:6-7)
      3. حصن عيسو المنيع (36:8)
   ب. التاريخ السياسي لأدوم (36:9-43)
      1. ذرية عيسو في أدوم (36:9-19)
      2. أسلاف عيسو في أدوم (36:20-30)
      3. إشراقة عيسو في أدوم (36:31-43)
2. فتوة يوسف (37: 1-11)
   أ. قيادة يوسف الروحية (37:1-2)
      1. مُجَرَب بالتأكيد
      2. مُجَرَب بالإخفاء
   ب. قميص يوسف الرائع (37: 3-4)
      1. القميص الكهنوت
      2. القميص الأفضلية
      3. القميص المكانة الخاصة
   ت. أحلام يوسف المثيرة (37:5-11)
      1. حلم الحزم السلطة على موارد الأرض
      2. حلم الكواكب السلطة على رئاسة الأرض
3. خيانة يوسف (37:12-36)
   أ. كيف أُرسِلَ يوسف إلى أخوته (37:12-17)
      1. تمت مناقشة المهمة (37:12-14)
      2. تم إطلاق المهمة (37:15-17)
   ب. كيف نظر أخوة يوسف إليه (37:18-27)
      1. ضمائرهم الشريرة (37:18-23)
      2. الشر الإجرامي لرأوبين (37:21-22، 29-30)
      3. حسابات يهوذا العالمية (37:25-27)
   ت. كيف بيع يوسف من قبل أخوته (37:28-36)
      1. المساومة النقدية الدقيقة (37:28)
      2. القضمة الأولى للضمير (37:29-36)
4. أخو يوسف (38:1-30)
   أ. يهوذا وأبنائه (38:1-10)
      1. سلوك يهوذا المتمرد (38:1)
      2. عروس يهوذا الدنيوية (38:2-5)
      3. ابن يهوذا الشرير (38:6-10)
   ب. يهوذا وابنه (38:11-26)
      1. قيمه المنحرفة (38:11-14)
      2. لؤمه الشخصي (38:15-23)
      3. فضيلته المزيفة (38:24-26)
   ت. يهوذا ونسلَهُ (38:27-30)
      1. الطفل المُفتدى
      2. الطفل الملوكي
5. عبودية يوسف (39:1-40:23)
   أ. الرجل العبد: وثق به سيده الثري بشكل كامل (39:1-6)
   ب. الرجل الناجح: قد جُرِبَ بشكل مستمر من قبل امرأة مُصرة (39:7-20)
   ت. الرجل المشوه السمعة: جُرِبَ بعناية من قبل الله الحليم (39:21-40:23)

1. الإيمان المطلوب من يوسف (39:21-23)
2. المحبة التي برزت من يوسف (40:1-22)
3. رجاء يوسف قد تأجل (40:23)

6. بركة يوسف (41:1-44)
أ. طرق العناية الإلهية لله (41:1-8)
1. أحلام الملك (41:1-44)
2. محنة الملك (41:8)
ب. حكمة الله الكاملة (41:9-13)
1. توقيت الله الكامل (41:9)
2. تكتيكات الله المثالية (41:10-13)
ت. إرادة الله الفريدة (41:14-44)
1. أن تحضر يوسف إلى فرعون (41:14-37)
2. أن ترقي يوسف من خلال فرعون (41:38-44)

7. عروس يوسف (41:45-52)
أ. مكانها المفضل (41:45-49)
1. رُفِعَ عالياً (41:40-45)
2. مبجلاً جداً (41:45-49)
ب. ماضياً منسياً (41:45)
ت. قسمها المخلص (41:50-52)
1. منسى "النسيان" (41:50-51)
2. إفرايم "المثمر" (41:52)

8. أخوة يوسف (41:53-47:10)
أ. طور الغموض (41:53-44:34)
1. كيف تثقل أخوة يوسف (41:53-42:34)
2. كيف تحير أخوة يوسف (42:35-43:34)
أ. محنة يعقوب (42:35-38)
ب. تعهد يهوذا (43:1-15)
ت. خطة يوسف (43:16-34)
3. كيف انكسر أخوة يوسف (44:1-34)
أ. المؤامرة (44:1-3)
ب. المواجهة (44:4-15)
ت. الاعتراف (44:16-34)
ب. مرحلة العظمة (45:1-24)
1. الكشف عن يوسف (45:1-16)
أ. الكشف عن شخصه (45:1-3)
ب. الإعلان عن أغراضه (45:4-16)
2. موارد يوسف (45:17-23)
3. مطلب يوسف (45:24)
ت. مرحلة الخدمة (45:25-47:10)
1. اقتراح (45:25-46:7)
2. الانتشار (46:8-30)
3. التحضير (46:31-34)
4. التقديم (47:1-10)

9. جائزة يوسف (47:11-26)
أ. نعمة يوسف (47:11-12)
1. المنصب الذي أعطاها لإخوتِه (47:11أ)
2. الأملاك التي أعطاها يوسف إلى إخوته (47:11ب)
3. الحصة التي أعطاها يوسف لإخوته (47:12)
ب. حكومة يوسف (47:13-22)

1.طالب بفضة المصريين (47:13-14)
2. ممتلكات المصريين (47:15-17)
3. بعقارات المصريين (47:18-20)
4. أشخاصهم (47:21)
ت. صلاح يوسف (47:23-26)
1. شُرِح المبدأ الأساسي (47:23-25)
2. أسس المبدأ (47:26)

8

المعطي: يوسف (36:1-26:47)

1. خلفية يوسف (36:1-43)

"كُلُّ الْكِتَابِ" يقول بولس، "هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللهِ، وَنَافِعٌ." للوهلة الأولى، قد يعطينا إصحاح مثل الإصحاح الذي أمامنا فاصلاً، ولكن بما أن عيسو يمثل رمزاً هاماً عن الجسد في الكتاب المقدس، فإن اصحاح 36 يتضمن بشكل واضح حقائق روحية من أجلنا. بالطريقة ذاتها، إنه واحد من أصعب الإصحاحات في الكتاب، كنوع الإصحاحات التي نتخطاها في قراءتنا. بعيداً عن نفور الغربيين الحديثين لسلسلة الأنساب، يتضمن الإصحاح مشاكلاً أخرى ليس أقلها كحقيقة زوجات عيسو والتي تظهر أسماؤهن مختلفة بعض الشيء عن الأسماء التي قُدِمت في مكان آخر في سفر التكوين.

يعطينا الإصحاح نسب الجسد، والنسب الغير واعد بالأكثر. الأسماء المطروحة هنا توضح الخط المباشر المهم لعيسو من أجلنا قبل الغوص في القصة الرائعة ليوسف. يشطر تاريخ الآدوميين تاريخ الإسرائيلين بشكل مستمر. الصراع الذي نشأ من رحم رفقة تابع خلال العصور حتى أزهر ليصبح حرباً على نطاقٍ واسع بين أنسال يعقوب وعيسو. لذلك وبينما قد يبدو اصحاح 36 من سفر تكوين للوهلة الأولى غير واعد، فهو ليس بدون مكافآت لأولئك الذين يريدون أن يغامرون بتفكير عميق في ذلك الطريق الشائك.

أ. تاريخ عيسو الشخصي (36:1-8)

يبدأ إصحاح 36 مع عائلة عيسو المباشرة (36:1-5). تواجهنا حالياً ورطة مرتبطة بأسماء زوجات عيسو. هناك شيئان يجب ان يؤخذا بعين الاعتبار: تسوية عيسو الفاشلة وجسدية عيسو المتواصلة. كان أهل عيسو أناس تقيين وزواجه من نساء وثنيات أحزنهم حزناً عظيماً. زواجه من أهوليبامة خاصة ربما كان الأكثر كرهاً لهم؛ ليس فقط لأنها كانت ابنة كنعان ولكنها من سلالة الحوي. لدى الحوريين نسب قوي مع بني عناق والذين كانوا من جنس العمالقة الذين لوثوا أرض الموعد. هؤلاء العماليق كانوا نتيجة ثوران الملائكة الساقطة في شؤون الإنسان مع تقدم متتالي للإيمان بعلم الغيب وظهور ذرية شبه شيطانية على الأرض. طفح آخر حصل قبل الفيضان مباشرة وأدى إلى تلك الكارثة؛ الثوران الثاني أدى إلى فتح كنعان من قبل الإسرائيلين وشَرْح وعد الله الصارم بأن كل الجنس الكنعاني سَيُسْتأصل.

أسماء زوجات عيسو في تكوين 36 هي أسمائهم الحقيقية والأصلية. عندما عرَّف عيسو النساء الكنعانيات على أهله وأخبرهم بأن تلك النسوة هُنَّ زوجاته، ارتعد اسحاق ورفقة. تخيل أن هكذا نسوة يجب أن يوضعن في مخيم مقدس من قبل الميثاق الإلهي! حتى اسحاق والذي أصبح ضعيفاً وغير مبالٍ بالأشياء الروحية، ومتساهلاً مع عيسو، استيقظ في النهاية. كان على الأقل على أسماء النساء الوثنيات أن تتغير. لم يكن بالإمكان لأسماء كتلك ان تتقاذف في مخيمه. لم يتمكنَ من تغيير طبيعة النساء، لذلك لم يستطع تغيير طبيعة عيسو، ولكن على الأقل على أسمائهن الوثنية والفظيعة ان تتغير.

وكانت هناك عدا، ودعيت "بِنْتَ إِيلُونَ الْحِثِّيِّ" (36:2). اسم عدا كان كريهاً تماماً بالنسبة لإسحق من أجل سبب آخر. سِجْل العائلة المعطى من نوح يحفظ ذكر عدا، امرأة لامك المتمرد ذو القوس العظيم قبل الطوفان. لم يُرِد إسحاق ان يُنطَق بهذا الاسم في مسمعه بشكل مستمر. كان أصل المرأة الحثية كريهاً بحد ذاته، فلم ينس إسحاق عناية ابراهيم بعدم تلويث سلسلة نسب العرق المختار. يواجه عيسو خصم أبوه الغير متوقع، متمهلاً عن أي وقت مضى ومتوصلاً إلى تسوية؛ يسميها بسمة. إنه اسم أفضل هنا! ارتبط هذا الاسم مع الأخ الغير شقيق لوالده، اسماعيل. هل للعم اسماعيل ابنة اسمها بسمة؟ ربما عرف عيسو ابنة عمه. وبذلك أصبحت عدا، بسمة- وبذلك سوف يُسْكِتْ وسواس والده الغريب.

ولكن الاستخدام المتكرر لاسم بسمة ظل يجلب لفكر عيسو رؤىً عن ابنة عمه المبتهجة. لذلك توجه وتزوجها أيضاً. ولكن لديه الآن زوجتين بنفس الاسم، بسمة. بالرغم من أن الاسم كان ساراً وعلى ما يبدو مقبولاً لوالده، لكن تعدد الزوجات كان معقداً للغاية، عدا

عن الحصول على زوجتين بنفس الاسم. سيكون من الكثير سؤال "عدا" الصبورة كيما تغير اسمها مجدداً، لذلك لجأ عيسو إلى الحل الواضح. سيدع ابنة عمه بسمة تغير اسمها إلى محلة. بعد كل هذا، ماذا يحمل الاسم؟ زهرة كباقي الأسماء والتي لها رائحة عطرة.

وهذا يحضرنا إلى الشابة الرائعة أهوليبامة. تبدو وكأنها زوجة عيسو المفضلة بالرغم من ماضيها الملون. يعني اسمها "خيمة في مكانٍ عالٍ" ومن ذلك نستدل على أنها ربما كانت كاهنة، بعبارة أخرى، عاهرة في المعبد، لأن عبادة الكنعانيين بلغت ذروتها في طقوس الفسق من خلال محترفين خدموا المعابد والبساتين. هناك احتمال أن عيسو قابل المرأة في وظيفتها الرسمية عندما كان يشارك بنفسه بشعائر ديانتها البذيئة. ليس من المستغرب أن أهل عيسو غضبوا عندما أحضر عيسو المرأة إلى المنزل وقدمها على أنها زوجته. دائماً بالإجبار، قام عيسو بتغير اسم أهوليبامة أيضاً. ماذا عن يهوديت؟ كان هذا اسماً محترماً مع رنة عبرية رقيقة.

طالما أنه بقي بجوار مخيم والده المتعهد (مع الله)، تحول عيسو إلى أسماء زوجاته الجديدة، ولكن عندما رحل بعيداً تخلى عنهم فوراً. إنه يرمز اليوم إلى شخص يافع، تربى في منزل مسيحي، تقسى قلبه تجاه الإنجيل، ولكن من أجل السلام، كان مستعداً بأن ينطق بالجمل المناسبة عندما يكون بالقرب من أهله، وبكل سرور أسقط كل الادعاءات عندما رحل بعيداً عن المنزل. لم يتدفأ قلب عيسو بالحق الروحي أبداً، ولم يتنور فكره لكل ما كان عليه.

نسب أهوليبامة مهم أيضاً في فهم تحركات عيسو. خدمتها ككاهنة في المعبد لم تكن عاراً بنظر الكنعانيين. بالعكس، ربما كان ينظر لها بعين الاعتبار-بنظر الكنعانيين المنحرف-كما لو أنها أضافت بعض السمو لمنزل والدها. هل لم يقم بتخصيص واحدة من بناته إلى الآلهة؟ كان اسم أبيها "عنى،" رجل رائع بين شيوخ قبائل الحوريين. لقد أحرز شهرة ومرتبة بإنجازاته عوضاً عن ميراثه. ارتباطات زوجة عيسو أعطته المدخل الى جماعة الحوريين وساعدته بالحصول على هيمنة كاملة على كل القبائل.

كانت أهوليبامة زوجة عيسو المفضلة. حقيقة أنها كانت فتاة في المعبد تؤكد بأنها شابة جذابة ومغرية، مثل النوع الذي يروق للرجل الجسدي الشهواني، كعيسو. عدا وبسمة كان لكل واحدة منهما صبياً واحداً بينما كان لأهوليبامة ثلاثة، والذي يوحي بأنها كانت زوجة عيسو الرئيسية والتي كان يقضي معها معظم الأوقات. ربما وجدها عيسو أكثر جاذبية من الأخريتين. عندما يتعلق الأمر بالأحفاد، الزوجتان الأخريتان برزتا كلياً على المفضلة، والتي، بحسب ما يُسَجَل، لم تحظَ بأي واحد على الإطلاق. لقد صُنِعَت من أجل ذلك العجز بطرق أخرى، كما سنرى.

ثم يُذْكَر الكثير عن عائلة عيسو المقربة. أُبقيَّت زوجات عيسو أمامنا بشكل بارز خلال الإصحاح، ولكن سيطرت الزوجة الحوّرية على المشهد. فتضمن العرق الآدومي ثلاثة عناصر: واحد كنعاني وواحد حوّريٍ وواحد إسماعيلي. ليس من المستغرب أن يحمل الآدوميون، كعرق، عداءً قاسياً كالصوان تجاه الإسرائيلين.

ثم قيل لنا تالياً عن ثروة عيسو الهائلة (36:6-7). بذلك الوقت ربما اتضحت روحية عيسو وعقله البليد بحيث أن كل أرض كنعان حولت ملكيتها إلى يعقوب بشكل نهائي بواسطة الله. عودة عيسو الى أرض الموعد ونيته الواضحة في البقاء هناك بددت كل وهم متردد لعيسو بالحصول على الوعد بشكل افتراضي.

وهكذا حزم عيسو أمتعته، ضرب خيمته، ووَدَّع إسحاق ورفقة الوداع الأخير واتجه نحو منزل الحوّريين. من الغريب أن كل أبناء عيسو ولدوا في كنعان ولكنهم أداروا ظهورهم لها، في حين أن كل أولاد يعقوب، ما عدا واحد منهم، ولدوا خارج أرض الموعد ولكنهم وجدوا أماكنهم فيها بالنهاية. قرار عيسو كان نموذجاً للجسد، حيث يجد العالم دائماً مكاناً ملائماً له أكثر من مكان لقاء أناس الله.

ثم قيل لنا تالياً عن حصن عيسو المنيع (36:8). "فَسَكَنَ عِيسُو فِي جَبَلِ سَعِيرَ. وَعِيسُو هُوَ أَدُومُ." تكوين 36 *عبارة عن* قطعة محيرة من التاريخ. كيف ومتى انتزع عيسو أخيراً الحصن المنيع للبتراء من الحوريين؟ بالسيطرة على البتراء وضواحيها ضَمِنَ الخناق على الطريق التجاري الكبير بين الشرق والغرب، ومكانه المنعزل الصخري ضَمِنَ الحصانة. من حظي بالبتراء استطاع أن يتحدى قُطاع الطرق والغزاة معاً وفرض الضريبة على القوافل المارة. يُخبِرنا موسى بأن عيسو دمر الحوريين (تثنية 12:2) ويقول لنا أيضاً

أن الحوريون كانوا جنساً من العمالقة مثل الزمزميين والعناقيين (تثنية 2:20-22). من غير المشكوك فيه أن عيسو حظي بالقبول أولاً ثم بقدر من السطوة على الحوريين من خلال أهوليبامة. ولكن ماذا حصل بعد ذلك؟ لم يكن بني عناق مثل أولئك الذين تلامسوا- ومهما كان ذلك سطحياً-مع الإله الحي. أحضر عيسو ظِل كلي القدرة معه إلى دنس البتراء.

ب. التاريخ السياسي لأدوم (36:9-43)

السرد الذي يُفتَح أمامنا الآن مبعثر ومتناثر. يميل إلى التكرار ويفتقر كلية إلى أشياء تجذب الانتباه، والتي تأسرنا باستمرار في قصص البطاركة. لقد دُوِنَ هذا الاصحاح في تكوين بتباين مقصود عن تاريخ العائلة البطرياكية. كل الإصحاحات مخصصة لإبراهيم وإسحاق ويعقوب. ربع سفر التكوين مخصص إلى يوسف، والذي لم يكن حتى بالخط المسياني. لقد كان لدى عيسو ظاهرياً دور صغير في الغرض الإلهي؛ لذلك لم يكن تاريخه وتاريخ الآودميين إلا ذو نفوذ ضئيل. بالجانب الآخر، يسجل الله كل هذه الأسماء مع أنها قد تبدو مملة بالنسبة لنا، ولكن كل اسم يمثل حياة وتنفس إنسان تشتاق روح الله إليه كما تشتاق إلى أي طفل متميز او عرق مختار. يحب الله كل الرجال بغض النظر عن تجاهلهم له.

1. ذرية عيسو في أدوم (36:9-19)

لقد أعطي أحفاد عيسو من أليفاز ابن عدا بعض المساحة. كُتِبَت أسماء أولئك الأحفاد مرتين، الأولى كسلالة (36:11-12) والثانية كأمراء (36:15-16). يبدو أن عيسو كان مُفتخراً جداً بأولئك الأمراء الناشئين منه. أليفاز نفسه لم يكن أميراً، ولكن حظيَّ كل أولاده بهذه المرتبة. بالإضافة إلى أنه حظيّ بسراري أمراء أيضاً-وليسوا أميرات، كزوجة الأمير، ولكن أمراء (36:40). هناك تلميح لمجتمع أمومي بين الحوريين. المرأة أميرة، تمناع بالاسم، سرية أليفاز والتي اصبحت أم أمير آخر-عماليق (36:12-16). ومنه جاء العماليق، العدو العنيد لإسرائيل، والذي أعلن الله ذاته حرباً غير منتهية ضدهم. خسر شاول عرشه بسبب صداقة ملكهم. عماليق يمثل المثال الرائع للجسد في العهد القديم.

سُجِلَت ملاحظة صغيرة عن أحفاد عيسو من رعوئيل، ابن بسمة. لقد كان هناك أربعة منهم (36: 13). ولا يوجد أي شك لتأثير عيسو المتزايد؛ كلاً من الأربعة حصل على مرتبة ملكية (36:17) لأن كلاً منهم أصبح أميراً. وبسياق ذلك الوقت والعصر، كلاً منهم أصبح رأس قبيلة او شيخاً أي بما يعادل المَلَكية اليوم.

بشكل مدهش، لم يسجل شيء عن أحفاد عيسو المولودين من أبنائه من زوجته المفضلة أهوليبامة. ولكن لتعويض ذلك، أنكر كلاً من أبناء أولئك النسوة، الحاصلين على مرتبة أميرية، أبناء عادة وبسمة (36:18). ربما حصلوا على تلك المرتبة بحكم لقب أميرية أمهم. إنه لمن الملاحظ أيضا أن ذرية الزوجتين الأخريتين قد جمعتا معاً (36:10)؛ أولاد أهوليبامة قد سُجِلوا في قائمة منفصلة (36:18). هناك أدلة أخرى في الإصحاح تدل على المكانة الخاصة التي حظيت بها تلك المرأة ومدى تأثيرها على عواطف وثروة عيسو.

2. أسلاف عيسو في أدوم (36:20-30)

كان الحوريون السكان الأصليين للأرض التي أوشك عيسو على امتلاكها (تكوين 6:14). إن أصلهم يعود إلى سعير الحوري. الاسم حوري مشتق من حور والذي يعبر عن "حفرة" او "كهف"-والذي يشكل مرجعاً ظاهراً للحفر والكهوف في الأجراف التي تجوفت من قبل ساكني الصخور. الحفر المُحكمة وأنفاق البتراء تبقى موضوع عجبٍ للسياح حتى يومنا هذا.

عَدَّدَتْ ذرية سعير المسجلة هنا سبعة أبناء وابنة واحدة؛ وأصبح السبعة تسعة عشر في الجيل التالي. تزاوجت ذرية عيسو مع أولئك الناس. على سبيل المثال، تعطي اللائحة أصل تمناع والتي أصبحت سرية أليفاز وأم عماليق. كما أنها تعطي اهتماماً خاصاً إلى سلسلة نسب أهوليبامة، زوجة عيسو المفضلة (36:24-25). تُظهِر سريعاً هذه اللائحة كيفية تحول ذرية عيسو إلى أناس وثنيين بالكامل. اختلط أسلاف الأدوميين الأوائل، وبما أنهم كانوا وثنيين بالكلية امتزجوا سريعاً إلى درجة الانقراض. أولئك الذين يتركون رفقة أناس

الله كيف سريعاً يفتخرون بارتباطاتهم العالمية الجديدة! لم يكن عيسو "غريباً أو مرتحلاً" بين الحوريين. لقد استقر مباشرة واستولى سريعاً على عالم اهتمامهم بشكل كامل.

تضاف ملاحظة واحدة مشوقة لكل الأسماء المختلفة المسجلة لأولئك المستقرين ما قبل الأدوميين في سعير، والتي تتعلق أيضاً بأهوليبامة (36:24-25). تُخْبِر عن كيف قفز والدها إلى الشهرة. إنه الشخص الوحيد من بين الحوريين الذين نعرف أي شيء عنه، أكثر من مجرد ذكر اسمه. لقد قيل بأنه اكتشف بعض "البغال" في البرية ولكن هذا الادعاء لا يؤدي إلى الشهرة. النسخة المنقحة تترجم "ينابيع ساخنة،" والتي تبدو أفضل بكل تأكيد. على ما يبدو أن اكتشافه خلق حركة بين معاصريه في جميع أرجاء البلد. عنى، يبدو أن والد أهوليبامة أُعجِب باكتشافه حتى أنه غير اسمه لبيري (والتي تعني "بئري") وهو الاسم الذي عُرِفَ به في تكوين (26:34). بتعبير آخر، لقد تبجح باكتشافه لباقي أيام حياته.

يجب أن ننتبه بأن والد أهوليبامة لم يكن الوحيد ممن ادعى البروز، ولكن كل اللائحة المعطاة في الأعداد 20-28 والتي تكررت في الأعداد 29-30، حيث أُدرِجت أسماء المسؤولين الرئيسيين كأمراء. يكرر عيسو ويشدد على الموقع الاجتماعي لزوجته. لم يزعجه بأنها كانت من الوثينين ولكنه أعُجب بها لأنها كانت من دماء ملكية، والتي على مايبدو بأنها ذهبت إلى رأسه.

3. إشراقة عيسو في أدوم (36:31-43)

لقد أُعطِينا في البداية لائحة تتضمن "الْمُلُوكُ الَّذِينَ مَلَكُوا فِي أَرْضِ أَدُومَ، قَبْلَمَا مَلَكَ مَلِكٌ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ" (36:31). هؤلاء "الملوك" من المفترض أنهم كانوا رجالاً بارزي القدرة أو القوة، استطاعوا دمج عدة قبائل صغيرة تحت حكمهم. ترأست ذرية عيسو هذا الأمر على ما يبدو، فقد أعطيت ثمانية أسماء، قيل عنها القليل ومع ذلك إثنان استطاعا أن يبرزا؛ واحد اكتسب انتصاراً مرموقاً على المديانيين والآخر حمل انتصاره حتى "النهر" (36:37). ليس هناك تأكيد سواء إلى النيل أو الفرات.

وبالنهاية أُعطينا لائحة أخرى عن أمراء أدوم (36:40-42). من تلك اللائحة الأخيرة نعرف بأن تمنة، أم عماليق، وأهوليبامة، زوجة عيسو المفضلة، كانتا أميرتين.

لقد كانت أهوليبامة امرأة مثيرة للإعجاب. نشأت في كنف أب مشهور، وصنعت اسماً لا بأس به لنفسها. لقد خدمت ككاهنة في المعبد، التقت وتزوجت عيسو، وقادته كما تقود أي إمرأة رجلاً جامحاً وضالاً مثله. بسبب تأثيرها تخلى نهائياً وللأبد عن كل ارتباطاته العائلية حتى يرمي بنصيبه مع شعبها. من خلالها قُدِّم إلى الطبقة العليا من المجتمع والتي تطور فيها وتقدم بعد ذلك. من خلالها حصل أولاده وأحفاده على مناصب القوة في سعير، ومن خلالها أوجدت-مع وجود بعض الشك-اللائحة الملفتة للنظر للأدوميين.

هكذا كان تاريخ عيسو. قبل أن نترك الرجل ليجابه مصيره الحزين، يجب أن نأخذ نظرة أخيرة على الأساس التاريخي الذي نشأ حوله هذا الإصحاح. بعد كل شيء، هناك بعض الدروس الروحية الحزينة، لكنها ذات صلة بالموضوع والتي تجعل الاصحاح مناسباً لنا حتى في يومنا هذا. لدينا هنا نسب الجسد.

نتعلم مثلاً بأن الجسد خصب *جداً*. كم إسماً اعترض انتباهنا بينما نقرأ الاصحاح تباعاً. ينتمي الجسد إلى عائلة كبيرة تعبرعن نفسها بطرق عدة.

إن الجسد *تقي جداً*-عندما يخدم مصلحته. عيسو كان مستعداً لتغيير أسماء زوجاته حتى تتلائم مع المتطلبات الضيقة للإيمان البطريركي. بعد كل شيء، قد تغير اسم أبرام، قد تغير اسم يعقوب، ولما لا يُغَير أسماء زوجاته؟ تغيير الاسم يحدد تغير الطبيعة التي لم تَعنِ أي شيء لعيسو، طالما تم الحفاظ على المظهر الخارجي لفترة طويلة.

إن الجسد *مزدهر جداً* (36:6). في العهد القديم، كان الازدهار علامة للتفضيل الإلهي. يمكن للجسد أن يقلد ذلك.

إن الجسد *مقنع جداً* . الرجوع إلى أليفاز وتمان يحضر إلى أذهاننا أليفاز التماني، والذي من دون شك انحدر من السلالة الأدومية. يمكن له أن يناقش الدين بالساعة، ولديه عمل قديم وفقير في يديه أكثر من مرة وبكد وضع للدفاع عن إيمانه.

إن الجسد *خبيث جداً* ، لذلك نشأ عماليق الخائن والخصم العنيد لإسرائيل من نفس الفقسة. بعد أن لجأ اسرائيل إلى الدماء، أخذ موقف الانفصال، وشرب من ماء الصخرة المُمَزقة-"ثم أتى عماليق." لقد اضطر يشوع في الوادي والسيف بيده وموسى وهرون وحور على الجبل يتوسطون كيما يُهزَم الخصم اللدود.

إن الجسد *قوي جداً* . لقد حظي أدوم بحصن في سعير، الحصن الأكثر مناعة في العالم القديم.

إن الجسد *مثابر جداً* . "في مكانه" ترن مثل اللازمة طوال مقطع واحد من الاصحاح 36. تخلص من مظهر واحد من الجسد فترى آخر مستعد للظهور فوراً في مكانه.

أخيراً، إن الجسد *مغرور جداً* (31:36). سوف يتباهى بأنه حظي بملكه لفترة طويلة قبل اسرائيل.

يا لها من ذرية! بكل راحة نتحول من عيسو وكل قبائله إلى يوسف، الذي سيطر على سفر التكوين من هنا الى النهاية.

2. فتوة يوسف (37: 1-11)

خُصِصَ ربع سفر التكوين عن يوسف. إن الله يطرد خليقة الكون بكلمة-"وَالنُّجُومَ"؛ ولكنه خصص اصحاحاً بعد اصحاح لقصة الرجل الذي لم يكن حتى بالخط المسياني.

يجب أن نتذكر أن موسى كتب سفر التكوين كما كتب الأسفار الخمسة الأولى. كتب موسى من خبرته، إلا سفر التكوين. لقد تعلم التكوين عند ركبتي أمه، لأن التكوين تضمن التقليد الشفهي لشعبه، والذي هُمِسَ به من جيل الى جيل في مخيمات العبودية على نهر النيل. ولكن لماذا خُصِصَ خمس وعشرون بالمئة من سفر التكوين لقصة يوسف؟ لماذا لم تُخَصص مساحة أكبر مثلاً لتطور حضارة ذرية قايين والتي تفرقت في اصحاح أو اثنين. أو لماذا لم تُخَصص مساحة لإستعمار الأرض من قبل القبائل المتناثرة إبتدءاً من بابل، لقد رُوِيَّتْ كل واحدة منها بلسان محير؟

نتصور موسى عند ركبتي يوكابد، عيونه المستغربة متوجهة نحو وجهها، عقله الشاب اللامع مفتوح باتجاه كلماتها. ماذا يجب أن تُعَلِمُه؟ ستحظى به لفترة قصيرة. عاجلاً وعاجلاً جداً، سيأتي الطلب من القصر وموسى سوف يُسحَب منها ويوضع في مدرسة في بلاط فرعون. يمكنها أن تتخيل ماذا سوف سيتعلم هناك. ولكنها حظيت به لفترة قصيرة وعلمته الحقائق التي شكلت بمجموعها جوهر سفر التكوين. وبالنظر لتلك الواقعة-بأن بلاط فرعون سوف يبتلعه للأبد-خَصَصَتْ مساحة غير متناسبة (مع القصص الأخرى) لقصة يوسف. لأن بنفس البلاط ولد عبراني اسمه يوسف أُخضِع لنفس الضغط والإغراء اللذين سيواجههما ابنها. مع بصيرة روحية حقيقية، دربت المرأة التقية يوكابد موسى في قصة يوسف. وعندما كتب موسى سفر التكوين، صادق روح الله على نظرة يوكابد وقاد موسى إلى الكتابة مع نفس النبرة.

لكل الناس التي تذهب وتأتي على الصفحات المشغولة والمزدحمة لكلمة الله، أين يمكننا أن نجد حياة تصور حياة يسوع بجمالية أكثر من حياة يوسف؟ إلمس حياة يوسف في أي مرحلة، ومباشرة سيظهر هذا أو ذلك المظهر لشخص أو عمل المسيح. لقد كانت تلك الميزة التي أعطت يوسف الحق بأن يشغل موقعاً بارزاً في تكوين. الهدف العظيم للروح القدس في حياة أي شخص هو أن يجعله كشبه المسيح، وعندما يعرض أخيراً جمال الرب يسوع، يصبح جائزة نعمة تستحق العرض الخالد.

أ. قيادة يوسف الروحية (37:1-2)

لقد كان يوسف الصبي الأكثر توحداً في التاريخ. لقد كانت العائلة التي ولد فيها الأكثر فوضى تقريباً. مع تفضيل يعقوب لراحيل، ومع إحباطات ليئة وخيبة أمالها، مع التذمر الداخلي للزوجتين الأخريتين بسبب وضعهما الأدنى في العائلة، مع حيل وخدع الجد لابان، مع مزاج العم عيسو الماكر واستيائه العادل، مع الحشد المتعدد للأخوة الأكبر سناً الذين مُنيَّ بهم، شعر يوسف بأنه تعرض لكمين أكثر من أنه وُلِد.

لقد خسر أمه عندما كان في سن المراهقة، إعتبره أخوته الحيوان الأليف للوالد وبناء على ذلك مقتوه بشكل ودي. لقد نُظِرَ إليه كقطعة حلوى وكعزيز في عيني أمه. عندما كان يوسف صبياً صغيراً كان أخوته يعيبون عليه بسبب تعليقاته.

قد قُسِّم صبا يوسف إلى ثلاثة أجزاء: واحد يتعلق بقيادته الروحية، واحد يتعلق بلباسه الباهر، وواحد يتعلق بأحلامه المميزة. قد يبدو تصنيف هذه الأشياء غريباً مع بعضها. على افتراض أن المعلومات الوحيدة التي حصل عليها الأمريكيون عن جورج واشنطن كانت قصة شجرة الكرز، إشارة عابرة إلى سترة حملته، وحلم أو إثنان عن قيادة المستعمرات إلى دول-هذا سيكون معادلاً لما لدينا عن يوسف هنا.

لو أعطي لنا أن نكتب قصة يوسف، لكنا وصفنا البلدة التي ولد فيها وأعطينا أمثلة عن طرقه الأولى كشاب وبراعته الفائقة في المدرسة، لوصفنا تصرفاته اللطيفة وشخصيته المزدهرة، لناقشنا خضوعه المبكر للإدارة، ولوضحنا علاقته بأهله وإخوته ووجدنا مواقفاً تدل على اهتمامه النامي بالأمور الروحية. يمر الروح القدس على مثل هذه الأمور فسيرة حياة الأشخاص تصنع وتركز على ثلاثة أحداث.

هذا كان الدافع الروحي ليوسف، لقد وُصِفَ بحادثتين من العناية التي لا مثيل لها. كان والد يوسف راعياً مع قطيعٍ كبير. عندما كبروا بما يكفي، وضبوا أنفسهم واحداً تلو الآخر لتعلم حيل التجارة. شكل الأولاد الأربعة للسراري فريقاً طبيعياً. لم يكن من المُحَبب في تلك الأيام الصعبة للراعي بأن يعمل لوحده في تلك التلال. لم يكن هناك حيوانات برية وقطاع طرق فقط، ولكن شيوخٌ عديمي الضمير أيضاً. لذلك توحد دان ونفتالي مع جاد وأشير مشكلين فريقاً.

عندما حان الوقت، أُرسِل يوسف كيما يتعلم أسرار تجارة يعقوب. لقد كان المفضلاً، ولكن حتى يحصل على إشراقة والده المعدة له بسرية، كان عليه ان يتعلم تجارة العائلة تماماً. يجب أن يتعلم كيف يرعى الخراف، كيف يزاوجهم من أجل أفضل النتائج، كيف يقودهم من مرعى الى آخر، كيف يحدد مكان المياه، كيف يصد الوحوش الضارية، كيف يرعى الأعرج والمريض والضعيف. لقد زان يعقوب الصفات المتعددة لأولاده وأرسل يوسف مع تلك الفرقة الخاصة.

في مرة واحدة تقريباً، واجه يوسف أول تجربة لصبي بعيد عن البيت. بالمقابل لخلفية تلك التجربة، استقامة يوسف الروحية قد شوهدت أولاً. *لقد جُرِّب بالطاعة*.

"وَلاَ تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْرَ،" يقول بولس (رومية 2:12) او كما يشرح فيلبيس، "لاتجعل العالم من حولك يعصرك في قالبه." إن العالم يحتفظ بضغط مستمر علينا، ونشعر به أولاً عندما نبدأ عملاً جديداً أو نتعرف على صديق جديد. لقد كان عمر يوسف سبعة عشر عاماً تقريباً وكان بعيداً عن المنزل. لأول مرة في حياته، كان على وشك الحصول على منافس لعاطفة أمه، لأنه خلال سنة سيولد بنيامين. لقد كان محتاجاً بشكل مفرط للشعور بالانتماء، لذلك ضُغِط ليتكيف.

عندما كان أوغسطينوس بعمر يوسف، أرسله والده الى قرطاج للحصول على تعليم أفضل. كان عليه البقاء في منزل شخص مرموق وغني اسمه رومانيوس. في 369 للميلاد وجد أوغسطينوس نفسه في واحدة من أفتن المدن في العالم. وصل قبل شهر من بدء دراسته حتى يتأقلم مع بيئته الجديدة.

في منزل رومانيوس قابل ماركوس، ابن أخيه المرموق والمدلل. لقد عرض ماركوس على أوغسطينوس بأن يلقنه دروساً في حياة الضوضاء في عاصمة العالم الرذيلة، ورغب أوغسطينوس بالطاعة ووافق. بعد عشاء فاخر أبحر الإثنان في ليلة صاخبة. ذهبوا أولاً إلى ساحة هاربر حيث-كما كان يفعل الإغريق القدماء-كان يقضي المتكاسلون وقتهم في سماع ورواية أي شيء جديد أو غير مألوف. ثم، انطلقا إلى كشك ليحتسيا جولة أو اثنتين من النبيذ، بالرغم من اشمئزاز أوغسطينوس الداخلي للكحول. وبعد ذلك أتت النظرة إلى الشهوة وعرض الضوضاء. ثم تجاوز حمامات سباحة ماكسمانيوس مع وعد بأن يأتي لاحقاً ويسعد ببهجتها وتجاوز المعبد الفاسق للتانيت مع قذارته ورقص الفتيات المثير بالمشهد الكامل. ثم إلى منزل ذو سمعةٍ رديئةٍ، هناك انسحب أوغسطينوس. صرخ "لن نذهب الى هناك؟".
"أين أيضاً" سأل صديقه الجديد.
"هل أتيت إلى هنا قبل الآن؟"
"أتيت إلى هنا! أنا دائماً آتي إلى هنا."
"أوه!" قال أوغسطينوس.
"هيا بنا،" صرخ ماركوس. "ماذا ننتظر؟"

مثل غنمة سيقت للذبح، تجرأ أوغسطينوس على الذهاب إلى الداخل. عندما أصبح في الداخل، فكر بوالده الذي اهتم بعدم كَسْر قوانين الله. استذكر بنظرة عابرة حياة والدته القديسة ووجهها الجميل ودموعها الكربة. ثم نُخِسَ باستهزاء ماركوس، سلم نفسه للخطية.

يوسف، لوحده مع أخوته، بعيداً عن المنزل، تصادم، دُفِعَ بالمرفق، وحُشِرْ. بالرغم من الضحك على نكاتهم والضغط المتواصل للخضوع، رفض أن يفعل ما فعله أوغسطينوس. يُسقِط سفر التكوين تلميحاً كافياً عن أبناء يعقوب لنلاحظ شخصياتهم. أسماءهم، الأشياء التي كُتِبَت عنهم في الواقع، طبيعة الأشياء التي قالها يعقوب عنهم كلها تمنحنا تلميحاً. إعادة بناء حذر ترينا ما كان عليه يوسف مقارنة بأخوته الأكبر منه؛ احتقره كل واحد منهم لأنهم كانوا أبناء الجواري وأما هو فكان ابن الزوجة المفضلة. كِرهُهُم ليوسف يمكن أن يصرف الآن إلى التمام، لأنهم أخذوه بعيداً عن عيني يعقوب المراقبتين.

وها هو دان الذكي، مثلاً؛ دان مع نظرته الثاقبة، عقله المحامي الحاد، ومهاراته التهكمية بتلخيص الحادثة، وقدرته على تصغير حجم الشخص، ومهارته في طرح الأسئلة التي تخترق ذات الروح. كان لدى دان طريقة ذكية بالحكم على الآخرين. يمكنه أن يجعل الشخص يشعر بأنه صغير كحبة الرمل. قد يحمل في أسئلته المستمرة وسخرياته القاطعة، طريقة الذكية في لوي الأمور. لقد كان يوسف، الشاب المثير للشفقة، مع دان.

وها هو نفتالي، طائش، هائج، غير مهتم، "كغزال طليق." هناك دائماً شيءٌ جميلٌ وودودٌ عنه. كان من الصعب أن يُمْسَك ومن الصعب أن يكبح. لديه شغف نحو الهيجان والجموح، وكرهٌ للقيود، وسخرية على القانون والنظام. عليه أن "يتصرف بأموره الخاصة." بطرقه الهائجة قد يُشْعِرْ يوسف بأنه محتشمٌ. إذا كان هناك شيء لا يطيقه نفتالي فهو نوع الصبيان السخيف، الحيوان الأليف للوالد. كان يوسف مع نفتالي.

وها هو جاد. يعني اسمه "الكتيبة." ربما كان هناك شيء ما عن جاد تذوقته العصابات. لقد كان من النوع المتنمر، ربما من النوع الذي يفتعل شجاراً عندما يكون الوضع هادئاً، عندما يكون إلى جانبه عددٌ من الناس. "هيا يا ولد، اشرب هذه او سنقوم أنا وأصدقائي باستخراج القطران منك." هل جاد كذلك؟ كان يوسف مع جاد، وكان جاد مع الصبية.

وماذا عن أشير؟ كما نقول اليوم، أحب أشير "أن يشرب من رأس النبعة" أو كما يضعها مصطلح اللغة في يومه، لقد أحب "أن يغمس رجله في الزيت." ما أراده أشير هو كماليات الحياة، أمور البذر، ثروات الحياة وملذاتها. لقد أراد ان "يعيش عالياً،" مدللاً نفسه. لقد افتقر للعطف مع بساطة وحيرة ووجدان يوسف. "كل واشرب وتزوج،" هي فلسفة أشير. وكان يوسف مع أشير.

وكذلك نقرأ، "يُوسُفُ إِذْ كَانَ ابْنَ سَبْعَ عَشَرَةَ سَنَةً، كَانَ ... مَعَ إِخْوَتِهِ وَهُوَ غُلاَمٌ عِنْدَ بَنِي بِلْهَةَ وَبَنِي زِلْفَةَ امْرَأَتَيْ أَبِيهِ." لقد كان مع دان الماكر، ونفتالي المهمل، وجاد الجبان، وأشير الخبير. لقد كان هناك معهم، وحيداً وغير مرغوبٍ فيه في البلاد، بعيداً عن المساعدة وعن المنزل.

لو تواجد أي شخص في حالة مشابهة، لتعاطف مع مأزق يوسف. كان العنف إحتمالاً قائماً دائماً، ولكن بعيداً عن هذا، صارت حياته جحيماً، إلا إذا تنازل ونزل إلى مستوياتهم وخضع لممارساتهم وجعل من نفسه شريكاً لإثمهم.

ثم أتت *تجربة الإخفاء*. لا يعطي العديد من المفسرين يوسف حقه عند تلك النقطة. يصورونه كفاشٍ للأسرار، يركض من البيت إلى والده ليخبره القصص عن إخوته-مخبر العائلة الجبان. لم يكن من ذلك النوع. لا يوجد أي شيء في النص يؤكد هذا التفسير. من كل ما نعرفه عن شخصية يوسف لا نجد دناءة أو دنو بل هذه الأشياء غريبة عنه. على الأغلب قد طلب منه والده أن يعطيه تقريراً عن سلوك أولاده لأن يعقوب شعر وبشكل قوي بعدم الأمان في كنعان، عدم الأمان أثير بسبب سلوك أولاده. لقد كان جزءاً من إشراف يوسف وكوكيل لوالده، بأن يبلغ عن الأفعال الجامحة لأولئك الصبية. سلوكهم عرض كل القبيلة للخطر. كان يوسف بالتأكيد تحت ضغط كبير لكتم الأمر.

يستأسر مارك توين الموقف. لقد شاهد توم سوير وهاكلبري فين صدفة جريمة الدكتور الشاب روبنسون للهجين انجون جو. لقد رأوا كل شيء وكيف قام الهندي بزراعة سلاح الجريمة في ضمير شريكه، موف بوتر. عندما فُرِّغ الساحل ركض الصبيان المذعوران من أجل حياتهما ثم عقدوا مجلس متسرع للحرب.
"هاكلبري، كيف تقدر ما سيأتي من هذا؟"
"أقدر بأن الشنق سيأتي من هذا."
ففكر توم قليلاً ثم قال، "من سيخبر؟ نحن؟"

لقد تنبه هاكلبري إلى فكرة، "عن ماذا تتكلمون؟ من المفترض أن شيئاً قد حدث وانجون جو لم يعلق؟ لماذا سيقتلنا في الحين أو الآخر، كما إننا متأكدون من موته، سوف نسكن هنا."

فعقد توم وهاكلبري ميثاق مقدس. قال توم، "هاك، هل أنت متأكد بأنك تستطيع حفظ السر؟"

"توم، علينا أن نحفظه. أنت تعرف ذلك. والآن انظر هنا توم، خذ قليلاً ثم نقسم كل واحد للآخر، هذا ما علينا فعله، نقسم ونسكت."

لقد صُنِع يوسف من مادة أقسى. يقول الكتاب المقدس بأنه هناك "لِلسُّكُوتِ وَقْتٌ وَلِلتَّكَلُّمِ وَقْتٌ." كان اهتمام يوسف حتى الآن بوقت التكلم. بالنسبة له حتى يخبر يعقوب عما رآه تطلب شجاعة كبيرة. "انظر هنا، أيها الولد،" ربما أربعتهم قالوا، "إذا ذهبت لتبشير الشيخ عن ماذا رأيت سوف ندخلك في بعض الليالي المظلمة، أبقي فمك مغلقاً، هل تفهم؟" في بعض المرات من الأسهل للإنسان أن يحفظ لسانه من أن يقف شاهداً على الأخطاء التي رآها.

ما تُظهِره اللمحة الأولى عن يوسف هو دوافعه الروحية. نرى مراهقاً لم يحظى فقط باهتمامات متجذرة بما يتعلق باستقامته وأخلاقه وممارساته الصالحة، بل أيضا فتاً بقناعاته الشجاعة.

ب. قميص يوسف الرائع (37: 3-4)

" وَأَمَّا إِسْرَائِيلُ فَأَحَبَّ يُوسُفَ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ بَنِيهِ لأَنَّهُ ابْنُ شَيْخُوخَتِهِ، فَصَنَعَ لَهُ قَمِيصًا مُلَوَّنًا." من بين كل الأشياء التي كان يمكن للروح القدس أن يسجلها عن يوسف، سجل هذا. لقد كان قميصاً مميزاً، نوع القميص المُعطى يُخَصَص عادة للابن الوارث لأبيه، والذي يُلبَس عادة من قبل الزعيم الشرقي. أظهر يوسف كالشخص الذي قصد يعقوب أن يورثه إمامة القبيلة ونصيب الأسد من ثروته. لقد فصله عن إخوته ووضعه بشكل معادل تماماً مع والده.

حدق أخوته والآخرون بذلك القميص بغيرة علنية. حدق به رأوبين البكر، ورأى مستقبلاً من النخب الثاني بانتظاره. يهوذا حدق به، شمعون القاسي حدق به، وكذلك لاوي. الأبناء الأربعة للجواري رأوه، وأضافت رؤيته سماً طازجاً لكراهيتهم. لقد وضع يوسف ذلك القميص على كتفيه الفتيين ولبسه بكل صراحة وسهولة كما هو، كحقه الطبيعي. وبعد كل شيء، ألم يكن هو بكر والده؟ ألم يكن هو البكر من راحيل، العروس الحقيقية لقلب يعقوب؟ كان القميص قميصه وحقه، بغض النظر عما فكر أخوته الحاسدون. وكذلك كان. كان له بالفضيلة وبالعلاقة المميزة التي ربطته بوالده وبالعفة في حياته البريئة، الحياة التي طَرَحَت في الفَرَجِ المُظلِم سوء التصرف المزمن لأخوته. قميص المركز والكهنوت، والامتياز كان له.

ثلاثة أشياء رُبِطَتْ في القميص، قدمها يعقوب ليوسف في ذلك اليوم. عندما فتح يوسف الهدية ورآها أمامه، رأى بلحظة كل ما تضمنته. أخوته الحاسدون رأوها أيضاً.

تحدث القميص عن *الكهنوت*. كان يجدر بالكهنوت العائلي أن يذهب إلى رأوبين، ولكن تَقَلُّبَ رأوبين الأساسي كان معروفاً لدى يعقوب. لذلك، أعطيت الوصاية على الكهنوت إلى يوسف منذ ذلك الوقت. تحدث ذلك القميص عن *السلفية*. وتلك أيضاً كان يجدر بها أن تذهب إلى رأوبين-الحق بأن يكون واحداً ممن سيأتي من سلالته النسل الموعود. خلال سنة، سوف يُخزي رأوبين نفسه بليلة من شغف شهواني. ومرة أخرى، للوقت الحاضر وبأية حال، يوسف هو فقط المؤهل كيما يكون وريث يعقوب فيما يتعلق بموضوع الكهنوت. تحدث ذلك القميص عن *الأفضلية*. لقد كانت العادة للولد البكر بأن يحصل على ضعف الحصة من ممتلكات والده، أي يحصل على ضعف ما يحصل عليه الأبناء الآخرون. كان يجب على الحصة المضاعفة أن تذهب إلى يوسف؛ القميص أعلن هذا والتاريخ أكده.

لقد تحدث القميص المعطى ليوسف عن مجلدات من المكانة الخاصة التي حظي بها يوسف في قلب والده، وتصميم يعقوب على أن يرى ابنه المحبوب مرتفعاً في الأعالي. تصرف يعقوب القديم واضعاً قيم الأبدية في مرآه، لأن تصرفه كان ذا أهمية ومعنى نموذجيَّن. نلتقط من وراء قصة يعقوب ويوسف لمحة عن سرور الآب في ابنه المحبوب والمميز، بكره. وراء يعقوب ويوسف نرى الآب بشركة مع ابنه، واجِداً كل بهجته فيه، ومقرراً بالرغم من ذلك، حكم مجيئه إلى العالم. سيحصل على أقارب بحسب الجسد، ولكنه سيكون متميزاً عنهم كلهم ومتجاوزاً جميعهم. سيكون الكهنوت، الملكية، والقوة ملكه، لذلك تصرف يعقوب بطريقة جعلت الله يعرض من خلاله عظمته في بعض التدابير والأفكار الإلهية. سنصلي بأن يفعل نفس الشيء من خلالنا.

ت. أحلام يوسف المثيرة (37:5-11)

نعرف أحلام يوسف عن ظهر قلب. لقد حلم مرتين. رأى في المرة الأولى حقلاً والحزم مصطفة في صفوف. وهناك كانت حزمته وحزم اخوته. ولكن ماذا حصل؟ حزمهم سجدت لحزمته! وحلم ثانية ورأى الشمس والقمر وإحدى عشر كوكباً ساجدة له. لقد أخبر أهله بأحلامه، في الحقيقة لقد قُيد بواجب إخبارهم لأن هذه الأحلام لم تكن له وحده فقط. كان معنى تلك الأحلام واضحاً لدرجة أنها لا تحتاج إلى مفسر. لقد غضب أخوته لمجرد تلاوتهم، كما غضب اليهود في وقت لاحق من المسيح لقوله الحقيقة عن نفسه.

كان هناك حلم *الحزم*، حلم المركز والسلطة، ولكنهما المركز والسلطة المرتبطين بالأرض. كان الحقل رمزاً لمصادر العالم، سخاؤه، تبذيره وغناه. لقد شوهد أولاد يعقوب يحصدون ثروات العالم، ولكن يوسف هزمهم كلهم. في النهاية، لقد أُجبِر أخوته على الإعتراف به. كان حلم السيطرة بأن يوسف سوف يسيطر على *مصادر* العالم. لقد تحقق الحلم في سيطرة يوسف المطلقة على مصادر مصر.

ثم كان هناك حلم *الكواكب*. وقد كان أيضاً حلم المركز والسلطة. نتعلم من تكوين 1 بأن الشمس والقمر كانا رمزين للحكم-إنهما يرمزان إلى المجموعات العالية التي تسيطر على أقدار البشر. في الأيام الآتية سوف يُعطى يوسف أمر قيادة *حكام* العالم. وقد تحقق ذلك حرفياً في مركز السلطة التي حصل عليها يوسف في مصر، سلطة عظيمة، حتى أن فرعون خضع لإرادته.

تلك الأحلام لم تُستَنزَف في التاريخ الشخصي ليوسف بل هم ماضون إلى ما وراء يوسف، إلى المسيح. ألم يعطي الله ابنه السيادة المطلقة على هذا الكوكب؟ سيأتي يوم عندما يتمجد المسيح وتركع كل ركبة له " مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ." ثم كل *المصادر* وكل *حكام* الكوكب سوف تخضع له. اسرائيل أيضا، ستعترف بالمسيح كرب، كما اعترف اخوة يوسف الكارهين له أخيراً.

قص يوسف أحلامه على أخوته. لقد اختبر غيرتهم وحقدهم سابقاً، ولكن كان عليهم أن يعرفوا حق الله، حتى لو دفعهم الحق إلى العنف. بعد أن قص يوسف أحلامه، لم يستطع أخوته أن يتكلموا إليه بسلام بعدها. بعد وقت قليل حاولوا التخلص منه نهائياً وإلى الأبد، لكنهم صفوا حسابهم بدون الله كما يفعل الناس عندما يتخيلون بأنهم يستطيعون أن يتخلصوا من ابن الله.

3. خيانة يوسف (37:12-36)

وصلت دراسة الرموز إلى مرحلة صعبة. هناك مدرسة فكرية تصرح وعلى مضض بأن أولئك الناس والأماكن، الأحداث والمواضع المسماة بشكل خاص في العهد الجديد فقط تشكل نماذجاً تصلح وبشكل شرعي بأن تكون نماذجاً. وهناك مدرسة أخرى ترى دراسة الرموز هنا وهناك وفي كل مكان في العهد القديم. أحياناً يعرض دعاة ذلك الإيمان بعض الأشياء على أنها نماذج في حين أنها ليست كذلك. طرفا النقيض خاطئان. التفسير السليم سيمنع استيراد حادثة متطرفة وأفكار خيالية للعهد القديم باسم دراسة الرموز، ولكنه لن يمنع، بكل تأكيد، إشارتنا إلى التطابقات الواضحة بين الأمور الحاصلة في العهد القديم والحق في العهد الجديد.

إن الرموز نوع من أنواع النبوءات. الكنيسة مثلاً، لم *تُظهَر* في العهد القديم ولكنها بالتأكيد *خِفيَت* في العهد القديم-بالرموز. بوجود العهد الجديد في أيدينا نرى بأنها أُخفيت في عدة أماكن. نراها في بعض عرائس العهد القديم، في عدة جوانب من طقوس اللاويين وفي بعض أجزاء خيمة الاجتماع. يجب ألا نستغرب أن يوسف نموذجٌ للمسيح، حتى لو لم يُذكَر بشكل خاص في العهد الجديد بأنه كذلك. التشابهات بين يوسف ويسوع سوف تظهر باستمرار في دراستنا.

أ. كيف أُرسِلَ يوسف إلى أخوته (37:12-17)

بالمستوى الإنساني والتاريخي، لقد وصَّفنا هنا طبيعة قلق العائلة الحريصة على أبنائها المتمردين. لقد كانوا بعيدين لفترة، ولم تصل أخبارهم إلى يعقوب. الأب القلق، مع معرفته بالمخاطر المحيطة بأولاده، ومع معرفته بنزعاتهم المتمردة، قرر فعل شيء يجب فعله. يجب أن يرسل شخصاً ما لإيجادهم، ومن أحسن من يوسف؟ لذلك تمت *مناقشة المهمة* (37:12-14). "وَمَضَى إِخْوَتُهُ لِيَرْعَوْا غَنَمَ أَبِيهِمْ عِنْدَ شَكِيمَ. فَقَالَ إِسْرَائِيلُ لِيُوسُفَ: أَلَيْسَ إِخْوَتُكَ يَرْعَوْنَ عِنْدَ شَكِيمَ؟ تَعَالَ فَأُرْسِلَكَ إِلَيْهِمْ. فَقَالَ لَهُ: هأَنَذَا. فَقَالَ لَهُ: اذْهَبِ انْظُرْ سَلاَمَةَ إِخْوَتِكَ... وَرُدَّ لِي خَبَرًا. فَأَرْسَلَهُ مِنْ وَطَاءِ حَبْرُونَ."

لقد كان عمر يوسف أنذاك حوالي ثمان عشرة سنة. ربما لفضل البقاء في المنزل في حبرون-تعني الكلمة "الشركة"؛ إنها تقترح رفقة يوسف وشركته لوالده. ابتهاج البيت كان في حبرون ولكن لم يكن هناك ترددا، لا يوجد أي كلمة عن الصعوبات، عن المسافة، عن الأخطار. لقد عرف والده بهذه الأشياء كما عرفها هو وقد كان مستعداً أن يضحي، وكان يوسف مستعداً أن يفعل تلك الامور ليرضي والده. جوابه المباشر كان، "هأنذا." يمكن للشخص أن يسمع تقريباً الشيخ يعقوب يقول لنفسه، عندما أجابه يوسف بكل حرية، *بالتأكيد سوف يحترمون ابني.*

يأخذنا هذا المشهد إلى الأزل وإلى حبرون السماوية، مدينة الله الأبدية. هناك حيث تمتع الآب والإبن بالشركة الأزلية المتواصلة. لقد تشاركوا معاً بخليقة كوكب الأرض، خليقة الإنسان، الذي صُوِّرَ على صورة وشبه الله، دخول الخطية إلى العالم والموت بالخطية، طرد السلالة من الفردوس، والإفتداء التالي للإنسان. كما عرف يعقوب الأخطار المحدقة بولده، كذلك تنبأ الآب بكل مخاطر الطريق من بيت لحم إلى شجر الجلجثة. "تعال،" قال الآب، "سأرسلك."

"ها أنا ذا،" كان الجواب الفوري.

لقد *أطلقت المهمة* (37:15-17). لقد كان الطريق من حبرون إلى شكيم طويلاً في تلك الأيام. كانت حبرون في الجنوب وتبعد شكيم ستين ميلاً في التلال التي تتوسط كنعان. كانت دوثان أبعد، إثنا عشر ميلاً شمال السامرة باتجاه سهل إسدرا إيلون على طريق القوافل النازل من الشمال إلى مصر. كانت دوثان صغيرة، سهل مستطيل يكمل يضم أفضل المراعى في البلاد. لقد سار يوسف بذلك الطريق كله باحثاً عن أولئك الشاردين من البيت. لم يتريث الأولاد في شكيم؛ لقد كان مكاناً للذكريات الشريرة. هناك قام شمعون ولاوي بذبح أهل شكيم. قد يريد الشيوخ المحيطون بتلك المنطقة أن يتخلصوا بالفعل، من ذلك الجنس المزعج.

أقتيد يوسف من قبل شخص غير مسمى، محتملاً مشاق وحر اليوم، قشعريرة وبرد الليل. كمن وحوش البرية واللصوص في الطريق وفي المقدمة كان أخوته. لقد علم يوسف ما هو الإستقبال الذي سيتوقعه منهم. ولكنه كان ينفذ مشيئة والده لذلك تابع بكل فرح وسعادة.

حبرون! شكيم! دوثان! أسماء تلك الأماكن تخبر عن أشخاص شاردين من المنزل، بالإضافة إلى عمى روحي وأخلاقي. *حبرون* تعني "الشركة،" ولكن تَرَكَ أولئك الأولاد ذلك المكان منذ زمن بعيد. لقد اقترحت حبرون خسارة الجانب *الروحي* للأشياء. هل اهتم هؤلاء الصبية بمشيئة والدهم؟ للشركة معه ولمحبته؟ لقد كانوا متمردين وعنيدين، راغبين بطريقهم الخاص، مستهترين باهتمامه بهم ومملوئين مرارة تجاه ابنه المحبوب. خسارة المرء الأولى هي الخسارة الروحية، وتليها خسارة الشركة مع الله والإنفصال عنه بسبب خطيئته وأعماله الشريرة، والمحافظة على ذلك البعد بالعداء تجاه المسيح.

تعني *شكيم* "القوة." لقد ترك الصبية مكان القوة أيضاً. كانت شكيم المكان حيث فَقَدَتْ فيه دينا اختهم براءتها الروحية، وشمعون ولاوي إستقامتهم الروحية. كانت شكيم مكاناً مشؤوماً، المكان الذي عُرِض فيه الشغف البشري ببشاعة دنيئة. الآن لقد تركوا شكيم كلها. خسارة المرء الثانية هي خسارة *أخلاقه*. لقد أحضر آدم معه من جنة عدن حساً أخلاقياً، معرفةً للخير والشر، ولكنه لم يُخرِج معه أي قوة ليفعل الصحيح أو ليتجنب الخطأ. لقد ترك المرء مكان القوة الأخلاقية حالما وصل إليها. يقول الله، " لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ" (رومية 12:3). ويقول أيضاً "إِذْ كُنَّا بَعْدُ ضُعَفَاءَ... مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا" (رومية 5:6-8). يمكن للمرء أن يطلب من الميت أن يكتب مقطوعة أوبرا تماماً كما يقول للخاطئ أن يثمر حياة أخلاقية مقبولة لدى الله.

تعني *دوثان* "البئرين،" وهناك استقر الصبية كيما يتمتعوا بالأشياء المادية في تلك المنطقة. ربما جف واحد من الأبار في ذلك الحين، لأن البئر الجاف كان سجناً ملائماً ليوسف. كانت دوثان المكان الذي شدد على الجانب الجسدي للحياة. لقد كانوا بعيدين عن المنزل. يجرون من مكان لآخر وقد استقروا كيما يتمتعوا بما تقدمه الخليقة من راحة.

وجدهم يوسف هناك. لقد أطلِقَت مهمته، لقد قَدِمَ من حيث أتوا وأحضر معه أنباءً من المنزل، أخباراً سعيدةً بالحقيقة-أحبهم الآب واشتاق إلى عودتهم. لقد كان مرة مرفوضاً، مباعاً بسعر العبد، أعطي للأمميين، وموّه غيابه بكذبة.

يتكلم كل ذلك عن المسيح. خارج الأماكن العاجية يأتي، إلى عالم من البلاء كيما يعالج طريق الطاعة. لقد أتى مقاداً من الروح القدس، لأن مَنْ مِنَ الممكن أن يقود ابن الله؟ لقد نزل الروح عليه عند مَسْحِه، روح الحكمة والفهم، المشورة، القدرة والعلم. مثل يوسف، الرب يسوع "إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ" (يوحنا 1:11). هو أيضاً بيع بسعر العبد وسُلِمَ إلى الأمم، إختفاؤه النهائي وقبره الفارغ، موّها من قبل اليهود بكذبة.

ب. كيف نظر أخوة يوسف إليه (37:18-27)

لقد رآه أخوته قادماً. تلفت القصة النظر إلى ضمائرهم الشريرة (37:18-23). كانوا هناك، مستلقين على العشب بالقرب من الآبار، مع الأغنام المنتشرة في المرعى. ربما كانوا يضحكون على بعض نكات رأوبين الخليعة، يتآمرون بكل نذالة في الحي، او يأكلون وجبة منتصف النهار. واحد منهم، ليس كالآخرين، كان يراقب الأغنام خوفاً من قطاع الطرق أو الذئاب. صرخ، "مهلاً،" احزروا من أتى! إنه حبيب أبينا الصغير. "وبالحال إصطفَّ أخوته متقاربين، لأن روح الله يسجل *كرههم المشترك* ليوسف (37:18-19). أيا كانت الشجارات بينهم، فقد اتحدوا في كرههم له. "فَلَمَّا أَبْصَرُوهُ مِنْ بَعِيدٍ، قَبْلَمَا اقْتَرَبَ إِلَيْهِمِ، احْتَالُوا لَهُ لِيُمِيتُوهُ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: هُوَذَا هذَا صَاحِبُ الأَحْلاَمِ قَادِمٌ."

هذا ما أغاظهم بالأكثر-أحلامه. إن كان هناك شيئاً واحداً صمموا ألا يفعلوه، فهو الركوع تحب ركبة يوسف. لا يهم ما إن كان الله بذاته قد أعد يوسف من أجل علو الشأن والقوة، فهم لن يمنحوه ذلك.

إنه من الملاحظ كيف يصطف الشعب اليهودي منغلقاً ضد المسيح. التاريخ اليهودي الذي يجد أنه من الضرورة أن يذكر يسوع ينكر إلوهيته بشكل قاطع[1].

بعد أن وصفوا عداوتهم المشتركة تجاه يوسف، يشرح السرد لاحقاً حسدهم *المُستَهلَك* (37:20-23). لقد قالوا، "فَالآنَ هَلُمَّ نَقْتُلْهُ وَنَطْرَحْهُ فِي إِحْدَى الآبَارِ وَنَقُولُ: وَحْشٌ رَدِيءٌ أَكَلَهُ. فَنَرَى مَاذَا تَكُونُ أَحْلاَمُهُ." تصرفهم الأول كان بتجريده من قميصه، القميص الذي أعطى التركيز على حقدهم.

مع اقتراب يوسف يمكننا أن نسمع تقريباً مناداته المبتهجة، "سلاماً يا اخوتي! السلام لكم." ولكن قفزوا عليه مع صراخ غاضب. لوى واحدٌ ذراعيه، مزق الآخر قميصه، صده الآخر بوحشية في الطين، قذف الآخر الشاب على ظهره، وركله الآخر على أضلاعه. "الآن أيها الحالم! أخبرنا ما هو حلمك!" مثل مجموعة من الكلاب قطعوه ومزقوه، كل رغباتهم إلتهبت. بنفس الطريقة نطحت سلالتهم، الثيران القوية لباشان، ابن الله.

بعد أن أظهر جميعهم ضميرهم الشرير، تسرد القصة تالياً *الشر الإجرامي* لرأوبين (37:21-22، 29-30). رأوبين، الأكبر كان رجلاً متميزاً بعدم الإستقرار، اضطرب الآن بين الحس بالمسؤولية وبين حس إنعدام تأثيره. لم يكن يتمنى ليوسف الموت، ولكنه لم يجرؤ على أن يدافع عنه في وجه سخرية وحقد الآخرين. لقد قرر بأن يجرب التسوية ولكن وكالعادة، التسوية لا تنفع. الشر النشط أقوى دائماً من الخير الفاتر. لقد احتاج يوسف إلى موقف جريء وليس إلى إقتراح ضعيف؛ بوضعه في البئر مع رجاء غامض بتحريره وإرساله إلى المنزل. كان بيلاطس مثل رأوبين، متذبذباً بين الخير والشر عندما تواجه مع يسوع.

كان تشارلز داروين "كرأوبين." كان كسولاً في شبابه، أهمل دراسته في شروزبري وفشل في جامعة إدنبرغ. وضع والده الغني ضغطاً عليه؛ كان على تشارلز أن يحقق شيئاً جديراً بالاهتمام أو سوف يُقطَع عنه المال. قرر الشاب داروين بأن يصبح كاهناً، فذهب إلى كامبريدج كيما يدرس لخدمته. وهناك أيضاً أضاع وقته، رافق أصدقاءً سيئين، عاش حياةً غير منسجمةٍ مع الدعوة التي تعهد بها. ولكن قُبِضَ عليه! لقد خذل والده مرتين؛ لم يجرؤ على مراسلة المنزل ثم قال بأنه الآن نادم على قراره. لقد كانت خصائص عدم الإستقرار، وتزعزع الآراء ما جعله يتابع تدريبه اللاهوتي، مترجياً الأفضل.

لقد تخرج من الكلية ولكن، تلهف لتأجيل اليوم الشرير عندما كان عليه أن يبدأ بمهنته، لقد تسجل كعالم طبيعة على *البيغل*. على تلك الرحلة قرر أن يجمع الأدلة حتى يثبت نظرية التطور، وليس طويلاً حتى إقتنع بحقيقتها. ولكن الآن لديه مشكلة أخرى، فنظرية التطور قد قُدِّمَت قبلاً، ولكنها لم تكن مشهورة بين العامة. لذلك تأرجح تشارلز ذهاباً وإياباً بين الرغبة في ربح الشهرة وبين الخوف من احتقار العالم. ثم، كما حدث مع رأوبين، توالت الظروف. لقد استلم رسالة من كلية تسأل نصيحته عن مخطوطة مرفقة. اكتشف داروين المذعور أن مراسلاته قد سُرِقَتْ. لقد سرقت المخطوطة ضجيجه عن التطور. وضعها في درجه، محاولاً أخذ قرار بما يجب أن يفعله. أخيراً وبعد عدة أشهر مؤلمة، قرر بإعطاء والاس شرف اكتشاف نظرية التطور ليغير رأيه في اليوم التالي. في النهاية تشارك كتابة العمل مع والاس ثم دُفِعَ قدماً بعمله *أصل الأجناس*.

كان المجتمع الأكاديمي ضده كلية، وبدأ داروين يرجو بأن لا يسقط بين خيارين-الكنيسة من جهة والعالم العلمي من جهة أخرى. ثم بدأت الظروف بالسيطرة مع إنتقام. هكسلي وهوكر، المقاتلين الملحدين والماديين كلاهما طعنا داروين بظهره وبدأا بترويج متطرف لأفكار داروين، والتي منذ فترة أخيف وأرهب كل المعارضين لها، في سكون.

ولكن هوجم داروين الآن بشكوك جديدة. لقد هُلِكَ إيمانه بالعهد القديم، لم يعد يقبل العجائب في العهد الجديد، فانتهى مجرداً من أي أثر للإيمان. وللإنتقام من مرضه وتقلقله، أصابه إعتلال صحي. رجلٌ قويٌ ورياضيٌ مع قانون سليم، كان مريضاً دائماً. مرضه ليس مجرد ذنبٍ! جاءت أعراضه الجسدية بسبب قلق مزمن. لذلك دفع ثمن تردده بصحته وإرتداده بروحه. تنازلاته وحيرته جعلت منه وبكل بساطة أداة لرجال أقوى. وفعلت نفس الشيء برأوبين.

حاول رأوبين أن يرضي أخوته على حساب ضميره، فأصبح مذنباً بجرم مُضاعَف، التردد في النهاية هو قرار. بعد أن أعطينا لمحة عن ضعف رأوبين الإجرامي، تخبر القصة الآن عن *حسابات* يهوذا *العالمية* (37:25-27). "25 ثُمَّ جَلَسُوا لِيَأْكُلُوا طَعَامًا. فَرَفَعُوا عُيُونَهُمْ وَنَظَرُوا وَإِذَا قَافِلَةُ إِسْمَاعِيلِيِّينَ مُقْبِلَةٌ مِنْ جِلْعَادَ، وَجِمَالُهُمْ حَامِلَةٌ كَثِيرَاءَ وَبَلَسَانًا وَلاَذَنًا، ذَاهِبِينَ لِيَنْزِلُوا بِهَا إِلَى مِصْرَ. فَقَالَ يَهُوذَا لإِخْوَتِهِ: مَا الْفَائِدَةُ أَنْ نَقْتُلَ أَخَانَا وَنُخْفِيَ دَمَهُ؟ تَعَالَوْا فَنَبِيعَهُ لِلإِسْمَاعِيلِيِّينَ، وَلاَ تَكُنْ أَيْدِينَا عَلَيْهِ لأَنَّهُ أَخُونَا وَلَحْمُنَا. فَسَمِعَ لَهُ إِخْوَتُهُ."

1. حتى مُتَحَدِثاً مرموقاً وبليغاً مثل أبا إيبان، السفير الإسرائيلي المُتألق للأمم المُتَّحِدة، لم يستطع أن يقول الحقيقة عن يسوع. في كتابِه (*سعيي*) يُظهر يسوع على أنهُ فريسيٌ يهوديٌ ومُتَحَدِثٌ جليليٌ وطنيٌ نشيط، رجُلٌ لم يعتَبِر نفسهُ نبياً أبداً، فهو مُجرد انه أوصل الأفكار وأمور الجموع ببلاغة. يتهم أبا إيبان المسيحية على بولس.
ماكس ديموت الذي كتب عدداً من الكُتُب التاريخية اليهودية، يتكلم بثبات ساخِراً من يسوع. يقول إنه لا يُوجد مواد تاريخية كافية عن يسوع لكتابة نعوة لائقة له. فيصرُف النظر عن الولادة العذراوية وزيارة المجوس وسُلالة النسب التي تعود إلى داوود والحوادِث المصرية هي شهادات لاهوتية تقية صُممت لتُثبِت أن في يسوع تمت نبوءات العهد القديم. وتحفظ بسخرية على أن تسجيل حوادِث الأناجيل للمُحاكمة وما تلاها ترتبط بما يُطلَق عليها بالتناقُض واللا احتمالية والمُستحيلة.
لقد تعامل اليهود مع يسوع تماماً كما تعامل أخوة يوسف مع يوسف، أولاً تآمروا ضِدَهُ ورفضوا ادعاءهُ وأصروا على صلبِهِ، ثُم غزلوا قِصة طفولية لتفسير القبر الفارغ. وأخيراً استقروا لعصورٍ عديدة مُتظاهرين أن يسوع لا صِلة له أبداً. ولكن كما أحضر الله إخوة يوسف أخيراً إلى موضِع الندم والتوبة، هكذا فرض الله أنه في يومٍ ما جميع إسرائيل سيعترف بيسوع على أنه الرب والمسيح.

لقد وجد يهوذا فرصة لقتل طائرين بحجر واحد. يمكنهم التخلص من يوسف من دون عنف، ويمكنهم الحصول على بعض النقود من خلال هذه العملية. من الصعب إيجاد جريمة جرت بدم بارد أكثر من هذه، ولكن جريمة يهوذا (تلميذ المسيح) أعظم منها، سليل مباشر ليهوذا (العهد القديم)، الذي باع أعظم من يوسف مقابل مبلغٍ متساوٍ تافهٍ.

ت. كيف بيع يوسف من قبل أخوته (37:28-36)

اقتربت قافلة من المديانيين مع جمالهم عندما نادى يهوذا عليهم، "سلام! هل أنتم ذاهبون الى مصر؟"
"السلام عليكم،" ردوا عليه. "نعم، نحن متجهون بذلك الطريق. هل من الممكن أن نبيعك بلساناً؟"
"ربما، ربما. هل تريدون شراء عبد؟ ذكي، بارع شاب مع رأس حقيقي على كتفيه؟"
لقد أظهر المديانيون رغبة في عقد الصفقة، فسُحِبَ يوسف من الحفرة. أجبر على الوقوف أمام التاجر الذي فتشه ووكزه، فحص أسنانه ورجليه، ونظر إليه كمن ينظر إلى حصان. "ما رأيك بخمسين من الفصة؟" قال يهوذا.
"بالتأكيد أنت مجنون!" قال التاجر. "لا يبدو بأن لديه روحاً من أجلي. انظر كيف يسيل أنفه. سندفع لكم عشرة."
"عشر قطع من الفضة!" صرخ يهوذا. "أنظر كم هو يافع. يصلح للعمل لخمسين سنة على الأقل، وهو ذكي كالثعلب. ما رأيك بخمس وعشرين؟"
"عشرون، وهذا هو عرضنا الأخير،" قال المديانيِ. "ها هو أليفاز، حرك الجمال."
"عشرون قطعة من الفضة!" صرخ يهوذا. "حسناً سيدي الصبي ملكك."

قد انتهت الصفقة القاسية واقتيد يوسف بعيداً، سقطت صرخاته وتوسلاته على آذان صماء. لماذا قد يهتم الإسماعيليون بدموع العبراني؟ لما قد يهتم يهوذا وشمعون ولاوي وأبناء العبيد؟ لقد كان يوم حظهم السعيد. لقد تخلصوا من منافس بالإضافة إلى أنهم حشوا حقائبهم. لقد كانت *مساومة نقدية صافية*. ولكن هل كانت؟ كل قطعتي فضة حقيرتين موضوعتين في الجيب بشكل عشرة قطع، وكل ضمير مورث لن يرتاح بعد الآن. هناك بعض الصفقات الغالية جداً على سماح الروح لها، بعض اللحظات من الإنغماس وبعض الرغبات المسروقة من الأفضل لو أنها أجتنبت من أن تشارك.

لم يمض وقت طويل حتى أتت *القضمة الأولى للضمير*. صراخ الكرب لرأوبين سقط كنعشٍ في نفس المتآمرين. أين كان رأوبين عندما عقد يهوذا الصفقة؟ لا نعرف. عندما أتى ووقف على حافة الحفرة ليصرخ ليوسف، ارتعب لأن الصبي ذهب من هناك. "الْوَلَدُ لَيْسَ مَوْجُودًا، وَأَنَا إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ؟،" صرخ، "وَأَنَا إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ؟"

ربما رأى الآخرون كراهية رأوبين الباردة وذعره. "أوه، اخرس يا رأوبين، إنك مذنب كما نحن أيضاً. هنا، ضع هذا في محفظتك وأبقى هادئاً. لقد بعنا الولد فقط، وهذا أفضل من ذبحه، أليس كذلك؟ شخص مغفل سوف يشتريه في مصر، وذلك أفضل، سيعيش في ترف. ماذا سوف نقول للأب؟ لماذا، لا يمكننا أن نساعده إذا أرسل الولد في مطاردة أوز بري! سنقول له أن وحشاً برياً قتله وأننا رأينا قميصاً تبدو كقميصه. هنا، أحضر الجدي وسوف نغمسه بالدم. وهذا سيجعل القصة تبدو جيدة."

وهذا ما فعلوه. لقد خدعوا يعقوب الشيخ بجدي كما فعل هو قبلاً، منذ سنين عديدة، عندما خدع *والده* بجدي. لقد لوثوا الثوب بالدم، لفقوا كذبتهم، وظنوا بأنهم أخفوا خطيتهم إلى الأبد. ولكن الكذبة ملجأ فقير جداً عندما يتم التعامل مع الآب الحي.

كان على الضمير أن يعمق عمله عندما وصل الأولاد إلى المنزل ورأوا أسى يعقوب الغير قابل للعزاء. نظروا لبعضهم البعض وانسلوا مذنبين بعيداً عندما كان الشيخ يعقوب يرتجف بالعمق، تنهداته تبدو كناقوس يوم الحساب في كل مكان في المخيم، منعزل في الخيمة التي كانت يوماً ما لراحيل كي يعلن لله في السماء بليته التي لا توصف.

4. أخو يوسف (38:1-30)

إن الاصحاح 38 يعتبر واحد من أندر إصحاحات الكتاب المقدس التي تقرأ بشكل علني-ربما ذلك صحيح، لأنها تضم أحداث العار المظلم. الكتاب المقدس لا يتهرب من إخبار كل القصة، الحقيقة المرة للطبيعة البشرية. الطبيعة البشرية الخام نتيجة السقوط.

لقد حُصِرت القصة بين ترتيب يوسف في البيت وصلاحه في الخارج. جلب الضوء البراق لأخلاق يوسف العالية، حتى في المساعدة النصابة، الطبيعة القذرة لسلوك يهوذا المجرد من المبادئ. حقيقة أن الله عليه أن يختار شخصاً مثل يهوذا ويجعل منه أميراً على اسرائيل، ثم يرسل ابنه إلى العالم، ليس فقط من سلالة يهوذا، ولكن العمل الظاهري لكل الأحداث المسجلة في الإصحاح، ليس إلا معجزة للنعمة.

أ. يهوذا وأبنائه (38:1-10)

لقد بيع يوسف إلى العبودية. قبض يهوذا نصيبه من الغنيمة، قطعتين تافهتين من الفضة، ووقع وريثاً لضميره المزعج. نظر يوماً بعد يوم إلى والده الشيخ وألمه الغير قابل للعزاء، لقد استيقظ ليلة بعد ليلة على صراخ يوسف اليائس يرن في أذنيه. لقد عذبه ذلك كثيراً حتى أنه فعل مثلما يفعل باقي الناس عندما لا يستطيعوا أن يتحملوا نتائج سوء أفعالهم. لقد رحل.

لقد أُخبِرنا أولاً عن *سلوك يهوذا المتمرد* (38:1). "وَحَدَثَ فِي ذلِكَ الزَّمَانِ أَنَّ يَهُوذَا نَزَلَ مِنْ عِنْدِ إِخْوَتِهِ، وَمَالَ إِلَى رَجُل عَدُلاَّمِيٍّ اسْمُهُ حِيرَةُ." عشرة الغير مخلصين تبدو كتغير للأفضل بعد التأمل بسلوك الأخوة. ولكن حيرة، سريعاً ما أصبح شر يهوذا العبقري. لقد تحول ثلاث مرات في الإصحاح. المرة الأولى كان من معارف يهوذا، ثم صار مساعد يهوذا، ثم انتهى بكونه شريك يهوذا. عندما بقي مع صديقه الغير ُمخَلِص التقى يهوذا المرأة التي تزوجها. شيءٌ يقود إلى الآخر.

لقد أُعطينا بعض الشرح عن *عروس يهوذا الدنيوية* (38:2-5). لقد أُخبِرنا عن العائلة التي مثلتها والعائلة التي أنشأتها. لقد كانت "ابْنَةَ رَجُل كَنْعَانِيٍّ اسْمُهُ شُوعٌ." وذلك حتى يقول بأنها كانت وثنية صافية ووثنية من أسواء الأنواع، وثن كنعاني، عضو من جنس خاطئٍ ملعون، مارس دين اللؤم المطلق. وحتى تكون الأشياء أسوأ، أبدت زوجة يهوذا الغير مُخَلِصة عدم إهتمام بكل الأشياء الروحية، والأسوأ من ذلك أولاده الذي حذوا حذو والدتهم.

كان اسم الولد الأول عِيرا ("المراقب"). عيناه البراقتان الصغيرتان راقبتا والده وأمه على السواء وحفظتا كل شيء-عدم إكتراث والدته بإله والده الغامض والغير مرئي، وإهمال والده للأشياء الروحية. تلك العينان البراقتان راقبتا مع اهتمام وموافقة متزايدة فسق ديانة والدته.

كان اسم الولد الثاني أونان ("القوة"). لقد سُمي من قبل والدته. ويقترح ذلك مع الاسم المختار، التأثير النامي والسيطرة العائلية للمرأة الوثنية التي اختارها يهوذا كزوجة. أونان نفسه كبر حتى يكون قوياً في الشر.

ثم كان شيلة ("إنه يكسر ذلك"). الأم أسمت ذلك الولد أيضاً، وهناك دلالة أخرى أن يهوذا قد سلم رياسة منزله وترك تدريب أولاده لزوجته.

مع امرأة وثنية تمارس تأثيراً متزايداً في شؤون عائلته، ليس من المستغرب أن نتأمل وبهذه السرعة *ابن يهوذا الشرير* (38:6-10). عيرا، الابن الأكبر، كَبُرَ ليصبح شاباً يافعاً، ويهوذا تحمس في النهاية وقرر بأن على الصبي الزواج. المرأة التي اختارها لابنه كانت ثامار. يعني اسمها "شجرة النخل،" توحي بالجمال، الرفع، الإشراق، والإفادة. من بقية القصة ومن المركز الذي أعطاه الله لهذه المرأة في الخط المسياني، نستنتج بأنها كانت امرأة ذات شخصية رفيعة وذات طموح نبيل بالرغم من ولادتها وخلفيتها الوثنية. على ما يبدو أنها دخلت الى الرجاء المسياني الذي، ومن دون أدنى شك، تكلم عنه يهوذا عندما تفاوضا على موضوع زواجها من ابنه الأكبر.

ومع ذلك، لم يكن عيرا مهتماً بأوهام أبيه الدينية ولم يكن لديه أي نية كيما يتعاون في موضوع الزواج. تأثير والدته كان قوياً ومؤكداً في حياته، حياته الشريرة جداً والقصيرة جداً والتي يمكن أن تختصر بجملة واحدة: " وَكَانَ عِيرٌ بِكْرُ يَهُوذَا شِرِّيرًا فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، فَأَمَاتَهُ الرَّبُّ." يوم الحساب أتى بسرعة لذلك الشاب الشرير.

الإبن الأوسط كان شريراً كأخويه. لقد أُخبِرنا بما فعل-لقد كان مذنباً بفعل اعتبر إهانة لزوجته ولله. بحسب العادة في ذلك الوقت[2]، قال يهوذا لابنه الثاني أن يتزوج ثامار ويقيم نسلاً لأخيه. أونان، مثل أخيه، يبدو أنه استاء من الزواج. مثل عيرا، لم يكن مهتماً بالأمور المتعلقة بالمسيح، ولم تكن لديه النية في التعاون مع رغبات والده. لقد أظهر عاره في العلن، بطريقة بهيمية، وبكل بساطة أماته الله في موقعه.

ب. يهوذا وابنه (38:11-26)

مهما وعظ يهوذا لعائلته، من وقت لوقت، كان مثاله في البيت بائساً. قيمه المنحرفة وشره الشخصي وفضيلته المزيفة كانوا واضحين لزوجته وأولاده قبل أن تنكشف خصائص هذه الشخصية إلى العالم.

2. إحدى القوانين الثلاثة والأربعين من تكوين أدرجَت لاحِقاً في القانون الموسوي.

1. قيمه المنحرفة (38:11-14)

بعد أن دفن ابنيه، حاول يهوذا أن يلوم ثامار البريئة على موتهما. "اقْعُدِي أَرْمَلَةً فِي بَيْتِ أَبِيكِ حَتَّى يَكْبُرَ شِيلَةُ ابْنِي،" لأَنَّهُ قَالَ "لَعَلَّهُ يَمُوتُ هُوَ أَيْضًا كَأَخَوَيْهِ." تبدو ثامار كإمرأة روحية، والمفهوم المسياني ينطبع عليها. لمح يهوذا بأن تكون هي سبب موت أولاده، وهذا التلميح ليس فقط بظالم، ولكنه فشل كامل بأنه يرى نفسه الشخص الذي يجب أن يلام. ألم يتزوج هو من امرأة وثنية، ألم يترك تدريب أولاده *لها*، هل كان مثالاً تقياً يحتذى به، هل اجتهد في تعليم الحق عن إله ابراهيم، إسحاق، ويعقوب لامرأته وأولاده، ربما لإختلفت الأمور. لوم ثامار يُظهِر بكل بساطة كم أصبح احساسه بالقيمة منحرفاً.

ثم ماتت تلك الزوجة الوثنية، والتي كانت المصدر الحقيقي لكوارثه. الله، في رحمته لروح يهوذا، أبعد المرأة وتأثيرها المُهلِك من المشهد. لقد ترك موتها أثراً عظيماً في يهوذا الذي رثى لها بعمق، فلم يستطع أن يرى موتها كنعمة مخفية.

عند تلك النقطة صديقه الغير مُخَلَص، العدلامي، ظهر ثانية وبدلاً من أن يطلب العزاء من إله أبيه، وجد يهوذا العزاء بصديقه الغير مُخَلَص. علم حيرة كيف يُبهجه. "إنه وقت جزاز الغنم في تمنه" قال. "هذا مفرحٌ دائماً يا يهوذا. لما لا ننطلق ونحظى ببعض الوقت السعيد؟ سوف أجعلك تنسى ما يدور بذهنك يا صديقي." وافق يهوذا على الذهاب بدلاً من أن يسأل الله، لماذا أتت الكوارث إلى منزله. عَمِلَ ما يعمله الكثيرون؛ سعى كيما يغمس مشاكله في مباهج العالم.

كل ذلك الوقت وابنه الصغير شيلة يكبر. لقد أصبح الآن في عمر مناسب حتى يتزوج ثامار بحسب العادات، ولكن لم يكن هناك أي نية ليهوذا باتمام وعده للأرملة. ليس هو! بالتأكيد قد أعطاها وعداً كئيباً بذلك ولكن ما هو الوعد المعطى لشخص ليس لديه القوة الكافية كيما يفرض تحقيقه؟ يهوذا، مع قيمه المنحرفة، قرر أن ثامار (التي كرهها بصورة ودية، هذا إذا لم يخافها) يمكن أن تبقى أرملة. يا للصورة التي يرسمها يهوذا. لقد كان رجلاً تربى في بيت أحد عمالقة الله؛ لقد وقف مباشرة في الخط المسياني، ولكنه كان مخادعاً ومنحرفاً في قيمه وفي تعاملاته تماماً كالوثنيين أصدقائه.

2. لؤمه الشخصي (38:15-23)

اكتشفت أن حماها ليس لديه النية بتحقيق وعده، قررت ثامار أن تنفذ الأمر بيديها. لم تكن الرغبة في الزواج ثانية من دفعتها. تجربتها السابقة مع أولاد يهوذا، شفتها بالتأكيد من رغبة الإلتزام مع هذه العائلة مجدداً. ولكن يبدو بأنها قد فهمت وأدركت الأهمية الروحية لأن تكون بالخط اليهودي. كانت دوافعها جيدة ولكن الوسائل التي تبنتها كانت خاطئة.

لقد تنكرت كعاهرة في المعبد[3]. إن الدين الكنعاني لم يوظف رموزاً رديئة فقط، ولكنه خدم الجسد مباشرة، عبادة كاملة بفعل لا أخلاقي مع عاهرة المعبد. لذلك، أعدت ثامار نفسها على الطريق العام ككاهنة في المعبد المحلي. لقد عرفت حماها جيداً وعرفت بأنه سيكون مرشحاً محتملاً لخدمات قد تقدمها امرأة مثيلها. بالتأكيد وقبل فوات الآوان أتى يهوذا من ذلك الطريق. بالأخلاق الرخوة للعالم لتقوده، وبتجاهل كامل لدعوة الله، توقف وتقدم لثامار، غير عالم بالطبع من تكون.

لقد كان ثمنها صغير معزى، من الواضح بأن شيئاً لم يكن مع يهوذا. عارفة برجلها، طالبت ثامار ضمانة بدلاً من الأجرة وسألت عن خاتم يهوذا، عصابته، وعصاه. لقد صار يهوذا ملتهباً بسخونة الشهوة وتنازل عن أشيائه بسهولة.

الخاتم كان ختمه، والذي استعمل لدمغ توقيعه في الألواح الطينية في ذلك الوقت لأن ذلك يدل على *شخصه*. "عصابته" ربما كانت سلسلة قيِّمة من ذهب وتمثل *ممتلكاته*. عصاه ميزته كراع غنم. العديد من الناس حملوا العصي في الأيام القديمة، والتي غالباً ما حُفِرَت برمز محدد مثل حيوان ما أو وردة أو طير ما. مثلت العصاة *مركزه*. لذلك ليس من السهل على يهوذا أن يرهن شخصه، ممتلكاته، ومركزه من أجل لحظة من الشهوة. لقد كان في طريقه لأن يصبح عيسو آخر. في الحقيقة، ألم تكن الحقيقة بأنه وقف إلى جانب بنيامين فيما بعد! قد يكون قد لُعِن بدوره من قبل يعقوب الذي يحتضر كما لُعِن رأوبين، شمعون، ولاوي (تكوين 49).

أشبع يهوذا رغباته وذهب في طريقه بدون الخاتم والعصابة والعصاة وبدون ما تبقى من حسن سمعته، ومن دون القطع البالية التي تبقت من شهادته التي تركها. مرة أخرى، ظهر صديقه العدلامي. سمع عن العاهرة، فعرض حيرة بأن يتوسط كيما يأخذ الجدي إلى المرأة ويحرر كفالة يهوذا التي تركها. ربما أراد أن يقابل المرأة الشابة اللذيذة لنفسه.

ولكن لم يوجد معبد الفتاة في أي مكان. أنكر الناس في تلك المنطقة معرفتهم بمواصفات المرأة التي ذكرها حيرة. بالطبع، لقد إنزعج يهوذا ولكن ليس بسبب أنه أخطأ إلى الله، وليس لأنه فعل فعلاً غير أخلاقي، ولكن لأنه كان خائفاً على سمعته كرجل، قد تتلطخ كلمته. لقد اهتاج لبرهة ثم نسي كل شيء. لذلك يخطئ الرجال بخفة. ولكنه أشعل فتيل قنبلة بدأت تحترق للأسفل.

3. الكلمة المُستخدمة ل"عاهرة" تعني حرفياً "المُكرسة" مما يقودنا إلى الاستنتاج أن ثامار لم تضع نفسها بكُل بساطة مثل أي امرأة شوارع.

3. فضيلته المزيفة (38:24-26)

مرت ثلاثة شهور وتلاشت الحادثة تماماً من ذهن يهوذا. ثم جاءت الأخبار المروعة؛ صدمت هذه الأخبار الحي كله وأعطت النميمة شيئاً لتحرك فيه الألسنة. كانت ثامار حاملاً.

وصلت الأخبار إلى يهوذا. كانت كلماته القاسية والسريعة، "أَخْرِجُوهَا فَتُحْرَقَ،". من بين كل ثرثاري العالم المنافقين، من الصعب إيجاد واحد أسوأ من يهوذا، يتحدث عن الكيل بمكيالين! الفرق الوحيد بينه وبين ثامار هو أن ثامار كانت إمرأة وهو كان رجلاً، أن ثامار أُمسِكَت أما هو فلم يُمسَك. قال "فتحرق!" صب الجمر مثل الرجل المجنون كالذي يرمي الحجارة في الهواء فتسقط مجدداً على رأسه. يمكننا أن نتخيله متابعاً، "خذ الوتد، أحضر الحزم، أعد النار، أشعل المرأة. أين هي، الفاسقة الحقيرة! لقد ألحقت العار بعائلتي، لقد أهانت الخط اليهودي!" هل مازال يهوذا يلوم ثامار على موت ولديه؟ هل نُخِس في ضميره بسبب رفضه تزويج ثامار لشيلة؟ حسناً، لديه الآن الفرصة الذهبية ليتخلص من المرأة التي أخافته فكرهها، فقال "فَتُحْرَقَ!"

عندما أسرع الجلادون إلى منزل ثامار، انتشرت علناً أخبار نارية في البلدة. ثم سُحِبَت ثامار من منزلها إلى شارع القرية. "انتظر،" ربما صرخت. "أوقف كل شيء. عندي إعتراف لأقدمه. أريد أن يُجَرَم شريكي في الجريمة." ما هو الشعور الذي فعله هذا الإعلان. ربما قد عادت أدراجها إلى المنزل كيما تحضر الدليل الذي قالت عنه. ثم سُحِبَت مجدداً إلى الشارع المؤدي للساحة. ربما قد سبق ووضع الرهان واجتمع الجمع المتحمس كي يرثي ليهوذا ويستمتع برؤية موت ثامار. المرأة الوقحة سُحِبَت أمام يهوذا حتى يقرر حكم موتها ويُسمى شريكها. ثم نرى وجه يهوذا الداكن فجأة يشحب تحت سمرته، تنظر عيناه في إنكار تام إلى ما تحمله ثامار في يدها. "أنا حامل بطفل الرجل الذي يمتلك هذه،" قالت. "افحص، أتوسل إليك، لمن يكون هذا الخاتم والعصابة والعصا."

خطيئة يهوذا فضحته. لقد أبرأ ثامار، بالطبع. ماذا يمكن أن يفعل غير هذا؟ قال "هِيَ أَبَرُّ مِنِّي... دعوا المرأة تذهب." لقد أخذت بكل بساطة ما كان على يهوذا أن يعطيها منذ زمان بعيد. ثم بيض نفسه قائلاً " هِيَ أَبَرُّ مِنِّي، لأَنِّي لَمْ أُعْطِهَا لِشِيلَةَ ابْنِي،" وبسرعة قام بالتهرب من حقيقة فسقه. لم يعد يوجد كلام حارق. إن الحذاء الآن في رجله وتبين بأنه حذاء غير مريح البتة.

إن الله لا يسمح للفجور بأن يمر دون عقاب. ربما قام يهوذا بالتملص من ذنبه المُحْرِج، لكن الحادثة لم تكن لتغلق بهذه السهولة. قال الله لموسى بأن يكتب هذه القصة كلها. لقد دُمِجت في الكتب المقدسة، وقُرِأت من قبل الملايين من الناس في كل العصور منذ ذلك اليوم حتى يومنا هذا.

ت. يهوذا ونسلَهُ (38:27-30)

لم يُذكر يهوذا ولا مرة بالحوادث التالية. على ما يبدو لقد غسل يديه بشكل كامل من المرأة التي فضحته، وقد تجاهل كلية على ما يبدو حقيقة أن أحد الأبناء الذين ولدوا له سيقف في الخط المسياني. فكرة كهذه أبعد من مستوى يهوذا في حالته المرتدة. لم تخطر على باله نهائياً بأن يكون الله إله نعمة. بأن يقوم الله بأخذ نسل امرأة وثنية، نسلاً من عمل معيب، وأن يكون الإبن الناتج من السلالة المباشرة لأجداد المسيح نفسه، كانت معلومة مرتفعة جداً عن يهوذا في خطيئته.

لقد ولد توأمان لثامار. لقد أخذ الله قضائياً ابنين من أولاد يهوذا وأعطاه إثنين آخرين في النعمة الآن. ولكن لم يهتم يهوذا بالأمرة كلية. لم يكن يريد أن يكون على علاقة مع ثامار وأولادها.

يمكن أن يطلق على الطفل الأول *الطفل المُفتدى*. على ما يبدو أن زارح ولد أولاً. عندما ظهرت يده، ربطوها بقرمزٍ – فعل رمزي جميل. وبعد ذلك أصبح القرمز في الكتاب المقدس رمزاً للخلاص. لقد وضعت راحاب خيطاً قرمزياً على شباكها في حائط أريحا حتى تستطيع الهروب مع عائلتها من إنتقام الله. بالاضافة الى ذلك، في الكتاب المقدس، من يولد أولاً يجب أن يفتدى دائماً بذبيحة، تحت الناموس الموسوي. لذلك كان زارح الطفل المفتدى.

ولكن لم يفِ زارح بالوعد الأول وأخذ فارص، *الطفل الملوكي*، مكانه. لم ترَ القابلة أي شيء مثل هذا. لقد نظرت إلى الطفل الصغير بدهشة وحملته كيما تراه أمه. لقد صرخت، " لِمَاذَا اقْتَحَمْتَ؟ عَلَيْكَ اقْتِحَامٌ!" لذلك دعوه فارص ومن ذلك الطفل الغير عادي وأبيه المتجاهل وصراخ القابلة حُمِلَ الخط للمسيح لجيل آخر. هكذا كانت نعمة الله على ثامار، نعم، وعلى يهوذا أيضاً.

5. عبودية يوسف (39:1-23:40)

مثل وصول بولس إلى روما، وصل يوسف إلى مصر مقيداً. تلاشت أماله الرفيعة وتحولت حياته إلى حطام. سخرية أخوته مازلت ترن في أذنيه، "وداعاً يا يوسف! أحلاماً سعيدة!" ماذا حصل بأحلامه الرائعة؟ أحلام القوة، أحلام المركز، أحلام ثروة وغنى العالم قد صُبت في حضنه؟ لقد أصبح عبداً!

لقد رسم الله حجاباً فوق الرحلة الطويلة والحارة عبر رمال سيناء، ماوراء الحصن المصري، وفي الأرض. يمكننا أن نتصور المشهد ويوسف يجتاز مكتب الجمارك كيما يوضع له بطاقة وتذكرة ويُختَم مثل البضائع. "ما هذا؟" سأل الشخص المسؤول الجالس عند جمارك الإستلام. "جسم حي، يساوي 20 قطعة من الفضة. هاك الفاتورة والوصل موقعاً من يهوذا الكنعاني." لم يقال لنا أي شيء عن تعجب يوسف المستقيظ، بالرغم من قيوده، كما انفجر المجد القديم لكي يظهر على منظره المندهش. لقد أتى إلى أرض رائعة مع تاريخ ممتدٍ إلى العصور القديمة. عندما أتى جده الأكبر ابراهيم إلى مصر قبل عدة سنين، عمر الأهرام العظيم ألف سنة في ذلك الحين.

لقد نزلوا إلى نهر النيل، عيون يوسف الحادة تلاحظ كل شيء. كانت هناك قافلة من الجمال العظيمة تقترب من مصر مع غنى العالم، وهناك قوارب البردي تبحر المياه الهادئة للنيل، هناك المدن العظيمة والمزدهرة، وهناك الأهرامات الاسطورية وأبو الهول. لوهلة نسي الشاب أوجاعه بسبب تعجبه من العالم الغريب الجديد الآخاذ. هنا كانت الحياة كما لم يحلم بها.

وصلت القافلة وأخيراً إلى سوق العبيد حيث قد دُبِغَ وسُعِّرَ وعُرِضَ للبيع. هناك شيء ما تجاه مظهره الجميل، ربما مظهره ورباطة جأشه الواضحتان وكفاءته التي جذبت العيون لشارٍ اعتاد على تخمين الرجال. "كم ثمن هذا المراهق؟" كان المتحدث ضابطاً من حرس فرعون. في الوقت المناسب، أُخِذَ يوسف إلى فوتيفار الذي سُعِدَ بصفقته، فأخذ ذلك الولد الغريب إلى منزله الواسع في الضواحي.

دخل يوسف إلى مصر في عمر الثمانية عشر وتركه للمجد في عمر المئة والعشر. لقد كان الوالي الأعلى على الأرض لثمانين سنة من التدخل. يا لها من قصة ناجحة! ما الذي كان عن يوسف والذي ميزه من أجل مهنة ناجحة كهذه؟ ما الذي كان عنه ورفعه للأعلى في حين أن العديد من البيعات على منصة المزادات التي أجريت في ذلك اليوم غرقت، بكل بساطة، في مستنقع وتلاشت في أكوام نفاية الزمن؟ ما الذي كان عن يوسف حتى جعل -سواء في السجن أو القصر-الرجال بصورة غريزية يثقون فيه ويرقوه؟ ليست قصة عادية عن الانتقال من الفقر إلى الغنى. كانت السنوات بين الوقت الذي شوهد فيه مع سلسلة حديدية على معصمه وبين الوقت الذي شوهد فيه مع سلسة ذهبية حول عنقه، سنوات اختبار عظيمة ليوسف. لأن تلك السنوات تعلمنا كيف يمكن للإيمان أن يشع في وسط الكآبة وكيف يمكن لمرساة الرجاء ان تسرع بأمان داخل الحجاب.

أ. الرجل العبد: وثق به سيده الثري بشكل كامل (39:1-6)

السر في حياة يوسف المهنية في تلك المرحلة من حياته، يمكن أن يختصر في جملة واحدة – *مثابرة لا نهائية*. ليس ليوسف الوجه الذي تعلوه علامات الأسى، أو نظرات التجهم، أو مظاهر الإمتعاض. ليس له الإنتقادات العديمة الإحساس بالمصير والزمن، أو الساعات الضائعة في طلب الإنتقام. ليس له اللعنة التافهة لله والسرطان الناخر والتواق إلى الإنتقام. ليس ليوسف الإذعان الغبي للقضاء والقدر والذي قد يحوله إلى متثاقل غاشم. لقد قرر يوسف بوضوح، عندما امتص الصدمة المذهلة الأولية، أن الله لديه هدف حكيم حتى يسمح بأن يباع كعبد. "وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ." ربما أكد لنفسه جيداًأن إرادة الله "صالحة ومرضية وكاملة. لذلك سأثق بالله في هذه الظروف الحالكة. إذا أرادني الله بأن أصير عبداً، سأكون أفضل عبد في مصر. سوف أدرس شخصية سيدي حتى أعرفه أفضل مما يعرف نفسه. سوف أدرس اهتماماته وأجعلهم اهتماماتي، وسوف أنفذ كل مهمة أعطيت لي، ليس كمن يقدمها لفوطيفار، ولكن كمن يقدمها للرب. لذلك هذه القيود لن تكون قيود عبد بعد الآن، بل ستكون قيود عبودية لله. سوف أعتبر نفسي عبداً لله، وسوف أسعى لأرضيه بكل أفعالي وأقوالي.

غالباً ما تجعلنا الظروف المعادية ننوح على قدرنا بدلاً من النظر إلى الطرق التي يمكننا أن نمجد الرب يسوع بها ومن خلالها. علينا أن نتعلم شدائد الحياة قبل أن نُستَأمَن على ترقيات الحياة.

من كان ليظن بأنه قد يأتي شيء صالح من مخيم الموت النازي، رافنسبراك الرديء السمعة؟ بالطبع عندما حُبِسَتْ هناك كسجينة 66730، تساءلت كوري تن بوم عن مصيرها. ولكن، في ذلك المكان من العذاب والخوف، قررت خادمة الرب المكرسة والشجاعة تلك، ما إذا كانت تريد أن تعيش في ضواحي الجحيم، حيث الطريقة الوحيدة للوجود، لليهودي او للمتعاطف مع اليهود، هي فقط فوق على مدخنة المحرقة. لو حدَّق الموت في وجهها كل يوم، لو عاشت يومياً مع فظائع تقشعر لها الأبدان، لو تعرضت للإهانة والتخويف، لو كستها الحشرات الطفيلية، لو جلدت أو جاعت للأبد أو أرهبت ليلاً ونهاراً-لماذا إذا، ستكون أفضل نزيلة سُمِع عنها في مخيم

رافنسبراك المرعب. ستكون مسيحية. لذلك هناك في الثكنة رقم 28 عقدت صفوف سرية لدراسة الكتاب المقدس وعلمت النزلاء التعساء كيف يواجهون الحياة والموت مع يسوع المسيح.

كنيتجة لألمها، استطاع الله بأن يفتح لها خدمة عالمية. لقد طُبِعت قصتها ونشرت على المنصات. لقد صُنِعَت كفيلم هام وعُرِضَت في دور السينما حول العالم. لقد أثارت وتحدت وشجعت الملايين من الناس. كثيرا ما تسألت لماذا، بعد أن خاطرت بحياتها عدة مرات لتنقذ اليهود المضطهدين، كان على الله أن يسمح لها بأن تُكَدَس في عربة النقل مع ثمانين شخصاً آخر من الناس الخائفين، وتحشر في مكان ضيق حتى يصبح من الصعب التنفس؛ لماذا أُجبِرت على تحمل هذا الحد من العطش، هذا الحد من القذارة التي لا تحتمل، لدرجة الرعب العاري، هذا الحد من تألمها على موت اختها الأضعف منها. ولكن الآن علمت! خلال حياتها وخدمتها، الألاف والألاف من الناس قد سلموا حياتهم للرب. لقد قصد بها الله خيراً.

في عمر صغير جداً أعطى يوسف نفسه إلى مهمة أن يكون أفضل عبد عند فوطيفار، ولاحظ فوطيفار ذلك، لأنه كان قاضياً عنيفاً معتاداً على القيادة. لقد رأى عاجلاً في عبده العبراني كل الخصائص لأن يكون مديراً جيداً. وكان يوسف مخلصاً، وموثوقاً به، لقد عمل بشكل جيد مع الناس الآخرين، لقد كان قائداً، لديه موهبة خلاقة وحيلة لإيجاد طرق أفضل لفعل الأشياء. لقد كان دائماً على استعداد أن يأخذ مهاماً أخرى. لقد أنجز عمله بشكل جيد وكان يسعى دائماً لتطوير قضايا سيده. لم يخسر أي فرصة كيما يتعلم أو يتقدم. لقد سأل عدداً غير متناهي من الأسئلة. لقد كان حماسياً، وأثر على الآخرين بحماسته. بالإضافة إلى ذلك، لقد خطط مسبقاً وكان ينظر دائماً إلى المستقبل. رجال مثله نادرون.

لقد لاحظ فوطيفار أشياء أخرى تتعلق بعبده الغريب؛ أشياء أقلقت إيمان يوسف الديني، لأن الشاب لم يخفِ أي شيء عن إيمانه الموروث. ربما سأل فوطيفار يوسف عن يهوه الغريب الذي تكلم معه يوسف، وتعرف كيف هاجر أجداد يوسف إلى كنعان في السعي عن الإله الحي الحقيقي، وكيف أُسِسَ العهد بين الله وأبائه. ربما أخبره يوسف أيضاً كيف أن الإله الأبدي تحدث إليه مرتين في حلمه. هناك شيء ما عن شهادة يوسف ترك أثره، لأن "رَأَى سَيِّدُهُ أَنَّ الرَّبَّ مَعَهُ، وَأَنَّ كُلَّ مَا يَصْنَعُ كَانَ الرَّبُّ يُنْجِحُهُ بِيَدِهِ... فَوَكَّلَهُ عَلَى بَيْتِهِ وَدَفَعَ إِلَى يَدِهِ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ وَكَانَ مِنْ حِينِ وَكَّلَهُ عَلَى بَيْتِهِ ... أَنَّ الرَّبَّ بَارَكَ بَيْتَ الْمِصْرِيِّ بِسَبَبِ يُوسُفَ. وَكَانَتْ بَرَكَةُ الرَّبِّ عَلَى كُلِّ مَا كَانَ لَهُ فِي الْبَيْتِ وَفِي الْحَقْلِ."

كلما وَثِقَ فوطيفار بيوسف، كلما ازدهر مشروع تجارته. يمكن للمرء أن يتصور فوطيفار يناقش الظاهرة في مطعم المأمور. ربما قال، "لا يمكنني أن أشرحها، ولكن منذ اللحظة التي جعلت فيها يوسف وكيلي. إنه عبد عبراني اشتريته مقابل مبلغ ضئيل من الإسماعيلين. ويا لها من غنيمة! إنه أرقى وكيل رأته عيناي، صادق! لم أعرف بحياتي عبداً صادقاً، عرفت بعض الرجال الصادقين، ولكن ليس مسؤولون صادقين، ولكن هذا الفتى هو الروح المطلقة للإستقامة. إنه يعزوها للإله، إله غريب يدعى يهوه. أتمنى لو أن يعبده كل عبيدي!" هكذا نرى يوسف كعبد، موثوقاً به من قبل والي مزدهر. نرى رجلاً موسوماً *باإستقامة لانهائية*. تصرف يوسف في كل ظرف بصورة لائقة، كما يجب على المؤمن أن يكون.

ب. الرجل الناجح: قد جُرِبَ بشكل مستمر من قبل امرأة مُصرة (39:7-20)

إن الشيطان على ما يبدو لا يستطع أن يترك رجلاً مثل يوسف لوحده. لقد حاول أن يدمره من خلال مخططات الرجال الخاطئين ولم ينجح في ذلك. لقد استخدم الآن المخططات المخزية لإمرأة. سر حياة يوسف في تلك المرحلة في مهنته يمكن إختصاره بعبارة واحدة *أيضاً – عجز مبارك*. لم يكن هناك شيء لم يستطع يوسف أن يفعله، ولكن كان هناك شيء واحد: لم يكن بامكانه أن يخطىء بسهولة. لقد كان "حَسَنَ الصُّورَةِ وَحَسَنَ الْمَنْظَرِ،" حسبما نقرأ. وهذا يعني بأنه كان شاباً وسيماً؛ لقد حظي يوسف بجمال أمه كله. وعاجلاً ما جذب انتباه زوجة سيده.

لقد وعد الله بأنه سوف يؤمن دائماً مخرجاً عندما تقترب التجربة، وأنه لن يجربنا فوق ما نستطيع. هناك دائماً مخرج-حتى ولو كان مجرد الهروب. لقد رأى يوسف التجربة قادمة قبل فترة طويلة من أن تنفجر عليه بكل قوتها. أولاً، الطريقة التي نظرت فيها المرأة إليه. ثم المجهود الذي بذلته حتى تكون أين حيث هو يكون، خاصة عندما يكون لوحده. ربما قد تفعل بعض الأشياء من أجله، كأن تفتح حديث معه، تعلمه بأنها معجبة به. هذا الأسلوب قديم قدم البشرية. لقد رأى يوسف ذلك الشيء آتياً، وبدأ بحياكة طرقاً خاصة به، طرقاً حتى يتجنب المرأة. لقد كان لطيفاً، ولكنه لم يرَ بأنها سوف تحشره بالزواية لوحدها.

ولكن الآن استشعرت المرأة الشريرة فريستها. كلما انسحب يوسف، كلما استهوته أكثر، حتى أنه بات واضحاً للجميع أن المرأة كانت مفتونة بذلك العبد الوسيم-واضحاً للجميع، ماعدا فوطيفار. لقد كان يوسف شاباً مع كل الرغبات والأحاسيس الطبيعية للشاب اليافع. لقد كان غير ودود، منبوذاً من أخوته، غريباً وعبداً في أرض بعيدة. بالتأكيد قد جرب جداً من قبل المرأة المُصرة. "بعد كل شيء،"

ربما همس الشيطان، "لما لا؟ لا أحد يعرفك هنا. خذ ما تقدمه لك. إن الأخلاقيات حرة وسهلة المنال في مصر-طالما أنك لم تمسك. بعد كل هذا، من الطبيعي أن يغازل الشاب اليافع امرأة جذابة.

ثم، ومن دون شك، سيغير الشرير نهجه. قد يرسم صوراً في فكر يوسف، صوراً شريرة ومغرية، نوعية الصور التي كان يرسمها في عقل الرجال والنساء منذ سقوط البشرية. "لقد اتهمت بها بأية حال،" ربما همس كذلك، "لذلك يمكنك فعلها. لقد حكم عليك الناس بمفردهم. العديد منهم سيغتنمون الفرصة لما قُدِمْ منذ زمن طويل، لو حصلوا على فرصتك. بعقلهم أنت مذنب أصلاً، فأين أوصلتك أخلاقياتك العالية والسامية بعد كل هذا؟" ثم قد يعود إلى فكرته المفضلة-الإغراء، المرأة متاحة. أستطاع يوسف أن يراها آتية ولم يستطع ان يوقف الشيء الآتي. في أي يوم قد يصل الخبر إلى أذني فوطيفار وعندها سيجلد ويقتل.

إننا لا نعرف ما هي الفترة الزمنية التي استمر فيها التراكم، ولكن سقطت القشة يوماً ما. لقد اشتعل شغف المرأة فإلتقطت يوسف وحده. لقد رمت جانباً كل الإدعاءات، وقذفت بنفسها إليه، ترجته وناشدته حتى يقبلها. ولكنه رفض وقال، "هُوَذَا سَيِّدِي لاَ يَعْرِفُ مَعِي مَا فِي الْبَيْتِ، وَكُلُّ مَا لَهُ قَدْ دَفَعَهُ إِلَى يَدِي. لَيْسَ هُوَ فِي هذَا الْبَيْتِ أَعْظَمَ مِنِّي. وَلَمْ يُمْسِكْ عَنِّي شَيْئًا غَيْرَكِ، لأَنَّكِ امْرَأَتُهُ. فَكَيْفَ أَصْنَعُ هذَا الشَّرَّ الْعَظِيمَ وَأُخْطِئُ إِلَى اللهِ؟"

وهنا تكمن *عدم قدرة يوسف المباركة*. لقد رفض لسببين، الأول على أساس العدالة البسيطة فليس من الصحيح أن يخدع السيد الذي استأمنه، ورفض على أساس إيمانه. لا يستطيع أن يخطئ تجاه الله. لم يكن لسان حاله *"لن أفعل"* بل *"لا أستطيع"*. "لقد كان احتمالاً أخلاقياً وروحياً مستحيلاً بالمطلق حتى أن يفكر بالعمل الذي طلبته. سيكون من الحماقة الإجتماعية؛ والإستحالة الروحية. ما إقترحته المرأة كان كريهاً تماماً له كمؤمن. يا لها من طريقة رائعة حتى تقول لا للتجربة.

وهذا ما خطر على بال يوحنا عندما قال، "كُلُّ مَنْ هُوَ مَوْلُودٌ مِنَ اللهِ لاَ يَفْعَلُ خَطِيَّةً، لأَنَّ زَرْعَهُ يَثْبُتُ فِيهِ، وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخْطِئَ لأَنَّهُ مَوْلُودٌ مِنَ اللهِ." (1يوحنا 9:3). لا أستطيع أن أفعل هذا الشيء! لا يمكنني أن أحزن روح الله.

ولكن كانت المرأة مُصِرّةً. لقد حافظت على حملتها وفي أحد الأيام قامت بفرض جسدها عليه. وقت المناقشات قد انتهى. لقد فعل يوسف الشيء الوحيد الذي قدر أن يفعله-لقد هرب. كم من التجارب يمكن الانتصار عليها بالابتعاد عنها بكل بساطة وبشكل مقصود. لم يكن ذلك جُبْناً؛ كان شجاعة وقناعة من الطراز الأول. يقول الكتاب المقدس، "أَمَّا الشَّهَوَاتُ الشَّبَابِيَّةُ فَاهْرُبْ مِنْهَا،" وكذلك علينا نحن. الجمع الشرير الذي يمارس التأثير الشرير، الكتاب الذي يثير الشهوة، برنامج التلفاز الذي يلوث المخيلة-اهرب بعيداً عنهم.

لقد غضبت المرأة جداً. كما يُقال، "ليس للجحيم ضراوة مثل امرأة محتقرة." لقد وقفت هناك مهتزة من الغضب ومعطف يوسف في يدها. لقد دارت العجلات في مخيلتها الشريرة. إذا لم تحصل عليه من الآلهة، فإنها ستحرقه. لقد حاصرته. صراخها أحضر الخدم راكضين. ربما كانت يداها مشغولتين في حين أن شعرها الأشعث وثيابها الممزقة عملا عملهم في إخبار القصة، بالاضافة إلى الدليل القاطع لذنب يوسف-على الأقل كما ظن فوطيفار. ربما أخبره الخدام وإلا كان قد سأل. لقد اتُهِم يوسف بشكل خاطئ مع عدم قدرته على الدفاع على كذب المرأة، ووُسِم كنذل كريه وقذف به بتهور في السجن.

ت. الرجل المشوه السمعة: جُرِبَ بعناية من قبل الله الحليم (39:21-40:23)

لقد كان من السيء أن يباع يوسف كعبد-كل هذا بسبب قميصه، ولكن الآن أن يوسم بالمُغوي-كله بسبب قميصه؛ بالتأكيد هذا كثير جداً. إن السر في حياة يوسف في ذلك الوقت يمكن أن تختصر في جملة واحدة – *إستقامة جميلة*. هناك في الزنزانة الكئيبة، تعلم يوسف الإيمان، الرجاء، والمحبة. لسنا نعرف بالتأكيد كم كان عمر يوسف عندما دخل السجن. لقد كان بعمر الثمانية عشر عندما دخل مصر. لقد خدم فوطيفار مدة كافية حتى تزدهر تجارته بإفراط، ربما لسنتين. كان ابن عشرين سنة، ربما، عندما أُغلِقت أبواب السجن خلفه بعنف مع الناقوس المجوف للعذاب. إذا كان الأمر كذلك، بقي في ذلك السجن لمدة عشر سنوات، لأنه كان ابن ثلاثين سنة عندما وقف أخيراً أمام فرعون.

هناك في السجن أخضع يوسف نفسه بهدوء مرة أخرى لإرادة الله. علينا أن نأخذ بعين الإعتبار *الإيمان المطلوب من يوسف*. همس الشيطان، "والآن ماذا عن إلهك؟" لقد عرفت الناس يوسف، أولئك الذين سمعوا شهادته، والذين آمنوا بالسر ببراءته يجب أن يستغربوا أيضاً بإلهه. ما هو هذا الإله الذي سيجازي الإستقامة والبر والطهارة الأخلاقية بالافتراء والسجن؟ مثل أيوب وأرميا، آلام يوسف كانت بغير سبب ملحوظ. ولكن يمكن ليوسف أن يقول لنفسه، "لأنني عالم بمن آمنت، وموقن بأنه قادر أن يحفظ وديعتي إلى ذلك اليوم. مازالت لدي الأحلام. هذا طريقٌ كئيبٌ ولكنه سيقود بالتأكيد إلى العرش."

في لطف محبته، أعطى الله يوسف علامات صغيرة بأنه لم يكن مُنسى. قدره السجان ووثق به. لأن "الرَّبَّ كَانَ مَعَ يُوسُفَ، وَبَسَطَ إِلَيْهِ لُطْفًا، وَجَعَلَ نِعْمَةً لَهُ فِي عَيْنَيْ رَئِيسِ بَيْتِ السِّجْنِ... وَلَمْ يَكُنْ رَئِيسُ بَيْتِ السِّجْنِ يَنْظُرُ شَيْئًا الْبَتَّةَ مِمَّا فِي يَدِهِ، لأَنَّ الرَّبَّ كَانَ مَعَهُ، وَمَهْمَا صَنَعَ كَانَ الرَّبُّ يُنْجِحُهُ."

ثم نأخذ بعين الاعتبار *المحبة التي برزت من يوسف*. لقد ربح ثقة السجناء الآخرين. لقد اهتم بهم وعاملهم كبشر. لقد لُمِسَ كما يبدو بمشاعر ضعفهم. قبل مدة لم يحصل على مركز في السجن فقط ولكنه خدم هناك أيضاً، لدرجة أن أهم سجينين في زنزانته كانوا على استعداد أن يشاركوه قلقهم.

أولاً *ساقي* فرعون؛ طرح في السجن من أجل إساءة تافهة. شارك حلمه الذي أزعجه خلال الليل مع يوسف. وعندما كان يوسف يستمع، استطاع فوراً أن يقول بأنه كان حلماً مليئاً بالوعود. قال له "لماذا وجهك مكمداً؟ أَلَيْسَتْ لِلهِ التَّعَابِيرُ؟ فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَيْضًا يَرْفَعُ فِرْعَوْنُ رَأْسَكَ وَيَرُدُّكَ إِلَى مَقَامِكَ. فَاصْنَعْ إِلَيَّ إِحْسَانًا وَاذْكُرْنِي لِفِرْعَوْنَ لأَنِّي قَدْ سُرِقْتُ مِنْ أَرْضِ الْعِبْرَانِيِّينَ، وَهُنَا أَيْضًا لَمْ أَفْعَلْ شَيْئًا حَتَّى وَضَعُونِي فِي السِّجْنِ."

تشجع *خباز* فرعون المسجون بالأخبار الجيدة للساقي، فشارك يوسف حلمه أيضاً. إكمد وجه يوسف عندما كان يستمع، عندما قرأ عليه الخبر. في ثلاثة أيام سوف يشنق الخباز. بكل أسى أخبره كيما يحضر نفسه للموت، ومن دون شك، وضع يديه حول كتفي الفتى المسكين وسعى كيما يضرم في صدر ذلك الوثني معرفة للإله الحقيقي الحي.

وأخيراً نقرأ بأن *رجاء يوسف قد تأجل*. بعد ثلاثة أيام فُتِحت أبواب السجن وضابط من عند فرعون سلم حكمين. كان هناك عفواً للساقي وحكم بالموت على الخباز. يمكننا أن نتصور يوسف مسرعاً في الأروقة المظلمة والمفتاح في يديه التواقتين لفتح البوابة من أجل الساقي. ويقول له، "إِذَا ذَكَرْتَنِي عِنْدَكَ حِينَمَا يَصِيرُ لَكَ خَيْرٌ. "وَلكِنْ" نقرأ، "لَمْ يَذْكُرْ رَئِيسُ السُّقَاةِ يُوسُفَ بَلْ نَسِيَهُ." يلحق الدكتور كامبل مورغان ملاحظة طريفة، "واسمه ليس دائماً بساقٍ!"

"الرَّجَاءُ الْمُمَاطَلُ يُمْرِضُ الْقَلْبَ،" يقول الرب. نسي رئيس السقاة يوسف. مضت بضعة الأيام، مضت بسرعة البرق، يتوقع يوسف في كل دقيقة أن يسمع خبر إفراج فرعون عنه. طالت الأيام إلى أسابيع ولم يسمع أي كلمة. بدون شك، كان الساقي مشغولاً وكان لديه الكثير ليعمله، ولكنه بالتأكيد لم ينسَ. تحولت الأسابيع إلى أشهر والأشهر إلى سنة ثم أخرى وأخرى وأخرى. تعلم يوسف بأن لا يضع رجاءه بالإنسان. كل مساعدة البشر ذهبت الآن. مع ذلك لم تنحدر أفكار يوسف إلى أسافل الأدراج القذرة زاحفاً في أفكار الإنتحار المنحطة؛ بالعكس، لقد إستعانوا بسلم يعقوب ورفعوا يوسف إلى قاعة سماوية. قديماً، في العصور القديمة، قبل أن يكتب صاحب المزمور الكلمات، دخل يوسف الى حقيقتهم الرائعة. "كَمَا يَشْتَاقُ الإِيَّلُ إِلَى جَدَاوِلِ الْمِيَاهِ، هكَذَا تَشْتَاقُ نَفْسِي إِلَيْكَ يَا اللهُ. عَطِشَتْ نَفْسِي إِلَى اللهِ، إِلَى الإِلهِ الْحَيِّ. لِمَاذَا أَنْتِ مُنْحَنِيَةٌ يَا نَفْسِي؟ وَلِمَاذَا تَئِنِّينَ فِيَّ؟ ارْتَجِي اللهَ، لأَنِّي بَعْدُ أَحْمَدُهُ، لأَجْلِ خَلاَصِ وَجْهِهِ" (مزمور 42:1-5).

6. بركة يوسف (41:1-44)

كان الرجل التالي للملك في مصر، كبير الوزراء. في هذه الأيام نقول عنه رئيس الوزراء، عدا أن سلطته مُنحت مباشرة من الملك وليس من الشعب. لقد كان مدير الدولة ومسؤولاً عن إدارة كل الوظائف الإدارية للمملكة، ومنقذاً الأمور المتعلقة بالدين فقط.

لقد كان كبير الوزراء من عيَّن الرجال المسؤولين عن الإبلاغ عن شؤون المحافظات ثلاث مرات بالسنة. مفتش المنطقة قدم تقريراً له. كل الأمور المتعلقة بالحدود الإقليمية، توزيع الأراضي، المتأخرات الضريبية، الأمن الداخلي كانت كلها من مسؤولياته. مجموعة كاملة من المسؤولين ذوي الرتب العالية كانوا من مرؤوسيه.

تخبرنا القبور المصرية الكثير عن الوزارة. ورد مثلاً استقبال كبير الوزراء لمبعوثين وحكام المناطق البعيدة. تكمن مهمته الأساسية في الدعم القوي، التمركز، والسلطة الاستبدادية للعرش. تضمنت مهماته الحفاظ على اختيار الأمراء، ربما قد قُصقِصت أجنحتهم حتى لا يشكلوا خطراً على فرعون. لقد كان مسؤولاً عن مواعيد المفتيشين الذين أعطوا مهمة مراقبة الحكام المحليين. قد تأخذه واجباته من وقت الى آخر إلى أماكن مختلفة في مصر. تصوره صور القبر مستقبلاً الإجلال من الموظفين المحليين، والذين يظهرون ساجدين أمامه على الأرض. يمكن رؤية الكتبة يسجلون قراراته. عليه أن يفحص وضع النيل؛ هل سيكون نيلاً جيداً أو سيئاً، أي هل سيكون غمرٌ وافرٌ أو ضئيلٌ؟ كيف كانت الخنادق والقنوات؟ كم من العمالة سيجلب لإحداث الترميمات؟ قد يسأل مرؤوسيه عن قائمة الإحصاءات الرسمية، الحقول الزراعية المتوقعة، حالة القطعان.

لقد شوهد وهو يسافر في موكب عظيم، منظره المتغطرس لا يتنازل لملاحظة العبيد، حيث كانوا ساجدين إلى مهامهم الشاقة والجاحدة واللانهائية. محاطاً بالجنود دائماً، فُتِحت الطريق أمامه عندما لامست جباه عبيده الوضيعين التراب. كانت مركبته من ذهب، بيته كان قصراً في الضواحي المذهبة، حياته في وفرة وقوة.

ذلك كان المنصب الذي أعده الله ليوسف خلال إثنتي عشرة سنة من الألم والسكون. بالحقيقة إن مدارس الله ليست كمدارسنا. كيما نعد شخصاً إلى منصب كهذا، قد نرسله إلى برينستون؛ أرسل الله يوسف إلى السجن. لقد نجح يوسف ببعض الإمتحانات الصلبة، ولكنه تخرج بالنهاية محرزاً نجاحاً باهراً، حاصلاً على مرتبة الشرف في كل التجارب التي أتت في طريقه. والآن أتت الساعة عندما آن له أن يُسحب من السجن، يَحْلِقْ على عجل، يُحَّسِن مظهره، ويُدفَع إلى فرعون، ثم يُرقى إلى الوظيفة النبيلة كيما يكون رئيس المستشارين في مصر. حصل كل هذا في غضون ساعة! لقد حلم يوسف قليلاً في ذلك اليوم، عندما أخذ مفاتيح الخلايا وبدأ جولته اليومية المملة، لقد انتهى الألم وبدأ المجد. سنوات المحن قد انتهت، سنوات التقدم قد أتت.

أ. طرق العناية الإلهية لله (41:1-8)

وليم كاوبر (الذي مهد طريق الصحوة الأدبية العبقرية لبريطانيا) كان معتاداً على الألم. لقد كان كاوبر ضعيفاً، عبارة عن حزمة أعصاب مرتعدة، رجل مع وجه ذابل وعينان متورمتان دائماً من الإلتهاب المزمن. لقد حاول الإنتحار. لقد قضى وقتاً في مأوى للمجانين حيث كان الإحتقار والوحشية نظامي اليوم. ولكن ومن بين كل هذه الآلام، شكل الله كبير المستشارين للأحرف الإنكليزية. لقد كان وليم كاوبر من كتب:

إن الله يتحرك في طرق غامضة،
لينجز عجائبه؛
يزرع بصمات رجليه في البحر
ويركب على العاصفة.
عميقاً في الألغاز المبهمة
للمهارات الغير فاشلة،
يحفظ تصميمه البراق
ويعمل مشيئته السائدة.

نرى تلك الطرق الغامضة ممثلة في يوسف. لقد ضربت الساعة من أجل تحرير ذلك الأسير من سجن فرعون. لقد تحرك الله، تحرك بعنايته الإلهية. لم يسحب يوسف أي وتر. لقد جرب مرة ولم ينجح. لقد نسيه الساقي. الأيام والأسابيع، الأشهر والسنوات أتت وذهبت بانتظام رتيب، ودفن يوسف حياً. لقد نُسيَّ من أخوته، ونُسيَّ من المرأة الشريرة التي كذبت عن شخصيته وعمله، نُسيَّ من قبل فوطيفار المدين له بالكثير، نُسيَّ من الساقي، نُسيَّ من الجميع ما عدا والده الذي فكر به من دون شك، ولكنه اعتقد بأنه مات منذ فترة طويلة. نُسيَّ من الكل ما عدا الله!

والآن تحرك الله. لم يبدأ لا مع الخباز ولا مع الساقي، ولكنه بدأ مع الملك. قد بدأت *أحلام الملك*. لقد حلم حلمان. الأول نام وحلم بالماشية، ثم نام مجدداً وحلم بالذرة. رأى في حلمه الأول سبع بقرات سمينات، حسنة المنظر طالعة من مياه النيل الواهبة الحياة. نظر فرعون مع موافقته. هكذا يجب على البقرات أن تبدو! عليه أن يعين رئيس مستشارين جديداً حتى يبحث في شروط ماشيته في كل الأرض. ثم، فجأة، ارتعب فرعون، فمن نفس النهر بزغت سبع بقرات أخر. ولكن ما هي هذه البقرات الجرباء والنحيلة والجائعة والمريضة! يرجو ألا يعيش ليشاهد مثلها! لقد تحول الحلم إلى كابوس. ولكن الأسواء، البقرات النحيلة الجائعة أصبحت مفترسة بسبب المجاعة، تحولن إلى أنسبائهن السمينات والمشرقات وإلتهموهن كلية خلال نظرة فرعون المذهولة.

لقد استيقظ مرتعباً مرتبكاً ثم عاد ونام مجدداً، ليحلم نفس الحلم مرة أخرى. لقد رأى حقول الشعير الذهبية فتَفحَّصَ الحزم المنتصبة القريبة منه، سبع حزم مبهجة، رائعة، ذهبية، سنابل قمح فائزة تتقاذف بكل فخر في نسيمٍ تحت الشمس المبتسمة. ولكن ترتفع عالياً حزم ملطخة، مصابة بآفة، طويلة ونحيفة، حزم كابوسية. ودارت هذه الحزم نحو جاراتها المزدهرات وإلتهمت الجميع. استيقظ فرعون في رعب جديد، مقتنعاً بأن الأحلام تبشر بشيء ما. ولكن ما معناها؟

لقد أخبرنا عن *محنة الملك*. "وَكَانَ فِي الصَّبَاحِ أَنَّ نَفْسَهُ انْزَعَجَتْ، فَأَرْسَلَ وَدَعَا جَمِيعَ سَحَرَةِ مِصْرَ وَجَمِيعَ حُكَمَائِهَا. وَقَصَّ عَلَيْهِمْ فِرْعَوْنُ حُلْمَهُ، فَلَمْ يَكُنْ مَنْ يُعَبِّرُهُ لِفِرْعَوْنَ." يا لَه من مشهد! هناك وقف الرجال الحكماء في قمصانهم المميزة والمطرزة بالإشارات الغامضة، العلماء، الحكماء، رجال تعلموا بمجموعة معارف الأحلام. لقد استمعوا باهتمام عندما أخبرهم فرعون عن حكايته.

لقد حان دور الإله "تحوت" للتحدث إلى كهنته كيما يخبروا جلالة فرعون عن معنى أحلامه. كان "تحوت" إله كل الفن السحري. لقد عرف تحوت كل الأسماء الغامضة لكل الآلهة الأخرى وما الذي يخيف الآلهة الأخرى، وما هي الشعائر الدينية التي تُخضِعها. يمكن لتحوت أن يعطي عبَّاده القوة لإحتلال أوزوريس، أنوبيس، أو ست. لقد كان إله الإلهام. مع التعويذات والصلوات التي علمها تحوت، يمكن لأحد الآلهة أن يخاف من رعب الإله الآخر. لذلك لجأت سحرة مصر إلى خدعهم السحرية كيما يستحضرون من تحوت سر أحلام فرعون. ولكنهم كانوا ضد الإله الحقيقي الآن، إله لا يمكن أن يُجْبَر، يُتَمَلَّق أو يُرَوَّع. كان فرعون نفسه خبيراً في الألغاز، شاهد خدامه بتلهف وهم يمرون على استشاراتهم وتعويذاتهم. سقطت أرواحهم في حرج وارتباك، لقد اعترفوا بأنهم قد هُزموا. صرخوا "آه يا ملك،" مع صيغة الشعائر للمحكمة الفرعونية "يا ملك! الحياة! الإزدهار! الصحة! نحن في حيرة من أمرنا. لم يعطنا تحوت أي إجابة. على الفرعون أن يبحث عن معنى أحلامه في مكان آخر.

لذلك، بطرق العناية الإلهية، لقد مهدت الأرض لإستقبال يوسف. محنة فرعون يجب أن تعلن للجميع. أحلامه. من يستطيع أن يفسر أحلامه؟

ب. حكمة الله الكاملة (41:9-13)

كان مسؤول رفيع في الحكومة واقفاً بقرب عرش الملك، حاملاً كأس الملك، صديق يوسف القديم، الساقي. كان يستمع بحرص شديد إلى قصة الأحلام وشاهد بفضول العين الثقة بالنفس ثم الإرتباك وفي النهاية الحرج الصريح للسحرة. عادت فجأة كلها إليه! لقد رأى نفسه مجدداً في السجن، ربما ارتعد لمجرد التفكير بالسجن فتوقف عن التفكير به ولكن استمرت الأفكار. تذكر حلمه وحلم الخباز وتذكر العبد العبراني الوسيم الذي أدار السجن وخدمه في وقت حاجته. ماذا كان اسم ذلك الشاب؟

تقدم للأمام وانحنى أمام فرعون وأخبره عن الحاكم الملكي وتلك الحادثة من الماضي. "الشاب كان في وقت من الأوقات سيدي، عبداً لفوطيفار، ورئيس حرس جلالتك." ربما كان فوطيفار هناك بذلك اليوم. إذا كان هناك فعلاً، لإنضم حاجباه ولإرتعش قلبه فجأة. هو أيضاً أضمر الكثير ليوسف. ربما تعجل بالانتباه لقصة زوجته. لابد أن علامات وجهه كانت جديرة بالملاحظة.

يا له من دليل مقدم لنا عن *توقيت الله الكامل*. يا لها من دفاعيات يمكن أن تكتب عن توقيت الله في أمور البشر. إذا كان لإنسان ما المنظور التاريخي والسيادة الكافية للحقائق، يا له من كتاب يجب أن يكتب كيما يتحدى المذهب اللاأدري. يمكن لأحدهم أن يبدأ ربما بغلاطية 4:4 "وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ."

إن الله أظهر حكمته الكاملة في توقيته المثالي للأحداث في حياة يوسف. تصرف الله ليس قبل الوقت أو بعد فوات الآوان، ولكن في ملئ الزمان. كان فرعون جاهزاً، أحلامه شهدت له. كان يوسف جاهزاً، الإثنا عشرة سنة الحديدية من التأديب في مدرسة صعبة شهدت لذلك. كان الساقي جاهزاً، مر وقت كافٍ حتى يتحدث عن سجنه بدون خوف. قد تبدو الإثنا عشرة سنة مدة طويلة بالنسبة لنا، ولكنها لا شيء بالنسبة لله. " لأَنَّ أَلْفَ سَنَةٍ فِي عَيْنَيْكَ مِثْلُ يَوْمٍ أَمْسِ بَعْدَ مَا عَبَرَ، وَكَهَزِيعٍ مِنَ اللَّيْلِ." لم ينسَ يوسف؛ كان يعمل بحسب جدول زمني، هكذا كان كل شيء.

يا له من دليل مقدم لنا أيضاً عن *تكتيكات الله المثالية*. بداية لقد أيقظ الله بفرعون إحساساً ضخماً لحكم وشيك خارق للطبيعة، لمصيبة قادمة، تحولت كلها إلى نغمة حادة بسبب فشل ساحريه. لذلك أيقظ في فرعون عدم رضى وخيبة أمل "بالخبراء" السحرة، فقد جعلوه مستعداً لإستقبال كل ما سيقوله يوسف. عندما انتهت التصفيات، أعدت المنصة بالكامل من أجل دخول يوسف. لقد كان الجو مناسباً له حتى يقدم كل شيء أمامه، الإثنين؛ فرعون والبلاط. قد حصل كل شيء بهدوء وعلى نحو طبيعي. ما هو الشيء الأكثر طبيعية من الحلم؟ إن الله يعمل خلف الكواليس وبطرق مألوفة ظاهرياً كيما يحقق مشيئته الإلهية[4].

ت. إرادة الله الفريدة (41:14-44)

لقد شاءت إرادة الله الفريدة أن ترفع يوسف إلى منصب عظيم في العالم. لقد أعلن الله هذه الإرادة إلى يوسف منذ عدة سنين من خلال أحلامه عندما كان فتى. سنوات التدريب والتطوير الطويلة قد صممت حتى تعد يوسف للمنصب الرفيع العتيد أن يكون له.

4. يستخدم الله باعتِدالٍ شديد إظهار قوة عجائبية في تعامُلاتِهِ مع الإنسان، هناك فقط أربع فترات كتابية حيث عجائب كهذه كانت بارزة. هناك *عجائب التحرير* حيثُ حطمت قوة مِصر في أيام موسى وقادت إلى تحرير الشعب العبري المُستعبد، وفي أيام يشوع سهلت فتوحات كنعان. وهناك *العجائب التربوية* حيثُ في أيام إيليا وأليشع قُصِد منها أن تُعيد الشعب المُرتد إلى الله وتُهيء المسرح لبزوغ عصرٍ نبويٍ مُتكامل. وهناك *العجائب الجلية* التي من خلالها قدم الرب يسوع إثباتاً لادعائهِ على أنه ابن الله ومن خلالها وثقت الكنيسة الأولى رسالتها للعالم اليهودي المُتَرَدد. وهناك *عجائب الأخروية* (علم الأخرويات) لسفر الرؤية (نهاية العالم) هذه العجائب العظيمة التي سيستخدمها الشيطان ليُشهِر الوحش والعجائب العكسية للشاهِدَين اللذين من خلالهما سيكشُف الله زيف مسيح الشيطان. بمَعزِل عن هذه العجائب يَصعُب وجود عجائب أخرى على الإطلاق في الكتاب المُقَدَّس. عادةً يُتَمم الله مقَاصِدَهُ من خلال طُرق طبيعية وعادية حيثُ عين الإيمان فقط تستطيع أن ترى أن الله من كان يعمل بهذه جميعها، كان من خلال تلك الطريقة هيأ الله لمجيء يوسف.

لذلك شاءت إرادة الله الفريدة أن تحضر يوسف إلى فرعون (41:14-37). عندما ذُكِرَ اسمه أمام فرعون، تحركت الأمور بطريقة سريعة. يمكننا أن نتخيل المشهد. كان يوسف هناك مرتدياً لباس السجن، يتحرك جيئة وذهاباً لتنفيذ المهمات لأنه كان اليد اليمنى لرئيس السجن. ربما كان يقود سجيناً جديداً إلى روتين السجن عندما أتت الرسالة، أو ربما كان يشرف على تجهيزات وجبة الغذاء، أو يساوم الموردين على سعر الذرة. ولكن فجأة نادى على اسمه وكان السجان أمامه. "بسرعة، اخلع هذه الملابس. هاك، اغتسل، واحلق ذقنك. ضع عليك هذه الملابس. أسرع يا رجل، الفرعون يريدك!" "الفرعون يريدني، لماذا؟" "لا أعرف، شيئاً ما يتعلق بحلم. أسرع يا رجل! هل تريدني أن أخسر رأسي؟"

وبالتالي لبس يوسف قميص البلاط وأسرع إلى فرعون. على العرش أمامه كان رجلٌ ذو نظرة ثاقبة تخترق العيون، أعزل مع يدين قويتين، على حاملة ملكية ذو مظهر فخم، يرتدي تاجاً مزدوجاً مثل لألف سنة الوحدة بين صعيد مصر وخفض مصر. على الجبين الإمبراطوري وضعت إشارة التوأمين للأرضين، الصقر والأفعى. في أول يد كانت العصاة لصعيد مصر وفي اليد الأخرى المنشة لخفض مصر. ربما كان فرعون مرتدياً تنورة طويلة ومخززة من الكتان المصري الثمين. كان يرتدي صندالاً ذهبياً في قدميه. هكذا كان الفرعون، رجلاً من المفترض أنه إله، "رع" المتجسد، رجلاً كانت مهامه دينية بقدر ما كانت سياسية.[5]

نظر يوسف إليه عندما جلس أمام عرشه، متثقلاً بتاجه وبالشعارات الملكية. لقد رأى أمامه رجلاً يشغل منصباً مكرساً لأكثر من ألف وخمسمائة سنة من التقليد المحفوظ. ولكن رأى يوسف ما خلف زخارف القوة؛ لقد رأى خسارة، رجلاً وحيداً مع روح تحتاج إلى خلاص.

"هل يمكنك أن تفسر أحلامي أيها الشاب؟" سأل الملك المُرعِب. قد حانت اللحظة الحاسمة. يا لها من لحظة حتى يفتخر بها يوسف. بالتأكيد همس الشيطان بإذني يوسف، "لا تنسف الموقف يا رجل! لا تعظ هذا الشخص عن الله. تذكر إنه نفس إله قدير وقوي. سوف يقطع رأسك حينما تهينه أمام كل هؤلاء الناس." ولكن يوسف لم يكن في مدرسة الله كل هذه السنوات من أجل لا شيء. "أيها الشاب، هل يمكنك أن تفسر أحلامي؟" "فَأَجَابَ يُوسُفُ فِرْعَوْنَ: لَيْسَ لِي. اَللهُ يُجِيبُ بِسَلاَمَةِ فِرْعَوْنَ ... حُلْمُ فِرْعَوْنَ وَاحِدٌ. قَدْ أَخْبَرَ اللهُ فِرْعَوْنَ بِمَا هُوَ صَانِعٌ-" أولاً كلمة شهادة من الكتاب المقدس خلعت السلطة عن فرعون وملّكت الله الحي الحقيقي السيطرة المطلقة، ثم كَشْفُ حلم فرعون.

بعدما قرأ على فرعون ما معنى أحلامه، تكشف معنى واضحاً للجميع في اللحظة التي قدم يوسف فيها المفتاح، ثم استمر يوسف بتقديم درساً قصيراً عن الإقتصاد لفرعون. لقد نصح الملك أن يعين رجلاً "بصيراً وحكيماً" وأن يجلع هذا الرجل على أرض مصر حتى يدخر محصول السنين الجيدة ضد سني الجوع والبلاء.

لقد كانت ارادة الله الفريدة ليس فقط أن تقدم يوسف إلى فرعون ولكن أن *ترقي يوسف من خلال فرعون* (41:38-44). لقد حدق فرعون بالشاب الواقف أمامه وشعر بأن قلبه ينفعل ويتحرك بطريقة غريبة. سيجعل يوسف كبير مستشاريه! ربما كانت الوظيفة شاغرة في ذلك الوقت، ربما أحد رجال الحاشية المرتبكين الواقفين أمامه قد تولى هذا المنصب. لا نعرف. كل ما نعرفه أن يوسف قد رُفِعَ هناك إلى أعلى منصب في البلاد؛ القوة المطلقة قد وضعت في يديه، السلطة الثانية بعد فرعون نفسه؛ أي أن يوسف قد دخل إلى حضرة فرعون في ذلك يوم كمحكوم عليه، مباشرة من السجن، وخرج مجدداً كالرجل الأعظم في العالم.

من المؤكد أن فوطيفار كان هناك. تخيل ماذا حدث تلك الليلة عندما عاد إلى البيت. نظر إلى عيني زوجته وقال لها على العشاء، "هل تتذكرين ذلك العبد العبراني الذي كان عندنا منذ عدة سنين، الذي اتهمتيه بالتحرش بك؟" سيتحول وجه المرأة إلى قناع متفاجئ. "ماذا عن ذلك الصعلوك؟" أتمنى فقط أن تكون إتهاماتك له صحيحة، عزيزتي، فقط لا غير. لقد عينه فرعون كبير مستشاريه في مصر وعلى أن أقدم له التقارير غداً صباحاً."

"ثُمَّ قَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: بَعْدَ مَا أَعْلَمَكَ اللهُ كُلَّ هذَا، لَيْسَ بَصِيرٌ وَحَكِيمٌ مِثْلَكَ . أَنْتَ تَكُونُ عَلَى بَيْتِي، وَعَلَى فَمِكَ يُقَبِّلُ جَمِيعُ شَعْبِي إِلاَّ إِنَّ الْكُرْسِيَّ أَكُونُ فِيهِ أَعْظَمَ مِنْكَ. ثُمَّ قَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: انْظُرْ، قَدْ جَعَلْتُكَ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ."

هل هذا ما دار في عقل سليمان، الملك العظيم، لاحقاً عندما كتب، "قَلْبُ الْمَلِكِ فِي يَدِ الرَّبِّ كَجَدَاوِلِ مِيَاهٍ، حَيْثُمَا شَاءَ يُمِيلُهُ." (أمثال 21:1)؟

أغلبنا مازال في مدرسة الله يتعلم عن دروس الحياة. كيف نتأقلم؟ هل نتحضر ليوم التخرج؟ أم هل نرسب بالاختبارات التي يرسلها من وقت إلى آخر؟

5. كان الفرعون أساساً ملك-كاهن والوسيط بين الناس والأرواح والذي جَسَدَ في شخصِهِ صِحة وفُحولة الشعب، وكُل حياتهِ كانت مغمورة بالطقوس والتي لأغلبها أهمية دينية.

7. عروس يوسف (41:45-52)

إن العروس في الكتاب المقدس تتكلم عن المسيح وكنيسته-ليس كلها (سارة مثلاً، هي نمط لإسرائيل بدلاً من الكنيسة)، ولكن العديد منها. نفكر مثلاً بحواء، بسارة، راحيل ورفقة، براعوث وأبيجايل، وطبعاً نفكر بأسنات.

بحواء لدينا صورة عن *تشكيل* الكنيسة. قصة حواء هي قصة الليل الدامس لآدم، سبات آدم، فتح جنب آدم، الأخذ من آدم ما هو مطلوب لتشكيل معينه. كانت حواء مخلوقاً جديداً، أُخِذَت من آدم لتُقَدَم لآدم، كي تشاركه حياته، حتى تكون الكائن المميز بمحبته. عندما نفكر بآدم وحواء، نفكر بالمسيح والكنيسة.

تحدثنا رفقة عن *إيمان* الكنيسة. كم كانت جاهلة بإسحاق حتى أتى الخادم من الآب مع هدايا سخية وطلب. نفكر باستجابتها الفورية للدعوة: "هل ستذهبين معه؟" نفكر بتلك الرحلة الطويلة، الأميال العديدة والأيام التي حالت بين لقائها مع الخادم ولقائها مع الإبن. لقد استغرقت وقتاً جيداً بالتعرف على إسحاق وبالتحضر للقائه. عندما نفكر بإسحاق ورفقة، نفكر بالمسيح وكنيسته.

أعدت أسنات أمامنا *مستقبل* الكنيسة. هنا إمرأة أُخِذت من الظلمة ووصلت لتشارك المركز العالي والنبيل لذلك الذي أُجلِسَ على يمين العظمة لفرعون. عندما نفكر بيوسف وأسنات، نفكر بالمسيح والكنيسة.

بعض معلمي الكتاب المقدس لا يمكنهم أن يروا الأنماط في العهد القديم، البعض الآخر قد يحصروهم فقط بأولئك المذكورين بالعهد الجديد. ولكن ما لدينا بالعهد الجديد مجرد *عينات*؛ إنهم بأي حال من الأحوال يستنفذون *النوع*. أسنات لم تذكر بأي مكان في العهد الجديد كنمط، ولم يذكر يوسف أيضاً لذلك الغرض، ولكنها نمط سواء أحببنا أم لا فهي نمط سيتدخل.

أ. مكانها المفضل (41:45-49)

لفهم مكانها المفضل علينا أولاً أن نتجاهلها بالإجمال. علينا أن نركز على العريس. معاناة يوسف قد انتهت والآن لم يبقَ له سوى المجد-المجد الذي ستشاركه به أسنات.

قد *رُفِعَ عالياً* في المقام الأول. "ثُمَّ قَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ ... أَنْتَ تَكُونُ عَلَى بَيْتِي، وَعَلَى فَمِكَ يُقَبِّلُ جَمِيعُ شَعْبِي إِلاَّ إِنَّ الْكُرْسِيَّ أَكُونُ فِيهِ أَعْظَمَ مِنْكَ." ربما رُشِق يوسف بنظرات كثيرة من الحسد بالإضافة إلى احتقار ورفض المسؤولين المرموقين في البلاط عندما أخذ فرعون يوسف ووضعه في الأعالي على يمينه وأعطاه السلطة. هناك حيث يسوع اليوم، جالس على يمين العظمة في الأعالي. غيرة وسخط الرجال لا يمكنها أن تبدل دوره.

يأتي المشهد جاهزاً للعرض؛ قاعة المحكمة الفخمة حيث جلس الإمبراطور فرعون على عرشه العاجي العظيم مرتدياً الرداء الملكي. كانت الخطوات إلى العرش من الرخام، وأسد حي يستلقي عند قدمي فرعون. أعمدة غرفة العرش تبدو كطول نبتة اللوتس، تصور مشاهد طقسية من رموز مصر الدينية. خلف الفرعون يجلس العبيد مع مراوح من ريش الطاووس الغالي الثمن والذي رصع بالذهب بغزارة. يقف الحراس بجانب الحيطان الملتهبة مع مشاهد تصور براعة فرعون الحربية. حول الملك يقف وزراؤه، وهناك وقف أمامه الشاب يوسف، شاحب الوجه بسبب السجن مع قميصه الغير ملائم والذي رمي عليه على عجل.

وجوه رجال الحاشية يجب أن تُدْرَسْ. ذهول وإعجاب وخوف وحسد واستياء وعرفان بالجميل وريبة-كلها حالات تعكس أمزجتهم وطموحاتهم. ارتسمت على وجه فرعون بسمة حارة ومرحبة. ربما قال: "تعال إلى هنا يا يوسف! آوه، أين حارس الخزانة الملكية؟ الثياب البوص ليوسف، والقلادة الذهبية لعنقه!" "تفضل يا فوطيفار، ضع هذا الخاتم في يد يوسف. هذا يوسف. لقد عينته على كل أرض مصر."

وهكذا كان أيضاً، رفعه الله إلى الأعالي بعد ألمه. بوابات المجد فتحت بوسع لاستقباله، ودخل بانتصار وسط النظرات المستغربة للحشد الملائكي-رجل سائر في السماء ليأخذ مكانه عن يمين الآب! وعلى وجوه الكروبيم، السرافيم، رئيس ملائكة المجد، هيبة مقدسة، تعجب، عبادة ومحبة.

لقد رُفِع يوسف عالياً؛ وكان أيضاً *مبجلاً جداً*. "وَدَعَا فِرْعَوْنُ اسْمَ يُوسُفَ صَفْنَاتَ فَعْنِيحَ،" وصرخوا أمامه، "ارْكَعُوا!" لقد أحنوا ركبهم، كل الجمع الغفير وأصحاب المقامات الرفيعة في مصر، الحرس، الزعماء العسكريين، رجال وسيدات البلاط، الحاضرين، البنات الراقصات، الأرستقراطيين، العالي والداني على السواء، عندما مر يوسف من أمامهم. لقد إنتقلت الكلمة من طرف مجلس الجمع الغفير إلى آخر، مثل حفيف الأشجار في الغابة، قبل النسيم المسائي، "صفنات فعنيح!" يعني الإسم للمصريين "مخلص العالم،" وهو ما كان يوسف عليه تماماً. يعني الإسم للعبرانيين "كاشف الأسرار،" وهو ما كان عليه لأخوته في أيام أحلامه وماذا سيكون لأسنات في الأيام القادمة. في كل هذا طبعاً، كان يوسف يتحدث عن المسيح.

الرجل الغير مخلص يحتاج أن يعلم حقيقةً واحدةً عن يسوع-*إنه مخلص العالم*؛ لقد أتى إلى العالم كيما يخلص الخطاة ويمكن أن يخلص من الغضب القادم. إنه جواب الله لحاجات الإنسان المُلِحة. الشخص المُخلَص يحتاج أن يعرفه بطريقة عميقة *ككاشف الأسرار*، الشخص الذي يستطيع أن يكشف أفكار قلب الله. نحتاج أن نعرفه كما عرفه الإثنا عشر في العلية، كما عرفه تلميذا عمواس، كما عرفه شاول الطرسوسي في عزلته في سيناء.

ولكن كنا فظين مع السيدة. لقد أبقينا أسنات، ابنة فوطي فارع، كاهن أون واقفة بعيداً لمدة طويلة مهملة ووحيدة، وهذا هو يوم زفافها. لقد إنحرفنا عن الموضوع لأنه بهذه الطريقة فقط يمكن أن يقدر مكانها المفضل. الآن وبعد أن رُفِع يوسف، اختار فرعون العروس المناسبة له، والتي دعاها كيما تشارك في الكرسي الشامخ للسلطة والذي يعود الآن إلى رجل عن يمينه. " وَأَعْطَاهُ أَسْنَاتَ بِنْتَ فُوطِي فَارَعَ كَاهِنِ أُونَ زَوْجَةً." لقد أُحضِرت وزوجت له ثم رُفِعت كيما تشاركه منصبه. هناك كان مكانها المفضل.

بولس وهو يتحدث إلى الكنيسة، يذكرنا بأننا يجب أن "نَكُونَ لِمَدْحِ مَجْدِهِ ... لِيُظْهِرَ فِي الدُّهُورِ الآتِيَةِ غِنَى نِعْمَتِهِ الْفَائِقَ، بِاللُّطْفِ عَلَيْنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ... لِكَيْ يُعَرَّفَ الآنَ عِنْدَ الرُّؤَسَاءِ وَالسَّلاَطِينِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ، بِوَاسِطَةِ الْكَنِيسَةِ، بِحِكْمَةِ اللهِ الْمُتَنَوِّعَةِ" (أفسس 1:12؛ 2:7؛ 10:3). ذلك هو مكاننا المفضل. لقد أخترنا كيما نتحد بالمسيح على كرسي القوة العليا، كيما نظهر للكون العجيب المجد، النعمة وعبقرية الله.

ب. ماضياً منسياً (45:41)

لا نعرف أي شيء عن المرأة أكثر من اسمها ومهنة والدها. كان والدها فوطي فارع، ويعني الاسم "مُعطى من إله الشمس."لقد كان كاهن أون، المدينة العظيمة في مصر والتي أطلق عليها فيما بعد اسم هليوبوليس ("مدينة إله الشمس")، تقع حوالي تسعة عشر ميلاً شمال ممفيس في الدلتا. لقد كانت المدينة الرئيسية للعلوم المصرية، العاصمة الدينية لمصر القديمة، وواحدة من المدن الرئيسية في البلاد. كانت مشهورة باحتفالاتها السنوية والتي عُملَت لتكريم الشمس، والتي آمن فرعون بأنها التجسد الحالي. لذلك كان والد أسنات رجلاً مهماً في مصر. كان كاهن أون.

ماذا عن أسنات نفسها؟ يعني اسمها "التي تنتمي إلى نيث." الإستدلال هو أنها كانت كاهنة لآلهة مصر القديمة "نيث،" أم أرض الدلتا. في التراث يجعلون نيث أم إيزيس وأوزوريس؛ الآلهة الثلاثة الريئسية في مصر. كان من المفترض أن تكون نيث مصدر الحكمة، تستشيرها الآلهة الأخرى عندما يبرز بينهم نزاع.

إن الكتاب صامت عن كل هذا. لم تُقدَم أسنات حتى تحتل موقع الشهرة، بل بالأحرى كي توضح الشرف النبيل الذي منحه فرعون للرجل الذي أصبح مخلص العالم.

ماذا كانت ردة فعل يوسف تجاه زواجه من كاهنة وثنية؟ من المؤكد بأنهما قاما بالتحدث مرات عديدة على شرفة منزلهما عندما نظرتهم النجوم المتلألئة في سماء مصر الصافية. "ماذا عن رع؟" ربما سألت أسنات. "ماذا عن نيث، أم الأرض؟ ماذا عن كل ألهتنا اللامعة والعظيمة يا يوسف؟ هل فكرت فيهم يوماً ما؟ ماذا عن أوزوريس النيل والذي تعتمد عليه حياة مصر؟ ماذا عن حتحور، آلهة السماء؟ ماذا عن إيزيس الفاتنة، زوجة أوزوريس؟ وماذا عن سيث، القاتل الشرير لأوزوريس؟ ماذا عن حورس ووحرماحكيس وتحوت؟"

هل من الممكن ألا يوجهها يوسف إلى الإله الحي الحقيقي الذي بشر به فرعون نفسه بكل جرأة؟ من الممكن أنه قال: "أنا لا أعرف آلهة مصر. لقد وجدت في مصر خليطاً من الحكمة والغباء العظيمين. لدى مصر القدرة على بناء الأهرامات وأبو الهول؛ إن لمصر العبقرية كيما تقود العالم. ولكن مصر تعبد البقر والتماسيح والقطط! تحوت لديه رأس أبو منجل، حورس لديه رأس الصقر، أنوبيس لديه رأس ابن آوى. هذا يبدو غباءً بالنسبة لي. في مصر أنتم تفهمون علم الفلك، الطب، الجراحة، الجبر، العلوم السياسية، حرفة الإمبراطورية. ولكنكم تعبدون قططاً محنطة وثعابين وتسجدون أمام الثور!"

قد ترد أسنات وتقول، "ولكن يا يوسف، الصقر الطائر في السماء، ابن آوى المتنقل كالشبح على طول حافة الصحراء، التمساح الرهيب الكامن في نباتات الأسل في النيل-هذه الكائنات تشتمل على قوى أعظم من القوة التي يمتلكها الإنسان. هذه المخلوقات مختلفة عنا. إنهم يمتلكون القوة والعمل اللذين لا نمتلكهما لذلك هم محترمون وموقرون، كحاملين لقوى فوق بشرية. هذا ما قد تعلمته.

ربما قال يوسف، "كلا أيتها المحبوبة! ضعي جانباً هذه الأفكار الحمقاء. دعيني أخبرك عن إلوهيم، الرب، الإله الحي الحقيقي لإبراهيم وإسحاق ويعقوب آبائي. هكذا يقول تقليدنا: في البدء خلق الله السماوات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الغمر ظلمة. وروح الله يرف على وجه المياه. وقال الله، "ليكن نور" فكان نور.

ألن تهمس أسنات، "ما تقوله يا يوسف يرن مثل كلمة الله في قلبي. أوه، أخبرني المزيد." وهكذا سيكون يوسف لأسنات كاشف الأسرار الحقيقي.

ولكن بالنسبة لأسنات، لقد محا الله ماضيها. لم يُقال لنا أي شيء عن طفولتها، ولا عن تعلمها لحماقات دين المصريين، ولا عن رغباتها وقراراتها. كل قصة أيام عدم تجددها، كلها قد محيت، لا يعود الله يذكرها ويرفض أن يسجلها في كتابه. كل ما يهم هو أنها أُحضِرت إلى يوسف وأنها ربطت حياتها به. لذلك يملأ يوسف المشهد بشكل صحيح، لأنه كان الكل بالكل. وهكذا هو يوسفنا السماوي أيضاً. العمل العظيم الذي يعمله الروح القدس، ليس أن يتكلم عن نفسه، وليس أن يجذب انتباهنا إليه وإلى هداياه، وليس أن ينبش ماضينا، وإنما ليشغل أفكارنا وعواطفنا بالمسيح.

ت. قسمها المخلص (41:50-52)

لقد كان دور أسنات أن تشارك بإنجاب الأبناء للمجد. "وَوُلِدَ لِيُوسُفَ ابْنَانِ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ سَنَةُ الْجُوعِ، وَلَدَتْهُمَا لَهُ أَسْنَاتُ بِنْتُ فُوطِي فَارَعَ كَاهِنِ أُونَ." أيضاً يوسف الحقيقي والسماوي، وفي هذا العصر، يجمع لنفسه عائلة مختارة وعندما تكتمل ستكون هناك سنوات جوع، "أوقات اضطرابات يعقوب." من ناحية أخرى، مثلما جعلت المجاعة أخوة يوسف يأتون إليه، كذلك الضيقة القادمة، سيستخدمها الله كي تجلب اليهود إليه.

لقد ولد ولدان ليوسف. الأول كان منسى، والذي يعني اسمه "*النسيان*." لديه شيء يقوله لنا. قال يسوع بما يخص العشاء الأخير، "اصْنَعُوا هذَا لِذِكْرِي." هل نسينا ذلك؟ يقول الروح القدس، "فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ، عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ." هل نسينا ذلك؟ لقد قيل لنا، "امْتَلِئُوا بِالرُّوحِ." هل نسينا ذلك؟ لقد أُمِرْنا، "اجْتَهِدْ أَنْ تُقِيمَ نَفْسَكَ للهِ مُزَكًى." هل نسينا ذلك؟ لقد قيل لنا، "صَلُّوا بِلاَ انْقِطَاعٍ"؛ لقد قيل لنا أن، " الْمُعْطِيَ الْمَسْرُورَ يُحِبُّهُ اللهُ." هل نسينا ذلك؟ هل نحتاج إلى توسيع اللائحة؟ هل اشتهرنا بما أوحى به منسى؟ النسيان!

إفرايم، اسم الولد الثاني ويعني "المثمر." لديه شيء يقوله لنا أيضاً. قال يسوع، "بِهذَا يَتَمَجَّدُ أَبِي: أَنْ تَأْتُوا بِثَمَرٍ كَثِيرٍ." هل نحن مثمرون؟ يقول بولس، " لِكَيْ تَصِيرُوا لآخَرَ، لِلَّذِي قَدْ أُقِيمَ مِنَ الأَمْوَاتِ لِنُثْمِرَ للهِ." هل نحن مثمرون؟ يقول بولس، "وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ :مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلاَمٌ، طُولُ أَنَاةٍ لُطْفٌ صَلاَحٌ، إِيمَانٌ وَدَاعَةٌ تَعَفُّف" (غلاطية 5:22). هل نحن مثمرون؟

يخبرنا منسى وإفرايم عن الأشياء التي يجب أن تصف أناس الله في هذا العصر. سوف نكون إما ناسين أو مثمرين. هل أنا منسى أم إفرايم؟

8. أخوة يوسف (41:47-53:10)

أ. طور الغموض (41:44-53:34)

هناك ثلاث عشرة مجاعة في الكتاب المقدس. استخدم الله هذه المجاعة كيما يحضر العائلة المختارة إلى يوسف. كما في يوم مجيئه، سوف يستخدم شدائد الضيقة العظيمة كيما يجذب إسرائيل إلى المسيح. تعاملات يوسف مع أخوته في هذا القسم الطويل تُفتَح أمامنا الآن ويمكن أن تُقَسَّم إلى ثلاث مراحل: هناك *مرحلة الغموض* في تعاملاته (41:44-53:34)، خلال هذه المرحلة كان أخوته عاجزين تماماً عن شرح ما يحدث معهم، فقد صحيت ضمائرهم للأخطاء التي فعلوها بحق يوسف منذ سنوات. هناك *مرحلة الجلالة* (45:1-24)، أعلن يوسف خلالها عن نفسه إلى إخوته في كل المجد الذي له الآن. هناك *مرحلة الخدمة* (45:25-47:10)، مَثَّلَ من خلالها إهتماماتهم في بلاط فرعون، أحضرهم كيما يكونوا معه، وجلعهم يستقرون في أفضل مكان في البلاد. كل المراحل الثلاثة غنية بالتعليم الرمزي وتضع أمامنا مراحل تعاملات الله المستقبلية مع شعبه إسرائيل. القصة كما تتكشف تتضمن أيضاً عدة دروس عملية لنا اليوم.

1. كيف تثقل أخوة يوسف (41:42-53:34)

تبدأ القصة مع *المجاعة المتنبأ بها* بكل وضوح (41:53-57). سُجِلَتْ أولاً شدتها. "ثُمَّ كَمِلَتْ سَبْعُ سِنِي الشِّبَعِ الَّذِي كَانَ فِي أَرْضِ مِصْرَ .وَابْتَدَأَتْ سَبْعُ سِنِي الْجُوعِ تَأْتِي كَمَا قَالَ يُوسُفُ، فَكَانَ جُوعٌ فِي جَمِيعِ الْبُلْدَانِ .وَأَمَّا جَمِيعُ أَرْضِ مِصْرَ فَكَانَ فِيهَا خُبْزٌ."

هناك القليل ممن يذكرون عصر العواصف الرملية في الولايات المتحدة. جون ستينبيك في *كروم الغضب* يعطينا واحداً من أكثر الأدبيات التصويرية لهذه الفترة. يصور أوكلاهوما بالشمس المتوهجة على حقول الذرة والتي تسبب ذبولها حيث تقع؛ تنكمش الحشائش وتموت بالحر، يرتفع الغبار عالياً كسور يعتلي العربة المارة. يصور رؤوس المطر العذب الظاهرة في السماء لتتفرس بالأرض المعذبة في الأسفل، مسقطةً حبةً وإثنتين مُغيظتين على الحقول المتقرحة والمزارع، ثم تمضي إلى أجزاء أخرى. يخبر عن مجيء

الرياح، الرياح التي نزعت التربة السطحية وحملتها بعيداً. يخبر كيف فُلِتِر التراب على الأرض كي يغطيها مثل البطانية وكي يسويها مثل البودرة على أعمدة السياج والذرة الذابلة.

وهكذا جاءت المجاعة إلى وسط أمريكا، وهكذا جاءت المجاعة إلى مصر والأراضي المحيطة، لقد سبق وأُخبِر بالمجاعة إلهياً واستعداداً لما أقام الله يوسف وفرعون الحكيم والوقور.

لقد فشل النيل في مصر، وعندما فشل النيل، ماتت مصر. بعيداً هناك، كل سنة تلتقي مياه النيل الأزرق الهادرة من أثيوبيا بمياه النيل الأبيض الآتية من "بحيرة ليفيغستون." يحمل النيل المضطرب بموجاته الطويلة من مرتفعات أثيوبيا الكنز الغني للطين المُسمَد، والذي يحمل الحياة إلى الأرض في كل سنة. علم المصريون القدماء القليل عن هذه الأمور. انتهى عالمهم في جنوب النوبة. الطوفان المعطي للحياة، المعجزة السنوية، كانت هدية "رع." في مدينة الطيبة ومدن أخرى على طول النهر الأعوج، قاس الكهنة بمقاييسهم مياه الطوفان وقارنوا ما وجدوه بسجلات السنوات الماضية. في سنة جيدة يبدأ النهر بالإرتفاع في شهر آب، ويحتفل المصريون بعيد النيل العالي لشكر الآلهة. يصل النهر إلى قمته في شهر إيلول، وفي نهاية شهر تشرين الأول يبدأ الفيضان بالهبوط وتبدأ الزراعة في شهر تشرين الثاني.

ابتهج المصريون بنيلهم "الحسن" لسبع سنين طويلة ورائعة. لم يوجد نيل أفضل منه. كان خصب السنوات السبعة تلك عظيماً حتى أن تجنيد عشرين بالمئة من القمح، التي فُرِضت من يوسف وادخرت في مخازن فرعون، كانت وافرة جداً لإطعام كل مصر لسبع سنوات الجوع مع الكثير من الزيادة لبيع البلاد المنكوبة المحيطة.

ولكن أتت الآن سبع سني الجفاف. فشل النيل الوافر بالإرتفاع، فشل في تأمين الطين الواهب للحياة، فشل كما قال يوسف بأنه سيفشل. سنة بعد سنة، لمدة سبع سنين، أرسل مراقبو ساحل النيل نفس التقرير المتشائم: "نيل سيء آخر." على بعد أربعة ألاف ميل باتجاه الجنوب، في الينابيع السرية حيث مصدر النيل، انقطع المطر الغزير الذي غذى البحيرات والروافد. مصر وكل الأراضي حولها قد واجهت المجاعة.

ليس فقط قسوته، ولكن أهميته قد سجلتا. " وَلَمَّا جَاعَتْ جَمِيعُ أَرْضِ مِصْرَ وَصَرَخَ الشَّعْبُ إِلَى فِرْعَوْنَ لأَجْلِ الْخُبْزِ، قَالَ فِرْعَوْنُ لِكُلِّ الْمِصْرِيِّينَ» :اذْهَبُوا إِلَى يُوسُفَ، وَالَّذِي يَقُولُ لَكُمُ افْعَلُوا وَكَانَ الْجُوعُ عَلَى كُلِّ وَجْهِ الأَرْضِ، وَفَتَحَ يُوسُفُ جَمِيعَ مَا فِيهِ طَعَامٌ وَبَاعَ لِلْمِصْرِيِّينَ .وَاشْتَدَّ الْجُوعُ فِي أَرْضِ مِصْرَ. وَجَاءَتْ كُلُّ الأَرْضِ إِلَى مِصْرَ إِلَى يُوسُفَ لِتَشْتَرِيَ قَمْحًا، لأَنَّ الْجُوعَ كَانَ شَدِيدًا فِي كُلِّ الأَرْضِ." هناك تكمن الأهمية. يوسف! يوسف! يوسف!

إن الهدف الضمني للمجاعة كان لكي يجذب الناس إلى يوسف، وخاصة أقاربه، أولاد اسرائيل.

الآن انظر إلى العائلة المرتبكة (42:1-5). يُسَلَط الضوء على كنعان بدلاً من مصر. العائلة البطرياركية قد علقت بالمصيبة المنتشرة في كل العالم. أناس الله ليس لديهم تأكيد غير مشروط بأنهم سوف ينجون من الطوفان والمجاعات، من الأعاصير والزلازل، رعب الحرب والثورة التي تأتي من وقت إلى وقت على العالم. عندما تضرب المصيبة، ليس علينا أن نجلس ونعصر أيدينا ونتوقع أن يعمل الله شيئاً معجزياً بدلاً عنا. علينا أن ننظر حولنا إلى وسائل طبيعية للنجدة. على الأقل، هكذا فكر يعقوب. " فَلَمَّا رَأَى يَعْقُوبُ أَنَّهُ يُوجَدُ قَمْحٌ فِي مِصْرَ، قَالَ يَعْقُوبُ لِبَنِيهِ: «لِمَاذَا تَنْظُرُونَ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ؟... انْزِلُوا إِلَى هُنَاكَ وَاشْتَرُوا لَنَا مِنْ هُنَاكَ لِنَحْيَا وَلاَ نَمُوتَ" (42:1-2). كان هذا عملاً واعياً. ليس هناك ما يقول بأن الشخص الروحي لا يستطيع أن يكون شخصاً واعياً أيضاً.

بلا شك أن العائلة المختارة قد ارتبكت بسبب حدة وقسوة المجاعة. لماذا أثرت على كنعان؟ ألم يكونوا بأرض الموعد في طاعة لفكر وإرادة الله؟ لماذا سمح الله بأشياء كهذه؟ لقد نظروا بإرتياب إلى المتسولين، الأطفال الجياع، إلى العديد من الجثث التي يرثى لها. لماذا؟ سيعرفون بعد قليل لماذا. خطيتهم، والتي دفنت منذ زمن بعيد في أذهانهم وتغطت زماناً، على وشك أن تُفضَح وتُكتَب في عناوين لافتة كيما يقرأها كل العالم.

لذلك تخبرنا القصة عن *الإصبع المشير* (42:6-34). ظل إصبع الله مشيراً إلى ضمائر أولئك الرجال وإلى يوسف في نفس الوقت. لقد إعترف الإخوة أولاً بيوسف، كما سبق وأخبرت أحلامه *بجهل بسيط* (42:6-9). بكل بساطة لم يعرفوا بأنهم كانوا يحققونها. " فَأَتَى إِخْوَةُ يُوسُفَ وَسَجَدُوا لَهُ بِوُجُوهِهِمْ إِلَى الأَرْضِ. وَلَمَّا نَظَرَ يُوسُفُ إِخْوَتَهُ عَرَفَهُمْ، فَتَنَكَّرَ لَهُمْ ... وَعَرَفَ يُوسُفُ إِخْوَتَهُ، وَأَمَّا هُمْ فَلَمْ يَعْرِفُوهُ. تَذَكَّرَ يُوسُفُ الأَحْلاَمَ." لقد أتوا إلى مصر كيما يُوجهوا إلى حدود تقسيم وزارة الخارجية المصرية التي تعاملت مع تصدير المصادر القومية الحيوية للغرباء وللسلطات الخارجية. لقد حُولِوا إلى يوسف وهلعوا من فخامته، فسجدوا إلى الأرض. لقد كان الإصبع يشير إليه ولكن بعماهم، لم يعرفوا من كان. هذه نفس حال اليهود اليوم. إن الإصبع يشير باستمرار ليسوع، ولكن أغلب اليهود فشلوا في أن يروا فيه مسيحهم المنتظر، المخلص، والرب. "القساوة،" يقول بولس، "حصلت لإسرائيل" (رومية 11:25).

ثم اعترفوا بيوسف واسطة *التضمين الخفي* (42:10-17). لقد اتهمهم يوسف بالجاسوسية. "لاَ يَا سَيِّدِي، بَلْ عَبِيدُكَ جَاءُوا لِيَشْتَرُوا طَعَامًا. نَحْنُ جَمِيعُنَا بَنُو رَجُل وَاحِدٍ .نَحْنُ أُمَنَاءُ، لَيْسَ عَبِيدُكَ جَوَاسِيسَ." لأنهم لم يعرفوه، إتهمهم يوسف ثانية بالجاسوسية. وفي هذه المرة قالوا، "عَبِيدُكَ اثْنَا عَشَرَ أَخًا. نَحْنُ بَنُو رَجُل وَاحِدٍ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ. وَهُوَذَا الصَّغِيرُ عِنْدَ أَبِينَا الْيَوْمَ، وَالْوَاحِدُ مَفْقُودٌ." وهنا تكمن! الإشارة إلى يوسف بالتضمين الخفي. لم يسموه أو يعترفوا به؛ إنهم يفضلون عدم التفكير به. ولكن بما أنهم مجبرون، فسيضطرون إلى ذكره بشكل عرضي وعابر. لن يقولوا أي شيء عما فعلوه فيه، ولا شيء عن رفضهم له. لقد كان يوسف حقيقة تاريخية مربكة يفضلون عدم مواجهتها على الإطلاق.

ولكن يوسف لم يكن لديه أي نية لتركهم بهذه الطريقة. لقد اتهمهم مجدداً للمرة الثالثة بأنهم جواسيس وحبسهم في جناح الرئاسة لثلاثة أيام. يمكن للإنسان أن يتخيل ذعرهم. لقد كانوا خائفين بشكل مميت من ذلك الشخص المصري الغامض الذي مثل قوة مطلقة عليهم، لذلك بدأوا بالتفكير خلال هذه المحنة.

كان اعترافهم الثالث بيوسف *بواسطة الجرم الذاتي* (42:18-23). أطلق يوسف سراح أخوته بعد ثلاثة أيام، وقال لهم، "سوف أخضعكم إلى إمتحان. قلتم بأنه لديكم أخاً أصغر في البيت؟ إذهبوا وأحضروه إلي! هل أنتم أمناء؟ لنرى!" ثم وقف بعيداً بنظرة تنم عن عدم الإكتراث في وجهه واستمع إلى محادثتهم.

تحدثوا بحرية غير عالمين بأنه يفهم اللغة العبرية. إصبع الإتهام كشفهم؛ لقد بدأوا بإدانة أنفسهم لماذا فعلوه بيوسف منذ سنوات، وهنا أتى – إعترافهم! "وَقَالُوا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: حَقًّا إِنَّنَا مُذْنِبُونَ إِلَى أَخِينَا [الضمير الحي]الَّذِي رَأَيْنَا ضِيقَةَ نَفْسِهِ لَمَّا اسْتَرْحَمَنَا وَلَمْ نَسْمَعْ [الذاكرة الحية]لِذلِكَ جَاءَتْ عَلَيْنَا هذِهِ الضِّيقَةُ"[المنطق الحي]. الضمير، الذاكرة، المنطق-كلاب الله الثلاثة التي تنبح على باب الروح. الإصبع الموجه كان يعمل عمله. مازالوا عمياناً لما كأنه يوسف بالحقيقة، ولكنهم الآن صاحون تماماً إلى ذنبهم المروع تجاهه. إنهم يذكرون اسمه الآن على الأقل بينهم، ووسط ظروفهم.

اعترافهم الرابع بيوسف كان تحت *تخويف موجع* (42:24-34). تحول يوسف جانباً وبكى لأن قلبه نزف من أجلهم وأراد أن يعلن نفسه لهم. ولكنه كان أحكم من ذلك لأنهم لم يكونوا مستعدين بعد لرؤيته في مجده، عما هو عليه. لقد إحتاجوا إلى تجربة شدائد صارمة أكثر حتى تستيقظ ضمائرهم البليدة أيضاً.

وحتى يتحقق ذلك، وضع يوسف يده على شمعون، الأكثر وحشية فيهم واقتاده بعيداً. لقد إحتاج شمعون إلى تدريب خاص، بالإضافة إلى ذلك، معاناته ستتكلم إلى اخوته. ترك الأخوة مصر بدون شمعون الذي احتجز الآن كرهينة. لقد كانت أكياسهم مليئة بالحبوب، ولكن أفكارهم مضطربة جداً. أين ستنتهي هذه الأمور؟ ماذا سيقولون لأبيهم؟

لقد توقفوا عند أول واحة من أجل الراحة والطعام وفتحوا أكياسهم. رعب! هناك في أكياسهم كانت النقود التي أحضروها معهم ودفعوها لأمين الصندوق مقابل الحنطة. لقد حدقوا فيها بعدم تصديق كامل. من أين جاء هذا المال؟ لقد أخذوا العملة المعدنية مع أنها كانت ساخنة جداً، وعدوها مجدداً. اصطحب ذلك قرف شديد للنقود في أرواحهم؛ لقد أحرفت أصابعهم، إنها تخبر بمشكلة من النوع السيء جداً.

هؤلاء الرجال ذاتهم من باعوا يوسف من أجل المال النقدي قبل سنين. لقد كانوا رجالاً تحب المال. لقد كانوا مزدهرين مادياً خلال الأيام الطويلة لرفضهم له. يجب على يوسف أن يعلمهم كيف يشمئزوا من رؤية المال.

عندما وصلوا إلى المنزل صبوا في أذن والدهم كل القصة المذهلة، مع انتباههم بأن لا يذكروا أي شيء عن خيانتهم ليوسف في السنين الماضية. ربما همسوا بذلك بين أنفسهم، ولكنهم لم يكونوا مستعدين بعد لمواجهة والدهم. لقد كان الندم حياً ولكن ليست التوبة. لقد اعترفوا بيد الله في تلك الأحداث الغامضة ("مَا هذَا الَّذِي صَنَعَهُ اللهُ بِنَا؟")، ولكنهم لم يتذللوا كفاية ليسكبو قلوبهم بالدموع المرة على يوسف.

كل ما يحدث هو أكثر من مجرد قصة يوسف وإخوته، لا بل يصل خلال العصور إلى اليهود ومعاملتهم ليسوع. قام اليهود برفضه بإصرار لعصور طويلة ومر مؤرخوهم باستخفاف على قصة يسوع. لا يمكنهم أن ينكروا بأنه لم يوجد، ولكنهم يتجاوزونه بأسرع ما يمكن. إنهم يصرفون النظر عنه باستخفاف وبوقاحة كواحد من المسحاء الكذابين. البعض إعترف بصلاحه، حتى بعظمته والبعض إعترف به كزخرفة للعرق العبري-كرجل. ولكنهم لن يعطوه مكانه المناسب ولا حتى للحظة أو يعترفوا بالمسيحية لأن العديد من الكتاب اليهود يمقتون المسيحية.

لقد طاف اليهود العالم لعقود ملاحقين من ذنبهم الوطني. لديهم لمسة الميداس، يزدهرون دائماً في الأراضي التي اعتمدوها. يتسلقون القمة في وظائفهم ومهنهم، في الفن والعلوم والسياسة ويجنون الثروات الطائلة، ولكن سيأتي اليوم عندما يكرهونها. إزدهارهم سوف ينزل كره العالم عليهم. لقد حصلت في السابق؛ لقد حصلت في ألمانيا أيام العصور النازية، لقد حصلت مرات عديدة في تاريخهم المأساوي الطويل، وسوف تحدث أيضاً. محنهم سوف تأتي في زمن بغيض يدعى "زمن مشاكل يعقوب." سوف يبكون كأخوة يوسف، "مَا هذَا الَّذِي صَنَعَهُ اللهُ بِنَا؟" سوف يجدون أنفسهم ممسكين، كما أخوة يوسف، بظروف خارجة عن سيطرتهم. الإصبع المشير سوف يشير إلى يسوع وإلى رفضهم له وسيبقى يشير حتى تسقط القشور من أعينهم.

2. كيف تحير أخوة يوسف (34:43-35:42)

القصة في القسم التالي تدور حول ثلاثة أشخاص-يعقوب، يهوذا، ويوسف-تكمل القصة لتخبر عن تعاملات يوسف مع إخوته، تعاملات مُصمَمَة لتُظهِر لهم الفوضى الكامنة في قلوبهم والمحبة التي سادت على قلبه.

أ. محنة يعقوب (35:42-38)

لقد استمع الشيخ إلى ما قاله أولاده، ولكن صدق نصف ما قالوه. أين هو شمعون؟ ما هي قصة أخذ بنيامين في المرة القادمة؟ هؤلاء الأولاد لم يكونوا إلا مصدر ألم وقلق له. لقد أتوا إلى البيت بقميص يوسف قبل عدة سنوات، وصدق شهادتهم الموحدة بالكامل. قال، "قَمِيصُ ابْنِي! وَحْشٌ رَدِيءٌ أَكَلَهُ، افْتُرِسَ يُوسُفُ افْتِرَاسًا." لقد تنفس أخوته الصعداء ولكن الوقت قد مر وفطن يعقوب الشيخ الداهية للأفكار ثانية، لقد بحث أكثر بموضوع الغيرة والعدائية التي أظهرها الآخرون لإبنه المفضل. لقد وقفوا الآن أمامه بدون شمعون مع تعبير صريح أنه في المرة القادمة يجب أن يأخذوا حبيبه بنيامين إلى مصر معهم. لقد كانت قصتهم غير قابلة للتصديق لذلك طلب دليلاً. لقد قال لهم، "افتحوا أكياسكم،" وهناك كانت بالتأكيد الفضة التي أكدت قصتهم. "كل هذه الأشياء ضدي،" تأوه عندما انكسر إيمانه. في الحقيقة، التي لم يعرفها، لقد قد رُفِع يوسف إلى الأعالي وعمِلَ كل الأشياء لخيره.

ثم تحدث رأوبين، رأوبين البكر، رأوبين المذنب سراً في موضوع بلهة والذي كان مكشوفاً للرجل الشيخ. قائلاً له، "اقْتُلِ ابْنَيَّ إِنْ لَمْ أَجِئْ بِهِ إِلَيْكَ. سَلِّمْهُ بِيَدِي وَأَنَا أَرُدُّهُ إِلَيْكَ." فنظر إليه بنظرة ناشفة وقال له، " لاَ يَنْزِلُ ابْنِي مَعَكُمْ."

ب. تعهد يهوذا (1:43-15)

إن المؤونة من مصر قاربت على الإنتهاء ورحلة جديدة يجب أن تتم. لقد علم يهوذا بأنه إذا ذهب إلى مصر من دون بنيامين فإن الرحلة ستكون أسوأ من المتوقع، لذلك تكلم بكل صراحة مع يعقوب. نلاحظ *تعقل تعهد يهوذا* (43:1-8). لقد وضع أمامه بكل بساطة المنطق البارد للموقف، ليس من المنفعة أن يضع الإنسان رأسه بالرمال، لقد كانت الحقائق حقائقاً. إما أن يذهب بنيامين أو لن يذهب أحدٌ. نلاحظ *صدق تعهد يهوذا* (43:9-10). لم يفعل ما فعله رأوبين الذي قدم أولاده كأسرى، ولكنه وضع نفسه في تعهد قائلاً، "أَنَا أَضْمَنُهُ.... إِنْ لَمْ أَجِئْ بِهِ إِلَيْكَ وَأُوقِفْهُ قُدَّامَكَ، أَصِرْ مُذْنِبًا إِلَيْكَ كُلَّ الأَيَّامِ."

عندما نظرنا إلى يهوذا آخر مرة كان متزوجاً من إمرأة غير مخلصة، أرملة وتعيش حياة ماجنة. لقد عاد بشكل واضح إلى المنزل، وعاد إلى شركته مع العائلة البطرياركية. لقد كان الله يعمل في حياته. ربما ولادة توءميه أثرت فيه أكثر مما يبدو. بالإضافة إلى أنه حضر إلى محضر يوسف وبدون علمه، شعر بقوة وصلاح الرجل. لذلك تقدم يهوذا من جديد إلى الأمام، يهوذا بقلب جديد.

نلاحظ *نجاح تعهد يهوذا* (43:11-15). لقد إقتنع الشيخ يعقوب ولكنه أصر إذا ما كان على بنيامين الذهاب، فهناك تحضيرات ملائمة يجب أن تتم كيما تؤكد بأنه سوف يتم إستقباله بطريقة كريمة. ذلك الرجل المدهش، القوي، الذي كان مصيرهم في يديه، يجب أن يقترب منه بطريقة لائقة. كانت الهدية تُحضَر، أفضل الفواكه من الأرض الفقيرة، البلسم والعسل، البهارات والمُر، الجوز واللوز، والنقود التي ظهرت في أكياسهم بطريقة غامضة، يجب أن تعاد. وا حسرتاه، على بنيامين أن يذهب أيضاً.

ت. خطة يوسف (43:16-34)

تعود القصة إلى مصر وتركز على خطط يوسف. يمكننا أن نكتشف ثمان خطوات في خطط يوسف وتعاملاته مع أخوته. كانت هناك أولاً *الوليمة التي لا يستحقونها* (43:16-17). "فَلَمَّا رَأَى يُوسُفُ بَنْيَامِينَ مَعَهُمْ، قَالَ لِلَّذِي عَلَى بَيْتِهِ: أَدْخِلِ الرِّجَالَ إِلَى الْبَيْتِ وَاذْبَحْ ذَبِيحَةً وَهَيِّئْ، لأَنَّ الرِّجَالَ يَأْكُلُونَ مَعِي عِنْدَ الظُّهْرِ. فَفَعَلَ الرَّجُلُ كَمَا قَالَ يُوسُفُ .وَأَدْخَلَ الرَّجُلُ الرِّجَالَ إِلَى بَيْتِ يُوسُفَ." كانت كل المبادرة من يوسف؛ هو من صنع الوليمة، تحمل ثمنها، إهتم بالذبيحة التي قامت عليها الوليمة، هو من فوض "الحاكم على بيته" كيما يحضر الرجال. مثلما صار في الإنجيل، كان كله عمل النعمة.

كان هناك *الخوف المكشوف* (43:18). "فَخَافَ الرِّجَالُ إِذْ أُدْخِلُوا إِلَى بَيْتِ يُوسُفَ." كان هذا الخوف مفهوماً، تخيل كل هذه الغرابة؛ كان هناك المزارعون، رجال خشنة، رجال الغابات والقفر. الثروة التي أحاطت بهم في بيت يوسف، العظمة والترف، التحف الغريبة التي جُمِعَت من كل أنحاء العالم، المظهر الغير محدود للغنى، جو القوة الغير محدودة-كل هذه الأشياء وضعت الخوف في أرواحهم. بالإضافة إلى ذلك، لقد أساؤوا تفسير ما كان يحدث، فقد همسوا بين بعضهم، "لِسَبَبِ الْفِضَّةِ الَّتِي رَجَعَتْ أَوَّلاً فِي عِدَالِنَا نَحْنُ." ثم، مع ملاحظة مضافة كإنذار، "قَدْ أُدْخِلْنَا لِيَهْجِمَ عَلَيْنَا وَيَقَعَ بِنَا وَيَأْخُذَنَا عَبِيدًا وَحَمِيرَنَا." ليس شيء من هذا حقيقياً، بل لقد كان محض إفتراء على شخصية الغريب الغير معروفة الذي كانت مصائرهم بين يديه. بكل بساطة هم لم يعرفوه؛ لم تكن أفكارهم أفكاره وطرقهم طرقه. لقد حكموا عليه بأنفسهم.

إن أول إتصال عادة يقوم به الرجل الغير متجدد بالإنجيل، يصحي فيه مشاعر الذنب وعدم الراحة. ويجب أن يكون الأمر كذلك. قدم شخصاً غير مخلص إلى منزل الله وستجعله بذلك يتصل مع عالم آخر، غريب تماما عن طرق تفكيره وإسلوب عيشه. الناس الغير مخلصين غرباء وأجانب هناك، وعادة ما يسيئون تفسير الإنجيل. إنها لمصيدة؛ إن الله يبتهج في ألامهم. إنهم لا يعرفونه ولا يعرفون إبنه، ولايمكنهم فهم نعمته. مثل أخوة يوسف كانوا يتمنون لو أنهم في أي مكان ما عدا بيت الرب.

صُنِعَ الذكر التالي من *الإكتشاف الغير مبرر* (43:19-24). مضروبين بالخوف، أخذ اخوة يوسف ضيافة يوسف بثقة، وشرحوا له عن الفضة التي في أكياسهم مؤكدين له بأنهم أحضروها معهم. كان رد المضيف مطمئناً ولكن ليس كاشفاً. قال لهم، "سَلاَمٌ لَكُمْ، لاَ تَخَافُوا. إِلهُكُمْ وَإِلهُ أَبِيكُمْ أَعْطَاكُمْ كَنْزًا فِي عِدَالِكُمْ. فِضَّتُكُمْ وَصَلَتْ إِلَيَّ." ثم أحضر شمعون إليهم. كانت هناك محاولة مقصودة من المضيف لنزع خوفهم، وتقوية إيمانهم، والإعلان عن مستقبلهم. لم يزل الأخوة غير عالمين بيوسف، ولكنهم يعرفون بأن النعمة تعمل الآن، النعمة السائدة، النعمة المتصلة بطريقة ما بالله الحق الحي، الإله الذي تجاهلوه لزمان طويل في طرقهم العالمية الشريرة.

ثم تم تسجيل *الرسميات الغير مفهومة* التي عينت دخول يوسف (43:25-28). لقد حل الظُهْر، والأخوة المنتظرين، من دون شك، صاروا يسألون شمعون ماذا حصل له في غيابهم، حين سمعوا المذيعين يذيعون اقتراب دخول سيد الأرض الغير معروف. لقد حضَّروا هداياهم، انحنوا أمامه، وقدموا الهدايا وانتظروا لما سيحصل. كم كان ذلك رسمياً! بالطبع، لم يعرفوا يوسف؛ جريمتهم المُفزعة ما زالت قابعة بينهم. حتى أن الفعل المخزي قد نُسيَّ من قبل يوسف قبل زمان طويل، ولكنهم لم يعرفوا ذلك، ولم يكونوا بعد على إستعداد بالروح للإعلان الكامل لنعمة التي طالما اشتاق على تحقيقها.

في كل هذا، تصرف يوسف معهم كما يتصرف الرب مع الروح. إن الله لا يستعجل أبداً؛ إنه لا يعمل بعجل. يمكننا أن نضغط على الناس ليأخذوا قراراً متسرعاً من أجل المسيح، ولكن الله يسمح للروح القدس بأن يحمل عملاً شامل الإدانة وبأن يجلب الناس إلى نقطة التوبة الصادقة وعندها فقط، يجلب الخاطي إلى نقطة أخذ القرار.

ثم لدينا تسجيل عن *المشاعر الغير الظاهرة* (43:29-31). "فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ بَنْيَامِينَ أَخَاهُ ابْنَ أُمِّهِ، وَقَالَ :أَهذَا أَخُوكُمُ الصَّغِيرُ الَّذِي قُلْتُمْ لِي عَنْهُ؟ ثُمَّ قَالَ: للهُ يُنْعِمُ عَلَيْكَ يَا ابْنِي. وَاسْتَعْجَلَ يُوسُفُ لأَنَّ أَحْشَاءَهُ حَنَّتْ إِلَى أَخِيهِ وَطَلَبَ مَكَانًا لِيَبْكِيَ، فَدَخَلَ الْمَخْدَعَ وَبَكَى هُنَاكَ ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ وَخَرَجَ وَتَجَلَّدَ." من مثل إلهنا! كم من مرة يرثي للنفس، يتوق لإزالة كل ما يقف بالوسط ويغمر بنعمته، ولكنه يرفض أن يُسلَب؛ سوف يلتمس فقط.

لقد بكى يوسف! لقد بكى يسوع! كم كان من السهل عليه في ذلك اليوم عندما وقف في الأعالي فوق أورشليم ودموعه تنهمر على خديه، أن يستدعي جحافل جيوشه من السماء. كم كان من السهل الزحف إلى المدينة على رأس جيش الملائكة، يقلب روما، ويعد المملكة الأرضية العظيمة. ولكنه سيفسد كل شيء. لكانت قد خلدت الأشياء ولكن من دون رجال متجددين. كم من السهل بالنسبة له اليوم أن يُظهِر نفسه للناس بشعلة منفجرة من المجد. ولكنه سيُسرِع التقدم، سيُبهِر، سيُرهِب، سيُجبِر، وهذه ليست طريقته في عصر النعمة الحالي.

إن القصة التالية تسجل *الإعتياد الغريب* الذي حمله السيد الغير معروف لهم جميعاً (43:32-33). "فَقَدَّمُوا لَهُ وَحْدَهُ، وَلِلْمِصْرِيِّينَ،" نقرأ أيضاً، "فَجَلَسُوا قُدَّامَهُ: الْبِكْرُ بِحَسَبِ بَكُورِيَّتِهِ، وَالصَّغِيرُ بِحَسَبِ صِغَرِهِ، فَبُهِتَ الرِّجَالُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ." كيف عرفهم إلى هذا الحد؟ هناك رأوبين على رأس الطاولة وبجانبه شمعون، ثم لاوي ويهوذا، ثم بالترتيب دان، نفتالي، جاد، أشير، يساكر، زبولون وهناك بالآخر الأصغر-بنيامين. حدق الأخوة ببعضهم. لقد كانوا معروفين! ما الذي لم يعرفه هذا الرجل؟ سهم الإدانة إخترق عميقاً.

ثم أتى التفضيل *الغير عادي* لبنيامين (43:34أ). لقد أُحضِر الطعام وأُعطي لكل واحد حصته، خبزاً كافياً وزائداً، ولكن ماذا كان هذا؟ يأتي خمس رجال مترنحين تحت حصة بنيامين. لقد كانت حصته أكثر بخمس مرات من حصة رأوبين أو يهوذا أو جاد. يا له من تلميح واسع! السيد الغريب لديه تفضيل لصالح بنيامين. كم كانوا عمياناً عندما لم يضعوا كل اثنين مع بعض.

ماذا كان يفعل يوسف عندما أعطى بنيامين حصة الأسد، ولماذا كان يفعل ذلك بشكل فاضح وواضح، هل كان يزيد ازدراءه بالرجال الأكبر سناً؟ بالحقيقة، منذ سنوات عدة، هؤلاء الرجال باعوه لأنهم كانوا يغارون منه. هل مازالوا يغارون؟ هل يمكن أن ينظروا إلى بنيامين كما كانوا ينظرون إليه؟ تعاملاته كانت تجلب الثمار على ما يبدو، فلا يوجد أدنى تلميح إلى أنهم عرضوا أي استياء أو غيرة من التفضيل المعطى للصغير.

وأخيراً تُخبِر القصة عن *الصحبة المطلَقة* التي انتصرت (34:43ب). "وَشَرِبُوا وَرَوُوا مَعَهُ." ليست كل تعاملات الله مظلمة ومتوعدة. بالحقيقة، هناك بعض الأوقات التي يرعد بها، ولكنه يرسل في كثير من الأحيان الشمس المشرقة، وغالباً ما يرسم غيوم العاصفة بألوان قوس قزح.

وهكذا انتقل إخوة يوسف من كونهم متثقلين إلى كونهم حائرين. لم يكونوا بنفس القساوة والاستهتار عندما كانوا في حضرته أول مرة ولكن المرحلة الغامضة في تعاملاته لم تنتهي بعد. بقيت هناك خطوة واحدة.

3. كيف انكسر أخوة يوسف (44:1-34)

إن القصة التي تتكشف الآن غنية بتعاليمها النموذجية. إنها تنظر إلى ما هو أعمق من التعاملات الفعلية ليوسف مع أخوته وتعكس التعاملات القادمة ليسوع مع اليهود. تلك المرحلة من تعاملات يوسف قد تكشفت بثلاث مراحل.

أ. المؤامرة (44:1-3)

لقد تآمر الأخوة مرة على يوسف؛ والآن تآمر بمحبة عليهم. لقد بدأ بالتعامل مع *أفعالهم* (44:1). "ثُمَّ أَمَرَ الَّذِي عَلَى بَيْتِهِ قَائِلاً: امْلأْ عِدَالَ الرِّجَالِ طَعَامًا حَسَبَ مَا يُطِيقُونَ حِمْلَهُ، وَضَعْ فِضَّةَ كُلِّ وَاحِدٍ فِي فَمِ عِدْلِهِ." لقد باعوه مرة من أجل المال، فليأخذوا المال. دعهم يحصلون عليه حتى يشمئزوا من منظره.

أغلب الناس تحب المال، ولكن البعض منهم فقط كان ناجحاً جداً في الحصول عليها مثل اليهود. يبدو أن لديهم ميل فطري كعرق، كيما يصبحوا أغنياء. مواهبهم الطبيعة العظيمة متشبثة بصناعاتهم الدؤوبة وفطنتهم التجارية وتعاونهم جعل من اليهود ممولي العالم. خلال العصور الوسطى كانوا دائمي الارتفاع بسرعة إلى مراكز التأثير والسلطة في كل الأراضي التي انتشروا فيها بسبب الإضطهاد. ملوك، أباطرة، وبابوات ناشدوهم في أوقات عديدة من أجل مساعدات مالية، وغالباً ما جعلهم ذلك الغنى الجذاب، وبمجرد الحصول عليه، موضع حسد الجيران. لقد أصبحت لعبة عالمية أن يجز اليهود. لقد استخدموا السيولة الجاهزة من أجل شراء يهوذا. لقد أصبح المال كمينهم.

بعد أن تم التعامل مع طمعهم، تعامل يوسف تالياً مع *ضغينتهم* (44:2-3). لقد قال للقائم على أعمال منزله، "وَطَاسِي، طَاسَ الْفِضَّةِ، تَضَعُ فِي فَمِ عِدْلِ الصَّغِيرِ، وَثَمَنَ قَمْحِهِ،" لقد قام بمواجهتهم *بالثروات الخطيرة* كجزء أول من المؤامرة اللطيفة؛ والآن يواجههم *بسؤولية مروعة*. كان هناك في كيس بنيامين قنبلة موقوتة كيما تنفجر قبل أن يغادر الأخوة خلف الحدود النهائية للأرض. لقد أصبح بنيامين مصدر تهديدٍ لهم كما كان هو، يوسف، لهم أيضاً (كما تصوروه) قبل سنوات عديدة. ماذا سيفعلون لبنيامين؟ ذلك ما تمنى يوسف أن يعرفه.

ب. المواجهة (44:4-15)

عندما كان إخوة يوسف يتوجهون إلى رمال سيناء، كان رجال يوسف ومرافقته المسلحة خلفهم. "لِمَاذَا جَازَيْتُمْ شَرًّا عِوَضًا عَنْ خَيْرٍ؟" لقد سأل الوكيل بينما وجه حصانه وأومأ إلى الحرس بحصار الأخوة. "أَلَيْسَ هذَا هُوَ الَّذِي يَشْرَبُ سَيِّدِي فِيهِ؟ وَهُوَ يَتَفَاءَلُ بِهِ." استخدمت الكأس في مصر القديمة عدة مرات كوسيلة للتواصل مع الأرواح. في بعض الحالات كانت قطع صغيرة من الذهب أو الفضة مع بعض الحجارة الكريمة تلقى في الكأس عند تلاوة التعويذات الملائمة، فالكأس مثَّل صنف من مجلس ويجا. أحياناً كانت تملأ الكأس بالماء وتوضع في الشمس حتى يتم قراءة المصبوب العميق والمظلل في الكأس كبعض الناس اليوم عندما تقرأ أوراق الشاي في الكأس. من غير المرجح أن يوسف إنغمس في مثل هذه الممارسات، ولكنه بالتأكيد عرف عنها.

استخدم سحرة مصر مثل هذه الطرق من العرافة والتي احتفظ بها الناس بخوف شديد بعد ذلك. الأخوة، وهم خائفون يوسف أصلاً، كانوا مرتعبين من قدرته المفترضة على رؤية ما بداخل أكياسهم.

لقد أكدوا على براءتهم إلى آخر رجل. لقد كانوا واثقين بأن لا أحد منهم قد عبث بالكأس، وحلفوا بأعظم قسم بأن "الَّذِي يُوجَدُ مَعَهُ مِنْ عَبِيدِكَ يَمُوتُ، وَنَحْنُ أَيْضًا نَكُونُ عَبِيدًا لِسَيِّدِي." لقد ضحك الوكيل بتهجم وسألهم بأن يفتحوا أكياسهم. نجح الأخوة واحداً تلو الآخر في التفتيش حتى وصل المفتشون إلى بنيامين، عندها، وجدوا هناك الكأس! لقد كانت الكأس المفقودة في فم كيس بنيامين.

لقد وصل الأخوة إلى أعظم مفترق طريق في الحياة. ماذا سيفعلون مع بنيامين؟ هل سيجمعون شرهم ويقذفونه إلى الذئاب كما تنصلوا مرة من يوسف؟ أو هل سيتخذون موقفاً من أجل بنيامين؟ لم يمر وقتٌ طويلٌ حتى يرى الوكيل المتنبه نتائج اللعبة التي لُعِبَتْ هناك في الصحراء الرملية. رمى الرجال المبتلون نصيبهم مع بنيامين من دون أي تردد وتحضروا كيما يشاركوا في أي قدر مخبأ له. لم يعرفوا كثيرا عنه، ولكنهم بهذا الفعل قد تغلبوا على الصعوبة. هذه الحادثة تشير مباشرة إلى اليوم الذي سيوضَع اليهود، أقارب الرب بالجسد، في فرن البلوى، كيما يتطهروا باللهب ويستعدوا للإعلان لهم عن يسوع في مجده، الشخص الذي كان مشغولاً بشؤونهم كل الوقت.

كانت الشمس تبزغ، ولكن لم يكن أخوة يوسف مستعدين بعد للحظة كشف "النبوءة،" عندما يكشف يوسف نفسه أمامهم. مهذبون بشكل عظيم، لقد إستأجروا لباسهم بزي شرقي نموذجي، لأنهم أتوا إلى نهاية كل ذكائهم وغرورهم. متغيرين بشكل عظيم، لقد أتوا إلى يوسف مندفعين أمامه.

في البداية أجبرهم يوسف على مواجهة حقيقة عظمته وقوته. لقد سأل، "مَا هذَا الْفِعْلُ الَّذِي فَعَلْتُمْ؟ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ رَجُلاً مِثْلِي يَتَفَاءَلُ؟" لقد أجبرهم على التفكير بأنه أكبر من أي أحد إعترفوا به قبلاً. كذلك أيضاً سيكون في يوم المجيء، في أتون الضيقة العظمى، سيجبر الرب يسوع اليهود أن يفكروا به بطريقة أعظم جداً مما كانوا مستعدين أن يفكروا. مهما كان تفكير اليهود الحاليين عن يسوع، هناك شيء واحد أكيد: اليهود، كأناس، ليسوا مستعدين أن يعترفوا بألوهيته، بأنه مسيحهم وابن الله، وأنهم كأمة قد إرتكبوا جريمة الجرائم بإجبار يدي بيلاطس عندما أصروا على صلب المسيح وصرخوا متوجين ذنبهم "دَمُهُ عَلَيْنَا وَعلى أولادِنا." لكن الضيقة سوف تُحَطِم مباشرة غرورهم الديني الوطني وسوف تحضرهم إلى كشف كامل عن المسيح.

ت. الاعتراف (44:16-34)

واعتلى الآن يهوذا المنصة. عرض في البداية أن يشارك الذنب ثم أن يحمل الذنب كله بنفسه. لقد صرخ، "مَاذَا نَقُولُ لِسَيِّدِي؟ مَاذَا نَتَكَلَّمُ؟ وَبِمَاذَا نَتَبَرَّرُ؟ اللهُ قَدْ وَجَدَ إِثْمَ عَبِيدِكَ. هَا نَحْنُ عَبِيدٌ لِسَيِّدِي." في طريقة غامضة وعامة إعترف يهوذا بذنب إخوته برفضه لبيع يوسف منذ سنوات عديدة. لقد كانت خطوة عظيمة للأمام، ولكنها لم تكن كافية. لقد رفض يوسف بحزم عرضهم بمشاركة الذنب مع بنيامين-من الواضح أن يهوذا فكر بأنه قد يكون بنيامين، بالرغم من بكائه بأنه بريء، قد سرق الكأس فعلاً. " هَا نَحْنُ عَبِيدٌ لِسَيِّدِي، نَحْنُ وَالَّذِي وُجِدَ الطَّاسُ فِي يَدِهِ جَمِيعًا."

لقد رفض يوسف الإقتراح الخارج عن الحكم؛ لم يكن هذا ما يريده. قال، "حَاشَا لِي أَنْ أَفْعَلَ هذَا! الرَّجُلُ الَّذِي وُجِدَ الطَّاسُ فِي يَدِهِ هُوَ يَكُونُ لِي عَبْدًا، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَاصْعَدُوا بِسَلاَمٍ إِلَى أَبِيكُمْ." مازال يضغط عليهم-ماذا سيفعلون ببنيامين؟

لقد نهض يهوذا إلى واحدة من أعظم مناسبات الصلوات التشفعية في الكتاب، صلاة أظهرت عظمة أخلاق يهوذا وتفوقه على كل أخوته. ربما من أجل هذه الصلاة استقر الخط المسياني أخيراً على يهوذا. كنتيجة لصلاته، كل الحواجز للوحي الكامل ليوسف عن نفسه قد أزيلت. في صلاته، أخذ يهوذا موقفاً نيابة عن كل أخوته، مع بنيامين-الولد المحبب لأبيه.

لقد ناشد *بصبر* السيد الغريب (44:18). "اسْتَمِعْ يَا سَيِّدِي. لِيَتَكَلَّمْ عَبْدُكَ كَلِمَةً فِي أُذُنَيْ سَيِّدِي وَلاَ يَحْمَ غَضَبُكَ عَلَى عَبْدِكَ، لأَنَّكَ مِثْلُ فِرْعَوْنَ." لقد أعطى يوسف موقعه المناسب وناشده على أرض النعمة. لقد استغاث *بهدف* السيد الغريب (44:19-23)، مخبراً يوسف كيف أثرت المجاعة في عائلته وكيف على قلب يوسف أن يحن عندما كرر يهوذا كل تعاملات يوسف معهم. لقد ذكر السيد الغريب بمطلبه العنيد بأن لا يأتوا من دون بنيامين. لقد استغاث *بشفقة* السيد الغريب (44:24-31)، متحدثاً إليه عن ألم والده العظيم بأن على بنيامين الذهاب. "فَقَالَ لَنَا عَبْدُكَ أَبِي: أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ لِي اثْنَيْنِ، فَخَرَجَ الْوَاحِدُ مِنْ عِنْدِي، وَقُلْتُ :إِنَّمَا هُوَ قَدِ افْتُرِسَ افْتِرَاسًا، وَلَمْ أَنْظُرْهُ إِلَى الآنَ. فَإِذَا أَخَذْتُمْ هذَا أَيْضًا مِنْ أَمَامِ وَجْهِي وَأَصَابَتْهُ أَذِيَّةٌ، تُنْزِلُونَ شَيْبَتِي بِشَرّ إِلَى الْهَاوِيَةِ."

كم لمس هذا قلب يوسف! هنا كان يهوذا يتحدث إليه عن ألم والده، مخبراً إياه عن الكرب الذي مرت به روح والده عند نبأ موت يوسف. عندما تحدث يهوذا عن قلب الأب المنكسر، فاض قلب يوسف.

يا له من درس عن الشفاعة متجسد هنا. إذا أردنا التشفع، لنخبر إلهنا عن ألمه وما عنته تلك الآلام للآب. لنتحدث إليه عن الجلجثة. لنخبره كيف كسرت الجلجثة قلب الله. لنقول له أن الجلجثة لا يمكنها أن تسمح لذلك بالحدوث مرة أخرى-لمرة واحدة لأن ذلك النوع من الألم كافياً لكل الأبدية. إلتماس مثل هذا لا يمكن أن يذهب باطلاً.

في خاتمة إلتماسه، إستغاث يهوذا *بقوة* السيد الغريب (44:32-34). إنه أمر غير وارد أن يعود إلى أبيه من دون بنيامين؛ ستكون القشة الأخيرة، سوف تحضر اللعنة النهائية. من الأفضل أن يموت على أن يحصل ذلك. لقد كان إلتماساً أذاب قلب يوسف في دموع فياضة حارة. لقد إنتهت مرحلة الغموض ويمكن لمرحلة العظمة في تعاملات يوسف أن تبدأ.

ب. مرحلة العظمة (45:1-24)

يتوقع تكوين 45 اليوم الذي سيعلن الرب نفسه بشكل كامل ونهائي للشعب الإسرائيلي في نهاية الضيقة العظيمة. بنفس الوقت تتحدث عن الطرق التي يعلن فيها اليوم الرب يسوع عن نفسه للذين حضروا قلوبهم كيما يملكوه رباً عليها. وبالطبع، تسجل لنا الدراما المستمرة عن يوسف وتعاملاته الشخصية مع أخوته.

1. الكشف عن يوسف (45:1-16)

أ. الكشف عن شخصه (45:1-3)

أي تقدير حقيقي للمسيح يجب أن يبدأ بتقدير عمن هو بالحقيقة. تصريح الكنيسة أحياناً يشوهه لنا، مثلاً تقدمه كنيسة الروم الكاثوليك كطفل بين أحضان مريم العذراء، طفل صغير عاجز مظلل بإمرأة، أو كرجل مسمر لا يزال معلقاً على الصليب. إن المفهومين غير ملائمين، لأنهم يقدمون يسوع في ضعف. هو ليس في المهد، وليس على الصليب؛ إنه رب المجد، الإبن الممجد لله الحي.

كان إعلان يوسف عن شخصه لأخوته *إعلاناً مفاجئاً* (45:1). "فَلَمْ يَسْتَطِعْ يُوسُفُ أَنْ يَضْبِطَ نَفْسَهُ لَدَى جَمِيعِ الْوَاقِفِينَ عِنْدَهُ فَصَرَخَ: أَخْرِجُوا كُلَّ إِنْسَانٍ عَنِّي. فَلَمْ يَقِفْ أَحَدٌ عِنْدَهُ حِينَ عَرَّفَ يُوسُفُ إِخْوَتَهُ بِنَفْسِهِ." لقد كانت مفاجأة. منذ لحظة أُمسِكَتْ أعينهم عن معرفته، ثم وقف بعد ذلك معلناً لهم عن نفسه بشكل كامل. يا لها من لحظة مذهلة. يا لها من ذكريات مؤلمة أثارت الغضب في نفوس الرجال. لقد عرفوه كصفنات فعنيح فقط، مخلص العالم، السيد العظيم الرهيب لمصر؛ والآن عرفوه كيوسف.

بنفس تلك الطريقة سوف يفتح اليهود عيونهم على يسوع. سوف يعرفونه بطريقة عامة كمخلص خلال تلك السنوات الأخيرة للضيقة، داعين لإسمه كما جاء في العهد القديم. ثم، فجأة، سوف ينكشف لهم في مجيئه سوف يرون بلحظة أن الرب-إله العهد القديم ويسوع العهد الجديد هما نفس الإله الواحد. مثل الرجل المولود أعمى، مثل العديد من الخطاة الذين استيقظوا اليوم، شهادة تنوير اليهود الفجائية ستكون: "أَنِّي كُنْتُ أَعْمَى وَالآنَ أُبْصِرُ! كيف لم يمكننا أن نرى الحق المتعلق بهذا الشخص؟" سيكون هناك بكاء مستغرب.

لم يكن مجرد إعلان فجائي، لقد كان *إعلاناً مبكياً* (45:2). "أَطْلَقَ صَوْتَهُ بِالْبُكَاءِ، فَسَمِعَ الْمِصْرِيُّونَ وَسَمِعَ بَيْتُ فِرْعَوْنَ." اللحظة الأولى للإعلان كانت مزدحمة بالعواطف وغارقة بالدموع وحملت بشراها إلى العرش. فعندما يتقابل الشخص (أو كما سيكون في حالة بقية اسرائيل في يوم المجيء) وجهاً لوجه مع المسيح ويدرك في النهاية من هو، يجب أن تتواجد عواطف. إنها تجربة مملوءة بالعواطف في السماء كما حُمِلت بشراها إلى العرش، لأن يسوع يقول بأنه سيكون "فَرَحٌ قُدَّامَ مَلاَئِكَةِ اللهِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ" (لوقا 15:10). كانت دموع يوسف دموع الفرح، الفرح بأن الغربة الطويلة بينه وبين أخوته قد انتهت. لقد انتشرت الأخبار بسرعة في الأرض، تماماً عندما يأتي الشخص بالحق إلى المسيح تأثيره سيُشعَر في العالم.

ثم جاء أيضاً *إعلان بسيط* (45:3أ). "وَقَالَ يُوسُفُ لإِخْوَتِهِ: أَنَا يُوسُفُ. أَحَيٌّ أَبِي بَعْدُ؟" "أنا يوسف!" هذا كان كل شيء (كم كان هذا بسيطاً). إن الإنجيل بسيط جداً في جوهره حتى أن ولداً صغيراً يمكن أن يفهم حقيقته.

عدة قرون بعد هذا الإعلان البسيط من يوسف لإخوته، كان يهودي ملتهب مرسلاً إلى الشمال، على طريق دمشق من أورشليم، بأسرع سرعة تقدر جماله أن تسير بها. مرافقته المسلحة تتبعه في الخلف بصعوبة. لقد عاش هناك في دمشق المرتدون الذي تجرؤوا على إعلان يسوع الناصري، الرجل المصلوب، مسيا إسرائيل ومخلص العالم. *على البدعة الخطيرة أن تطفأ*، هكذا فكر شاول الطرسوسي الذي حث جماله في ذلك اليوم على الإسراع شمالاً كالوكيل الرسمي للسنهدريم حتى يقتلع الهرطقة من دمشق. ثم أتى الضوء المُعمِي، أصيب شاول الطرسوسي ووقع من على ظهر الحيوان ممدداً على الأرض. صرخ، " مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟" ثم أتى الجواب البسيط: "أنا يسوع." كان هذا كل شيء. منذ لحظة كان شاول خاطئاً وباللحظة التالية صار قديساً؛ منذ لحظة كان مجدفاً وباللحظة التالية صار مؤمناً.

"أنا يوسف." أنا يسوع." أحياناً نجعل التحول مهمة صعبة. نسلح أنفسنا بدليل من النص، "بقوانين الإيمان الأربعة،" بالمناقشات، بالطرق المُثْبَتة. ولكن مع الله كل شيء بسيط: "أنا يسوع." عندما يحين وقت القطاف، سيُظهِر الروح القدس المسيح لنفس الخاطئ بطريقة بسيطة، والعمل قد انتهى.

علاوة على ذلك، كان وحي يوسف *وحياً ناجحاً* (45:3ب). لقد سرَّع الإحساس بالخطية في إخوته. لقد رفضوه، باعوه، فعلوا المستحيل حتى ينسوه. كلمة "ارتاعوا" في تلك الآية تعني "خافوا." جيد بأنهم قد خافوا! لقد سقطوا، بوسط كل ذنبهم، بين يدي ذلك الذي ظلموه بشكل مخيف، وهو الآن مسلح ومعه قوة مطلقة. بالتحول بعيداً عن يوسف إلى يسوع، نرى التناظر، من الجيد أن يرتعب الخاطي عندما تأتي الإدانة إلى قلبه-عندما يدرك ضخامة خطيئته كرافض للمسيح، مذنب بجريمة الجلجثة، مذنب بإصرار وعناد لرفضه المسيح كل هذه السنين. ينطبق نفس الشيء أيضاً على اسرائيل كشعب في نهاية الضيقة العظيمة.

إن إعلان يسوع إلى القلب البشري مربوط بإيقاظ أفكار الخطية. العمل الأول للروح القدس في نفس المؤمن هو عمل الإدانة (يوحنا 16:7-11). الخلاص ليس مجرد رفع اليد في إجتماع الصلاة، هو التقدم إلى الأمام؛ إنه موضوع مواجهة الذنب الشخصي المعلن في رفض المسيح طيلة الحياة. لن يكون هناك أي تحول حقيقي بدون إدانة.

لقد كان الوحي الشخصي ليوسف ناجحاً جداً؛ لقد ضرب ضمير أخوته كما لو لم تفعله كل الأشياء في السابق.

ب. الإعلان عن أغراضه (45:4-16)

إن غرضه من *العفو* قد كُشِف فوراً (45:4-5). لم يدع ولو للحظة أخوته المندهشين، في شك بنعمته. "تَقَدَّمُوا إِلَيَّ. فَتَقَدَّمُوا . فَقَالَ، أَنَا يُوسُفُ أَخُوكُمُ الَّذِي بِعْتُمُوهُ إِلَى مِصْرَ. لم يستطع أن يزيد على خطيتهم، ولكنه ذكرها حتى يغفرها. لم يعطَ أي تلميح عن نبرة صوت يوسف، ولكنه تحدث بنبرة رقيقة بالتأكيد. لم يكن هنا أمر قطعي، وإنما دعوة مقنعة. "وَالآنَ لاَ تَتَأَسَّفُوا وَلاَ تَغْتَاظُوا لأَنَّكُمْ بِعْتُمُونِي إِلَى هُنَا، لأَنَّهُ لاسْتِبْقَاءِ حَيَاةٍ أَرْسَلَنِيَ اللهُ قُدَّامَكُمْ." لم يقدم يوسف عفواً فقط، ولكنه صاغ العفو بطريقة جلعت من شرهم يبدو بركةً.

"أنتم بعتم ... الله أرسل." لذلك أكد يوسف على حقيقة سيادة الله التي تفوق كل الأفعال البشرية وتجعل من غضب الإنسان وسيلة لتمجيده. التعبير الأعظم عن ذلك، بالطبع، يأخذ مكانه على الجلجثة. تمثل الجلجثة أعظم *مأساة* ممكنة في تعاملات الإنسان مع الله وأعظم *إنتصار* ممكن في تعاملات الله مع الإنسان. مثلت تعاملات يوسف مع أخوته تعاملات الله معنا.

ثم كان ليوسف غرضاً في *المؤونة* (45:6-12). لقد أخبرهم بشيء يتعلق بالمستقبل. "وَخَمْسُ سِنِينَ أَيْضًا لاَ تَكُونُ فِيهَا فَلاَحَةٌ وَلاَ حَصَادٌ."[6] لم يكن باستطاعة أخوته أن يقرأوا المستقبل، ولكنه استطاع؛ لم يستطيعوا رؤية الأيام المظلمة التي تنتظر العالم، ولكن يوسف رآها، وعلم ما هو الأفضل لهم. لقد أكد لهم بأنه سوف يوفر كل المؤونة من أجلهم. قال لهم، "فَقَدْ أَرْسَلَنِي اللهُ قُدَّامَكُمْ لِيَجْعَلَ لَكُمْ بَقِيَّةً فِي الأَرْضِ وَلِيَسْتَبْقِيَ لَكُمْ نَجَاةً عَظِيمَةً." داعماً إدعائه بكشفه بعض الأشياء التي تخص منصبه في مصر. "اللهُ... وَهُوَ قَدْ جَعَلَنِي أَبًا لِفِرْعَوْنَ وَسَيِّدًا لِكُلِّ بَيْتِهِ وَمُتَسَلِّطًا عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ" (45:8).

خطة الله للخلاص وُضِحَت بشكل كامل في قصة يوسف، لم تتضمن فقط رفض المسيح ولكنها تضمنت أيضاً سموه التالي إلى أعلى مركز للقوة في العالم. الحقيقة العظيمة والأبدية هي بأنه يوجد شخص في السماء، جالساً عن يمين الله في هيئة إنسان، هو رجل ولكنه أيضاً الله.

المصالحة مع يوسف تعني بأن الأخوة المغتربين طويلاً عن الآب، يمكن أن يتصالحوا معه أيضاً. "اسْرِعُوا وَاصْعَدُوا إِلَى أَبِي وَقُولُوا لَهُ: هكَذَا يَقُولُ ابْنُكَ يُوسُفُ: قَدْ جَعَلَنِيَ اللهُ سَيِّدًا لِكُلِّ مِصْرَ. اِنْزِلْ إِلَيَّ. لاَ تَقِفْ." لقد أرسلهم يوسف إلى الآب، مسامحين، متجددين، مع رسالة منه شخصياً. هذا ما تفعله النعمة بنا تماماً. إنها تقدسنا، تخصصنا لله، ترسلنا إلى الآب لنخبره عن ابنه.

بالإضافة إلى ذلك، لقد خطط يوسف بأنهم يجب أن يكونوا معه، حيث يكون هو. قال، "فَتَسْكُنَ فِي أَرْضِ جَاسَانَ ... وَأَعُولُكَ هُنَاكَ ... لِئَلاَّ تَفْتَقِرَ أَنْتَ وَبَيْتُكَ وَكُلُّ مَا لَكَ." لقد اهتمت نعمته بكل إحتياجاتهم، الجسدية، الأخلاقية، والروحية؛ لقد كان نوع نعمة يسوع الممتدة لخاصته، النعمة كلية الكفاية!

لذلك تضمنت أغراض يوسف العفو والمؤونة لأخوته؛ ولكنها تضمنت أيضاً *الثناء* (45:13). "وَتُخْبِرُونَ أَبِي بِكُلِّ مَجْدِي فِي مِصْرَ وَبِكُلِّ مَا رَأَيْتُمْ، وَتَسْتَعْجِلُونَ وَتَنْزِلُونَ بِأَبِي إِلَى هُنَا." لقد أراد يوسف من أخوته أن يتحدثوا إلى الآب عنه.

6. تسع سنوات جاءت ورحلت منذ أن تَرَفَعَ يوسف لمنصب ذراع فرعون الأيمن.

أين يمكننا أن نجد شرحاً معبراً عن العبادة أكثر من هذا؟ "أخبروا أبي بكل مجدي." حتى يتحدث السيد يسوع إلينا. لقد حصل الأخوة على مجلدات من المعلومات عن يوسف حتى يخبروا والدهم عنها! يمكننا أن نتخيل ما قالوه. "أيها الأب لقد أتينا كي نخبرك عن الذي تحبه. علينا أن نعترف أولاً بأننا قد كرهناه مرة، نبذناه، رفضناه، وبعناه بسعر العبد. لقد رأينا ويله وألمه، أدرنا ظهورنا إليه. ولكننا رأيناه! لقد إرتفع عالياً وأعطي اسماً فوق كل اسم. إن العالم تحت قدميه، إنه يسيطر على كل الأشياء، الناس تأتي إليه من آخر الأرض! محبوبك أيها الأب محبوبك كامل الجمال، معلن بين ربوة، لم نرَ فيه منظر فنشتهيه، ولكننا صرنا نرى الآن، جماله يأخذ الأنفاس! وماذا يمكننا أن نقول عن نعمته؟ لقد غفر كل خطايانا؛ حتى أنه قال إن الله أراد بها خيراً! لقد صنع من ذنبنا مجداً له ولمصلحتنا. رغبته هي بأن نوجد حيث يكون هو أيضاً. قد نكون نحن أيضا مثل أخوة يوسف المتحدثين لأباهم عنه، متحدثين إلى أبانا عن المسيح.

لقد تضمن غرض يوسف القرابة (45:14-16). لقد أراد أن يكون بجانب أخوته وأن يكون أخوته بجانبه، ليس فقط بالجسد وإنما من أجل الشركة والمحبة. لذلك نقرأ، "ثُمَّ وَقَعَ عَلَى عُنُقِ بَنْيَامِينَ أَخِيهِ وَبَكَى، وَبَكَى بَنْيَامِينُ عَلَى عُنُقِهِ. وَقَبَّلَ جَمِيعَ إِخْوَتِهِ وَبَكَى عَلَيْهِمْ. وَبَعْدَ ذلِكَ تَكَلَّمَ إِخْوَتُهُ مَعَهُ." لأن هذا كان موضِعَهُ بالرغم من كُل شيء-رفيقهم. وَعْدَه بالمسامحة والتأمين بدا لا يصدق، ولكنهم تكلموا إليه بعد أن فتح يوسف الطريق أمام شراكة قوية.

بالتأكيد إن التحدث مع الرب هو إمتياز بحد ذاته. يمكننا أن نتأكد بأن إخوة يوسف لم يشددوا على مطالبهم وحاجاتهم عندما تحدثوا إليه. لقد تحدثوا معه بصورة حميمية عن الأشياء التي في قلبه. لقد تحدثوا إليه عن والدهم وعن زوجاتهم وأولادهم. قد نفترض بأنهم قصوا عليه أخبارهم المتنوعة وليس مجرد تفاهات، ولكن قصص عزيزة وقيّمة لقلب جائع لمعرفة كل مالديهم ليقولوه. هل يمكن لسيد عظيم مثله أن يهتم بحديث ممل أو أحاديث عن معيشتهم الضيقة والقليلة؟ بالطبع! لقد كان أخاهم. الأشياء الصغيرة تهمه بالأكثر. وهل لا يريد ربنا أن يستمع عن كل شيء لدينا-عن عجلة السيارة المخروقة، عن الإنزعاج بالمطبخ، عن الحافلات المتأخرة؟ بالطبع إنه يريد.

2. موارد يوسف (45:17-23)

لقد لمَّح يوسف لأخوته أن موارد عدة كانت تحت أمرته. يشدد الروح القدس الآن على *مواردهم* (45:16-20). "وَسُمِعَ الْخَبَرُ فِي بَيْتِ فِرْعَوْنَ، وَقِيلَ: جَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ. فَحَسُنَ فِي عَيْنَيْ فِرْعَوْنَ وَفِي عُيُونِ عَبِيدِهِ . فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: قُلْ لإِخْوَتِكَ: افْعَلُوا هذَا: حَمِّلُوا دَوَابَّكُمْ وَانْطَلِقُوا، اذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. وَخُذُوا أَبَاكُمْ وَبُيُوتَكُمْ وَتَعَالَوْا إِلَيَّ، فَأُعْطِيَكُمْ خَيْرَاتِ أَرْضِ مِصْرَ وَتَأْكُلُوا دَسَمَ الأَرْضِ.... وَلاَ تَحْزَنْ عُيُونُكُمْ عَلَى أَثَاثِكُمْ، لأَنَّ خَيْرَاتِ جَمِيعِ أَرْضِ مِصْرَ لَكُمْ."

لم يذكر يوسف لفرعون ذنب وسوء معاملة الرجال، فهو لم يسامحهم فقط ولكنه نسيَّ أعمالهم، محاها من ذهنه، صرفها بحيث إنها لن تعود مرة أخرى. لقد إمتلك عوضاً عنها علاقته بأخوته.

إن موارد يوسف قد اشتُقَتْ مباشرة من العرش. الوعود التي قطعها لأخوته بالنعمة أقرها فرعون بمرسوم. موارد العرش قد وضعت تحت أقدامهم، من أجل يوسف.

انتبه لما كُتِب عن "الأثاث." قال فرعون، "وَلاَ تَحْزَنْ عُيُونُكُمْ عَلَى أَثَاثِكُمْ." يقف الأثاث في طريقنا لتحقيق مشيئة الله! لدينا عدة أشياء ونريد المزيد، أشياء أكبر، أشياء أفضل. قال فرعون، "وَلاَ تَحْزَنْ عُيُونُكُمْ عَلَى أَثَاثِكُمْ،". لقد كانت كلمات حكيمة لهم ولنا.

لقد أتى مرة شاب إلى مكتبي كي نتناقش في موضوع متبادل. لقد كان شخصاً مثير للإهتمام، واحداً من الأشخاص الذين إستخدمهم الله بشكل عظيم في العالم. لقد كان يلبس ساعة ذهبية، وخلال المحادثة سألني، "هل تحتاج إلى ساعة؟"
فقلت له، "لا شكراً! عندي واحدة."
ثم أكمل، "هل تعرف أي أخ محتاج إلى ساعة؟ عندي هذه الساعة والتي تقدر بأكثر من مئة دولار، لقد أعطاني إياها أحدهم. سوف أخبرك شيئاً-إن الناس تعطيني حاجيات، هذه الساعة مثلاً. عاجلاً أم آجلاً سوف أقابل شخصاً مسيحياً لا يمتلك ساعة، أعطيه ساعتي ثم يرى أحدهم بأنه ليس لدي ساعة، فيعطيني واحدة!"
يا لها من طريقة لتقدير "الأثاث!" ليس من المستغرب بأن الرجل يرأس واحدة من أكبر الخدمات الروحية ديناميكية وإثارة في العالم اليوم.

إن روح الله لا يشير فقط إلى منبع موارد يوسف، ولكنه يشير أيضاً إلى *كفايتهم* (45:21-23). لقد أعطى يوسف عجلات لأخوته وغيّر ملابسهم-والذي يعتبر مادة غنى في أراضي وأوقات الكتاب المقدس. وأعطى لبنيامين ثلاث مئة قطعة فضة إضافية وخمس حلل ثياب. لقد فحص جشع إخوته وبما أنهم تغيروا، لم يلحظوا بأن بنيامين حصل على أكثر من حصتهم. أرسل يوسف لأبيه عشرة

حمير حاملة من خيرات مصر وعشرة أتن حاملة حنطة ولحم وخبز. توضح كل القائمة كم كان يوسف غنياً وكم كان مستعداً أن يعطي بسخاء. لقد أعطاهم مؤونة كافية لكل خطوة في الطريق حتى أتوا في النهاية إليه.

3. مطلب يوسف (24:45)

"ثُمَّ صَرَفَ إِخْوَتَهُ فَانْطَلَقُوا، وَقَالَ لَهُمْ: لاَ تَتَغَاضَبُوا فِي الطَّرِيقِ." لقد كانوا في طريقهم إلى المنزل. سوف تكون طريقاً طويلة وشائكة. قد يتشاجرون فيما بينهم وقد يحسدوا بعضهم بسبب هدايا بنيامين. بالرغم من أنهم استقبلوا نعمة يوسف، إحسانه، وهداياه ولكنهم لم يصلوا بسلام إلى المنزل بعد. لذلك دعاهم يوسف أن يحرسوا جيداً إنفعالاتهم وشهاداتهم. قال، "لاَ تَتَغَاضَبُوا فِي الطَّرِيقِ." لقد كانت نصيحة رحيل جيدة-من أجلهم، ومن أجلنا.

ت. مرحلة الخدمة (10:47-25:45)

يتعامل الكتاب المقدس مع إرتحال العبرانيين إلى مصر واستقرارهم في أرض جاسان. نبوياً، إنه لا يتوقع فقط الوقت عندما يصطلح الشعب اليهودي مع المسيح ولكنهم وبحسب مشيئة الله الكاملة، سوف يتولون مناصب إدارية عالية في المملكة القادمة. يمكن اختصار القسم بأربع كلمات-مقترح، امتداد، تحضير، وتقديم.

1. اقتراح (7:46-25:45)

يبدأ القسم بوضع *خوف يعقوب* أمامنا (28-25:45). لقد وصل الأخوة سالمين إلى المنزل. إرتاح قلب يعقوب عند رؤية حبيبه بنيامين وحضور شمعون أيضاً. لم يستطع الأخوة الإنتظار حتى يخبروا الأخبار بلطف. بادروه بالقول، "يُوسُفُ حَيٌّ بَعْدُ، وَهُوَ مُتَسَلِّطٌ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ." كاد يعقوب أن سيصاب بالجلطة، بعد أن استفاق من صدمته، لجأ إلى عدم التصديق. لهث قائلاً، "إنني لا أصدق! بكل بساطة، إنني لا أصدق!" كم من الصعب أن تجعل شخصاً يؤمن *بالحق* المتعلق بالمسيح. يمكن لإبليس أن يخدع الناس بكذباته الدينية، وهم سوف يقبلونها مباشرة؛ ولكن أخبرهم الحق، ومباشرة سيضعونه جانباً.

ماري بيكر إدي، مثلاً، يمكنها أن تخبر الناس أن الألم والموت ليسا حقيقة، مجرد أخطاء في العقل الفاني، والناس سيصدقونها-بالرغم من كل الأدلة المنطقية للرأي المعاكس. يمكن لجوزيف سميث أن يخترع قصة مذهلة عن الملاك، وأنه قد أُعطِيَ نظارات سحرية يستطيع من خلالها قراءة الكتابة الهيروغليفية المصرية، حتى يترجم صفقة عظيمة لهراء تاريخي وديني لكتاب كينغ جميس الأنكليزي الزائف – والناس صدقت. شهود يهوه يمكنهم أن يدعو أن المسيح أتى في عام 1914، والناس صدقت. أوربان الثامن يمكنه أن يقول بالقداس بأن الشمس تدور حول الأرض، باسم العصمة البابوية-والناس صدقت حتى لو أن جليليو أثبت بأن العقيدة خاطئة. ولكن أخبر الناس عن الحق البسيط في المسيح، مثل يعقوب عندما أُخبِر بأن يوسف كان حياً، سوف لن يصدقوا بكل بساطة.

"ثُمَّ كَلَّمُوهُ بِكُلِّ كَلاَمِ يُوسُفَ الَّذِي كَلَّمَهُمْ بِهِ، وَأَبْصَرَ الْعَجَلاَتِ الَّتِي أَرْسَلَهَا يُوسُفُ لِتَحْمِلَهُ .فَعَاشَتْ رُوحُ يَعْقُوبَ أَبِيهِمْ. فَقَالَ إِسْرَائِيلُ: كَفَى! يُوسُفُ ابْنِي حَيٌّ بَعْدُ .أَذْهَبُ وَأَرَاهُ قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ." كم هذا صحيح للطبيعة البشرية. لم تقنع *كلمة* يوسف يعقوب، ولكن *مركباته* فعلت. لقد أراد الحصول على علامة قبل أن يؤمن. وهكذا قال المسيح لتلاميذه المتشككين، "لأَنَّكَ رَأَيْتَنِي يَا تُومَا آمَنْتَ! طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا" (يوحنا 29:20).

خوف يعقوب بدأ بالتلاشي، وسيطر بدلاً عنه *ايمان يعقوب* (7-1:46). عندما فُتِحَت عيناه للحق، أعطى يعقوب الداخلي مكاناً لإسرائيل. "وَأَبْصَرَ الْعَجَلاَتِ الَّتِي أَرْسَلَهَا يُوسُفُ لِتَحْمِلَهُ. فَعَاشَتْ رُوحُ *يَعْقُوبَ*... فَقَالَ *إِسْرَائِيلُ*: كَفَى ... فَارْتَحَلَ *إِسْرَائِيلُ* –"

متصرفاً بإرتجال، توجه يعقوب إلى الجنوب وتابع حتى أتى إلى بئر سبع، ثم توقف هناك. عندما نزل إبراهيم إلى مصر فعل ذات الشيء بحسب مشيئة الله؛ كانت النتائج كارثية. الآن، بقدر ما كان يعقوب يتوق إلى لقاء ابنه، لم يجرؤ على إتخاذ أي خطوة أخرى لئلا يخرج عن إرادة الله. هناك، على الحافة الجنوبية لكنعان، "ذَبَحَ ذَبَائِحَ لإِلهِ أَبِيهِ إِسْحَاقَ" (1:46). يا له من مبدأ مهم. فقط لأن شيئاً ما يبدو صحيحاً، فقط لأن كل الظروف تشير إلى ذلك الطريق، فقط لأن مشاعر الشخص تؤكد على الإنتقال، وفقط لأن كل الآخرين يلحون باعتبار أن القرار معقول، لا يتبع بالضرورة مشيئة الله. أهم شيء هو السؤال، هل لدى الله شيء ما ليقوله؟" لقد حصلنا على أفضل إستفسار منه.

لذلك توقف يعقوب قبل آخر انهيار، "كَلَّمَ اللهُ إِسْرَائِيلَ فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَقَالَ: يَعْقُوبُ، يَعْقُوبُ. فَقَالَ: هأَنَذَا. فَقَالَ: أَنَا اللهُ، إِلهُ أَبِيكَ .لاَ تَخَفْ مِنَ النُّزُولِ إِلَى مِصْرَ، لأَنِّي أَجْعَلُكَ أُمَّةً عَظِيمَةً هُنَاكَ." وهكذا نتعلم بأن يعقوب لم يخف من الذهاب إلى مصر بالرغم من حقيقة

أن إبنه أصبح الآن السيد الأعظم للبلاد. بعد كل شيء، لقد حُرِم يعقوب من الذهاب إلى مصر من الله (2:26)، وقام جده بصنع حطام روحي هناك. مجرد عاطفة طبيعية يجب ألا تسمح بالتأثير على القرار.

لقد قال له الله أن يذهب. كم من المرات يمتلك الناس فكرة أن الله دائماً يقول لا للأشياء التي يحبون عملها، الأشياء التي تتفق مع رغباتهم الطبيعية. نتخيل أن خدمة الله والسير في إرادته تستلزم دائماً فعل أشياء كريهة. ليس الأمر كذلك! إرادة الله صالحة، كاملة، ومرضية (رومية 2:12)، وغالباً ما تتزامن مع تفضيلاتنا الطبيعية ورغباتنا الشرعية.

وهكذا "قَامَ يَعْقُوبُ مِنْ بِئْرِ سَبْعٍ... وَجَاءُوا إِلَى مِصْرَ. يَعْقُوبُ وَكُلُّ نَسْلِهِ مَعَهُ." عندما تأكد من فكر الله، وضعه تحت تصرف فوري. وكنتيجة لذلك، سافرت العائلة إلى مصر وبقيت هناك أربعة عقود حتى نمت وأصبحت أمة هائلة.

2. الانتشار (46:8-30)

لقد كانت عائلة يعقوب تتكاثر حتى قبل إنتقالهم إلى مصر. مع إبراهيم، انحصرت الذرية بإسحاق، مع إسحاق انحصرت بيعقوب، ولكن الآن قد إزدادت إلى سبعين نفس.

إن قائمة الخاضعين ليعقوب تتضمن عدة حقائق مشوقة. تتضمن العائلة المُهاجِرة يعقوب وزوجاته، إثني عشر ولداً وإبنة واحدة، خمسةً وعشرين حفيداً، وأربعة أولاد أحفاد. كان لدان أقل عدد من الأولاد (كان لديه ابناً واحداً)، وحصل بنيامين على أكثر عدد (لقد كان لديه عشرة أولاد، وستمسح هذه الحقيقة أي فكرة لدينا عن أن بنيامين كان مجرد ولد).

يقدم المؤرخ عدة تعليقات؛ إنه يسجل الأسماء الخمسة لأبناء شمعون الأوائل ثم يضيف، "وَشَأُولُ ابْنُ الْكَنْعَانِيَّةِ." لقد كان نموذجاً لتقسي شمعون الروحي الذي تزوج إمرأة من العرق الملعون. خلافاً ليهوذا، تابع شمعون بنسيان إساءته. ولكن يسجل روح الله هذه الحادثة لأنها معلومات عرضية أخرى عن جسدية شمعون. ربما كانت تلك "المرأة الكنعانية" واحدة من النساء اللواتي إعتقلن كرهائن عند نهب شكيم.

يُدْرَج أسماء أولاد يهوذا كالتالي: "وَبَنُو يَهُوذَا: عِيرٌ وَأُونَانُ وَشِيلَةُ وَفَارَصُ وَزَارَحُ. وَأَمَّا عِيرٌ وَأُونَانُ فَمَاتَا فِي أَرْضِ كَنْعَانَ. وَكَانَ ابْنَا فَارَصَ: حَصْرُونَ وَحَامُولَ" (46:12). إن شر أولاد يهوذا الأوائل قد مضى بخفة وقد تم تجاهل حقيقة أن أمهم كانت كنعانية. بطريقة مماثلة، قد تم تجاهل القصة الفاضحة لثامار وظروف ولادة الإبنين الآخرين. لقد أعتق يهوذا نفسه والله الذي يُسر بأن يخبأ الخطية عندما يستطيع، ينتقل إلى فارص ومنه إلى حصرون كي يُري أن السير الملكي نحو المستقبل، نحو مجيء المسيح من سلسلة يهوذا قد بدأ.

تبدو قائمة أسماء أولاد بنيامين (46:21) مسترسلة. إذا كان عمر بنيامين، كما يؤمن البعض، إثنين وعشرين عاماً في وقت الإرتحال، فقد تزوج بنيامين صغيراً أو ربما كان لديه عدة زوجات، وربما حَمِلَتْ زوجته بتوائم. لقد كان صغيراً على أن يكون لديه عشرة أولاد. بغض النظر بأي طريقة ننظر، بالتأكيد أن الشيخ يعقوب قد ذُهِلَ من حجم عائلة بنيامين، لأن الأولاد كانوا يحسبوا كثروة بذلك الوقت. الأخوة الآخرون قد ذهلوا أيضاً. وإذا استمر الأمر على هذا الشكل لإمتلك بنيامين أكبر قبيلة في إسرائيل. ولكن ما حصل بالفعل أن قبيلة بنيامين صارت الصغرى بينهم جميعاً لأن الوعد الذي أعطي في الأيام الأولى قد دمر بسبب خطيئة القبيلة.

وعندما نأتي إلى يساكر، نقف ونتأمل مطولاً لأن اسم الولد الثالث يلفت انتباهنا فوراً. نقرأ بأن، "بَنُو يَسَّاكَرَ: تُولاَعُ وَفُوَّةُ وَيُوبُ وَشِمْرُونُ" (46:13). هل من الممكن أن يكون يوب هو أيوب الذي عانى وخُصِصَ سفر كامل عنه في الكتاب المقدس كي يُخبِرنا عن تجاربه وإختباراته؟ البعض يظن كذلك[7]. هناك بعض الاحتمالات التي تشير أن أيوب، حفيد لئية، الزوجة الغير مرغوب بها، لم يكن سوى ذلك أيوب العظيم الذي كُتِبَ كتابه كأول سفر في الكتاب المقس.

ليس هناك أي ذكر لأسماء زوجات أبناء يعقوب. الاسم الوحيد الذي نعرفه هو أسنات وقد تم تجاهل كل الأسماء الأخرى. لقد فقدت الزوجات هوياتهن بارتباطهن بأزواجهن. لقد أصبحن قنوات من البركة لكل العالم عبر اتحادهن برؤوس العائلة البطريركية. إنهن يجسدن الحشد الضخم المجهول الذي صنع المكانة ورتب الإيمان، والذي من خلال فضيلة اتحادهن بالمسيح صارت البركة للبشرية. أسماء كهذه لا يمكنها أن تسجل هنا ولكن يمكننا أن نتأكد بأنها قد سُجِلت هناك، وإنها سوف تُعرَف في يوم التتويج القادم عما قريب.

7. كان جميع أصدقاء أيوب من سُلالة عيسو ومُعاصرين لأيوب ابن يساكِر. لقد قُدِمَت لنا تفاصيل عن إثنين منهم، أَليفَازُ كان ابن عيسو ويُدعى التَّيْمَانِيُّ مما يعني أنه كان لهُ علاقة بتَيْمَانَ الذي من المُحتَمَل أن البلاد المُحيطة أخذت اسمها منه (تكوين 36:10-11). لاحِقاً عُرِفَت البلد تيمان برجالِها الحُكماء.
كان بِلْدَدُ الشُّوحِيُّ الابن السادِس لإبراهيم من قطورة (تكوين 25:2) وذُكِرَ بصلة مع عيسو وأدوم وتيمان (إرميا 49:8).
كان يساكِر بعُمر الأربعين عندما هاجر إلى مِصر، ولا بُد أن ابنهُ أيوب كان بعُمر العشرين. عاش أيوب 140 سنة بعد ان أعاد الله له ضِعف ما خَسِر، إن ضَمَنَت ضعف البركة طول الأيام فلابُد أنه كان بعُمر السبعين عند زمن إعطاء ضعف البركة ولابُد أنه عاش حتى عمر 210 سنوات. إن كان ذلك صحيحاً فقد ولِد في السنة التالية لبيع يوسف إلى مِصر وكان بِعُمر 91 عندما تُوفي يوسف.
من المُحتَمَل أن أيوب ترك مِصر ليعيش في عوص. كان موسى بِعُمر 55 سنة عندما تُوفي أيوب وكان هارباً في مديان لمُدة 15 سنة، لِذا من المُحتَمَل أن موسى كان يَعرف أيوب جيداً ورُبما كان على مَعرِفة شخصية بالأحداث التي يُسَجِلُها سِفر أيوب. ومن المُحتَمَل أن يكون موسى هو الكاتِب البشري لسفر أيوب.

وبعد التحدث هكذا عن *عائلة* يعقوب، يجذب السرد إنتباهنا إلى *تفضيلات* يعقوب (46:28-30)، مخبراً إيانا كيف أتى يهوذا إلى يوسف وكيف أتى يوسف إلى يعقوب. وهكذا ارتبط الإسمين العظيمين ليوسف ويعقوب مع بعض بشكل كبير. كان يهوذا ويوسف العمالقة بين أولاد إسرائيل. سيطرت قبائل يهوذا وإفرايم على تاريخ العهد القديم. كانت هناك غيرة دائمة من قبيلة الإفراميين ليهوذا وهذا التطور المحزن الذي سيظهر في المستقبل. هنا نرى ببساطة يهوذا وهو مسرعٌ أمام كل الباقين لتقدير يوسف قبل الوصول الوشيك لباقي القبائل.

يا له من مشهد عندما تقابل، وأخيراً يعقوب ويوسف، الأب والإبن. هل يمكننا ألا نتبين في ذلك المشهد صورة اللقاء الأعظم الذي جرى في السماء عندما اتحد يوسف السماوي مع أبيه بعد سني المعاناة على الأرض؟ يمكننا أن ندخل في المشاعر التي تجري عميقاً بين يوسف ويعقوب عندما تلاقيا. إلى حد ما، يمكننا أن ندخل إلى الفرح الذي تم عندما تقابل الآب والإبن مع بعضهم عندما انتهى عمل الفداء.

3. التحضير (46:31-34)

إن يوسف يقوم الآن بتحضيرات من أجل استقرار إخوته في مصر. لقد كان للموضوع أهمية كبيرة لأنه سيكون هناك تأثير دائم للمكان الذي سيستقرن فيه. من المهم أن يقيموا ولكن بالرغم من أنهم*في* مصر ولكنهم ليسوا *من* مصر.

في البداية نرى يوسف كالوسيط الناجح (46:31-32)، يظهر أمام فرعون عوضاً عن أخوته. "ثُمَّ قَالَ يُوسُفُ لإِخْوَتِهِ وَلِبَيْتِ أَبِيهِ: أَصْعَدُ وَأُخْبِرُ فِرْعَوْنَ وَأَقُولُ لَهُ: إِخْوَتِي وَبَيْتُ أَبِي الَّذِينَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ جَاءُوا إِلَيَّ. وَالرِّجَالُ رُعَاةُ غَنَمٍ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ مَوَاشٍ، وَقَدْ جَاءُوا بِغَنَمِهِمْ وَبَقَرِهِمْ وَكُلِّ مَا لَهُمْ ." لم يكن خَجِلاً ليدعوهم إخوته. تماماً كإلهنا عندما صعد أولاً إلى السماء وظهر في حضرة الآب من أجلنا، أمام كل جند السماء ليمتلكنا لنكون خاصته ويثير مصالحنا أمام العرش، هكذا فعل يوسف لأخوته في مصر.

قال لفرعون، "الرِّجَالُ رُعَاةُ غَنَمٍ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ مَوَاشٍ، وَقَدْ جَاءُوا بِغَنَمِهِمْ وَبَقَرِهِمْ وَكُلِّ مَا لَهُمْ." لقد كانت نية يوسف أن يحَّضِر فرعون للقاء أخوته، ويحَّضِر أخوته للقاء فرعون أيضاً. إن المسافة بين فرعون إلهي ومزارع خشن ومتأهب كانت ضخمة حقاً. كان على يوسف أن يكون الوسيط لسد تلك الهوة. *كيوسف*، هو ولد وترعرع في عائلة يعقوب في أرض كنعان، لقد كان واحداً منهم، عرف طرقهم في الحياة، طبيعتهم، قوتهم، ضعفهم، وحاجاتهم، لذلك يمكنه أن يضع إحدى يديه عليهم. *وكصفنات فعنيح*، لقد جلس عن يمين فرعون، في المنزل وسط أبهة وروعة البلاط، لذلك يمكنه أن يضع يده الأخرى على فرعون؛ لقد فهم أفكاره وطرقه. لقد كان يوسف الوسيط المثالي. بدون يوسف، لم يكن لأخوته الوصول إلى العرش، ليس هناك وسيلة للإقتراب، وليس هناك رجاء لطلب إلتماس ناجح من فرعون على الإطلاق. بدون يوسف ليس لديهم أي شيء ومع يوسف لديهم كل شيء. هناك تناظر مباشر بين يوسف وأخوته في كل هذا، ونحن ووسيطنا. الرب يسوع المسيح، الإثنان الله والإنسان، يحضرانا إلى العرش ويتناقشان من أجلنا بطريقة لايمكننا تطبيقها.

ويُظْهَر لنا يوسف تالياً *كالخادم الناجح* (46:33-34). لقد بدأ يشرح لأخوته شيئاً عن عمله كاليد اليمين لفرعون، وشرح أهميتها العملية لديه. عليهم أن يتعاونوا معه؛ لا يمكن أن يوجد بحث عن الذات، لا يوجد أفعال مستقلة؛ عليهم أن يفعلوا تماماً كما قال لهم. إن مستقبلهم مضمون في ذهنه وعلم أفضل منهم جميعاً ماهي الأشراك القابعة أمامهم في مصر. يمكنه أن يرى أشياء لا يمكنهم رؤيتها، وحكمته أعظم بكثير من حكمتهم. كان هناك الوسيط أمام العرش حتى يكون خادمهم في حياتهم اليومية. مرة أخرى، لا مفر من التشابه بين يوسف ويسوع.

نلاحظ *تعليمات* يوسف *الصريحة* لأخوته (46:33-34أ). "فَيَكُونُ إِذَا دَعَاكُمْ فِرْعَوْنُ وَقَالَ: مَا صِنَاعَتُكُمْ؟ أَنْ تَقُولُوا: عَبِيدُكَ أَهْلُ مَوَاشٍ مُنْذُ صِبَانَا إِلَى الآنَ، نَحْنُ وَآبَاؤُنَا جَمِيعًا." بعبارة أخرى، كان على الأخوة أن يعترفوا لفرعون بالشخصية الرعوية. عليهم أن يعترفوا به أمامه وأمام كل بلاطه الباهر. خلافاً للمصريين الذين كانوا أناساً زراعيين ومستقرين، كان الرعيان شعوباً رُحَلاً ومهاجرين، دائمي التنقل، لا يلقون بجذورهم عميقاً في أية أرض. وكان لهذا أهمية عظيمة؛ مالم يتمسك الأخوة بشخصياتهم الرعوية وشخصياتهم المرتحلة، سوف يخسرون كل شيء. إن السيد أيضاً يريدنا أن نكون مرتحلين وغرباء على الأرض وأن نأخذ مركزنا أمام العرش عالياً في تلك الشخصية.

نلاحظ أيضاً تعليمات يوسف الصريحة لأخوته (46:34ب). لقد شرح لهم، "لِكَيْ تَسْكُنُوا فِي أَرْضِ جَاسَانَ. لأَنَّ كُلَّ رَاعِي غَنَمٍ رِجْسٌ لِلْمِصْرِيِّينَ." وذلك كان هدفه. لقد أراد أن يبقي خطاً واضحاً من الحدود بين العائلة المختارة والمصريين. جاسان سوف تضمن إنفصالهم من مصر حتى ولو كان عليهم العيش بهذه الأرض. كانت جاسان من جهة كنعان فالاستقرار هناك سيكون أسهل عليهم عندما يحين وقت الرحيل من مصر.

بالإضافة إلى ذلك، لقد احتقر المصريون مربي الماشية، واحدة من السبع الطبقات الإجتماعية أو النقابات التي انقسم إليها المصريون. لقد تمت معاملتها بازدراء من قبل المصريين الأخرين الذين لم يكن مسموحاً لهم بالدخول إلى المعبد أو الزواج من المصريين الآخريين خارج طبقتهم. لذلك كانت نية يوسف في إصراره على أخوته بالاعتراف بالشخصية الرعوية واضحة. لم يرد لهم أن يتدخلوا مع المصريين لا في أمور العبادة ولا الزواج؛ كان عليهم الإنفصال عن المصريين روحياً وإجتماعياً. يوضح قلقه ما توقعه السيد من شعبه في العالم اليوم. مفاتن العالم ليست لنا؛ يجب على نظامه الروحي أن يكون أناثيما بالنسبة لنا. هذا العالم ليس عالمنا.

4. التقديم (47:1-10)

لقد كانت خدمة يوسف لأخوته ناجحة. لقد وقفوا أمام فرعون وبلاطه مثلما أمرهم يوسف. "وَأَخَذَ مِنْ جُمْلَةِ إِخْوَتِهِ خَمْسَةَ رِجَال وَأَوْقَفَهُمْ أَمَامَ فِرْعَوْنَ." كان هناك إصطفاء من بين المختارين، لم يقف كل أخوته أمام فرعون. يبدو أن الرقم خمسة هو رقم النعمة في الكتاب المقدس. إنها النعمة المخلصة التي قادت يوسف للمسامحة والتبني والقبول الملكي لكل أخوته. لقد كانت النعمة الخاصة من سمحت للبعض منهم بأن يُعتَرف به أمام فرعون بهذه الطريقة الفريدة. إنها النعمة وحدها التي تضعنا في عائلة الله، تغفر خطايانا، وتجعلنا مقبولين في المحبوب. ولكن وأبعد من ذلك، سوف يُعترف بالبعض أمام الآب وأمام ملائكة السماء بمعنى خاص وفريد وسيربحون أماكن خاصة في الملكوت. مراكز الشرف العظيم والمسؤولية سوف تمنح في الملكوت القادم. بالرغم من أن مراكز العظمة متاحة للجميع، ولكنها سوف تعطى فقط لأولئك الذين كسبوا حق الحصول عليها.

لم يُقَلْ لنا على أي أساس إختار يوسف؟ ولكننا يمكن أن نتأكد بأن يوسف لم يختار الأوسم، الأقوى، الأذكى، الأغنى من أخوته. من دون شك لعبت الإعتبارات الأخلاقية والروحية الجزء الأكبر في الإختيار. هناك شيء واحد أكيد، لقد أختير واحد من بين الخمسة من أجل ذلك الشرف الخاص بالاستماع، وإذا جاز التعبير، "أحسنت صنعاً" يا يوسف.

"إِنْ عَلِمْتَ أَنَّهُ يُوجَدُ بَيْنَهُمْ ذَوُو قُدْرَةٍ،" قال فرعون وهو يتفحص أخوة يوسف، "فَاجْعَلْهُمْ رُؤَسَاءَ مَوَاشٍ عَلَى الَّتِي لِي" (47:6). الكلمات "رجال ذوو قدرة" تعني "رجال أقوياء." تأتي العبارة من جذر معناه "لوى" (فكرة الحبل الذي يلوى حتى يعمل حبلاً قوياً ومتيناً). أولئك الرجال الذين أثبتوا جدارتهم سوف يعطون مناصب مسؤولية في ملكوت فرعون. مركزنا في ملكوت المسيح القادم سوف يعتمد على كوننا "رجالاً ناشطين" الآن.

وهكذا، أحضر يوسف أخوته لفرعون. ثم أتت الحادثة الأكثر إنارة؛ منح يعقوب بركته لفرعون (47:7-10). علاوة على ذلك، لقد باركه مرتين، مرة عندما أتى إلى حضرة فرعون ومرة عندما غادر. لقد كان يعقوب أعظم بكثير من جده المشهور إبراهيم. لقد كان إبراهيم لعنة لفرعون بينما كان يعقوب بركة. لم يكن يعقوب طموحاً لأنه إعترف بدونيته عندما قورنت مع أسلافه وببلاياه خلال طريق الإرتحال.

يمكننا أن نتصور الراعي الكبير الشرس المسفوع، الذي حفرت الحياة القاسية التي عاشها على الهضاب خطوطها في وجهه. يمكننا أن نتصوره مرتدياً أفضل الحلل التي وجدها له يوسف ولبسها غير مرتاح كما قد يتوقع البعض. بالمقابل نجد الحاشية النقية، المتطورة، الأرستقراطية واقفة في غرفة جمهور الملك. نتصور الحرس الملكي في لباسهم الباهر، وزراء الولاية في قمصانهم المثيرة للإعجاب، ويوسف واقفاً أمام فرعون مرتدياً لباس البلاط مثل رجل نبيل من ولادته. ووقف هناك الشيخ يعقوب، على ما يبدو، كل في غير مكانه بوسط التبرج المتفاخر للبلاط.

نراه نازلاً ببطء بجانب الصف الطويل من الحرس والمسؤولين، يعرج على فخذه ويستند على عصاه. نرى صاعداً إلى عرش فرعون وهناك، ولدهشة كل البلاط، يرفع نفسه منتصباً بدلاً من أن يهبط ساجداً على وجهه. نراه يرفع يده المحروقة من الشمس للبركة، ونسمع البركة الرسولية خارجة من شفتيه.

يقول الله، "وَبِدُونِ كُلِّ مُشَاجَرَةٍ: الأَصْغَرُ يُبَارَكُ مِنَ الأَكْبَرِ" (عبرانيين 7:7). وهكذا بمباركة فرعون، قال يعقوب، "أنت ياسيدي، لتكن أميراً على الناس ولتمتلك القوة على الأرض. أنا أمير مع الله وأمتلك القوة في السماء. لذلك وبما أنني أعظم منك، سأباركك يا فرعون بإسم إلهي."

لم يرتفع يعقوب أبداً أعلى من هذا، ما عدا ربما على سرير موته. يا له من درس لنا! هل نحن بركة؟ عندما نكون في محضر الناس، هل نحضر لهم بركة من الله؟ عندما نرحل، هل نترك بركة خلفنا؟ هل نحن أمراء مع الله ولذلك بركة للناس؟ لقد كان يعقوب كذلك.

9. جائزة يوسف (47:11-26)

تتوقع الحادثة التي سُجلت في تكوين 47 اليوم عندما يعد الرب يسوع مملكته على الأرض ويحكم على كل العالم. إنها تعطي لمحة نبوية عن مجيء الرب وتعاملاته مع الشعب اليهودي ومع كل الشعوب. لقد كان يوسف أعظم مُحْسِن حصلت عليه مصر. بضربة واحدة كسر قوة النظام الإقطاعي، ووضع سيداً واحداً ورباً واحداً في المملكة، وجعل العرش سامياً. في يوم مجيء الرب سوف يحضر مملكة العالم مباشرة تحت سيادة الله، وسيؤسس حكومة دينية حقيقية، وسيكون الله رأسها وهو نفسه مديرها، وسوف يتعامل بشكل سيادي مع ميول الرجل الطبيعي للتمرد والإستقلال.

أ. نعمة يوسف (47:11-12)

لاحظ أولاً كيف تعامل يوسف مع أخوته على مبدأ النعمة؛ لقد أُخبِرنا عن *المنصب* الذي أعطاه لهم. "فَأَسْكَنَ يُوسُفُ أَبَاهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَعْطَاهُمْ مُلْكًا فِي أَرْضِ مِصْرَ." ونعلم من تكوين 34:46 أنه أسكنهم في أرض جاسان والتي دعيت تالياً رعمسيس. يعني الإسم *جاسان* "يقترب." بعبارة أخرى، لقد أُسكن أخوته في المكان حيث يستطيعون التوصل إليه. والإسم *رعمسيس* ("الرعد الذي يدمر") يقترح بأنهم قد أعطوا حق الوصول إليه، مثل الشخص الذي يتحدث بصوت السلطة. يتوقع المشهد اليوم الذي سيملك فيه يسوع عندما يُعطى الشعب الإسرائيلي منصب متميز في الملكوت، ومنصباً يحظى بحق الوصول إليه، عندما يكون صوته مثل الرعد على الأرض. سوف يقترب الشعب اليهودي إليه وسيكون نائب الملك إلى آخر الأرض وستكون فرماناته مثل الرعد.

قيل لنا تالياً عن *الأملاك* التي أعطاها يوسف إلى إخوته. "يُوسُفُ ... أَعْطَاهُمْ مُلْكًا فِي أَرْضِ مِصْرَ، فِي أَفْضَلِ الأَرْضِ، فِي أَرْضِ رَعَمْسِيسَ كَمَا أَمَرَ فِرْعَوْنُ." لقد أعطاهم الأفضل. كانت تلك النعمة، ولكنها كانت نعمة متعاونة مع العرش لأن يوسف لم يتصرف بإستقلالية. قد غُفِرَ لإخوته الذين فعلوا الأسواء به في الأيام القديمة الفاسدة، ورُفِعوا الآن عالياً بالنعمة.

نلاحظ أيضاً *الحصة* التي أعطاهم إياها يوسف (47:12). "وَعَالَ يُوسُفُ أَبَاهُ وَإِخْوَتَهُ وَكُلَّ بَيْتِ أَبِيهِ بِطَعَامٍ عَلَى حَسَبِ الأَوْلاَدِ." لقد سدد إحتياجاتهم واهتم بكل واحد منهم حتى إلى أصغر طفل. لم يتغاضى عن أي إحتياج.

حتى يعلمنا بأنه يهتم بنا، قال يسوع، "أَلَيْسَتْ خَمْسَةُ عَصَافِيرَ تُبَاعُ بِفَلْسَيْنِ، وَوَاحِدٌ مِنْهَا لَيْسَ مَنْسِيًّا أَمَامَ اللهِ؟" (لوقا 6:12). "أَلَيْسَ عُصْفُورَانِ يُبَاعَانِ بِفَلْسٍ؟ وَوَاحِدٌ مِنْهُمَا لاَ يَسْقُطُ عَلَى الأَرْضِ بِدُونِ أَبِيكُمْ" (متى 29:10). عصفوران، فلساً؛ خمسة عصافير، فلسين. بتعبير آخر، بفلسين قد تمت إضافة عصفور لتتم الصفقة. العصفور الواحد ليس لديه أي قيمة على الإطلاق. ذلك العصفور، العصفور الذي أراد أن يضيفه البائع فقط من أجل عملية البيع-ذلك العصفور لا يقع على الأرض بدون معرفة الآب. هذا يعني بأن الله يحضر حتى جنازة شيء عديم القديمة كهذا. هكذا هي كيفية تفاصيل إهتمام الله. وهذه هي النعمة.

ب. حكومة يوسف (47:13-22)

يتحول التركيز الآن إلى تعاملات يوسف مع المصريين. لقد إشتدت المجاعة إلى أعلى مستوياتها ولاحظ المصريون بأنه ليس هناك رجاء بدون يوسف. لقد أجبرتهم المجاعة على الخضوع له بكل التكاليف وتحت أي شرط لأنهم وصلوا بأنفسهم إلى النهاية. لقد كانت مصر مفلسة وظروفها يائسة وليس هناك مستقبل إلا بيوسف.

إن القصة تنذر بمجيء المسيح. سوف يأتي مرة أخرى إلى أرض متعبة، مفتقرة ومفلسة. الكوارث البيئية الشديدة الموصوفة في الرؤيا النبوية سوف تأخذ الضحايا. الزلازل، الحروب، المجاعات، الأوبئة، الكوارث الطبيعية بالحجم العالمي سوف تحرم العالم من موارده. إضطهاد الوحش سوف يهلك سكان الأرض. عندما يحين وقت مجيء المسيح، سوف تَستَنْزِف الأرض نفسها وسوف تأتي نهاية البشر أنفسهم. بعيداً عنه لا يوجد رجاء. كلمته ستبقى القانون المطلق على الكوكب، سوف يقبلها بسرور كل الداخلين إلى الحكم الألفي. ملكه، مثل يوسف، سيكون صارم، حكم العصا من حديد. ظروف قاسية سوف تتطلب شفاءً جذرياً.

لقد كان حل يوسف لأمراض مصر بسيطاً جداً. لقد أحضر كل الأشياء تحت سلطة العرش كالطريق الوحيد لحماية المستقبل. أولاً، لقد طالب *بفضة* المصريين (47:13-14). "وَلَمْ يَكُنْ خُبْزٌ فِي كُلِّ الأَرْضِ، لأَنَّ الْجُوعَ كَانَ شَدِيدًا جِدًّا. فَخَوَرَتْ أَرْضُ مِصْرَ وَأَرْضُ كَنْعَانَ مِنْ أَجْلِ الْجُوعِ. فَجَمَعَ يُوسُفُ كُلَّ الْفِضَّةِ الْمَوْجُودَةِ فِي أَرْضِ مِصْرَ وَفِي أَرْضِ كَنْعَانَ بِالْقَمْحِ الَّذِي اشْتَرُوا، وَجَاءَ يُوسُفُ بِالْفِضَّةِ إِلَى بَيْتِ فِرْعَوْنَ." لم تعد الناس تستطيع أن تثق بالمال، من أجل سبب بسيط هو أنه لم يعد عندهم أياً منه. محبة المال أصل كل الشرور، قد أُخِذَت بعيداً عنهم. كل الرجال، الأغنياء والفقراء مثل بعضهم، لقد أنخفضوا إلى نفس المستوى. إقتصاد البلاد كان في يدي فرعون وحده.

القليل أو لا شيء قد كشف عن السياسة النقدية التي سيتبعها المسيح في الألفية. ستكون كاملة، متعادلة، غير مسبوقة لأن، وكما يقول النبي، كل إنسان سوف يحيى تحت تينته وكرمته. لن يكون هناك المزيد من الحسابات البنكية السرية في الأراضي الغريبة حيث تُخَبَأ الثروة اللاشرعية. لن يكون مبدأ أن النقود تتكلم. الحلم الماركسي، "كل بحسب قدرته، إلى كل بحسب حاجته،" سوف يتحقق، لأن المسيح وليس رجل خاطئ سوف يدير موارد العالم. سوف تكون الولاية سامية في المسيح. سوف يوزع غنى العالم من قبل العرش لبركة ومنفعة الجميع.

بعد ذلك، طلب يوسف *ممتلكات* المصريين (47:15-17). "فَلَمَّا فَرَغَتِ الْفِضَّةُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ وَمِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ أَتَى جَمِيعُ الْمِصْرِيِّينَ إِلَى يُوسُفَ قَائِلِينَ: أَعْطِنَا خُبْزًا، فَلِمَاذَا نَمُوتُ قُدَّامَكَ؟ لأَنْ لَيْسَ فِضَّةٌ أَيْضًا. فَقَالَ يُوسُفُ: هَاتُوا مَوَاشِيَكُمْ فَأُعْطِيَكُمْ بِمَوَاشِيكُمْ، إِنْ لَمْ يَكُنْ فِضَّةٌ أَيْضًا. فَجَاءُوا بِمَوَاشِيهِمْ إِلَى يُوسُفَ." لقد كان ذلك منطقياً. ما هي المنفعة من سيطرة وتمركز النظام المالي إذا كان الناس يقايضون بالأصول السائلة الأخرى؟ مشكلة محبة المال سوف تبقى لذلك جمع يوسف الأصول السائلة لمصر تحت سيطرة العرش. ربما إستطاع الغني جداً أن يصمد لمدة أطول من الآخرين، ولكن في النهاية تنازل الكل وتطورت قوة العرش من أجل مصلحة الجميع.

ثم طالب يوسف *بعقارات* المصريين (47:18-20). "وَلَمَّا تَمَّتْ تِلْكَ السَّنَةُ أَتَوْا إِلَيْهِ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ وَقَالُوا لَهُ: لاَ نُخْفِي عَنْ سَيِّدِي أَنَّهُ إِذْ قَدْ فَرَغَتِ الْفِضَّةُ، وَمَوَاشِي الْبَهَائِمِ عِنْدَ سَيِّدِي، لَمْ يَبْقَ قُدَّامَ سَيِّدِي إِلاَّ أَجْسَادُنَا وَأَرْضُنَا... فَاشْتَرَى يُوسُفُ كُلَّ أَرْضِ مِصْرَ لِفِرْعَوْنَ." الآن كل الأصول الثابتة والسائلة أصبحت بيدي يوسف. في الحقيقة، أُحضِرَ المصريون إلى نهاية أنفسهم، أُحضِروا إلى المكان الذي عليهم أن يثقوا به ثقة كلية من دون مجادلة. وسيكون الأمر كذلك في يوم المجيء، كل مصادر القوة سوف تتركز في يدي يسوع القديرتين والحنونتين. سيكون لدينا سبباً للخوف إذا ما كانت الأيادي المُسيطرة على مثل هذه القوة غير أيادي يوسف أو يسوع، ولكن هذه الأيادي يمكن الإعتماد عليها بشكلٍ كاملٍ ويمكن الوثوق بها إلى التمام. لقد أراد يوسف نهاية الولاء المقسوم والمنافسات البشرية، وبركة الحكم الرحيم، الكفوء، والمركزي. يقع الخطأ في قضية يوسف في حقيقة أنه سوف يموت عاجلاً أم آجلاً، وأيادي أقل شأناً وأكثر طمعاً سوف تستولي على مقاليد الحكم، ولكن عندما تتركز كل هذه القوة في يدي يسوع، سوف تكون من أجل الخير الدائم للبشرية.

بالنهاية، سيطر يوسف على *أشخاصهم* (47:21). "وَأَمَّا الشَّعْبُ فَنَقَلَهُمْ إِلَى الْمُدُنِ مِنْ أَقْصَى حَدِّ مِصْرَ إِلَى أَقْصَاهُ." لقد مارس حقه في إعادة توزيع السكان في الأرض حتى يمكن لموارد القوة البشرية أن تستخدم في المستقبل من أجل منفعة الجميع. من دون شك، لقد مسح الأحياء الفقيرة وأعاد توطين الناس في المدن أو في الأرض بحسب خيرهم الحالي والمستقبلي. سوف يبدأ الحكم الألفي بطريقة مشابهة. أعداد قليلة من الناس سوف تبقى فقط بعد دينونة الضيقة العظيمة وبعد دينونة وادي يهوشافاط. سوف يتم تعيين مراكز سكنهم من قبل الرب بحسب حكمته ومحبته وقوته. ما خطط له في الأصل للجنس البشري في بابل عندما قاد ونفذ توزيع السكان العالمي، سوف يصبح حقيقة.

في حالة يوسف نجد منطقة واحدة حيث حتى قوته، مع كل عظمتها، كبحت. "إِلاَّ إِنَّ أَرْضَ الْكَهَنَةِ لَمْ يَشْتَرِهَا، إِذْ كَانَتْ لِلْكَهَنَةِ فَرِيضَةٌ مِنْ قِبَلِ فِرْعَوْنَ، فَأَكَلُوا فَرِيضَتَهُمُ الَّتِي أَعْطَاهُمْ فِرْعَوْنُ، لِذلِكَ لَمْ يَبِيعُوا أَرْضَهُمْ" (47:22). يا لها من فرصة ذهبية قد ضيعها فرعون كيما يسحق القوة العظيمة للكهنة في مصر. لقد كانت قوة يوسف محدودة لأن فرعون لم يتوان أبداً، أو ربما لأن قلب فرعون كان ميالاً إلى الإيمان بعقيدة ساسردوتاليزم (الإيمان الذي يطلب تدخل الكاهن لمغفرة الخطايا) المنتشرة في الأرض.

ولكن في يوم المجيء، لن يُحَدَّ الرب بضعف العرش. مع كل القوة الإلهية خلفه سوف يسحق قوة الدين المزيف. لن تسيطر العقائد السوداء الشيطانية على الروح البشرية. إن الهياكل التي رُفِعَتْ بتكلفة لا تحصى وخصصت لنشر الأخطاء سوف تتلاشى من على الأرض. هيكل رائع سوف يبنى في أورشليم كيما يقود أفكار كل البشرية إلى الله على عرشه.

ت. صلاح يوسف (47:23-26)

لقد أعلن يوسف الآن عن القانون الأساسي للعصر الجديد الذي بزغ في مصر. لقد *شُرِح* المبدأ الأساسي قبل كل شيء (47:23-25). لقد *عُبِّرَ عنه بكلمات بسيطة جداً* (47:23-24). "فَقَالَ يُوسُفُ لِلشَّعْبِ: إِنِّي قَدِ اشْتَرَيْتُكُمُ الْيَوْمَ وَأَرْضَكُمْ لِفِرْعَوْنَ .هُوَذَا لَكُمْ بِذَارٌ فَتَزْرَعُونَ الأَرْضَ. وَيَكُونُ عَنْدَ الْغَلَّةِ أَنَّكُمْ تُعْطُونَ خُمْسًا لِفِرْعَوْنَ، وَالأَرْبَعَةُ الأَجْزَاءُ تَكُونُ لَكُمْ بِذَارًا لِلْحَقْلِ، وَطَعَامًا لَكُمْ ... وَطَعَامًا لأَوْلاَدِكُمْ." كان القصد من تمركز القوة في العرش أن تكون وسيلة بركة، وليس وسيلة قمع. لقد عنت بأن تدار موارد مصر لمصلحة الجميع.

خلال سنوات الفيض، فُرِضَ يوسف من قبل فرعون ليفرض ضريبة على مُلاك الأراضي، خمساً على منتجاتهم مقابل سنوات الحاجة. لقد جعل الآن هذه الضريبة مؤسسة دائمة في الأرض حتى تمول الإدارة المركزية. لقد كانت حركة حكيمة كما إنها إثبات لصلاح

يوسف. لم يكن تحت أي إجبار بأن يعطي الناس أي شيء. كان يستطيع إخضاع الناس إلى العبودية، ولكنه على العكس تعامل معهم بوفرة صلاح قلبه.

لقد *رُحِب* بالمبدأ *بصدق تام*. "قَالُوا: أَحْيَيْتَنَا. لَيْتَنَا نَجِدُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْ سَيِّدِي فَنَكُونَ عَبِيدًا لِفِرْعَوْنَ." وهكذا سيبدأ الحكم الألفي. أناس شاكرون، مخَلَصون من الرب نفسه، فرحون بأن يكونوا عبيداً للرب، مستقبلهم مؤكد وسعادتهم مضمونة، مدركين بأن النعمة سوف تملك على الأرض في النهاية.

قد تأسس المبدأ الأساسي، الذي قد سبق شرحه (25:47). نقرأ، "فَجَعَلَهَا يُوسُفُ فَرْضًا." وعُمِلَ من المبدأ وصية. وهكذا تلاحمت نعمة الله وحكومته وبدأ عصر جديد.

بالتأكيد يوجد لنا درسٌ في كل هذا. "أَحْيَيْتَنَا. لَيْتَنَا نَجِدُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْ سَيِّدِي فَنَكُونَ عَبِيدًا." إن مبدأ ضريبة العشرين بالمئة سنوياً التي يجب أن تدفع للعرش مدهشة. لقد وعد *يعقوب* الرب بأن يدفع 10% (تكوين 11:28)، كان على المصريين الذين قاسوا وأحييوا من قبل يوسف أن يعطوا 20% (تكوين 24:47)، جابي الجزية المُخَلَص، *زكا* وعد بـ 50% (لوقا 8:19)، *الأرملة* مع فلسيها أعطت كل ما لها (مرقس 41:12-44). كم هو مقدار ما يجب أن نعطيه لله؟ نفسٌ مخلصةٌ مع قلبٍ شاكرٍ لا يمكنهما أن يفعلا إلا أفضل ما يستطيعا ليعبرا عن امتنانهما لشخص وعمل المسيح.

الفصل 9
الخِتام

1. موت يعقوب (21:50-27:47)
أ. معرفة يعقوب المُسبِقة (27:47-27:49)
1. المُختار المُفضل (22:48-27:47)
أ. دفن يعقوب (27:47-31)
ب. جانِب فراش يعقوب (1:48-6)
ت. حرمان يعقوب (7:48)
ث. عمى يعقوب (8:48-12)
ج. بركة يعقوب (13:48-16)
ح. سلوك يعقوب (17:48-20)
خ. إيمان يعقوب (21:48-22)
2. العائلة المُختارة (1:49-27)
أ. المُقَدِمة (1:49-2)
ب. رَأُوبَيْنُ (3:49-4)
ت. شِمْعُونُ وَلاَوِي (5:49-7)
ث. يَهُوذَا (8:49-12)
ج. زَبُولُونُ (13:49)
ح. يَسَّاكَرُ (14:49-15)
خ. دَانُ (16:49-18)
د. جَادُ (19:49)
ذ. أَشِيرُ (20:49)
ر. نَفْتَالِي (21:49)
ز. يُوسُفُ (22:49-26)
س. بَنْيَامِينُ (27:49)
ب. جناز يعقوب (28:49-21:50)
1. التعهُد (28:49-33)
2. الإعداد (1:50-3)
3. الإذن (4:50-6)
4. الموكِب (7:50-14)
5. العفو (15:50-21)
2. موت يوسف (22:50-26)
أ. سُكنى يوسف (22:50)
ب. أحفاد يوسف (23:50)
ت. بصيرة يوسف (24:50)
ث. مُطالبة يوسف (25:50)
ج. موت يوسف (26:50)

9
الخِتام
1. موت يعقوب (47:27-50:21)

أ. معرفة يعقوب المُسبِقة (47:27-49:27)

ينعطف الآن طريق التكوين بآخر مُنعطف لهُ، ويوسف على العرش وأيام اضطهاده قد انتهت ويوم مَجدِهِ الطويل قد حَضر. يُمكن للقِصة أن تنتهي هنا بشكلٍ رائع، ولكن بينما يُراجِع موسى نصوصَهُ يقول له روح الله أن يكتُب مُلحقاً. والمُلحق يتعامل مع وفيتين جَديرتين بالذكر-وفاة يعقوب (47:27-50:21) ووفاة يوسف (50:22-26).

سفر التكوين عبارة عن مدفن واسع وكُتيب عظيم لوعظات الجناز ونعوى طويلة. لقد وقفنا أمام جُثة هابيل المُشوهة وقرأنا سِجلات الولادة والوفيات في الإصحاح 5 وحضِرنا دَفن العرق البشري في الطوفان وقد ذهبنا إلى خدمة جُناز إبراهيم وسارة وإسحاق وإسماعيل وبكينا مع يعقوب عند قبر راحيل. لقد افتقدنا لهذا وذاك "أين رفقة؟ وأين تارح؟ وأين لوط؟" ودائماً يأتينا الجواب "لقد ماتوا"، والآن نحضُر إلى آخر جُنازين في السفر.

إن تسجيل وفاة يعقوب طويلٌ، لذا سنعاينُهُ على مرحلتين-معرِفَتَهُ المُسبقة (47:27-49:27) ودَفنِهِ (49:28-50:21).

نزل روح الوحي على يعقوب كما فعل مع إبراهيم وإسحاق ومكَّنَهُ من أن يرى مُستَقبل شعبَهُ بوضوحٍ عظيمٍ. النبوءات التي خرجت من شفاه يعقوب هي أحد أبرز وأسهب النبوءات في كُل الكتاب المُقَدَّس. لم يَكنْ هناك أي تردد، فالمُوشحات الشعرية لكن نبوية تدفقت بثبات من شِفاه يعقوب بينما تحولت عيناه من ابنٍ لآخر. ركزت مَعرِفَتَهُ المُسبَقة على *مُختَارَهُ المُفضل* أولاً (47:27-48:22) ثم على *العائلة المُختارة* (49:1-27).

1. المُختار المُفضل (47:27-48:22)

كان يوسف هو مُختار يعقوب المُفضَل، عندما كان فتاً كان فخرَ أبيهِ وعِزَهِ وفرحَةَ قلبِهِ، ولم يَحتَل أي ابنٍ آخر فِكر يعقوب حتى بنيامين كان يَحمِل مَعَهُ ذكرى وفاة راحيل المُحزن، ولكن يُوسف لَم يُحضِر إلا الهناء. كان شمعون ولاوي وحشيين وكان رأوبين وضيعاً ويهوذا جسدياً وأبناء الجواري كانوا فاسدين، لكن يوسف كان مُعجِزةً. عندما كان يوسف *فتاً* كان كُل ما أراد يعقوب بالابن؛ وصان يوسف *كسيد* كُل شيء قالهُ أبيهِ عنه أو افتَكَرَ به.

أ. دفن يعقوب (47:27-31)

قيل لنا أولاً أين كان *وطن* يعقوب "وَسَكَنَ إِسْرَائِيلُ فِي أَرْضِ مِصْرَ، فِي أَرْضِ جَاسَانَ، وَتَمَلَّكُوا فِيهَا وَأَثْمَرُوا وَكَثُرُوا جِدًّا. وَعَاشَ يَعْقُوبُ فِي أَرْضِ مِصْرَ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً .فَكَانَتْ أَيَّامُ يَعْقُوبَ، سِنُو حَيَاتِهِ مِئَةً وَسَبْعًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً." لمُدة سبعة عشر سنة كان مُحاطاً بالأبهة والفخفخة كأبٍ مُكَرَمٍ لأعظم سيدٍ لمِصر. لمدة سبع عشرة سنة توفِرَ له كل ما كان العالم يستطيع أن يُقَدِم، وكان لديهِ سبعة عشرة سنة ليخسر شهادَتَهُ باستسلامِهِ للعالم والجَسَد والشرير. سبع عشرة سنة في مِصر! سبع عشرة سنة للعالم بأفتن معالِمِهِ ليضع إغواءَهُ أمامهُ. ولكن *إسرائيل* من كان في مِصر-ليس إسرائيل كشخص وحسب ولكن إسرائيل الشعب. كانت تلك أول مرة يُدعى بها الشعب المُستَقبلي بذلك، ماذا يمتلك العالم ليُقَدِم لإسرائيل الله؟ لا شيء.

نُلاحِظ أيضاً أين كان قلب يعقوب "وَلَمَّا قَرُبَتْ أَيَّامُ إِسْرَائِيلَ أَنْ يَمُوتَ دَعَا ابْنَهُ يُوسُفَ وَقَالَ لَهُ: إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَضَعْ يَدَكَ تَحْتَ فَخْذِي وَاصْنَعْ مَعِي مَعْرُوفًا وَأَمَانَةً :لاَ تَدْفِنِّي فِي مِصْرَ، بَلْ أَضْطَجِعُ مَعَ آبَائِي، فَتَحْمِلُنِي مِنْ مِصْرَ وَتَدْفِنُنِي فِي مَقْبَرَتِهِمْ" (47:29-31). لقد كان يعقوب في مِصر لمُدة سبعة عشرة سنة ولكن لم تَكنْ مِصر بهِ ولا للحظة، لقد كان بالعالم ولكن ليس من العالم لأنهُ تعلم الانفَصال بدقة. إن كان عليهِ أن يعيش في مِصر فسيُبقي قلبَهُ في كنعان أرض المَوعِد المكان الذي وضع الله اسمَهُ عليه، شئون يعقوب الأرضية كانت في مِصر ولكن قلبهُ كان في كنعان.

ب. جانِب فراش يعقوب (48:1-6)

في يومٍ من الأيام أتت الأخبار ليوسف "ها هو أبوك مريض" وبتلك اللحظة وضِعَت شئون الدولة جانِباً وأسرع يوسف وأبناؤه خلفَهُ لرؤية البطريرك. باللحظة التي سَمِعَ يعقوب عن مجيء يوسف، جلس في مَخدَعِهِ حيثُ نقرأ "فَتَشَدَّدَ إِسْرَائِيلُ"، لقد كان العمل أمامهُ بأشد الأهمية لأنهُ يتَعَلق بهيكلة وتركيبة الأسباط حتى نهاية الزمن.

دخل يوسف وأفرايم ومنسى غُرفة النوم ونظروا إلى الراعي المُسن المُبَجَل، كان قلب يوسف ملآناً بالمشاعِر. وهناك كان أفرايم ومنسى متسربلين بلا شك كمِصريين يافعين ملوكيين، فقد نشأا في بِلاط الفرعون لذا مظهرهُما كان مُهماً كذلك ثقافَتُهما ولابُد أن منظورَهما كان مِصرياً أكثر مما كان عبرياً. ومن المُحتَمل أن يكون هذا هو السبب لإحضار يوسف لهما معهُ، حَيث قد أرادهُما أن يَشعُرا بالثِقَل الكامِل لمَحضَر موت البطريرك المُسن وأراد أيضاً لأبيه أن يُقَدِم لهما البركة الروحية قبل أن يموت.

أمعنَ يعقوب النظر بهما وبدأ بإطلاق إفادة تتعلق *بالماضي* "وَقَالَ يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ: اللهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ظَهَرَ لِي فِي لُوزَ، فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، وَبَارَكَنِي." (48:3-4) لقد ظهر الله ليعقوب مرتين، مرةً بعد خِداعِهِ لإسحاق وغضب عيسو مازال يَدوي في أذُنيه، ومرةً بعد الكارِثة في شكيم وغضب جميع كنعان يَدوي في أذُنيه (28:10-19؛ 35:6-13). أكد الله ليعقوب في كِلا المرتين وعودَهُ لإبراهيم وإسحاق، ومن المُحتَمَل أن يعقوب كان يفتَكِر بكلا الحدَثين عندما تكلم عن الماضي.

ثم أفاد يعقوب عن *المُستَقبل* "وَالآنَ ابْنَاكَ الْمَوْلُودَانِ لَكَ فِي أَرْضِ مِصْرَ، قَبْلَمَا أَتَيْتُ إِلَيْكَ إِلَى مِصْرَ هُمَا لِي .أَفْرَايِمُ وَمَنَسَّى كَرَأُوبَيْنَ وَشِمْعُونَ يَكُونَانِ لِي." تبنى يعقوب بشكلٍ رسميٍ إبني يوسف إلى عائلَتِهِ *كابنيه* ليقِفا بِتَساوٍ مع أبنائهِ الاثني عشر.[1]

ت. حرمان يعقوب (48:7)

"وَأَنَا حِينَ جِئْتُ مِنْ فَدَّانَ مَاتَتْ عِنْدِي رَاحِيلُ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ فِي الطَّرِيقِ... فَدَفَنْتُهَا هُنَاكَ فِي طَرِيقِ أَفْرَاتَةَ" لم تُطري مرور السنين تلك الضربة وصوت يعقوب مازال يهتَز عندما فَكَر بحُبِهِ الوحيد الحقيقي وبتفكيرهِ بأبناء يوسف جعلهُ يُفَكِر بجَدَتَهَم. لو لم تَكُن الظروف أصعب مما كان يحتَمِل فبدون شك لما كان تَزَوج بأحد آخر، فقد كانت راحيل الزوجة الوحيدة التي رَغِبَها على الإطلاق، لو كان الأمر باستطاعَتِهِ لكان جميع أبنائه من راحيل. لذلك كان من المُناسب أن يُعطى ليُوسف، البِكر من راحيل، حق ورثة البِكر. لذا قَدَمَ يعقوب ضعف الحصة ليوسف من خلال إدخال أفرايم ومنسى كابنيه بالكامل؛ فكان ثناؤهُ الأخير لذكرى لن تموت.

ث. عمى يعقوب (48:8-12)

"وَرَأَى إِسْرَائِيلُ ابْنَيْ يُوسُفَ فَقَالَ: مَنْ هذَانِ؟" لقد كان يتكلم عن تبني ابنيّ يوسف ولكن من الواضِح أنه إما لم يُلاحِظهما واقفين بهدوء في الغُرفة أو رآهما بشكلٍ خافِت وأخفق في التَعَرُف عليهما، لقد خان البطريرك المُسن نَظَرُهُ الجسدي (48:10) كما حَصَل مع إسحاق. قرار يعقوب في التبني لابني يوسف لم يَنتهي بعد، لذا في حَفز اللحظة وتحت حَث ودَفعِة حضورِهما في غُرفَتِهِ، ولم يعرِفهما حتى، كان فِعلَهُ نتيجةً لتَعَمُد مُسبق وتفكير حَذِر تحت تعامُل مُباشر من روح الله، قال الرَجُل العجوز ليوسف "لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنِّي أَرَى وَجْهَكَ، وَهُوَذَا اللهُ قَدْ أَرَانِي نَسْلَكَ أَيْضًا" أمعن النظر بقوة في الصبيين بينما احضرهما يوسف إلى الأمام بجانِب فِراشِهِ.

ج. بركة يعقوب (48:13-16)

أدرك يوسف الآن أن أباه يُريد أن يضع بركتَهُ البطريركية على الولدين الذين تبناهما للتوّ كابنَين لهُ، فأراد يوسف للابن الأكبر أن يأخُذ البركة الأسمى لذا وضع منسى مُباشرةً أمام يد يعقوب اليُمنى، إلا أن الرَجُل المُسن صالبَ يَدِيهِ عن قصد حيثُ وضع يَدَهُ اليُمنى على أفرايم واليُسرى على منسى. لقد كانت مشيئة الله أن السبط الذي سيخرُج من أفرايم يكون أسمى من السِبط الذي سيخرُج من منسى، لم يَكن هناك أي علاقة للتفضيل الطبيعي، لقد كان الرجُل الروحي من يتحكم بيعقوب وليس الجسدي.

1. طبعاً بالواقع هذا يعني بأنهُ سيكون هناك ثلاثة عشر سبطاً مع أن الله يُسَجِل دون تغير أثني عشر سبطاً في أي قائمة مذكورة.

ح. سلوك يعقوب (48:17-20)

اهتاج يوسف بسبب تَصَرُف أباه فصرخ "لَيْسَ هكَذَا يَا أَبِي، لأَنَّ هذَا هُوَ الْبِكْرُ .ضَعْ يَمِينَكَ عَلَى رَأْسِهِ" فقد اعتقد أن ضعف نظر أبيه كان السبب في تَصَرُفِهِ وبالتأكيد لم يُرِيد لأبيه أن يستَبِق حق اختيارِهِ. لقد كان منسى هو الفتى الأكبر وبجميع الموازين الطبيعية يجب لمنسى أن يأخُذ الحِصة الأكبر من أي امتيازاتٍ مادية أو روحية يُمكن ليعقوب أن يُقَدِمُها.

لقد كان يعقوب يعلم ما يفعل، فقال "عَلِمْتُ يَا ابْنِي، عَلِمْتُ"، وهكذا غلب إيمان يعقوب *إرادة الإنسان* (إرادة يوسف) كما غلب إيمان إسحاق *إرادة الجسد* "وَبَارَكَهُمَا فِي ذلِكَ الْيَوْمِ قَائِلاً: بِكَ يُبَارِكُ إِسْرَائِيلُ قَائِلاً: يَجْعَلُكَ اللهُ كَأَفْرَايِمَ وَكَمَنَسَّى. فَقَدَّمَ أَفْرَايِمَ عَلَى مَنَسَّى". لم يَكن ذلك عناد رَجُلٍ عجوز مُصَمِماً أن تسير الأمور كما يشاء، ولم يكن تفضيلاً شخصياً بل كان تصريحاً نبوياً.

لقد كان يعقوب نبياً حقيقياً لأن أفرايم فعلاً أصبح الأعظم بين الإثنين، وأصبح أفرايم مُسيطراً لدرجة أنه بعد أن انفصل الأسباط العشرة لتأسيس ممالك مُنافِسة، كان يَرُبْعَامُ الأَفْرَايِمِيّ الذي قاد الثورة (1ملوك 11:26). وبعد مرور زمن على سبط أفرايم أعطى اسمهُ لكُل المملكة الشمالية.

خ. إيمان يعقوب (48:21-22)

" هَا أَنَا أَمُوتُ، وَلكِنَّ اللهَ سَيَكُونُ مَعَكُمْ وَيَرُدُّكُمْ إِلَى أَرْضِ آبَائِكُمْ. وَأَنَا قَدْ وَهَبْتُ لَكَ سَهْمًا وَاحِدًا فَوْقَ إِخْوَتِكَ، أَخَذْتُهُ مِنْ يَدِ الأَمُورِيِّينَ بِسَيْفِي وَقَوْسِي" لقد تم تأكيد الحِصة المُضاعفة في أفرايم ومنسى ولكن التنفيذ سيكون في كنعان وليس مِصر. كلام يعقوب عن الأموريين مُحير، ولكن علينا أن نتذكر أن روح النبوءة مازالت عليه. لقد كان يتكلم عن نفسه بتجَسُدِهِ في الشعب وهو يتكلم عن المُستَقبَل وكأنهُ الماضي-وكأن إحتِلال كنعان ودحر الأموريين قد أصبح حقيقةً منجزة.[2]

2. العائلة المُختارة (49:1-27)

نأتي الآن إلى النِطق النبوي الذي يُمكِن مُقارَنَتَهُ بإطار وبدقة فقط مع دانيال11. يُمكن للتصريح النبوي الطويل والمُعَقَد أن يُنظر له بطريقة التدبير الإلهي للأمور أو تدبير تنظيمي للأمور. هذا يعني أن مُختَلف التدبيرات الإلهية للوقت في تعامُل الله مع الإنسان قد سبق ورآها يعقوب بقدر ما أثرت هذه التدبيرات على شَعبِهِ.[3] هنا سوف نُعاين النبوءة بطريقة التدبير التنظيمي للأمور.

بينما نظر يعقوب إلى أبنائِهِ، قدمت لهُ سماتهم *التنظيمية للأمور* دليلاً لمَصيرهِم كأسباط. لقد راقب الصِبية لسنين عديدة، وقد علِمَ تاريخهم ونُقاط قوَتِهِم وضعفِهِم وأيضاً شخصياتِهِم. لقد مكنهُ الروح القُدُس الآن من أن يُسَلِط أضواء شخصياتِهِم إلى المُستَقبَل ويتنبأ مُستَقبَلَهُم كأسباط. كُل سِبط سيتوسع ويتضاعف ويَرِث سِماتَهُ التنظيمية للأمور المرئية في مؤسس ذلك السبط.

أ. المُقَدِمة (49:1-2)

" وَدَعَا يَعْقُوبُ بَنِيهِ وَقَالَ: اجْتَمِعُوا لأُنْبِئَكُمْ بِمَا يُصِيبُكُمْ فِي آخِرِ الأَيَّامِ. اجْتَمِعُوا وَاسْمَعُوا يَا بَنِي يَعْقُوبَ، وَاصْغَوْا إِلَى إِسْرَائِيلَ أَبِيكُمْ" يُستخدم هنا التعبير "آخِرِ الأَيَّامِ" لأول أربعة عشر حدث في العهد القديم. لقد أخُذَ هذا التعبير دائماً من قِبل الحاخامات على أنه مسياني، إنهُ تعبيرٌ مُتعلِقٌ بالأُخرَيات يُشير بشكلٍ عام إلى "نهاية الزمان" في دانيال 12:4،9. تُرَكِز نبوءة يعقوب في تحقيقها المُطلق على ذروة العصور، على تلك النقطة النهائية من الزمن التي يقود لها كُل التاريخ. ولكن يجب إبقاء وجهة النظر للمُتَكَلِم في الحِسبان، لذا

2. لا يوجد أي تسجيل في حياة يعقوب لحملة كهذه ضِد الأموريين، وبالتأكيد لم يُشير يعقوب إلى دمار الشكيميين من قِبَل لاوي وشمعون، لأن روحَهُ البارة ستنقلب برُعب عند كُل ذِكرٍ لذلك الفِعل المُشين. كلماتهُ كانت كلمات نبوية، وإسرائيل سيرحل من مِصر؛ إسرائيل ستحتل كنعان التي هي الآن في قبضة الأموريين، فإيمان يعقوب كان مؤسساً بثبات على وعود الله. كانت ثِقَتهُ على وعود الله لإبراهيم (تكوين 15:13-16) "اعْلَمْ يَقِينًا أَنَّ نَسْلَكَ سَيَكُونُ غَرِيبًا فِي أَرْضٍ لَيْسَتْ لَهُمْ" (لا يُمكن لذلك الجزء من النبوءة لإبراهيم أن يُشير إلى كنعان لأن كنعان كانت لهُ؛ لقد أعطيت من قِبل الله لهُ ولنسلِه، لقد أشارت إلى الإقامة المؤقتة في مِصر. لقد عاش يعقوب ليُشاهد قسماً من ذلك الجزء من النبوءة يتحقق) "وَيُسْتَعْبَدُونَ لَهُمْ .فَيُذِلُّونَهُمْ أَرْبَعَ مِئَةِ سَنَةٍ... وَفِي الْجِيلِ الرَّابِعِ يَرْجِعُونَ إِلَى ههُنَا، لأَنَّ ذَنْبَ الأَمُورِيِّينَ لَيْسَ إِلَى الآنَ كَامِلاً" آمن يعقوب بذلك. لن يعيش يعقوب ليُشاهد التتِمة الأخيرة للنبوءة، ولا يوسف، ولا أَفْرَايِمَ ومَنَسَّى ولا أبناء أَفْرَايِمَ ومَنَسَّى، ولكن أحفادهم سيُشاهِدون، فراهن يعقوب بكُل شيءٍ على ذلك. سيفيض إثم الأموريين في أيام أحفاد أفرايم وسوف يمتلك يعقوب (يعقوب المُمَثِل للشعب) الأرض بالسيف ويأخُذها من أيدي الأموريين. لقد كان الأمر وكأنه انتهى، لذا تكلم عن الحَدَث وكأنهُ بالماضي، وهذا دليلٌ على الاستِقامة المُطلقة لكلمة الله.

3. يُمثِل رَأُوبَيْنَ وَشِمْعُونُ وَلاَوِي تاريخ الشعب حتى المجيء الأول للمسيح. يُقَدِم يَهُوذَا رسماً لظهور المسيح ورَفضِهِ. يستعرض يَسَّاكَرُ وَزَبُولُونُ أمامنا تشتُت إسرائيل وخضوع العِرق الطويل للأمم. يُنذِر دَانُ بظهور المسيح الكذاب ومملكَتِهِ. يصف جَادُ وَأَشِيرُ وَنَفْتَالِي الشخصية الأخلاقية للمُنتَخَبين في الأيام الأخيرة -انتصاريين وبقوةٍ ملوكيةٍ وبشهادة. يُنذِر يُوسُفُ وَبَنْيَامِينُ بالمجيء الثاني وانتصارات مسيح إسرائيل.

ومع أن النبوءة تُشير إلى الأزمان المسيانية إلا أنها تبدأ بتلك الحقبة المُعينة للإكمال التي ستبدأ بفتح كنعان-حدَثٌ قد سبق وتنبأ عنه يعقوب.

وهكذا نرى أبناء يعقوب مُجتَمعين حول فِراشِهِ، وننظُر للمشهد كأنه*كُرسي قضاء يعقوب*، ويتنبأ بكُرسي قضاء المسيح. تُقَدَم حياة كُل واحد للمُراجعة وتلقى التوبيخ والمُكافآت، الذي زُرِع سيُحصَد والأشياء المخفية ستظهر وتُقاضى؛ والأشياء المكشوفة ستُمدَح أو تُعاقب. هناك مَكانٌ في المملكة على المحك لكُلِ واحِد، وكُل واحد يتم وزنَهُ على ضوء ذلك.

لم تَكن طريقة خطاب يعقوب الطريقة العادية للمُحادثة، بل كانت قصيدة خطابية صيغت بجُمَل شِعرية ورمزية ومليئة بالمشاعِر مِثل الجُمَل التي تُسَبِب صمتاً عميقاً من الروع والخوف والتوقعات التي تقبُض على كُل قلب، لقد كان حقاً كُرسي القضاء.

ب. رَأُوبَيْنُ (49:3-4)

بينما أمعن يعقوب النظر بعينيه الضعيفتين في وجهِ رأوبين رأى الكبرياء والضعف والشهوة والذنب تنعكس منه وجميعُها تتصارع للسيادة. أبتدأ بكلمة عن *موقِع رأوبين الفريد* (49:3) "رَأُوبَيْنُ، أَنْتَ بِكْرِي، قُوَّتِي وَأَوَّلُ قُدْرَتِي، فَضْلُ الرِّفْعَةِ وَفَضْلُ الْعِزِّ"

لقد كان رأوبين مرة عز وفخر أبيه، وبينما أستمع إلى كلمات أبيه الافتِتاحية انتعش قلبهُ وتَوَرَد وجهه. ولكن النظرة المُتَلَهِفة اختفت حيثُ انتصر الكبرياء لأنه سيحصل على حقوقه أخيراً! "بكري!" سيحصَل على ضِعف الحِصة من الأملاك؛ لابُد أن والِدَهُ تذكر بأنه حاول إنقاذ يوسف بينما كان الآخرون يُحاولون قتلهُ أو بيعهُ. لابُد بأنه تذكر أنه رهن أبناءهُ من أجل أمان بنيامين، "قُوَّتِي وَأَوَّلُ قُدْرَتِي" لابُد بأنه سيحصل على البروز عن الآخرين أيضاً وسيكون سِبطَهُ السبط الملوكي والسائد، رُبما المسيح سيأتي من سبطِهِ. "فَضْلُ الرِّفْعَةِ وَفَضْلُ الْعِزِّ" لابُد أن ذلك عنى بأنهُ سيحصل على مرتبة الكهنوت، سيحصل على كُل شيء على الأملاك البروز والكهنوت، ستُدعى الأرض باسمِهِ وتُسمى "رأوبين". كان ذلك مَركِزهُ الفريد وحَق بكوريَتَهِ، لن يستطيع أي شيء أن يُغير من ذلك، لذا اشتدت أكتاف رأوبين وأرتفع رأسهُ.

ولكِنَهُ استبق الأمور لأن والِدَهُ كان مازال يتكلم، وبدأ يتحدث الآن عن شخصية رأوبين الغير مُستقِرة (49:4أ) "فَائِرًا كَالْمَاءِ لاَ تَتَفَضَّلُ". أتت عليهِ كالماء المُثَلَّج وكالصدمة المُشِلة لروحِهِ، غير مُستقِر كالماء! كالماء الذي يُحافِظ على مستواه بغض النظر عن انخفاض ذلك المستوى، كالماء الذي إذا سُكِب على الأرض لا يُمكن جمعَهُ مرة أخرى "لاَ تَتَفَضَّلُ". انفجرت جميع أحلام اليقظة لرأوبين في وجهه، حيثُ لم يَكن هناك أي شيء في شخصيته تجعلهُ قائداً للأسباط؛ فبكُل بساطة لم يمتلك ما يحتاج له الأمر، لقد افتقد للشخصية والشجاعة والإرادة وكُل شيء.

ولم يَتَفوق أبداً فسِبطَهُ لم يَرتَفِع للصدارة في إسرائيل أبداً، ولم يَحكُم أياً من الأسباط ولم يَرتَفِع على أيٍّ من الأسباط إلا بالمعنى السلبي، ولم يكن أيٌّ من القُضاة من سِبط رأوبين. كان سبط رأوبين هو أول من طالب بالإرث وبعواقِب الإهمال اختار بتهور الطرف الخاطئ من الأردُن، لم يستطع رأوبين أن ينتظر للأفضل (عدد 32). بسبب حرمانِهم من الكهنوت كان الرأوبيون مُستعدين لمُساعدة اللاوي الساخِط المُسمى قورح، في مُحاولَتِهِ للحصول على ما قد حُرِمَ منه بمرسومٍ إلاهي. وكان سبط رأوبين هو أوّلُ الذين تم سبيهُم من قِبل تَغْلَثَ فَلاَسِرُ الآشوري (1أخبار 26:5). لم يتفوق الرأوبيون بأي شيء.

ولكن كان الأسواء على وشك الظهور، بينما وقف رأوبين هناك وطموحاتِهِ مُحطمة، سَمِعَ كلمات يعقوب الأخيرة فسقطت عليه كضربة كُرباج لأن يعقوب كان يتكلم الآن عن شغف رأوبين العديم الضمير (49:4ب) "لأَنَّكَ صَعِدْتَ عَلَى مَضْجَعِ أَبِيكَ .حِينَئِذٍ دَنَّسْتَهُ .عَلَى فِرَاشِي صَعِدَ". لقد أخذ الأمر وقتاً طويلاً ولكن لوّحَ الآن ذلك الفأس الخفي فوق رأس رأوبين المُطمئِن كُل تلك السنين التي مضت وسقط بكامِل وزن الغضب الإلهي. لقد اقتُرِفَت الخطيئة منذ أربعين سنة مضت وقد مر وقتٌ كافٍ للتوبة والاعتراف-لقد كان هناك اثنان وعشرون سنة في كنعان وسبع عشرة سنة في مِصر-وقتٌ كافٍ لبُكاء رأوبين بحُزنٍ وعار أمام أبيه. ولكِنَهُ لم يُقَدِم أي شيء إلا تغطية على ما فعلهُ ونظرة عابِرة في عينِهِ في كُلِ مرة نظرَ بها إما إلى بَلهة أو يعقوب. لِذا حَصَدَ رأوبين ما زرع وهنا أمام كُرسي

العدالة ينكشف عن الخطيئة الغير مُعتَرَف بها ويتم التعامُل معها ولا يُترَك لرأوبين مجالاً للتوبة، فنظر قُدُماً إلى المملكة القادمة وآمالهُ بالمجد قد أصبح حُطاماً عند قدميه.

ت. شِمْعُونُ وَلاَوِي (49:5-7)

رأى يعقوب المُسِن الاثنين كواحِد بينما لمحهما واقفين بجانِب فِراشِهِ، فرأى ما *لم* يَجمَعَهُ الله معاً سوف يتمزق إرباً. ترنحَ الأخوان بخوف من نظرَتِهِ، وكان من الواضِح أن البركات لم تَكُن تُمنح للأفعال اللاأخلاقية من قِبَل كُرسي العدالة. ولابُد أنهما افتكرا بماضيهما بينما ظهرَ أمامهما بعدم رغبتِهما كشبحٍ من قبر الذاكرة المَنسية. في ذلك الزمان عندما حدثت الواقِعة كان يعقوب سريعاً في التعبير عن استيائهِ وعَزلِ نَفسِهِ عن فعلَتِهم، ولَكِنَهما لم يعتَرِفا بِفِعلتهما الشنيعة، والآن يجب أن تُراجع تصرفاتهما وتُحاكم.

بينما نظرَ يعقوب إلى الإثنين كواحِد ابتدأ بذكر *قَرَبة أَخويتِهما* (49:5ب) "شِمْعُونُ وَلاَوِي أَخَوَانِ"، حسناً هذا ليس سيئاً جِداً! لقد بدا ذلك كبداية ميمونة. إخوة! فالكلمة تكلمت عن العلاقة واللباقة، فسرق الاخوان خلسةً نظرة عابرة إلى بعضِهما، فرُبما قد نظر الآن البطريرك المُسن إلى مسألة شكيم من خلال الضوء الصحيح. فبالرُغم من كُل شيء لقد كانا يُدافِعان عن شَرَفِهِ في الانتقام لعار إختهما، نعم إخوة وكان ذلك بداية جيدة جِداً.

ثم تسمرا بمكانيهما بعد نفس يعقوب التالي لأنه بدأ يتكلم الآن عن *تصرفهما الإجرامي* (49:5ب-6) "شِمْعُونُ وَلاَوِي... آلاَتُ ظُلْمٍ سُيُوفُهُمَا. فِي مَجْلِسِهِمَا لاَ تَدْخُلُ نَفْسِي .بِمَجْمَعِهِمَا لاَ تَتَّحِدُ كَرَامَتِي .لأَنَّهُمَا فِي غَضَبِهِمَا قَتَلاَ إِنْسَانًا، وَفِي رِضَاهُمَا عَرْقَبَا ثَوْرًا". لم تَكُن خطيئتهما عن ضُعفٍ مثل خطيئة رأوبين؛ لقد كانت عن سبق إصرارٍ وتصميمِ شرٍ. لقد عزل يعقوب نفسهُ عن تلك الفِعلة في ذلك الوقت؛ لم يُرد أن يكون له أي علاقة لتلك الحنكة والقساوة في نهب شكيم. لقد أجبِر في ذلك الوقت على ضبط نفسِهِ من خلال التوبيخ؛ ولكن آن الأوان للقِصاص.

احتد الجوّ وأصبحت غُرفة النوم قاعة محكمة وفِراش موت البطريرك المُسن كُرسي العدالة حقاً. كان الرجُل المُسن الفطن بجميع حواسِهِ المُفعلة والمُنشطة من خلال الروح القُدُس يُقاضي أبناءهُ. فقد كانت المراكِز للمملكة العتيدة تُوَزع والشخصيات والسيَر كانت العامل المُحَّدِد، فقد كان الماضي يُحَدِد المُستقبل. أمور المُستقبل الواسِع المُهمة كانت تُقرر من خلال الأعمال التي أبرِمَت بالتاريخ.

شددت كلمات يعقوب التالية على *اللوم المُستَمر* لشمعون ولاوي (49:7). هل اعتقدا أن كُل شيء سيُمحى وينتَسى من قِبَل أبيهما؟ إن كان ذلك فقد كانا مُخطئين. كونهما جُزءاً من العائلة هذا لا يُبرئهما من مسؤولية تصرفهما، فقال يعقوب "مَلْعُونٌ غَضَبُهُمَا فَإِنَّهُ شَدِيدٌ، وَسَخَطُهُمَا فَإِنَّهُ قَاسٍ .أُقَسِّمُهُمَا فِي يَعْقُوبَ، وَأُفَرِّقُهُمَا فِي إِسْرَائِيلَ"، كان عِندَ يعقوب لعنة *للخطيئة* ولكن *للخاطئ* عِلاجاً. لم يَكُن مركِزهما في المملكة العتيدة مُثبتاً حتى أن المُعافاة خلال عصر المملكة لا يُمكن أن يتأثر أبداً بل بالعكس حيث أن أحد الأخوة، وهو لاوي قد انتفع من القضاء ونهض سِبطَهُ للشُهرة.

كان شمعون هو الوحيد بين الأسباط الذي لم يحصل على إرث في الأرض "وَمِنْ قِسْمِ بَنِي يَهُوذَا كَانَ نَصِيبُ بَنِي شِمْعُونَ .لأَنَّ قِسْمَ بَنِي يَهُوذَا كَانَ كَثِيرًا عَلَيْهِمْ، فَمَلَكَ بَنُو شِمْعُونَ دَاخِلَ نَصِيبِهِمْ" (يشوع 19:9). ومع ذلك بعضٌ من مُدُن شمعون عادت ليهوذا، لأنه قيل إن بير سبع يعود ليهوذا (1ملوك 19:3). السبط بحد ذاتهِ قد تبعثر، فبعضاً من أعضاءِهِ هاجروا إلى غيدور والآخرون جالوا إلى جبل سعير (1أخبار 4:39-43). حُسِبَ الشمعونيون مع شعب أفرايم ومنسى ونفتالي في أيام يوشيا (2أخبار 34:6)، لقد قُسِموا حقاً وتشتتوا في إسرائيل. وفي التعداد الثاني في البرية كان سبط شمعون قد قلَّ إلى الأصغر (عدد 26:14)، وبدون شك أنه بسبب الضِعف اطر شمعون الاعتماد على يهوذا أخيهِ الأقوى ليحصل على شَبَح من الإرث في كنعان. بالحقيقة خَسِر شمعون في المملكة، ولم يُعكَس حُكم يعقوب. عندما بارك موسى الأسباط حَوَّل قضاء يعقوب للأوي لبركة ولكن مرَّ عن شمعون بصمت (تثنية 33).

كان تشتت وانقسام لاوي ذاتهِ ولكن بفرقٍ هامٍ جِداً، لقد اتخذ لاوي مَوقِفاً لله في بعل فغور عندما أخطأ إسرائيل مع بنات موآب (خروج 32). عندما رفع موسى المعايير وقال "مَنْ لِلرَّبِّ فَإِلَيَّ" فكان سبط لاوي من استجاب. اللاويون لم يستَلِموا أيَّ مُلكٍ إقطاعيّ في كنعان؛ بدلاً عن ذلك أخذوا ثمانٍ وأربعين مدينة مُنتشرة على طول المملكة فيما بين الأسباط. وهكذا تقطع أوصال السبط اللاوي بالقضاء ولكن بسبب وقوفِهم الجريء لله في البرية تم إعطاؤهم الكهنوت والخدمة الدينية للشعب. أصبح التشَتُت بحد ذاتِهِ بركة لأنه يُمكن إيجاد الاويين في أنحاء المملكة.

ث. يَهُوذَا (49:8-12)

كان يهوذا يمتلك بعض الأمور المشكوك بها أيضاً ولابُد أنه كان يَشعُر بأعيُن أبيه عليهِ ولديهِ خوفٌ من عِقابٍ مُحتَمَل. ماذا سيقول الآن يعقوب من كُرسي القضاء عن تِلك المرأة الوثنية التي تزوج بها؟ وهل سيقول شيئاً عن تراخيهِ في التربية الذي أدى إلى شر أُونَانَ وعِيرٌ؟ وماذا سيقول عن علاقَتِهِ الرديئة مع ثَامَارُ؟

من المُثير للإهتمام أن يعقوب لم يَذكُر أياً من هذه الأشياء، فمن المُحتَمَل أن يهوذا قد تاب عن هذه الأمور لذا لم تُذكر. لقد أعلن ذلك بالكامِل عندما وضع *نفسه* وليس أولادُهُ كرهنٌ لبنيامين وعندما سكب روحَهُ أمام يوسف، لذا لم يَكُن كُرسي قضاء يعقوب معقوداً ليُشعِل النار بالخطيئة المُعتَرَف بها والمُسامحة.

بنظرتهِ إلى يهوذا رأى يعقوب القائد (49:8) "يَهُوذَا، إِيَّاكَ يَحْمَدُ إِخْوَتُكَ، يَدُكَ عَلَى قَفَا أَعْدَائِكَ، يَسْجُدُ لَكَ بَنُو أَبِيكَ". لقد انتصر يهوذا وأصبح رَجُلاً مُقدساً، ووضِعت عليهِ السيادة فوق ثلاثة مراتِب من الناس-أخوتِهِ وأعدائهِ وأبناء ابيهِ. إن نظرنا إلى ما بعد يهوذا نُفَكر بالحال بالرب يسوع والمراتِب الثلاثة التي ستعترف بسيادَتِهِ-اليهود (أخوتهِ بالجسد) والأمُم (المُعادين لشخصِهِ في نهاية الزمان) والكنيسة (أولاد الآب).

ثم رأى يعقوب *الأسد* (49:9) "يَهُوذَا جَرْوُ أَسَدٍ، مِنْ فَرِيسَةٍ صَعِدْتَ يَا ابْنِي، جَثَا وَرَبَضَ كَأَسَدٍ وَكَلَبْوَةٍ .مَنْ يُنْهِضُهُ؟" سيُصبِح يهوذا السبط الملوكي كما هو الأسد ملك الحيوانات. لن يستطيع أحد أن يعبث مع يهوذا في يوم قوتهِ، كالأسد اليافِع يَرفع رأسهُ الضخم من عن فريسَتِهِ أو الشِبل الذي يتحسس أول تَذَوُق لقوَتِهِ أو الأسد المُسِن الذي يتمدد بسلام في عرينِهِ، يهوذا سيُصبِح ملكاً فالسيادة لهُ من البدء حتى النهاية. بالتأكيد لم يكن يعقوب لديهِ القِدرة على العلم بالاستدلال الطبيعي أن يسوع سيكون الأسد الخارِج من سبط يهوذا، فقد كان روح الله يتكلم من خلال شفتيهِ. السيادة التي طرحها رأوبين من أجل نصف ساعة مُتعة غير مُقدسة قد وضِعت الآن على يهوذا، فسيملُك في المملكة القادمة.

مرة أخرى ينظُر يعقوب إلى يهوذا ويرى *الرب* (49:10) "لاَ يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ" يأتي الاسم شيلون من الأساس العبري شلوم-سلام! يدل الاسم في نبوة يعقوب ليس إلى مكان بل إلى شخص، ويُشير إلى رئيس السلام الحقيقي الذي في يدهِ الإلهية سيوضع الصولجان المُطلق وسيادة الكون، وسوف يأتي من نسل يهوذا. ماذا يُمكن ليهوذا أن يحصل على أكثر من ذلك، حَيثُ بإعطاء يسوع النسل المسيحي أعطى يعقوب يهوذا كُل شيء. كان الرجُل الطبيعي في يعقوب يرغب بشدة أن يضع هذه السيادة على يوسف؛ ولكن الرجُل الروحي وضعها على يهوذا.

ولكنهُ لم ينتهِ من ذلك الابن، بينما مازال البطريرك المُسن ينظر إلى يهوذا رأى *الأرض* (49:11-12)، كما ستكون الأرض عندما يأتي أسد يهوذا ليحكُم، فرأى البركات الألفية تتبع ذلك " رَابِطًا بِالْكَرْمَةِ جَحْشَهُ، وَبِالْجَفْنَةِ ابْنَ أَتَانِهِ، غَسَلَ بِالْخَمْرِ لِبَاسَهُ، وَبِدَمِ الْعِنَبِ ثَوْبَهُ" اللغة الشعرية بأكمَلِها هي عن السلام والوفرة.

لم يَكن يعلم يهوذا عندما وقف أمام ذلك الرجُل العظيم المُخيف في مِصر الذي كان يوسف الغير معروف وترجى من أجل قضية بنيامين، بأن يوماً ما سيكون لهُ ثناءٌ سخيٌ ومُكافأة. لم يُنتسى أي شيءٍ عند كُرسي قضاء يعقوب، كذلك عند كُرسي قضاء المسيح لن يذهب أي مَوقِفٍ أخِذ للمسيح دون مُكافأة في المملكة. كُل ما استطاع يعقوب أن يراه بينما نظر إلى يهوذا هو يسوع، كُل أخطاء يهوذا وسقطاتِهِ قد طُرِحَت في تِلك الرؤية المجيدة للمسيح. هذا ما سيُحسَب عند كُرسي القضاء.

ج. زَبُولُونُ (49:13)

كان زبولون الأصغر بين أبناء ليئة، لا يُقَدِم لنا سفر التكوين الشيء الكثير عنهُ أكثر من الواقع بأنهُ كان أحد الذين باعوا يوسف-ولكن كان ذلك ذنبٌ مُشترك لكُل من ساهم بتلك الأيام السوداء-فوقف زبولون عند نهاية الفراش بجانِب أخيهِ العظيم يهوذا-من المُحتَمَل أنهُ كان صامِتاً بعض الشيء وعادياً ومُتواضِعاً وشخصاً مجهولاً، فلم يكن رجُلاً جريئاً أبداً مثل يهوذا ولا رجُلاً شريراً مثل رأوبين، فماذا سيقول يعقوب لهُ؟

رأت عيون يعقوب النبوية الناظرة للبعيد مُستقبل زبولون ذا *مصالِح ساحلية* "عِنْدَ سَاحِلِ الْبَحْرِ يَسْكُنُ". المُقاطعة التي حُدِدَت لزبولون من المملكة غير معروفة بالتمام، فعلى سبيل المثال نحن نجهل إن كان إخوته قد وصلوا إما إلى بحر الجليل أو المُتَوسِط، ولكن إن لم يصلوا خلال عصر المملكة القديم فلا بُد أنهم سوف يفعلون ذلك خلال عصر المملكة القادمة، لأن يعقوب قد رأى مصالح زبولون الساحلية.

وسيكون له *مصالح تجارية* أيضاً "وَهُوَ عِنْدَ سَاحِلِ السُّفُنِ"، تَتِمة ذلك غامض. فكما نرى حتى الآن من خلال الخرائط لم تصِل هبة أرض زبولون في المملكة إلى المتوسط، من الممكن أنها وصلت إلى بحر الجليل ولكنه حيزٌ صغيرٌ من الماء واقِعٌ في داخل اليابسة وبغض النظر عن أهميتهُ لدى فلسطين إلا أنه لا يَمُس العظمة الممثلة في كلمات يعقوب. حقٌ ضئيلٌ للصيد على طول البُحيرة وحتى الرِبح الناتِج من تقاطُع الطُرق التجارية يبدو وكأنه تتمة ضئيلة لما رآه يعقوب.

يُتابع يعقوب ليصف المصالح الاستعمارية لزبولون "وَجَانِبُهُ عِنْدَ صَيْدُونَ" وهنا أيضاً لا يُوجد إثبات أن حدود زبولون بلغت ذلك البُعد، ولكن النبوءة تُشير إلى تَوَسُع زبولون وتضخُم كبير، مصالِح استعمارية. كانت صيدون أحد أقوى المُدن ذات مصالِح ملاحية تمتد حتى أطراف الأرض، كانت أماً للمدينة القوية صور إحدى أعظم المُدن في العصور القديمة. لابُد أن التتمة النهائية لكلمات يعقوب ستكون في الألفية.

لكن الترجمة *الألفية* لكلمات يعقوب لا تُخفف من معناها، فهناك ترجمة *غامِضة* تحتاج للأخذ بعين الاعتبار. تضمن إرث زبولون الناصِرة وقانا الجليل، ومن يستطيع أن يَفتَكِر بأماكن كهذه دون أن يفتكر بيسوع؟ ألم يُطلق عليه بالكثير من الأحيان "يسوع الناصري"؟ فقد قضى أيام صِباه هناك وكَبُر ليُصبِح رجُلاً كامِلاً وعمل نجاراً. في عصر العهد الجديد من المُحتَمل أن حدود زبولون قد وصلت حتى كفرناحوم على ضفاف الجليل، وحصل زبولون على الفضل بصنع الرب يسوع الكثير من عجائبِهِ العظيمة هناك (متى 4:15-16)، وهكذا حضن زبولون تلك الحركة العظيمة في التاريخ التي أدت في يوم الخمسين إلى انبعاث الكنيسة-الكنيسة التي بعد ذلك بقليل ذهبت لتحتل العالم. لم يُدرك زبولون الضئيلِ الفخر العظيم الذي كان يوضع عليه في ذلك اليوم بينما وقف بصمتٍ أمام كُرسي عدالة يعقوب.

ح. يَسَّاكَرُ (49:14-15)

لقد كان يساكر أحد أبناء ليئة أيضاً وهو الابن الذي ولِد عندما استأجرت ليئة يعقوب من راحيل. من المُحتَمَل أن ظروف ولادَتِهِ قد شكلت شخصية يساكِر لأنه لا يبدو شخصاً فعالاً وعدوانياً ولكنهُ مُستعِداً ان يأخُذ مكاناً متواضِعاً. ولكن عندما نظر يعقوب إلى يساكر تكلم عن *قوَّتِهِ* (49:14) فقال "يَسَّاكَرُ، حِمَارٌ جَسِيمٌ". لقد كان وصفاً للشخصية الذي سيخجل الأغلبية منه ولكن ذات الأغلبية ستكون مُجبرة على افتراض ذات الشيء. لم يَكُن من الإطراء أن تُشَبَه لحيوانٍ قوي ولكن أحمق بذات الآن، كم كان من الأفضل أن يكون أسداً كيهوذا أو إيلاً كنفتالي أو ذئباً كبنيامين أو حتى ثعبان كدان! فصورة الحمار هي صورة الغباء والعدم القدرة على استيعاب الأمور الأسمى ولكنها بذات الآن صورة للقوة والفائدة.

لقد ذكر يعقوب قوة يساكر، فقد كان رجُلاً قوياً-ليس قوياً بمعنى القيادة المُتفجرة ولكن بمعنى الاعتماد. فلم يكُن رجُلاً من السهل تحريكَهُ ولكنك تعلم أين تقف عندما تكون بجانِبِهِ لقد كان مُثابراً ولكن ثابت.

ثم تكلم يعقوب عن *الإشباع للرغبة* (49:15أ) "فَرَأَى الْمَحَلَّ أَنَّهُ حَسَنٌ، وَالأَرْضَ أَنَّهَا نَزِهَةٌ"، فيساكر يُفضِل راحة البيت عن المجد. لقد وَرِث جِزءاً خصباً جداً من الأرض في المملكة؛ وكانت تقع في الشمال مُحاذية لنهر الأردن وهي مُقاطعة مرغوبة من قِبل المُداهمين. كان يساكر مستعداً أن يتنازل عن الكرامة والحُرية طالما استطاع أن يتابع في زراعة حقولَهُ ويشعر بالارتياح. عندما لخص سفر القضاة الإنجازات الضئيلة للأسباط في السيطرة على ممتلكاتِهم في كنعان، لم يُذكر يساكر حتى (قضاة1). لقد كان السبط فاشِلاً عسكرياً حتى أنه لم يستحق موضعاً بين الذين بذلوا بعضًا من الجُهد في السيطرة على ممتلكاتِهم.

ولكن يعقوب رأى أكثر من ذلك، فالتراخي والمزاج السهل ليساكر أشار إلى *عبودِيَّتَهُ* (49:15ب) "فَأَحْنَى كَتِفَهُ لِلْحِمْلِ وَصَارَ لِلْجِزْيَةِ عَبْدًا"، لم يكن هناك أي لوم، فقط قلة الإنجاز. ولكن هنا أيضاً سيقدم كرسي القضاء نتائج مُفيدة للسنين القادمة في المملكة، فيساكر كان له وزناً رغم كُل شيء.

عندما خيَّمَ الأسباط أو كانوا بالمسير، كان يساكر بجانِب زبولون ويهوذا في مُقَدِمَة الجميع (عدد10:15)، لقد كان الهدف من جَمعهِ مع أعضاء المملكة الأقوياء هو إلهام يساكر الرخو، وهذا ما حصل تماماً. في أيام القُضاة تقدم يساكر ليُحارب مع بَارَاقَ وحتى أنه سار في الطليعة ليتحمل عبء المعركة (قضاة 5:15)، فدبورة التي يعني اسمها "نحلة" لسعت أخيراً يساكر الكسول إلى الحركة. لاحقاً وهب يساكر أربع ملوك للمملكة الشمالية، ولكن أفضل شيء كان في أيام داوود حيث رجال يساكر كانوا رجالاً مدركين الأزمنة، رجالاً مدركين ماذا يجب أن تفعل إسرائيل، فقادوا ترحيب داوود إلى المُلك (1أخبار 12:32-38:40).

خ. دَانُ (49:16-18)

كان دان هو أول من وِلد لراحيل عن طريق النيابة، فقد كان ابن بلهة الجارية. لا يُقال شيء عن دان في سفر التكوين أكثر من الواقع أن يوسف قدم ليعقوب تقريراً رديئاً عن الفتى وأخوتِهِ الثلاثة المُقربين له. ولكن كان ذلك منذ سنوات مضت، هل سيذكر ذلك يعقوب الآن؟ ماذا سيقول لدان، لرجُلٍ شعر بدونيَتَهُ الشديدة كونهُ ابنٌ لجارية؟ ماذا سيقول يعقوب لهُ؟

الشيء الأول الذي رآه يعقوب عندما نظر إلى دان هو *المكانة* (49:16) "دَانُ، يَدِينُ شَعْبَهُ كَأَحَدِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ". نستطيع أن نرى دان يقف فجأة ويشُد أكتافه، فذلك أفضل من أن يُدعى حماراً مثل يساكر. ورؤية يعقوب النبوية كانت دقيقة، فمن دان خرج أعظم القُضاة-شمشون العظيم الذي أصبح أسطورة في تلك الأرض بسبب قوتِهِ.

ولكن كان هناك أكثر من ذلك؛ فلم ينتهي يعقوب من دان بعد، فقد كان يستطيع أن يرى شوائب خطيرة في حكم دان. الشيء التالي الذي رآه النبي المُسن عندما نظر إلى دان هو السُم (49:17) "يَكُونُ دَانُ حَيَّةً عَلَى الطَّرِيقِ، أُفْعُوانًا عَلَى السَّبِيلِ، يَلْسَعُ عَقِبَيِ الْفَرَسِ فَيَسْقُطُ رَاكِبُهُ إِلَى الْوَرَاءِ". كان إرث دان غنياً من الناحية الإقليمية، فقد حُددت مع المتوسط وضمنت مرفأ يافا العظيم. لقد كانت مُقاطعة قبلية وكانت على الحدود مع بلاد فلسطين، وكانت مُهددة بشكل دائم من قِبل هؤلاء الجيران المُحاربين.

هاجر الدانيون شمالاً بسبب عدم رضاهم بالقسمة، فاستقروا بمكرٍ كالحية في مدينة لايش وأسسوا أنفسهُم في أقصى شمال إسرائيل. ولكن كان عليهم أن يواجهوا هناك ضغطاً مُستمراً من القِوى الشمالية المُعادية مثل سوريا. وكان دان هو أول من أدخل العبادة الوثنية لإسرائيل كسياسة دين للقبلية (قضاة 18:30-31)، وكان في دان حيث أسس يربُعام أحد كهوفهُ الذهبية (1ملوك 2:12030). يعتقد العديد أن المسيح الكذاب سيخرُج من سبط دان، لقد كان هناك سُمٌ في كأس دان.

ولكن كان يعقوب يستطيع أن يرى شيئاً آخر، شيئاً أفضل ويستحق الذكر من كُرسي القضاء، أستطاع أن يرى العفو (49:18) فصرح قائلاً "لِخَلاَصِكَ انْتَظَرْتُ يَا رَبُّ". لأنه نظر فجأةً إلى عصور المستقبل، بعد أن أخذ بالأحداث التي طُرحت في فِكرِهِ من قِبل دان، فرأى البطريرك المُسن بعيداً وأبعد من دان وتعدياتِهِ. رأى الرب، يهوه حافِظ العهد آتياً بالخلاص لأبناءِهِ-حتى لدان وطُرُقِهِ الشبيهة بالحية. لقد كان هناك نعمة حتى في خُضم القضاء، وهناك عند كرسي قضاء المسيح أيضاً ستنتصر النعمة لأنه لا يوجد شيء يستطيع أن يسلُب شعب الله خلاصهم. ومن الجدير بالمُلاحظة أيضاً أن الإشارة هنا-"لِخَلاَصِكَ انْتَظَرْتُ يَا رَبُّ"-هي أول إشارة للخلاص في الكتاب المُقَدَس، وتَحدُث بصِلة مع دان!

د. جَادُ (49:19)

جاد هو أو أبن ولد لجارية ليئة، ولا نعلم عنه أكثر مما نعلم عن دان. وقد ذُكِر هو أيضاً في التقرير السيء الذي قدمهُ يوسف للأب ومن ضمنهم أيضاً أشير ونفتالي. بينما نظر يعقوب إلى جاد رآه بضوئيين، فرآه *كمهزوم* فقال "جَادُ، يَزْحَمُهُ جَيْشٌ". ولكنه رآه *كمُنتصِر* أيضاً "وَلكِنَّهُ يَزْحَمُ مُؤَخَّرَهُ".

اختار جاد إرثَهُ في الجانِب البعيد للأردُن وكانت مُقاطعتَهُ تحت هجومٍ مُستَمِر من القبائل البدوية المُحاربة التي أنقضت على حقولِهِ من الصحراء. فجميع الأسباط التي استقرت في الشرق كانت مُعرضة للهجوم وبالواقع كانت هي أول من سبُيَّ عندما أتت جحافِل الآشوريين على الضفاف.

لم يكن سبط جاد دون مَشَاهير، فيفتاح وَبَرْزَلاَّيَ المحبوب وإيليا-ذلك الأمير بين الأنبياء-كانوا جميعهم من سبط جاد. كان جاد يستحمل الضرب من العدوّ ويعود منتصِراً، كان قد عُرِف بتلك السِمة عند كُرسي قضاء يعقوب. لقد كان غالِباً-وهو الشيء الرائع امتلاكهُ عندما يأتي يوم الفِعل.

ذ. أَشِيرُ (49:20)

كان أشير ابنٌ آخر للجارية ومثل الآخرين كان قليل الذِكر، هؤلاء الأبناء ليعقوب الغير مميزين مثلوا الجموع وشعب الأيمان، الجمهور العظيم الذي ملأ صفوف المُخلصين. لقد كان الجميع حاضرين عند كُرسي قضاء يعقوب؛ كان على الجميع أن يظهر، لم يكُن هناك فرق فالمُراجعة لم تكن للمميزين فقط إن كان بالخطيئة أو القداسة؛ بل كانت للجميع. رأى يعقوب شيئين أيضا بينما نظر إلى أشير، رأى *مُكافأة الحياة النمطية* فقال "أَشِيرُ، خُبْزُهُ سَمِينٌ". ورأى أيضاً غنى الحياة الملوكية-"وَهُوَ يُعْطِي لَذَّاتِ مُلُوكٍ". لابُد أن وجهَ أشير أشرق بسبب ذلك الثناء والمكافئة والشرف الموعود في المملكة القادِمة.

كان إرث أشير من كنعان ذلك الشريط الإقطاعي الرائع الممدود عند قدم الكرمل في أعلى ساحِل المتوسط بعد صور. لم يكن أشير ذا قوة كافية أبداً ليتخلص من فينيقيي صور، ولكن حتى نبوخذنصر وألكساندر الأكبر وجدوا صعوبة في إخضاع صور. ولكن بالطبع الإله الذي هزم الجيش المِصري عند البحر الأحمر كان يستطيع أن يقتَلِع صور من جذورها لأجل أشير، ولكن دامت صور مركزاً حقيقياً للشيطان في كنعان خلال سني يشوع والقضاة وخلال حُكم داوود وسُليمان وملوك الشمال.

كان أشير ل "يَغمِس قدَمَهُ بالزيت"، المُعلقون مأخوذون بغِنى بساتين الزيتون في إنتاج الزيت التي ازدهرت بِكَثرة في مُقاطعة أشير. ولكن هناك شيءٌ أكثر من ذلك، فمرفأ حيفا العصري العظيم يقع اليوم في مُقاطعة أشير، وهناك في حيفا تنتهي خطوط النفط الضخمة للحقول الإيرانية العظيمة، وبذلك يغمِس أشير قدمهُ بالزيت اليوم بشكلٍ حرفي.

ر. نَفْتَالِي (21:49)

يبقى ابن الجارية نفتالي، فيضع يعقوب أولاً أصبعهُ على جموح *ابنه الطبيعي* فيقول: "نَفْتَالِي، أَيِّلَةٌ مُسَيَّبَةٌ". أيلة هي أنثى الغزال وهي مخلوقٌ جبانٌ وسريعٌ ورشيقٌ تعيش في البرية والغابات. في تلك الأيام القديمة وقبل أن يُعاد تشكيلهُ من قِبل يوسف، يبدو أن نفتالي كان شاباً يافِعاً وجامِحاً وصعب المِراس ومن الصعب ترويضَهُ، مُشَرَبٌ بشغف للحرية وعدم القيد. وذلك الحُب للحُرية سيتحول الآن لصالِحِهِ، لأن ذلك الحب هو سمة لهُ لميل للتطور للأحسن او للأسواء. وعند كُرسي القضاء سينظُر الرب إلى ما صنعناه بالسمات الطبيعية، هل طورناهم بكُل بساطة بحسب النمط الطبيعي الغير محكوم؟ أم أتينا بهم عند المذبح وسمحنا بوضعِهم تحت الموت في موت المسيح وقيامته بقوة الروح للوصول لغايات جديدة ونبيلة؟

رأى يعقوب أيضاً في نفتالي *حِكمَتُهُ الملحوظة* فقال "نَفْتَالِي، يُعْطِي أَقْوَالاً حَسَنَةً"، هذا يعني أنه كان رجُلاً بليغاً ومملكة الله تستطيع دائماً أن تستخدم أشخاصاً مثلهُ. كان الإيحاء مبنياً على الوقع بأنه عندما عاد الإخوة من مِصر بالأخبار أن يوسف حيٌ، كان نفتلي من ركض وسبق الجميع ليُخبر أباه أن بنيامين بصحة حسنة وليس ذلك فقط بل وعن حقيقة أن يوسف حي. ربما أحيت رؤية نفتالي تلك الذِكرة عند يعقوب، كان الإيل الحُر من قدم كلمات إلهية، فأصبحت سُرعة قدميّ نفتالي وبلاغة لسانِهِ ما رفعه أمام كُرسي عدالة يعقوب للثناء. ليتنا جميعاً نجد خطواتنا وكَلِماتنا تُرفع أمام الجميع بالمديح الحار عند كُرسي عدالة المسيح.

ز. يُوسُفُ (26-22:49)

ثم سقطت عين يعقوب على يوسف وأصبح لبلاغتهُ الشخصية أجنحة، فقد كان لديه الكثير ليقولهُ لذلك الرجُل القديس البارز لأن القداسة هي التي ستُحسب أكثر من كُل شيء عند كُرسيّ العدالة القادِم. الشجاعة والقوة والحِكمة لها جميعها مُكافآتها ولكن سيكون شَبهُنا بالمسيح ما سيجعل خزائن السماء تقرع.

مع وجود الكثير ليقولَهُ ليوسف ركز يعقوب أفكارهُ على أربع نُقاط. أولاً أطرى على *إثمارِهِ* (22:49) "يُوسُفُ، غُصْنُ شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ، غُصْنُ شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ عَلَى عَيْنٍ .أَغْصَانٌ قَدِ ارْتَفَعَتْ فَوْقَ حَائِطٍ". لقد أعطى يعقوب للتو ليوسف ضِعف الحِصة في إسرائيل بإضافة أفرايم ومنسى للأسباط وقد رأى الآن كم ستكون مُثمِرةً تلك الإضافة. نجد بعد التعداد الثاني في البرية أن السبطيَّن معاً كانا أكثر من أي آخر بالتعداد وهكذا أصبح يوسف غصناً مُثمِراً.

ثم ذكر يعقوب *أعداءَ يوسف* (23:49) "فَمَرَّرَتْهُ وَرَمَتْهُ وَاضْطَهَدَتْهُ أَرْبَابُ السِّهَامِ". لقد كان عِداء أخوة يوسف بسيطاً ومُجرد رمز مُقارنةً بالعِداء الذي سيواجِهَهُ أفرايم ومنسى في العالم. لقد كان أفرايم من قدم للأسباط يشوعهم القائد العسكري العظيم الذي صارع جمهوراً من الأعداء لينتزع كنعان منهم، وهكذا أصبح يوسف من غلب الأعداء.

ثم استعرض يعقوب إيمان يوسف (24:49) "وَلكِنْ ثَبَتَتْ بِمَتَانَةٍ قَوْسُهُ، وَتَشَدَّدَتْ سَوَاعِدُ يَدَيْهِ .مِنْ يَدَيْ عَزِيزِ يَعْقُوبَ، مِنْ هُنَاكَ، مِنَ الرَّاعِي صَخْرِ إِسْرَائِيلَ". استطاع يوسف الانتصار على المحَن والتجارِب من خلال إيمانهِ الحيوي وأصبح قوياً لدرجة أنه لا يوجد من يُساويه بين الرجال في جميع مصر. لقد كان الأيمان ما أوصلَهُ إلى هنا وتلك الحقيقة الشخصية أعطت إشراقاً للحقيقة النبوية، فاستطاع يعقوب أن يرى في يوسف نموذجاً من المسيا الموعود. سيكون كلا *الراعي* (يتعلق بمجيئهِ الأول) *والحجر* (يتعلق بمجيئهِ الثاني). اختلس يعقوب المُحتَضِر نظرة هافِة لحقيقة المجيئين للمسيح وكأنهما منقوشان في التاريخ الشخصي لابنهِ المحبوب.

تبدوا أن الكلمات تخون يعقوب في التعبير عن جميع البركات التي يراها في يوسف، فتبدوا كلمة "بركة" قد أتت على شفتيهِ ومكثت هناك-بركة تِلوى الأخرى انسكبت من فمِهِ بينما نظر إلى يوسف ووصف *مِلئَهُ* (26-25:49). باركهُ ببركة السماء من فوق والعُمق مما من تحت؛ باركهُ بالاكتفاء والأمان والسيادة فقال "بَرَكَاتُ أَبِيكَ فَاقَتْ عَلَى بَرَكَاتِ أَبَوَيّ". لقد بُورِكت فوق إبراهيم وإسحاق؛ وستُبارك أنت فوقي! قال "بركات" بينما كان يستعد لعملهِ "إِلَى مُنْيَةِ الآكَامِ الدَّهْرِيَّةِ تَكُونُ عَلَى رَأْسِ يُوسُفَ، وَعَلَى قِمَّةِ نَذِيرِ إِخْوَتِهِ."

لقد وثبت كلمات يعقوب أبعد من مُجرد بركات قبلية إلى بركات شامِلة، فكان ذلك مكافأة يوسف عند كرسي قضاء يعقوب-بركة وصلت لأبعد من جميع عصور الممالك إلى أبعد حدود الأبدية. لقد كان شبه المسيح في يوسف فقط ما فتح ذلك الطوفان من البركات.

س. بَنْيَامِينُ (27:49)

ولد بنيامين ليعقوب في عمرِ المُسن، وقد ولد في ذات الساعة التي توفيت فيها راحيل وهو ابن يَدِهِ اليمنى. بينما نظر إلى بنيامين، ركز على *شخصيَتِهِ* "بَنْيَامِينُ ذِئْبٌ يَفْتَرِسُ". فالذئب هو أكبر فرد من عائلة الكلاب وفي بعض الأحيان يزن بقدر الخمسين كيلو وهو مُفتَرِس قوي. فقد رأى يعقوب بنيامين بتلك الشخصية وسيُصبح بنيامين سبطاً مُحارِباً.

المُقاطعة التي حُدِدَت لبنيامين كانت صغيرة (حوالي الستمائة وخمسون كيلو متراً مُربعاً فقط) ولكنها كانت وعرة ووضِعت في أكثر الأماكن استراتيجياً للدفاع عن جميع البلاد. لقد كانت مُستعمراتُه تحت هُجومٍ دائم من قِبل القِوى الغازية، ولكن كان لبنيامين الشخصية لذلك الأمر. لكانٍ من الخطأ أن يُعطى يساكِر ما لبنيامين-الذئب وليس الحمار كان عليه أن يُمسك بقطعة الأرض التي ستحتوي لاحِقاً أورشليم عاصِمةً لإسرائيل.

بينما تابع يعقوب النظر إلى بنيامين رأى فتوحاتِهِ "فِي الصَّبَاحِ يَأْكُلُ غَنِيمَةً، وَعِنْدَ الْمَسَاءِ يُقَسِّمُ نَهْبًا" هناك بنياميتان لامِعَان في الكتاب المُقَدَّس-كلاهما شاول، الأول في العهد القديم والآخر في العهد الجديد. في الصباح وثب شاول ابن قيس على العرش ليُصبِح أول ملك لإسرائيل؛ وفي المساء استولى شاول الطرسوسي على مقاليد الكنيسة وأصبح أعظم رسول بين الرُسل، برسالة طرقت على أبواب روما ذاتها.

والآن وقد وقف جميع الأبناء أمام يعقوب بينما فتحَ الكُتُب وسرد الحِسابات، وكان القضاء صارِمً ولكن بعدالة وفوق كُل شيء كانت *خاصة*-لقد عُزل العالم عن غُرفة النوم تلك. لقد كانت *حادة* أيضاً، فقد استولى يعقوب على ميول السمة البارزة في كُل ابن؛ فقد وزن أهم النقاط بتاريخ كُل ابن ورأى الشخص بمُجمَلِهِ وسِبطِهِ كَكُل وقِمَم جبال الزمن ذاتَهُ الغير مولود بعد. لقد كان اختِبار كُرسي العدالة مؤلماً للبعض وممتِعاً للآخرين ولكن الحُكم كان دائماً *كاملاً* لكُل قضية. لم يَرتَفِع أي صوت باعتِراض لأن كُل شخص كان يعلم بأنهُ قد تم التعامُل معه بعدالة وأن القاضي كان بلا تَحَيُّز. بينما خرج الرجال من الغُرفة ليواجهوا مستقبلهم المُختَص بكُل واحِدٍ منهم في المملكة القادِمة، لا يسعهم إلا وأن يروا بأنهم قد حصَّدوا ما قد زرعوا.

ب. جناز يعقوب (49:28-50:21)

كما أخذ الله موسى إلى قُمةْ فِسْجَةِ ليُريهِ أرض الموعد قبل موتَهُ، هكذا أخذ يعقوب إلى قُمة روحية شامِخة قُبيلَ موتِهِ ليُرِيهِ تاريخ أبنائِهِ المُستَقبلي ومصير الأمة التي ستخرُج من مِصر. يَسرُد روَح الله الآن جناز يعقوب بعد أن أرَخَى عِلمَ يعقوب المُسبق.

1. التعهُد (49:28-33)

أصبح يعقوب مستعِداً للموت الأن بعد أن انتهى من مُراجَعِة عائلته، إلا أن قبل عبورهُ الأردن كان لدى يعقوب ثلاث أمور أخيرة ليُحقِقها. فلدينا *كلماتُه الأخيرة*، فأضاف موسى: "جَمِيعُ هؤُلاَءِ هُمْ أَسْبَاطُ إِسْرَائِيلَ الاثْنَا عَشَرَ .وَهذَا مَا كَلَّمَهُمْ بِهِ أَبُوهُمْ وَبَارَكَهُمْ .كُلُّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ بَرَكَتِهِ بَارَكَهُمْ." الفِكرة هي أنه عندما كان يُبارك أبناءَهُ كان يُبارك الأسباط التي ستخرُج منهُم، فلم يكُن عند يعقوب أي شك بأن الوعد المُعطى لإبراهيم والمؤكد لإسحاق كان يتحقق الآن بأبنائهِ. فبالفِعل فِي جَاسَانَ كانت العائلة قد "كَثُرُوا جِدًّا" (47:27)، وهكذا وبطريقة نبوية من خلال كلماتِهِ الأخيرة ذكر يعقوب للمرة الأولى في الكتاب المُقَدَّس "أَسْبَاطُ إِسْرَائِيلَ الاثْنَا عَشَرَ".

ثم أعلنَ *وصيَتَهُ الأخيرة* (49:29-32) فقال "أَنَا أَنْضَمُّ إِلَى قَوْمِي .اِدْفِنُونِي عِنْدَ آبَائِي فِي الْمَغَارَةِ الَّتِي فِي حَقْلِ عِفْرُونَ الْحِثِّيِّ." لم يُرد يعقوب أن يُدفن في مِصر، فقلبُهُ كان في كنعان وهناك أراد أن يَرقُد. فقد وعدَهُ الله بكنعان وأراد أن يكون بكنعان ميتاً أو حياً عندما يَفي الله بوعدِهِ. رُبما توقع شيئاً أكثر لأن يعقوب كان نبياً في ساعاتِهِ الأخيرة، فالمسيا سيأتي إلى كنعان وربما أراد أن يكون هناك عندما يأتي المسيح، فمن يعلم ما هي العجائب التي سيصنعها المسيا![4]

وكان هناك شيئ آخر يُريد يعقوب أن يقولَهُ في وصيتِهِ، فأفكارَهُ كانت مُمركزة الآن على تلك المغارة التي في حقل الْمَكْفِيلَةِ. فجُثمان إبراهيم كان هناك وسارا أيضاً وجُثمان إسحاق كان هناك ورفقة أيضاً. وقد دُفِنت ليئة والآخرون هناك أيضاً-فقد كان الإيحاء الأول لنا عن موتِها. لقد أراد يعقوب لجُثمانِهِ أن توضع بسلامٍ مع الآخرين، فيكونوا أول من يراه عند فجر القيامة.

4. يُسَجِل متى 27 حَدَثٍ هامٍ جداً وقع في زمن موت المسيح وقيامَتِهِ "وَالْقُبُورُ تَفَتَّحَتْ، وَقَامَ كَثِيرٌ مِنْ أَجْسَادِ الْقِدِّيسِينَ الرَّاقِدِينَ وَخَرَجُوا مِنَ الْقُبُورِ بَعْدَ قِيَامَتِهِ، وَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ، وَظَهَرُوا لِكَثِيرِينَ." هل كان ذلك السبب لرغبة البطريركية أن يُدفنوا في كنعان؟ هل من المُمكن أنَّ يعقوب كان لديهِ مَعرِفة ما لذلك، وأراد أن يكون حيثُ سيكون الحدث؟ هل كان لديهِ أملٌ أن يكون جزءاً من تلك الموجة العجيبة والغامِضة وأن يُختطف من القبر إلى الوليمة العظيمة المُقامة للثمار الأولى لضُحى قيامة المسيح؟ لا نعلم ولكن الاحتِمال موجود.

لقد بقيَ شيءٌ واحد فقط، فبعد أن قدم يعقوب كلمتهُ ووصيتهُ الأخيرة، قدم شهادَتَهُ الأخيرة (33:49) "وَلَمَّا فَرَغَ يَعْقُوبُ مِنْ تَوْصِيَةِ بَنِيهِ ضَمَّ رِجْلَيْهِ إِلَى السَّرِيرِ، وَأَسْلَمَ الرُّوحَ وَانْضَمَّ إِلَى قَوْمِهِ". لقد أمر لجُثمانِهِ أن يُدفن مع أحبائِهِ والآن أنتقل هو بذاتِهِ ليكون معهم، فاستجمع ما تبقى له من قوة وضَمَّ رحليهِ إلى السرير ووضع عصاه وأبتسم إلى وجه الله ومات.

هناك رقد على السرير المُذَهَب في تلك الغُرفة الرائعة في أرض مِصر، والجُدران المرسوم عليها حدقت بصمت إلى الأسفل، وصدى صوت الرَجُل المُسن خفت واختفى وأصبح كُل شيءٍ صامتاً. فنظرت العائلة الحزينة إلى جُثمان أحد أعظم رجال الله البارزين، هناك رقدَ الجُثمان وأخذ بالتصَلُب في الموت-ذلك المُسِن وتلك الهيئة المسفوعة وقد انتهت نضالاتِها وربِحَت حروبها. لقد أصبح الآن مع إبراهيم وإسحاق ومع أُمِهِ رفقة وجدتِهِ سارا لقد أصبح مع لِيئة، ويا لها من بركة-لقد أصبح مع راحيل أيضاً، لقد أصبح في الوطن مع الله.

2. الإعداد (50:1-3)

لقد هُيأت الإعدادات لتحنيط جسد يعقوب فيوسف قد اهتم بذلك "فَوَقَعَ يُوسُفُ عَلَى وَجْهِ أَبِيهِ وَبَكَى عَلَيْهِ وَقَبَّلَهُ. وَأَمَرَ يُوسُفُ عَبِيدَهُ الأَطِبَّاءَ أَنْ يُحَنِّطُوا أَبَاهُ .فَحَنَّطَ الأَطِبَّاءُ إِسْرَائِيلَ".[5]

لم يَكُن يعلم يعقوب عندما كان يتشاحن مع لابان في تلك الأيام الماضية بأنهُ سيُنهي أيامَهُ بإعطائِهِ جُنازاً رأسياً في مِصر. لقد أثر موت يعقوب بيوسف كثيراً ومن خلال يوسف كان التأثير على مِصر بأكمَلِها حتى أن الأرض بأسرِها كانت في حالة حِداد، ويُقَدِم لنا ذلك فكرة عن عَظَمِة قوة يوسف وسُلطَتِهِ في مِصر.

3. الإذن (50:4-6)

"وَبَعْدَ مَا مَضَتْ أَيَّامُ بُكَائِهِ كَلَّمَ يُوسُفُ بَيْتَ فِرْعَوْنَ قَائِلاً: إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عُيُونِكُمْ، فَتَكَلَّمُوا فِي مَسَامِعِ فِرْعَوْنَ قَائِلِينَ: أَبِي اسْتَحْلَفَنِي قَائِلاً: هَا أَنَا أَمُوتُ. فِي قَبْرِيَ الَّذِي حَفَرْتُ لِنَفْسِي فِي أَرْضِ كَنْعَانَ هُنَاكَ تَدْفِنُنِي، فَالآنَ أَصْعَدُ لأَدْفِنَ أَبِي وَأَرْجِعُ. فَقَالَ فِرْعَوْنُ: اصْعَدْ وَادْفِنْ أَبَاكَ كَمَا اسْتَحْلَفَكَ"

لقد كان يوسف دبلوماسياً بالفطرة، فقد عَلِم بأنه شخصٌ لا يُستغنى عنهُ من قِبل فرعون حتى بعد زوال سنيّ الجوع وبعد أن ولَّت وأصبحت أمراً في الماضي. لو مضى هو وجميع أقربائِهِ إلى كنعان لقلق المصريون واتخذوا احتياطاتٍ تقييدية، لذلك احاج إذناً للمُغادرة. هل يتقرب من فرعون بذاتِهِ؟ لقد كان يوسف مُلِماً بالحُكِم المُستَبِد بشكلٍ كافٍ ليعلم ألا يُخاطِر بذلك. لذلك حثَ أصدقاءَهُ أن يتخِذوا الخطوة الأولى له مع وعدٍ بعودَتِهِ، وكان ذلك كافٍ لفرعون. لم يَكُن هناك إنسانٌ في مِصر لا عالي ولا دني لم يعلم ثمن كلمة يوسف؛ لقد ساوت الملايين، يا لها من شهادة امتلكها يوسف.

4. الموكِب (50:7-14)

لا يوجد مكانٌ آخر في الكتاب المُقَدس يُقَدِم لنا تفصيلاً كامِلاً للدفن، لقد دُفِنَ يعقوب بتَكريمٍ عسكريٍ كامِلٍ كما وكأنهُ كان رئيساً ورئيس الأركان للقوات المُسلحة المصرية بدلاً من راعٍ رحالٍ قد جال في الأرض مُعظم حياتِهِ. لقد كان هناك حاشية نوحٍ ومُرافقة عسكرية، وكان يوسف هناك وإخوتُه وجميع أفراد عائلتِهِم كانوا هناك-الجميع عدا الأطفال الذين قد تُرِكوا خلفهم إما لإظهارِ حِسن النية أو لأن وجودَهم سيُشكِل عائقاً. ذهب شيوخ البِلاط معهم ليمَثِلوا فِرعون في الجُناز، وكان هناك عربات المؤن والخدم وحرسٍ كافٍ لإحباط أي هجوم.

لقد كان المسار شبيهاً بذلك الذي أُتُخذ لاحِقاً في الخروج، تَبِعَ الموكِب حدود خط البحر الأحمر واجتازوا عِبر شبه جزيرة سيناء ووصلوا إلى الضِفاف الجنوبية للبحر الميت. ثم تَبِعَ الموكب ساحِل البحر الميت من جِهة الضِفة الشرقية ثُم صعوداً على ضِفاف نهر الأردن إلى "بَيْدَرِ أَطَادَ" وهناك خيَّمَ الحشد العظيم لمُدة سبعة أيام وصُنِعت هناك مناحة شعائرية ليعقوب.

ذُهِل السُكان المحليون "فَلَمَّا رَأَى أَهْلُ الْبِلاَدِ الْكَنْعَانِيُّونَ الْمَنَاحَةَ فِي بَيْدَرِ أَطَادَ قَالُوا: هذِهِ مَنَاحَةٌ ثَقِيلَةٌ لِلْمِصْرِيِّينَ" ثُم أضاف موسى مُلاحظة: "لِذلِكَ دُعِيَ اسْمُهُ آبَلَ مِصْرَايِمَ. ("بيدر المصريين")، بتلاعُب على كلمة "نواح". لقد كان المصريون شعباً مُعَبِراً جِداً عن عواطِفِهِ وشديدين جِداً في رثائهم العلني للميت، فيمزقون ثيابهم ويضربون على صدورِهم ويقذفون الطين والتُراب على رؤوسهم ويدعون الميت باسمهِ ويرتلون ألحان الجناز الحزينة على أصوات الدُف. استنتج السُكان المحليّون أن ذلك جنازٌ لمسؤولٍ مصريٍ

5. كانت دفن الموتى تِجارة كبيرة في مِصر، التحنيط وصِنع التوابيت والرسم وصِنع أثاث الدفن وجميع الطقوس الدينية المُرافقة أبقت جميع النقابات مشغولة جِداً. أخذت عملية تحنيط الجُثمان قُرابة الشهرين، أولاً يُسحَب الدِماغ من الجُمجُمة من الأنف، ثم من خلال شقٍ من الخاصِرة يتم استخراج الأعضاء الحيوية، ثُم يتم تنظيف الجُثمان بخمر النخيل ويُنقى بمسحوقٍ عطرٍ. يملئ الجُثمان الفارغ بالتوابِل والعطور-مُرّ نقي وقرفة-وأشياء مُشابِهَ، ثُم يُنقَع بالنيترون لأسابيع حتى النهاية. بعد الفترة المُناسبة للإشباع، يُغسل الجُثمان ويُقَمَط بشرائط من القِماش الرقيق، مدهون بالمِسك الذي استخدَمَهُ المِصريون كصِمغ. بعد الانتهاء من التحنيط يوضع الجُثمان في صندوقٍ خشبي مُشَكَل على شكل جسم إنسان ويؤخذ إلى الضريح.

عريق، ولم يستطيعوا أن يفهموا لما أحتاج أن يتم الأمر بعيداً جِداً عن مِصر.

لقد انتهت احتِفالات الدفن فحمل يوسف وإخوتُه مومياء يعقوب عبر الأردن وإلى الكهف الواقع في حقل الْمَكْفِيلَةِ بحسب أمر أبيهم. ثم التحقوا بالمُرافقة المنتظرة وعادوا إلى مِصر كما وعدوا.

5. العفو (50:15-21)

هناك حادِثة أخير يَتم ذِكرُها ذات علاقة بموت يعقوب، وهي إضافة حزينة لأنها تُظِهر كم كان خطأ الإخوة في الحُكم على يوسف رهيباً "وَلَمَّا رَأَى إِخْوَةُ يُوسُفَ أَنَّ أَبَاهُمْ قَدْ مَاتَ، قَالُوا: لَعَلَّ يُوسُفَ يَضْطَهِدُنَا وَيَرُدُّ عَلَيْنَا جَمِيعَ الشَّرِّ الَّذِي صَنَعْنَا بِهِ" (50:15). يا لها من إهانة لشخصية يوسف بعد ما أظهر لهم كُل ذلك المعروف، ولابُد أن شكوكهم كانت سهماً في نفسِهِ. ومع ذلك كم من المرات نُخطئ في الحُكم على ربنا المجيد بذات الطريقة، يا للحُزن الذي يجلبُهُ عدَمُ إيمانِنا لربنا يسوع المسيح.

إلا أن الله ألغى تِلك الحادِثة المُحزِنة لأن الأخوة في ذلك الوقت قدموا لأول مرة اعتِرافاً صريحاً وكُلياً لخطيئتهم. لقد ذكروا خطيئتهم من قبل؛ وأظهروا ندمهم، ولكن إما الخوف أو الكبرياء قد حجزهم عن أن يكونوا صادقين تماماً في تصفية مشاعرهم، ولكنهم فعلوا ذلك الآن.

لقد انتخبوا رسولاً ينوب عنهم أمام يوسف-من المحتمل أنه كان بنيامين أو يهوذا: بنيامين لأنه لم يتواطأ في الخيانة، أو يهوذا بسبب نجاحِهِ السابق كشفيع، فقال الرسول "آهِ! اصْفَحْ عَنْ ذَنْبِ إِخْوَتِكَ وَخَطِيَّتِهِمْ، فَإِنَّهُمْ صَنَعُوا بِكَ شَرًّا. فَالآنَ اصْفَحْ عَنْ ذَنْبِ عَبِيدِ إِلهِ أَبِيكَ"

المُناشدة كسرت قلب يوسف بينما وقف الإخوة أمام الرجُل وسجدوا أمامهُ، فقال لهم: "لاَ تَخَافُوا. لأَنَّهُ هَلْ أَنَا مَكَانَ اللهِ؟ أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا، أَمَّا اللهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا... فَالآنَ لاَ تَخَافُوا. أَنَا أَعُولُكُمْ وَأَوْلاَدَكُمْ". يقول لنا الكتاب أنه طمأنهم وتكلم معهم بعطف، هذه هي النعمة كما فعل ربنا يسوع فعل يوسف. قد نُخذِلُهُ أو نُفَشِلهُ كما فعل بطرس، ولكن حُب المسيح لا يتغير.

وهكذا وبمُلاحَظة النعمة تلك تنتهي قِصة يعقوب، وكل ما يتبقى هو تسجيل وفاة ودفن يوسف.

2. موت يوسف (50:22-26)

تُسرد قِصة موت يوسف ودَفنِهِ بخمس أعداد قصيرة، وينتهي سفر التكوين بذلك الموت وقد كان موتٌ مُهِماً جِداً. يَعبُر الروح القُدُس في عبرانيين 11 على أمورٍ كثيرة كان يستطيع أن يذكرها عن يوسف ولكِنَهُ يتوقف عند الحادِثة المذكورة هنا-الواقع أن يوسف عندما مات ذكر خروج أولاد إسرائيل وأعطى أمراً فيما يتعلق بعِظامِهِ، قد كان أعظم وألمع إيمان فعلي في حياةٍ التهبت بالإيمان.

أ. سُكنى يوسف (50:22)

"وَسَكَنَ يُوسُفُ فِي مِصْرَ هُوَ وَبَيْتُ أَبِيهِ، وَعَاشَ يُوسُفُ مِئَةً وَعَشَرَ سِنِينَ" لقد كان يوسف بعمر الستة والخمسين عندما مات يعقوب، وعاش في فخفخة وعظمة مركزهُ السامي لمدة خمسة وأربعين سنة أخرى. لم تُتَمم مشيئته من ناحية عِظامِهِ إلا بعد مرور قرون، فكان على سُلالة فرعونية جديدة أن تأتي و"مَلِكٌ جَدِيدٌ عَلَى مِصْرَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ يُوسُفَ" (خروج 1:8) ويتم الاضطهاد العظيم لإسرائيل قبل أن تُتَمم مشيئة يوسف.

وهكذا نستطيع أن نتصور يوسف يعيش أيامِهِ الأخيرة بالفخامة التي يعرفها القليلون، ومُعاصِروه يُنفقون الثروات على قبورِهم أما يوسف فلا. رُبما كانوا يقولون له "ألا تعتقد يا يوسف أنه حان الوقت أن تبدأ العمل على قبرك؟ هل تعتقد بأنك ستعيش للأبد؟" وهكذا يشهد يوسف لإيمانِهِ ولإلهه. لأنه مع امتلاكِهِ للنجاح والنفوذ والجلالة والقوة والأولاد والأحفاد والحكمة والغِنى وكل ما يستطيع هذا العالم أن يُقَدِمَهُ إلا أنه لم يَنسَ أبداً القيم الحقيقية للموت والحياة. وهذه القيَم لم يتضمنها قبرٌ في مِصر، حتى من المُحتمل انه كان مُستعِداً أن يستبدل مِصر مع كُل عظَمَتِها بخيمة في كنعان بلحظة. أشواق قلبهِ كانت في أرض الموعِد وليس مِصر فقلبهُ كان محفوظاً بين يدي الله، لذلك ليس من العجب أن الله ائتمنه على غِنى وقوة كهذه، فليس المال هو أصل كُل الشرور؛ بل حُب المال. إذاً سكن يوسف بمِصر ولكِنهُ رَغِب كنعان.

ب. أحفاد يوسف (23:50)

"وَرَأَى يُوسُفُ لأَفْرَايِمَ أَوْلاَدَ الْجِيلِ الثَّالِثِ .وَأَوْلاَدُ مَاكِيرَ بْنِ مَنَسَّى أَيْضًا وُلِدُوا عَلَى رُكْبَتَيْ يُوسُفَ." لا بُد أن يوسف كان جَداً مُمتِعاً! بطريقة ما تُضيف هذه الصورة لمسة إنسانية مُبهِجة لقِصة يوسف بتصويرهِ كما يفعل الروح القُدُس كجدٍ والأطفال على رُكبَتِهِ.

إذاً يبدوا أن يوسف كان جَداً بشرياً ليس إلا، ولابُد أنه قص على الأطفال قِصَصاً مُشيقة كما يفعل الأجداد عادةً. وكان يُخرِج مُفاجآت صغيرة من جيابِهِ لأن لهذا السبب الأجداد موجودون، ومن المُحتَمَل أنه كان يأخذهم في نُزهة ويُفسد عشاءهم بحلوى غير مسموح لهم بها. فلا ننسى بأنه لم يكن لم يكن كبير الوزراء في مِصر بل كان كبير العائلة. وبالطبع أخبرهم عن قايين وهابيل والطوفان وعن بُرج بابل وكيف أتى إبراهيم إلى أرض الموعِد وكيف زار يوماً الفرعون، وأخبرهم كيف قدم إسحاق على جبل مُريا وعن سُلم يعقوب الواصِل إلى السماء. لابُد أنه ملأ قلوب أحفادِهِ الصغيرة بتلك القِصص المثيرة التي ستُكتب لاحِقاً من قِبل موسى في كِتابٍ ندعوه نحن الكتاب المُقدس، لهذا السبب أخترع الله الأجداد. لقد أوجدهم ليُشكلوا حلقة حية ليس فقط مع الماضي الذي خرجوا منهُ ولكن مع المُستقبل الأبدي الذي يقفون على عَتَبَتِهِ.

ت. بصيرة يوسف (24:50)

إذاً عندما كان بعمر المائة والعشر سنوات أدرك يوسف أن وقتهُ قد حان كي يصنع خروجهُ من مِصر، لقد حان وقتَهُ ليموت. فاستدعى إخوتِهُ إلى قَصرِهِ على النيل وقال "أَنَا أَمُوتُ، وَلكِنَّ اللهَ سَيَفْتَقِدُكُمْ وَيُصْعِدُكُمْ مِنْ هذِهِ الأَرْضِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي حَلَفَ لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ" كانت تلك هي بصيرتهُ وأخذ مَوقِفَهُ بناءً على ذلك.

لأن الدبلوماسي المُسن قد رأى أبعد من موتِهِ القادِم، لقد رأى أيام المحنة التي ستحضر بالتأكيد. لقد رأى إسرائيل مسحوقة ومكسورة تحت عقب فرعونٍ قاهر، ورأى مجيء النسيب-المُخلص. أستطاع أن يرى لمسافة بعيدة جداً لأنه كان يمتلك جذوراً وله أسس في الماضي، وإيمانُهُ كان راسياً في كلمة الله وفي وعد الله المعصوم لإبراهيم.

لم يُرَوّجْ يوسف ويضع وعود الله بالمجاز، بل أخذهم بحرفية وبقيمتهم الحقيقية، فقد قال الله ما عناه وعنى ما قالهُ. لم يدعُ يوسف كنعان "السماء" وحلَّ وعود الله إلى خيال غامِض، فقد تعاملت وعود الله مع حقائق واقعية وملموسة وهكذا تعامل معهم يوسف فقال "اللهَ سَيَفْتَقِدُكُمْ"، لقد كانت الطريقة الصحيحة في التعامُل مع كلمة الحق. لم يحتاج يوسف إلى كأس تنبؤ ولا لسحرة ومتَكَهنين ليصنع تصريحٍ كهذا. لقد وَثِقَ بِكُل بساطة بنزاهة كلمة الله الحرفية، لقد تكلم الله فكان كافياً لهُ.

ث. مُطالبة يوسف (25:50)

"وَاسْتَحْلَفَ يُوسُفُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلاً: اللهُ سَيَفْتَقِدُكُمْ فَتُصْعِدُونَ عِظَامِي مِنْ هُنَا" لقد كان ذلك أمرهُ الأخير.

أنظر إلى ذلك الرجُل المُسن، لقد اعتاد على أن يكون مُطاعاً بشكلٍ كامِل، لأنه في مُعظم ذلك القِرن كان يُصدِر الأوامر ومعتاداً أن يُشاهد تنفيذهم الفوري. لقد كان على وشك أن يترك كل شيء خلفه للأبد، وكان لديهِ شيءٌ ليُورِثَهُ لإخوتِهِ-سيكون أثمن شيء في مِصر-عِظامُهُ! لا بُد أن الإخوة كانوا مُتلهفين في تجمُعِهم من حول يوسف عندما قال لهم أنه سيَترُك لهُم شيئاً في وصيتِهِ. ولكن ما ترك لم يكُن قصراً على ضِفاف النيل أو اسطبلاً للأحصنة العربية الأصيلة أو جواهِر تُساوي فِدية ملك. فهذه الأشياء ستكون بلا قيمة لشعبٍ سيُدنى إلى مقامِ عبدٍ، لقد ترك لهم شيئاً لا قيمة له للمِصريين ولكنهُ لا يُثَمَن بالنسبة لهم-عظامَهُ! بمعنى آخر، لقد ترك لهم *جسدَ تِذكارٍ*.

لقد أدرك موسى قيمة صندوق العظام هذا، ففي ليلة الخروج العظيمة كان كُل عبراني في مِصر يحمِل شيئاً-غنيمة شعبٍ استحقوها ونقلوها معهم، أما موسى "أَخَذَ عِظَامَ يُوسُفَ *مَعَهُ*" (خروج 19:13 أضيف الخط المائل). كان لهذه العِظام وذلك الجسد التذكاري رسالة لإسرائيل مثل رسالة جسد ربنا التذكاري لنا. أشار جسد يوسف للماضي وإلى حقيقة أن الله قد وفى بوعدِهِ وأشار إلى-خلال طريق البرية وضلال البرية-كنعان. "لقد أخرجهُم الله والله سيُدخِلُهم" هذا ما قاله جسد يوسف التذكاري لإسرائيل كما يفعل جسد الرب لكنيستِهِ. لقد كانت آخر نقطة والأخيرة التي شابهَ يوسف بها يسوع، قال يوسف "افعلوا هذا لذكري" مُشيراً لِجَسَدِهِ.

ج. موت يوسف (26:50)

" ثُمَّ مَاتَ يُوسُفُ وَهُوَ ابْنُ مِئَةٍ وَعَشَرِ سِنِينَ، فَحَنَّطُوهُ وَوُضِعَ فِي تَابُوتٍ فِي مِصْرَ" ولكِنَهُ لم يَمكُث هناك، فقد حَمَل موسى عِظامَهُ عِبر رمال سيناء وحملهم يشوع إلى كنعان. ينتهي سفر التكوين بذكر عظام يوسف وكذلك سفر يشوع "وَعِظَامُ يُوسُفَ الَّتِي أَصْعَدَهَا

بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ دَفَنُوهَا فِي شَكِيمَ، فِي قِطْعَةِ الْحَقْلِ الَّتِي اشْتَرَاهَا يَعْقُوبُ مِنْ بَنِي حَمُورَ أَبِي شَكِيمَ بِمِئَةِ قَسِيطَةٍ، فَصَارَتْ لِبَنِي يُوسُفَ مُلْكًا." (يشوع 32:24)

كان يوسف يستطيع أن يفعل مثل ما فعل جميع كبراء وزراء مِصر من قَبلِهِ-صرف ثروة ونصف وعمرٍ في بناء وتذهيب قبرٍ في مِصر. ومثل ما حدث للآخرين لكان قبرهُ قد نُهِبَ من قِبل سُراق القبور منذ زمنٍ طويل، أو رُبما سيكون معروضاً في مِتحَف القاهرة! لقد كان يوسف أحكم من ذلك، لقد أراد دفناً في كنعان.

لو استطعنا أن نكون هناك في ذلك اليوم الذي وضع بهِ يشوع (أحد أحفاد يوسف المُنحَدِر من سُلالتِهِ) ناووسَ يوسف بكُل احتِرام ومحبة ليرتاح هناك في شكيم، لكنا سمعنا ضِحكةً مكتومةً من صندوق العِظام ذلك. ولا نحتاج لشهادات باللاهوت أو الأنثروبولوجيا لنعلم ما أرادت تلك العِظام أن تقول "اللهَ سَيَفْتَقِدُكُمْ" عظمة الركبة ستقول لعظمة الفخذ وعظمة الظهر لعظمة الرقبة! "سيفتقدكم الله بالتأكيد ويحمِل هذه العِظام من هاهنا. لقد أخرجنا من مِصر إلى هذه الأرض ولكن في إحدى الأيام سيفتقدنا مرة أخرى وياخذنا إلى أرض الله. سنُقام بلا فساد ومُمجدين إلى الأبد!"

"ثُمَّ مَاتَ يُوسُفُ وَهُوَ ابْنُ مِئَةٍ وَعَشَرِ سِنِينَ، فَحَنَّطُوهُ وَوُضِعَ فِي تَابُوتٍ فِي مِصْرَ" وهكذا ينتهي سفر التكوين، يبدأ بالخلق وينتهي بتابوت، يبدأ بالمجد وينتهي بالقبر، يبدأ بِوِسع الأبدية وينتهي بقِصَر الوقت، يبدأ بالله الحيّ وينتهي بالرجُل الميت، يبدأ بتألُق النور بالسماء وينتهي بصندوقٍ من العظام في مِصر. كانت تلك مُلاحظة الروح القُدُس الأخيرة في كتابٍ عن طبيعة ومأساة خطيئة الإنسان. وهي الكشف الأخير عن كِذبة الشيطان "لَنْ تَمُوتَا!" "ثُمَّ مَاتَ يُوسُفُ" (يوسف الذي يُشبِه المسيح أكثر من أي رَجُلٍ آخر في الكتاب المُقَدَس)، " ثُمَّ مَاتَ... فَحَنَّطُوهُ وَوُضِعَ فِي تَابُوتٍ فِي مِصْرَ".